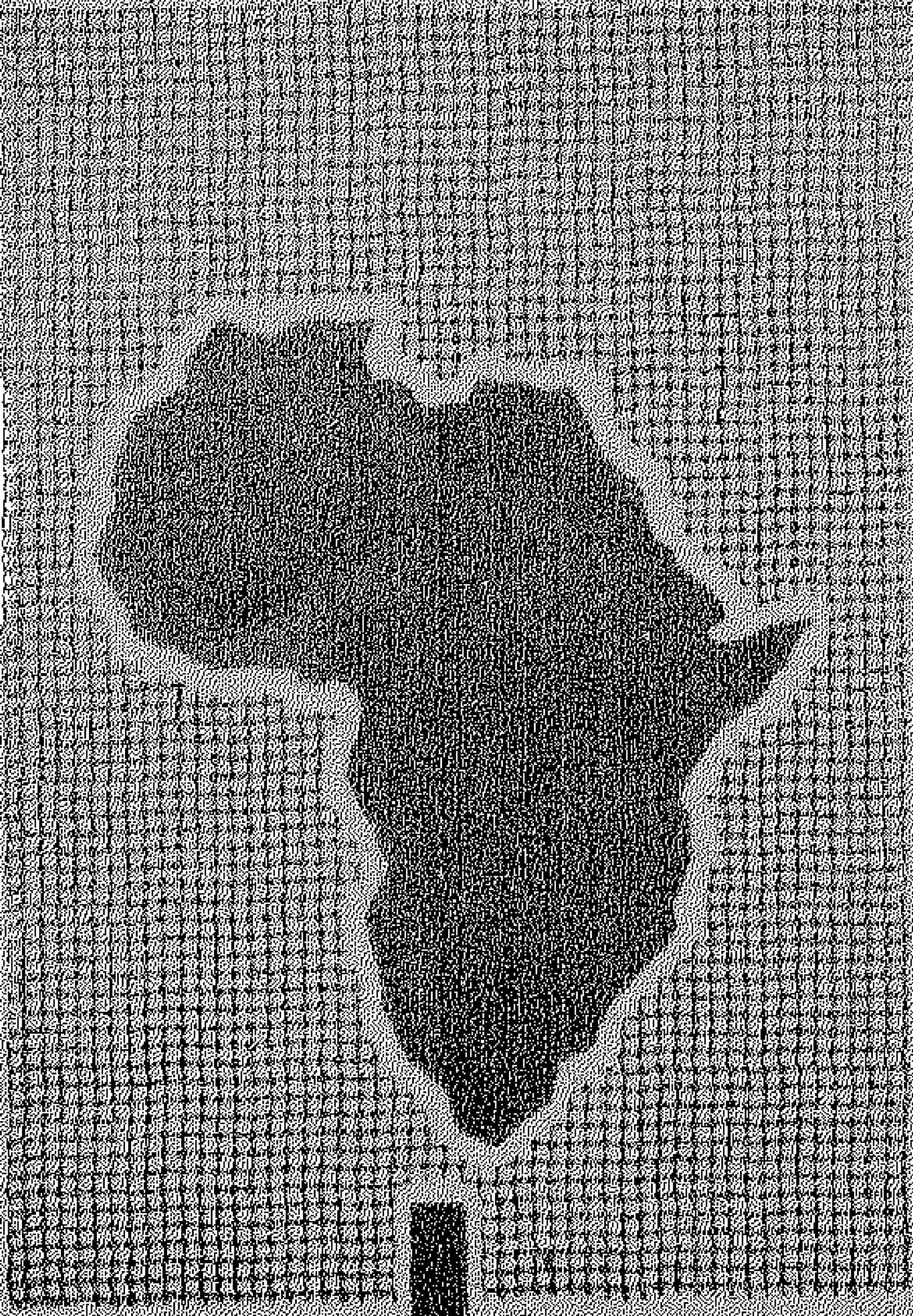
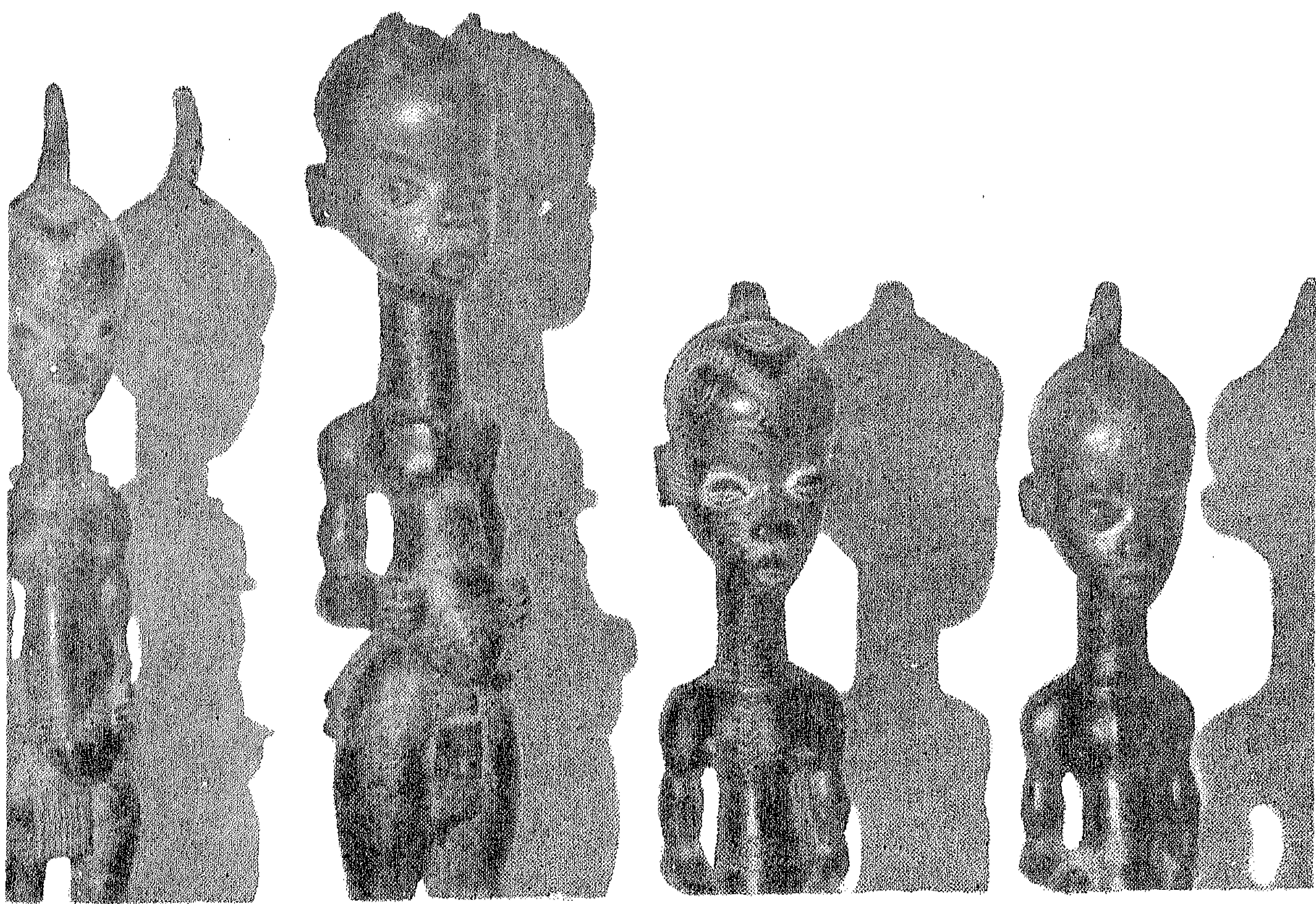
السنة الأولى

العدد العاشر . أغسطس ١٩٥٨



نهضة إفريقية

فى هذا العدد



من الفن الإفريقى



نهضة إفريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير

محمد عبد العزيز إسحق

تهدف هذه المجلة إلى :

١ — تنمية الوعى القومى الإفريقى.

٢ — التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ — نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى.

وللمشتركين الحق فى :

١ — الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ — الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

◆ ترحب «مجلة نهضة افريقية» بالمقترحات والآراء، والنقد، وتعمل على تحقيقها .

◆ ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية

٥ شارع أحمد حشمت — الزمالك — القاهرة

تليفون المجلة : ٨٠٧٦٥٨ إقليم مصر

ترسل اشتراكات المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنوياً : لمصر والسودان ٣٠ قرشاً

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

إن القارة الإفريقيـــة التى كانت هادئة من قبل أصبحت ثائرة تتوعد فى أكثر من مكان.. ومن خلال هذه الثورة أصبحت تتلاقى ، وتتساند ، ثم توجه ضربات جماعية . فإذا بالفجر ينبثق ، ورايات الحرية ترتفع على أكثر من مكان ..

... ومن هنا أخذ الاستعمار يترنح أمام الضربات الهائلة التى يتلقاها فى عنف وقسوة . فلم يعد «الإفريقى» فى أى مكان من القارة يحس بالوحدة التى كانت مضروبة عليه من قبل ؛ فهو الآن يحس بالقارة متجمعة فى قبضته وهو يضرب ! ويحس بها فى رأسه وهو يفكر ! ويحس بها فى نفسه وهو ينتصر !

.. إن أى إنسان فى القارة لم يعد وحده ؛ فإفريقية اليوم قلب واحد ، وعزم واحد ، ومن أجل هذا فهى تنتصر فى كل معركة ..

.. فمزيداً من المعـــارك !.

محتويات العدد العاشر

حديث الشهر

العبرة من لبنان

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

دارت فى الأمم المتحدة رحى معركة سياسية حول القوات الأجنبية الغازية للشرق الأوسط عامة ، والمحتلة للقطر اللبنانى على وجه الخصوص . وكان الاهتمام العالمى بلبنان أكثر ؛ لأن الأمريكيين الغاصبين هم الشريك الأقوى فى العملية كلها ، وما الانجليز وجنود مظلاتهم إلا ذيول للوحش الأمريكى المتنمر ؛ الذى خيل إليه فى ١٥ من يوليو الماضى أنه سوف يلتهم لبنان ، ويقفز منها إلى العراق ، ويفترس القومية العربية فى أحد معاقلها القوية ! ثم يلتفت إلى بقية « الشعوب الصغيرة » فى الشرق الأوسط وإفريقية ، ويلتهمها واحدة وراء أخرى !

ولكن الأمر لم يكن ، على الطبيعة ، ممكناً بهذه الصورة التى رسمها فى « واشنجطن » خيال جشع مريض ، فما إن نزلت جنود البحارة من الأسطول السادس على الشاطئ اللبنانى حتى واجههم الشعب اللبنانى بالسخط العارم ، المشفوع بطلقات المدافع الرشاشة ، وانطلقت رشاشات الشعب اللبنانى « الصغير » فى عرف أمريكا ، دون خوف من الأسطول البشع المحمل بالنفاثات ، وقاذفات القنابل الذرية ، فبطل على الفور سحر النفاثات ، وذهب بريق القاذفات عن أعين الشعوب المتحررة ، وهبت الشعوب الصديقة فى أركان الأرض تحيى الشعب اللبنانى ؛ وتصب جام سخطها على الاعتداء الأمريكى ، وارتفعت صيحات النجدة من أنحاء آسيا وإفريقية ، وأعلن الرئيس جمال عبد الناصر على رءوس الأشهاد أن أية حركة أخرى للأمريكان عبر لبنان معناها الحرب الشعواء التى لا تبقى ولا تذر .

وحدث في العراق ما لا يقل عن هذا كله أثراً ولا خطراً ، ففي ساعات معدودة ؛ بعد الثورة الكاسحة على الفساد والمفسدين ، وقف الشعب العراقي كله ؛ مدناً وقرى وقبائل ، عرباً وأكراداً ، صفاً واحداً وراء الجيش المظفر العربي العظيم وقواده الوطنيين الشجعان المخلصين الأمجاد .

وفي الوقت الذي كانت فيه إذاعة الأردن (المحتلة بالشياطين الحمر .. !) تلهث زاعمة أن عبد الإله على رأس جيشه المخلص يقاتل للقضاء على «العصاة» كان الشعب والجيش في العراق صوتاً واحداً ؛ يلعن (عدو الإله) وصحبه الأشرار ، ويحطم حلف بغداد على رءوس صانعيه ، ويمد ذراعه القوية فيصافح العرب في دمشق ، وفي كل مكان .

كل هذا ؛ و(المارد) الأمريكي مبهور الأنفاس على شاطئ لبنان ، وهو — أي المارد المذكور — يتلقى اللعنات وصيحات الاستنكار والتهديدات بالحرب الماحقة من دول وشعوب صديقة لا تنطوي مشاعرها على الأنانية ، ولا ترمي بعلاقاتها مع الشرق الأوسط إلى احتكار أو استغلال . وبينما جنود البحرية الأمريكان يقفزون من السفن البرمائية إلى الشاطئ اللبناني ؛ وطائرات الأسطول السادس النفاثة تزأر فوق رءوس الشعب الأعزل كان الرئيس جمال عبد الناصر ونيكيتا خروشوف يضعان في موسكو خطط الهجوم المضاد على قوى الشر والعدوان .

ولم يقف الشعب اللبناني موقف المتهيب ، أو موقف الخائف المذعر فقد أعلن زعماء الثورة — وهم الممثلون الحقيقيون للشعب — أنهم سيقاومون العدوان الأمريكي بكل قوة وأنذروا القوات المعتدية بألا تقترب من المناطق التي حرروها من طغيان شمعون ! وأعلنوا على رءوس الأشهاد أنهم سيطلبون المعونة المسلحة من كل الشعوب التي أبدت مشاعر الحماس ، ونهضت صارخة في وجه العدوان .

وقد التزم الثوار اللبنانيون نذيرهم فألزموا الجيش الأمريكي منطقة الشاطئ ، بل إن الدبابات الأمريكية فوجئت أكثر من مرة بمدافع الرشاشات اللبنانية ، وعندما كانت الطائرات النفاثة تمرق ؛ بصفيرها المزعج فوق الوديان ، أسقط المجاهدون إحداها بأسلحتهم البسيطة فخرت على ثرى لبنان المقدس والتهمتها النيران .

وفي مدينة «بيروت» لم يستطع العابثون الأمريكيون أن يطأوا شوارع حي «البسطة» — وهو معقل المجاهدين — وظلوا يحومون ، كالذباب ، من بعيد . وعندما اقترب أحدهم ، ورآه جزار لبناني ، أشرع الجزار سكينه في وجه المتطفل الدخيل ، المدجج بالسلاح ،

وما كان من هذا المدجج إلا أن يفزع ويذهب صوابه . ويخر على الأرض وقد تعلقت عيناه بالسكين !

أما القناصة من المجاهدين فقد تربصوا بالدبابات وجنود البحارة ، وأركبوهم من الفزع والرهبة ما أجبر قيادتهم على تحذيرهم بالأوامر والمنشورات . وعلى الرغم من ذلك فقد دمر القناصة عدداً من الدبابات ، واستطاعوا أن يأسروا عدداً من رجال « الدوريات » الإمريكية المسلحة ، وجردوهم من أسلحتهم وحققوا معهم ، — واستنطقوهم — ثم طافوا بهم وقد رفعوا أيديهم في الهواء مستسلمين ، ثم دعوا مصوري الصحف فالتقطوا من المناظر ما شاءوا ، وأذاعوا صور الأسرى على العالم أجمع ، لتكون عبرة على ضعف القوة الغاشمة أمام الحق الذي تؤمن به الشعوب ، وتضحي في سبيله بأعراض الحياة الرخيصة ، وتبذل في سبيله كل غال وثمين .

لقد عادت قضية لبنان إلى هيئة الأمم المتحدة مرة أخرى بعد ثلاثة أشهر من الكفاح المستميت ، عادت إلى الهيئة الدولية لكي تجد أمريكة « متلبسة » باحتلال لبنان ، ورصيفتها بريطانيا في قفص الاتهام لاحتلال الأردن .

عادت وقد انتصر شعب لبنان فوضع على رأس الدولة الشخص الذي يرضاه ، وهو الجنرال شهاب ، وألزم الأمريكان أن يقفوا على الشاطئ حاسري النفوس والأجسام ، وأجبر الأسطول السادس على أن يتقهقر سفينة بعد أخرى ، وأن يطامن من غلوائه ، ويخفف من صلصلته بالسلاح ، واضطر شمعون وسامي الصلح إلى أن يسلكا طريق « الموت البطيء » وينتظرا النتيجة المحتومة في أواخر سبتمبر حيث تخمد أنفاس الشمعونية ومعها « سياسة الانحياز » وأثبت بالدليل القاطع أن كتلة الشعوب المتحررة أقوى بإيمانها وشجاعتها من الأسطول السادس ، ومن حلف الأطلنطي ومن الصواريخ الموجهة ، والقنابل الذرية والهيدروجينية .

هذا كله قد أثبته شعب لبنان ، وأثبت معه أن عهد الاستعمار قد ولى وأنه ليس أمامه ، على تعبير الرئيس جمال عبد الناصر ، « إلا أن يحمل عصاه على عاتقه ويرحل ! » ، وما على الشعوب المستعمرة إلا أن تسلك سبيل المجاهدين اللبنانيين فتصل بمساعدة الشعوب المتحررة إلى بر الأمان .

إن انتصار المجاهدين اللبنانيين ليدفئ قلوب المكافحين في المستعمرات وأشباه المستعمرات ، وقد ذكرنا في العدد الماضي طرفاً من الأحداث الوطنية في مختلف أقطار القارة الإفريقية .

وفى خلال شهر واحد تواترت الأحداث من كل جانب، وتوالت التجمعات والمؤتمرات الوطنية، والمظاهرات الدافقة الدامية، فقد احتدمت المعركة فى يوغندا بين السلطات البريطانية والمؤتمر الوطنى اليوغندى، وفى الكمرون قرر مجلس الوصاية فى هيئة الأمم أن يبعث إليها لجنة لاستفتاء الجزء الذى سبق أن ضمته بريطانيا إلى نيجيريا، وفى مستعمرة «داهومى» الفرنسية، (إلى جوار غانه، التقى ممثلو الأحزاب الوطنية فى المستعمرات الإفريقية الفرنسية، وقرروا مطالبة فرنسا بالاستقلال الناجز، ووضعوا خطة منسقة للكفاح المشترك، وفى المغرب العربى ذهب زعماء «موريتانيا» إلى الرباط، وأعلنوا انضمامهم إلى الوطن الأكبر «مراكش» وإعلان الكفاح ضد فرنسا. أما فى السنغال فقد هب الشعب فى «داكار» العاصمة، وسار فى مظاهرات كاسحة يصيح فى وجه الفرنسيين: اخرجوا من بلادنا .... ولجأ الفرنسيون إلى أساليبهم العتيقة ففتحوا أفواه البنادق على المتظاهرين، وسقط القتلى والجرحى، وزادت نيران الوطنية حدة واشتعالا ...

إن العبرة من لبنان قائمة ماثلة فى الأذهان .... على أن شعباً تعداده مليون واحد قد استطاع أن يقف على قدميه، ويدافع عن كيانه، ويطهر صفوفه من العملاء والخونة، ويقيم الدنيا فى وجه الاستعمار البشع، ويفرض احترامه على العالم أجمع!.

ومن هنا كانت لبنان مصدر إشعاع طيلة الشهور الماضية للأحرار فى قارتنا الكبيرة المكافحة، المتطلعة إلى الكرامة والاستقلال!.



الحركات القوميّة التحريـة فى جنوب وشـرق افريقيـة

بقلم الأمير الاى

محمد عبدالفتاح ابراهيم

فى تاريخ قريب يقل عن حقبتين من السنين تكتل نفر من الإفريقيين المثقفين فى غرب قارتنا القديمـة ، ليخطوا سطور أنشودة تكون طابع هذه الروح التحررية القوية التى بدأت تغطى كل القارة جنوبى الصحراء .

وكان أن انتهى هؤلاء إلى شىء مثل هذه السطور :

« لقد اعتزمنا أن نعيش أحراراً .. »

« إننا نريد أن نتعلم ... »

« نريد حقنا فى حياة حرة كريمة ، لا نعرف معها الفاقة ولا المرض .. »

« نريد أن تتوفر لنا حرية التعبير عن آرائنا ومشاعرنا ، وأن نصنع بأيدينا كل صور الجمال ؛ كما يفعل غيرنا من الناس .. »

« إننا لا نخجل لأننا قد صبرنا طويلا على هذه الحياة التى عشناها ، لقد احتملنا التضحيات الجسام ، ولكن لم يعد أمامنا سبيل لأن نجوع ، ولا لأن نعرى ، على حين أننا نطعم ونكسو العالم من ثمار قارتنا هذه ! ! »

* * *

ولكن الواقع أن هذه السطور لم تكن أنشودة تلقى فى حفل صاخب ، أو أغنية يتغنى بها الأفراد للترويح والترفيه .. ، بل كانت قصة شعوب احتملت الكبت طويلا ، وتطلعت إلى المجد ، وتمكنها إمكانياتها وطاقتها المختزنة من أن تحقق كل ما تتطلع إليه ، وكانت هذه الأنشودة هى الضوء الذى ينير الطريق من قلب الغابات الكثيفة فى وسط القارة عند هضبـة البحيرات إلى مشارف البحر فى أقصى الجنوب ، عند رأس الرجاء والأمل الصالح ! ! !

ولم تكن هذه الروح القوية خاطرة جديدة ، بل كانت نتيجة لحركات تحررية منتظمة ، تصل فى بعض أجزاء القارة إلى قرابة نصف القرن ، وإلى أكثر من هذا فى أجزاء أخرى منها ، وكانت عوامل الكبت الاستعمارى هى التى تخفى هذه الحركات التحررية ، وتنسبها إلى دوافع أبعد ما تكون عن الحـرية .

وأول ما نلقى من التاريخ المسطور لهذه الحركات التحررية الجماعية فى فى منظمة « البانتو » (١) لسكان جنوب إفريقية الوطنيين سنة ١٩١٣ ، والتى قامت للاحتجاج على السياسة المناهضة للوطنيين ، التى رسمها قانون الأراضى .

والذى يعنينا من تاريخ هذه المنظمة الإفريقية أن ممثليها زاروا لندن ، وقابلوا وزير المستعمرات الانجليزى ، وقابلوا الكثيرين فى مختلف دوائر السياسة ، وذكروا الانجليز بأنهم حاربوا معهم فى فجر هذا القرن ضد البوير ، ولكنهم مع هذا لم يصلوا إلى شىء ، بل لم يصلوا حتى إلى ما قوبلوا به من ترحاب عندما قصدوا لندن مرة ثانية فى سنة ١٩١٩ ، فقد أفهموا أن البرلمان الانجليزى ، وأن حكومة لندن لا تستطيعان أن تفعلا شيئاً من أجل الإفريقيين ، ولا تستطيعان بخاصة حماية الجنس الأسود فى جنوب إفريقية ، تحت سلطان حكومة بيضاء لها طابعها الاستقلالى ، وكان معنى هذا أن حكومة لنـــدن المستعمرة لا أصدقاء دائمين لها ، ولا أعداء دائمين لها ، ولكن الذى له صفة «الدوام» ! ! ! هو مصالحها الاستعمارية سواء أكانت تمثلها فيه حكومة جنوب إفريقية أم غيرها ، وعرف أهل جنوب إفريقية الوطنيون أنه يجب أن يعتمدوا على أنفسهم ، وهكذا كان ...

وفى سنة ١٩١٩ أنشىء « الاتحاد التجارى الصناعى » على أساس برنامج وضعه رجل من أصل أوروبى اسمه « كلمنت كادالى » من مواطنى « نياسالاند » وكان برنامج الاتحاد عملياً أكثر من برنامج منظمة البانتو القديمة (المؤتمر الإفريقى الوطنى) فانضم للاتحاد مئات الألوف من أعضاء المؤتمر ، وبذلك تركوا فيه قادة بلا جنود (! !) ومن ثم بدأ الانقسام فى صفوف المؤتمر ، وأضحى الاتحاد وحده الذى يمثل الحركة التحررية لسكان جنوب إفريقية .

وفى سنة ١٩٣٥ خرجت إلى الوجود منظمة جديدة أقوى من سابقتها هى التى عرفت باسم « اتحاد كل الإفريقيين » ، وكانت هذه المنظمة الجديدة هى التى استهدفت جمع كل قبائل البانتو فى وحدة واحدة ، وتنسيق كفاحها ، وتوجيهه للحصول على مساواة فى الحقوق الاقتصادية والسياســـية والاجتماعية ، وقد حاول الاتحاد أن يكون « حركة اتحاد غير الأوروبيين » على أساس برنامج من نقاط عشر تكون برنامج الحقـــوق الأساسية للإنسان .

(١) عرفت المنظمة باسم « المؤتمر الإفريقى» وقد أنشئت للمؤتمر فروع فى الكاب وناتال والترنسفال ، وحتى فى ولاية أورانج الحرة ، وانضم إلى عضوية المنظمة مئـــات الألوف من عمال الأرض الكادحين ، ولكن الذى أضعف المؤتمر هو أن أفراد الطبقة الوسطى من ملاك الأراضى ، والذين يمثلون القوة التى وراء المؤتمر كانوا يكثرون من أحاديث التهديد دون أن يقوموا بعمل إيجابى .

(١) حق الانتخاب والترشيح لمجلس البرلمان والمجالس الإقليمية ومجالس البلديات لكل رجل وامرأة تجاوزا الحادية والعشرين ، دون ما عائق بسبب اللون أو الدين أو اللغة .

(٢) حق التعلم لكل طفل حتى سن السادسة عشرة ، مع وجبات غذائية بالمجان ، ومع توزيع الكتب والأدوات بالمجان للمحتاجين من الطلاب .

(٣) عدم الاعتداء على حرمة المساكن (٤) حرية التعبير عن الآراء ، وحرية عقد الاجتماعات ، وحرية تكوين المنظمات والاتحادات . (٥) حرية التنقل . (٦) المساواة فى الحقوق بين جميع المواطنين . (٧) إلغاء ما يتعارض مع هذا فى قانون الأراضى . (٨) حرية العمل . (٩) مراجعة قوانين الضرائب لضمان المساواة . (١٠) مراجعة تشريعات العمل والعمال .

ومن الواضح أن هذا البرنامج قد وضع أصلا للكفاح ضد القوانين الاستعمارية التى كانت سلطات حكومة جنوب إفريقية التى تدين بالعنصرية قد أصدرتها ؛ قاصدة إذلال الإفريقيين . وحرمانهم من الحقوق الأساسية لحرية الإنسان البشرى .

وكان من الطبيعى أن يقابل برنامج الاتحاد باجراءات مضادة لا من قبل أحزاب الأغلبية التى تتولى الحكم ، بل حتى من أحزاب المعارضة التى تأمل فى الحصول على الحكم فى تاريخ قادم . وكنتيجة لهذا وضح أنه من الضرورى أن يلتئم الشمل ، وأن يقف كل الافريقيين فى صعيد واحد . وكنتيجة لهذا بدأت فى صيف سنة ١٩٤٨ م المحاولات لتكوين جبهة متحدة ضد تشريعات « ميلان » رئيس الوزراء ، التى قصد بها الحد من محاولات غير الأوروبيين ، وانتهت هذه المحـــاولات بعقد مؤتمـــر «بلوموفنتين » فى ١٧ – ١٨ من ديسمبر سنة ١٩٤٨م ، دعا إليه كل زعمــاء «البانتو» من رؤساء المؤتمر الإفريقى ، ومن رؤساء الاتحاد التجارى الصناعى ، على أنه قبل أن ينعقد المؤتمر وضحت قوة هذه الجبهة المتحدة ؛ عندما انتخب ثمانية ملايين من السود « مستر سام كاهن » أول نائب شيوعى لبرلمان جنوب إفريقية ؛ ضمن الثلاثة البيض الذين يمثلون الوطنيين الإفريقيين فى برلمان البيض الذى يتزعمه « ميلان » رئيس الوزراء .

وفى نفس الوقت تكونت فى روديسيا الجنوبية – بعد الإضراب العام الذى حدث فى أبريل سنة ١٩٤٨م – منظمة قـــوية تضم كل المواطنـــين الإفريقيين الذين تجمعهم كل الاتحادات الصناعية والتجارية ؛ كما تكونت فى روديسيا الشمالية منظمات قومية مماثلة ؛ وإن كان لها طابعها الخاص . ذلك لأن الحركة القومية صحبتها دوافع دينية ، وكان للحركة الدينية التى

تنتظم ضمن « حركة برج المراقبة » (١) نفوذ سياسي كبير ، كما كان للكنيسة الحبشية تأثير كبير على « بانتو » كل اتحاد جنوب إفريقية .

ولكن كان للحركات التحررية فى شرقى إفريقية مدى أكبر وأعمق ، فضلا عن أنها كانت أكثر تنظيما ، وإقبالا على التضحية بالنفس فى سبيل المبادىء التى استهدفتها .

وتاريخ الحركات التحررية فى شرقى إفريقية هو فى الواقع تاريخ جمعيات كبيرة أربع ؛ انتظمت فيها جماهير الشعب الواعية من قلب القارة حتى ساحل المحيط الهندى فى شرقى القارة ، هذه الجمعيات الأربع التى كانت النماذج الرئيسية للجمعيات الواعية التى تبعتها فى الطريق :

(١) جمعية شرقى إفريقية (٢) اتحاد كينيا الإفريقى (٣) حركة الباتاكا فى أوغنده (٤) جماعة الشباب الصومالى .

---

(١) حركة برج المراقبة : حركة سرية نشأت فى امريكا ، وكانت تصدر نشرات سياسية ، وتقدم تعاليم « منظمة برج المراقبة » على أساس عودة السيد المسيح إلى الأرض ، وأنه عند عودته ستكون كل السيادة على العالم كله فى يديه ، وقد لايختلف هذا عن تعاليم المبشرين ، ولكن « جماعة برج المراقبة » ، تذهب إلى أن الحكومات التى تسود العالم وبخاصة حكومتى بريطانيا والولايات المتحدة منظمتان تابعتان للشيطان (!!) وأن الكنائس البروتستانية والكاثوليكية على ذات المثال ، وهكذا استخدمت جماعة « برج المراقبة » الدين كسلاح فى كفاح الطبقات
راجع كتاب «إفريقية » لجورج بادمور ص ٢٣٧

وكانت جمعية شرقى إفريقية رائدة المنظمات السياسية فى كينيا وقد تكونت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ، عندما راحت الحكومة الانجليزية تزيح الإفريقيين من أراضى المنحدرات العالية لتوجد أماكن طيبة الهواء لإقامة النزلاء البيض ، وقد استهدفت الجمعية عند إنشائها حماية حقوق « الكيكويو » واستطاعت الجمعية أن تجمع شمل رجال القبائل ، وأن تمنح الأسر زعامة واعية قادرة على الكفاح .

ويقدم لنا « جومو كنياتا » زميل « هارى ثوكو » أول رئيس للجمعية الإفريقية بياناً بما حدث سنة ١٩٢٢م عند ما قبضت الحكومة المستعمرة على الرئيس «هارى ثوكو » فيقول :

« فى مارس سنة ١٩٢٢ قبضت الحكومة على « هارى ثوكو » رئيس « جمعية شرقى إفريقية » فكانت النتيجة أن حدث إضراب عام لأول مرة فى تاريخ كينيا ، ووضح أن السكان الإفريقيين من الرجال والنساء والأطفال قد تجمعوا خارج دار البوليس فى نيروبى ، مطالبين بإطلاق سراح الزعيم الأول للشعب ، وقد جاءت جماهير الشعب فى مظاهرات ضخمة صامتة ، تحمل الأعلام البيضاء ، وجلست الجماعات حول دار البوليس حسب معتقداتها الدينية .

وفجأة ودون أى إنذار أطلق رجل من رجال البوليس الرصاص على الجماهير ، وشاركه نفر من زملائه ، وحدثت

اضطراب فى صفـوف المتظاهرين المسالمين ، وسقط بعض القتلى والجرحى من الرجال والنساء والأطفال فى شوارع نيروبى ، وانتقلت الأنباء من قرية إلى أخرى ، وكانت فورة عامة ، ولم تفتقر الحركة إلى قوة دافعة ، فقد كانت هذه الضحايا القوة الدافعة التى تحتاج اليها الحركة القوميـة » وينتهى حديث « جوموكنياتا »

والذى يعنينا من قصة هذه الحركة القومية الإفريقية الأولى فى كينيا أن الحكومة قد أتبعت عمل رجال البوليس بحركة قمع وكبت إرهابية ، بدأت بنفى الزعيم « ثوكو » واثنين من أقاربه. وتخير الإفريقيون محامياً أبيض اسمه « درايكوت » للدفاع عن قضيتهم ، وراحوا يجمعون له المال حتى لا يفتقر إلى وسيلة من وسائل الدفاع ، وبعد أن أخذ المحامى الأبيض من الإفريقيين كل قرش جمعوه أخذ حقائبه ؛ وما حصل عليه من عشرات الألوف من الجنيهات ، ثم سافر إلى خارج القارة ؛ تاركاً الإفريقيين ليتعلموا درساً جديداً هو : أن القانون والسياسة إنما يقفان فى جانب سياسة البيض ، لاستغلال المواطنين الإفريقيين !.

واستمرت حركة القمع والإرهاب ، ولكن لم تذهب هباء هذه الدماء الإفريقية التى سفكت فى مارس سنة ١٩٢٢ ، وبدلا من أن تموت الحركة اندفعت إلى باطن الأرض ؛ لتمارس نشاطاً سرياً ، وتكونت الشعب والخلايا ، وعرفت إفريقية نظام المقاومة السرية قبل أن يظهر هتلر على المسرح الأوروبى بسنوات طوال ..

وفى الفـترة التى بين الحربين العالميتين تكونت جمعية «الكيكويو» المركزية ، كما تكونت فى منطقـة «الكافراندو» منظمة مماثلة ، ومع السلطات الكبيرة التى توفرت للحكومة أثناء الحرب العالمية الثانية للقضاء على

الاستعمار بالشركات !

قامت الشركات بدور كبير فى استعمار إفريقية . فبواسطتها استولت على جنوب إفريقيـة فى القرن السابع عشر . وفى القرن التاسع عشر تكونت عدة شركات للاستيلاء على بعض أجزاء من إفريقية . ومن هذه الشركات شركة «سسل وردس» التى استولت على مساحة تزيد على مائة ألف كيلومتر مربع . « والشركة الإفريقيـة الشرقية البريطانية » التى كانت السبب فى الاستيلاء على شرق إفريقيـة وأوغنده . وقد تستر الملك ليوبولد خلف الهيئة التى تكونت باسم «الاتحاد الدولى للاستكشاف ونشر الحضارة فى الكنغو» . ... وهكذا غزيت إفريقية حيناً باسم الحكـومات ، وآخر باسم الأفـراد !

هذه الجماعات ، وحلها واعتقال زعمائها وإرغام أنصارها على العمل بالإرغام فى مزارع البيض ، فان الحركة لم تمت ،وكانت دعامة الثورة التى هزت من أركان الاستعمار البريطانى فى أرض « الماو ماو » .

على أنه عندما انتهت الحرب العالمية الثانية نظم بعض الزعماء الشبان بالاشتراك مع نفر من الزعماء القدامى « اتحاد كينيا الإفريقى » ، وفى أول يونيو سنة ١٩٤٧ عقد بنيروبى مؤتمر عام يمثل فروع الاتحاد ، ووضعت فى هذا المؤتمر الأهداف التى يجب العمل على تحقيقها :

١ — العمل على تحقيق تقرير المصير لأهل كينيا مع المحافظة على حقوق الأقليات فى هذه الدولة الإفريقية.

٢ — الإلغاء العاجل لكل صور عدم المساواة الموجودة فى نظام الحكومة وزيادة عدد مقاعد الأعضاء الإفريقيين فى المجلس التشريعى.

٣ — منح الأراضى التى تملكها الحكومة للمزارعين الإفريقيين .

٤ — التعليم الإجبارى المجانى للإفريقيين

٥ — إلغاء كل النظم المهنية فى التشريعات القائمة .

٦ — إصلاح نظام الأجور والإقامة والرعاية الصحية للعمال الإفريقيين .

وقد اضطرت الحكومة البريطانية إلى تشكيل لجان للتحقيق والبحث ، وكانت النتيجة إصدار الورقة البيضاء ١٩١ ثم الورقة البيضاء ٢١٠ ، التى تلغى الورقة السابقة ، وتؤكد اتجاهاً جديداً من جانب الحكومة لمحاولة مقابلة المطالب الوطنية فى منتصف الطريق ، ولكن الواقع أن السياسة اتخذت طابعاً واحداً متماثلا مضاداً للحركات القومية ، وفى الوقت الذى قررت فيه الحكومة زيادة مقاعد الأقليات فى المجلس التشريعى جعلت هذه الزيادة عبارة عن ثلاثة مقاعد للإفريقيين و ٤ للهنود ومقعد واحد للعرب ، مقابل عشرة مقاعد للمستعمرين.

وكان لحركة «الباتاكا» فى أوغنده مظهرها الخاص وإن كان الكثيرون ينظرون إليها على أنها بدأت سنة ١٩٤٥ كثورة على سوء الحكم الوطنى ، وكاحتجاج على التدخل البريطانى ، وإرغام «الكاباكا» على التنازل عن العرش لأخيه ، وإن هذه الثورة قد صحبت بسفك الدماء ، وباغتيال رئيس الوزراء «مارتن لوثر نسيبيروا» بيد شاب وطنى ، فضلا عما تبع هذا من أعمال القمع واعتقال بعض الزعماء بينهم الأمير « سونا » عم «الكاباكا» ورئيس الوزراء السابق «ساموبرى وامالا» ونفى البعض الآخر إلى « سيشل » سيبيريا بريطانيا فى المحيط الهندى ! !

ولكن الواقع أننا يجب أن ننظر إلى المسألة نظرات أعمق من هذا ، ففى هذا الجزء من إفريقية الاستوائية

ارتبط الاستعمار بالدين . وكان المبشرون من رجال الكنيسة يعملون مع الموظفين الانجليز وأيديهم فى قفاز واحد (! !) ومنذ كانت الحرب التى ترجع إلى التنافس بين البعثـــات التبشيرية الكاثوليكية والبروتستانتية وضع الانجليز قاعدة لا تتغير وهى ضرورة أن يكون «الكاباكا » و «الكاتيكورو» رئيس الوزراء و (الأوموانيكا) وزير المالية من أعضاء الكنيسة الإنجليزية ، وأن يكون «الأومولاموزا» وزير العـــدل من الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ، ولهذا فلا غرابة فى أن يكون «الكاباكا» ووزراوءه تحت ضغط مستمر من الموظفين البريطانيين من جانب ، وتحت ضغط رجال الكنيسة من جانب آخر للحصول على امتيازات اقتصادية للدولة والكنيسة .

وفى سنة ١٩٤١ نتيجة لأزمة خاصة بالتقاليد وزواج الملكة الأم أرملة « الكاباكا» داودى شاو ؛ تكونت جمعية «الباتاكا» فى أوغنده أى جمعية كبار السن فى العشيرة(١) ؛ واتجهت الجمعية من البداية لمحاولة دمقراطية « اللوكيكو » أى البرلمان الوطنى مع ضمان حرية الرأى والصحافة ، واتهمت الجماهير الحكومـــة البروتقراطيـــة بالضغط على وزراء «الكاباكا» وبخاصة رئيس الوزراء «ساموبرى وامالا » لإعطاء حقوق الإفريقيين فى الأراضى للنزلاء الأوروبيين ، ومنح الشركات الرأسمالية حق استغلال الموارد المعدنية فى البلاد ، كما اتهم الوطنيون رئيس الكنيسة الإنجليكية بعقد اتفاق سرى مع الحكومة نزل فيه عن أراضى الكنيسة إلى الحكومة الانجليزية ، وكانت الكنيسة قد حصلت على هذه الأراضى التى تغطى ٥٢ ميلا مربعاً سنة ١٩٠٠م بموجب « اتفاقية منجو » ، وقد ثبت أن هذه الأراضى غنية بموارد معدنية لم تستغل ، واتهم الأهلون الأسقف الإنجليكى بأنه عميل للحكومة الانجليزية ، وأنه يعمل على ضم كنيسة أوغندة على غير رغبة من الأهلين إلى كنيسة شرق إفريقيـــة ، استكمالا للمشروع الانجليزى الذى يهدف إلى توحيد مناطق كينيا وأوغندة وتنجانيقا فى مجموعة واحدة تحت سيطرة المستعمر الأبيض ، ومع أن هذا الاتهام قد جاء فى نشرات وزعت بلندن فى أول يوليو سنة ١٩٤٨ فلم تبذل أية محاولة لإنكار الاتهام ، وإن كان المشروع الدينى قد أسقط من تقدير المستعمرين على أساس وضع تدابير سياسيـــة بديلة له ..

على أن الانجليز قد استخدموا فى أوغندة منذ سنة ١٩٤٥ نظاماً بوليسياً للكبت ، جعل بادمور يسأل فى كتابه « إفريقية » عمن يقول بأن البوليس السرى يعمل فقط فى شرق أوروبا وراء الستار الحديدى ! ؟

لقد بقيت مشكلات أوغندة ،

---

(١) راجع « المشكلة الوطنية فى إفريقية » د . بويل المجلد الأول ص ٥٨٨ — ٥٨٩

المشكلات الخاصة بالكاباكا ووزرائه طوال السنوات العشر الأخيرة قائمة لا تنتهى ، وما تزال حتى اليوم هى المنفذ الوحيد الذى تستطيع منه السلطات الاستعمارية التسرب إلى داخل نطاق الجماعات التى تعمل للتخلص من المستعمر ،عن طريق نشر الوعى الاجتماعى والسياسى بين الأهلين .

وكان للحركة الصومالية حركة الشباب الصومالى طابعها الخاص ، فقد استهدفت منذ البداية إحياء الروح التى ظلت مكبوتة منذ وفاة الملا محمد بن عبد الله سنة ١٩٢١ (١).

وكان للحرب العالمية الثانية أثرها الكبير فى الحركة الصومالية ، فعندما أرغم الانجليز على الانسحاب من الصومال فى أغسطس سنة ١٩٤٠م تولى الشباب الصومالى الكفاح لتحرير بلادهم من الغزاة الإيطاليين ، وكون هؤلاء حركة للمقاومة ربطت بين الصوماليين فى الصومال كله أى فى الصومال الانجليزى والفرنسى والإيطالى بل ربطت الاتصاليين بالصوماليين الذين يعيشون فى «أوجادين» من أعمال الحبشة.

على أن الصوماليين التقدميين لم يكونوا فى الواقع يعارضون حكم الطليان وحسب ، بل كانوا يدعون إلى توحيد الصومال تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة إلى أن يتدرب الصوماليون على حكم أنفسهم.

وفى سنة ١٩٤٤ تكونت جمعية الشباب الصومالى فى « مقديشيو » للمطالبة بهذا ، ولجمع القبائل كلها للعمل على تحقيق هذا الهدف .

وفى سنة ١٩٤٨ زارت مقديشيو لجنة من هيئة الأمم المتحدة فيها مندوبون من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا السوفيتية ، ولكن مهما كانت توصيات اللجان ، ومهما تكن ترتيبات مجلس الوصاية بالنسبة لأرض الصومال الإيطالية ، فان الجماعات الصومالية تكافح من أجل حقها الكامل فى توحيد أرض الصومال تحت حكم صومالى مستقل ، وهى من أجل هذا تعتزم الكفاح ضد كل العوائق الاستعمارية .

هذه هى قصة الحركات التحررية فى جنوب وشرقى إفريقية ، وهى قصة كفاح أحوج ما تكون إلى أن تسجل فى مجلد ضخم تسجيلا تفصيلياً ، لتكون دراسة يستوعبها شباب إفريقية العاملون لنهضة إفريقية ، وحقها تحت الشمس ، وهم لا بد أن يصلوا لهذا باذن الله.

(١) وداد صومالى من قبيلة « دلباهنتا » دعا إلى الجهاد ضد الأحباش الذين فى الشمال الغربى وضد الانجليز الذين يجيئون من البحر ، ولكن حركة محمد بن عبد الله لم تكن قوية حتى بدأت الحرب العالمية الأولى . وكان محمد بن عبد الله إذ ذاك فى « أوجادين » فأرسلت إليه الأسلحة والذخيرة ليدعو للجهاد ضد الإنجليز ومع أن الرجل حاول جمع جيش من أنصاره ، إلا أن حركته لم تلبث أن أخمدت .

راجع (الإسلام فى أثيوبيا للمبشر ترينجهام) ص ١٢٩ / ١٣١



خريطة توضح بحر الزنج والمناطق المجاورة

دويلات عربية على الشاطئ الافريقي

للأستاذ الشاطر بصيلي

---

١ — تمهيد :

ترجع هجرة العرب ، وبخاصة أهل منطقة الجزيرة العربية الجنوبية والجنوبية الغربية ، إلى الشاطئ الافريقى الشرقى ، والى الجانب الغربى من البحر الأحمر ، إلى عهود عريقة فى القدم ، وقد دفعت إلى هذه الهجرات عدة عوامل ؛ منها ماهو جغرافى ومنها ما هو اقتصادى اجتماعى ، واشترك مع هؤلاء العرب فى هجرتهم كثير من المغامرين من أهل منطقة الخليج العربى وغرب بهرة (الهند) كما جاءت جماعات من البلدان شرقى الهند حتى الصين . غير أن هؤلاء كانوا أقلية بالنسبة للجماعات العربية ؛ وشملت المنطقة التى استوطنها هؤلاء الوافدون من العرب وغيرهم الشاطئ الإفريقى من خليج عدن شمالا حتى ظفار الزنج (سوفاله) جنوباً ؛ وهذه الرقعة من الأرض هى المنطقة نفسها التى عرفها المصريون

القدماء باسم أرض بونت – والتى جاءت إليها سفنهم فى طلب الأخشاب العطرية والتوابل والمر والصمغ وغير ذلك ؛ كما جاء اليها الروم والإغريق عن طريق البحر الأحمر فى طلب التجارة . وقد ازداد نشاط العرب فى التجارة البحرية فى أوائل العهد المسيحى، وبخاصة عندما بدأ الانحلال يدب فى دولة الروم ، كذلك حدثت خلافات فى بلدان الشرق القريب والبعيد ؛ واستطاع العرب توطيد مراكزهم التجارية ، لذلك أرسلوا البعوث الاقتصادية إلى الأقطار الشرقية ، ومنها ما وصل إلى الصين .

وتاريخ هذه المنطقة فى اتصاله وارتباطه بالإسلام جدير بالعناية والاهتمام ، فما زال الكثير من مصادره المحلية بعيداً عن متناول الباحثين العرب . فالشاطئ الإفريقى الشرقى فى اتساعه فى الجزء الشمالى (جنوبى خليج عدن حتى زنجبار) وفى رقعته الضيقة على الشاطئ من زنجبار حتى ظفار الزنج (سوفاله) ساحل موزنبيق ؛ يكون المشارف الجنوبية من « دار الاسلام » ، فعند تلك المشارف التقت شعوب وحضارات متفاوتة المراحل ، ومن أبرز مظاهر هذا اللقاء نشأة اللغة السواحلية ؛ وهذه المنطقة على طولها وعمقها كانت فى الواقع جزءاً من المجال المصرى منذ أقدم العصور ، وما زالت رواسب من الحضارة المصرية القديمة تمارس على الصورة التى عرفها المصريون القدماء ، ومع ما أدخل عليها من تعديلات محلية ، فالطابع المصرى القديم هو البارز حقاً .

ويهمنا فى هذا البحث أن نتعرض إلى نشاط العرب فى هذه المنطقة ، فى الحقبة من الزمن التى جاءت بعد ظهور رسالة الاسلام ، كما نتعرض إلى الانعكاسات والانطباعات التى تركها زمن النشاط فى الأقطار المجاورة ، وبخاصة سودان وادى النيل .

٢ – نشأة « دول مدن » عربية :

جاء العرب قبيل الاسلام إلى الشاطئ الشرقى من إفريقية واحتلوا مناطق تعرضت للمد والجزر ، فكان قيامها واختفاؤها موقوتاً بظروف خاصة . أما فى العهد الاسلامى فقد جاءت جماعات أكثر استقراراً ؛ فنهم من جاء من منطقة عمان واليمن والخليج العربى ، ومن أولئك جماعة من الأمويين فى حكم عبد الملك بن مروان (٦٨٥–٧٠٥ م) واتخذوا موطناً لهم فى منطقة لامو «LAMO» ، وترجع أسباب هجرتهم إلى هذه البقاع إلى الصراع الذى حدث فى الشمال من الجزيرة العربية بين الأمويين والعباسيين ، الذى انتهى بزوال الحكم الأموى فى هذه الديار وانتقال السلطات إلى العباسيين . وجاء مع هؤلاء جماعات من الشام . وكان طبيعياً أن يختار هؤلاء هذه المنطقة البعيدة عن متناول الصراع ، فقد كان شمال إفريقية وأرض الجزيرة العربية ، وما بين النهرين رحى للتطاحن ، الأمر الذى

فى هذه الجماعات وعبرها إلى الفرار إلى الشاطئ الإفريقى الشرقى . وجاء فى «كتاب الزنوج» أن جماعات قد جاءت أيضاً من مصر من بلد يقال له «بانه» ، ولم يعرف بعد صحة هذا الاسم ، وبالتالى لم يعرف موقعه . ويظن البعض أنها فى صعيد مصر الأعلى . ويذكر الكتاب المشار إليه قبائل كثيرة أخرى منها «فنج FANAGA» . وهم على حد قوله من عمان ، وأضاف قوله «وكانوا يجيئون بالسفائن والمواشى وغالبهم بالبر كما كانوا يجيئون لأجل الحرب من سواكن وبربرة» .

وكان هؤلاء النفر من الأمويين أول من أنشأ «دول مدن» على الشاطئ الإفريقى ، ولحقت بهم جماعات من عمان وغيرها من الأمصار ، ومن أهم الجماعات التى كان لها أثرها جماعة سليمان وسعيد الجلنديين ، وجماعة زيد حفيد الشهيد الحسين بن على رضى الله عنه .

وجاءت إلى خليج عدن جماعات أخرى اتخذت مواطنها فى منطقة زيلع ، وتغلغل سلطانها إلى الداخل ، وتكونت منها سلطنة المخزومى عام ٨٩٦م الذى أقام ولايته فى شرقى «شوا» وهذه السلطنة وما قام فى أعقابها من أسرات ، وما تم لها من توسع موضوع بحث خاص .

قامت «دول مدن» ولكل منها استقلالها فى إدارة شئونها وتجارتها ، وعندما تكاثر عددها ، وانتشرت على الشاطئ الإفريقى كان من الطبيعى أن تعمل على جمع كلمتها فدخلت هذه الدول فى حلف تولته طبقة أرستقراطية كان لها التوجيه السياسى الخارجى وكانت «دول المدن» تلتف حولها فى وجه العدو المشترك الذى يهاجم وطنها العربى الواسع . وقد اتخذت زعامة هذا الحلف مركزاً لها فى «مقديشيو» التى اختيرت لموقعها الاقليمى ؛ ولسهولة وصول السفن إلى أرضها ؛ فهى بذلك أكثر الموانئ صلاحية لدخول السفن على طول الشاطئ الذى يبلغ أكثر من ألف ميل طولا .

وامتد سلطان هذه الدول إلى داخلية البلاد ؛ على أعماق تفاوتت بقدرة كل منها ؛ وعلى مدى ارتباطها من الناحية الاقتصادية مع الداخل — ومن بين «دول المدن» هذه — الذى اتخذ كل زعيم «دولة مدينة» لنفسه لقب سلطان مُنْتَد وبتى PATTA ، وبساسة (١) ، زنجبار ؛ كلوى ؛ ويب ؛ آمُ واوازى ؛ وأرسل الخليفة العباسى الوزير يحيى بن عمر العترى الذى زار كل سلطان ، واستطاع أن يحصل على خراج للخليفة من هؤلاء الزعماء لدول المدن .

وجاء فى القرن العاشر الميلادى الأخوة السبعة من الإحساء من جنوب شرق الجزيرة العربية ، وهاجموا دول المدن على ساحل البنادر ، ووحدوا بين دول المدن فى سلطنة تزعموها ، وقامت

---

(١) أصل الإسم ـنفيت ـزـ ، وسميت بساسة مفيتا ، وأصلها بالسواحلية ، كوغ وى ، وبالعربية بساسة ، وصارت ممباسة باسم الحاكم البرتغالى .

بعدهم دولة الزنج ؛ وقد دفع الصراع الذى حدث فى هذه المنطقـــة وانتشار الأمراض ، إلى هجرة عدد كبير من الطبقة الارستقراطية، وكان طبيعياً أن يتجه هؤلاء نحو الشمال ، وبخـــاصة بعد قيام البيت الأموى فى إتيوبيا، واشتـــد ساعد الدويلات الاسلامية : أدفات ، الزيلع ، دوارو ، ارابيى ، هـــدية ، شرحا ، بالى ، دارة . وعددها سبع ممالك . وقد كانت هذه الممالك تحت أمر صاحب أمحرا ، ملك ملوك الحبشة، يختار لولاية ممالكهم من شاء توليته ، ولا يردون ويصدرون إلا عن أمره (١)

٣ ــ التنظيمات الاجتماعية :

ليست لدينا معلومات وافيـــة عن النظم والتقاليد المتبعة فى مختلف المراسم. غير أن القليل الذى وصـــل إلينا عما كان متبعاً فى اختيار الزعيم الأول، والحفلات التى تقـــام فى هذه المناسبة نجـــد فيها ما يربط بينها فى صورة أو أخرى وما كان متبعاً فى الأقاليم المجاورة فى أتيوبيا وفى مملكة سنار ، وبخاصة أننا نجـــد الزعامة الأولى كانت مقصورة على اختيار صاحبها من بيت معين، كما أننا إذا قارنا بين التنظيمات التى قامت عليها « دول المدن » على الشاطئ الشرقى لإفريقية، وبين التنظيمات التى قامت عليها السلطنة السنارية ، نجد ارتباطا وثيقـــاً بينهما . وليس هنالك من الفوارق غير فارق اسمى ــ فدولة المدينة فى شرق إفريقية يقابلها فى حوض النيـــل الأوسط (السودان) المشيخة ؛ وإن كانت الأخيرة أوسع رقعة فى الأرض من مثيلتها على الشاطئ الإفريقى .

تبين مما أوضحناه آنفاً أن جمـــاعة من الأمويين ، ومن بينهـــا من عرف باسم «فنج FANAGA » قد جاءت إلى الشاطئ الإفريقى الشرقى ؛ واتخذت لها دولة حديثة على ذلك الشاطئ ؛ وأن هذه الجماعة مع غيرهـــا من الجماعات قد تركت مواطنها بسبب الصراع الذى حدث بوصول جماعات من العرب إلى ساحل البنادر ؛ ونجد أيضاً أنه فى القرن الخامس عشر قد ظهرت جماعة الأرستقراطيين فى جنوب غربى إرتيريا ؛ واتخذت لهـــا عاصمة عرفت محلياً باسم « لملم » . ووردت فى بعض الوثائق باسم لول أو لامو ومنها نقارة الدار التى وجد منقوشاً عليها :

نقارة الدار نقارة السلطان
عمارة بن السلطان عدلان
جدهم الكبير الجاء (١)
من لول عمرها السلطان
بادى بن السلطان
نول نصره الله
آمين

وأن هذه الطبقة قد تركت فى وثائقها ما يثبت أنها من بنى أمية ؛

(١) صبح الأعشى . ص ١١٠ جزء ٨ .

(١) الجاء : يعنى الذى جاء .

وأنهـا قد اتخذت لها لقب الفنج — الذى دخله تغيير فى النطق .

وقد لا يكون من الصواب كلية أن نربط بين أصل الفنج الذين ظهروا فى جنوب غربى إرتيريا فى القرن الخامس عشر الميلادى ، والذين انتقلوا فيما بعد الى سنار ؛ وكونوا سلطنتهم التى دخلت فى اتحاد مع المشيخات الأخرى ؛ وبين جمـــاعة فنج التى كانت صاحبة دولة حديثة على الشاطىء الافريقى الشرقى . لكنا لا يمكننا أن نهمل إطلاقاً الظروف التى دفعت هؤلاء إلى الهجرة من مدينتهم ، وهى الظروف نفسها التى دفعتهم الى الانتقال الى أرض الجزيرة فى السودان ؛ واتخاذ سنار عاصمة لهم ؛ فهنالك التنظيمات الاقتصادية والاجتماعية التى كانت على نظام الجمهورية التجارية ؛ التنظيمات التى كانت قائمة فى الجزيرة العربية .

واذا رجعنا الى ما جاء فى كتـــاب الزنوج ، كما ذكرنا سابقاً ، وجدنا أنهم «كانوا يجيئون لأجل الحرب من سواكن وبربره » فالاحتمال كبير بأن هؤلاء قد تركوا مـــوطنهم الأول فى الشاطئ الإفريقى — مدينة لامو — التى صحفت فيما يبدو إلى «لول ولامول» — وجاءوا الى منطقة الإرتيريا عن طريق البحر فى الغالب ،أو عن طريق البر على طول الشاطئ الغربى للبحر الأحمر ، وهو طريق مفتوح فى فصل الشتاء .

وهذه على أية حال دراسة تمهيدية تتطلب المزيد من البحث والتمحيص .



الميناء العربي الأول

بقلم الأستاذ صلاح الدين الشامي

تمثل « باضع » الميناء الذى أسسه العرب على الساحل السودانى ؛ استمراراً للنشاط العربى الذى اتخذ من البحر الأحمر « بحر القلزم » مرتعاً خصباً . وظهر ذلك النشاط مع الخيوط الأولى لفجر التجارة ونشاطها فى ذلك البحر . ويمكن القول بأن النشاط الملاحى التجارى فى البحر الأحمر قديم ، وأن الفراعنة عندما قاموا برحلاتهم إلى « بلاد بنت » كانوا دخلاء على حركة الملاحة فيه ؛ أما الذى لا شك فيه فهو أن الملاحين من أهل سبأ وحمير كانت لهم علاقات تجارية بالساحل الإفريقى . وكانت لهم مراسيهم التى يختزنون فيها الماء ، ويلجأون إليها وقت العواصف والأنواء .

ونحن نتصور أن نشاط العرب كان على نطاق واسع ؛ إذ أن حضارة الحبشة تقوم فى أصولها على أسس من من الحضـــارة السبئية والحميرية(١) .

ويذكر الدكتور عوض أن النشاط اليمنى (عرب جنوب الجزيرة) فى الحبشة يرجع إلى القرن العاشر قبل الميلاد على الأقل(٢) . ومهما يكن من أمر ؛ فان اتصال العرب بالسودان والحبشة كان منذ القدم ، وأن نشاطهم بنى أساساً على التجارة ؛ إذ ليس ثمة تفسير آخر يمكن أن نعلل به انتقال العناصر العربية ونشاطها ، وربما استمرارها على الساحل الإفـــريقى للبحر الأحمر .

وظل نشاط التجار العرب قائماً مع ظهور الإسلام ، وكان انتقالهم من الجانب الآسيوى إلى الجانب الإفريقى فى صورة مجهودات حرة لا تشرف عليها الدولة الإسلامية فى معظم الأحيـــان . وتمخضت تلك المجهودات عن نشاط تجارى اقتصادى ضخم ، وكانت « باضع » بمثابة رأس « الجسر » الذى اتخذه التجار العـــرب مستقراً لهم ومقاماً . وقد لا نتمكن من الوصول إلى تحديد دقيق يمكننا من معرفة التاريخ الذى قامت فيه « باضع » لبزاول منها العرب نشاطهم فى خدمة التجارة . ومع ذلك يمكن للباحث أن يتتبع تاريخها فى القرون الخمسة

(1) Theodore Bentte : The Ancient Trade Routes "J.J. 1893"

(١) دكتور محمد عوض محمد « السودان ووادى النيـــل » صفحة ٣٥

الأولى من العصر الإسلامي . فقد جاء ذكر « باضع » على لسان المقريزى حين أشار إليها المقريزى فى ذكر فرار عبد الله بن مروان آخر حكام بنى أمية إليها سنة ٧٤٩ ميلادية . وذكرها اليعقوبى وهو من مؤرخى القرن التاسع . وأشار إليها الحمدانى أحد مؤرخى القرن العاشر . وأكدت كتابات كل من ذكرها عروبة الميناء، وأنها تقوم على خدمة الملاحة والتجارة فى بحر القلزم (الأحمر الآن) . ويعنى ذلك أن العرب اهتموا بتجارة الساحل الإفريقى والمناطق التى تقع فى ظهيره ، وكان ميناء « باضع » ثمرة جهودهم المتواصلة الموفقة فى هذا السبيل .

وعلى الرغم من ذلك فليس من السهل على الباحث أن يحدد موقع «باضع » ؛ ذلك أن كتاب العصر الإسلامى الأول ، وأصحاب الخرائط الجغرافية لم يتركوا لنا رسما يساعد على ذلك .

وقد زار كثير من الرحالة الجزء المعـــروف باسم « خور نوارات Nowarat » واتجهوا نحو بقايا وآثار مدينة مخربة على جزيرة الريح(١) ، واعتقد كاتب « دليل البحر الأحمر Red Sea Pilot » أن تلك البقـــايا تمثل الموقع الذى قام فيه « مينـــاء بطليموس ثيرون البطلمى » (١) . وقد وصف الأستاذ « هجلن Heuglin » تلك الآثار ، وأشار إليها « سير شارل سمث Charle Smith » الذى عثر على أثرين كتبا باللغة العربية ضمن تلك الخرائب ، ويرجع تاريخها إلى سنة ٩٩٧ و سنة ١٠١٥ ميلادية .

وظل سر «باضع» مجهولا حتى تمكن «كروفت Crowfoot» فى رحلة بحرية إلى موقع « جزيرة الريح » من تحقيق موضع «باضع» ؛ ذلك أن السفينة التى استقلها دارت به حول جـــزيرة « فارجن Fargin » ، ثم مرت بكومة أحجـــار ، تعرف باسم « مشتبرى Machatiri » . وكان ذلك الاسم الأخير مفتاح السر لكشف القناع عن خرائب « جزيرة الريح » ، ذلك أن ياقوتاً الحموى حين استعرض الأماكن فى البحر الأحمر ذكر اسم « باضع» ضمن بيت من الشعر جاء فيه ذكر كلمة مشتبرى وخرائب «باضع»(٢).

وتعرّف « كروفت » على موقع « باضـــع » لأن الأسماء الأخـــرى التى ورد ذكرها على لسان الشاعر ما زالت قائمة ومعروفة ، ومع ذلك فانالسيد صالح ضرار وهو من المهتمين

(١) تقع «جزيرة الريح » فى منطقة «خور نوارات» قرب الحدود الحالية من السودان وإريتريا ويحدد موقعها التقاء خط عرض ١٨٫٩ درجة شمالا وخط طول ٣٨٫٢٨ شرقاً .

(١) Red Sea Pilot, P. 288.

(٢) من شعر أبى الفتح نصر الله المشهور بابن قلاقس الاسكندرى

بتاريخ السودان والبحار — لا يعترف بهذا القول ، ويتصور قيام « باضع » فى موضع « مصوع » الحالية أو على مقربة منها . وربما أمكننا الرد على هذا الزعم على ضوء معلومات استقيناها من اليمنى عامر ، فذكر كثير من اليمنيين أن « مصوع » تعرف عندهم الآن باسم « باضع » لكنهم ينطقونها « باذع » ، ويعنى ذلك أن الأمر اختلط على السيد صالح ضرار ، وأخذها دليلا على صحة فرضه المزعوم .

وخلاصة القول أن « باضع » قامت على « جزيرة الريح » وأن تلك الخرائب والأطلال لا علاقة لها مطلقاً بمينـاء « ثيرون بطليموس » .

ومهما يكن من أمر فإن « باضع » العربية قامت على خدمة تجـارة السودان ، فكانت تصلها السلع السودانية والإفريقية من سن الفيل وريش النعام والعبيد ، ليتم التبادل بها على الروائح والأمشاط وغيرها من السلع . ويبدو أنها عاصرت النشاط الذى تسرب إلى مناطق التعدين فى شمال شرقى السودان. وكانت أسوان مركزاً لتسرب العرب والمسلمين الذين اتجهوا إلى استغلال المعادن فى تلال البحر الأحمر .

ويمكن أن نصور هنا حقيقة خطيرة وهى أن انتشار العرب على الساحل السودانى ، وفى أسوان إنما كان يمثل نشاطاً اقتصادياً . فكانوا ينتقلون من الجزيرة العربيـة إلى الجانب الإفريقى ويشتغلون بالتجارة ، ويختلطون فى الوقت نفسه بسكانه : يحيون حياتهم ، ويتزوجون منهم ، ويحملون معهم بذور الحضارة الإسلامية العربية .

ويرد ذلك القول على من يدعى من الأوروبيين أن النشاط العربى إنما كان طغياناً لموجات وهجرات سيطرت على السودان . والواقع أن هذا الزعم باطل ، فلم يكن العرب مستعمرين ، إنما تسربوا وخالطوا سكان البلاد ، واختلط بينهم النسب ، وتشابكت مصالحهم ، واتخذوا من تلك الأراضى أوطاناً لهم ، وعملوا على رفع مستواهم الحضارى والاقتصادى . وهكذا كانت « باضع » نافذة السودان والسـاحل الإفريقى على البحر الأحمر .

ويغلب على الظن أن « باضع » خربت وهجرتها التجارة والملاحة فى خلال القرن الحادى عشر ، وانصرف عنها النشاط إلى موقع آخر هو « عيذاب » .

ويبدو أن تحـديد ذلك الوقت الذى خربت فيه تقديرى بحت ، ولكن يمكن الاستدلال على ذلك على أساس أن الشاعر — ابن قلاقس الاسكندرى — غرقت سفينته قرب « دهلك » سنة ١١٦٨ ، ومات فى عيذاب سنة ١١٧٢ . ولما كانت روايته تذكر أو تصور « باضع » على أنها خرائب فيعنى ذلك أنها خربت فى تاريخ سابق لمروره بها ، وإذا ما علمنا أن أحدث أثر كتابى عثر عليه « كروفت » يرجع إلى سنة ١٠٧٣ ميلادية ، أدركنا أنها

خربت فى تاريخ لاحق . ويمكن القول على ضوء ذلك بأن تخريب «باضع» تم فى فترة تمتد فيما بين ١٠٥٠ ، ١١٥٠ ميلادية .

ولم يكن من السهل على الكتاب والباحثين الوصول ،أو الاتفاق على العامل أو العوامل التى أدت إلى ذلك التحول الخطير فهجر السكان الميناء ، وتحولت التجارة عنها . هناك قصتان يصور فيهما سكان الساحل السودانى تلك النهاية التى أسدلت الستار على «باضع» . وتدور القصة الأولى حول نقص خطير فى المواد الغذائية ، الأمر الذى ترتب عليه حدوث المجاعات ؛ أما القصة الثانية فتصور هجوماً خطيراً شنته شعبة من بنى عامر على الميناء ، ونجحت فى حملتها بحيث خرب الميناء(١)

ويذكر « هبرت » ، الذى زار «باضع» — خرائبها على « جـزيرة الريح » — وفحص عدداً كبيراً من مخازن المياه فيها ، سبباً آخر يعلل به نهاية الميناء . وقد بنى نظريته على ضوء الحالة التى عثر عليها فى فحصه لمخازن المياه إذ وجدها مطمورة فى الطين ، بها كثير من البعوض ، فتصور على أساس ذلك أن مرضاً حمله البعوض أصاب سكانها بالمرض ، وقضى على عدد كبير منهم ، الأمر الذى أدى إلى هرب السكان منها ، وتحول طرق التجارة عنها آخر الأمر .

(1) Crowfoot, J.W.: "Some Red Sea Ports," J.J., P.P. 543-46

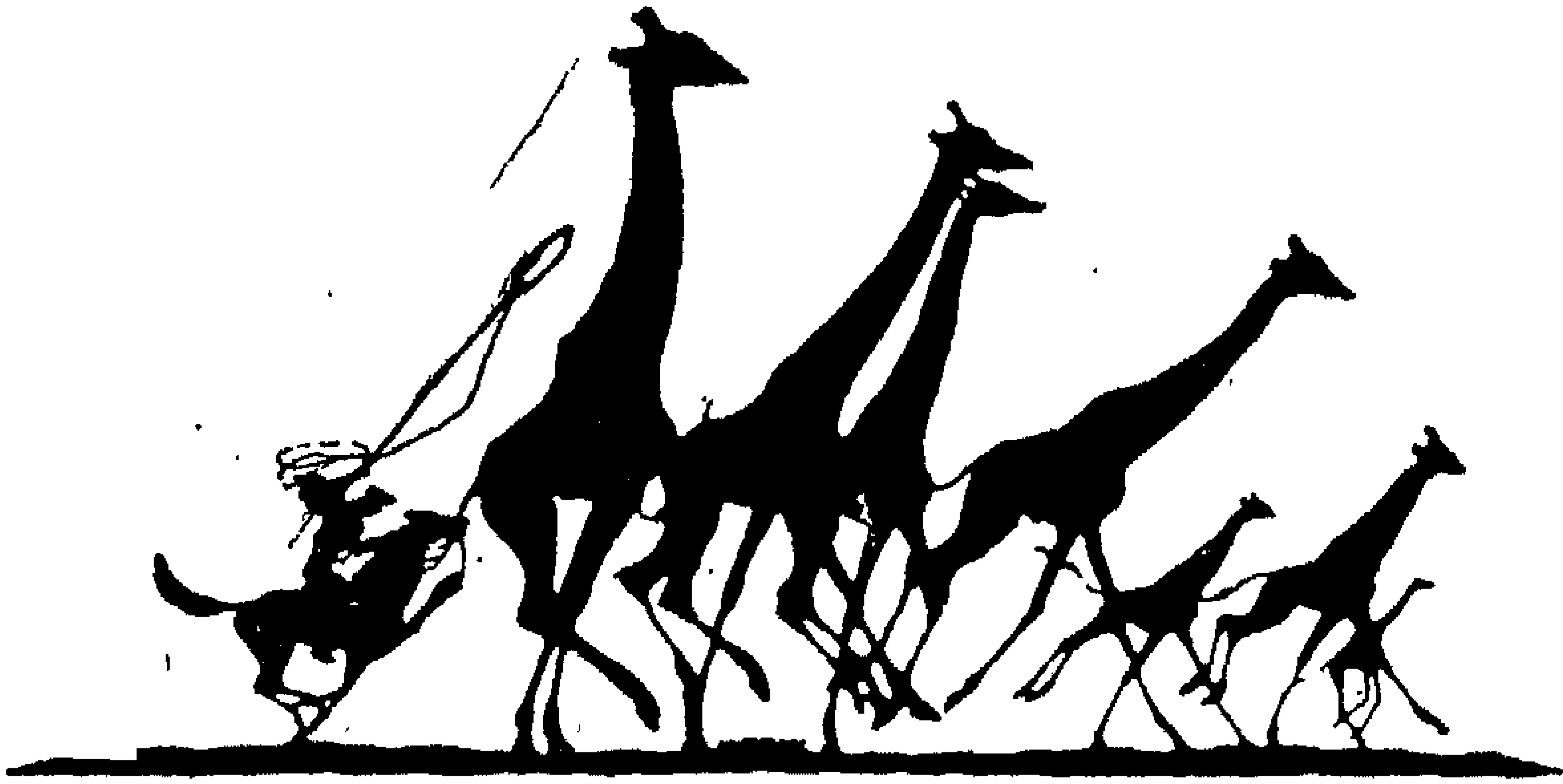
ونحـن لا ندرى كيف يتشاءم « هبرت » إلى ذلك الحد ، وكيف اقتنع بتلك الصورة التى يزعم أنها سر القضاء على « باضع » ، ولماذا يكون المرض هو السبب فى هجرة السكان العرب التجار ؟ ومع ذلك فله عذره ؛ لأنه لا يدرك من سر موانىء الساحل السودانى شيئاً ؛ ذلك أن الدراسة الجغرافية التاريخية لهذه الموانىء وقيامها واندثارها تتمخض عن حقيقة على جانب عظيم من الأهمية . هذه الحقيقة هى أن ظهور الموانىء على الساحل السودانى وازدهارها فترة ثم تخليها عن مركزها وربما اختفاءها ، صفة من الصفات الأساسية المميزة لها . وتبنى هذه الصفة على أساس أن أى ميناء من تلك الموانىء يستند إلى عوامل بشرية ومقومات من عناصر غير تلك التى تعمر « الظهير Hinterland » ، وأن أى فتور يطرأ على تلك العوامل يعرضها للخراب .

وربما كان لظهور « عيذاب » فى الشمال أثر ساعد على ذلك التحول ، ولكن لا بد من أن نفترض سبباً جعل « عيذاب » أكثر أمناً وصلاحية لأن يتحول إليها النشاط الملاحى والتجارى . وقد يكون من الأفضل أن نفترض حالة من الفوضى والاضطراب فى منطقة الظهير — ليس من الضرورى أن يكون فى صورة هجوم مباشر على « باضع » — الأمر الذى أدى إلى اضطراب فى وصول القوافل أو عدم وصولها . وليس ثمة خطر يتعرض له

ميناء على الساحل السودانى أخطر من أن ينقطع وصول القوافل إليه ؛ ذلك أن الميناء تخدم مناطق بعيدة لا تقع فى ظهيره مباشرة . وتمثل الطرق شرايين الحياة التى تربط مراكز الإنتاج بما حول النيل والساحل السودانى .

ولابد من أن نتصور حدوث ذلك الاضطراب . وتلك الفوضى التى تعطل أو تعرقل وصول التجارة وقوافلها ، وخصوصاً أنها تمر بأرض البجاه . وهم منصرفون عن البحر لا يتفاعلون معه ، ويعيشون فى بداوة ، وقد يترتب على انتقال بطونهم قتال على المرعى تعرض الطرق للخطر . وأعتقد أن القصة التى صور فيها السكان حدوث هجمات على الميناء تقترب بنا كثيراً من الحقيقة ؛ لأن ذلك يعنى اضطراباً وفوضى ؛ وقد كانت هذه الفوضى وذلك الاضطراب سبباً فى تحول التجارة إلى « عيذاب » ، لأن التجار العرب شعروا بوقوعها تحت سلطان الدولة الإسلامية . وأنها أكثر أمناً ، والأمن هو أهم ما ينشده التجار ، وتنشده القوافل فى طريقها الطويل من النيل إلى الساحل .

حقيقة أخيرة : هى أنه ليس من المعقول أن يهجر التجار « باضع » بين يوم وليلة ، وإنما لابد لنا أن نتصور منافسة بين «باضع» و «عيذاب» انتهت بأن هجرها التجار العرب بعد خمسة قرون طويلة عامرة بالنشاط ، وختمت تلك النهاية صفحة ناصعة من مجهودات العرب ، وفصلا فى قصة النشاط العربى التجارى على الساحل الإفريقى للبحر الأحمر .





شخصية العدد
السلطان رابح فضل الله

للأستاذ عبده بدوى

فى هذه الأيام التى يدور فيها صراع عنيف على أرض القارة الإفريقية، من أجل الحرية ، والخلاص من أيدى المستعمرين ؛ يسوقنا الحديث إلى انتصارات أخرى قريبة قام بها أبطال من صميم إفريقية .

ومن هؤلاء الأبطال الذين دافعوا بحرارة وإخلاص عن أرض القارة.

رابح فضل الله :

أو نابليون السودان على حد تعبير أحد المؤرخين .

فقد ولد فى حى «سلامة الباشا» بالخرطوم عام ١٨٤٦، منحدراً من قبيلة «الهمق» العظيمة التى انتزعت الحكم من سلاطين الدولة الفونجية بسنار.

وقد انتقل والده «فضل الله» من جبل إدريس إلى الخرطوم ، سالكاً نفسه فى عداد الجيش المصرى .

وعلى أيدى المصريين من موظفى الحكومة بالخرطوم تعلم «رابح فضل الله» مبادئ الكتابة والعلوم الأولية ، كما درس القرآن على الفقيه الهاشمى فى «حلفاية الملوك» .

وحين اشتد ساعده عزم على المغامرة التى كانت تجرى فى دمائه ؛ فما كان ليرضى لنفسه بالحياة الرتيبة فى الخرطوم . ومن هنا امتد بصره إلى الجنوب حيث يعيش الإنسان مع الخطر جنباً إلى جنب . وما كاد يصل إلى «بحر الغزال» حتى استقر رأيه على العمل فى الكبانيات(١) ، وظل يعمل ويخاطر حتى وصل إلى «وكيل كبانية» .

(١) كلمة إفرنجية دخلت اللهجة السودانية، لتدل على الجماعات التى كانت تستخدم فى صيد الرقيق وشئون التجار .

فلما تدخل الخديوى إسماعيل لمنع الرق وعين «بيكر» واشتد على القائمين بهذه «الكبانيات» استطاع «الزبير باشا رحمه» جمع فلول الجلابة ، وكون منهم جيشاً ، وكان من أبرز المنضمين إلى الزبير «رابح» . فقد أصبح ساعده وسيفه . وقد توثقت العلاقة بينهما حتى ظن بعض المؤرخين أنه كان رقيقاً للزبير ، ولكن انتماءه إلى قبيلة «الهمق» التى تولى بعض رجالها الوزارة فى مملكة سنار ينفى هذا ، فضلا عن أن الزبير نفسه نفى تهمة الرق هذه عن رابح للكاتب الألمانى «أوبنهايم» .

وقد وصفه الأستاذ محمد عبد الرحيم فى كتابه «النداء فى دفع الافتراء» بقوله : كان رابح «طويل القامة ، كبير الهامة ، ضخم الكراديس ، واسع الجبهة ، معتدل الأنف ، خفيف اللحية ، قصير الشاربين ، أخضر(١) اللون ، جمع الله له ما بين وقار الكهول ، ورشاقة الشبان . وأصيب فى حربه لقبائل «البندا» بنشاب فى أصبعه الوسطى من يده اليمنى ؛ جعل الأصبع ناشفاً لا يتحرك ، وكان رابح يكرم العلماء ، ويحب الفضلاء ،

(١) أخضر فى اللغة السودانية معناها «أسود»

ويعطى المال عطـــاء من لا يخاف الفقر .. ! »

وقد ظل «رابح» مرتبطاً بالزبير ، مخلصاً له فى إقامته بالسودان ، وكان ساعده الأيمن فى فتح بحر الغزال ، ودارفور . فلما وشى الانجلـــيز بالزبير . واستدعى إلى مصر بفضل الدعاية التى نظمت ضده فى أوروبا ، أخلص الإخلاص كله لولده «سليمان» فى الوقت الذى ظل فيه شاهراً سيفه . فلما آثر «سليمان» السلامة ، واستكان لوعود « جسى » وأغمد سيفه ؛ انشق رابح عليه ، ولوى زمام فرسه إلى أرض جديدة ، وشهدت أرض السودان منظرين غريبين ؛ كان أولها : منظر سليمان مضرجاً بدمه وبوعود كاذبة من الانجليز عن سلامته ! أما الثانى : فكان هذا الغبار المتصاعد من ألف فارس يشقون طريقهم وراء «رابح » إلى غرب السودان فى ثقة ، وفى أمل ! !

وهكذا ساروا يهزون الأرض من تحتهم ، وهم فى كل خطوة يصنعون التاريخ . فقد كان وجودهم فى هذا الوقت بالذات دليلا على أن قلب القارة ما زال ينبض ، بل ما زال يستعصى على الغزاة !

مملكة رابح :

تدفقت الدماء حارة فى قلب رابح ، وهو يتوغل فى غرب السودان ، وداعبه خيال مملكة يبنيها شبراً شبراً بالرمح ، والعرق ، والدموع .
وتوهج هذا الخيال فى نفسه ؛ فلم يشعر إلا وهو ينتقل من الخيال إلى الحقيقة ، إلا وهو ينتصر على السلطنات الصغيرة المتشاحنة ، ثم يدمجها فى رقعة كبيرة تسمى مملكة رابح ..

وقد بدأ « ببحر ميمون » حيث أغار على قبيلة « قلا » وأخضعها ، ثم هز رابح « السلطان هاشم أبو حقيقة » الذى كان يسيطر على قسم من « الرنقا » ثم توجه إلى « كتى » وأخضع سلطانهـــا «السنوسى أبكر» وتزوج إحدى بناته . ثم أخضع « السلطان كروندس» أحد سلاطين قبائل « البنده » فى « أنقبو » بالكنغو الفرنسية . ثم « السلطان دنبقو » سلطان قبيلة « منجا » . ثم « السلطان جلببو» سلطان قبيلة « سارا » . ثم السلطان « اندمانى » سلطان « دنذى » . ثم السلطان «كادى» سلطان « باقرما » . ثم السلطان « جقو » سلطان « بحر أرده » ، ثم السلطان « أم بنداى » سلطان أحد أقسام « سارا » . ثم السلطان « بنداس » سلطان قبيـــلة « كريش » .

كما غزا أيضاً السلاطين « وقى ، وسمراى ، وعبد الرحمن قورنه ، ويوسف » وبعد أن اجتاح قبائل « الباقرما » الشديدة المراس توجه إلى مملكة « برنو » . والبرنو تعتبر أقصى مديريات شمال نيجيريا من جهـــة

الشمال الشرقى ، وجنوب بحيرة « تشاد » .

وسكان هذه المملكة خليط من « البرنو » و « الكانجو » و « العرب » و « الفلاته » ويقال إن البرنو من عرب جهينة ، وقد نزح أهلها من مصر مدة حكم الفاطميين وجعلوا عاصمتهم « قزرقمو » وقد كانت بين هذه المملكة وبين مصر صلات ودية .. فقد كان لأبنائها رواق بالأزهر . حتى أنه فى أوائل القرن التاسع عشر تولى الحكم فيها رجل أزهرى من « الكانمو » يسمى « الشيخ محمد الكانمى » .

كما يقال أيضاً إن « البرنو » يرجع أصلهم إلى « حمير » التى هاجر بعض أهلها إلى « نيجيريا » فى أوائل الإسلام .

ومهما يكن من شئ فقد دخل رابح معهم فى حروب مدمرة انتهت بانتصاره ، وما كاد يدخل هذه المملكة حتى أقام احتفالا عظيما أطلقت فيه المدافع ،حتى إن الأهالى هربوا إلى الغابات من الخوف . ولم يعودوا إلا حينما سمعوا الاحتفال بالانتصار يختم بالقرآن الكريم !!

ومن أعظم أعمال « رابح » أنه عمل على نشر الإسلام فى هذه البلاد ، وأقام كثيراً من المساجد ، ومن أعظم تلك المساجد التى بناها مسجده فى بلدة « دكو » . ومن أعماله العظيمة أيضاً أنه ألف مجلساً شرعياً برياسة الفقيه « أحمد كبير » ، وشجع على الأخذ بمذهب الإمام مالك. وقضى بأن من قتل عدواً فله سَلَبُه ما عدا العشر فهو لبيت المـــال !

وفى كل هذه الفترة لم يكن لرابح لقب ينادى به، فلما كون مجلساً للنظر فى التنظيمات الجديدة كان هذا الشئ أول ما شغلهم ، فلما اجتمعوا قال فريق نلبسه تاجاً من الذهب ونسميه «سلطان سلاطين العرب » وقال فريق « لا يليق بمسلم أن يلبس تاجاً من الذهب . ولا أن يتسمى سلطان السلاطين ، أو «شاهنشاه »، وإنما الأجدر به أن يسمى« سلطان برنو وملحقاتها » . ويلبس الجبة المرقعة !! » وقد أخذ فعلا بهذا الرأى فلبس « رابح » الجبة المرقعـــة . وسمى سلطان برنـــو وملحقاتها !!

رابح والمهدية :

حين قامت المهدية فى السودان حاول « محمد أحمد المهدى » استمالة رابح ، فدعاه إلى معاونته باسم الدين ، ولكنه لم يفلح . فقد كان مشغولا بتكوين مملكة ترضى طموحه وقد كرر أيضاً نفس المحاولة. الخليفة « عبد الله التعايشى » فبعث إليـــه برسولين هما أحمد الجابرى ، وإدريس محمد ؛ فذهبا إليه يحملان راتبـــاً وراية وكتاباً ، ويدعوانه إلى الانضمام إلى الخليفة « بأم درمان »ومبايعته على الجهاد !.

ولما كان رابح قد وطد أركان حكمه فإننا نراه قد قبل الدعوة ، وسار بجيشه متوجهاً إلى «الخليفة التعايشى» . فلما وصل إلى بلدة « ربو » بالكنغو الفرنسية قابل هناك « الفكى نوح المحسى » و « الشريف أم دارفور البرناوى » فسألهما عن الحال فى أم درمان . فصورا له مظالم الخليفة ، وتحكم أسرته فى الوظائف ، وروح التذمر التى سادت السودان كله من حكم الخليفة ؛ وذكرا له فيما ذكرا أن أول « تكريم ! » سيقابل به عند وصوله هو تجريده من ماله ، وإبعاده عن جيشه ! فأخذ بنصيحتهما وقفل راجعاً إلى الأرض التى فتحها بدمه وأعصابه ! !

رابح والفرنسيين :

فى هذه الفترة كانت فرنسا تبعث برسلها لعقد المعاهدات مع المشايخ والسلاطين فى هذه المنطقة . وقد توصلت إلى أغراضها بالكلام اللين والهدايا . وكانت أشهر هذه الهدايا هى تلك المجموعة من البنادق والمسدسات والمدافع التى أهدتها البعثة الفرنسية إلى السلطان الشيخ محمد أبكر السنوسى ، وقد بلغ الوعى بالشاعر الشعبى « البخيت الجعلى » إلى حد تحذير السلطان من هذه الهدية فقال :

لا تأمن ناساً خاينين قباح
أولادك لابسين فشيك شايلين سلاح
آدم أبو أم كلثوم (١) ولدت نجاح
مضمون يفدى الطير عند الصباح

ثم قال :

لا تأمن ناساً خاينين كفر
من ربنا الوهاب جاك النصر
آدم أبو أم كلثوم ولدت قدر مضمون
يفدى الطير عند الفجر

وقد بدأت الحرب صريحة بين رابح والفرنسيين حين اشتبه رجاله فى فرنسى حضر إلى بلدة «كسرى» التابعة « لفورت لامى » . فلما استجوبه رابح قال الفرنسى : إنه تاجر حضر من بلاده ليتعرف على رغبات السكان ، ثم يعود بما يحبون ؛ فأوجس رابح منه خيفة واعتقله ، وقام للبحث عن الفرنسيين فوجد أن هناك قوة بوليسية مجهزة بالحديث من المدافع ، متحصنة بجبل « كنو » الواقع فى شمال بحر « شارى » .

ومما زاد الموضوع تعقيداً أن السلطان « عبدالرحمن قورنه» سلطان «باقرما» قد انضم صراحة إلى الفرنسيين . وأن القوة الفرنسية قد سلحت رجاله . وهكذا لما لم يكن بدمن الحرب. فخرج إليهم « رابح » فى موقعهم الحصين . ودارت المعركة كأعنف ما تكون المعارك ، وتكشف غبارها عن قتل جميع الفرنسيين ما عدا خمسة منهم لاقوا حتفهم أيضاً ؛ فقد عرض عليهم « رابح » الإسلام فلما أبوا

(١) آدم أبو أم كلثوم هو أكبر أبناء السلطان وقائد جيشه .

أعدمهم ، وهكذا انحسرت المعركة عن قتل جميع الفرنسيين ، وتشتيت حلفائهم « الباقرما » وقتل الكثير منهم :

وقد ذكرت جريدة الأهرام المصرية هذه الموقعة فى عددها الصادر فى ١٠ من نوفمبر عام ١٨٩٩ فى مقال بعنوان « السلطان رابح » جاء فيه :

« جاءتنا الأنباء البرقية منذ أيام بسطو رابح سلطان برنو وباقرما على بعثة فرنسوية ، وتنكيله بها . وقد قرأنا فى جريدة الطان الواردة أمس فصلا جديداً بالمطالعة لما يستشف خلاله من رأى الوزارة الفرنساوية فى أمر هذا الرجل ، وملخصه : أن رابحاً قد استلفت إليه نظر العالم المتمدين لأسره المسيو « بيهاجل » وقتله « بريتوناى ، وبرون ، ومرتين » من رجال البعثة المذكورة .... إن من الناس فى فرنسا من لايثورون ، بالجملة على « رابح » ومعاقبته حالا ، ولكنها ترى أن هذا التردد لا ينجم عنه إلا استمرار العبث والفساد فى تلك الأملاك التى اعترفت بها ألمانيا لفرنسا فى سنة ١٨٩٤ وانكلترا فى هذه السنة . ! »

.. على أنه بعد ستين يوماً من هذا النصر حضر الفرنسيون مرة ثانية مع حلفائهم الباقرما ، وكانت تعززهم باخرة مدرعة ، ومسلحة بالمدافع ، وقد صوبت مدافعها على حصن رابح فأخذ فى الانهيار . ولكن جيش رابح خرج من الحصن والتحم مع قوة الفرنسيين البرية ، وأبادها وشتت مرة ثانية الباقرما ! وحين رأت القوة البحرية هذا الانتصار تراجعت بعد أن تركت رسالة علقتها على قصبة وركزتها على أحد قتلاها ، وكان محتوى هذه الرسالة الموجهة إلى رابح « ارجع إلى عاصمتك فانا قادمون إليك . ! ! »

وبعد سبعة شهور .. عادالفرنسيون للمرة الثالثة بجيش مجهز بأحدث المعدات الحربية ، ومجهز أيضاً بالجنود السنغاليين الذين دفعتهم فرنسا إلى الحرب معها ، ووصلوا جميعاً فى حماية باخرة مدرعة إلى بلدة « كسرى » . وقد أرسل إليهم رابح ولده « فضل الله » فلم يستطع الثبات أمام هذه المعدات الحديثة . فاستنجد بوالده فأنجده بثلاثة آلاف مقاتل فقويت روحه المعنوية . وهجم على الفرنسيين حتى هزمهم . وأرغمهم على التراجع عن مواقعهم ، واغتر جيش « فضل الله » بهذا النصر ، فشغل بالغنائم فى الوقت الذى عاد إليه الفرنسيون بأجهزتهم الحديثة . ومن هنا كسب الفرنسيون المعركة ، واضطر

جيش « فضل الله » إلى الهزيمة تماماً في موقعة « كسرى » .

وكان لا بد من عودة رابح إلى الميدان . وعاد رابح إلى قلب المعركة فحفر لنفسه خندقاً ليستطيع اتقاء هذه المخترعات الحديثة . ولكن الجنرال « لامى » تمكن من تطويقه فى هذا الخندق . واستمرت الحرب بين الفريقين بوحشية من جانب الفرنسيين ، وببطولة من جانب الرابحيين . وفى حومة المعركة أصدر الجنرال « لامى » أمراً ، ولكنه ما كاد يبلغ حتى تحولت المدافع كلها والبنادق إلى شخص واحد ! إلى رابح ! فقد عرفوا أنه — هو لا جيشه — القوة الحقيقية فى هذه الحرب . وفى وسط هذه الدوامة تمكن « رابح » من الدفاع وفى جسمه رصاصة ! واثنتان ! وثلاث ! وأربع ! وتحول إليه مدفع فسقط لا كجندى ينطرح على الأرض . ولكن كقائد يخيل إلى من يراه وهو جاث ؛ أنه ما زال يدافع ! ما زال يأخذ « وضعاً » حربياً يصدر منه الأوامر لجنوده ! ومن هنا لم يصدق جنوده أنه مات فى أول الأمر . فلما كان لا بد من إدراك هذه الحقيقة ؛ دارت المعركة مرة ثانية حول الجسد الملقى ؛ فقد أصر رجاله على العودة به ، وأصرت المدافع على أن يبقى فى مكانه حتى أن عدد جنوده الذين قتلوا من أجل العودة به فاق عدد القتلى فى المعركة ، ولم تنته هذه الهجمات الاستشهادية حول رابح إلا حينما قتل الجنرال « لامى ! » .

.. ويشاء القدر أن يكون أول اجتماع للقائدين بعد اجتماعهما فى ميدان القتال هو التقاؤهما كفكرتين فى ميدان واحد بمدينة « فورت لامى » عاصمة « وادای » الواقعة يمين بحر « شارى » .

أما « رابح » فقد شيد ضريحه على هيئة مربع فى كل زاوية من زواياه مدفع ! وأما الجنرال « لامى » فيقف على قاعدة تمثال ضخمة ! .

ولكنك لن تستطيع فى « فورت لامى » رغم الاحتلال أن تحس بشئ سوى « رابح » ، والقصص الشعبى الذى يدور حول بطولته وأمجاده ..

فاذا خرجت إلى القرى والغابات ؛ وجدت تلك الآلة المسماة عندهم « الكيته Kaita » فى أيدى الفنانين الشعبيين . وسمعتهم ينشدون عليها دور « رابح » البطولى ، فاذا بالناس يتجمعون وإذا برابح يعود من جديد قصة تبعث الكفاح ...

وذكرى تغمر إفريقية
كل إفريقية !

جزيرة القمر

للأستاذ مصطفى الشهابي

تشبه جزيرة مدغشقر ، فى موقعها رجل البوليس وقد وقف عند ملتقى عدة طرق ينظم حركة المرور ؛ ذلك لأن لها موقعاً حربياً ممتازاً ؛ فهى تشرف على المحيط الهندى ، وتطل على الساحل الشرقى لإفريقية الذى يفصلها عنه بوغاز موزمبيق ، الذى تمر به أغلب السفن القادمة من غرب إفريقية وجنوبها الغـربى قاصدة إلى الهند أو الصين.

لهذا بادر الحلفاء إلى احتلالها خلال الحرب العظمى الثانية بعد ما سقطت فرنسا تحت حكم الألمـان وقامت بها حكومة فيشى ، وتمسك حاكم مدغشقر بالولاء لهذه الحكومة ، واشتركت اليابان فى تلك الحـرب ، وتقدمها بسرعة فى الشرق والجنوب الشرقى لآسيا .

وقد ورد ذكر هذه الجزيرة باسم Phambalon فى كتب أرسطو ، وباسم Menulthas فى مؤلفات بطليموس ، وأطلق عليها بليني اسم Cerne ، ودعاها العرب « جزيرة القمر » ، وأشار إليها « ماركو بولو » فيما كتبـه باسم «مدغشقر» وإن كان لم يقم بزيارتها .

ولا يعرف تماماً أى نوع من الأجناس البشرية سكن تلك الجزيرة فى بادىء الأمر ، غير أنه ثبت أنها تعرضت لعدة هجمات خارجية ؛ فقد نزح إليها العرب فى القرنين التاسع والعاشر بعد الميلاد ، وأقاموا فى أجزائها الشمالية ، ولا تزال آثارهم باقية فيها ، وبالأخص فى أسماء قطع النقود والملابس والآلات الموسيقية .

وتلا ذلك هجرات من الشعوب «وازيمبـا Wazimba » ، ولكن أغلب السكان من أصول آسيوية جاءت من الملايو ، وإليها تنتسب جماعة « الهوفا Hova » التى حكمت تلك الجزيرة .

... وأول من اكتشف تلك الجزيرة من الأوروبيين هو « دييجـو دياز Diego Diaz » البرتغالى ، وذلك سنة ١٥٠٠ م ، وقد أطلق عليها اسم جزيرة « سان لورنزو » ، وحاول البرتغاليون عقب ذلك إنشاء مراكز للتبشير ، ولكنهم فشلوا كما فشل الهولنديون والفرنسيون والانجليز فى إقامة مراكز ساحلية بها . وقام الفرنسيون بعدة

حملات في القرن السابع عشر ؛ استولوا بها على بعض المدن الساحلية ، ولكنهم كانوا يطردون منها بعد قليل .
ثم مرت بالجزيرة فترة اتخذها فيها بعض القراصنة الأوروبيين مقراً لهم ، وحاول أحدهم وهو « جون بلانتان » أن ينصب نفسه ملكاً عليها ، ففشل.

وعندما قامت الحرب بين فرنسا وانجلترا أيام نابليون استطاعت كل منهما الاستيلاء على بعض أجزاء من الجزيرة ، ولما انتهت الحرب جلا الطرفان عنها ، غير أن الفرنسيين عادوا إلى احتلال بعض أجزائها ففشلوا أيضاً .

ولما تولت الملكة « رانا فالونا » الأولى سنة ١٨٢٨ سمحت للأجانب بالإقامة في الجزيرة بشرط الخضوع للقوانين المحلية بما فيها العقوبات المقررة ، فاحتج الفرنسيون والانجليز دون جدوى ، وخربوا ميناء « تاماتاف » مشتركين ، ولكنهم عجزوا عن احتلالها ، غير أن بعض رؤساء القبائل على الساحل الغربي قبلوا الحماية الفرنسية سنة ١٨٤٠.

وفي سنة ١٨٦١ تولى الملك «راداما» الثاني الحكم وكان مسيحياً ، ولذلك رحب بدخول الأوروبيين الجزيرة ، وعقد معاهدات مع فرنسا وانجلترا .

ولكن زعماء « الهوفا » استنكروا سياسته وعزلوه وقتلوه ، فتولت بعده الملكة « راسوهيرينا » سنة ١٨٦٣ ، وعقدت مع الانجليز معاهدة سنة ١٨٦٥ ، وصرحت لهم بإيفاد بعثات تبشيرية .

ثم وليت الحكم سنة ١٨٦٨ الملكة « رانافالونا » الثانية ، وفي عهدها وعهد سابقتها كان القائم بالأمر فعلا هو رئيس الوزراء « رينيليريفوني » الذي كان مسيحياً ، وقد كانت سياسته الحذر من الفرنسيين ، وضربهم بالانجليز .

وفي سنة ١٨٦٨ عقد معاهدة صداقة وتبادل تجارة مع فرنسا ، اعترف فيها الفرنسيون بنظام الحكم ، ومُنحوا حق محاكمة أفراد جاليتهم أمام محاكم قنصلية .

وفي سنة ١٨٦٨ أعلنت البروتستانية ديناً للدولة ، وعقدت سنة ١٨٧٧ معاهدة مع الانجليز أعلن فيها إلغاء الرقيق ، وتلا ذلك الاحتكاك مع الفرنسيين بسبب الخلاف على أراض واسعة سبق أن منحت للقنصل الفرنسي .

وفي سنة ١٨٨٢ طالبت فرنسا بوضع يدها على الأراضي الشمالية الغربية التي اعترف رؤساء القبائل فيها بحماية فرنسا لهم سنة ١٨٤٠ ، ولكن ملكة الجزيرة تمسكت بمعاهدة ١٨٦٨ .

فلما تولت الملكة « رانافالونا» الثالثة الحكم سنة ١١٨٣ قامت الحرب بين فرنسا ومدغشقر ، واستمرت حتى ديسمبر ١٨٨٥ ، وانتهت بتنازل ملكة الجزيرة عن « دييجوسواريز» لفرنسا ، على أن تتولى فرنسا الإشراف على السياسة الخارجية .

وأرسلت فرنسا مندوباً سامياً لها في البلاط الملكي بـ « تناناريف » (العاصمة) بشرط ألا يتدخل في المسائل

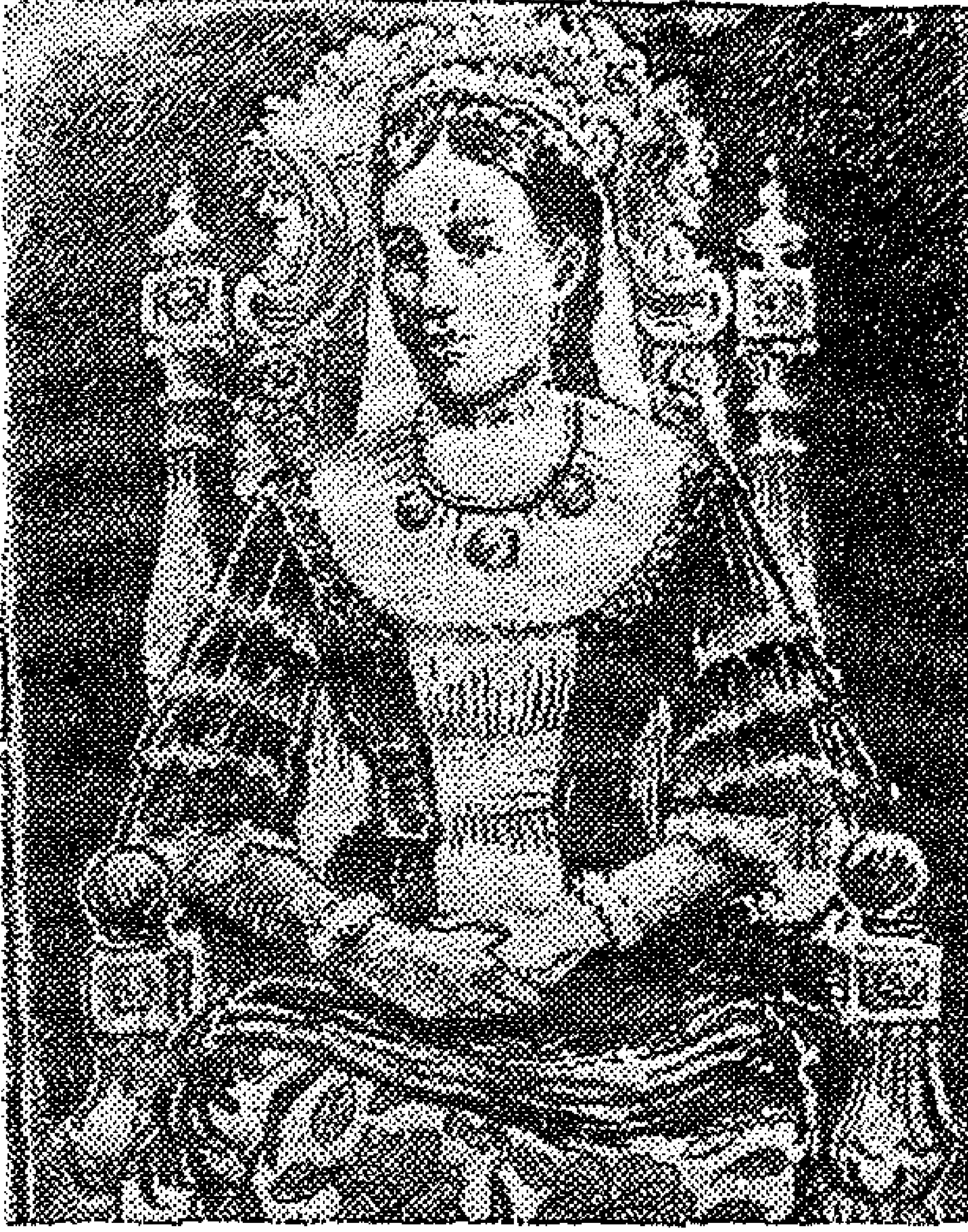
الداخلية . وحدث في إحدى الحفلات أن وجهت زوجة المندوب السامي ملاحظة سخيفة للأميرة « رامازاندرنا Ramasin drana » فاعتبرتها إهانة لها ، ولطمتها على وجهها . فما كان من الفرنسيين إلا أن انتهزوا هذه الفرصة ، وطلبوا نفي هذه الأميرة هي وبعض الوزراء إلى « جزر رد ينيون » .

وثار الشعب ، وشبت نار الحرب ، وقام « الجنرال جالييني » باستعمال منتهى القسوة في إخماد هذه الثورة ، وأعلن ضم هذه الجزيرة لفرنسا في يناير سنة ١٨٩٦ ، واتهم بالتآمر على الفرنسيين عم الملكة ووزير الداخلية ، ولذا أمر باعدامهما رمياً بالرصاص ، ولكن ذلك لم يوقف تيار الثورة ، فأراد أن يبطش بهذه البلاد بطشته الأخيرة ، فقرر نفي الملكة « رانافالونا »

وهكذا كانت لطمة الأميرة سبباً في ضياع استقلال تلك الجزيرة ، كما كانت لطمة حسين باشا داي الجزائر سنة ١٨٢٧ سبباً في انتحال فرنسا ذلك يومئذ حجة لإعلان الحرب على الجزائر ثم احتلالها بعدئذ .

ولكن الشعب لم يستكن للاحتلال الفرنسي ، وظل يناضل أملا في استرداد حريته ، حتى عقد الاتفاق الودي بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٠٤ .

يومئذ فقد الوطنيون كل أمل ، واطمأن الفرنسيون إلى مركزهم في الجزيرة ، واستتب لهم الأمر فيها حتى



الملكة رانا فالونا

لا ينفذ إليها أي شعاع من الحرية.

ولكي يضمنوا بقاء الشعب ذليلا جردوا السكان من أراضيهم ، وحددوا لكل أسرة ، مهما بلغ عددها ، هكتاراً واحداً (أي نحو فدانين ونصف الفدان) ، ووضعوا ما بقي في يد الفرنسيين الذي استخدموا الأهالي المعدمين نظير أجور زهيدة لا تتجاوز بضعة قروش للعامل في اليوم ، ولذلك يسود البؤس والفقر جميع السكان الوطنيين ، وتجتاحهم بين آن وآخر أوبئة سببها الجوع والفقر والمرض .

وتحرص فرنسا على عدم تصنيع تلك البلاد بشكل يتناسب مع ثروتها ، بل تؤثر الاقتصار على صناعات قليلة ، حتى لا تتفتح أعين السكان للثروة .

.. ومدغشقر ثالثة جزائر العالم من حيث المساحة ، وهي أكبر مساحة من

فرنسا نفسها ، وتبلغ مساحتها ٢٤٠,٠٠٠ ميل مربع . والميل المربع يساوى ٦١٦,٥ فداناً ولكن الصالح منها للزراعة يبلغ نحو ٣,٠٠٠,٠٠٠ .

ويبلغ عدد السكان ٤,٥٠٠,٠٠٠ منهم نحو ٥٠,٠٠٠ مسلم. يقيمون فى الأجزاء الشمالية ونحو ١٠,٠٠٠ فرنسى .

وقد حبتها الطبيعة محصولات وافرة جعلتها أشبه بقارة صغيرة ، وأهم محصولاتها الأرز والتبيوكا والفول والأذرة والقصب والمانجو ، وغاباتها عامرة بالأشجار التى تستعمل فى صناعة الأثاث . أو الرافيا التى تصنع منها السلال ، ويشتغل فريق من السكان بتربية الماشية .

ومن نباتاتها الفريدة « شجرة المسافر » التى تحوى عصيراً يروى غلة المسافرين ويغذيهم .

وأهم معادنها الجرافيت والميكا ، وقد اكتشف بها أخيراً اليورانيوم .

وخلال الحرب العظمى ١٩٣٩ — ١٩٤٥ جندت فرنسا عدداً كبيراً من أبناء مدغشقر ، ووعدت بإعطاء تلك الجزيرة قسطاً وافراً من الحرية .

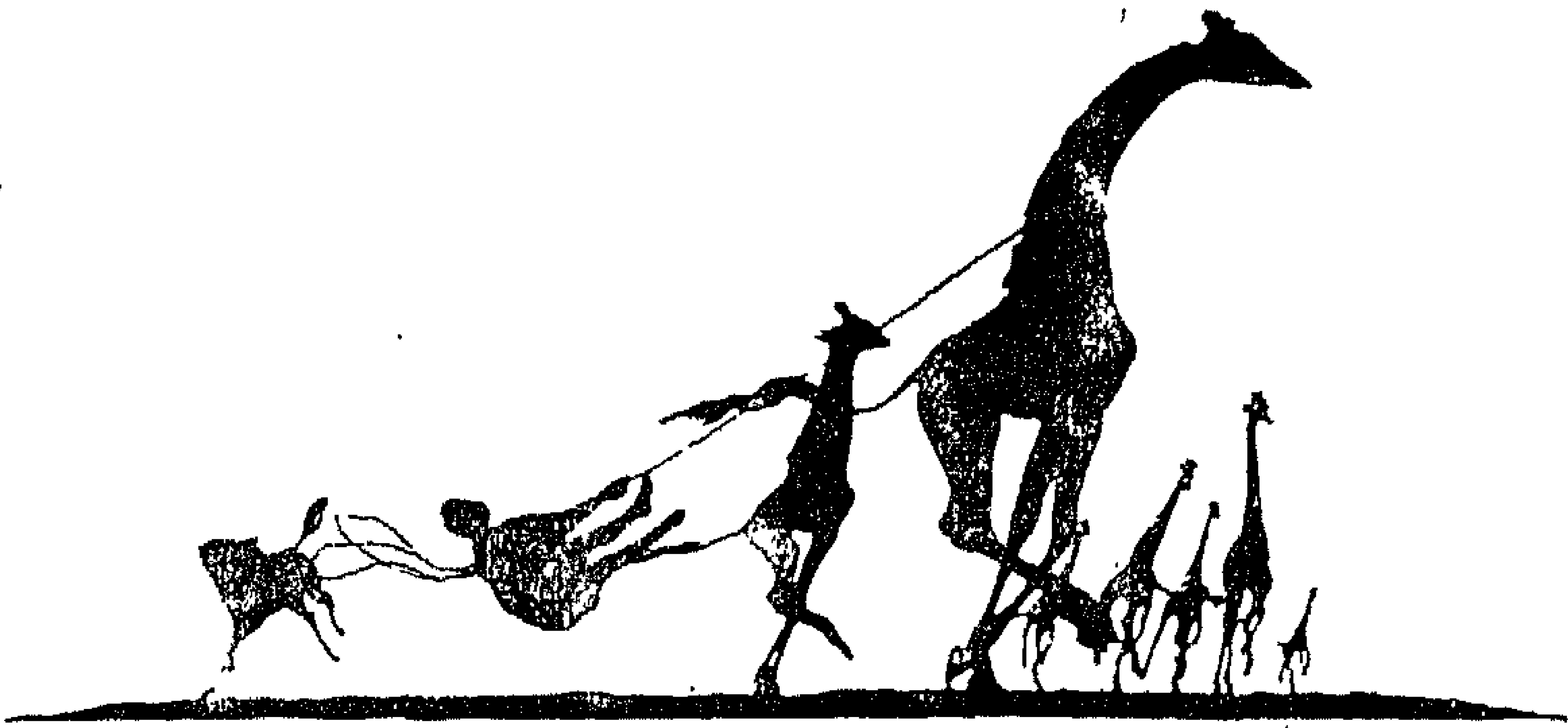
فلما انتهت الحرب . وعاد من بقى على قيد الحياة منهم طالب الأحرار بزعامة « رافواهانجى ورازيتا » بتحقيق ما وعدت به فرنسا ، ولكن الفرنسيين تنكروا لهم ، فقامت ثورة عنيفة استعمل الفرنسيون فى إخمادها منتهى القسوة ، فكانوا ينهبون القرى ، ثم يغرقونها ويقتلون الأبرياء ، وقبضوا على هذين الزعيمين وعلى عدد كبير من أنصارهما.

وانقلبت الثورة إلى حرب عصابات كبدت فرنسا خسائر كبيرة ، وأخيراً قامت بمحاكمة زعيمى الثورة وخمسة عشر بطلا آخرين ، وحكمت عليهم بالإعدام ، كأنه لم يكفها قتلهم !

ومن الغريب أن الرأى العام الفرنسى ثار ضد هذا الحكم ، فاستبدل به النفى المؤبد خارج الجزيرة .

وعندما نفى السلطان محمد الخامس سلطان مراكش (ملك المغرب الآن) إلى مدغشقر أوشكت الثورة أن تقوم بها من جديد ، لولا أن فرنسا كانت قد أعدت عدتها لها فأخمدتها بقسوة .

ولكن للثورة عودة قريبة إن شاء الله ، تقضى بها على الاستعمار والاستبداد .



نيجيريا في سطور

للأستاذ محمد عبده مخلوف

على مقربة من غانه تقع نيجيريا الدولة المرتقبة ؛ التي يرجى أن تصل إلى غايتها من استقلال وكيان سياسي في أبريل سنة ١٩٦٠ .

وتبلغ رقعة نيجيريا ٤٠٧,٠٠ ميلا مربعاً تقريباً ، فيحدها من الغرب إقليم داهومي ، ومن الشرق الكمرون ، ومن الجنوب المحيط الأطلسي ومن الشمال إفريقية الغربية الفرنسية .

وهي أكثر البلاد الإفريقيـــة ازدحاماً بالسكان إذ تبلغ كثافة سكانها حوالى ٧٠ نسمة في الميل المربع ، وهم يقدرون بنحو ٣٢,٢ مليوناً بينهم نحو سبعة عشر مليوناً من المسلمين .

ومن الناحيـــة الإدارية تنقسم نيجيريا إلى أقالـــيم ثلاثة : الشمال وعاصمته « كادونا » ، والغرب وعاصمته إبيدان ، والشرق وعاصمته إينوجو ، وعاصمة نيجيريا كلها لاجوس .

ولما كانت نيجيريا مستعمرة ومحمية بريطانية منذ زمن قديم فقد واصل شعبها جهاده ، فكان أن طبقت عليه بريطانيا دستور كليفورد سنة ١٩٢٢ ثم دستور



بوردنيون سنة ١٩٤٢ فدستور ريتشارد سنة ١٩٤٦ ، ثم أجريت مباحثات في أعوام ١٩٤٧ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧ وأعلن زعماء نيجيريا تصميمهم على أن يكون لبلادهم حكمها الذاتي في تاريخ لا يتجاوز الثاني من أبريل سنة ١٩٦٠.

وتكاد الزراعة تكون أهم مصادر الثروة في نيجيريا ، إذ يزرع فيها حوالى ٢٥,٠٠٠ ميل مربع ، وأهم محصولاتها الكاكاو ، وزيت النخيل ، والذرة ، والفول السوداني ، ونبات الياما ، ونبات الكاساڤا ، ويتضح هذا من الجدول التالي ، الذي يذكر المساحات المنزرعة بوحدة الأكر Acre وهو ويبلغ حوالى ٤٠٠٠ متراً مربعاً ، كما يحدد مقادير المحصولات ، بوحدة الطن سنوياً :

ا ـ أهم الصادرات

المحصول	قيمة المصدر منه بالاسترليني	نسبته إلى بقية الصادرات	أهم الدول المصدر إليها
الكاكاو	٢٦,١٨٧,٠٠٠	٪٢٠	الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا وفرنسا وهولندا
فول السوداني	٢٣,١٣٤,٠٠٠	٪١٧	بريطانيا وإيطاليا وهولندا
بذر النخيل	١٩,١٩٦,٠٠٠	٪١٤	بريطانيا وألمانيا وهولندا
زيت النخيل	١٣,١٥١,٠٠٠	٪١٠	بريطانيا وهولندا
القطن	٩,٣٨٠,٠٠	٪ ٧	بريطانيا
القصدير	٥,٨٦٨,٠٠٠	٪ ٤	بريطانيا
المطاط	٥,٥٦٧,٠٠٠	٪ ٤	بريطانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأمريكية
الأخشاب	٥,٣٢٦,٠٠٠	٪٣,٨	بريطانيا وألمانيا وهولندا
الجلود	٢,٩٦٠,٠٠٠	٪ ٢	بريطانيا والولايات المتحده الأمريكية وهولندا و ايطاليا

وبريطانيا هى أهم الدول التى تصدر إليها نيجيريا ، وتليها الولايات المتحدة الأمريكية ثم هولندا .

(ب) أهم الواردات

السلعة المستوردة	قيمة المستورد بالاسترليني	نسبتها إلى بقية الواردات	أهم الدول المستورد منها
معدات المواصلات	٢٧,٨٥٩,٠٠٠	٪٢٠,٦	بريطانيا وألمانيا
منسوجات قطنية	١٨,٠٨٥,٠٠٠	٪١٣,٥	الهند واليابان وبريطانيا وألمانيا
منتجات صناعية	١٨,٠٧١,٠٠٠	٪١٣,٣	الهند
منتجات غذائية	١٢,٩٥٣,٠٠٠	٪٩,٦	بريطانيا والولايات المتحدة والنرويج وأيسلندا
ألياف صناعية	١٠,٣٣٢,٠٠٠	٪٧,٦	اليابان وألمانيا وإيطاليا
بترول	٦,٤٩٧,٠٠٠	٪٤,٨	إيطاليا وفنزويلا وهولانداو بريطانيا والولايات المتحدة
منتجات كيمياوية	٧,٦٥٠,٠٠٠	٪٥,٧	بريطانيا
مشروبات ودخان	٥,٠٥١,٠٠٠	٪٣,٧	الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا وبريطانيا
مواد بناء	٤,٤٥٥,٠٠٠	٪٣,٢	بريطانيا وبلجيكا وألمانيا
ملابس جاهزة	٢,٦٨٢,٠٠٠	٪١,٩	بريطانيا واليابان
أحذية	١,١٠٢,٠٠٠	٪٠,٨	ألمانيا وبريطانيا وتشيكوسلوفاكيا

المحصول السنوى	المقدار بالطن	المساحة (بالأكر)
الفول السودانى	٢٩,٠٠٠	١,٠١٨,٠٠٠
اليام	٩,٣٣٧,٠٠٠	٣,٠٥٣,٠٠٠
الكاساڤا	١٠,٥٢٥,٠٠٠	٢,٤٦٩,٠٠٠
القطن	١٧٨,٠٠٠	٩٣١,٠٠٠
الأرز	٢٤٤,٠٠٠	٤٢٣,٠٠٠
الأذرة الرفيعة	٢,٧٩٠,٠٠٠	٧,٣٢٦,٠٠٠
الأذرة	٧٣٦,٠٠٠	١,٩٩٧,٠٠٠
الكاكاو	١٠٧,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠

يضاف إلى هذا ما يغطى المساحات الشاسعة من غابات غنية بالأخشاب الثمينة (الماهوجنى) وغيره من الأنواع الأخرى التى تستخدم فى الأغراض المحلية .

وتبلغ الثروة الحيوانية المقـــدار التالى تقريباً كل عام :

النوع	المقدار فى المتوسط سنويا
المـــاشية	٥,٨٦٠,٠٠٠ رأس
الأغنـــام	٥,٦٢٢,٠٠٠ رأس
المـــاعز	١٠,٧٣٨,٠٠٠ رأس
الخنازير	٥٠٠,٠٠٠ رأس

وتوجد ٣١ محطة للتجارب الزراعية ، و ٦٨ حقلا نموذجياً ، ومدرستان لتمرين موظفى مصلحة الزراعة ، ومدرسة زراعية ، وتقوم بعض المؤسسات غير الحكومية بأعباء الإقراض الزراعى مشاركة فى هذا المجال الجمعيات التعاونية الخاضعة للإشراف الإدارى الحكومى .

ونظرة إلى الجداول التالية التى توضح الصادرات والواردات عام ١٩٥٥ ، تعطينا فكرة عن أهم الصادرات وأهم الواردات ومقدار كل ونسبته المئوية إلى نظائره ، كما تعطينا فكرة عن أهم الدول المتعاملة مع نيجيريا ؛ المصدرة إليها ، والمستوردة منها :

وتحتفظ بريطانيا لنفسها بمركز الصدارة بين الدول التى تستورد منها نيجيريا ثم الهند فألمانيا فالولايات المتحدة الأمريكية .

وإذا كان فيما سبق عرض للظروف الاقتصادية لنيجيريا ، ففيما يلى محاولة للإلمام السريع بما هى عليه من أحوال اجتماعية وصحية وثقافية ، فهناك تشريعات العمل التى تنظم الرابطة بين العمال وأصحاب الأعمال ، وتضع أسس العلاقات الصناعية بين أطرافها

المختلفة . وتقوم مصلحة العمل النيجيرية بتوفير الظروف الصحية ، والمعاملة العادلة وفض المنازعات على اختلافها وإرساء النقابات وتوجيه أعضائها إلى الرسالة النقابية السليمة .

كما تجرى البحوث النظرية والتجارب العملية لتخطيط الإسكان وتحديد المبانى التى تحسن إزالتها وإنشاء غيرها لتقوم مقامها . وتوفير المسكن المناسب لكل مواطن . وقد كانت مدينتا زاريا وكادونا مثالا يحتذى فى سائر نيجيريا ، بالإضافة إلى ما تم فى لوكوجا وكاتيا ودوداما .

والتعليم الذى كان فيما مضى فى أيدى المبشرين والإرساليات تدرجت به الحال حتى أصبح فى أيدى المواطنين النيجيريين الذين لم يدخروا جهداً فى سبيل توسيع أبوابه وإتاحة فرصه ، والعمل على انتشاره ؛ بحيث صار على الوجه التالى :—

مرحلة التعليم	عدد الطلاب
مدارس ابتدائية	٦٥٦,٠٠٠ طالب
مدارس ثانوية	٨,٧٥٠ طالباً
مدارس تدريب المعلمين	٢,٥٠٠ طالب
جامعة ابيادان	٢٠٠ طالب
الكلية العالية فى يابا	١٠٨ طلاب

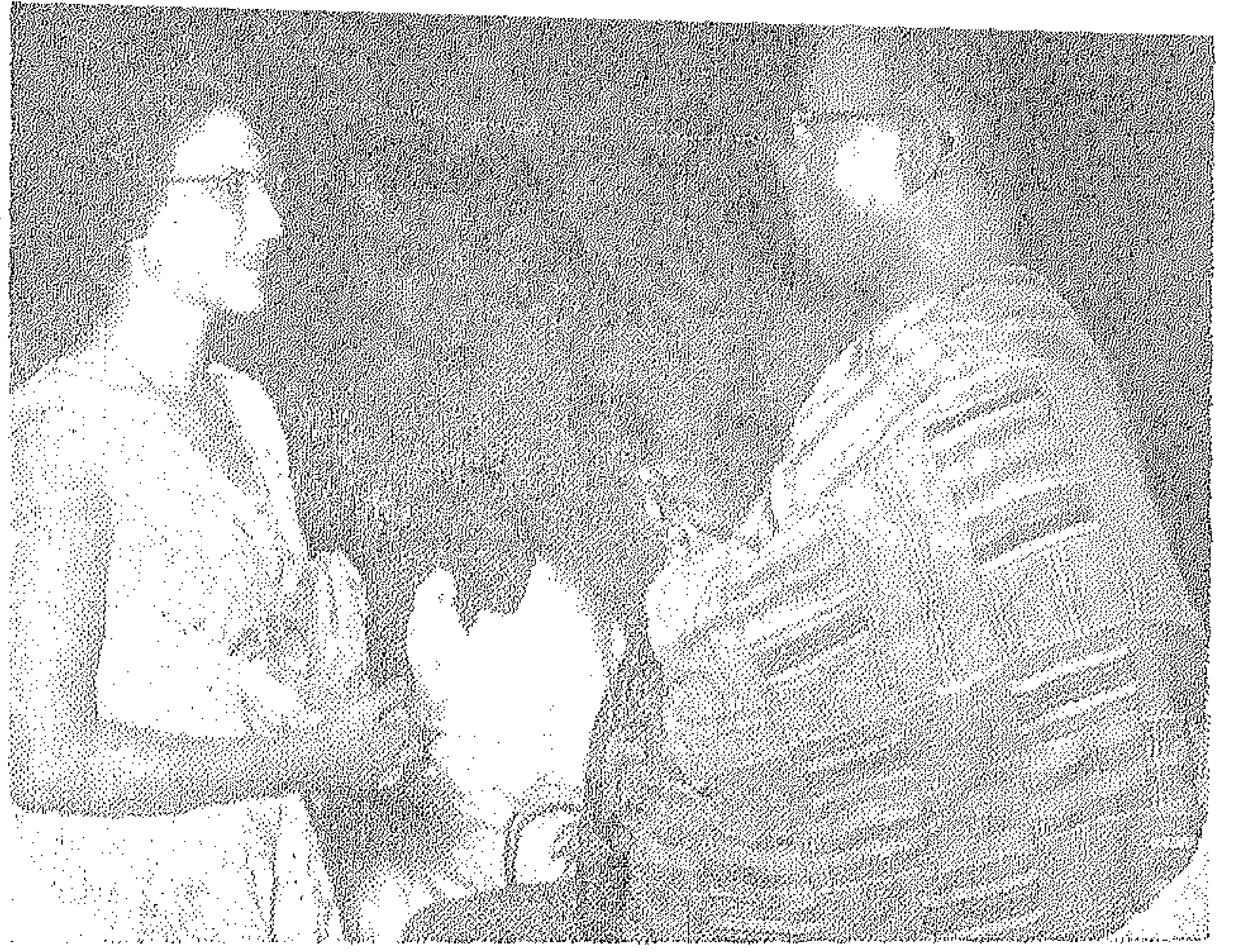
هذا بالإضافة إلى من يتلقون العلم فى الخارج الذين يبلغون ٨٠٠ طالب ، يتعلمون فى بريطانيا (من بينهم ٢٥ طالبة) ، وحوالى عشرة يتلقون العلم فى جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

المدرسون وإحصاؤهم

العدد	الوصف
٤,٤٤١	مدرساً بشهادة عليا أو ثانوية
٢٥,٣١٣	مدرساً بغير مؤهل

ولقد أجمعت نيجيريا على الاستقلال فى أبريل سنة ١٩٦٠ ، ويومئذ سيضاف إلى الدول الإفريقيــة المستقلة نجم جديد فى سماء إفريقية القوية الحرة ، وستزداد الدول المسلمة دولة أسست على تقوى من الله ، تكون منارة للإسلام فى غرب إفريقية وقلبها ، تساند حركات التحرر ، وتكون محور الحرية الذى ينتظم القارة من أقصاها إلى أدناها بإذن الله ، وما النصر إلا من عند الله(١) .

(١) الإحصائيات مستقاة من تقرير هيئة الأمم المتحدة (عام ١٩٥٦) عن البلاد غير المتمتعة بالحكم الذاتى .



سيدة مصرية ترحب بسفير غانة

زعماء أفريقيا يتولون

احتفلت الرابطة الإفريقية بقدوم زعماء غانة إلى مصر وبالدكتور أمين دباغين المسئول عن الشئون الخارجية فى هيئة التحرير الجزائرية .

والرابطة الإفريقية يطيب لها أن تحتفل بهذه الفرصة الطيبة التى جمعت بين زعماء إفريقيين من الغرب والشمال .

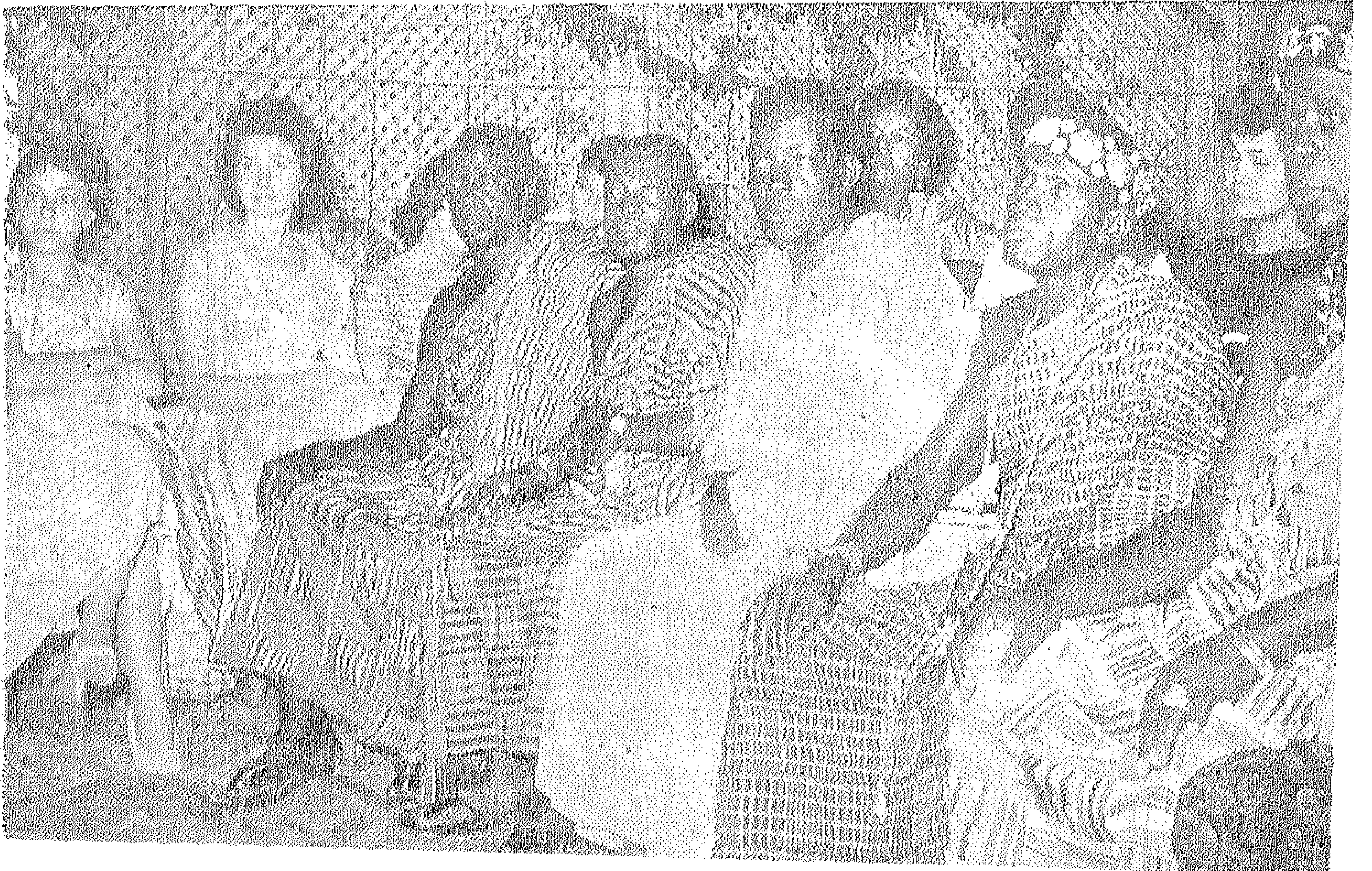
وقد كان ضيوف هذا الحفل زعماء غانة الذين يزورون مصر الآن ، وكانوا يرتدون أزياءهم الوطنية الجميلة ، وقد حضر الحفل السيد « يوسف أرما » سفير غانة ، ولقد كان الحفل يفيض بروح القومية الإفريقية ، فقد كانت الوجوه جميعاً تبدو متفائلة سعيدة بالحرية والمستقبل السعيد .

سفير غانه :

وقد تحدث سفير غانة عن استقلال غانة وعن قيادة الدكتور « كوامى انكرومه » للبلاد ، ثم ذكر أن الإفريقيين لا بد لهم من الثقة فى أنفسهم ، وأنه سعيد بما بين مصر وغانة من روابط

كما قارن بين الأحداث الجارية فى لبنان وما وقع قديماً فى غانة .

زعماء غانه يتوسطهم كبير المسلمين الحاج محمد المتوكل





المدعوون يتوسطهم الدكتور أمين دباغين وسماحة الحاج أمين الحسينى والأستاذ محمد عبدالعزيز اسحق



أمير مسلمى غانه :

ثم تحدث أمير المسلمين فى غانة ، وهو الحاج محمد المتوكل فقال : إنه مغتبط جداً بهذا الحفل ، وإن على الإفريقيين أن يتحدوا ؛ لأن الاتحاد قوة ، واستشهد بقول الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » وقول الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » .

ثم تلاه رئيس الحزب التحررى السياسى « سليمان وتندا » قائلا : « أيها الرفاق ، أيها الزملاء : إن زيارتنا لمصر ما هى إلا لدعم الروابط بين الجمهورية العربية المتحدة وغانة .

سفير غانه يخطب



غناء راقص من الطلبة الافريقيين



ثم تحدث عن الرئيسين جمال عبد الناصر وانكرومه فوصفهما بأنهما « كالسمن على العسل ! » .

سفير الصين :

ثم تحدث سفير الصين قائلا : و« إن الشعب الصيني يبعث إلى كل شعوب إفريقية بتحياته ، ويتمنى لها النجاح ، والتحرر والاستقلال . وإذا ما تحررتم أنتم ، فسوف يضمن أهل الصين حريتهم ؛ لأننا نتحدث باللغة نفسها : لغة المطالبة بالاستقلال التام ، والتحرر من نفوذ الاستعمار » .

الدكتور أمين دباغين :

وقد احتفلت الرابطة كذلك بالدكتور أمين دباغين . وحين وقف يتكلم تحدث عن البلد العربي الإفريقي الذى ناضل فى سبيل حريته ؛ ذكر أن الجزائر تضم ٢٠ مليوناً من السكان يعيشون فيما بين تونس من الشرق ، ومراكش من الغرب ، والجزائر المكافحة من الشمال .

وتحدث سيادته عن الاحتلال الفرنسي ووصفه بأنه ليس نكبة على الجزائر فحسب ؛ بل على القارة الإفريقية ، ثم أشاد بكفاح الجزائر الرائع ، وختم حديثه قائلا : « اصمد يا أخي فى كل مكان ؛ فالنصر قريب .

الآنسة ايرين عبد السيد

شرق إفريقيا وغربها :

فى شرق إفريقية يسيطر الاستعمار على الأرض والسكان ، وفي غرب إفريقية يسيطر الاستعمار على السكان دون الأرض . ذلك لأن أرض شرق إفريقية المرتفعة « ككينيا » تصلح لسكنى الأوروبيين ، بينما أرض إفريقية الغربية المنخفضة شديدة الحرارة لا تلائم سكنى الأوروبيين !

إحصائيات :

جاء فى كتاب الكنيسة الحية للكاتب أوچولا :

« فى البلاد التى تحكمها فرنسا الآن يوجد المسلمون بالنسب الآتية :

٩٩٪ من شعب موريتانيا ، ٧٩٪ فى السنغال ، ٧٢٪ فى النيجر ، ٧٠٪ فى غينيا ، ٦١٪ فى تشاد ، ٥٥٪ فى السودان الفرنسي ، ٢٠٪ فى ساحل العاج ، ١٩٪ فى الكمرون ، ١٧٪ فى داهومى ، ٥٪ فى توجو ، ٥٪ فى جابون والكونغو ، ٣٪ فى أوبانجى »

.. ويمثل المسلمون حينئذ أكثر من ١٣ مليوناً من مجموع سكان المناطق الفرنسية البالغ عددهم ٢٥ مليوناً .

كيف احتلت انجلترا أوغنده؟

للدكتور علي ابراهيم عبده

أرادت مصر فى أيام الخديوى إسماعيل تمهيد السبيل للكشف العلمى عن الأجزاء التى كانت لا تزال مجهولة فى أواسط إفريقية، وخاصة منابع النيل. وأخطأ اسماعيل إذ استعان فى ذلك بالمكتشفين والضباط الأوروبيين ولا سيما الانجليز منهم، لأن انجلترا كانت مهتمة منذ النصف الأول من القرن التاسع عشر بتمهيد سبيل الاستعمار فى إفريقية بواسطة المبشرين والمكتشفين، فعمل هؤلاء الإنجليز، الذين استعان بهم اسماعيل، لحساب السياسة البريطانية. ففى سنة ١٨٦٩ عين السير صامويل بيكر حكمداراً لمديرية خط الاستواء فأساء معاملة الأهالى. وكان لذلك أثر كبير فى الإساءة إلى سمعة مصر بين سكان تلك المناطق. ولا شك أن ذلك كان فى صالح السياسة البريطانية. وبعد استقالة صامويل بيكر استخدم الخديوى اسماعيل إنجليزياً آخر هو «جوردون» وعينه فى سنة ١٨٧٤ حاكماً على مديرية خط الاستواء. وكانت مهمته القضاء على تجارة الرقيق، وفتح النهر جنوبى «غندوكرو» للملاحة، والوصول إلى البحيرات الاستوائية، وتأمين الجهات الواقعة وراء «غندوكرو» حتى تلك البحيرات، وإدخال التجارة المشروعة فى هذه المناطق. ومنح جوردون مائة ألف جنيه من الخزينة المصرية نفقة لهذه الحملة.

استهل جوردون أعماله بمعاكسة تيار الإسلام الذى أخذ يتدفق من السودان إلى شعوب أواسط إفريقية، وإطفاء شعلة الحضارة العربية التى تصاحب دائماً هذا التيار الإسلامى، ذلك أن «أمتيسه» ملك أوغنده بعث إلى مصر يطلب منها إيفاد اثنين من علماء الإسلام ليعلماه وشعبه تعاليم الدين الإسلامى، ولبت مصر الدعوة، وكتب حاكمها إلى ملك أوغنده رسالة جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد حمد الله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم أنبيائه؛ نخصكم بمزيد السلام والتحية، ونخبركم أنه عرضت لدينا مكاتباتكم، وعلمنا الهدية التى أرسلتموها وحصلت عندنا المسرورية حيث شرح الله صدوركم

للإسلام وجعلكم من أمة سيدنا محمد خير الأنام . وواجب علينا إسعافكم فى إبعاث العلماء الذين طلبتموهم لتعليم الديانة ، وبعد تاريخه يرسلوا لطرفكم ، زادكم الله توفيقاً ورشاداً وهداية وسداداً والسلام » .

ولا شك فى أن هذه الخطة تقض مضاجع الاستعمار ، وكان قد بيت لهذا الجزء من إفريقية أمراً ، فهاله أن يتحول ملك إفريقى إلى الإسلام ، وأن تتآلف بذلك أجزاء وادى النيل . لذلك بادر جوردون عند توليته السلطة بارسال بعثة تحول دون اعتناق هذا الملك ا سلام ، وتحمله على الدخول فى المسيحية ونصب جوردون على رأس هذه البعثة الذاهبة إلى « أمتيسه » ملك أوغنده « أرنست دى بلفون » ، الذى برهن على فهمه التام للأهداف الأوروبية فى إفريقية ، فاستطاع أن يحول « أمتيسه » إلى المسيحية ويحدثه عن عظمة ممالك أوروبا وقوتها ، دون أن يعمل على توثيق أواصر الروابط بين أوغنده والسودان . ثم شاءت الأقدار أن تفضح أعمال هذا المبعوث ، إذ قتل فى إحدى المعارك ، ووجد فى جيبه خطاب موجه من أحد الإنجليز المقيمين بأوغنده إلى مواطنيه فى إنجلترا ، يحثهم على إرسال بعثات تبشيرية إلى مجاهل إفريقية لضمها إلى النفوذ الأوروبى . وهكذا سخر « جوردون » المسيحية لخدمة الاستعمار الأوروبى .

وكان موقف إنجلترا الحاسم من التوسع المصرى من ناحية أوغندة ، ومنابع النيل من أكبر العوامل التى أوقعت « جوردون » فى ارتباك فى أداء مهمته ، فانقلبت غيرته الظاهرة على المصالح المصرية فى سنة ١٨٧٥ إلى تردد وحيرة واضطراب فى سنة ١٨٧٦ . ففى أوائل هذه السنة أرسل جوردون الضابط المصرى « نور بك محمد » على رأس تجريدة من ٣٠٠ جندى إلى أوغنده لاحتلالها باسم مصر ، فاستقبلها « أمتيسه » ملك أوغنده فى « روباجا » عاصمة ملكه الواقعة على ضفاف بحيرة «فكتوريا» ، ثم قرر جوردون من تلقاء نفسه إخلاء «أوغنده» بحجة أن الجنود كانوا فى موقف حرج ، وكتب بذلك إلى الحكومة المصرية ، فلم توافقه على رأيه ، وردت عليه بأن : « ترك أمتيسه أمر بارد فى حق الحكومة ، وأنه بحسب المعلوم فيكم من حسن الإدارة لا يستصعب عليكم إجراء الطـــرق والوسائط لجذب قلبه وميله وتأليفه لجهة الحكومة » . ولكن « جوردون» لم يفعل شيئاً لتنفيذ ما أشارت به الحكومة فى القاهرة ، ونفذ سياسة الإخلاء وعاد الجنود من أوغنده .

ولا غرو أن هذا يكشف عن ألاعيب السياسة البريطانية ، وطمع

انجلترا من قديم فى استعمار هذه المنطقة .

وبعد انتهاء مدة جوردون كحاكم لمديرية خط الاستواء ؛ استدعاه الخديوى اسماعيل لخدمة الحكومة المصرية مرة ثانية ، فعلق جوردون قبوله الخدمة على أن يكون حكمداراً لعموم السودان ، وتدخل فى الأمر قنصل انجلترا وأجاب إسماعيل طلب جوردون ، وعينه فى فبراير سنة ١٨٧٧ حاكماً عاماً للسودان . ولما كانت انجلترا تعارض التوسع المصرى صوب منابع النيل ، وكانت العرائض تقدم كل يوم إلى الحكومة الإنجليزية ، بعلمها وتشجيعها ؛ للمطالبة بمنع مصر من هذا التوسع ، فقد طالبت الحكومة البريطانية بأن تجلو مصر عن جميع المناطق الممتدة حول البحيرات . وهذا ما جعل جوردون فى سنة ١٨٨٧ يرجع الحدود المصرية إلى منطقة خلفية بعيدة عن بحيرة ألبرت نيانزا ويأمر الدكتور أمين ، الذى خلفه فى مديرية خط الاستواء ، باخلاء المحطات الجنوبية بحيث تصبح « دوفيلة » أقصى حد للأراضى المصرية فى الجنوب . ولما حاول أمين التخلص من هذا الأمر تمسك جوردون بقراره وكلف الإيطالى « جيسى » الذى كان موجوداً وقتئذ فى بحر الغزال ، بالذهاب إلى خط الاستواء وتنفيذ الإخلاء . ولكن ما كاد جوردون يترك الخدمة فى السودان سنة ١٨٧٩ حتى استعاد أمين المحطات المتروكة . وكان جوردون فى أثناء هذه الحوادث قد عين أمين باشا محافظاً لسواكن عقاباً له ، ولكن بعد رحيل جوردون ألغى خلفه رءوف باشا هذا الأمر ، وأبقى أمين باشا حاكماً على مديرية خط الاستواء .

واستقال جوردون فى سنة ١٨٧٩ من خدمة الحكومة المصرية بعد أن تحرجت الأمور فى السودان ، وأصبح على وشك أن يهم بالثورة . وهذا يبين لنا بصورة واضحة عمق السياسة البريطانية وتمهيدها السبيل لاحتلال السودان وأوغنده .

وبعد استقالة جوردون بسنتين قامت ثورتان :

أما الأولى ؛ وهى المعروفة باسم الحركة العرابية فترمى إلى المطالبة بالحكم النيابى وحفظ حقوق الوطنيين المصريين ، والحد من تدخل الأجانب .

وأما الثانية ؛ فقد قام بها المهدى فى السودان ، وتغلب عليها الصفة الدينية . ودخل مصر جيش انجليزى قضى على ثورة عرابى واحتل البلاد ، ولكن المهدى كان أبعد منالا لصعوبة المواصلات ، وأكثر جلاداً فى تلك البلاد النائية ؛ فأباد قوة أرسلت لإخضاعه بقيادة « هكس » ، وألحق بها قوة أخرى زحفت إليه فى سواكن بقيـــادة « بيكر باشا » . وهنا أشارت إنجلترا — لغرض فى نفسها — على الحكومة المصرية باخلاء السودان ، واستدعى جوردون للقيام بهذه المهمة ، وانتهى الأمر بقتله فى الخرطوم فى يناير

سنة ١٨٨٥ . واتفقت انجلترا والحبشة على تسهيل خروج الحاميات المصرية التي كانت مهددة في السودان الشرقي ، فوصلت تلك الحاميات إلى مصوع ومنها إلى مصر . وبذلك أصبح المهدي وخليفته عبد الله التعايشي من سنة ١٨٨٥ فصاعداً السيدين اللذين لا ينازعهما أحد في السودان كله ، ما عدا المنطقة الاستوائية حيث كان هناك أمين باشا محتفظاً بمركزه حاكماً باسم مصر . ولكي تخلو الجو لانجلترا تماماً في المناطق ، ولكي تبرر تدخلها فيها ، أذاعت في أوروبا نبأ وقوع أمين في خطر ، وقامت لنجدته ، وكلف « ستانلي » بهذه المهمة ، ولم يكن ذلك إلا حيلة من بريطانيا ؛ لأن الحالة في هذه المنطقة كانت مستقرة أحسن استقرار . وكانت بعثة « ستانلي » في الواقع تخفي أمراً سياسيا أعدته بريطانيا منذ وقت طويل ، وكانت أول خطوة لإنشاء إمبراطورية إفريقية إنجليزية . وفي ابريل سنة ١٨٨٨ التقى «ستانلي» بأمين ، وكان الأخير يرد على جميع مقترحات «ستانلي» بأن عليه واجبات نحو مصر ، وأنه لم يتلق الأمر بمغادرة البلاد ، وأن لديه رسالة من رئيس الوزراء نوبار باشا يترك له فيها حرية البقاء أو الذهاب بحسب الحالة . فتأكد «ستانلي» أن القوة وحدها هي التي تقنع أمين ، وأرغمه في أبريل سنة ١٨٨٩ على إخلاء المنطقة الاستوائية .

وبعد بضعة أشهر خفق العلم البريطاني على « قلعة وادلاي » .

ومما يجدر ذكره أن المستعمرين كانوا ينظرون إلى حملة «ستانلي» لإنقاذ أمين في ريبة وعدم ثقة . ولذلك نظموا بعثة ألمانية برياسة « كارل بيترز » على أمل أن تصل هذه البعثة إلى أمين قبل وصول ستانلي إليه . وكان غرضهم إقناع أمين بالدخول في خدمة الألمان ومد النفوذ الألماني من شرق إفريقية إلى النيل . وكانت خطة «بيترز» توشك أن تنجح . فبعد أن أرغم أمين على إخلاء المنطقة الاستوائية دخل في خدمة الألمان ، وأعلن أن المنطقة الاستوائية منطقته ، وأنه سوف يعطيها لألمانيا ، ورحل عن طريق شرق إفريقية الألماني ليستعيد مركزه ، ولكنه قتل بينما كان يشق طريقه إلى منطقة البحيرات في سنة ١٨٩١ . وفي الوقت نفسه كان بيترز قد وصل قبل مارس سنة ١٨٩٠ إلى أوغنده وعقد معاهدة حماية مع ملكها . وبعد ذلك بشهر وصلت إلى أوغنده حملة أرسلتها شركة شرق إفريقيـــة البريطانية .

وكان السباق من أجل أوغنده بين إنجلترا وألمانيا ، وتهديد «بيترز» بقطع السبل على الإنجليز قد أحدث أثراً كبيراً في انجلترا . ففي ٣ من أبريل لفتت جريدة التيمس الأنظار إلى خطر وجود الألمان على النيل . وكانت الحكومة الإنجليزية نفسها في

أشد القلق . وبذلت مجهودات كبيرة فى ربيع سنة ١٨٩٠م؛ لأجل الاتفاق مع السلطات فى برلين . وبالرغم من ذلك فقد كانت هناك ادعاءات متضاربة تجعل الوصول إلى حل وسط شيئاً بعيد الاحتمال . ولذلك حث رئيس الوزارة البريطانية شركة شرق إفريقيـــة البريطانية على أن ترسل جنوداً أكثر إلى أوغندة . وكانت الفكرة السائدة فى بريطانيا فى ذلك الوقت أنه إذا منحت الحكومة بعض المساعدة للمشروعات التجارية والتبشيرية فى منطقة البحيرات الاستوائية ، فإن الممتلكات البريطانية فى جنوب إفريقية قد ترتبط يوماً ما بمناطق نفوذ بريطانيا فى شرق إفريقية وفى السودان ، بواسطة مجموعة من المستعمرات البريطانية . كما أشار بعض الكتاب والمهندسين إلى الطريق الحديدى الذى يجب أن يربط الكاب بالقاهرة ويمر فى خط غير منفصم من المستعمرات البريطانية . لذلك كله بذلت الحكومة البريطانية جهدها حتى تمكنت من عقد اتفاقية مع ألمانيا فى يوليو سنة ١٨٩٠ ؛ تضمنت اعتراف ألمانيا بالنفوذ البريطانى على أوغنده .

ولم يكن « اللورد سولسبرى » ، رئيس الوزارة البريطانية ، قانعاً بمجرد الاعتراف الألمانى بالنفوذ البريطانى ، إذ كان من الضرورى فى نظره السيطرة الكاملة على أوغندة . ومنذ سنة ١٨٨٥ كان هناك قول بانشاء خط حديدى من « ممبسة » حتى بحيرة فكتوريا . وكان بعض الناس يظنون أن هذا المشروع غير عملى ، وكثير النفقات إلى درجة لا تشجع على محاولة القيام به . ولكن « سولسبرى » كان يعتقد اعتقاداً جازماً فى نجاحه . وكانت الشركة البريطانية لشرق إفريقيـــة شغوفة أيضاً بأن تقوم بالمشروع . معللة ذلك بأنه بواسطة خط حديدى فقط يمكن عمل شىء لإلغاء القوافل المحملة بالعبيد . وفى ديسمبر سنة ١٨٩٠ اقترحت وزارة الخارجيـــة البريطانية أن تمنح الشركة مبلغاً من المال لكى تبدأ المشروع ، ولكن رؤى أخيراً أن ينظم أولا مسح المنطقة واستمرت الحال على هذا بعض الوقت . وأخيراً — فى ديسمبر سنة ١٨٩١ — نظم فريق للقيام بهذا المسح تحت رياسة « الكابتن ماكدونالد » .

وكانت الشركة قد أعلنت فى أغسطس سنة ١٨٩١ أنها مضطرة إلى الانسحاب من أوغنده ، وادعى مديرها أنها اضطرت إلى احتلال هذه المنطقة فى سنة ١٨٩٠ نظراً لتقدم الألمان ، وتحت ضغط الحكـــومة البريطانية . فلو كانت الحكومة راغبة فى أن تضمن فائدة على رأس المال اللازم للخط الحديدى لتمسكت الشركة بأوغندة . وعلى هذا لم تتمكن الشركة من أن تستمر فى القيـــام بنفقات تكلفها حوالى أربعين أو خمسين ألفاً من الجنيهات فى السنة . ويبدو أن « اللورد سولسبرى » اقتنع بالسماح

للشركة بأن تنسحب . وكان «سولسبرى» يلقى بكل شيء فى سبيل هذا الخط الحديدى ، الذى قيل إنه الشرط الذى لا غنى عنه للإبقاء على النفوذ البريطانى فى المناطق التى حول منابع النيل ، وإنه بمجرد إنشاء هذا الخط الحديدى سيكون من السهل على الحكومة البريطانية أن تمد سيطرتها على أوغنده نفسها . ولكن الانسحاب من أوغندة لم يكن من السهل تنفيذه ، فلقد عارضته جريدة التيمس بصراحة ، مبينة خطره على الإرساليات البروتستانتية فى بلد كانت دائماً به حرب أهلية منذ سنة ١٨٨٩ بين المسلمين والكاثوليك والعناصر البروتستانتية . ويعضد القسم الأول العرب ، ويتبع الفريق الثانى قيادة الإرساليات الكاثوليكية الفرنسية .

ولقد أحدثت هذه المعارضة ، التى أثارتها « جريدة التيمس » فعلها ، وانضم إلى قائمة المعارضين فى الانسحاب الجمعية الإرسالية للكنيسة وجمعية منع الرقيق ، وبعض المنظمات الأخرى . وعلى أثر ذلك أقرض فريق الإرساليات الشركة أربعين ألفاً من الجنيهات ، ووافقت الشركة على أن تستمر فى الاحتلال حتى نهاية سنة ١٨٩٢ . وفى تلك الأثناء كان « الكابتن لجارد » ، الذى كانت الشركة قد أرسلته فى ديسمبر سنة ١٨٩٠ ، قد أرغم « موانجا » ملك أوغندة على التوقيع على معاهدة فى ٣٠ مارس سنة ١٨٩٢ ، وسار بقوته عبر المناطق الغربية بين بحيرتى ألبرت وإدوارد ، منشئاً مراكز دفاعية دعمها بقوات « أمين باشا » السودانية السابقة . وفى أغسطس سنة ١٨٩٢ أرسل «كابتن ماكدونالد» تقريره عن مسح الخط الحديدى .

ولقد قدر طول الخط حتى بحيرة فكتوريا بنحو ٧٠٠ ميل ، وأن إنشاءه يستغرق حوالى أربع سنوات ، وأن التكاليف تبلغ ٢,٢٤٠,٠٠٠ من الجنيهات . ولكن قبل أن يتم شيء آخر فى هذه المسألة تركت حكومة «سولسبرى» الحكم ، وشكل الوزارة «جلادستون» ، وكان معه « لورد روزبرى » وزيراً للخارجية . وكان «روزبرى» استعمارياً مثل « سولسبرى » تماماً . وكان مقتنعاً بأنه لا بد من الإبقاء على أوغندة . ولما كانت الشركة تضع خطة الانسحاب فى نهاية سنة ١٨٩٢ ، فقد بذل جهده حتى استطاع الحصول على موافقة مجلس الوزراء البريطانى ، على أن تتحمل الحكومة تكاليف احتلال أوغنده لنهاية مارس سنة ١٨٩٣ ، كى تتمكن الحكومة من الحصول على معلومات جديدة عن هذه المنطقة . وأعطيت التعليمات إلى « المستر جيرالد بورتال » الوكيل البريطانى فى زنجبار ، ليذهب إلى أوغنده ، ويبحث المسألة ، ويقدم تقريراً عن أفضل الوسائل لمعالجة هذا البلد . فترك « بورتال » زنجبار قاصداً إلى أوغندة فى يناير سنة ١٨٩٣

وبرفقته مائتا رجل مسلح من زنجبار ، وعندما وصل إلى أوغندة فى أول بريل أنزل فى الحال علم الشركة ورفع العلم البريطانى . وفى خلال ربيع سنة ١٨٩٣ أرسل «بورتال» تقارير مفصلة عن الأحوال هناك . وكانت المشروعات التجارية تبشر بالخير . أما الموقف الدينى فقد ادعى «بورتال» أنه سيئ ، وأنه إذا انسحب البريطانيون فسوف تنشأ حرب إبادة بين الطوائف الدينية المختلفة هناك ، وفى مايو عقد «بورتال» اتفاقاً مع « موانجا » ملك أوغندة ، نص فيه على أن الشركة البريطانية لشرق أفريقية قد انسحبت تماماً من إوغندة ، وأنه إلى أن تصدر الحكومة البريطانية قرارها بشأن مسألة أوغندة كلها ؛ فإن « موانجا » قد ألزم نفسه ببعض الشروط ، ودخل فى ارتباطات الغرض منها الحصول على حماية بريطانيا ومساعدتها وإرشادها . ومن هذه الارتباطات أنه تعهد بألا يعقد أية معاهدات أو اتفاقات مع أى أوروبى مهما كانت جنسيته بدون موافقة مندوب الحكومة البريطانية . ثم أرسل «بورتال» تقريراً آخر ، أرسله من زنجبار ، ولخص فيه آراءه ، ولفت فيه النظر إلى موقع أوغندة . ووصفه بأنه موقع استراتيجى ذو أهمية طبيعية كبيرة ، يسيطر على الشواطىء الشمالية والغربية لبحيرة فكتوريا ، وعلى الطريق الوحيد إلى بحيرتى ألبرت وألبرت إدوارد ، وعلى مياه أعالى النيل » . وكانت كما يقول « المفتاح الطبيعى لكل وادى النيل ، وأغنى المناطق التى فى وسط إفريقية . فاذا انسحبت بريطانيا فان دولة ما ، وربما كانت ألمانيا ، سوف تستولى عليها ، وتفقد بريطانيا بذلك كل المنطقة الشاسعة التى أبقتها المعاهدة الإنجليزية الألمانية فى سنة ١٨٩٠ ، لكى تكون ميداناً للنفوذ البريطانى . إن سيطرة دولة أخرى سوف تمتد حتما لا على أوغندة وملحقاتها فحسب ، بل ستضم أيضاً كل البلاد المجاورة والبحيرات العظمى ووادى النيل والمرتفعات الطبيعية فى المداخل . إن السيطرة على أوغندة تعنى فى خلال سنوات قلائل طغيان النفوذ والتجارة فى أغنى المناطق وأكثرها ازدحاماً بالسكان فى وسط إفريقية » .

وهذا التقرير من بعض الاعتبارات الأخرى جعل الحكومة البريطانية تعلن حمايتها على أوغندة فى ١٨ من يونيو سنة ١٨٩٤ . وانتقلت السلطة من يد الحاكم الشرعى للبلاد إلى يد المندوب السامى البريطانى . ولم تمض مدة طويلة حتى انتقلت أوغندة من سيطرة وزارة الخارجية البريطانية إلى سيطرة وزارة المستعمرات ، واستبدل منصب المندوب السامى بمنصب المحافظ ، وبدأت أوغندة فترة جديدة من تاريخها تحت وطأة الاستعمار البريطانى البغيض .



للأستاذ عبد الواحد ابراهيم حسن

هناك فى غرب القارة السوداء — التى يحلو لكثير من المؤرخين الأوروبيين أن يطلقوا عليها هذه التسمية — تقع جمهورية صغيرة لا يتجاوز عدد سكانها مليوناً ونصف مليون . وهى — ككل مناطق القارة الواسعة — أرض تكمن فى جوفها مصادر الثروة ، وركائز الاقتصاد الحى .

على أننا لا نكاد نعرف فى فلسفة السياسة نظيراً لهذه الجمهورية . ففى عام ١٨٢٢ أرسلت الحكومة الأمريكية بعثة لاستكشاف مدى صلاحية شواطئ هذه المنطقة لإسكان الإفريقيين الذين نالوا حريتهم فى الولايات المتحدة نتيجة لموت سادتهم ، أو الذين سدت أبواب الرزق فى وجوههم ، وأصبح وجودهم خطراً على الأمريكيين البيض ، إذ أن هذا النوع من الرقيق الذى كسب حريته ؛ أصبح يتطلع إلى مستوى من الحياة الفاضلة يليق به ، كما أن هؤلاء السود الأمريكيين الذين ينحدرون من أرومة إفريقية قد أخذوا يغرون إخوانهم ممن يشتغلون فى مزارع السادة الأمريكيين بالتحرر من ربقة العبودية ، والمطالبة بحقهم فى أن يستمتعوا بنصيبهم فى الحياة التى تتفق وآدميتهم . وكان هذا — بلا شك — نذيراً بالخطر الذى يتهدد أصحاب المصالح الاحتكارية ، فضلا عن أن فيه مساساً بكبرياء الرجل الأبيض الذى لا يحب إنساناً غيره يطالب بأبسط حقوقه وواجباته فى الحياة ، ولقد دفعت هذه العوامل نفسها بعض أفراد الشعب الأمريكى إلى اتخاذ خطوة إيجابية ، لعمل شىء حاسم فى هذا الصدد .

واتفق أن تألفت جمعية أطلق عليها اسم « جمعية الاستعمار الأمريكية » وتعاون أعضاء هذه الجماعة مع المسئولين فى الحكومة يومئذ على إيجاد حل سريع لترحيل هؤلاء الرقيق الأحرار ، وانتهت جهودهم بخلق دولة جديدة فى قلب إفريقية أطلقوا عليها « ليبيريا » لتكون موطناً لهؤلاء السود المنبوذين الذين كانوا حملا ثقيلا على أرستقراطية الأمريكيين ، والطريف فى الموضوع أن اللجنة التى أوفدتها الحكومة ، للبحث عن الموطن الجديد الذى سيأوى إليه هؤلاء السود ؛ قد استطاعت أن تستغل سذاجة الأمراء الوطنيين ، فاشترت دولة لا تقل عن مساحة ألمانيا الشرقية

بعشرة جنيهات دفعتها هدايا لاتخرج عن كونها مجموعة من حبات الخرز الرخيص. وست بنادق. وستة أثواب من البفتة وثلاثة أزواج من الأحذية الخ هذه الأشياء التافهة. وسرعان ما اندفعت إلى هذه الدولة الجديدة جيوش الأرقاء الأمريكيين من السود المنبوذين الذين حملوا معهم إلى أرض القارة الأم معالم الحياة الأمريكية. وخصائص الشعب الأمريكي. ومن ثم فقد أصبحت ليبيريا موطناً لطائفتين من السكان السود. لا يربطهما إلا عنصر الأصل البعيد، ولون البشرة السوداء. أما فيما عدا ذلك فلا تكاد ترى أثراً لوحدة الشعب التي يجب أن تكون موجودة في المشارب والأفكار، والأماني. فالسود الوافدون من الولايات المتحدة أمريكيون في ثقافتهم وفي ميولهم وتنظيم أشكال الدولة الجديدة التي يعيشون فيها. بينما الوطنيون من أهل البلاد يحيون في إطار من تراثهم القديم، وتقاليد مجتمعهم القبلي: فهم يؤمنون بالسحر والشعوذة، ويتمسكون بعادات أجدادهم وأسلافهم في الأخذ بالثأر، والعيش على ما يكسبونه بالصيد الخ..

ورأت أمريكا أن مصالحها في إفريقية مرتبطة بوجود هذه المدرسة التي تدين بالولاء لها، فقامت بمناصرتها والعمل على دعم سلطانها. واستطاعت أن تجعل من الخمسة عشر زنجياً أمريكياً قوة سياسية واقتصادية هائلة تحكمت في مقدرات ليبيريا، ووضعها السياسي.

ويكفي أن نعلم أن سكان البلاد الأصليين الذين يمثلون ٩٩٪ من عدد الشعب كله محرومون تماماً من الوظائف الرئيسية في الحكومة، هذا فضلا عن أن منصب رئيس الجمهورية الليبيرية قد أصبح قاصراً على أسرة تابمان الأمريكية الأصل. والنفوذ الأمريكي قوي جداً في ليبيريا، فشركة «فابرستون» للمطاط تلعب دوراً بارزاً في الاقتصاد الوطني في هذه الجمهورية، والبنك الوحيد الذي يعمل في هذه البلاد هو «بنك منروفيا» وهو مؤسسة فرعية لشركة «فابرستون».

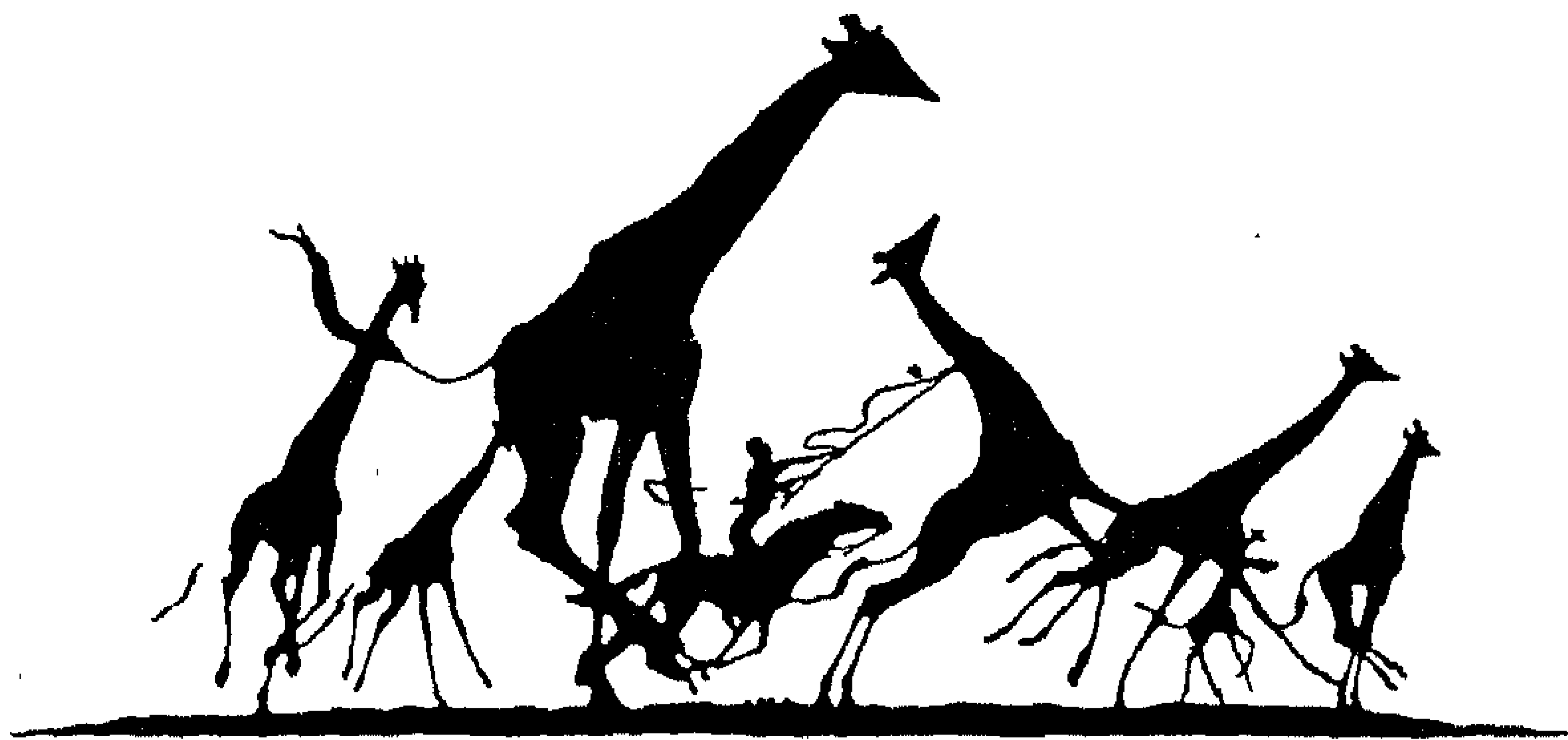
وليس أدل على اعتماد ليبيريا اقتصادياً على أمريكا من أن الإحصائيات الأخيرة قد أثبتت أن صادرات البلاد عام ١٩٥٣ قدرت بما يساوي ١٠,٥ مليون جنيه استرليني كان نصيب الولايات المتحده منها تسعة ملايين.

أما من حيث النفوذ الأمريكي في مجال السياسة الليبيرية فأمر لا يحتاج إلى شرح أو تفسير. إذ الواقع أن الاتجاه السياسي للرجال المسئولين ورجال الحكم في جمهورية ليبيريا إنما هو نحو أمريكا «الأم الثانية» وهذا دليل واضح على مدى تغلغل الأصابع الأمريكية في تشكيل مصير هذه الدولة، ووضعها في الإطار الذي

يريده البيت الأبيض ، ومما يسترعى الانتبـــاه فى هذا الصدد ؛ أن أحد عمداء كلية الحقوق بجامعة «هارفارد» هو الذى وضع دستور البلاد . وتعمد عند وضعه أن يكون على نسق دستور الولايات المتحدة ، بل إن شكل الدولة الليبيرية الإدارى هو صورة منسوخة من مثيلتها فى الولايات المتحدة . فمجلس الوزراء يعينه الرئيس ، وله اختصاصات مجلس الوزراء الأمريكى نفسه ، ونائب رئيس الجمهورية هو الذى يرأس مجلس الشيوخ ، كما هى الحال فى الولايات المتحدة . والرئيس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة ، ورئيس الحزب ، وله حق تعيـــين الموظفين ؛ الأمر الذى يجعله فى نظر الجميع قوة خطيرة يحسب حسابها .

مستقبل ليبيريا :

إن تاريخ هذه الجمهورية لا يعنينا بقدر ما يهمنا مستقبلها كدولة تمثل النغمة النشاز فى الوزن الإفريقى العـــام ، فهذه الدولة تحتل موقعاً استراتيجياً هاماً ، وهى فى الوقت نفسه مصدر عظيم للثروة المطاطية ، وتعيش على أرضها غالبية مسلمة ، وتتاخمها دول ؛ بعضها قد حصل على حريته واستقلاله والبعض الآخر فى طريقه إلى تحقيق هذه الحرية ، وهذا الاستقلال ، ولم تعد فى إفريقيـــة اليوم منطقة تكاد تخلو من يقظة سياسية تدفعها ثورة الأحرار وكفاحهم ، ومعنى ذلك أن ليبيريا لن تظل فى وضعها الشاذ ، بل .. لابد أن تتحرر ، وغداً تتحرر ! !



إلى أين تسير التفرقة العنصرية؟



للاستاذ علي شلش

ليس شك فى أن التفرقة العنصرية هى المهزلة الكبرى فى هذا العصر ، وهى وليدة النظام الاستعمارى الآخذ فى التفكك والانهيار ..

وتاريخ التفرقة العنصرية فى إفريقية مرتبط بتاريخ الاستعمار فى القارة ، غير أن الأمر الجدير بالتنبيه إليه هو أن هذه التفرقة تصل إلى الذروة فى جنوب القارة حيث يزداد عدد الأوروبيين ، وتأخذ فى الانخفاض حيث يقل عدد الأوروبيين كما فى كينيا أو أوغندا ، حيث تختفى إلى إلى حد كبير . ومن هنا تبرز خطورتها فى جنوب إفريقية ، وتكون دراستها واجبة فى تلك المنطقة ..

ويتضح الأساس النظرى للتفرقة العنصرية فى كلمات « مالان » رئيس الحكومة هناك التى نلخصها فيما يلى :

« إن التفرقة العنصرية سواء كانت العزل أو التمييز ، ومهما اختلفت أسماؤها ، هى السياسة العنصرية التقليدية لجنوب إفريقية ، وقد كانت جزءاً من تقاليد جنوب إفريقية التى

تمارسها منذ استوطن الهولنديون مدينة الكاب فى عام ١٦٥٢ ، ولا تزال تؤيدها أغلبية البيض فى الأحزاب السياسية الرئيسية فى جنوب إفريقية » .

أما أساسها الاقتصادى فهو ضمان أكبر قوة إنتاجية ممكنة بأقل التكاليف الممكنة . ومعنى هذا أن التفرقة العنصرية هى إحدى مقومات الإنتاج الرأسمالى هناك ، الذى يهدف من أساسه إلى تحقيق أكبر ربح ممكن بأقل التكاليف الممكنة .

وتشمل التفرقة العنصرية جميع قطاعات الجنوب السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وعلى هذا يمكن تقسيم أشكالها إلى أربعة أقسام نعالجها بإيجاز على النحو التالى :

أولا — فى القطاع السياسى :

يطلق الأوروبيون على اتحاد جنوب إفريقية اسم « بلد الرجل الأبيض » ! كما ينص دستور الاتحاد الصادر عام ١٩١٠ على التفرقة العنصرية ، وتحريم الحقوق السياسية بالنسبة للوطنيين والملونين ، والحد من حرياتهم . وقد تبع هذا القانون صدور عدة تشريعات أخرى كان آخرها قانون عام ١٩٥٦ المعدل للقانون الانتخابى ، ويقضى بحرمان الملونين من حقوقهم السياسية كافة . ويكفى أن نذكر فى هذا الصدد ما قاله الزعيم « ستريدوم » فى شرحه للقانون ، من أن « الغرض منه هو إتاحة الفرصة للرجل الأبيض فى كل شبر من البلاد ؛ لكى يحتفظ بسيطرته فى الحكم ، وليعمل على أن تبقى هذه البلاد بلاداً للرجل الأبيض فقط » .

ثانياً — فى القطاع الاقتصادى :

ومن المعروف أن جنوب إفريقية غنى بالمعادن ومصادر الثروة الجوفية . فهناك ما يربو على الثلاثين نوعاً من المعادن — عدا الفحم — أهمها الذهب والماس والأورانيوم والبلاتين والنيكل والكروم والنحاس . . وتنص التشريعات الاقتصادية المعمول بها على تحريم التمليك بالنسبة للوطنيين ، وعزلهم فى مناطق خاصة تبعد عن المدن ، وتفتقر إلى وسائل الرى والإصلاح ، كما أن أراضيها أقل خصوبة ، وكذلك على تخصيص الأعمال الحقيرة للوطنيين .. وتدل الإحصاءات على أن الدخل القومى للإفريقيين قد بلغ عام ١٩٥١ نحو ١٤٪ من الدخل القومى العام ، ومن هنا ينخفض مستوى المعيشة للوطنيين .

ثالثاً — فى القطاع الاجتماعى :

وتؤكد التشريعات التى تصدر تباعاً التفرقة العنصرية وتحميها . وتقضى بتحريم الزواج المختلط بين البيض والسكان المنحدرين من أصول إفريقيــة وآسيوية ، وكذلك ليس للوطنيين الحق فى استخراج شهادات ميلاد أو زواج أو طلاق أو وفاة ، والحكومة هناك لا تعترف بالملونين أو الوطنيين وتعتبرهم من النزلاء ..

ويترتب على هذا – تبعاً لانخفاض مستوى المعيشة – تفشى الأمراض والأوبئة بين الأهلين . وتعرضهم باستمرار للتشريد والاضطهاد ، وارتفاع نسبة الوفيات وخاصة فى الأطفال ، وهى تعادل ١ من كل ٤ أطفال يولدون ..

رابعاً – فى القطاع الثقافى :

تدلنا إحصاءات اليونسكو على أن ٩٠٪ من السكان جهلة تماماً ، وتقضى القوانين بعدم إتاحة أى فرصة لهم للتعلم ، ويرتكز نظام التعليم على أساس بث روح الاستسلام والخنوع للرجل الأبيض .. وفى هذا يقول أحد تقارير اللجنة المشتركة لتعليم الوطنيين :

« اننا نعلم الطفل الأبيض لنعده للحياة فى بيئة مترفعة مسيطرة ، ونعد الأسود بالتعليم للرضا بالحياة فى بيئة خاضعة مستسلمة » . ومن ثم نجد أن ٤ من كل من ٥ لا يتعلمون شيئاً على الإطلاق ..

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو : « لمصلحة من هذه التفرقة ؟ والإجابة عليه ليست فرضاً ، وإنما توضحها الحقيقة نفسها ؛ ذلك أن الذين يستفيدون من التفرقة هم :

١ – الاستعمار .

٢ – الاحتكارات الأجنبية – وقد بلغت رؤوس الأموال الأجنبية المستثمرة فى الاتحاد نحو ١٤٤ مليوناً من الجنيهات عام ١٩٥١ . وهى تتزايد عاما بعد عام ؛ نتيجة لدخول أمريكا فى السوق الاستعمارى .

٣ – الطبقة الوسطى المتعاونة مع الاستعمار ، ومعظم هذه الطبقة تنحدر من أصول أوروبية .

أما الذين يقع عليهم عبء التفرقة العنصرية فهم :

١ – الوطنيون – وهم ينتشرون فى الجبال ، ولا موطن دائم لهم ، وتنقلهم الحكومة كيفما شاءت ، ويبلغ تعدادهم حوالى تسعة ملايين .

٢ – الملونون – وهم ينحدرون من أصول إفريقية وآسيوية ، وهم أحسن حالا من الوطنيين ، ويعملون فى الأعمال اليدوية والتجارة ، ويبلغ عددهم حوالى أربعة ملايين .

والحقيقة أن سياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها حكومة جنوب إفريقية تقف فى وجه ميثاق الأمم المتحدة ، منتهكة كافة الالتزامات الدولية التى قررتها هيئة الأمم فى الوقت الذى ينتسب فيه اتحاد جنوب إفريقية إلى تلك الهيئة .

وقد تكونت عام ١٩٥٢ لجنة خاصة تابعة لهيئة الأمم لبحث التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقية .. وقدمت تقريرين أولهما فى أكتوبر من العام نفسه ، وثانيهما فى أغسطس عام ١٩٥٤ ؛ أدانت فيهما موقف الحكومة منددة بسياستها ، ولكن حكومة الاتحاد رفضت – فى تحد – مناقشة

المشكلة بدعوى عدم التدخل فى شئون الدول الأعضاء الداخلية .. وفى عام ١٩٥٥ نوقشت المشكلة مرة أخرى خلال الدورة العاشرة للأمم المتحدة ، ولكن حكومة الاتحاد أصرت على موقفها ، وهددت بالانسحاب من عضوية الهيئة .

وعندما عقد مؤتمر باندونج فى أبريل عام ١٩٥٥ كانت التفرقة العنصرية على رأس المشكلات التى بحثها المؤتمرون ، وأصدروا فيها قرارات دامغة ..

وتجددت المشكلة أيضاً فى مؤتمر القاهرة للشعوب الآسيوية والإفريقية الذى عقد فى العام الماضى .. وقررت الشعوب الآسيوية والإفريقية « إدانة سياسات التفرقة العنصرية فى جميع صورها ، دعوة جنوب إفريقية أن تلتزم بتعهداتها المنصوص عليها فى ميثاق الأمم المتحدة » وكذلك توصية جميع حكومات العالم بمطاردة المشكلة ومحاربتها واستئصالها ..

كما تبنى «مؤتمر أكرا» المشكلة وطالب بتصفيتها ..

وإزاء ما سبق يتبين لنا أن التفرقة العنصرية ليست سوى تحد صارخ لحقوق الإنسان وميثاق الأمم المتحدة .

وإذا كان النظام الاستعمارى يتفكك اليوم وينهار ، فإن التفرقة العنصرية تلحق به بدورها : يؤيدنا فى هذا ازدياد وعى الشعوب ، وانبثاق الحركات الوطنية فى جميع أنحاء القارة .

وقد سبق أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر بحق أنه « لا يمكن أن نظل بمعزل عن الصراع الدائر فى القارة السوداء » ذلك أن موقعنا الجغرافى لا يسمح لنا بأن نقف موقف المتفرج إزاء ما يجرى فى القارة من أحداث

فواجبنا إذن هو نشر الوعى التحررى فى أرجاء القارة ، ومؤازرة الحركات الوطنية قولا وعملا ، حتى تتخلص القارة نهائياً من السيطرة والاستغلال ، وحتى تعيش شعوبها فى رخاء وسلام» .

لقد فقد الرجل الأبيض — خلال تاريخه الاستعمارى الطويل كل ما يملك من كرامة وضمير ، أما الشعوب التى استغلها ، فلن تفقد سوى أغلالها فحسب !

وليطمئن « جون جنتر »وأصحابه على مصير « أثمن هدية على وجه الأرض » .

أطفال أفريقيا يرسمون

خصصت مجلة شنكر الأسبوعية (Shankar's Weekly) التى تصدر فى الهند منذ عدة سنوات عــدداً خاصاً لرسوم الأطفال فى العالم . وقد اشترك فى تقديم رسوم هذا العــدد كثير من الأطفال الإفريقيين ، فلاقت رسومهم الكثير من التقدير والثناء ؛ فالطفل الإفريقى من أقدر الأطفال على التعبير بخطوطه المستقيمة . وعن واقعه الاجتماعى والنفسى . ويسعدنا أن نضع بين أيدى القراء رسوم أطفال من إفريقية .



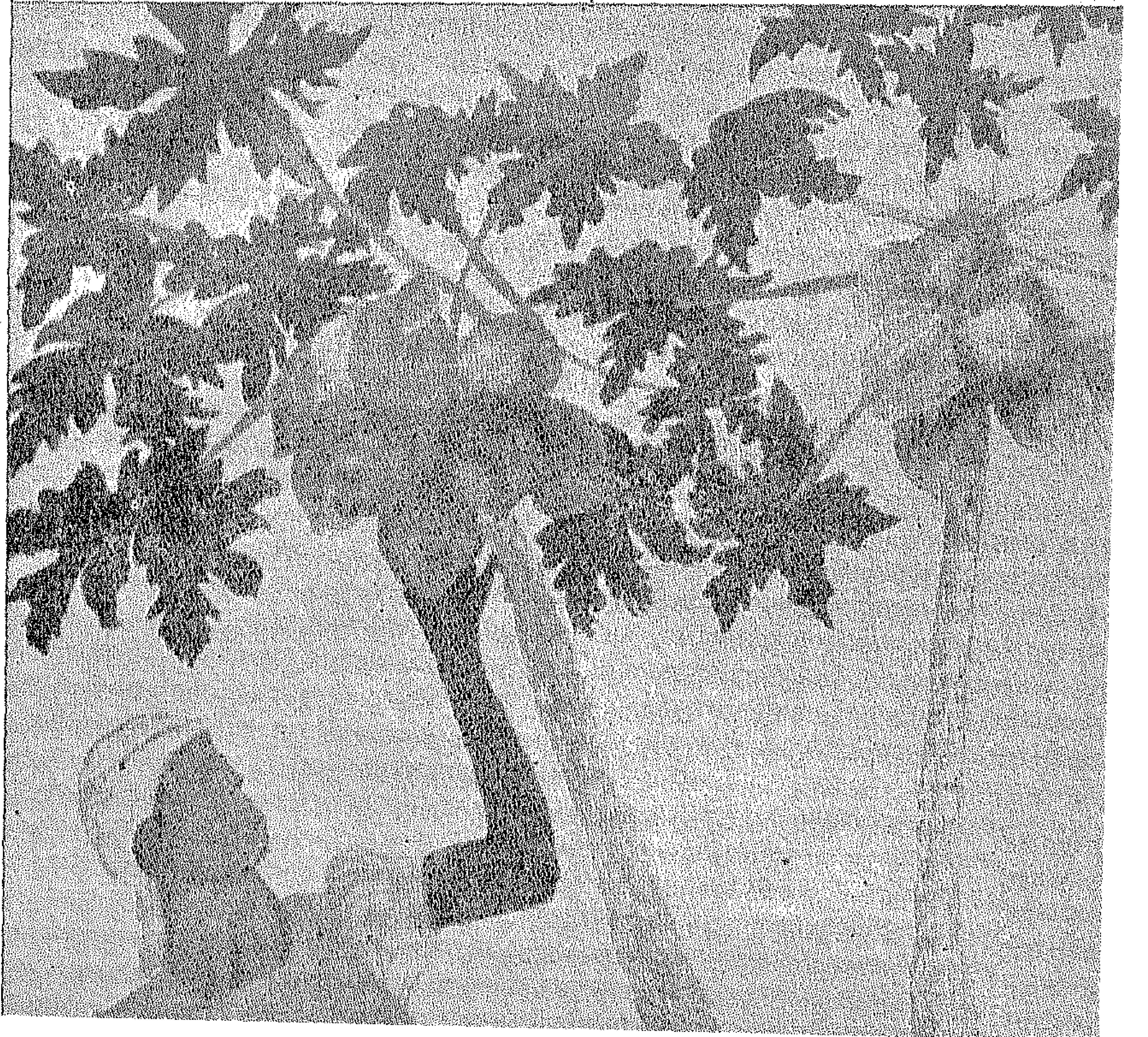
(الرسم البيت الإفريقى)

قدمته الطفلة « كوتجلاتا سدبرا » من أوغندة ، والرسم ينقل بواقعية تامة خصــــائص المجتمع اليوغندى .



الرسم بعنوان « نحو البيت » .

قدمه الطفل « كمودى سدبرا » من كمبالا، عاصمة أوغنده وهو ركوب الدراجة ، وينقل إلينا البساطة فى هذه الهلاد .



الرسم « لثمار البابايا » :

قدمه الطفل « سوماتى » من نيروبى عاصمة كينيا ، وقد نجح فى نقل الملامح الكينية بأمانة.



الرسم للساحرة

قدمته الطفلة عصمت أبو الوفا .

والصورة تمثل اللاوعى المصرى .

كما تخيلته الفنانة الصغيرة .



٢ من الموانى الافريقية

بقلم الدكتور أحمد دراج

استمرت «عيذاب» فى بداية عهد الدولة المملوكية تزاول نشاطها التجارى السابق ، وحرص السلطان بيبرس ، فى أوائل سلطنته على تأمين هذه المنطقة التى تخدم المصالح التجارية لمصر ، وخاصة بعد أن ترامى إلى سمعه سنة ٦٦٢ هـ ١٢٦٣ م اغتصاب صاحبى «سواكن» و « دهلك » لأموال من يموت من التجار الكارمية فى بلادهما . واضطر بيبرس بعد سنتين إلى إرسال تجريدة عسكرية إلى سواكن نجحت فى ضمها إلى الممتلكات المصرية ، ووجه بيبرس عنايته إلى «عيذاب» ، عند تنظيمه لشبكة طرق البريد للدولة المملوكية ، فكان هناك الطريق الذى يبدأ من القاهرة إلى قوص ، ثم يستمر إلى أسوان والنوبة ، ومن قوص يتفرع طريق ثان إلى عيذاب ، وأنشأ على طول الطريق منازل البريد والخانات ، تيسيراً لخدمة مصالح الدولة ولمصالح التجار .

إلا أن سياسة بيبرس ، بعد إقامة الخلافة العباسية بالقاهرة ، تحولت إلى تثبيت سيادة مصر على بلاد الحجاز ؛ هذه السيادة التى كانت تنازعها إياها الدولة الرسولية باليمن . وكان من أولى نتائجها إعادة الطريق البرى للحج عبر شبه جزيرة سيناء سنة ٦٦٦ هـ ١٢٦٧ م ، ولذلك حرمت عيذاب من جانب كبير من نشاطها .

ولم يمنع هذا التطور عيذاب من أن تستمر فى استقبال سفن اليمن حاملة الجزء الباقى من تجارة الشرق الأقصى ، ومن استقبال الكثيرين من المغاربة الذين يفضلون طريق عيذاب — البحر الأحمر — نظراً لقصره ، وحرصت السلطنة المملوكية على استمرار علاقتها الطيبة باليمن ، ضماناً لمصالحها التجارية ، إذ كانت عدن هى المستودع الرئيسى لتجارة الشرق الأقصى ، وكانت السفن الهندية والصينية تقوم بتوزيع حمولتها بها ، ولا تتعداها إلى البحر الأحمر ، ومن عدن تقوم السفن اليمنية بنقلها إلى عيذاب . وعملت السلطات اليمنية من جانبها على الإبقاء على هذه

العلاقات الطيبة . حتى تستطيع القيام بالوساطة التجارية بين الشرق الأقصى ومصر . وقام تجار الكارمية بتصفية ما كان ينجم من خلافات بين الحكومتين . حرصاً على مصالحهم

وظلت السلطنة المملوكية . تعمل جاهدة على استتباب الأمن فى منطقة عيذاب . تأميناً لهذا الشريان التجارى . فحرص السلطان قلاوون ؛ عند ما نشب القتال بين عرب جهينة وعرب رفاعة فى صحراء عيذاب سنة ٦٨٠ هـ ١٢٨١ م ، على التوفيق بينهما خوفاً على فساد الطريق . وذكرت المراجع المعاصرة . اضطراب الأمن فى هذه المنطقة ابتداء من سنة ٧١٥ هـ ١٣١٥ م بسبب خروج أهلها على رسل صاحب اليمن ، واستيلائهم على الهدايا التى كانوا يحملونها إلى الناصر محمد بن قلاوون . وتكرر منهم هذا الاعتداء ، فى السنة التالية ضد رسل صاحب اليمن وضد التجار ، مما دعا إلى إرسال حملة عسكرية لتأديبهم . وبعد ثلاث سنوات ثاروا مرة أخرى على الأمير المصرى المقيم بعيذاب ، واستدعى ذلك إرسال تجريدة عسكرية ثانية لإخضاعهم ، ولتقيم بعد ذلك فى عيذاب . إلا أن هذه القوة فشلت فى السيطرة على الأمن ، واستمر تمردهم عدة سنوات . وحدثنا الرحالة ابن بطوطة بمشاهداته أثناء مروره بعيذاب فى هذه الفترة ، فعند وصوله إلى عيذاب سنة ٧٢٦ هـ ١٣٢٦ م عن طريق أدفو لم يتمكن من الإبحار إلى جدة . نظراً لحالة القتال الناشبة بين قبائل البجه والقوات المملوكية . ومن ثم اضطر إلى العودة إلى القاهرة . ثم استأنف السير مع قافلة الحج عبر شبه جزيرة سيناء . وفى رحلته الثانية إلى مكة سنة ٧٣٢ هـ ١٣٣٢ م . لم يتوجه إلى عيذاب . وإنما اتجه إلى القصير . ولم يتمكن من الإبحار من عيذاب إلا فى رحلته الثالثة سنة ٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م . وفى السنة التالية مر أيضاً بعيذاب ابن الوردى . وذكر لنا مشاهداته عن نشاط هذا الميناء .

وكانت المكوس قد ارتفعت بعيذاب خلال القرن السابع الهجرى إلى العشر ، وهو المبدأ الضريبى الذى سارت عليه الدولة المملوكية فى جميع موانيها دون تفرقة بين المسلمين أو المسيحيين . ولعل أهم ما ذكره ابن بطوطة ، هو أن السلطنة المملوكية لم تكن تتقاضى من المكوس سوى الثلث ؛ تاركة الثلثين لزعيم قبائل البجه

واستمرت عيذاب تقوم بهذا القدر من النشاط حتى عام ٧٦٠ هـ ١٣٥٨ م أو حتى عـــام ٧٨٠ هـ ١٣٧٨ م على قول آخر . ومن هذا التاريخ أو ذاك انتقل معظم نشاطها البحرى إلى ميناء الطور حتى أصبحت الميناء الرئيسى للدولة .. هذا التحول الذى أثر كثيراً على مصير عيذاب أدى إليه عاملان : الأول : هو أن ميناء جدة بدأ يستعيد دوره القديم

كميناء رئيسى فى طريق المراكب اليمنية من عدن إلى شمال البحر الأحمر، وكان هذا فى العشرينات الأخيرة من القرن الثامن الهجرى؛ بفضل جهود شريف مكة، حسن بن عجلان. والثانى: هو سوء الأحوال الاقتصادية فى الوجه القبلى، التى ترتب عليها تلاشى أمر قوص عاصمته وقتئذ، والقاعدة الخلفيــة التى تخدم نشاط عيذاب، وذلك بسبب تعدد انخفاضات النيل فى النصف الثانى من القرن الثامن الهجرى، وما ترتب عليها من مجاعات كثيرة. ولعل أخطر هذه المجاعات؛ تلك التى حدثت فى أوائل القرن التاسع الهجرى وما صحبها من غزو «تيمورلنك» للأراضى الشامية، واستعداد السلطات المصرية لقتاله، ومغالاتها فى جمع الأموال من الرعية.

منذ هذه الفترة حتى تدمير عيذاب عام ٨٢٩ هـ ١٤٢٦ م بأمر السلطان المملوكى برسباى؛ اقتصر دور عيذاب على خدمة مصالح الأهلين المستقرين على الساحل الغربى للبحر الأحمر، عن طريق اتصالها بجدة، عبر البحر أو بقوص عبر الصحراء، وكذلك على خدمة من يمر بها من الرحالة، ولا سيما الرحالة الإيطاليين فى طريقهم إلى الحبشة، أو الإرسالية الكاثوليكية بدنقلة.

وشهد القرن الرابع عشر، وأوائل الخامس عشر الميلادى. عدداً من هؤلاء الرحالة: نذكر منهم «فرانسسكو بلدوى Francisco Baldui» و«بيجولوتى الفلورنسى Pegolotti» حوالى عام ١٣٢٥؛ «ونيقولا دى بوجيبونى البنـــدقى Nicolo da Poggibonn» بين عامى ١٣٤٥ — ١٣٤٧؛ و«بيزيجانى Pizzigani» عام ١٣٦٧؛ وفى أواخر القرن الرابع عشر شهد أحد الرهبان؛ الذى ترك لنا وصفاً لرحلته من البندقية إلى أكسوم ماراً بقفط وعيذاب وسواكن؛ وكذلك «برتراندميجنانلى» من أهالى مدينة سيين «Bertrand Mignanelli de Sienne»؛ وفى أوائل القرن الخامس عشر «أنطونيو برثولوميو الفلورنسى» «Antonio Bartolomeo» وأخيراً سفراء» دوقية برى إلى ملك الحبشة ١٤٣٠

ولنا أن نتساءل عن السبب الذى دفع برسباى إلى تدمــير عيذاب؟

إن ذلك يرجع فى الحقيقة إلى تغير طرق الملاحة فى البحر الأحمر فى أوائل الربع الثانى من القرن الخامس عشر، وإلى حرص مصر الشديد على المحافظة على مصالحها التجارية. فلقد ظلت «الطور» مركزاً للنشاط البحرى التجارى المصرى، حتى ظهرت عوامل جديدة غيرت الموقف، وأدت إلى أن تخلفها جدة، وكان لزاماً على السلطات المصرية أن تعدل سياستها إزاء الحجاز، فبدلا من اكتفائها بالسيادة الرمزية سعت إلى السيادة الفعلية واحتلال مدن الحجاز الرئيسية،

مكة والمدينة وجدة بقوات مصرية مع الإبقاء على النفوذ المحلى الإشراف ، وضماناً لحصولها على المكوس . ولتنفيذ سياستها التجارية فيما يختص بتجارة المرور بين الشرق والغرب . فقد وضعت جدة تحت الإدارة المصرية المباشرة . وإذا كان ازدهار جدة قد أدى إلى أن يصبح دور الطور ثانوياً ؛ فقد أدى إلى إزدهار السويس لاستقبال مراكب القلزم التى كانت تقوم بعملية النقل البحرى بينها وبين جدة . واقتصر دور «الطور» على أهميتها كمرحلة هامة من مراحل الطريق البرى للحجاج ومن يصحبهم من التجار ، وتجبى بها المكوس عن البضائع التى تنقل بالطريق البرى قبل دخولها الأراضى المصرية .

فما هى العوامل التى سببت هذه التغيرات الملاحية بالبحر الأحمر ؟

لقد دفعت المظالم وارتفاع المكوس وسوء المعاملة ، التى كان يقاسيها التجار الهنود بعدن ، إلى محاولتهم التحرر من تحكم اليمنيين فى تجارتهم . وحتى ذلك الوقت كانت عدن هى نهاية الخط الملاحى للمراكب الهندية والصينية فى رحلتها نحو الشرق الأوسط ، ولم يسبق أن تعدتها من قبل . وحدث هذا التحرر بفضل جرأة تاجر هندى مسلم ، يدعى ابراهيم اندفع بسفينته إلى داخل البحر الأحمر عام ٨٢٥ هـ ١٤٢٢ م ، وهداه إسلامه إلى الرسو بميناء جدة حيث عومل معاملة طيبة من رجال شريف مكة حسن بن عجلان .

وخشيت السلطنة المملوكية من أن تفلت منها هذه المكوس التى كانت تكون . فى ذلك الوقت ؛ المورد الرئيسى لاقتصادياتها . وخاصة بعد الأزمة الاقتصادية العنيفة التى شهدتها مصر فى أوائل القرن التاسع الهجرى ؛ الخامس عشر الميلادى . وكانت الأحوال السياسية فى الحجاز توحى بهذه النتيجة ، ولذلك عملت جاهدة على استكمال سيادتها التامة على بلاد الحجاز ، إذ ازداد نفوذ شريف مكة ، حسن بن عجلان ، وامتد سلطانه على مدن الحجاز جميعها ، واهتم باعداد ميناء جدة للقيام بدوره القديم ، ثم عملت التطورات الملاحية الجديدة على أن تتركز فيها تجارة البحر الأحمر . إلا أن الشريف حسن بن عجلان أساء الاستفادة من هذا التطور ، وارتفعت شكوى الحجاج والتجار من ظلمه وتعسفه . ووجدت مصر فى ذلك فرصة للتدخل وتنفيذ سياستها ، فاستدعته إلى القاهرة إلا أنه رفض المثول لدى الأبواب السلطانية ، مما أوجب إرسال حملة عسكرية إلى مكة لتأديبه . وفشلت هذه الحملة فى القبض عليه ، فلقد سارع بالهرب إلى الصحراء بمجرد سماعه بمقدم القوات المصرية . ونفعت الحيلة معه فى النهاية وجاء إلى القاهرة سنة ٨٢٧ هـ ١٤٢٤ م وأجبر على قبول شروط السلطان برسباى من دفع مبلغ معين إلى السلطنة المملوكية ، والتنازل عن المكوس

التى تجبى بجدة من التجار الهنود .

إلا أن السلطان برسباى . وكان المكر والخداع والجشع من أبرز خصاله . لم يشأ أن يعتمد على الوعود ، ومن ثم قرر إقامة قوة مملوكية بمكة تحمى السيادة المصرية هناك ، وتمنع تمرد الأشراف ، وتسهر على مصالح مصر التجارية بالبحر الأحمر . أما جدة ؛ فقد وضعت تحت الإدارة المصريةالمباشرة ، وصاريتوجه إليها ، كل عام ؛ قبيل بداية الموسم التجارى عند وصول المراكب الهندية إليها أمير مملوكى يعاونه « شاد » لجباية المكوس بها . فضلا عن اتصال جدة اتصالا منظما سريعاً بمصر ؛ عن طريق خط ملاحى بينها وبين السويس ، وعن طريق الحمام الزاجل .

وبدأت مصر منذ عام ٨٢٨ هـ ١٤٢٥ م تجبى هذه المكوس ، وترتب على هذا الحق واجب العناية بهـذا المرفق ، والعمل على ازدهاره ؛ بحسن معاملة التجار الهنود ، وقيام العلاقات الودية مع سلاطين الهنود وأباطرة الصين ، وكان عليها أيضاً واجب حمايته من منافسة الموانىء الأخرى ، التى تقوم باستقبال تجارة الشرق الأقصى ، مثل عدن وهرمز عند مدخل الخليج الفارسى . إلا أن الجشع ،الذى اشتهر به برسباى ، دفعه إلى اتخاذ إجراءات مشددة فيما يختص بجمع المكوس من الحجاج والتجار بجدة وبمكة ،وعلى طول الطريق البرى للحج ، ثم أخيراً قبل دخول القافلة المصرية القاهرة ، وقبل دخول القافلة الشامية دمشق .

وكان أقسى هذه الإجراءات الضربة القاضية التى أنزلها بعيذاب بسبب هذا القدر القليل من النشاط المحلى الذى ظلت تحتفظ به فى هذه الفترة ، والذى نتج عنه أن بدأت تفلت من بين يديه بعض المكوس . ويعتبر هذا الإجراء وصمة فى تاريخ برسباى فقد دفعه الجشع إلى أن يزيل مدينة من أرض الوطن لتحقيق سياسته المالية . ولم تذكر المراجع المعاصرة شيئاً عما حل بعيذاب على يديه ؛ بالرغم من كثرة المؤرخين المعاصرين له ، ومنهم الناقم منه والمقرب إليه . ولقد أشار المقريزى إلى توقف نشاطها أعوام بضعة وعشرين وثمانمائة ، ولكنه لم يتكلم عن تدميرها . والنص الوحيد الذى يقرر هذا الحادث : هو ما ذكره الرحالة ليون الإفريقى فى كتابه « وصف إفريقية » عن عيذاب أثناء زيارته لمصر حوالى عام ١٥٢٦م . فيذكر ، « أنه منذ مائة عام ، قام سلطان مصر (برسباى) بتدمير ميناء عيذاب ، لأن بعض التجار كانوا ينزلون بها بدلا من جدة ، واضطر أهلوها إلى الهرب إلى دنقلة ، وإلى سواكن . وتتبعتهم قواته حتى هذه المدينة الأخيرة ، وذبح منهم على أبوابها زهاء خمسة آلاف »

هذه الحقيقة المرة التى ذكرها

ليون الإفريقى أيدتها شواهد أخرى . فابن الجيعان صاحب كتاب « التحفة السنية » بأسماء البلاد المصرية » الذى ألفه فى أواخر القرن التاسع الهجرى الخامس عشر الميلادى أوردها ضمن إقطاع أحد كبار الأمراء المماليك دون أن يذكر شيئاً عن عبرتها (دخلها المالى السنوى) كما فعل فيما يختص ببقية البلاد التى يتكون منها إقطاعه . وهذا دليل حاسم على توقف نشاطها نهائياً ، وعدم جباية أية مكوس بها ، وإن ظل اسمها مدرجاً فى كتب « روك » عن « مسح » البلاد المصرية .

إلا أن «عيذاب» أو على الأصح مكان عيذاب ، استمرت له أهميته بالنسبة إلى مشروعات الأوروبيين الصليبية والتجارية ضد الدولة المملوكية كمرحلة هامة فى طريق السفراء إلى إلى الحبشة ، أو الرهبان إلى الإرسالية الكاثوليكية بدنقلة ، أو التجار والرحالة فى بحثهم عن طريق الوصول إلى الهند.. وساعدت السياسة المالية ، القصيرة النظر التى اتبعها برسباى ، على أن تقوم عيذاب بخدمة المتآمرين على مصالح البلاد العليا وعلى سلامتها . وكان برسباى بعد أن نجح فى تأمين وجود جدة ، وفى تركيز جباية المكوس بها قام باحتكار تجارتها ، فأصبح هو المشترى الرئيسى لواردات الهند والصين عن طريق مبادلتها بالواردات الأوروبية التى احتكر أيضاً شراءها من التجار الأوروبيين الذين يفدون إلى دمياط والاسكندرية . ولقد دفعه إلى ذلك ؛ ما عرف به من جشع زائد . وكذلك الأزمة الاقتصادية التى اشتدت خلال سنوات حكمه ، وحاجة الدولة الملحة إلى المال للقيام بالتزاماتها ، وخاصة دفع رواتب الجند ونفقاتهم .

وأثارت سياسة الاحتكار هذه ، فى البحرين الأحمر والأبيض ، ثائرة التجـــار المسلمين «تجار الكارم» ، والتجار الأوروبيين ، فاندفع ، كل فى ميدان نشاطه ، إلى حماية مصالحها التجارية . ويعنينـــا الآن أن نشير إلى أن اهتمام الأوروبيين أخذ يتجه منذ هذه اللحظة ، إلى تقويض هذه السياسة الاحتكارية التى اتبعهـــا خلفاؤه من بعده ، وذلك عن طريق التحالف مع الحبشة للقيام بهجوم مشترك ضد الدولة المملوكية ، أو بالبحث جدياً فى كيفية الوصول إلى الهند . وتنبه برسباى إلى هذه الأخطار بعد أن اكتشف تآمر إسحاق ملك الحبشة مع ألفونسو الخامس ملك أراجون بعد عودة رسلها من «بلنسية» ومرورهم بالقاهرة فى جمادى الأول ٨٣٢ هـ فبراير ١٤٢٩ م . وبعد أن وقع فى قبضة السلطات المصرية بجدة ، أحد التجار البنادقة ، « نيقولا دى كونتى Nicolas di Conti » فى طريق عودته من الهند ، ولم ينج نيقولا وزوجته من القتل إلا بفضل اعتناقهما الإسلام . وفى عهد السلطان جقمق ،

قبض على البرتو دى سرتانو Alberto di Sartano «رسول البابا أيوجين الرابع إلى ملك الحبشة .

والذلك اتجه برسباى إلى التشدد فى حظر دخول الأوروبيين ؛ رحالة وتجاراً وقصاداً ، منطقة البحر الأحمر ، وهو المبدأ الذى قرر من قبل أيام صلاح الدين الأيوبى بسبب المشروعات الصليبية التى قام بها « البرنس أرناط » فى خليج العقبة وفى البحر الأحمر . إلا أن برسباى وسلاطين المماليك من بعده وجهوا عنايتهم فقط إلى مراقبة الموانىء التى تركز بها النشاط التجارى فى هذه الفترة ، وهى : السويس ، والطور ، وجدة ، وأهملوا مراقبة موانئ الشواطئ الغربية للبحر الأحمر ، وهكذا أتيحت الفرصة للأوروبيين لمواصلة خططهم ومؤامراتهم ضد الدولة المملوكية ، واتخذوا من مكان ميناء» عيذاب» ، الذى أهمل بسبب الأحداث الأخيرة ، نقطة هامة يتسترون بها .

ويذكر لنا التاريخ من هؤلاء : « بدروكوفلهام »و « الفونسو ذى بايفا » رسولى ملك البرتغال إلى ملك الحبشة حوالى سنة ١٤٨٧ م« ، وسانتو ستيفانو » أحد التجار الجنوبين الذى تمكن من الوصول إلى ميناء « كنبايه» بالهند سنة ١٤٩٠ م ، وأيضاً « فريدوسى » الذى وضع سنة ١٤٩٩ م خريطة جغرافية ، ظهر عليها مكان مدينة عيذاب .

وزال اهتمام الأوروبيين بمكان عيذاب ، بعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح ، ووصول البرتغاليين إلى شواطىء الهند . وهذا مما أدى إلى ضياع معالم هذا المكان بمرور الزمن .

وعندماقام «دون جوان دى كاسترو» البرتغالى برحلته إلى البحر الأحمر سنة ١٥٤١ ، زار موانىء البحر الأحمر : زيلع ، وسواكن ، والقصير ، والسويس ، والطور ، وجدة . وأما مكان« عيذاب »فلم يتعرف عليه إذ يبدو أن معالمه قد اندثرت . وأقلع مماليك على بك الكبير من القصير إلى جدة ، فى طريقهم إلى غزو الحجاز ، وهذا يثبت أن الأذهان قد انصرفت عن « عيذاب » .



كتاب الشهر

أفريقيا المعاصرة

قارة في مرحلة الانتقال

عرض وتلخيص الأستاذ فؤاد دوارة

« والتر والبانك » مؤلف هذا الكتاب هو أستاذ التاريخ بجامعة جنوب كاليفورنيا بالولايات المتحدة ، وهو يستهل مقدمة كتابه بالإشارة إلى ندوة اشترك فيها منذ ربع قرن تقريباً ؛ في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية . وكان من بين المتحدثين في هذه الندوة شاب إفريقي من « كينيا » يدعى « جومو كينياتا » ، وكانت آراؤه السياسية معتدلة اعتدال الأحوال في قارته الهادئة المستقرة وقتئذ .

ولكن الأيام الهادئة المعتدلة سرعان ما ولت إلى غير رجعة ، وأصبحت تلك القارة الإفريقية تغلي بالحركات التحررية الثورية ، وأصبح ذلك الشاب الإفريقي نفسه قائداً لحركة ثورية عنيفة ضد الاستعمار البريطاني في كينيا.

وحتى زمن قريب كان من الأمور الطبيعية المسلم بها تجاهل إفريقية في المجال الدولي ، وكانت الدول الكبرى المتمدينة تنظر إليها جميعاً على أنها قارة سوداء ساكنة لا خطر لها ، تعيش فيها قبائل متأخرة ذات عادات غريبة . وجميع المعلومات التي كانت معروفة عنها مستقاة من كتابات عدد قليل من المؤلفين الأوروبيين لا يزيد عددهم على أصابع اليدين ، ومعظمهم من الرحالة والمغامرين .

أما اليوم فقد قفزت هذه القارة السوداء الساكنة إلى معترك السياسة الدولية ، وبدأت تشارك فيه مشاركة

إيجابية ، وأصبحت لها كلمة مسموعة تحسب حسابها ، كما أصبحت أهميتها الاقتصادية والاستراتيجية تشغل جميع الدول الاستعمارية الغربية ، وكذلك الولايات المتحدة . ولم يستغرق هذا التحول العجيب في وضع إفريقيـــة إلا نحو عشر سنوات أو أكثر قليلا .

وهدف هذا الكتاب هو تقديم الحقائق البارزة في القصة الإفريقية ، وتوضيح تياراتها الرئيسية ، مع الاهتمام بصفة خاصة بالتطورات التي طرأت عليها خلال الخمسة عشر عاماً الماضية .

ولم يعرض الكتاب لشمال إفريقية ، لأنها — كما يقول مؤلفه — عربية الثقافة ، ولها صلات وثيقة قديمـــة بأوروبا وبالشرق الأوسط ؛ فموضوع الكتاب — على حد تعبير المؤلف — هو « إفريقية الحقيقية » ، أي هذا الجزء الهائل من القارة الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، والذي تسكنه شعوب زنجية .

وهذا الرأي في حاجة إلى مناقشة بلا ريب ؛ فشمال إفريقية أو الجزء العربي من إفريقية لا يمكن فصله من النواحي الجغرافية والتاريخية و الثقافية عن بقية أجزاء القارة ، وإذا كان سكان هذا الجزء من العرب حقاً ، وإذا كانوا قد أتيح لهم أن يسبقوا بقية سكان القارة في تطورهم الحضاري فإنهم مع ذلك إفريقيون ، ارتبطت بلادهم منذ أقدم العصور بأوثق الصلات مع بقية أجزاء القارة .

وإذا كان المؤلف يقرر في كتابه أن دول غرب أوروبا والولايات المتحدة قد بدأت تهتم بإفريقية أعظم الاهتمام في السنوات الأخيرة ، وتحسب حساباً كبيراً لاقتصادياتها وموقعهـــا الاستراتيجي ؛ مدفوعة في ذلك بأطماعها الاستعمارية المعروفة بطبيعة الحال ، فان دول شمالي القارة أولى بأن توجه أضعاف هذا الاهتمام إلى جاراتها الإفريقيات مدفوعة في ذلك بالمصالح والآمال والآلام المشتركة ، وأن تعمل على التعاون معها في حركاتها الجديدة التي بدأت تعم أماكن كثيرة .

مشكلات أربع :

إن تغيراً حاسما سريعاً يجتاح قلب القارة اليوم ؛ فمنذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى اليوم نمت القومية الإفريقية نمواً هائلا ، وظهر أول رئيس وزراء زنجي من قلب القارة في غانة ؛ يشهد « اتحاد جنوب إفريقية » اصطدامات خطيرة بين البيض والملونين ، وحدث في وسط إفريقية البريطانية تطور سياسي هام ؛ فقد تجمع الأوروبيون بعد خلافات كثيرة في شكل اتحاد روديسيا ونياسالاند . وفي كينيـــا البريطانية اليوم اضطرابات واحتكاكات دامية تقوم بها أكبر القبائل هناك .

ولما كانت معظم هذه المشكلات والتوترات موجودة في المنـــاطق البريطانية في إفريقية ، فإن الكتاب

يوجه أكبر جانب من عنايته إلى «إفريقية البريطانية» كما يسميها !

ويمكن تبسيط أهم المشكلات المعقدة المتشابكة المتعددة الوجوه التى تلف إفريقية المعاصرة فى هذه المشكلات :

أولا : أصبحت إفريقية اليوم المأوى الأخير للاستعمار ، وتجرى فى كثير من مناطقها الآن « تصفية » سريعة لهذا النظام الاستغلالى العتيق ، وتتولى الحكم حكومات ذاتية أقل خبرة ومراناً فى شئون الحكم ، من الحكومات التى اضطلعت بالحكم فى أقطار آسيا — كالهند والفليبين مثلا — عند « تصفية » الاستعمار .

فماذا سيحدث فى المستقبل ؟ هل يستطيع هؤلاء الأفراد حديثو العهد بالحرية أن ينهضوا بمسئولياتهم كاملة فى ظل نظم مستقرة وطيدة الأركان ، أو سيفشلون فى محاولتهم فتضطر سلطات الاستعمار إلى التدخل لفرض سيطرتها من جديد ؟!

ثانياً : من أهم مشكلات إفريقية الآن مشكلة « المجتمع غير المتجانس » ، وقد شرح الدكتور « فورنيفال » مبتكر هذا الاصطلاح ما يقصده بهذا المجتمع بقوله :

« إنه المجتمع المكون من عنصرين أو نظامين اجتماعيين يعيشان جنباً إلى جنب ، دون أن يمتزجا فى كيان سياسى »

وفى شرق إفريقية ، ووسطها ، وجنوبها يعيش الآن أناس مختلفو الألوان ، مختلفو العناصر ، ومن الضرورى التوصل إلى الطرق والأساليب تمكن الأوروبيين والإفريقيين والهنود من أن يعيشوا فى انسجام وتفاهم فى مجتمع واحد . فافريقيـــة تعتبر من هذه الناحية حقلا نموذجياً لمشكلة من أعقد مشكلات العالم المعاصر ؛ هى مشكلة العلاقة بين الأجناس المختلفة .

ثالثـــاً : وتشترك إفريقية فى هذه المشكلة الثالثة مع معظم أقطار الشرق الأوسط وآسيا بصفة عامة ، وتتمثل هذه المشكلة فى الأخطار والآلام الناجمة عن تأخر استغلال ثرواتها الطبيعية من ناحية ، وسوء استهلاك المستغل منها من الناحية الأخرى ؛ فيجب إدخال وسائل الزراعة الحديثة فى القارة لتتمكن من مواجهة الزيادة الكبيرة فى السكان ، ويجب كذلك أن تزداد إيرادات الحكومات لتتمكن من التوسع فى التعليم ، وتقدم التسهيلات الصحية العامة . ولن تستطيع الحكومات الذاتية — التى كونت أو التى ينتظر أن تتكون قريباً — النجاح فى مهمتها ، دون أن يحصل السكان على قدر معقول من التعليم والرفاهية الاقتصادية ، ودون توفير الرعاية الصحية الضرورية لهم ، بل ستفشل هذه الحكومات فشلا ذريعاً ؛ قبل أن توفق إلى تحقيق الاستقلال لبلادها .

رابعاً : مشكلة تقبل الإفريقيين للحضارة والتقاليد الغربية ، وما تشمله من نظم وقوانين ، ثم التناقض القائم

بين هذه الحضارة الغربية ومُثُلها ، وبين العادات والتقاليد البقلية التى تسيطر على معظم سكان القارة . هل سيقبل المواطن الإفريقى أن يهجر كل عاداته وأساليب حياته القديمة هجراً تاماً ليستبدل بها عادات الرجل الأبيض وتقاليده ؟ وهل سيتم ذلك بسهولة ؟ ! وهل سيستطيع الإفريقى من الناحية الأخرى أن يعمل ويختلط بالأوروبيين ويعاشرهم ، ويظل محتفظاً مع ذلك بأسلوب حياته الخاص ؟ وإذا كان على الإفريقى أن يفقد كل صلة بتقاليده القديمة التى تجعل لحياته معنى ، دون أن يستطيع فى الوقت نفسه تمثل حضارة الغرب الغريبة عنه ، فمعنى ذلك أنه سيصبح إنساناً ضائعاً بين عالمين لا يمكنه أن ينتمى انتماء كاملا إلى أى منهما .

حقائق جوهرية :

إن إفريقية تعتبر الثانية بين قارات العالم من حيث المساحة ؛ إذ تبلغ مساحتها أكثر من ١١,٥٣٠,٠٠٠ ميل مربع ، أى أن مساحتها ثلاثة أمثال مساحة أوروبا ، وهى تمتد خمسة آلاف ميل من الشمال إلى الجنوب ، وأربعة آلاف وستمائة ميل من الشرق إلى الغرب ، وعدد سكانها جنـــوب الصحراء يزيد عن مائة وعشرين مليون نسمة ، يعيشون جميعاً — باستثناء اثنى عشر مليوناً ؛ هم سكان اتحـــاد جنوب إفريقية المستقل — فى ظل نظام استعمارى موزع بين أربع دول هى : بريطانيا ؛ وتضم مستعمراتها سبعة وخمسين مليون نسمة . وفرنسا ؛ وتضم مستعمراتها تسعة وعشرين مليون نسمة ، بينما تشمل مستعمرات بلجيكا أحد عشر مليون نسمة ، والبرتغال تسعة ملايين ونصف مليون نسمة .

ومن بين سكان إفريقية ثلاثة ملايين فقط من أهل أوروبا الغربية ، يضاف إليهم ٧٥٠,٠٠٠ هندى ، وأقليات أخرى صغيرة من العرب واليونانيين والسوريين وغيرهم . ويتركز معظم السكان غير الإفريقيين فى إفريقية الفرنسية الغربية ، وفى كينيا البريطانية ، والكنغو البلجيكية .

وبالرغم مما هو معروف عن تأخر الإفريقيين ، وخلو تاريخهم من أية حضارة قديمة إلا أنهم لا ينتمون إلى جنس أقل سمواً أو ذكاء من بقية الأجناس ؛ كما شاع فى وقت من الأوقات ، فقد أثبتت بحوث علماء « الأنثروبولوجيا » وخبراء الاستعمار أن الإفريقى يتمتع بعبقرية فنية ، وبصفات كثيرة ممتازة من أبرزها صدق العاطفة ، وحبه الشديد للمرح ، كما كشفت اختبارات الذكاء التى أجريت على الإفريقيين أنهم لا يقلون ذكاء عن الأوروبيين أو عن أى جنس آخر .

إفريقية فى المجال الدولى :

ومنذ الحرب العالمية الأخيرة أصبحت إفريقية عنصراً جديداً هاماً فى السياسة الدولية ؛ فالفقر الذى خلفته هذه الحرب فى غربى أوروبا ، وما كان من نضوب مواردها الاقتصادية ، بعد فقدها الكثير من مستعمراتها فى آسيا ؛ جعل الأوروبيين يلجأون إلى إفريقية باعتبارها حلا جزئياً ، على أقل تقدير ، لمشكلاتهم الاقتصادية المتفاقمة . فزادت تجارة أوروبا مع إفريقية الزنجية ، وأصبحت إفريقية تبعاً لذلك ميداناً كبيراً لاستغلال رأس المال الأوروبى ، وللاستفادة من خبرة الكثيرين من الأوروبيين ، كما قللت من تفاقم مشكلة العملة الصعبة ، وخاصة بعد نقص رصيد أوروبا من الدولارات ، وفتحت كذلك أمام أوروبا مورداً هائلا للمواد الخام ، ومساحة كبيرة من الأرض تصلح لاستيطان الزائدين من سكانها .

وليس الأوروبيون هم الذين يهتمون وحدهم بافريقية الآن ؛ وإنما بدأ الأمريكيون يشاركونهم هذا الاهتمام . ومع أن علاقات الولايات المتحدة بإفريقية ترجع إلى أوائل القرن التاسع عشر إلا أنها لم تتوثق ، ولم تتخذ شكلا جدياً إلا منذ عشر سنوات تقريباً ؛ أما قبل ذلك فتكاد تكون مقصورة على نشاط هواة الصيد فى الغابات والأنهار ، وعلى بعض التجار فى هذا القطر أو ذاك ، واهتم الأمريكيون كذلك بنشاط بعثات التبشير ، وأيدوا قيام جمهورية ليبيريا الصغيرة .

وأثناء الحرب العالمية الثانية قامت إفريقية بدور حيوى فى المجهود الحربى الأمريكى . وازدحمت موانيها — مثل « فريتون » و « رأس الرجاء الصالح » و « ممباسا » — بالسفن التجارية الأمريكية المحملة بالجنود والعتاد الحربى والمؤن المرسلة إلى جميع ميادين القتال فى الشرق الأوسط ، كما أنشئت عدة مطارات جديدة فى مختلف أنحاء القارة لتستقبل آلاف الطائرات بين الشرق والغرب ، ووضح بعد ذلك ازدياد اهتمام الولايات المتحدة بإفريقيـة حينما أنشأت وزارة الخارجية الأمريكية قسما خاصاً للعلاقات الإفريقية .

وازدادت أهمية إفريقية فى نظر الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب العالمية الأخيرة ، وخاصة بعد أن بدأت الحرب الباردة بين المعسكرين الغربى والشرقى ؛ إذ كان من الواضح أن هذه القارة الكبيرة ، بمواردها الغنية وموقعها الاستراتيجى الهام ، تستطيع القيـام بدور إيجابى للدفاع عن « العالم الحر » ، كما يمكن فى حالة توقف الملاحة فى البحر الأبيض نقل الرجال والعتاد عن طريق الجو عبر القارة ، أو بالطريق البحرى حول سواحلها إلى المحيط الهندى .

وبالإضافة إلى هذه الأهمية الدفاعية

الاستراتيجية أصبحت إفريقية مورداً هاماً للمواد الخام ؛ فهى تقدم الآن للعالم الغربى هذه النسب من احتياجاته لهذه المواد الهامة :

٩٩٪ من الجواهر ، و ٨١٪ من الكوبالت ، و ٥٩٪ من الذهب الخام ، و ٤٠٪ من الكروم ، و ٣٦٪ من المنجنيز ، و ٢٧٪ من النحـــاس ، و ٤٢٪ من الأنتيموان .

والولايات المتحدة وحدها تستورد من إفريقية هذه النسب من احتياجاتها :

٩٧٪ من الذهب الخام ، و ٨١٪ من زيت النخيل ، و ٦٨٪ من الكوبالت و ٥٢٪ من الماس الصناعى ، و ٢٣٪ من المنجنيز .

بالإضافة إلى نسبة كبيرة من معدن اليورانيوم الضرورى لصنع الأسلحة الذرية ، وليست هناك إحصائية دقيقة عن كمية اليورانيوم التى تستوردها الولايات المتحدة من إفريقية ؛ وإن كان المعروف أن الكنغو البلجيكية تستخرج وحدها أكبر نسبة معروفة فى العالم من هذا المعدن النفيس .

وبعد أن يورد الكاتب الأمريكى هذه الحقائق الهامة عن إفريقية يقول :

« ... وبالإضافة إلى معاوناتنا التقليدية الكثيرة للقارة فى مختلف الميادين الإنسانية ، كالتعليم والبعثات التبشيرية والخدمات الطبية ، فإن الولايات المتحدة تهتم بافريقية كذلك لأسباب تتعلق بمصالحها القومية ؛ فمن الأهمية بمكان أن تظل تلك القارة الناهضة على علاقات ود وصداقة مع العالم الحر ، وأن تظل مواردها الخام التى لا يمكن الاستغناء عنها ، ومناطقها ذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة فى متناول أيدينا .

وفى هذه الأيام يجتاح جموع الإفريقيين القلقين فى جنوب الصحراء مد قومى هائل ، ورغبة ملحة فى التحرر . ومن الواضح أن الولايات المتحدة — بحسب تقاليدها المتوارثة تؤيد هذا الاتجاه نحو حرية تقرير المصير ، وإن كان من الواضح أيضاً أن حركات التحرر فى إفريقية تسير بخطوات أسرع مما يجب ، ففى مثل عالمنا المعاصر المعقد لا بد من إعداد الشعوب أولا ، وتدريبها على احتمال المسئوليات القومية ، وإلا عجزت حكوماتها عن النهوض بأعباء الحكم الذاتى والتحرر ، ونتج عن ذلك عدم استقرار الأوضاع فى البلاد ، الأمر الذى قد يغرى بالاعتداء عليها ، ويعوق تقدمها الاقتصادى .

وبعد أن يبحث الكاتب بعض المشكلات الإفريقية ينتهى إلى هذه النتيجة :

« أن مشكلات الفقر والجهل والخرافات والأمراض المزمنة المتفشية فى إفريقية لن يمكن علاجها دون الاستعانة برءوس أموال ضخمة ، ومهارات فنية كثيرة لا سبيل للحصول عليها إلا من أوروبا ، أو من الولايات المتحدة » .

يقظة إفريقية :

وواضح أن هذه الآراء تمثل وجهة نظر السياسة الأمريكية التى تهدف إلى بسط نفوذ الولايات المتحدة على بقاع كثيرة من العالم . وخاصة فى الأقطار المتخلفة اقتصادياً وحضارياً كمعظم أجزاء القارة الإفريقية . وتستهدف هذه السياسة أيضاً وراثة الاستعمار الأوروبى المنهار فى الأقطار التى بدأت تجاهد للقضاء عليه . ولنيل حريتها كاملة غير منقوصة . وكنا نود لو ارتفع مؤلف الكتاب — وهو أستاذ جامعى كبير — إلى المستوى العلمى المحايد فى عرضه لمشكلات إفريقية المعاصرة ، وابتعد عن تيارات السياسة الاستعمارية التى تمثل رجال المال الأمريكيين . ولقد أصبحت هذه السياسة معروفة واضحة المعالم فى أذهان العالم كله ، فلم تعد فى حاجة إلى مناقشة أو تفنيد ، وإن حركة الوعى القومى التى تعم القارة السوداء اليوم لهى أنضج من أن تجاهد للتخلص من براثن الاستعمار الأوروبى القديم ، لتقع فى براثن استعمار أمريكى جديد .

ولو قلبنا صفحات الكتاب بعد ذلك لوجدنا سطوراً تؤيد هذه الحقيقة ، فالمؤلف يقول قرب خاتمة كتابه :

« إن جولة واحـــدة فى أرجاء إفريقية الرئيسية من « داكار » إلى « نيروبى » ، ومن « كامبالا » إلى « جوهانسبرج » لكافية لكى تقدم دليلا واضحاً على صدق ما نسميه اليوم باليقظة الإفريقية ؛ ففى كل مكان نلمس روح التغير ومظاهره فى شتى النواحى السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ومن المعروف أن التغيرات السريعة تنتج دائماً التوترات ، وتبعث المخاوف والشكوك . وتثير الكثير من مظاهر الظلم والعدوان . وهذه بدورها تنتج الاحتكاكات ، والمصادمات بين مختلف القيم والأفكار .

« والمعروف أن الأمريكيين لم يترددوا دائماً فى نقد الاستعمار بصفة عامة . وهم لا يترددون اليوم فى نقد الاستعمار فى إفريقية بالذات ، وفى رأينا أن حرية تقرير المصير ، ومنح الاستقلال لجميع الشعوب فوراً هما الطريق الوحيد؛ لإزالة أسباب النزاع والاضطرابات التى تسود شمالى إفريقية اليوم ، ولتجنب وقوعهـــا فى بقية أجزاء القارة » .

ونحن نتمنى أن يكون الكاتب صادقاً فى التعبير عن وجهة النظر الأمريكية حقاً فى هذه العبارات الأخيرة ، وألا يكون حديثـــه من نوع الرماد الذى كثيراً ما يثار لإخفاء الحقائق .

وبعد ، فاقد سميت إفريقية فى أكثر من مناسبة « قارة الغد » لما تحمله أرضها من إمكانيات هائلة لم تستغل بعد ، ولما ينتظرها من مستقبل كبير لا بد أن يتحقق مع حركات التحرر

القوية التى بدأت تشملها من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب ، وإذا كان مؤلف هذا الكتاب يرى أن التعقيد الذى يسود مشكلات القارة الآن ويسمها بميسمه ؛ سيظل متحكماً فى مستقبلها إلى وقت طويل مقبل ، فإنه يدعونا فى الوقت نفسه إلى نبذ التشاؤم ونحن نتطلع إلى مستقبل القارة ، فمثل هذا التشاؤم يمكن تصحيحه برسم بيــانى صغير يوضح لنا أن الإفريقيين استطاعوا فى أقل من خمسين عاماً أن يجتازوا الهوة العميقة الفاصلة بين أكلة لحوم البشر وبين التصنيع الحديث . فالكنغو مثلا لم تكد تتعرض لتأثير الحضارة الغربية — منذ نصف قرن — حتى أصبح الكثيرون من أهلها اليوم يعملون فى المناجم ، وينتجون اليورانيوم للعصر الذرى . ومن اليسير أن نلتقى اليوم فى كل بلاد إفريقية تقريباً بأطباء ومهندسين ومحامين من الوطنيين على درجة كبيرة من الثقافة والوعى ، مع أن آباءهم كانوا يعيشون فى قرى بدائية مهجورة ؛ لا تكاد تعرف شيئاً عن حضارة الغرب .

وإذا كانت هذه التغيرات المذهلة قد حدثت فى أقل من خمسين عاماً ، فمعنى هذا أن خمسين عاماً أخرى ، على أكثر تقدير ، كافية لتصفية المشكلات التى تعانى منها القارة الآن ، ولإزالة العقبات من طريق تحررها ، فلا تلبث إفريقية حتى تصبح إحدى قارات العالم العظمى ، بعد أن تتحرر من كل آثار النفوذ الأجنبى والاستغلال الأوروبى والأمريكى على السواء .

وإن جيلنا ليشهد اليوم طلائع هذا الأمل المشرق ممثلة فى حركات التحرر الكثيرة التى تنتشر فى إفريقية ، وفى الدور الإيجابى الكبير الذى تقوم به الجمهورية العربية المتحدة فى المجال الدولى ، وفى الدفاع عن القضايا الإفريقية العادلة ، وإن مؤتمر التضامن الإفريقى الآسيوى ، ومؤتمر أكرا ، وما دار فيهما من مناقشات واعية لمختلف المشكلات الإفريقية ، وما أسفرا عنه من قرارات هامة تهدف إلى « تصفية » الاستعمار ، ومعاونة الشعوب الإفريقية فى جهادها فى سبيل التحرر ، ووجوب التعاون بين الدول الإفريقية المختلفة ؛ كل ذلك ليس سوى خطوات أولى ستتلوها خطوات كثيرة ولا ريب على الطريق نحو إفريقية العظيمــة المتحررة ! ولنقل بعد ذلك مع الدكتور نكرومه رئيس وزراء غانه :

« إن إفريقية قد استيقظت ، وستتحمل مسئولياتها ، وتمــارس حقوقها ، ولن تموت فى خزى ؛ بل ستعيش فى كرامة ! »

dû parfois s'opposer aux truquages électoraux tentés par le gouvernement français et ses valets autochtones lors des élections togolaises en Avril dernier. Autant d'indices qui promettent de la délégation un sérieux effort de compréhension pour la cause Kamerunaise, et de rapprochement avec le monde négro-africain. M. Salomon, se permettra-t-il de trahir des espoirs aussi féconds pour lui-même et pour son pays?

Au premier abord, la délégation New-Zélandaise apparaît comme un satellite naturel de l'Impérialisme anglo-saxon. Et pour cause! Cependant, c'est M. Throp en personne qui, au Conseil de Tutelle, a soutenu une thèse juste mais radicalement opposée à celle des puissances administrantes. Malgré les réformettes imposées au peuple Kamerunais, M. Thorp estime avec raison que « la responsabilité du Conseil quant à la surveillance de tous les aspects de l'administration du territoire sous tutelle demeure officiellement inchangée ». Bien sûr on peut « surveiller tous les aspects » dans une perspective impérialiste. Mais nous devons rappeler ici que la délégation New-Zélandaise à la conférence de Stockholm (Juillet 1958) a fortement appuyé la résolution votée à l'unanimité et demandant au monde entier d'aider l'UPC par tous les moyens et d'œuvrer pour la négociation immédiate entre elle et les puissances administrantes.

QUE FAIRE ?

En définitive, si les tâches de la mission de visite sont très claires et très urgentes leurs chances de réalisation semblent assez réduites en raison de la composition même de la mission. Et pourtant il faut absolument qu'elle se conforme à la lettre et à l'esprit de la Charte des Nations-Unis; sans celà, elle préparerait l'instauration à bref délai d'un régime absolument hostile aux légitimes aspirations du peuple Kamerunais; et ce dernier n'en souffrirait pas tout seul, car décidés à se cramponner en Afrique Noire, les impérialistes se hâteraient sûrement de signer avec leurs agents irrégulièrement installés au pouvoir, de prétendus accords économiques et militaires, instruments d'agression et de contre-révolution au moins aussi dangereux que le pacte de Bagdad. Si nous devons faire confiance au peuple Kamerunais pour rappeler constamment la mission à son devoir sacré, les peuples du monde entier et plus particulièrement agro-asiatiques doivent eux aussi lutter dans le même sens, notamment par des messages et des pétitions au Secrétaire Général des Nations-Unies, à la mission et au gouvernement que représentent ses membres. Et, c'est dès maintenant que chacun doit concrètement prendre ses responsabilités car demain il sera trop tard...

litions agressives rendent cet intérêt de plus en plus évident. En plus de la conscience de cet intérêt réel, d'autres raisons permettent-elles d'espérer des trois délégués un minimum d'honnêteté ?

Pour l'Inde, un des grands leaders de Bandoeng et du Caire, la question ne devrait même pas se poser. En plus des principes qu'elle a défendus durant ces conférences, en plus de la résolution qu'elle a votée au Caire d'aider l'UPC par tous les moyens, l'Inde lutte jusqu'à présent pour son unité nationale entravée par des siècles de domination étrangères. L'Inde est donc toute indiquée pour recommander les bonnes méthodes dont nous parlions plus haut, à commencer par la réception des pétitionnaires nationalistes. D'autant plus que son représentant s'est opposé à la violation du droit de pétition précédemment mentionné et que c'est M. Jaïpal lui-même qui a déclaré au Conseil de Tutelle : « En ce qui con-
« cerne la décision du gouverne-
« ment de dissoudre les trois
« partis politiques (UPC, UDE-
« FEC et JDC), il convient de
« tenir compte de certains faits
« importants : premièrement,
« l'UPC n'avait aucun plan ar-
« rêté de révolte pour prendre
« le pouvoir... Il aurait été plus
« satisfaisant que les autorités
« procèdent à la dissolution du
« parti en se fondant sur les re-
« commandations d'une Commis-
« sion d'enquête présidée par un
« Magistrat... La loi de 1936 qui
« prévoit la dissolution d'un parti
« politique est périmée... sur-
« tout si elle doit s'appliquer à
« un territoire soumis au régime
« international de tutelle », Doc. T/C, 2/S.R. 319 du 8.12.1956... Malgré ces déclarations et les constatations précédentes, on a de sérieuses raisons de se demander si certains responsables de la politique indienne ne croient pas devoir rester « neutres » entre les colonialistes et leurs innocentes victimes. De toute façon, le problème Kamerunais demeure un test crucial de l'anti-colonialisme de l'Inde et de sa volonté de travailler effectivement à satisfaire les légitimes aspirations de tous les peuples afro-asiatiques...

Quant à Haïti, depuis 1956 la République nègre d'outre-Atlantique a fermement condamné le travail de la Mission de Visite de 1955 précidée justement par M. Dorsinville, ambassadeur de Haïti : « Il est regrettable dé-
« clarait M. Séraphin, que la der-
« nière mission de visite n'ait
« pas été à même de mener sur
« place une enquête approfon-
« die sur les incidents, en enten-
« dant toutes les parties inté-
« ressées... » En outre, le Recteur Price, actuellement Ambassadeur de Haïti en France, a joué un rôle très remarqué au Congrès des Ecrivains et Artistes Noirs réuni à Paris en 1956. Enfin, même M. Dorsinville a

Celui-là même qui, au Conseil de Tutelle de Mars 1957, a demandé au gouvernement anglais de ment de cet excès de zèle au service direct des impérialistes franco-britanniques qui, dans le monde peut encore croire à la détermination des USA de se conformer à la Charte de l'ONU et aux aspirations populaires ? N'occupent-ils pas actuellement le Liban pour essayer d'imposer au peuple Libanais et aux autres pays Arabes des dirigeants et une politique absolument impopulaire? C'est exactement la même attitude qu'ils ont toujours adoptée à l'égard du peuple Kamerunais non seulement comme membre des précédentes missions de Visite, mais encore dans tous les débats au sein des Nations-Unies. Au dernier Conseil de Tutelle, ils ont réussi avec leurs complices anglais et français à former une majorité qui a refusé le droit de pétition à l'UPC, sous prétexte qu'elle est dissoute.

En violation flagrante de l'art. 87 de la Charte et de la pratique constante de l'Assemblée Générale des Nations-Unies, ainsi que nous l'avons signalé plus haut. C'est que justement les leaders des impérialistes voulaient se donner un précédent pour repousser pétitionnaires et pétitions nationalistes durant cette mission de visite. Or depuis cette session du Conseil de Tutelle, la Révolution irakienne a anéanti le terrible Pacte de Bagdad et d'autre part, le gouvernement ultra-colonialiste de M. De Gaulle s'est constitué en France. Profondément irrités par ce cuisant échec mais aussi renforcés par l'immense prestige de M. De Gaulle, les impérialistes entendent maintenant se replier en Afrique Noire : ils veulent à tout prix s'y assurer des bases d'agression au moins aussi fortes que celle d'Iraq contre les peuples afro-asiatiques. Voilà pourquoi le leader « du Monde Libre » a lui-même pris la tête de la mission de visite pour mieux préparer, dans le cadre de l'ONU, l'installation de régimes-croupions, d'abord au Kamerun où la lutte est actuellement la plus avancée, puis dans le reste de l'Afrique Tropicale...

A propos des autres délégations, la première question consiste à savoir dans quelle mesure elles pourront résister aux pressions de la Trinité Impérialiste (USA - Royaume-Uni - France). Il est bien clair que les pays sous-développés comme l'Inde, les jeunes ou petites nations comme Haïti et la Nouvelle-Zélande n'ont aucune place dans les constellations impérialistes où elles servent toujours de pions, d'instruments et d'objets d'exploitation... L'intérêt de tous ces pays, c'est de former un Front Commun seul capable d'assurer et de consolider leur indépendance totale. Heureusement, l'effondrement des pactes militaires et la défaite des coa-

troupes et leur remplacement si nécessaire par une force de police internationale; en même temps, abrogation des décrets scélérats qui ont prétendu dissoudre l'UPC, libertés de presse, de réunion, d'association, etc...,

b) référendum simultané dans les deux zônes comme tout le monde le demande pour l'Allemagne, la Corée et le Vietnam,

c) entièrement contrôlé par une commission des Nations-Unies suffisamment nombreuse et surtout largement représentative des peuples afro-asiatiques qui englobent les 3/5 de l'Humanité,

d) portant sur cette seule question: « Etes-vous pour ou contre la Réunification et l'Indépendance Immédiates »? Car aussi bien les gouvernements anglais et français que le Conseil de Tutelle lui-même ont déjà reconnu l'option des Kamerunais à l'Unité et à l'Indépendance nationales.

Voilà, en quelques mots, le travail que la prochaine mission de visite devrait accomplir et préparer. Malheureusement, jusqu'ici, la majorité réactionnaire du Conseil de Tutelle attribue « l'agitation » au fait que l'UPC recourt à la résistance armée contre l'oppression impérialiste. Pourtant une telle résistance est érigée en droit par la Déclaration Universelle des Droits de l'Homme signée par tous les gouvernements membres de l'ONU. Pourtant Gandhi lui-même déclarait: « Si je jréfère « la non-violence à la violence, « j'aime encore mieux la liberté « avec la violence que l'esclava- « ge avec la non-violence ». Pourtant les colonialistes français se sont publiquement vantés à l'ONU d'avoir envoyé des rencrer des populations sous tutelle des Nations-Unies. Et depuis, ils ne font que continuer à transformer les villages en prisons militairement gardés et une bonne fraction du territoire en véritable charnière. Pourtant des pays comme les USA, Haïti et même l'Inde ont dû et à plusieurs reprises immoler beaucoup de leurs enfants sur l'autel du dieu indépendance. Et certains de leurs dirigeants osent exiger que le peuple Kamerunais, lui, se laisse massacrer!! Aussi bien la Mission, au lieu de partir en Juin comme prévu initialement, a-t-elle décidé de partir quatre mois plus tard pour laisser aux colonialistes le temps de rétablir la paix par la terreur et la mort.

Autant de raisons qui jettent des doutes sérieux sur l'ensemble même de la mission. A ces raisons générales, s'ajoutent encore des motifs d'inquiètude propres à chaque délégation.

DELEGATION U.S.A.

C'est leur représentant, Mr. Gerig, qui assume la présidence.

ment 50.000 patriotes sur une population de 3.500.000 habitants. Les sévices et les tortures barbares érigés en système dans ces lieux de séjour forcé ont été vigoureusement dénoncés dans une de nos récentes brochures. L.UPC, une fois de plus, invite le monde entier, et plus spécialement la Croix-Rouge Internationale, la Ligue des Droits de l'Homme et les Nations Unies à envoyer sur place de multiples commissions d'enquête. Et d'après la résolution de l'Assemblée Générale des Nations-Unies, sessions de décembre 1957, la prochaine mission doit précisément se préoccuper des problèmes que pose le recours à la force armée dans ce territoire sous tutelle. Ce qui implique l'inspection de toutes les localités notamment de celles signalées par les autochtones, ensuite et surtout l'audition de tous les pétitionnaires sans exception. En effet la même résolution recommande aussi de se préoccuper des questions soulevées par les pétitionnaires sans aucune distinction ; or parmi ces pétitionnaires figurait en personne le Président même de l'UPC. La mission doit donc recevoir les pétitions et pétitionnaires de cette organisation, à l'exemple de l'Assemblée Générale elle-même et sur la base de l'art. 87 de la Charte. Ce qui oblige les Commissaires des Nations-Unies à s'enquérir minutieusement des aspirations de toutes les populations relativement à la Réunification et à l'Indépendance Immédiates. Car aux termes de l'art. 76/b de la Charte, ce sont les aspirations populaires qui seules doivent entrer en ligne de compte. Pour tout résumer par l'excellente phrase de M. Mitra, représentant de l'Inde au dernier Conseil de Tutelle : " Il serait extrêmement bon que la mission de visite qui se rendra prochainement au Territoire, examine la situation de près et recommande les méthodes propres non seulement à rétablir le calme, mais à supprimer les causes d'agitation. « cf. Doc. N.U. T/PV 870, p. 32 ».

Manifestement, « la cause d'agitation » réside dans l'opposition des impérialistes à la Réunification et à l'Indépendance du Kamerun. La méthode appropriée consiste donc à négocier immédiatement avec l'UPC comme l'ont préconisé à l'unanimité d'abord les huit Etats Africains indépendants durant leur conférence d'Accra, puis les Délégués à la Conférence de la Paix tenue récemment à Stockholm. Mais par esprit de conciliation, pour ménager l'amour-propre des gouvernements anglais et français qui ont arbitrairement dissous l'UPC, nous accepterions à la rigueur un référendum, pourvu qu'il soit parfaitement démocratique, c'est-à-dire :

a) précédé du rétablissement de toutes les libertés publiques. Ce qui implique le retrait des

Contre la Resurrection des Nouri El Saïd

par OSENDE AFANA

Représentant du Kamerun au Secrétariat Permanent de la Solidarité Afro-Asiatique au Caire.

Le Conseil de Tutelle des Nations-Unies envoie au Kamerun en octobre prochain une Mission de Visite composée de quatre membres :

M. Gerig, Président, représentant des U.S.A. ; M. Jaipal, représentant de l'Inde ; M. Salomon, représentant de Haïti et M. Thorp, représentant de Nouvelle-Zélande.

Les responsabilités de cette mission sont particulièrement lourdes en raison de la situation militaire qui prévaut dans ce territoire sous tutelle. Aussi se demande-t-on avec inquiétude si la mission ainsi composée s'acquittera vraiment bien de ses tâches ?

ET D'ABORD QUELLES SONT CES TACHES ?

Le Peuple Kamerunais veut à tout prix reconquérir immédiatement son unité et son indépendance nationales. Depuis le 25 Mai 1955, cette ferme détermination se traduit non seulement par des décisions et des manifestations pacifiques mais encore par une lutte armée particulièrement dure, sous la conduite de l'UPC qui, aux dires mêmes des impérialistes, représente 85% des Kamerunais. Effectivement ils participent tous à cette résistance armée, sans distinction d'aucune sorte. Ainsi, malgré la propagande colonialiste tendant à opposer Chrétiens aux Musulmans en présentant l'Islam comme une force réactionnaire, les Musulmans du Nord-Kamerun apportent à la lutte libératrice une contribution vraiment appréciable, notamment dans la personne d'un Hamam Selble, d'un Adji Bakary ou d'un Abd Ul-Bag'hi actuellement réfugié au Caire. Tous les Kamerunais ont en effet compris que sans l'indépendance et la Réunification, ils ne peuvcent être libres, heureux, ils ne peuvent même pas pratiquer leur religion, par exemple effectuer le pélerinage à la Mecque. Aussi servent-ils leur Dieu et leurs pays jusque dans les forêts, les prisons-cercueils et les camps de concentration : Jacques Ngom, agent notoire des impérialistes français a déclaré le 19 Juillet à la Conférence de Stockholm qu'à eux seuls les camps de concentration de la zône sous administration française renfer-



نهضة إفريقية
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز إسحق

تهدف هذه المجلة إلى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الإفريقى .

٢ ـ التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .

٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ـ الإفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الإمكان .

- ترحب «مجلة نهضة إفريقية» بالمقترحات والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها.

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك ـ القاهرة
تليفون المجلة : ٨٠٧٦٥٨ إقليم مصر .

ترسل اشتراكات المجلة إلى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويًّا : لمصر والسودان ٣٠ قرشاً .

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

يتميّز هذا العصر الذى نعيش فيه اليـــوم بأنه عصر الشعوب . عصر المواطن البسيط الذى يستطيع أن يباشر حياته بكل حريّة . وبكل حب ...

وأمام هذا الجانب المضىء الذى بدأ يعمّ العالم . ويقدّم الثقة فى كل البشر . أمام هذا بدأنا نسمع عن أخبـار « الاضطهاد العنصرى » خاصة ماوقع منه فى الآونة الأخيرة فى أمريكا وانجلترا .

ولسنا نعلق على هذه الظاهرة المخجلة إلا بهذه الأمواج الملاطمة من الاحتجاج من كل الشرفاء فى العالم ، فالعالم كله يؤمن « بوحدة الإنسانية » ، وبأن زهور الطمأنينة لابدّ أن تتفتح فى القلوب .. كل القلوب !!

... ومن هنا أخذ الملونون يكسبون فى كل يوم أرضاً جديدة . وقلوباً جديدة تقف معهم فى محنتهم . وتساندهم على طريق المحبة والسلام ! منشدة لهم بأن من حقهم أن يعيشوا ! وأن ينتجوا ! وأن يوقدوا مصابيح فى طريق الحياة ..

فالعالم اليوم محتاج إلى كل الجهود .. كل جهود الإنسان !!

« ع . ب . »

محتويات العدد الحادى عشر



لغة القارة الأفريقية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق



فى أحد أيام شهر مارس من العام الماضى وقف الدكتور كوامى نكرومه ، زعيم غانة ليخطب فى برلمان بلاده بمناسبة استقلالها ، فكان مما قاله : إنه يأسف إذ يخطب فى برلمان إفريقى بلغة أجنبية هى اللغة الإنجليزية، وإنه يتمنى أن يأتى اليوم الذى يخطب فيه الإفريقيون بلغة تنبع من هذه القارة ذات الأمجاد التليدة .

إن هـذا الخاطر الذى مر مروراً سريعاً بخاطر الزعيم الإفريقى ليدعو المثقفين العرب إلى تأملات عميقة ، لها جذورها الضاربة فى تربة التاريخ . ولها الآمال المرتجاة فى مستقبل الأيام. فإن اللغة العربية هى أقدم لغة حية فى هذه القارة المترامية الأطراف، وقد دخلت إلى الأطراف الشرقية من القارة قبل الإسـلام ، وتركت آثارها فى لغات الحبشة والصومال وزنجبار ، ثم غمرت أرجاء إفريقية مع الفرسان المسلمين ، وبعد ذلك على يدى علمائهم وفقهائهم الأولين وما إن توقف المد العربى حتى كانت العربية لغـة الأقطار الـكبرى شمال الصحراء ، وحتى تركت طابعها الواضح وبصماتها القوية ، على باقى الأقطار والأجناس .

وإننا لنرى اليوم فعلا على تخوم غانة وفى السنغال ونيجيريا والـكنغو البلجيكى ويوغندا

وتنجانيقا وكينيا وزنجبار مجموعة من اللهجات الإفريقية التى تطعمت باللغة العربيـة على مر العصور ، والتى يمـكن تنميتها وتطويرها وصقلها وتهذيبها بحيث تقترب من اللغة الأم اقترابا طبيعيًّا لا اعتساف فيه .

وإذا بدأنا بالساحل الإفريقى الغربى جنوب موريتانيا (وهى الجزء الجنوبى من المغرب العربى) وجدنا إقليم السنغال المسلم (الذى تزيد نسبة المسلمين فيه عن ٩٠ ٪) وعلى الرغم من أن أهل السنغال يتحدثون لغة محلية تختلف فى أصولها عن العربية ، إلا أن الإقليم تنتشر فيه كتاتيب تحفيظ القرآن الـكريم . ومع أن خطبة الجمعة تلقى فى المساجد باللغــة المحلية إلا أنها ـ أى الخطبة ـ مفعمـة فى الغالب ـ بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية . وكل هذا يجعل العربية مألوفة فى آذان القوم ، ويجعلهم يدركون معانى كثير جداً من الألفاظ ودلالاتها العربية وتراكيبها . وعلى امتداد تخوم السنغال الجنوبية تنتشر قبائل «الطوارق» وشعب «الهوسة» فى اتجاه نيجيريا وبحيرة تشاد . وقبائل « الطوارق » الرحالة لها أيضاً لهجتها الخاصة . ولـكن كل قبيلة منها معها « فقيهها » الذى يعلم أطفالها القرآن والحديث ، ومن هنا ينشأ الطوارق ، وعلى ألسنتهم أنغام متجمدة من العربية المثالية الفصحى ، وقد لا يدرك أحدهم دقائق معانيها إلا أن الألفاظ ماتزال على ألسنتهم «مبرعمة» تنتظر التفتح والازدهار .

أما « الهوسة » فإن لغتهم الخاصة ماهى فى الواقع إلا تحريف لألفاظ العربية ، وفى مدنهم الـكبيرة مثل « كانو » و « كادونا » تنتشر المدارس الأولية والابتدائية والإعدادية ، وفى تلك المدارس يحرص القوم على أن يتعلم التلاميذ اللغة العربية ، وقد اضطرت الإدارة المحلية الإنجليزية ، هناك (فى شمال نيجيريا) أن تستورد لتلك المدارس كتب القراءة الرشيدة وغيرها من كتب المطالعة المصرية . ومأأشبه « الهوسة » فى هذا المقام ببلاد النوبة المصرية فإن للقوم لغتهم الخاصة ، ولـكنهم يتعلمون منذ نعومة أظفارهم لغة العروبة ، ومنهم من يتقنها ويؤلف بها .

فإذا تجاوزنا نيجيريا الشمالية إلى الشرق ، وجدنا إقليم تشاد ، وهو إقليم عريق فى ثقافته الإسلامية العربية ذات الصبغة الـكلاسيكية ، ومن أهل هذا الإقليم كثير من علماء اللغة والدين الذين تركوا مؤلفات لها قيمتها فى الفقه والتفسير .

ويأتى بعد « تشاد » مع انحراف يسير إلى الجنوب مناطق السودان الجنوبى الشاسعة التى تقطنها قبائل « الدينـكا » « والشلوك » « والنوير » « والباريا » « والزاندى » . ولـكل من هذه القبائل « رطانتها » ولـكن

لغة التفاهم بينها جميعاً « رطانة عربية » تختفى فيها « حروف الحلق وخاصة العين والحاء » وتحدث انحرافات والتواءات شتى ، ولكن جوهر الكلام عربى يحتاج إلى جهد صادق لكى ينجلى عن عربية قد تماثل عربية المغرب الأقصى .

وإذا نظرنا — على الخريطة — إلى جنوب هذه المناطق وجدنا شريطاً بشرياً هائلا يمتد من المحيط الأطلسى — على تخوم غانة — ويخترق نيجيريا ، ويمر بشمال الكنغو البلجيكى ، ثم يطوى يوغنده وتنجانيقا وكينيا وزنجبار ، وهذا الشريط الذى يشمل قبائل وشعوبا ، متنوعة الأصول ، يرجعها بعض علماء الأجناس إلى أصل واحد يسمونه «البانتو» هذه المجموعة البشرية الهائلة تتكلم وتكتب لغة تعتبر فرعاً مباشراً من اللغة العربية وهى اللغة السواحلية . وهى فى مجموعها أقرب اللغات إلى « الرطانة العربية» فى السودان الجنوبى ، ولكنها تمتاز عن تلك الرطانة بأنها لغة مكتوبة متطورة فيها شعر ونثر وأغانى ، وكتب مطبوعة وجرائد سيارة مقروءة .

من هذه اللمحات العابرة يتبين لنا أن اللغة العربية التى « تأفرقت » منذ عشرات القرون يمكن من الناحية العملية ، وبجهود لا يمكن الغض من صعوبتها ، أن تصبح لغة التفاهم والثقافة والحضارة للأقاليم الإفريقية التى تقع شمال خط يمتد من سواحل غانة الجنوبية شرقا إلى نيجيريا والكنغو ويوغندة وكينيا وتنجانيقا ، وينحرف جنوبا إلى المناطق الشمالية من « موزمبيق » .

فما هى هذه الجهود التى يؤمل أن يؤدى إلى هذا الهدف التاريخى الكبير ؟ .. إن أول مرحلة تتمثل فى اتفاق الدول العربية على إنشاء جهاز ثقافى لنشر لغة الضاد فى أنحاء القارة الإفريقية وسوف يجد هذا الجهاز أن كل منطقة من المناطق تختلف فى ظروفها السياسية واللغوية بما يستدعى تنوع الخطط وأسلوب التنفيذ . ويمكن إجمال هذه الخطط فيما يلى :

(١) السنغال وامتداده شرقاً إلى حدود تشاد :

فى هذه المنطقة يستطيع المغرب العربى أن يمد الأهالى بالمعلمين وحفظة القرآن الكريم ، ومما له دلالة خاصة أن هذه المنطقة تجاور « شنقيط » التى كانت مصدر إشعاع لغوى إلى بلاد العروبة أجيالًا طوالًا .

(٢) فى غانة :

من الملاحظ أن شعب غانة يرحب ترحيباً عظيما بالثقافة العربية وبالدين الإسلامى . وهذا الإقليم من أروع الأمثلة على النظرة العاطفة إلى اللغة العربية ، وإلى الدين الإسلامى

وهناك يترك الأب لأبنائه حرية اعتناق الدين الذى يشاءونه ، وقد سبق أن جاء إلى مصر طلاب من غانة يعتنقون الإسلام وآباؤهم ، من كبار القوم ، يعتنقون الدين المسيحى .

(٣) فى نيجيريا :

إن القسم الشمالى من نيجيريا ، وهو القسم المسلم ، يمكن أن يكون بدء حركة التعريب إلى الجنوب . وهذا القسم الشمالى لم يحظ بالحكم الذاتى ، ولكن زعماءه الوطنيين متلهفون لنشر الثقافة العربية والإسلامية فى مدارس بلادهم . وقد جاء منذ سنة تقريباً رئيس وزراء هذا الإقليم ، وألح فى أن ترسل مصر إليهم أكبر عدد ممكن من المدرسين ، وأكبر كمية ممكنة من الكتب العربية ولكن أقرب الأقطار العربية على الطبيعة إلى نيجيريا هى ليبيا وفى الوسع أن يذهب إلى نيجيريا مدرسون ليبيون ممن تلقوا تعليمهم فى الأزهر ، إذ أن السلطة الحاكمة هناك لا تضع قيوداً على دخول أهل ليبيا إلى نيجيريا .

(٤) إقليم تشـــاد :

هــذا الإقليم تسود فيه الثقافة العربية القديمة ، ولكن به كثيراً من القبائل الرحالة التى لا تتكلم العربية وإن كانت تدرك معانى ألفاظها الدارجة ، وكثيراً من مصطلحاتها الدينية . وحدودها الصحراوية الشاسعة تجعل إرسال الكتب والمطبوعات من مصر والسودان الغربى على أكبر جانب من اليسر . أما عن المعلمين فإن الأزهر حافل بأبناء تشاد ، وكثير منهم له رغبة فى أن يعود إلى بلاده بعد أن يستكمل دراسته فيرفع راية اللغة والدين .

(٥) فى السودان الغربى والجنوبى :

إن دولة السودان الحديثة لتتلهف وتتطلع إلى تعريب تلك المناطق الشاسعة ، وما نظنها تتوانى عن التعاون مع أية هيئة ترمى إلى نشر اللغة العربية فى تلك الأنحاء .

(٦) فى مناطق السواحيلى :

هذه هى المرحلة الأخيرة لتحقيق هذا الحلم ، وهى تتوقف على تنفيذ المرحلة السابقة إذ يمكن إنشاء سلسلة من الكتاتيب و «الخلوات» ، ومعاهد تدريب المعلمين على امتداد حدود السودان الجنوبى الغربى والجنوبى حيث يمكن اجتذاب عدد لا يحصى من طلاب العلم المتلهفين الذين يتطلعون عبر الكنغو ويوغندة وتنجانيقا وكينيا ، ولا يمكن لأية سلطة حاكمة أن تصدهم عن العبور والالتحاق بمعاهد التعليم .

هــذا هو الحلم الذى نرى عناصره على الطبيعة والذى ينتظر تعاون الهيئات العلمية والجامعات والحكومات فى أرجاء العالم العربى فى المشرق والمغرب على السواء حتى يتبلور ، ويتألق فى أرجاء القارة العذراء .

على هامش النظرية العنصرية

الحاجز اللونى
وتطبيقاته السياسية فى أفريقية

للدكتور محمد رياض

— ١ —

تسود بريطانيا والولايات المتحدة اضطرابات عنصرية شديدة هذه الأيام . ولا شك أننا جميعاً قد قرأنا عن الاضطرابات التى وقعت فى لندن بين البيض والملونين ، وعن تأييد الحكم بإعدام الزنجى العجوز الذى سرق دولارا و ٩٥ سنتا من سيدة عجوز بيضاء فى الولايات المتحدة ، كما نقرأ عن مشكلة مدرسة «ليتل روك» فى الولايات المتحدة وعن رفض حاكم الولاية السماح بدراسة مشتركة بين الزنوج والبيض فى المدرسة ، وعن حكم المحكمة العليا الأمريكية ضد التمييز العنصرى فى المدرسة ، وكيف نفذ حكم المحكمة العليا بوساطة قوة من الجيش الأمريكى ضد أهالى الولاية .

كذلك نذكر كيف يعامل الزنوج وغيرهم من الملونين بصفة عامة فى الولايات المتحدة من حيث تحديد أماكن سكنية لهم الخ . . .

ومن أمثلة ذلك ما تعرض له وزير مالية جمهورية غانة حينما زار الولايات المتحدة فى أوائل هذا العام ، ونذكر أيضاً قصة الزعيم الإفريقى «سرتسى خاما» زعيم قبيلة بامنجواتو فى محمية بتشوانالند فى جنوب إفريقية ، وكيف أصدرت الحكومة البريطانية فى عام ١٩٥٠ قراراً بمنعه من العودة إلى بلاده وشعبه لأنه تزوج من سيدة إنجليزية بيضاء البشرة .

نذكر هذا وغيره من القصص الفردية التى تقع لأفراد من السلالات الملونة البشرة وخاصة الزنوج . ونذكر أيضاً سياسات دولية تقوم على أساس التمييز العنصرى مثل ما هو حادث فى اتحاد جنوب إفريقية ، وسياسة أستراليا البيضاء . وترمى سياسة أستراليا البيضاء إلى عدم إحداث مشكلة عنصرية من الملونين فمنعت منعاً باتاً هجرة الملونين إليها سواء كان هؤلاء من الصفر المغول أو السمر الملايو أو

من الزنوج الذين يعيشون فى الجزر الشمالية لأستراليا ـ منعتهم من الهجرة إلى الأقاليم الأسترالية بأكلها بالرغم من أنهم مؤهلون بطبيعتهم وعاداتهم وتقاليدهم لأن يكوّنوا السلالات الوحيدة القادرة على سكنى أجزاء كبيرة من قارة أستراليا وتنمية اقتصادياتها.. هذه الأجزاء هى أغنى أجزاء أستراليا قاطبة.. ومع ذلك فإنها متروكة دون استغلال اقتصادى مفيد يعود بالفائدة على البشر جميعاً ملونين كانوا أو من ذوى البشرة البيضاء.

إن هذه الأحداث ـ فردية كانت أو تمثل سياسات دول ـ ليست إلا مظهراً من مظاهر نظرية عامة متأصلة تسمى «النظرية العنصرية» وشعارها «تفوّق جنس معين أو سلالة معينة على غيرها من الأجناس أو السلالات البشرية» وهذه النظرية وإن كانت فى مظهرها الحالى حديثة، إلا أنها قديمة جدًّا. وقد أضفى عليها التطور الحضارى الطويل كثيراً من الإضافات والتعقيدات الفلسفية، فخرجت فى العصور الحديثة بهذه الصورة البشعة التى يصادفها الإنسان فى بعض بلاد معينة من أنحاء العالم.

وأصل النظرية قديم وبسيط: قديم لأننا نجد أدلة تاريخية وأثرية عليه، وبسيط لأنه فى القديم كان يعبر بطريقة معينة عن اختلاف جماعات بشرية فى مستويات الحضارة المختلفة. والحضارة تعنى كل مظاهر الحياة من الأكل والملبس والمسكن والحرفة، إلى التنظيمات السياسية والقانونية، إلى العقائد الدينية والعادات واللغة ... وبعبارة أخرى أن يشعر الإنسان بفروق بينه وبين الآخرين، على الأخص فى العهود القديمة حين لم يكن الاحتكاك البشرى القاعدة العامة، وكان ذلك يؤدى إلى الانكماش والانعزال، وعدم الاطمئنان إلى الشعور بعدم الألفة وبالتالى إلى قلة التعامل ومن ثم ـ وفى ظروف خاصة ـ إلى احتكاك عكسى يولد الكراهية، ثم إلى تمييز عنصرى يتبعه اضطهاد عنصرى.

— ٢ —

والتاريخ القديم مملوء بأمثلة حيّة على التمييز العنصرى. وأحسن مثل لذلك هو تاريخ مصر القديمة؛ فالمصريون القدماء قد أوضحوا اختلافات البشر فى رسوماتهم الملونة، واستندوا فى الاختلافات على لون البشرة وبعض المظاهر التشريحية الجسمية. وقد لونوا الزنوج باللون الأسود، والليبيين باللون الأبيض، وقصروا اللون الأحمر على أنفسهم. ولا شك أن المصريين القدماء قد رمزوا إلى الاختلافات فى المستويات الحضارية بينهم وبين الشعوب المجاورة لهم باختلاف ألوانهم. ولسنا فى المجال الراهن فى وضع يمكننا من أن نفحص ونحلل بالدقة

العلاقات بين السلالات المختلفة فى مصر الفرعونية ، وما إذا كان هناك تسامح أو اضطهاد عنصرى ضد سلالات معينة. ولكن هناك فى بعض عصور التاريخ الفرعونى أدلة على وجود تسامح عنصرى أكثر من وجود أمثلة على الاضطهاد .

هذا التسامح يظهر فى تولى العرش الفرعونى بعض أسر من السلالات الليبية والأثيوبية (أقاليم النوبة الممتدة جنوبى مصر على النيل). وهناك إلى جانب ذلك مثل واضح على حدوث اضطهاد عنصرى يتمثل فى هجرة بنى إسرائيل من مصر إلى سيناء ومشارف فلسطين .

والواضح أن التسامح أو الاضطهاد العنصرى فى مصر الفرعونية كان يتوقف على شىء واحد: هو مدى تقبل العناصر أو السلالات الغريبة المضمون الحضارى الفرعونى . إن مجرد وجود نسبة كبيرة من التقبل يعنى الانصهار الحضارى بحيث لا تكون ثمة فوارق أساسية. وإننا نلاحظ أن الكثير من القبائل الليبية التى نشأ عنها بعض فراعين مصر بوساطة اتصال الأنساب كانت قد تمصرت فى درجات متفاوتة نظراً لوجود عملية دائمة ، ما زالت دائرة حتى الآن فى إقليم الوسط بين الأرض الصحراوية الصفراء والأرض الزراعية السوداء على طول غرب النيل ، هذه العملية هى استقرار بطىء على مراحل ينتهى بترك الحضارة التى ترمز إليها سكنى الخيام، وتقبل الحضارة الزراعية فى وادى النيل ودلتاه . أما بالنسبة للأسر الأثيوبية التى تولت عرش مصر فى فترات من التاريخ فكانت قد تمصرت بوساطة الكثير من عوامل الاحتكاك الحضارى والاقتصادى بين مصر وأقاليم النيل فيما يلى مصر إلى الجنوب . ونتيجة هذا التمصر نجد أنه لم تكن هناك موانع ضد تولى العرش ؛ بالرغم من وجود بعض الاختلافات البدنية ، وعلى الأخص لون البشرة ، وليس من شك فى أنه كانت هناك بعض المشاعر من جانب المصريين القدماء ضد أمثال هؤلاء المتمصرين، ولكن ذلك لم يصل إلى أبعد من مشاعر الكره أو الحقد الذى يوجد دائماً داخل المجموعة الواحدة المتميزة بالتنوع .

أما فى حالة بنى إسرائيل فإننا نجدهم عبارة عن هجرات من القبائل البدوية التى هاجرت عبر سيناء إلى مصر. وقد حافظوا على وحدتهم الجنسية والحضارية، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل حاولوا قلب الأوضاع فى مصر وقلب المعتقدات الدينية لدى المصريين والفراعنة .

ومن هذا يتضح أن بنى إسرائيل قد قاوموا الانصهار داخل الأمة المصرية، وأقاموا من أنفسهم

نقيضاً حضاريًّا موجباً ضدسكان مصر . وبذلك حدث لهم ما حـــدث من اضطهاد ثم فرار من مصر .

وهنــاك دول قديمة لم تحذ حذو مصر فى مسألة الامتصاص الحضارى ، وقبول العناصر المنصهرة داخل المجموعة : مثال ذلك الإغريق والرومان الذين لم يقبلوا دخول العناصر التى تشبعت بحضارتهم ، كما أضيف إلى ذلك كم من الفكر الفلسفى والسياسى أدى إلى زيادة أسس التمييز العنصرى القـــديم وتعقيدها . والباحث فى التاريخ القـــديم والوسيط يجد الـكثير من الأمثلة على التمييز العنصرى .

— ٣ —

بعد أن اتسعت الآفاق البشرية فى عصر النهضة وعصر الـكشوف الجغرافية العالمية اتصل الأوروبيون بالـكثير من سلالات وأجناس بشرية لم يكونوا قد سمعوا عنها إلا لماماً فى بعض الأشعار والأساطير مثل شعر هوميروس الذى ورد فيه ذكر للأقزام على أنهم أناس فى حجم قبضة اليد .

ونظراً لظروف تاريخية معلومة فإن أوروبا كانت أكثر تقدماً وبالتالى فإن شعوبها كانت أرقى حضاريًّا من غالبية الشعوب التى اتصلت بها فى أركان العالم الأربعة . وقد أدى الاختلاف الحضارى إلى نشوء كثير من الآراء والنظريات عن انحطاط العناصر غير البيضاء . وتطورت هذه الآراء إلى مدارس ونظريات كلها — وإن اختلفت — تنادى بتفوق الجنس الأبيض اللون . وقد تعددت هذه النظريات وتطورت واستحلت لنفسها أن تخدع الجماهير بمظاهر وقشور من التطور العلمى ليست فى العلم إطلاقاً .

ومن بين هـــذه النظريات نظرية نقاوة الدماء ، ومحاربة اختلاط الدماء ، ونظرية التفوق الآرىّ على كل ما عدا الآريين من شعوب وسـلالات ، بل تفوق الآريين على بقية الشعوب البيضاء الأخرى ، والنظرية النازية عن تفوق الشعب الألمانى التيوتونى ، ونظرية الألوان وانحطاط الأجناس الملونة الخ .. ويـكفى أن نذكر أن بعض هـــذه النظريات تذهب بعيداً ، إلى درجة أنها تنادى بتدمير الأحياء التى يسكنها الفقراء والعمال فى المدن المختلفة فى أوروبا وفى غير أوروبا ، ودك هذه الأحياء بالقنابل ، وقتل ساكنيها ، وترك الأحياء الأرستوقراطية الغنية . وتعلل هـذه الآراء هذا المطلب بأن الفقراء يمثلون الجانب الخامل المتسم بالغباء من الشعب ؛ على حـين تمثل طبقة الأرستوقراطية الثرية الجانب الذكى النشيط الفعال من الشعب ؛

لهذا وجب أن يحكم بالموت على الفقراء حتى لا يزداد الشعب غباء وفقراً وخمولا ! !

هذا هو مثال لمنطق النظريات العنصرية!!

— ٤ —

ولا نستطيع فى هذا المجال بحث أصول كل هذه الفروع من النظرية العنصرية وأسبابها وسخافاتها. والذى يهمنا فى هذا المجال هو الحاجز اللونى ، واضطهاد الملونين، ويأخذ هذا الاضطهاد أشكالا كثيرة .

من هذه الأشكال النقط التالية :

١ ـ إقامة مواضع اجتماعية فردية تقاوم أفراداً من السلالات الملونة .

٢ ـ الامتناع عن الاجتماع بالملونين على قدم المساواة الاجتماعية.

٣ ـ منعهم من ركوب سيارات عامة معينة وتخصيص سيارات خاصة بهم .

٤ ـ وكذلك منعهم من ارتياد أندية أو فنادق أو أحياء معينة ، بل حتى كنائس معينة.

٥ ـ عدم مساواة الملونين أمام القانون والعرف العام .

٦ ـ منع الزواج والاختلاط بين البيض والملونين.

٧ ـ منعهم من مزاولة أعمال ومهن معينة ، وقصر بعض الأعمال عليهم .

٨ ـ منعهم من حق الانتخاب وبالتالى من حق الترشيح للاشتراك فى المجالس البلدية أو النيابية .

٩ ـ منعهم بالقانون من الاشتراك فى حكم البلاد أو فى السلطات القضائية .

إن التمييز العنصرى قد يشمل جانباً أو عدة جوانب أو كل هذه الجوانب من أشكال الاضطهاد ، ومعظم أنواع هذا الاضطهاد موجود فى الولايات المتحدة وإفريقية والدول الأنجلوساكسونية .

وقد نشأت عن هذه النظريات العنصرية الخاصة بالحاجز اللونى عدة نظريات سياسية تطبق فى إفريقية اليوم ، وهذه النظريات السياسية العنصرية هى :

١ ـ النظرية العنصرية الاستعمارية البريطانية.

٢ ـ النظرية العنصرية الاستعمارية اللاتينية.

٣ ـ النظرية العنصرية الخاصة بسيسل رودس والمارشال سمطس .

٤ ـ النظرية العنصرية الخاصة بالدكتور مالان وأعوانه .

والنظرية العنصرية البريطانية لا تستند إلى أى قانون خاص فى التفرقة العنصرية بين الملونين والبيض ، لا فى النواحى الاجتماعية

ولا في النواحي الاقتصادية ، ولكنها تعارض الزواج المشترك بشدة تكاد تصل إلى حد المنع ، وتعارض التساوي الاجتماعي بين الأوروبيين والزنوج ، وتعارض في اشتراك الزنوج في الأندية الخاصة بالأوروبيين أو في سيارات أو عربات قطارات معينة .

وبعبارة أخرى : إن الإفريقيين الوطنيين أهالي البلاد الأصلية في المستعمرات البريطانية يعانون اضطهاداً عنصرياً اجتماعياً ، مع القليل من الحريات الاقتصادية والسياسية في حدود معلومة ، والسماح لهم بالاشتراك في الحكم المحلي اشتراكاً جزئياً . وإلى جانب ذلك فإن هذه النظرية السياسية الاستعمارية تهدف إلى إعطاء الحكم الذاتي في صورة أو أخرى داخل الكومنولث البريطاني ؛ حينما ترى أن ذلك مناسب !!

لهذا فإن النظرية العنصرية البريطانية تشتمل على عدة نقائص ؛ فهي إجماعاً لا تسمح أو لا تحتمل المساواة الاجتماعية بين الأوروبيين والإفريقيين ، وهي من النواحي الاجتماعية والسياسية أكثر حرية نسبياً . وهذا التناقض يؤدي إلى سرعة الإحساس بضرورة التخلص من الاستعمار في المستعمرات البريطانية ، ويذكي روح الوطنية ، إلى جانب الكثير من العوامل الاقتصادية التي تضع أسس الحركة الوطنية وأقدارها في هذه المستعمرات .

ونظراً إلى أن الاستعمار البريطاني يهدف إلى منح الحكم الذاتي – على الأرجح تحت تأثير قوة الحركات الوطنية – وضم هذه المستعمرات بعد استقلالها إلى الكومنولث البريطاني ، فإنه لا بد أن توجد مساواة تامة بين أعضاء الكومنولث ، وفيهم كما نعرف دول بيضاء مثل بريطانيا واستراليا وكندا ، ودول ملونة آسيوية مثل الهند وباكستان وسيلان ، ودولة ملونة إفريقية هي جمهورية غانة الحديثة ، ودولة لها مشكلات لونية حادة هي اتحاد جنوب إفريقية . هذا التساوي المطلق بين أعضاء الكومنولث يجب أن يتم وإلا تفككت الروابط ، وانهار البناء من أساسه . ولكن المشكلة تتلخص في ازدواج شخصية النظرية العنصرية البريطانية . فهل يقضى على هذه النظرية قضاء تاما بحيث يسمح بالمساواة الاجتماعية المطلقة ؟ وبذلك تنتفي النظرية . أو هل تتغلب هذه النظرية وتخرج الدول الملونة من الكومنولث ؟ هذا سؤال حساس ، يحتاج إلى وقت من التجربة كي تمكن الإجابة عليه .

وهناك عامل آخر في الموضوع هو اتحاد جنوب إفريقية ؛ فهذه الدولة تحكمها أقلية من الأوروبيين ، ويكون الملونون أربعة أخماس السكان فيها . وهي لا تعترف لا بالمساواة الاجتماعية ولا الاقتصادية ولا السياسية -

للملونين. فهل تقبل تفاهماً مشتركاً ومساواة مطلقة مع غانة وغيرها من المستعمرات البريطانية فى إفريقية التى ستنال الاستقلال فى المستقبل القريب؟ وإذا قبلت فهل تسكت هذه الدول الأعضاء الإفريقية فى الكومنولث على اضطهاد الإفريقيين فى اتحاد جنوب إفريقية؟ إن الأدلة كلها تشير إلى عكس ذلك. وها كم دليلا: إن بين الهند واتحاد جنوب إفريقية مشكلات سياسية تدور كلها حول تبنِّى الهند قضية الهنود المهاجرين فى اتحاد جنوب إفريقية. وصحيح أن هذا الإشكال السياسى لم يصل بعد إلى حد الانفجار النهائى، ولكنه حتما سيصل إذا لم تصحح حكومة اتحاد جنوب إفريقية سياستها تجاه الهنود. فهل تصحح حكومة جنوب إفريقية هذه الغلطة سريعاً أو ستنتظر إلى أن تتركب حولها مشكلات سياسية أخرى فى علاقاتها مع غانة وغيرها من دول إفريقية التى ستنال استقلالها قريبا؟

إننا قد لا نستطيع أن ندلى برأى حاسم فى هذه المشكلة، ولكننا قد نتكهن بالنتيجة الحتمية بناء على واقع الأمور. إن التركيب الاقتصادى السياسى الاجتماعى الراهن فى اتحاد جنوب إفريقية قائم على أساس احتفاظ مليونين من البيض الأوروبيين بالحكم وتصريف الأمور لحوالى عشرة ملايين الإفريقيين إن المكاسب الاقتصادية الضخمة التى يجنيها الأوروبيون تصم آذانهم وتغلق عليهم تفكيرهم فى المستقبل. وسيضطرون يوماً إلى التخلى عن كل ذلك أو - على أحسن الفروض - معظمه كى يتمتع به الإفريقيون أهالى البلاد وأصحاب الأرض الشرعيون.

وسيأتى ذلك نتيجة كفاح داخلى وكفاح خارجى من جانب دول إفريقية المستقلة، ويومئذ قد ينهار جانب من بناء الكومنولث لتحل محله أسس نظام جديد فى إفريقية.

أما النظرية العنصرية اللاتينية فهى تكاد تناقض النظرية البريطانية العنصرية. وتطبق هذه النظرية الدول اللاتينية وأهمها فرنسا والبرتغال.

وتقوم هـــذه النظرية على السماح بالزواج المشترك بين البيض والملونين، وتقدم مكاناً اجتماعياً مناسباً للمواليد عن هذا الزواج. ولا تضع عراقيل أو موانع أمام الاحتكاك الاجتماعى بين الأوروبيين والإفريقيين. فهى بذلك أكثر تحرراً فى الناحية الاجتماعية من النظرية البريطانية، ولكنها أشد استعمارية منها فى الناحية السياسية الاقتصادية.

إن الهدف السياسى لهذه النظرية هو ما يسمى إدماج المستعمرات وامتصاصها فى الوطن الأم - أى الدولة ذات المستعمرات؛ فهى تسعى إلى امتصاص الشعوب الإفريقية، وجعلها شعوباً فرنسية أو برتغالية بوساطة اللغة والدين والعادات والمضمون الحضارى بأجمعه.

ولـكن هـذه النظرية ضعيفة أيضاً ، لأنها تحمل النقائض فى طياتها، فهى أكثر تحرراً من وجهة النظر الاجتماعية ، وأشد قسوة وصلابة فى الناحية السياسية . هـذا التناقض يؤدى إلى الثورة، وبالتالى إلى الانفصال عما يسمى بالوطن الأم ولا شك أنه لم توجد بادرة نجاح لهـذه السياسة . ولا شك أن أوضح أدلة فشل هـذه النظرية هو ما يدور فى الجزائر من حرب تحريرية استمرت أعواماً، وما يدور فى غيرها ـ من دول إفريقية: فى السنغال وفى الـكمرون ، وفى غيرهما ـ من حركات تحررية ترمى إلى إزالة هذه الحماية المقنّعة .

ونظرية سيسل رودس والمارشال سمطس العنصرية تعتقد أن من مصلحة السلالات والأجناس المختلفة البقاء منفصلًا بعضها عن بعض دون أى اختلاط. وأن هذا الانفصال يجب أن يستمر طالما استمر الاختلاف بين المستويات الحضارية لـكل من الأوروبيين والإفريقيين. وتمضى النظرية فتقول ، وكأنها تمنح الإفريقيين أملا : إن هناك مجالا لنيل حقوق متساوية وواجبات متساوية فى الاقتصاد والسياسة فى حالة وصول الإفريقيين إلى درجة معادلة من التمدين والحضارة التى وصل إليها الأوروبيون .

ولا شك أن ذلك الأمل لن يتحقق لسبب بسيط ، هو أن الأوروبيين فى اتحاد جنوب إفريقية لا يمنحون الإفريقيين القدر الواجب من الثقافة والتعليم ، ولا القدر الواجب من الحياة الاقتصادية اللائقة، بل يعزلونهم داخل المناطق المخصصة لهم . وإذا استعانوا بالملونين فى الأعمال الإنتاجية فهم يسمحون لهم بقدر من الـكسب والمسكن والمعـاملة لا تساوى الدعاية الطويلة التى تطنب فى مديح مهام الأوروبى فى إفريقية كمبشر بالحضارة والمدنية ، ومنقذ إفريقية من الظلام والجهالة والمرض وما إلى ذلك من السيئات !!

وحتى هـذا الأمل الضئيل الضعيف غير الواقعى يطفئه ويقضى عليـه الدكتور مالان ونظريته العنصرية وتلاميذه وحزبه . إن نظرية مالان العنصرية تتفق تماماً مع نظرية رودس وسمطس . إنها تفصل الإفريقيين عن الأوروبيين فصلا تاماً .. وتمنـع الزواج المشترك . . وتفرض على الإفريقيين حياة فى معسكرات معدة لهم فى المناجم والمحاجر ... وعقوداً وأجوراً ومعاملة اجتماعية أقل ما توصف به أنهـا أكثر عسفاً وجوراً من نظام الرق والعبودية . . . ولـكنها تختلف عن نظرية سمطس فى أنهـا لا تجد فى سياستها المستقبلة أى مكان للمساواة بين الإفريقيين والأوروبيين، إنها ترى أن الأوروبيين يجب أن يظلوا محتكرين للسياسة والتشريع وتصريف الأقدار ، مهما بلغ الإفريقيون من مدنية وحضارة ورقى !!

— ٥ —

هذا هو ملخص ما أنتجته نظرية الحاجز

اللونى من سياسات تطبيقية على القارة الإفريقية. إن سبب نشوء النظريات العنصرية ـ كما سبق أن قلنا ـ هو اختلاف المستويات الحضارية. وقد بلغت النظريات العنصرية حد السخف فى عصرنا هـذا، ولكن التطور العالمى الاقتصادى والسياسى قد أدى إلى خلق ظروف جديدة. هذه الظروف ألقت أضواء على الموضوع فجردته من قشوره الشبيهة بالعلمية، وأظهرته أمام كل ذى عقل حقيقة بشعة مؤلمة. إن الاختلافات الحضارية لم تعد ساكنة، بل إن هناك ديناميكية فعالة بدأت عملها وسط الجماعات المتخلفة. هذه الديناميكيات قد أخذت طابعاً إفريقياً مغايراً للطابع الأوروبى وهى تسير إلى الأمام بسرعة كبيرة متجنبة أخطاء سبق أن مرت بها البشرية. وبذلك فإن الاختلافات الحضارية مآلها إلى الخفوت ثم الزوال. ومعنى ذلك أن جذور النظرية العنصرية مآلها هى الأخرى إلى زوال. أما ما نسمع به من تشديد قبضة اليد على الملونين فى بريطانيا واتحاد جنوب إفريقية والولايات المتحدة فدليل على أن النظرية العنصرية قد فقدت أو بدأت تفقد أصولها وجذورها، ولم يبق منهـا سوى تعلق الأوروبيين بأشكالها ومظاهرها. هذه المظاهر والأشكال قد أصبحت عادة وعرفا اجتماعيا. والتعلق بالتقاليد والعادات عاطفة خالية من التعقل. والتصرف العاطفى أكثر طيشاً وأقل حكمة وأضعف عوداً. وفى سبيل التحرر من سيادة بيضاء كاذبة لم يعد لها جذور وأصول. سيفقد الملونون عامة والإفريقيون خاصة كثيراً من الضحايا والشهداء . . . والتضحية فى سبيل مستقبل حر كريم سعيد للأبناء أحب من الحياة فى ظل الاستعباد والاسترقاق. إن هـذه الجملة ليست حكمة وليست بالشىء الجديد، بل هى شعار كل الشعوب حين يطلب التاريخ التضحية من أجل البقاء.





— ١ —

تعتبر الخطوط الرئيسية للتفرقة العنصرية هى هذه الفوارق الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية بين البيض والملونين ، وهـذا الاعتقاد الخاطئ الذى يقول بأن مجموعـة الاختلافات بين البيض والملونين ستظل دائماً أعظم من مجموعة التشابه . ولهذا كان لا بد من تـكوين مجتمع انفصالى فى أى مكان يجتمع فيـه البيض مع الملونين . فـكلمة « التفرقة العنصرية » كلمة هولندية معناها التجزئة أو « العزل » .

وإذا كانت حرب «البوير» تعتبر مدخلا طبيعيا لحركة التفرقة العنصرية فى جنوب إفريقية لأنهم رموا إلى المحافظة على الوحدة الثقافية ، والمحافظة على نقاء جنسيتهم ، فإنها فى أى مكان ـ بلا شك ـ محاولة لمنع فشل الرجل الأبيض ، وتفوق الرجل الأسود !! فقد أثبتت اختبارات الذكاء ، كما أثبت علماء « الأنثروبولوجيا » أن الرجل الأسود لا يقل ذكاء وعبقرية عن الرجل الأبيض ، حتى إن الزعيم « جوموكنياتا » حين طبق مبادئ هذا العلم على قومه فى كينيا ، وجد أنهم زيادة على ما تقـدم يمتازون على غيرهم من البيض «بالجوانب الإنسانية المضيئة» ، وضرب مثلا على ذلك بأن فى لغتهم كلمة « مويبنجيا » Mwebongia ومعناها « المحب لنفسه » ويوصف بها كل إنسان وصل إلى حد كبير من المهانة والانحطاط ، لأنه يجب على كل إنسان أن يحب الآخرين ويقدمهم على نفسه . وإلا أصبح ذليلا محتقراً من مجتمعه !!

.. ولقـد أثبتت الحوادث أن « التعصب العنصرى » ماأطل بوجهه الـكئيب فى أرض إلا قضى على معنوياتها ، فباسمه أهدرت كرامة الإنسان . وباسمه قضى على دول ؛ فقد دمر «التعصب العنصرى» الإمبراطورية النمسوية حين استحكم هذا الداء بين العناصر السلافية ، والعناصر الجرمانية فى الحرب العالمية الأولى ، وما زال يمتص مقوماتها

حتى فتتها إلى دويلات صغيرة ، وكان هـذا التعصب العنصرى نفسه أحـد العوامل الرئيسة التى قضت على سياسة « هتلر » فى الحرب العالمية الثانية ، فقد ذهب يبث فى كل مكان أن الآرى هو سيد الأجناس ، وأنه يجب أن تعقد له الزعامة، لا على أوربا فقط، بل على العالم أجمع .

ومن قبل دعوة « هتلر » ظهرت هـذه الدعوة فى أمريكا وإن كانت قد انصبت هناك على الهنود والسود، وكلاهما يمثل أقلية لا تستطيع فرض إرادتها ، خاصة ولايات الجنوب التى ينص فى دستور عشرين ولاية منها على « التفرقة العنصرية».

ومما لا شك فيه أن جذور التفرقة قديم يرجع إلى بعض المدنيات القديمة ، فتقسيم الناس فى جمهورية أفلاطون معروف . والاعتراف بالسادة والعبيد ، وأن الملوك من جنس أرفع من جنس الرعية شىء لا يمكن أن ينسى !

والعرب أنفسهم سبقوا الدعوة « الهتلرية »؛ فقد ذكروا من قديم أنهم أفضل الأجناس وأذكاها ، وأقدرها على الخطابة ، وقد كمنت هذه الدعوة فى نفوسهم ، وظهرت أخيرا فى انقسامهم إلى عرب الشمال وعرب الجنوب، مما كان له أثر فى تفتيت الامبراطورية الإسلامية .

فموضوع التفرقة على حد تعبير « جيم كرو » ستار لـكل ما يحيق بالسود أو أشباه السود من جرائم أو مظالم يرتـكبها ضدهم حكامهم البيض أو المجتمع الأبيض ، وسنحاول هنا أن نرى تأثير التفرقة العنصرية على الشعراء الملونين ، باعتبار أن الشعراء من أقدر الناس على الإحساس بالحرية ، وكيف تتلون المشكلة بالظروف التى تحيط بها ، فتختلف نظرة الشاعر الإفريقى عن نظرة أخيه الذى يعيش فى أمريـكا أو بلاد العرب ، وإن كنا سنرى فى آخر الأمر كراهية لهـذه التفرقة العنصرية ، ومحاولة جاهدة للقضاء عليها بهذه البذور الطيبة التى يغرسها الشعراء السود فى حقول السلام،والحرية، والغد!! وسنقصر حديثنا هنا على أثر التفرقة العنصرية فى الشعر.

التفرقة العنصرية فى الشعر الإفريقى

يظهر الحزن والانـكسار فى الشعر الذى يعالج هذه المشـكلة ، فالشاعر لا يرسلها نفثة من وجدانه الفردى، وإنما يضع فيها إحساس الجماعة التى ذاقت هوان هذه التفرقة ، وخاصة أن الاضطهاد يشـكل انفعالهم بالمشـكلة، فتبدو آلام الجميع، وكأنها تتصاعد من جرح واحد! وكثيراً ما يكون هذا الجرح قاسياً ، فالتفرقة العنصرية تصل أحياناً إلى حد الدِّين فتوجد كنائس للبيض وكنائس للسود ! وإلى حد

الموت فتوجد مقابر للبيض ومقابر للسود !!

وكثير من هذا الشعر يعتبر شعراً جماعيًّا ؛ فالجماعة تؤلفه فى المناجم أو حقول المطاط والكاكاو ، ثم تتلقاه وتزيد عليه . وكلما تغنت به جماعة أضافت إليه حزناً جديداً ! ودموعاً جديدة !

والشعر الإفريقى يعتمد اعتماداً يكاد يكون كليًّا على النغم العنيف ، والصورة الزاهية؛ بحيث يمكن تحويله إلى موسيقى خالصة إذا رفعت منه الصورة ، وإلى لوحات معبرة إذا ابتعدت عنه الموسيقى !

ويمكن أن نلمس هذا فى هذه القصيدة التى يصور فيها طفل إفريقى مشاعر أمه التى تتلفت حولها ، فلا ترى إلا مظالم البيض :

« .. وعندما تشرق الشمس ، وترسل أشعتها
وتنهض أمى العجوز من كوخها القديم
وتتطلع فى وجوهنا ، فلا تجد إلا جلداً على عظم !
وأن «الرجل الأبيض» امتص دماءنا كالثعبان !
وتجد الحقل الذى كان فى يدنا فى يد الأجنبى !
.. عندما تجد ذلك
تذرف الدمع بارداً فى الصباح
كأنه الندى على دوحة جفت أغصانها !

وعند الظهر حينما تجد أمى الإناء خاويا !
وتنظر إلى البيض فتراهم أصحاء !
بينما خدى كهف من جلد وعظام !
.. يسيل الدمع من مآقيها ساخناً !

وعند الغروب حينما تنظر فلا تجد غطاء !
وتسمع وقع أقدام البيض الغاصبين !
وتلمح حرابهم اللامعة فى أقفية الرجال
.. يسيل الدمع على خديها !
ويصيح الجميع أين بيوتنا ؟ أين وطننا ؟
أين شرفنا ؟ أين كرامتنا ؟
وتجرى الدموع كالسيل على وجوه الجميع ! ».

وهنالك أناشيد جماعية تلقى فى حقول العمل، وفى الحفلات ، ومنها هذا النشيد الذى ينشد فى بعض الكنائس الإفريقية :

« .. احملوا أجسامنا وضعوها فى أكفانها
هذه هى حياتنا على الأرض !
لقد ذهب الألمان ، وأتى الفرنسيون !
وقد يجىء بعدهم إنجليز أو أمريكان !
ماذا يهم !! كل شىء لم يعد مهما !
حتى يجىء يومنا !
يومنا الذى نذوق فيه طعم الحرية
احملوا أجسامنا !! »

فهذا الشعر يصور المأساة من جميع نواحيها تصويراً دراميًّا ، ويعطى فى الوقت نفسه أملا للتخلص من كل أنواع الظلم ، ولا ينسى دور الأبطال الذين قاموا بواجب الدفاع ؛ فهم ما زالوا أبطالا بالرغم من « الحراب اللامعة فى أقفيتهم ! »

ومن أروع ألوان الشعر الإفريقى هذا اللون الذى يردده الشاعر ، وفيه قصة كفاح واحد من قبيلته . وهذا بعض ما قاله الشاعر حين وجد الشاب الكينى « وامبا » مشنوقاً

بيد الإنجليز ، بعد أن أرهبهم مدّة كبيرة من الزمان . ونحن نرى (الشاعر) فى القسم الأول من القصيدة يطلب من النسور أن تبعد مناقيرها عن جثة « وامبا » حتى تأخذ القبيلة بثأره ، ولا تمضى أيام حتى تقتل القبيلة الكثير من الإنجليز ، وفى كل ضربة رمح يقول الشاب الكينى « من أجل أن تبعد الطيور مناقيرها عن جسد وامبا !! » فإذا تمّ لهم ما أرادوا يكمل الشاعر قصيدته بقوله :

« انتهت رقصة « وامبا » فوق شجرة الموت ؛
وقطع حبل الغاصب فلم يعد له وجود !
.. تعالى أيتها الطيور الجارحة، فجثث العدو تناثرت
وأخذنا بثأر « وامبا » قرب شجرة الموت
تعالى وكلى ما تريدين !! » .

وهكذا نرى أن التفرقة العنصرية تكاد تكون شيئاً حزيناً مترابطاً مع غيره من المشكلات فى القارة الإفريقية ، بعكس ما سنراه فى الشعراء السود فى خارج إفريقية حيث نرى الإفريقى يمتاض عن البيض بأغلبية كبيرة فى القارة الإفريقية ، وبعكس الآخرين الذين يعيشون فى بلاد أجنبية حيث يحسون بوحدة الغربة ومشاعرها الحزينة فى كل مكان يحلون فيه . فشتان بين مشاعر إفريقى يعيش فى نيجيريا مثلا ، وآخر يعيش فى «هارلم»

التفرقة العنصرية فى الشعر الأمريكى

يحس الشاعر الأسود فى أمريكا بالتفرقة العنصرية إحساساً حادًّا ، فهو يرى نفسه تائهاً فى عالم كبير ينظر إليه باحتقار . وهو يلمس هذا الاحتقار فى كل مكان يتوجه إليه ؛ فللبيض حق الاعتداء عليه ، وحق طرده من أى مكان لا يرغبون رؤية وجهه فيه ، وحق إهدار إنسانيته باللافتات التى يكتب عليها « إن الزنجى والكلب يحرم عليهما دخول هذا المكان» ، ثم هو لا يستند إلى أغلبية سوداء، ومن هنا نراه ينطوى على نفسه، ويرسل شعره ليعبر به عن مشاعر خاصة عرّبه.

ومن هنا نرى شعره فى صورة استعطاف كتلك القصيدة التى قالها الشاعر « جوزيف سيمون كوتر » شاكياً فيها ظلم الناس له ، وأن الناس تعتدى عليه بينما لا يعتدى هو على أحد ، ثم يختم قصيدته بقوله «وأنت يا أخى ماذا ستقول للرب ! ».

وقد نرى شعره أيضاً فى صورة تحدٍ للمجتمع الانفصالى الذى يعيش فيه ؛ فالشاعر « كارلوس سانت لويس » يقول :

« أنا أحب الزنجى
فكل ما هو زنجى
هو قطعة منى

فإنه وإن يكن حمال أثقال
وإنه وإن يكن من العبيد
فإننى أحبه .. أحب كل زنجى
فى عذابه عذابى »

وهناك بعض الشعراء السود الذين ارتفعوا بالمشكلة إلى آفاق إنسانية رحيبة، ومن هؤلاء الشعراء الشاعر الروائى الكبير « ريتشارد رايت » الذى يقول :

« إننى أسود
وقد رأيت قبضات سوداء
ترتفع ثائرة قوية
إلى جانب قبضات أخرى لعمال بيض
وسيأتى يوم
هو كل ما أعيش من أجله
يوم تجتمع فيه الملايين بالملايين
من هذه القبضات !! »

وتذكرنا هذه القصيدة بأغنية « بول روبسون » التى يقول فيها :

« الرجل الأبيض لا يستطيع أن يصبح حرا
طالما كان أخوه الأسود عبدا
بلادنا قوية
بلادنا شابة
ولكن أعظم أغانيها لم يزل فى طى الكتمان !! » .

التفرقة العنصرية فى الشعر العربى القديم

لقد ذكرنا من قبل أن العرب كانوا يرون أنفسهم من أعظم الأجناس . ونزيدهنا أنهم فى جاهليتهم وقفوا من ذوى البشرة السوداء موقفا فيه بعض الشدة . فقد عيّروا الأحباش الذين كانت تمتلئ بهم بلادهم « بسواد اللون ، وركاكة النسب » وكان الشعراء الأحباش يسمعون هذا منهم فيتألمون أشد الألم . فإذا ردوا على الشعراء العرب ففى شىء من الرفق يشبه الاعتذار .

ومن هؤلاء عنترة الذى يقول :

إنى امرؤ من خير عبس منصبا
شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

ويقول الشاعر خفاف بن ندبة :

كلانا يسوده قومه
على ذلك النسب المظلم

ويقول الشاعر سحيم :

إن كنت عبدا فنفسى حرة كرما
أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

فلما جاء الإسلام بقيمه الإنسانية المضيئة، وبالتسوية العامة بين جميع البشر ، سُر الأحباش الذين كانوا يعيشون على حياء بين العرب ، وكأنما تشككوا فى أمر هذه المساواة فى أول الأمر ، فقد جاء فى « الطراز المنقوش » أن جمالا سأل النبى : يارسول الله أرأيت إذا قاتلت بين يديك حتى أقتل ، أيدخلنى ربى الجنة لا يحتقرنى ؟ فقال له ﷺ : نعم فقال : وأنا منتن الريح ، أسود اللون يارسول الله ؟ قال : نعم .

وحديث الرسول عن « أم أيمن » الحبشية كله حب وتقدير ، وقد قيل إن الآية الكريمة :

« وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق» قد نزلتْ فى قوم من الحبش !

ومهما يكن من شىء فقد اندمجوا فى المجتمع العربى الجديد، وتغيرت النظرة إليهم، وأصبح من الأمور المرغوب فيها التزوج من نسائهم ، حتى لقد قال علىّ بن أبى طالب: من تزوج سوداء فطلقها فعلىّ مهرها !

وتمدى الأمر إلى الشعراء فقال أبو حازم المدنى :

ومن يك معجبا ببنات كسرى
فإنى معجب بنات حام

وروى الأصمعى أن رجلًا قيل له : أى الرجال أخف روحا ؟ فقال له : الذين أعرقت فيهم السودان . كما ذكر أن اليمن أشهى النساء عندهم الحبشيات ، وبنات الحبشيات .

وهكذا أعطاهم الإسلام ثقة فى أنفسهم فاعتزوا بها ، حتى إن نظرة الاحتقار إليهم عند ما عادت مرة أخرى على لسان الفرزدق ، وكثير، وجرير ، نراهم لا يقفون موقفاً سلبيًّا من هذه المشكلة ، وإنما يدافعون عن أنفسهم، ولا يقفون عند هذا، بل يفتخرون على العرب كذلك فيقول « الحيقطان الحبشى » ردًّا على جرير :

وإن كنت تبغى الفخر فى غير كنهه
فرهط النجاشى منك فى الناس أفخر

تأبى الجلندى وابن كسرى وحارث
وهوذة والقبطى والشيخ قيصر
ولقمان منهم وابنه وابن أمه
وأبرهة والملك الذى ليس ينكر
غزاكم أبو يكسوم فى عقر داركم
وأنتم كغيض الرمل أو هو أكثر !

ثم يهجو « مكة » ويفضل بلاد الحبشة عليها فيقول :

ولو كان فيها رغبة لمتوج
إذاً لأتتها بالمقاول حمير
وليس بها مشتى ولا متصيف
ولا كجواثا ماؤه يتفجر !

ولا يقف الأمر عند « الحيقطان » فقط ، بل نجد آخرين يعزفون على نفس الوتر ، ومن هؤلاء « عكيم الحبشى » الذى يقول :

ويوم غمدان كنا الأسد قد علموا
ويوم يثرب كنا نحلة العرب
وليلة الفيل إذ طارت قلوبهم
وكلهم هارب موف على قتب
منا النجاشى وذو المقصين صهركم
وجد أبرهة الحامى أبى طلب
هبنى غفرت لعدنان تهكمهم
فما لحمير والمقوال فى النسب !!

... ثم هدأت هذه المعركة تماما فى المجتمع العربى ، ولم تثر إلا فى بعض الفترات لعل أقساها ما ذكره المتنبى فى كافور . حينما أخلف وعده معه .

لم يحس الشعراء المحدثون بمشكلات القارة إحساسا مباشرا ؛ فقد كانت إلى عهد قريب معزولة عن مشاعر الشعراء بسبب الستار الحديدى الذى ضربه عليها الاستعمار ، وبالرغم من هذا الستار نجد أن بعض شعراء العروبة قد أحسوا بمشكلات القارة ، وعبروا عنها ، إلا أن هذا الإحساس يقع فى نفوسهم فاتراً ، ثم يخرج فاتراً كذلك . وقد يسىء بعضهم إلى مشكلات القارة لعدم تفهمه واقعها النفسى .

ومن هؤلاء الشاعر إيليا أبو ماضى الذى يقول فى قصيدته « فلوريدا » :

كل الذى لاح لى فى أرضها حسن
وأحسن الشكل فى عينى أهاليها
إلا ذوى السحن السوداء واعجبا
أجنة وذباب فى نواحيها !!
إنى ليكبت روحى أن ألاحظهم
بمقلة أبصرت فيها غوانيها

والشاعر الفيتورى الذى يقول فى قصيدته « البعث الإفريقى » :

إفريقيا إفريقيا استيقظى
استيقظى من حلمك الأسود
قد طالما نمت ألم تسأمى ؟
ألم تملى قدم السيد
قد طالما استلقيت تحت الدجى
مجهدة فى كوخك المجهد
مصفرة الأشواق معتوهة
تبنى بكفيها ظلام الغد

عريانة الماضى بلا عزة
تتوج الآتى ولا سؤدد
إفريقيا إفريقيا استيقظى
استيقظى من ذاتك المظلمه
كم دارت الأرض حواليك
كم دارت شموس الفلك المضرمه
وأنت لا زلت كما أنت
كالجمجمة الملقاة كالجمجمه
واعجبا ألم تفجر شرايينك
سخرياتهم . . يا أمه

وإذا كنا نغفر بعض الغفران لإيليا الذى صور السود فى أمريكا بالذباب ، وأنه يتألم لرؤيتهم بالعين التى يرى بها الحسان ، فكيف نغفر لشاعر أسود البشرة كالفيتورى يذكر أن القارة لم تمل قدم السيد ، وأنها معتوهة ! وذليلة ! وأمة ! ولاعقة أحذية وضائعة .. إلخ ، ثم يجهل مايعرفه الصبية من مجد القارة القديم وكفاحها وقيام حضارات فيها ؛ فإفريقية لم تكن « عريانة الماضى » لأنها عرفت (على حد تعبير ا. ا. توافور النيجيرى) الفراعنة ، وممالك غانة ، ومللى والأشانتى . وحسبى أن أورد هنا ماقاله نكرومه عن بعض أمجاد القارة : « .. لقد استطاع أجدادنا منذ قرون طويلة أن يشيدوا إمبراطورية شامخة ، شيدوها قبل أن تكون لبريطانيا أية أهمية فى الوجود ... تظللها أجواء الحضارة من « تمبكتو » إلى « باماكو » إلى شاطئ

المحيط .. إن من واجبنا أن ننحنى فى احترام لأجدادنا الذين وضعوا أسس تقاليدنا القومية !! »

.. على أننا نلمح بعض القيم المضيئة فى بعض شعرنا العربى . فنرى الشاعر العراقى كاظم جواد يدين أمريكا بالتعصب ، ويستعدى عليها ضمائر الإنسانية .

كما نجد الشاعر عبد الوهاب البياتى يصور لنا هذه الحياة الحزينة التى يحياها الناس فى كينيا ، فيقول فى قصيدة « ماوماو » :

فى ليل إفريقيه الحزين
فى ليل إفريقيه وزنجى جريح!
والكادحون السود والغربان والمستنقعات
ومزارع المطاط والبوليس يفتك بالمئات
ومنازل البيض البرابرة اللئام
تغفو كحيوان خرافى عجيب
والشيب والأطفال فى عرباتهم يتدحرجون
.. والنار تلتهم القرى ، وخناجر المتربصين !!

وقد رأينا بعض الشعراء ينقلون إلينا شعر الشعراء السود فى أمريكا فى الأوزان العربية ، ومن هؤلاء « إيليا أبو ماضى » الذى نقل إلينا إحدى أغانيهم الحزينة التى تدور حول الحرية :

فوق الجميزة سنجاب
والأرنب يمرح فى الحقل
وأنا صياد وثاب
لكن الصيد على مثلى
محظور إذ أنى عبد !!

والديك الأبيض فى القن
يختال كيوسف فى الحسن
وأنا أعنى لو أنى
أصطاد الديك ولكنى
لا أقدر إذ أنى عبد !!

وفتاتى فى تلك الدار
سوداء الطلعة كالقار
سيجىء ويأخذها جارى
يا ويحى من هذا العار
أفلا يكفى أنى عبد !!

كما نقل إلينا الشاعر كاظم السماوى قصيدة الزنجى للشاعر « ماك كريا » ، ومن أبياتها :

أنا فى كل بيت مترف أحرس كالكلب
أنا أكنس فى الأحياء من درب إلى درب
أنا أمسخ للأطفال كالهرة ، كالدب
أنا أطربهم فى المرقص اللاهث بالحب
ولكن جموع البيض لا يسعدها قربى
لأنى طاهر الذيل ، نقى النفس والقلب !

التفرقة العنصرية عند الشعراء السودانيين

لقد عانى الشعراء السودانيون هذه التفرقة فى أكثر من مكان ، فعرفوها فى لندن التى تلقى فيها الكثير منهم دراستهم ؛ كما عرفوها فى أمريكا ، بل فى جنوب السودان أيضاً حينما كان الإنجليز يتألهون عليهم ، ويسعون بين الآونة والأخرى إلى فصل الشمال عن الجنوب .

وحسبنا أن نذكر هنا أبيات الدكتور

عبد الله الطيب التي يقول فيها :

يا بؤس للملونين
عذبتهم (لنـدن)
تفتنهم كما سـواهم
بسناها فتنـوا
حتى إذا ماضلة
إلى هواها ركنوا
لاقتهم شراسة
من وجهها وشزن
فانصرفوا قلوبهم
غيظ بها وحزن !!

والشاعر يوسف مصطفى التني سفير السودان بالجمهورية العربية المتحدة يذكر أيضاً أن أهل لندن ينكرون لونه . ثم يفخر بلونه وينكر عليهم أشياء مثلما أنكروا عليه لونه، ومن ثم نراه يقول :

إنه ينـكر من أحوالهم
عجمة اللفظ وتقديس الصليب
وخلاقا غـير ما يعهـده
وجموداً بارداً جد عجيب ..
مثلما قد أنكروا من لونه
سمرة كالخال في خد حبيب
فارحموا غربته عودوا به
قد كفاه مايلاقي من لغوب !

والشاعر محمد مهدي مجذوب يذكر طرفاً مما كان يدبره الإنجليز في الجنوب ، فيقول :

وإن عجبت فمن قس أخي ورع
لدى الـكنيسة لم تعلق به الريب
إن كان يدعو إلى عيسى فشرعته
قدس الأناجيل فيها الحب والقرب

إني لأعرض وجهي ثم أسأله
عن لون وجهي بالآلام ينتقب
عنـدي من الزنج أعراق معاندة
وإن تشـدق في إنشادي العرب
فـكيف يمنع قلبي عن مواطنـه
وكيف مثلي في السودان يغترب !

والشاعر عبد المجيد الحاج الأمين يقص لنا حكاية ، يذكر فيها حواراً دار بينه وبين فتاة أمريكية تدعى «سوزان» ، فما كادت تراه حتى قالت له :

من أين جئت مفزع النظرات محموم الفـكر
هل جئت من بلد تقاذفه المخاوف والنـذر ؟
هل جئت من « تكساس » من بلد العصابات الـكثر ؟

فيرد عليها قائلا :

أنا لست من « أمريكة » يا بنت فـكر يحتضر
أنا موطني إفريقيـا بلد المآسي والنـذر !

فتقول له :

قل لي الـكثير عن الوحوش ؟ عن التماسيح الـكبر
عن رقصة الحرب المخيفـة ؟ عن أساطير أخر
أو تأكلون لحوم بعض الناس إن صعب الأمر ؟

فيقول لها :

سوزان يا نفح العبـير يشع في الخد النضر
أنا لا ألومك أنت يا سوزان يا همس الزهـر
قد رمت معـرفة ولو كفروا بعقلك ما كفر ..!

والشعراء السودانيون يحسون بفداحة التفرقة العنصرية ، ويُعتبرون خير من يعبر عنها بين شعراء العربية . ومن أقوى القصائد التي تعرضت لهذا الموضوع قصيدة كينيا .

للدكتور محيي الدين صابر ، فهو يقول فيها :

شغلت رهبانكم عن ربهم
ضيعة البن وحقل الحنطة
سبة العالم فى حاضرنا
فتنة الألوان والجنسية
كم رأت (آسيا) وذاقت قبلنا
من هوان البيض باسم الصفرة
مشكلة الألوان فى أعماقها
أصلها معركة فى اللقمة !!

. . . وإذا كان الشاعر السودانى يجد فى مهجره فى الغرب هذه العقبة التى تقف دون إدماجه فى المجتمع هناك ، فإنه يجد فى مهجره هنا فى مصر كل إعزاز وتكريم .

وإن القارئ للشعراء الذين أقاموا ويقيمون فى مصر ـ كعلى محمد على، وجيلى عبدالرحمن، وتاج السر، ومحيي الدين فارس ـ ليجد دليلا على هذا الرأى، فالمجتمع هنا يقبل عليهم أكثر مما يقبلون عليه حتى إن محيي الدين حينما عبر عن مظالم البيض فى قصيدته «لوسى» الطالبة الزنجية التى أوصدت دونها أبواب جامعة « ألاباما » كان إنسانيًّا بعيداً عن المشاعر الحاقدة فهو يقول من مصر :

لم أكره الأبيض لكننى
كرهت منه الصفحة المعتمه
فلونه كلون قلبى وفى
كفيه كفى غنوة ناغمه !
أحببت كل الكون كل الورى
كل معانى القيم الملهمة !

وقع المأساة فى العالم

لا يمكن لضمير حى أن يستريح لهذه التفرقة العنصرية فى عصرنا الحديث .. عصر الإنسان وقد هزت هذه المأساة كثيراً من شعراء العالم . ولعل أروع من عبر عن آلام الزنوج فى أمريكا بحق هو الشاعر الصينى « آى تشننج » فى القصيدة التى يقول فيها :

فى أعلى درجات المنزل
كانت فتاة سوداء تغنى
كانت تذهب وتأتى وهى تغنى
فما الذى أدخل على قلبها الفرح
هل تراها كانت تغنى لحبيبها ؟
.. كلا إنها تحمل طفلا صغيرا
بينما تغنى له لكى ينام
لم يكن الطفل ابنها
ولا أخاها الصغير
وإنما هو « سيدها الصغير »
أحدها أسود
أسود كقطعة الفحم
والآخر أبيض
أبيض كاوزة القطن
أحدها ملفوف بالرفاهية
ومع ذلك يبكى وينتحب
والأخرى تعيسة وبائسة
ومع ذلك فهى تغنى
تغنى له !!

وهكذا يقف الشرفاء فى كل مكان من أجل قضية الرجل الأسود ، وغداً سيصبح الرجل الأسود ملء العالم بقيمه المضيئة وإنسانيته الرحيمة .

دور المثال الإفريقى البدائى في محاربة الاستعمار والمستعمرين

للعميد أركان الحرب محمد عبد الفتاح إبراهيم

فى العدد الماضى من مجلتنا الحبيبة « نهضة إفريقية » جاءت مجموعة من رسوم الأطفال الإفريقيين الذين أسهموا فى مسابقة مجلة « شنكر » الهندية لرسوم وكتابات الصغار . .

ولست أنكر أن هذه الرسوم تدل على وعى طيب ، وعلى تعبير أخاذ أحسنوا نقله من صميم واقع حياة البيئة والمجتمع كل فى الركن الذى يعيش فيه من قارتنا إفريقية ، ولكنى لا أستطيع أن أغفل أن هؤلاء الأطفال المحدثين يعيشون فى طابع حضارى متقدم كان له أثره فى رسومهم ، هـذا من ناحية . ومن ناحية أخرى لست أستطيع أن أنكر أنى صدمت لأن أحداً منهم لم يصور الوثبة الجديدة للعملاق الإفريقى ، وأن أحـداً منهم لم يحاول أن يسخر من الاستعمار ، والمستعمر على نحو فعل المثال الإفريقى البـدائى الأول ، فدق بسخريته المسمار الأول فى نعش الاستعمار .

لقد كان المثال الإفريقى البدائى أدق تعبيراً فى تصويره للمستعمر الأبيض من كل أولئك الذين عاشوا معـه فى نفس العصر ، واكتووا بنيران الاستعمار مثله ؛ سواء فى آسية ، أو فى أمريكا اللاتينية ، مع أنه قد كان لهؤلاء فنونهم ، ووسائل التعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم ، لقد كان المثال الإفريقى البدائى صادق الفراسة فى إدراك حقيقة هذا الرجل الذى زعم أنه يبحث للعلم ويعمل للتجارة ؛ فكان أن اغتصب خيرات الأرض ، جاء بدعوى أنه يقصد « السلام » فتحدث بلغة « الحسام » .

إن هـذه النماذج البدائية التى يحتفظون بهـا اليوم فى المتحف البريطانى بلندن ومتحف باركلى بواشنطون لتوضح لنا هـذا الوعى الكبير الذى توافر للمثال الإفريقى الأول ، وهو إن لم يستطع طرد المستعمر إلا أنه بسخريته منه ، وبإبراز كل مظاهر الطمع والجشع والاسترضاء والخديعة قد دق المسمار الأول فى نعش الاستعمار ، وهذه الصور كلها لا يجب أن ننساها ، بل يجب أن نكافح من أجلها حتى تتحقق الدعوة ؛ دعوة . . . « إفريقية للإفريقيين » .

القدرة الإنتاجية للعامل الأفريقي

للأستاذ محمد أحمد رمضان



في خلال السبعين عاما الماضية مرت إفريقية بثورة اقتصادية كبرى ، فقد بدأ سكانها في المناطق المدارية والاستوائية الذين يبلغ عددهم نحو ١٤٠ مليون نسمة ينتجون للسوق الخارجي ، بعد أن ظلوا عشرات القرون لا ينتجون غير ضروريات حياتهم الخاصة . ولهذا فقد أصبح ظهور العملة – بدلًا من المقايضة – ضروريًّا لمسايرة هذا التقدم الاقتصادي ، ولكن لم يكن لدى إفريقية ما تسهم به في هذا المضمار سوى محصولاتها الزراعية أولًا – كما في ساحل الذهب ونيجيريا – وأيديها العاملة ثانياً – كما في روديسيا الشمالية والجنوبية . وهنا نلاحظ أن ٧٠ ٪ من المحاصيل الزراعية و ٦٠ ٪ من الأيدي العاملة ما تزال تعمل لتسد ضروريات المعيشة الخاصة بالإفريقي وأسرته فحسب ، ولكن نظراً للزيادة السريعة في عدد السكان ، أصبح من الضروري استغلال الثروات الطبيعية واستحضار الآلات اللازمة لهذا الغرض وأهم من ذلك كله إنشاء شبكة من الطرق البرية والملاحية . ولكن كل هذا يتطلب إمكانيات مادية لا تتيسر حاليا بسهولة للدول الإفريقية ، يضاف إلى ذلك أن الاعتماد على رأس المال الأجنبي في تصنيع البلاد قد يؤدي إلى تغلغل الاستعمار في هذه المناطق تحت ستار حماية مصالحه الاقتصادية. ولهذا فلا حل لهذه المشكلة إلا في زيادة القدرة الإنتاجية للعامل الإفريقي من ناحية، واستخدام الأيدي العاملة في الصناعة بدلًا من استخدامها كلها في الزراعة من ناحية أخرى .

والذي يهمنا في هذا الحديث هو البحث في القدرة الإنتاجية للعامل الإفريقي فحسب .

ونبدأ فنقول إنه من المؤسف حقا أن نضطر إلى الاعتراف بأن إنتاج العامل الإفريقي بوجه عام منخفض جدا في جميع المجالات ، وهذه

حقيقية يجب أن نضعها فى اعتبارنا بعيدا عن العاطفية والتعصب إذا أردنا أن نسهم فى بناء نهضة إفريقية . ودليل ذلك أنه قد أجريت عدة اختبارات فى اتحاد جنوب إفريقية دلت على أن إنتاج العامل الإفريقى المهاجر يبلغ ٢٩ ٪ من النسبة المأخوذة كحد أعلى للإنتاج هناك ، ولا يقتصر هذا الانخفاض فى الإنتاج على الناحية الكمية — أى مقدار الإنتاج — بل على الناحية الكيفية كذلك أى مستوى الجودة ، وكان الحاكم العام للكونجو البلجيكية يشكو دائما فى تقاريره الرسمية من أن الإفريقى فى هذه المنطقة يقضى أربعة أيام فى صنع ما ينجزه الرجل الأبيض فى يوم واحد .

ومن البديهى أن يترتب على انخفاض إنتاج العامل انخفاض أجره إلى حد يكفيه وحده دون عائلته . وحتى المزارعين الملاك الذين يوفرون السلع الغذائية لهؤلاء العمال ما يزال إنتاجهم فى انخفاض مستمر فى جميع أنحاء إفريقية الجنوبية . وتدل الإحصاءات فى هذا الصدد على أن الإنتاج الزراعى هناك لم يحقق أى تقدم فى المدة بين عامى ١٩٢٧ — ١٩٤٩ ، بل إنه انخفض أيضاً . ولهذا فلا عجب أن تدلنا الإحصاءات على أن الإنتاج الزارعى هناك يشكل ٧ ٪ فقط من دخل السكان ، الأمر الذى يهدد العمال أنفسهم بالجوع ، لأن المزارع يضطر بسبب انخفاض إنتاج أرضه إلى استهلاك معظم ما ينتجه من طعام ليسد به رمقه .

وقد زاد من سوء هـذه المشكلة ازدياد السكان وتضاؤل خصوبة الأرض بسبب عدم توافر السماد الكيماوى ، الأمر الذى أرغم كثيرا من المواطنين فى روديسيا (وقد بلغوا نحو ٤٠ ٪ من مجموع الذكور هناك) إلى الهجرة من موطنهم . وفى كينيا والكونجو البلجيكى نجد المأساة نفسها ؛ فالمزارعون الوطنيون لا يستطيعون زيادة إنتاجهم لعدم توافر رأس المال والخبرة الفنية ، بل حتى الأرض الصالحة للزراعة ، وكل هذه العوامل أدت إلى انخفاض مستوى المعيشة بين المزارعين الملاك والعمال المأجورين على السواء .

ولكنّ هناك عاملاً آخر يعتبره بعض علماء الاجتماع من أهم العوامل التى تؤدى إلى انخفاض إنتاج العامل الإفريقى ، ونعنى به العامل الإنسانى . . . خصوصاً إذا عرفنا قلة كثافة سكان القارة . وهـذا ما يدفعنا الآن إلى التوسع فى بحث أثر هذا العامل الإنسانى ، وخاصة الجوانب الصحية والعقلية والاجتماعية منه .

* * *

لقد تعرض كثيرون لدراسة قدرات العامل الإفريقى ومدى تقدم ذكائه النظرى والعملى ،

من هنا لوحظ أن لإسكان الإفريقيين واستقرارهم أثراً كبيراً فى زيادة قدرتهم الإنتاجية ، خصوصاً إذا كان الإفريقى قريباً من مكان عمله ، كما لوحظ أن عامل التدريب له أيضاً أثره الجم فى تحسين مستوى الإنتاج. وقد لوحظ أيضا أن بعض العمال فى كينيا الذين لا يفقهون شيئاً فى الميكانيكا ولم يروا حتى قطاراً فى حياتهم قد أبدوا مهارة يدوية مذهلة فى وقت قصير ، ولكن لوحظ فى الوقت نفسه أنه لا فائدة من تدريب من لا يفكر فى الاستقرار منهم .

ولكن . . هل هذا كل شىء ؟

الواقع أن هناك عوامل أخرى غامضة تتحكم فى إنتاج العامل الإفريقى ، وأهمها شعوره بالوحدة فى المدينة ، وإحساسه بالغربة فى الجو الأوروبى ، ثم شعوره بإهماله لالتزاماته نحو قبيلته ولواجباته نحو أرضه .

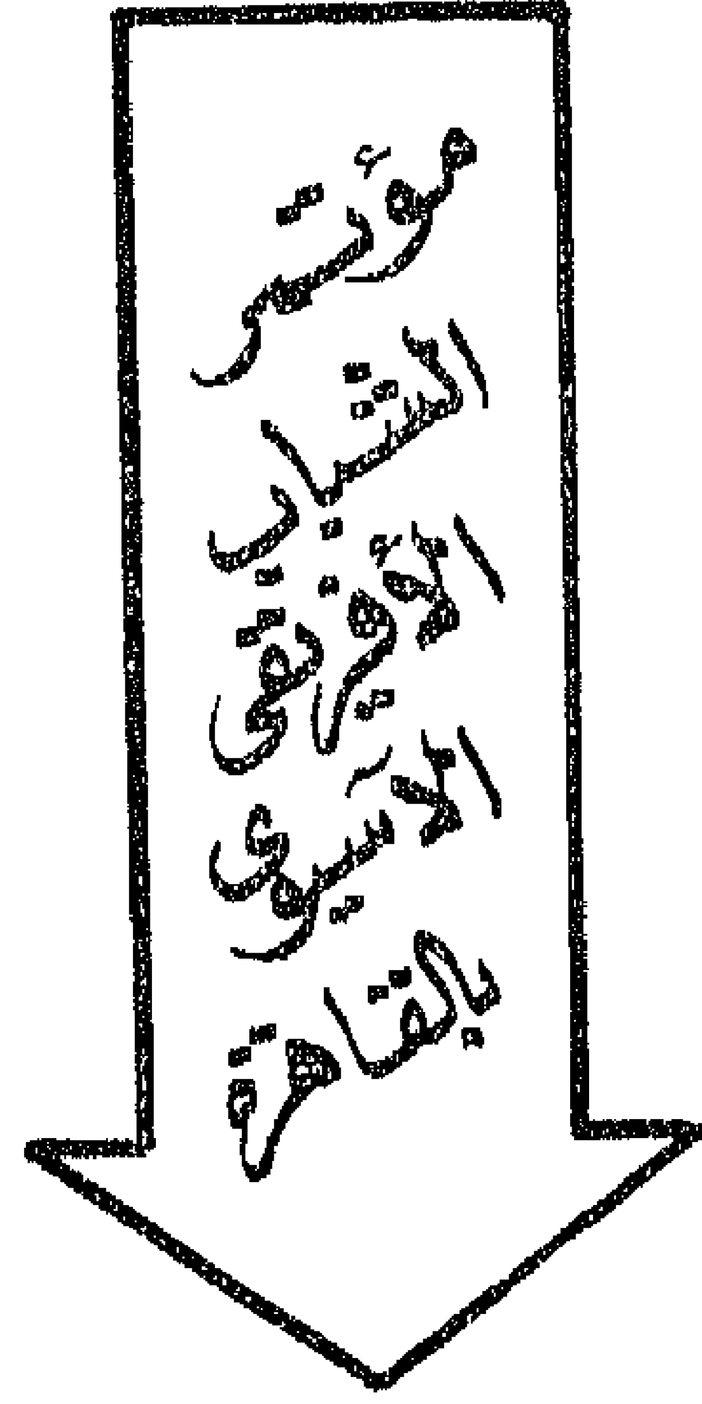
ويجب أن ندرك أن ابتعاد العامل الإفريقى عن مجتمع القبيلة التى نشأ فيها مسألة ضخمة لا نستطيع نحن فهمها أو تقدير مدى أهميتها فى نظره ، فالعامل الإفريقى خارج موطن قبيلته لا يفقد شعوره بالواجب والحماس للعمل فحسب ، بل إنه ليفقد أيضاً ثقته بنفسه وبكفاءته بمجرد انتقاله من موطنه إلى بيئة أخرى تختلف تماما عن طراز معيشته وتفكيره وحينذاك يفقد شعوره بالأمان : ذلك الشعور الذى لا يجدى المال نفعا فى تحقيقه ، لأن العامل الإفريقى يشعر دائما بأن ضمان مستقبله المحدود من ناحية ، وتقدمه فى عمله ومنصبه من ناحية أخرى أمر شاق جدا فى عالم يسوده البيض . ولهذا يظل تفكيره موزعا مشتتا بين قريته وبين عمله فى المدينة ، وخصوصا أنه يرى أن التكافؤ معدوم بين عالم القبيلة التى يُستمد الأمان فيها من القرابة ، وبين عالم المدينة التى يُستمد الأمان فيها من المال . ومن هنا كان من الطبيعى ألا يبحث العامل فى المدينة إلا عن بعض النقود التى يدخرها ليضمن أن يعيش باقى عمره فى سلام مع قبيلته .

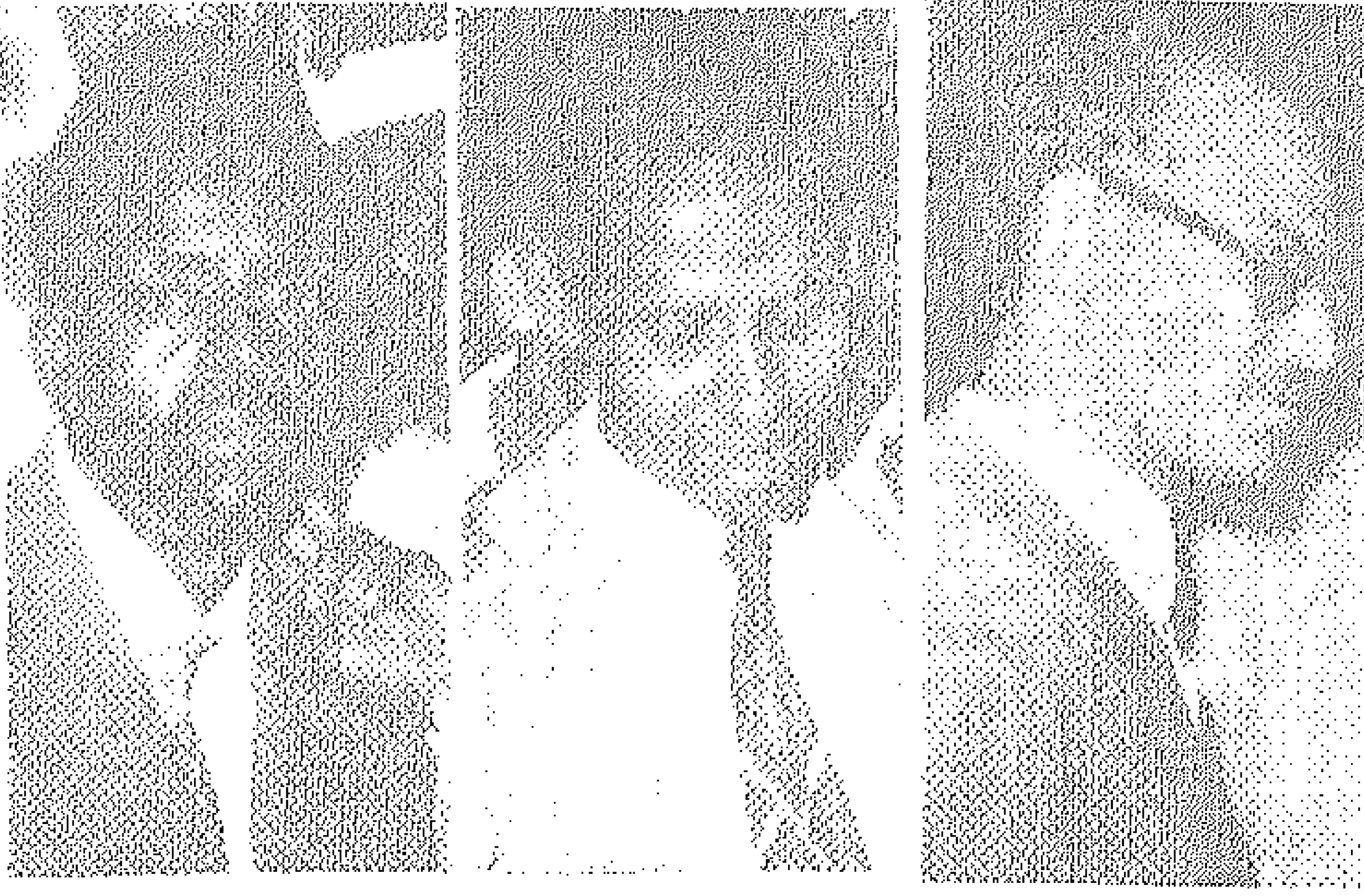
وقد يبدو لبعض المفكرين ـ أن حل هذه المشكلة ممكن بإسكان العامل مع عائلته قريباً من عمله فحسب ، ولكن العامل مع ذلك يظل بعيدا عن التفكير فى تحسين قدراته وكفاءته للترقى فى منصبه ، إلا إذا انقطعت صلته تماما بالقرية التى كان يعيش فيها . وقد اتبعت الكونجو البلجيكية وكينيا سياسة الإسكان والتوطين ، فوجدت أن ازدياد إنتاج العامل يتوقف على حياته وسط أسرته قبل كل شىء ، مع ضرورة إشعاره بضمان مستقبله وسد حاجاته كما لو كان يعيش فى قبيلته نفسها ، وقد أدت هذه الخطوات إلى نتائج طيبة طيلة عدة سنوات من إقامة العامل واستقراره .

وقد ذكر المستشار (فيشر) فى تقرير رفعه إلى الجمعية العمومية للمستعمرات البلجيكية عام ١٩٥٢ أنه مازالت هناك فرصة لتوطين العمال وإعادة بناء مجتمع إفريقى متماسك يحمى مصالح الوطنيين ، ويحافظ على نعرتهم القبلية ، إذا كانت بلجيكا ترغب فى المحافظة حقا على مصالحها الاقتصادية و السياسية هناك . وقد حدث هذا فعلا أيضا عند إنشاء مجتمعات المدن فى إفريقية الغربية البريطانية وغيرها . وفى هذه المناطق ترك معظم السكان أوطانهم ، بل عائلاتهم ليعيشوا فى المدن ، وفى نيجيريا أيضا نجد حاليا أنواعا من الاتحادات القبلية بدأت تتخذ مظهراً جديدا لها فى المدن ، الأمر الذى أدى إلى خلق شعور الألفة والاستقرار فى نفوس الإفريقيين العمال ، وخصوصاً أن هذه الاتحادات تقدم المساعدات المادية والمعنوية لأفرادها على نطاق واسع فى حالات المرض والبطالة والموت . وغنى عن الذكر أن الحكومات الاستعمارية هناك لا تقدم مثل هذه الخدمات حبًّا منها فى رفع المستوى الإنسانى للإفريقيين بقدر حبها لاكتساب الإفريقيين إلى صفها ، واسترضائهم لتنشيط مشروعاتها الاقتصادية الاستغلالية هناك .

إن الأزمة النفسية التى يعانيها العامل الإفريقى فى إفريقية لم يكن يعرفها أجداده أبداً . فهو الآن يهاجر إلى المدينة وهو يحلم بأن يجد أسرة كبيرة يصبح عضوا فيها ، ويحلم بأن يجد فى رئيسه فى العمل بديلا من رئيس قبيلته الذى يعامله معاملة الإبن ، ولكنه لا يجد هناك غير الصدمات والعداء والتنافس والتفرقة العنصرية والاحتقار ..

إن المتاعب والقيود التى يصادفها العامل الإفريقى عند هجرته إلى مدينة البيض أكثر من أن تحصى . ولهذا فقد لاحظ (كومبر) أن مستوى الإنتاج فى « جامايكا » مثلًا يعود بدرجة كبيرة إلى القيود القاسية التى تحول دون ترقية العامل الإفريقى هناك إلى منصب أعلى من مركز (ملاحظ) . وهذا تماماً يحدث الآن فى إفريقية ، ففى اتحاد جنوب إفريقية وروديسيا الجنوبيــة يحاول المستعمرون الأوروبيون سواء بالقانون أم بالعرف الاجتماعى أن يجعلوا العامل الإفريقى فى مستوى منخفض ثابت من المهارة والتدريب ، ولا يختلف هذا الحال عنه فى الكونجو البلجيكى أو فى إفريقية البريطانية الشرقية والغربية والمستعمرات الفرنسيــة ؛ إذ يساعد سوء تدريب العمال وتعليمهم على إبقائهم فى مستوى منخفض معنويا واجتماعيا بصورة يستحيل معها تحسين مركز العامل وزيادة طاقته الإنتاجية إلى الحد الذى يمكنه من زيادة أجره ، وبالتالى تحسين مستوى معيشته ، إلى درجة تتناسب مع كرامته كإنسان .





بهجت الدسوقى ـ محمد الأزهرى دكتور مومى

عقد مؤتمر الشباب الإفريقى الآسيوى فى ٢١ من أغسطس ١٩٥٨ بالرابطة الإفريقية ، لتأييد ثورة العراق الحر الأبى ، وأعلنت قرارات دول المؤتمر التى تضمنت تأييد الشعب العراقى فى ثورته التحررية ، وإعلان تضامنها معه فى كفاحه . كما أعلن المجتمعون استنكارهم الشديد للأساليب العدوانية على شعب لبنان، وطالبوا بجلاء جنود الاحتلال الأمريكى فوراً، واستنكروا الأساليب العدوانية على شعب الأردن، وطالبوا بجلاء جنود الاحتلال الإنجليزى عن الأردن. وكذلك أعلن الشباب الآسيوى الإفريقى استنكاره للأساليب الإجرامية التى اتبعتها فرنسا فى الجزائر الشقيقة ، وتأييده كفاحها ونضالها المرير لنيل الحرية والاستقلال . وأعلن المؤتمرون تأييدهم كفاح شعوب كينيا وأوغندة ، والكمرون وتشاد وموريتانيا ، وأيدوا شعب الصومال فى نضاله من أجل وحدته واستقلاله . وكذلك الشعب الأندونيسى المكافح . وطالب المؤتمرون بوقف التجارب الذرية التى يريد القيام بها الاستعمار الفرنسى الغاشم فى الصحراء الإفريقية الكبرى .

وقد افتتح المؤتمر مندوب الرابطة الإفريقية الأستاذ بهجت الدسوقى فقال: إن الثورة العراقية التى انبعثت من الشعب تحت زعامة قادة مخلصين لدليل واضح على أن الاستعمار بألوانه وأعوانه قد أفل نجمه .

وأعقبه مندوب الصومال الأستاذ محمد الأزهرى فقال : لقد أعلن زعيمنا جمال عبدالناصر أن الشعب إذا أراد أن يحقق شيئاً فلابد أن يتحقق للشعب مايريد . وبالفعل فقد تحقق لشعب العراق ماأراده.

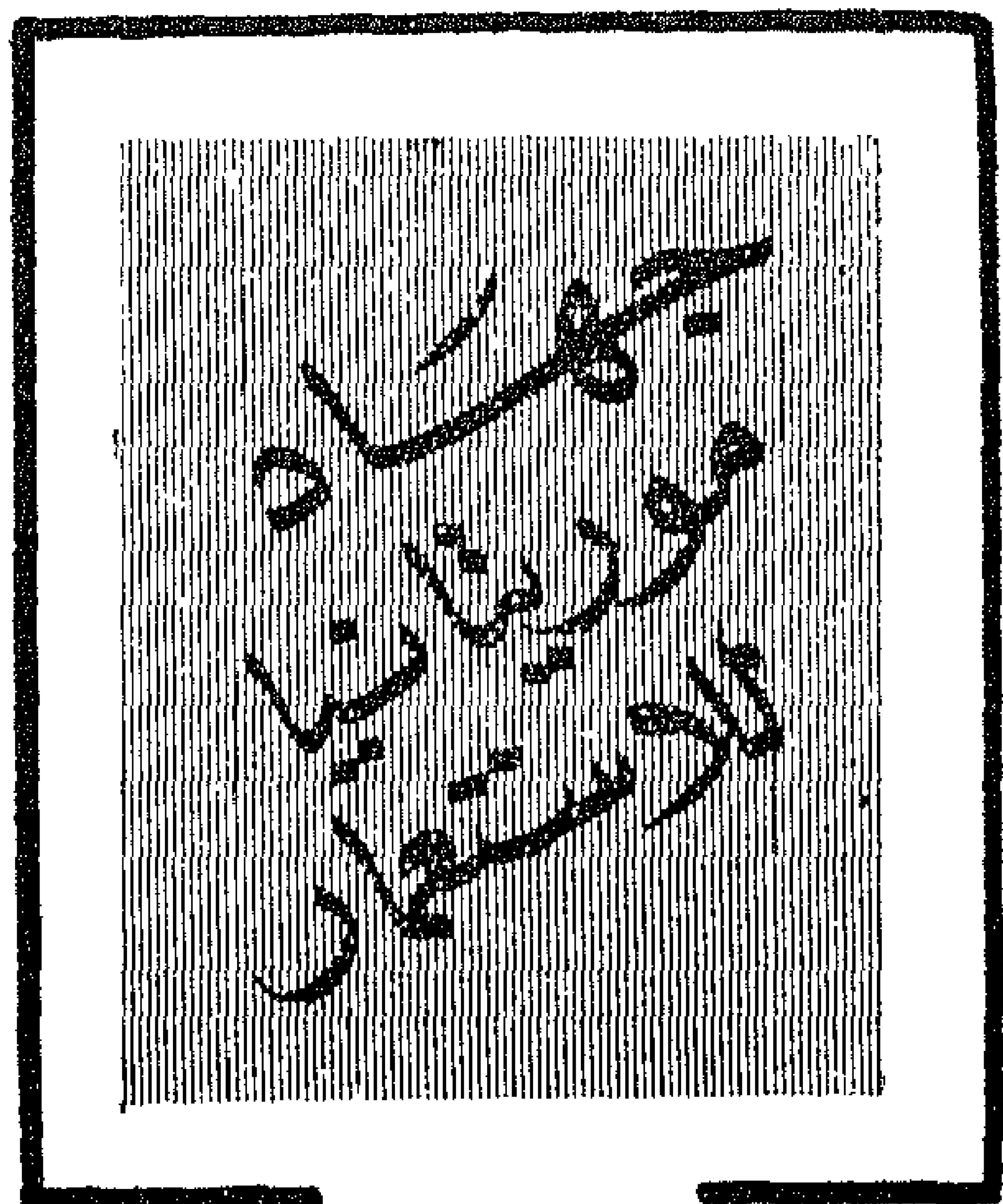
ثم تحدث مندوب الأردن كما ألقى السيد صافى إمام موسى من إريتريا قصيدة

وتكلم مندوب كينيا عن قيام الثورة فى مصر عام ١٩٥٢ وكيف حطمت الاستعمار من القاهرة . وأن كينيا تستجمع الآن لتحطمه فى كل مكان بكينيا فقد أخذ الزحف المقدس طريقه إلى الشعوب ، كل الشعوب ، ثم ختم كلمته قائلا : نحن الإفريقيين نحتفل بيوم الثورة العراقية ، لأنها ثورتنا جميعاً . فالقارة الإفريقية بمثابة إنسان رأسه فى شمال إفريقية وعيناه فى مصر أما باقى الأجزاء التى تسكنها الأمة العربية فهى تونس، مراكش، ليبيا ، وصلتها بنا قوية، ورائعة!

ثم أعقبه دكتور مومى فيليب مندوب الكاميرون والزعيم السياسى فتكلم عن ثورة العراق وقارنها بثورة فرنسا التى أطاحت بالملكية فأوجه الشبه بين حصن الباستيل وقيود نورى السعيد فى العراق قوية.

ثم ختم المؤتمر مندوب يوغندا بقوله : إن الزحف قد بدأ من الرابطة الإفريقية ، وإننا من هنا سوف نزحف على جميع القارة الإفريقية ونحررها .

إيرين عبد السيد



بقلم الدكتور جلال يحيى

تعتبر «موريتانيا» أحد الأقاليم القلائل التي واصلت الجهاد المسلح ضد الاستعمار دون توقف، فترة تقترب من ستين عاما متتالية، وذلك لحب أهلها الفطرى للحرية والاستقلال .

تقع موريتانيا إلى الجنوب من مراكش وإلى الشمال من السنغال والسودان الغربى ، وتسكنها قبائل عربية مسلمة تتكلم العربية الفصحى ؛ لونهم قمحى فى الشمال ، ولكنه يزداد سمرة كلما اتجهنا جنوبا ، مثلهم فى ذلك مثل سكان مصر العليا والنوبة وشمال السودان. وموريتانيا بلاد صحراوية قليلة الأمطار والسكان وتوجد بها بعض الواحات إلا أنها غنية فى المعادن خصوصاً النحاس ، وتبشر العمليات الاستكشافية الأخيرة بوجود البترول بها بكميات كبيرة . أمامن الناحية الاستراتيجية فإن موريتانيا تعتبر الصلة التى تربط إفريقية السوداء بإفريقية البيضاء فى المغرب العربى . ويمر بها الطريق الرئيسى النازل من الدار البيضاء جنوبا إلى « دكار » وقد تحول الآن إلى طريق حربى فى غاية الأهمية . ويقع هذا الطريق على خط امتداد القواعد الجوية الأمريكية فى مراكش ، مواجها لساحل المحيط الأطلسى من ناحية ، ويربط بين الدار البيضاء ودكار من ناحية أخرى وهما أكبر القواعد البحرية الاستعمارية فى غرب إفريقية. ولذلك فإن « موريتانيا » تحتل مكانا ممتازا فى خطط الدول الغربية الاستعمارية ، كطريق أساسى للمواصلات الحربية. فيمكن بوساطتها تعزيز القوات الاستعمارية فى شمال أفريقية وإمدادها بجنود ومهمات تصل إلى دكار وتعزيز قوات المستعمرين وتموينهم فى إفريقية السوداء بإمدادات تصل من الشمال .

وإن تاريخ موريتانيا لمرتبط أشد الارتباط بتاريخ الإسلام فى شمال إفريقية وبتاريخه فى إفريقية السوداء، وهو مرتبط كذلك بالجهاد ضد الاستعمار فى هذين الإقليمين .

جاءت إليها القبائل العربية من الشمال وعملت على نشر الإسلام فى السودان الغربى ، ومن ناحية أخرى قامت حركات من موريتانيا

متجهة شمالا لدعم حكم العرب فى المغرب والأندلس إذ أن المرابطين هم من أبناء موريتانيا الذين أثبتوا صلابة فى الكفاح.

ارتبطت القبائل الموريتانية إذن بروابط سياسية واقتصادية مع سلطان مراكش، فقبلوا تعيينه القضاة فى بلادهم، وقدموا إليه شكاواهم، ودعوا له فى صلاة الجمعة، وقاموا بنقل التجارة بين السودان الغربى وشمال إفريقية ولكن النظام القَبَلى لايسمح بقيام نظام مركزى للدولة، بل هو فى الواقع نظام « استقلال داخلى » لكل قبيلة أو مجموعة قبائل.

بدأت القبائل الموريتانية تتعرف على الفرنسيين بعد احتلالهم للسنغال، قَبِلَ الفرنسيون دفع إتاوات فعلية لبعض هذه القبائل حتى يسمحوا بمرور القوافل وجردوا ضدهم بعض الحملات الحربية فى أوقات أخرى. ولكن هذه الحملات لم تتعد ضفاف نهر السنغال.

ولكن فرنسا أظهرت نياتها الاستعمارية تجاه « موريتانيا » فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فرفضت دفع الإتاوات وأخذت ترسل البعثات لدراسة الحالة فى موريتانيا نفسها. ولكن محاولاتها باءت بالفشل نتيجة لعداء الشعب الموريتانى لتوغل الأجانب فى بلاده، فقد نهب الأهالى مثلا فى مايو سنة ١٨٨٠ قافلة « بول سولييه » الذى كان قد قام من « سان لوى » فى ديسمبر سنة ١٨٧٩ متجهاً إلى « بلاد الأدرار » واضطروه إلى إيقاف سيره، وإلى العودة إلى نقطة قيامه.

لم يكن توغل الفرنسيين إذن أمراً هيناً فى موريتانيا فما إن اجتازوا نهر السنغال حتى اصطدموا بالصعاب مع الأهالى؛ وكانوا يلقون تلك الصعاب حتى من القبائل التى أعلن رؤساؤها رغبتهم فى السلم مثل « الترارزة » و« البراكنة ». دافعت القبائل الموريتانية بهذه الطريقة عن استقلالها وأبعدت الأجانب عن بلادها. ولا يمكن لذى متحضر توجيه اللوم لتلك القبائل إذ أن تقارير هؤلاء « الرحالة » المحفوظة فى أرشيفات وزارة المستعمرات الفرنسية تثبت عملهم فى « المخابرات » الفرنسية، ومعاونة الدولة لهم سراً، ودفعها لهم على اتخاذ سياسة إيجابية فى تلك المناطق؛ بل إننا لا نلقى القول على عواهنه إن ذكرنا أن القانون الدولى يبيح إعدامهم رمياً بالرصاص بتهمة التجسس (١).

أخذت الحكومة الفرنسية تكشف عن

(١) للمثال على نشاط « الرحالة » المذكور « بول سولييه » انظر أرشيفات وزارة فرنسا فيما وراء البحار (المستعمرات) F. O. M. 1014/1-6.

رغبتها فى دراسة موريتانيا، فأرسلت السفينة « لاردان » وكلفت قبودانها بدراسة شواطئ وسواحل ذلك الإقليم وقد قام فعلا بتنفيذ تلك المهمة ، دون أن يترك ظهر سفينته .

وفى السنوات التالية استطاع بعض الفرنسيين التوغل فى موريتانيا والعودة أحياء بمعلومات خاصة ببلاد «الترارزة والأدرار» سنة ١٨٩٤ .

واختارت فرنسا أحد رجالها(١) وأرسلته إلى إفريقية الغربية سنة ١٨٩٨ لكى يبسط حكمها على بلاد موريتانيا . وكانت له دراية باللغة العربية وبالدين الإسلامى ، وكانت له طريقة خاصة فى إقناع الفقراء وإغرائهم بصرف مرتبات أو باستلام هدايا من النقود الذهبية . وقام فى السنة نفسها بمهمة فى منطقة « الساحل » السودانية ، وهى التى تقع إلى شرق موريتانيا الحالية ، ثم زار قبائل العَلُّوش والمَشْدُوف والقبائل التى تسكن إقليم « الحوض » . واستطاع إغراء بعض الأفراد من تلك القبائل على الذهاب ، وتقديم احتراماتهم للحاكم الفرنسى فى السودان الغربى ؛ ثم واصل رحلته فى بلاد «الموريتانيا» « والطوارق » ومنطقة « تمبكتو » .

واعتقدت فرنسا أنها قد اشترت البلاد بشرائها لبعض ضعاف النفوس ، ولكنها شعرت فيما بعد بخطأ تصرفاتها .

أرسلت فرنسا فى الوقت نفسه بعثة أخرى من « سان لوى » إلى بلاد « الأدرار » فى حراسة قوة من المشاة . وقد وصلت هذه البعثة إلى « عَطَر » فى شهر يونيو سنة ١٩٠٠ ، ولكن الأهالى هاجموها وأسروا كل أعضائها وحراسهم ولم يفرجوا عنهم إلا بعد تدخل الشيخ سعد بوح ودفع فدية كبيرة .

وفى الوقت الذى أرسلت فيه فرنسا حملاتها إلى جنوب « موريتانيا » وشرقيها اتفقت مع إسبانيا (٢٧ من يونيو سنة ١٩٠٠) على تقسيم مناطق النفوذ بينهما فى ذلك الإقليم . واعترفت فرنسا لإسبانيا « بحقوق » على المنطقة الواقعة بين رأس البيضا ورأس چوبى ، فأصبحت جارة لها فى خليج « ليفرييه Lévrier » وفى شمال بلاد «الأدرار» وهى المنطقة التى أصبحت تعرف فيما بعد باسم «ريودى أورو » .

أخذت فرنسا تطبق فى شمال غرب إفريقية السياسة التى طبقتها إنجلترا فى شمال شرق هذه القارة ، وتذرعت بالملل نفسها للوصول إلى النتائج المماثلة ، وكانت إنجلترا قد عملت على الفصل بين مصر والسودان للانفراد بهما الواحد تلو الآخر ، ثم سمحت لإيطاليا

(١) كوبولانى Coppalani

باحتلال أجزاء من سواحل البحر الأحمر ، حتى تؤيدها في توسعها في وادي النيـل . وقامت فرنسا بالفصل بين المغرب الأقصى وموريتانيا والسنغال ثم أرضت إسبانيا بإشراكها في الأسلاب بأن اعترفت «بحقوقها» الاستعمارية على « ريودى أورو » .

تذرعت فرنسا سنـة ١٩٠٢ بأن بعض القبائل الخاضعة لسلطة أحمد سَلّوم قد عصت أمره ، وذلك برفضها تنفيـذ الاتفاقات التي وقعها سرًّا مع الفرنسيين . أرسلت فرنسا طابوراً عسكرياً لدعم سلطة أحمـد سلوم على رعيته بالقوة وأعلنوه « ملـكا » على جميع « الترارزة » . قبـــل أحمد سلوم الحماية الفرنسية ، وأن يلغى الضرائب على قوافل الصمغ العربي ، وأن يستمع إلى إرشادات المقيم الفرنسي الذي سَيُعيَّن في بلاده . ولـكن ما إن عاد الطابور الفرنسي إلى قواعده نظراً لشدة الحرارة حتى شعرت فرنسا بأن معاهدة الحماية أصبحت بدون قيمة ، إذ أن الأهالى رفضوا الاعتراف بكل هذه الترتيبات .

أرسلت فرنسا « كوبولانى » لدعم سلطتها في تلك الأقاليم التي أسمتها باسم موريتانيا في ذلك الوقت ، وهي بلاد «الترارزة» « والبراكنة » «والأدرار» «والدجنات» ومايجاورها . وصل ذلك المندوب إلى «دجنة» في ديسمبر سنة ١٩٠٢ وحصل من أحمـد سلّوم ـ الذى لم تـكن له أية سلطة فعلية ـ على التنازل عن سلطاته « الملـكية » . ثم أرسل في طلب الشيـخ سعد بوح والشيـخ سعدية وأجبرهما على كتابة «فتوى» بأن حضور الفرنسيين هو تطبيق لإرادة الله !! وهكذا ارتـكز الفرنسيون على نفوذ مشايخ الطرق ـ وهو النفوذ الرجعي في البلاد ـ ثم أقاموا أربع نقط عسكرية ، واحتلوا منها بلاد «الترارزة» .

طبق « كوبولانى » في بلاد «البراكنة» سياسته نفسها في بلاد « الترارزة » ، فأجبر الأمير أحمد ولد سيدى على في يونيو سنة ١٩٠٣ على التنازل عن سلطته ، ثم أقام نقطا عسكرية تسهل احتلال بلاد البراكنة .

وما إن تم احتلال جنوب موريتانيا بهذه الطريقة حتى بدأ الفرنسيون في التوغل شمالاً . ثم تـكونت حكومة عموم إفريقية الغربية ، وكان « كوبولانى » أول مندوب للحاكم العام في بلاد الموريتانيا . أرسلت فرنسا بعثاتها لدراسة السواحل وخصوصا خليج «ليڤريبيه» وكان ذلك تمهيداً لإنشاء ميناء « بورت إتيين » طبقًا لسياسة قطع مواصلات موريتانيا بالبلاد المجاورة ، وربطها بفرنسا بحريًّا .

أراد مندوب الحاكم إخضاع إقليم الدجنات ولـكنه دفع حياته ثمنًا لذلك . اعتمد على بعض عناصر من « الخونتا » أقارب سكان إقليم الحوض ، ووصل إلى قصر « البركة » في

فى فبراير سنة ١٩٠٥ وإلى « دجيجة » مركز « الدجنات » فى أبريل . ولكن الأهالى قاموا مع بعض أهالى الأدرار بقيادة الشريف سيدى ولد مولاى الزين بمهاجمته وقتلوه فى خيمته يوم ١٢ من مايو .

أرادت فرنسا بطبيعة الحال أن تستفيد من مقتل مندوبها ، فعينت أحد العسكريين خلفاً له . اتهمت فرنسا شخصيتين موريتانيتين كبيرتين بالتحريض على ذلك القتل ألا وهما الشيخ ماء العينين الزعيم الدينى المشهور ، وأحمد ولد عايدة أمير « الأدرار » . كان الشيخ ماء العينين من بلاد الأدرار ولكنه كان يسكن « الساقية الحمراء » فى المنطقة الإسبانية ويتزعم حركة وطنية لمقاومة التدخل الاستعمارى فى موريتانيا ، وكان أمير الأدرار من المشتركين معه فى هذه الحركة ورأوا أن فرنسا تريد الانفراد بهم ثم تدير الدائرة على مراكش فصمموا على توثيق علاقاتهم بالسلطان وتوكيد وحدة البلاد أمام المستعمر . طلبوا العون من مولاى عبد العزيز سلطان المغرب الأقصى ، فأرسل أحد أبناء عمومته المسمى «مولاى إدريس» إلى منطقة الأدرار لدعم سلطة الدولة ولتنظيم حركة المقاومة وطرد القوات المعتدية .

أرسل مولاى إدريس إنذاراً فى أكتوبر سنة ١٩٠٦ إلى القائد الفرنسى فى الدجنات طالباً منه إخلاء الإقليم ، والخروج من « دجيجه » ولكنه لم يحظ بأى رد ، فذهب بنفسه على رأس بضعة مئات من المجاهدين لطردهم من الإقليم . قابل القوات الفرنسية على مسافة ٢٥ كيلومتراً من جنوبى «دجيجه» وانتصر عليهم يوم ٢٤ من أكتوبر .

أرادت فرنسا أن تكسب سياسيًّا ما خسرته عسكريًّا ، فقامت بالضغط على مولاى عبد الحفيظ الذى كان قد استولى على العرش من مولاى عبد العزيز ، كان عبد الحفيظ عميل لفرنسا بطبيعة الحال أكثر من سابقه ، فأعلن اندهاشه لمعرفة تصرفات ابن عمه مولاى إدريس فى بلاد الأدرار متظاهرا بأنه أرسل لتلك الجهات لكى يتحقق مما إذا كانت الدجنات والأدرار تابعة لمراكش أو للسنغال ، وبأن المسئولية لا تقع على كاهل حكومة مراكش ، حتى إذا كان قد تعدى التعليمات المعطاة له .

ولكن هذا التخاذل من جانب سلطان مراكش لم يثن أهل موريتانيا عن مواصلة الكفاح لتحرير بلادهم ، بل لمساعدة مراكش نفسها للمحافظة على استقلالها . تمكنت فرنسا من احتلال الدجنات فى عام ١٩٠٧ ، ولكن منطقة الأدرار ظلت تقاوم. بنى الفرنسيون موقعا حصينا للسيطرة عليها ، ولكن « أحمد ولد عايدة » هدده وهاجمه ،

وقضى على حاميته بأكملها فى ١٦ من مارس ١٩٠٨ ، وقد ظل ماء العينين يواصل إعداد المجاهدين فى الشمال وإرسالهم لمهاجمة الفرنسيين فى الجنوب ، وأعلن ابنه ـ الشيخ حسان ـ الجهاد وعقاب كل مسلم يقبل حكم المستعمرين. وقد بلغت الهجمات الموجهة إلى الفرنسيين بين ١٦ من مارس و ٦ من ديسمبر ١٩٠٨ ، ١٢٥ هجوما .

ظلت الحملة مدة عشرة أشهر (من ديسمبر سنة ١٩٠٨ حتى أكتوبر سنة ١٩٠٩) وكانت فى منتهى القسوة والصعوبة فى بلاد قاحلة ، وتحت حرارة الشمس المحرقة . أخذ المجاهدون فى مهاجمتها من الشمال ومن الجنوب وأجبروها على الدخول فى معارك متعددة « شُمّت » و « أماتيل » فى شهر ديسمبر ، و « حمدون » فى شهر يناير ، و « لبًّا » و« غسَّارين » فى شهر أبريل ، و « قصر طرشان» و«غولان» فى يوليو ، و«تورين» فى شهر أغسطس. خسرت القوات الفرنسية خسائر فادحة ولكن سكان الإقليم كانوا قد ضعفوا إلى درجة ما نتيجة لاستمرار الحرب ، رفع بعض سكان « عطر » إذ ذاك علم التسليم فى شهر يناير . كان معظمهم من التجار وأصحاب النخيل ، وكانوا يرغبون فى أن يؤمنوا على ممتلكاتهم ؛ أما البدو فلم يكونوا بخاسرين أى شىء إذ لم يكن فى استطاعة الفرنسيين الانتقام من ممتلكاتهم مثلا. كان هؤلاء البدو من رجال «ماء العينين» المخلصين لا ينسحبون من موقع إلا للاستعداد لشنّ هجوم جديد . عمل الفرنسيون على قتل جمالهم حتى يجبروهم على الخضوع ولكن جهودهم باءت بالفشل . وقد جهز الفرنسيون حملة من ٥٠٠ من الهجانة لمهاجمة البدو المعسكرين بجمالهم بالقرب من « عجل » فى ٦ من سبتمبر . قامت الحملة من « عطر » ولكن أخبارها وصلت للبدو قبل وصول القوات إلى تلك الملاحات فسارعوا بدخول أراضى «ريودى أورو » الإسبانية ، وباءت الحملة بالفشل .

كانت هذه هى نهاية الحملة الفرنسية فى موريتانيا. وقد اضطر ماء العينين إلى سحب عدد كبير من المجاهدين وإرسالهم لمهاجمة قوات الاحتلال الفرنسية فى جنوب مراكش بالاشتراك مع الطوارق والرقيبات . هاجم «تِزْنِتْ» ثم مدينة مراكش نفسها، ولكنه اصطدم بقوات فرنسية تفوقه عدداً وعدّة فى « تِدْلا » يوم ٢٣ من يونيو واضطر إلى الانسحاب إلى منطقة « السوس » .

بدأ الفرنسيون يثبتون أقدامهم فى تلك المناطق عن طريق التنظيم الإدارى منذ أوائل سنة ١٩١٠ .

اعتقدت فرنسا أنها قد قضت على حركة المقاومة ، ولكن مجاهدى موريتانيا كانوا لايخرجون من معركة إلا للاستعداد للأخرى وساعدتهم طبيعة بلادهم على تلك الحرب التى امتازت بكثرة الكر والفر .

أرسلت فرنسا أحد طوابيرها ، للاستيلاء على « تشيت » فى سنه ١٩١١ ، وقد نجحت فعلًا فى التوغل فى ذلك الإقليم الواقع إلى الشرق من الدجنات ، وفى أسر أحمدولدعايدة ، أمير الأدرار السابق . ولكن المجاهدين واصلوا شن هجومهم على الفرنسيين ، وعلى كل من قبل الخضوع لهم . كان « الهيبا » قد خلف ماء العينين فى قيادة المجاهدين ، وصممت فرنسا على مهاجمته فى مركزالمقاومة نفسه فى « الساقية الحمراء » . وبالرغم من أن القوات الفرنسية كسبت معركة « واد تاجلياط » فى ١٠ من مارس ١٩١٣ إلا أن « الهيبا » أرسل أخاه الأغْضَفْ إلى قبائل الرقيبات و « ولاد دِليم » فانضموا بأكملهم إلى حركة المقاومة والجهاد ، كما أن بطون وأفخاذ هاتين القبيلتين أخذت فى ترك البلاد الموريتانية متجهة شمالًا مهاجمة ومخربة فى أقاليم « الترارزة » « والأدرار » ؛ وعادت قوة أخرى منهم من الشمال إلى الجنوب وفاجأت قوة من الهجانة يوم ١٨ من مارس فى مراعى « بوتيليس » فى الأدرار وقتلتها عن آخرها.

اضطرت فرنسا أمام تلك الحرب المستمرة إلى اتباع سياسية اللين ؛ وخصوصاً أن الحرب العالمية الأولى كانت قد بدأت تظهر بوضوح فى الأفق . ساد الهدوء نسبياً « موريتانيا » فى فترة الحرب ، وخصوصاً أن عدداً من الأهالى كان قد جُنِّد فى صفوف « الحلفاء » وقد مات « الهيبا » فى ٢٣ من يونيو سنة ١٩١٩ بعد أن أمضى كل حياته محارباً ضد القوات الفرنسية . وقدخلفه « مُرَبِّى رَبُّوح » فى قيادة الجهاد ، وكان ذلك بداية عهدجديد من الجهاد والكفاح من أجل التحرير . نظم قواته فى جنوبى « وادى درعا » وأخذ يواصل شن هجومه على قوات الفرنسيين . حصل المجاهدون على نتائج قيمة خصوصاً بعد سنة ١٩٢٣ التى قتلوا فى خلالها ٢٣ جنديا فى مذبحة شُريق ؛ هاجموا مواقع الفرنسيين فى « بورت إتيين » « وشنقيطة » وقوات الهجانة فى كل من « عَطَر » « والخديم » سنة ١٩٢٤ ؛ وانتصروا على قوات الهجانة فى « « طُرَيْفِيَّه » فى عام ١٩٢٥ .

صممت فرنسا فى سنة ١٩٢٥ على اتباع سياسة القوة ، وتجميع كل قواتها الاستعمارية للقضاء على الحركة التحررية فى شمال غرب إفريقية ــ كان الأمير عبد الكريم الخطابى

قد أكره الأسبان على الانسحاب حتى الساحل فى منطقة الريف ، وكانت قواته تهدد الفرنسيين فى كل من مراكش والجزائر . كانت هيبة الدول الاستعمارية قد تضعضعت أمام انتصاراته المتتالية وإعلانه جمهورية الريف ، ولم تكن حركة الجهاد والمقاومة جنوبى « وادى درعا » إلا تكملة لحركة الريف التحررية فى شمالى القارة ، ومساعدة لها على تطويق الفرنسيين فى مراكش وحصرهم بين نارين . صممت فرنسا فى عام ١٩٢٥ على تجميع كل قواتها أمام مجاهدى الريف متعاونة فى ذلك مع إسبانيا التى أعطتها حق التعقب والدخول فى مراكش الشمالية ، وصممت فى الوقت نفسه على اتباع سياسة مماثلة فى موريتانيا مستغلة الحق نفسه لتعقب البدو داخل مناطق « ريودى أورو » . هاجمت فرنسا قوات المجاهدين فى الأدرار سنة ١٩٢٦ ، وصدت هجوماً عنيفاً قاموا به على « بورت إتيين » فى العام التالى . وقد سمحت نهاية حرب الريف لفرنسا بإرسال قوات ضخمة إلى موريتانيا وتعاونت مع إسبانيا فى سنة ١٩٢٨ فى القضاء على تشكيلات المجاهدين فى « ريودى أورو » نفسها . سمحت هذه العمليات المشتركة لإسبانيا باحتلال المناطق الصحراوية ، التى لم تكن تجرؤ على احتلالها من قبل وهى مناطق الصحراء الإسبانية .

سكنت مقاومة شعب موريتانيا فترة من الزمن ، ولكنه يجاهد اليوم من جديد للحصول على استقلاله ، ولتحرير بلاده بقوة الحديد والنار ، ولا يهمل وسائل التعاون السياسى مع سكان شمالى إفريقية المجاهدين وغربى إفريقية المتحررين ، لانتزاع ذلك الاستقلال ، ولبناء قارة جديدة .

فى روديسيا

عثر بعض الإنجليز فى عام ١٩٠٥ على قبر لعربى فى « روديسيا » وعليه ما دل على اسم صاحبه « سلام » المتوفى فى عام ٩٥ هجرية (٧٠٤م) كما وجدت آثار عربية فى مختلف البقاع الافريقية .

الأصول العربية في تكوين أوغنده السياسي

- التغلغل العربي في أوغنده
- شقيق الملك يعتنق الإسلام
- كراهية الاستعمار للعروبة
- ربط تيار العروبة بأوغنده بالتيارات العربية الأخرى

للدكتور إبراهيم أحمد العدوى



يعتبر القرن التاسع عشر الميلادي نقطة تحول خطيرة في تاريخ أوغندة والتطور السياسي والحضاري لسكانها: فقد شاهدت تلك البلاد في مستهل هذا القرن استقرار الحضارة العربية في مراكز عديدة من أرجائها، وعملها على رفع مستوى السكان الاجتماعي والثقافي. وكانت أوغندة إذ ذاك عبارة عن منطقة تحتل من حوض بحيرة فكتوريا مساحة لا تزيد عن ٥٠٠٠٠ كيلو متر، واشتهرت بأنها مركز هام لتجارة العاج وريش النعام. وأدت تلك الشهرة التجارية إلى قيام اتصال تجارى حافل بين أوغندة، والجاليات العربية العظيمة التي استقرت إذ ذاك على الساحل الشرقي لإفريقية. فقد ساعد اقتراب هذا الساحل من بلاد العرب نفسها على انتقال جماعات عربية، وعدد عظيم من التجار العرب إلى شواطئ إفريقية الشرقية، يحفزهم عاملان مهمان الأول هو نشر الإسلام في تلك الجهات الإفريقية، والثاني هو التجارة مع السكان الوطنيين.

ولم تلبث المراكز العربيـة على الساحل الشرقي لإفريقية، مثل مقدشيو التي تأسست على يد جماعات من العرب في منتصف القرن العاشر الميلادي، أن صارت محطات تجارية تشجع العرب على تحقيق سياستهم الدينية والتجارية مع الجهات المجاورة لها في إفريقيا. فأخذت قوافل العرب تسير من زنجبار وممبسة حتى وصلت إلى أوغندة ومنطقة الأنيورو التي أضيفت إلى مستعمرة أوغندة الحديثة فيما بعد. وكانت تجارة أوغندة قبل

أن يدخلها العرب تجرى على نطاق ضيق ، وبحسب قواعد الاقتصاد البدائية . فاقتصرت التجارة على تبادل السلع الضرورية ، كما توقفت قيمتها على هوى البائع وحاجات المشترى وقدرته ؛ ذلك أن النقـد لم يكن معروفا فى أوغندة فى ذلك الوقت ، ولا يعرف الأهالى عنه شيئا .

ولما دخل العرب أوغندة تغيرت أحوالها فقد صار الطريق من زنجبار إلى تلك البلاد سهلا مطروقا ، وتتم الرحلة عبره فى مدى خمسة أشهر ، لا يقابل فيها التجار العرب متاعب أو صعاب . ثم اتخذ العرب لهم وكلاء فى كارجوا وأونيا مقيزى ، وفيما بعـد على البحيرة ، فصارت المتاجر تفد من زنجبار فى مقـادير كبيرة ، وخصوصا المصنوعات والمنسوجات من كل نوع من الأقمشة والأسلحة والذخيرة والنحاس ، وتجد رواجا عند أهل أوغندة الذين شغفوا باقتناء الملابس الأنيقة والحلى والأسلحة .

غير أن أهم حدث قام به العرب فى سبيل تطور تلك البلاد هو خلق نوع من العملة تتفق هى وحاجات السكان فى ذلك الوقت ؛ فقد أوجـد العرب عملة أطلق عليها اسم « كاورى » ، سرعان ما تعلم أهل أوغندة استعمالها ؛ ذلك أن العرب نظموا « الـكاورى » أو المحار فى خيوط بالمئات ، وجعلوا كل خمسة خيوط منها ريالا ، وقسمت الخيـوط إلى أنصاف ، فى كل خيط خمسون محارة ، واشتمل أقل خيط على خمس محارات لشراء الأشياء الرخيصة ، واعتاد الناس هذه العملة ، وفهموا قدرها ، فـكانت المعزة تساوى من ١٢٠٠ إلى ١٥٠٠ محارة ، وربطة الملح تساوى مقدار ١٠٠٠ ، والثور من ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ محارة وهكذا .

وأخذ حكام أوغندة الوطنيون يكرمون وفادة العرب بسبب ما صار لهم من شأن عظيم فى اقتصاديات البلاد ، ويسهلون لهم أسباب التجوال فى المناطق المجاورة لهم ، مثلما حدث للتاجرين العربيين سعيد بن صيفى والفندى حسن . وشجع هذا النشاط العربى أهل أوغندة على القيام برحلات تجارية إلى زنجبار نفسها ، ومع جيرانهم ، مما أدى إلى اتساع آفاقهم ، وضاعف خبراتهم ، فانتشرت التجارة وازدهرت فى الجهات الواقعة بين البحيرات ، وصارت توجد علاقات قوية بين أهل أوغندة والقبائل المختلفة الموجودة فى تلك الجهات . وساعد العرب على دعم تلك الصلات التجارية والاجتماعية بفتح طرق جديدة أتاحت للمتاجر الـكثيرة الوصول إلى أوغندة . ومما يدل على تقدير سكان أوغندة للعرب أن ملـكها

فى ذلك الوقت وهو المعروف باسم «أمتيزا» منح العرب حرية الاستيطان فى مملكته ليس باعتبارهم تجارا فحسب، ولكن باعتبارهم أساتذة دينيين.

وأتاحت تلك الصفة الأخيرة للعرب فرصة لتحقيق رسالتهم الدينية، فانتشر الإسلام بين أهل أوغندة، حيث اعتنقه عدد عظيم منهم، وعلى رأسهم «أمبوجا» شقيق الملك نفسه. وحيثما انتشر الإسلام تزدهر الحضارة العربية، وتضفى على المجاورين لها مظاهرها الخاصة من الاعتداد بالنفس، والعناية بالمظهر الحسن والحرص على ما يكسب المرء المهابة والجلال؛ فقد ذكر أحد الرحالة الأوربيين عن تأثير المدنية العربية فى تلك الجهات قائلا: «لقد تمكنت المدنية العربية فى وقت قصير من تغيير اللباس الشائع إذ ذاك تغييرا كاملا، وهو لباس لا شأن له على الإطلاق بسبب بساطته وبدائيته، فأصبح أهل أوغندة اليوم يتخذون الملابس من الرأس إلى القدم، وكذلك جيرانهم من الأنيورو، فحلت مكان «اللباس» القديم المصنوع من لحاء الشجر الملابس العربية، حتى ترى فقراءهم يلبسون القميص والحزام والقفطان على أجسادهم».

وإلى جانب هذا التيار العربى الذى تدفق على أوغندة من ساحل إفريقية الشرقى، جاء تيار عربى آخر إلى تلك البلاد من أرض السودان. فقد طلب «أمتيزا» من رجال الإدارة المصرية التى كانت تشرف إذ ذاك على المنطقة الاستوائية من أعالى النيل، أن يبعثوا إليه بفقيهين يعلمان السكان قواعد الدين الإسلامى. وكانت الفرق المصرية والسودانية التى استقرت فى منطقة أعالى النيل فى ذلك الوقت قد أنشأت مراكز زاهرة للحضارة العربية بالقرب من أوغندة، جعلت ملكها يتطلع إليها للحصول على ما يحتاجه من أسباب الحياة والعمران.

غير أن الاستعمار الأوروبى الذى دخل قلب إفريقية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر، وقف حجر عثرة فى سبيل العروبة فى أوغندة. وظهرت تلك الكراهية الأوروبية للعروبة حين صارت إنجلترا صاحبة الكلمة العليا فى مصر والسودان بعد أحداث الثورة العرابية واسترداد السودان، فقد بعثت برجالها إلى أوغندة لخلق مستعمرة لها هناك، تكون عاملا فى تبديد مظاهر الحضارة العربية التى امتدت إلى تلك البلاد، واتخاذها قاعدة للتوسع فى إفريقية كذلك.

واستهلت إنجلترا سياستها ضد عرب أوغندة حين أرسلت إلى تلك البلاد مبعوثها المسمى «لاجارد»، الذى كان يجيد سياسته «فرق تسد»؛ فقد وجد لاجارد من

العرب والحزب الإسلامي في أوغندة عناصر تبغض الانجليز، وتدرك خطورة تدخلهم في شئون أوغندة . وفضلا عن ذلك كان الاستعمار الفرنسي والألماني إذ ذاك قد امتد إلى جوف إفريقية ، ووصل إلى أوغندة ، وحاول كل منهما تحت ستار البعثات التبشيرية دعم أقدامهما في تلك البلاد ، فاستغل الفرنسيون بعثاتهم التبشيرية الكاثوليكية ، وعمدوا إلى الاستقرار في أوغندة ، على حين دفع الألمان مبشريهم من البروتستانت لخلق طليعة لهم هناك من سكان أوغندة .

وبادرت إنجلترا في ذلك الوقت إلى مساعدة لوجارد بالاتفاق مع ألمانيا على تقسيم مناطق النفوذ فيما بينهما في إفريقية الشرقية ؛ فقد أدى إطلاق يد انجلترا في أوغندة إلى تهيئة الفرصة أمام لوجارد للضغط على العرب والمسلمين من أهالي أوغندة . فقد اقترح لوجارد إسكان أهل أوغندة المسلمين ومن معهم من العرب في منطقة من الأرض محصورة بين المنطقة الكاثوليكية، والمنطقة البروتستانتية ليسهل مراقبتها ، ولتكون في الوقت نفسه عامل توازن بين هذين الطرفين اللذين يمثلان طلائع النفوذ الفرنسي والألماني . غير أن لاجارد لم يلبث أن استدعي إلى انجلترا ، وترك لخليفته « جيرالد بورتال » إتمام السياسة البريطانية ضد العروبة في أوغندة .

وجد بورتال في أوغندة عنصرا عربيا جديدا ساعد المسلمين من أهل أوغندة على مقاومة الإنجليز ، وتألف هذا العنصر العربي من فرق سودانية كان على رأسها ضابط همام يسمى سليم بك . ذلك أن الفرق السودانية برغم المساعدات التي قدمتها إلى لوجارد في دعم السلام في أوغندة ، رفضت الانسياق في تنفيذ مآرب الإنجليز الاستعمارية في أوغندة . وكان التذمر بين العرب والمسلمين والسودانيين قد بلغ أشده حين دخل بورتال منطقة أعالي النيل . وبادرت القوات الإنجليزية في أوغندة إلى إلقاء القبض على سليم بك واتهامه بالتآمر مع المسلمين ضد المسيحيين من أهل البلاد ، وهي سياسة « فرق تسد » التي جرت عليها إنجلترا حين ترغب في القضاء على أية حركة قومية ضدهم. ثم أمرت السلطات البريطانية بترحيل عدد كبير من السودانيين وأسرهم إلى الساحل، ومعهم موانجا، هو أخو ملك أوغندة، والذي كان زعيم المسلمين من أهل أوغندة .

ولم يقف الانتقام البريطاني من عرب أوغندة والمسلمين فيها عند هذا الحد ، وإنما أمروا سليم بك بالسير إلى الساحل دون معونة أو مساعدة ، وكان سليم يشكو إذ ذاك من مرض القلب، ولا يستطيع تحمل هذه الرحلة الشاقة ، ولكن يبدو أن الأمر كان

مقصودا به أن يهلك فى الطريق دون أن يثير موته أية حركات عدائية . وحدث فعلا ما كان متوقعا ، حيث توفى سليم بك فى الطريق فى ١٦ من أغسطس سنة ١٨٩٣ . وبموت هذا الزعيم السودانى العربى ، وإبعاد موانجا ، أخى ملك أوغندة ، صارت البلاد تحت رحمة الإنجليز ، الذين تخلصوا من زعماء الحزب الإسلامى المناوئ لاستعمارهم وأطماعهم . ثم تابع الإنجليز القضاء على بقايا العرب فى أوغندة ، بإرهاق القوات السودانية فى إخماد القلاقل وفى جهات بعيدة فى غابات الأونيورو ، وانتهى بها الأمر بإبعادها نهائيا من أوغندة . وقد كتب أحد الانجليز المقيمين فى أوغندة فى ذلك الوقت عن أولئك السودانيين قائلا : إن السودانيين مسلمون متعصبون ، وكانوا يحتقرون فى داخل سريرتهم الرجل الأبيض باعتباره مشركا » .

وبعد أن اطمأنت إنجلترا إلى ضعف النفوذ العربى والحزب الإسلامى فى أوغندة عمدت إلى تحويلها إلى مستعمرة خاصة بها . وكان بورتال الإنجليزى ، الذى وضع الخطة لإضعاف العروبة فى أوغندة قد دوّن تقريرا عن تلك البلاد كشف فيه عن نوايا إنجلترا فى إفريقية الوسطى ، إذ قال : إنه يجب عدم التخلى عن أوغندة « التى تهيمن بمركزها الحربى على أعالى النيل والبحيرات » . واستطاعت إنجلترا أن تحقق هذا الحلم حين عززت قواتها فى أوغندة وهزمت موانجا فى يناير سنة ١٨٩٨ م ، ثم ألقت القبض على ملك أوغندة نفسه إذ ذاك وهو كاباريجا ، وصارت البلاد خلواً من المقاومة العربية والوطنية معاً .

وبعد عامين من أحداث القضاء على النفوذ العربى فى أوغندة بدأت انجلترا فى سنة ١٩٠٠ توسع رقعة أوغندة ، ولاسيما على حساب جنوب السودان الذى صارت لها فيه الكلمة العليا بعد استرداده ، فأضافت إلى أوغندة القديمة مساحات من الأرض حتى بلغت رقعتها ٣٠٠٠٠٠ كيلومتر أى ستة أضعاف مساحتها الأولى ، وامتدت حدودها الشمالية إلى غوندوكورو التى كانت إلى سنة ١٩١٤ تكوّن الحد الجنوبى الأقصى للسودان الذى مزقت إنجلترا أطرافه .

وهكذا أثبت الاستعمار البريطانى فى تكوينه لغنيمته فى أوغندة كراهية للعروبة ، وأظهر وحشية فى إبعاد مظاهرها ، لأن العروبة لا تحل فى مكان إلا ويقترن معها الحرية وغيرها من التقاليد العالية من كراهية الضيم وعدم قبول الذل . وإن تلك الأصول العربية الكامنة فى تكوين أوغندة السياسى كفيلة بأن تعيد لها الحرية والعزة ، وتربطها بتيار العروبة الدافق من مصر والسودان إلى قلب إفريقية .



مستعمرات البرتغال في أفريقيا

للأستاذ عز
أبو الإسعاد
البيومي

علاقة البرتغاليين بإفريقية قديمة ، فقد سبقوا الأوروبيين إلى الزحف على إفريقية ، وأمكنهم احتلال «موزمبيق» و «أنجولا» وهما ركيزتا البرتغال في إفريقية . إذ أن بقية مستعمراتها الأخرى من الصغر بحيث لا لا يظهر لها تأثير كغينيا البرتغالية ، وسان جوا ؛ وكابندا — ويظهر أثر البرتغاليين في إفريقية في مراكز التجارة ، ونقاط التموين التي كانت تستمر من أثيوبيا شرقاً إلى سواحل الذهب غرباً ، على أنهم أدخلوا إلى حاصلات القارة محصولات لم تكن معروفة من قبل كالقمح والموز والطباق .

موزنبيق . تقع «موزمبيق» على الشاطئ الشرقي . وتبلغ مساحتها ٢٩٧٦٥٤ ميلا مربعاً . ويوجد بها ٤٨،٠٠٠ ألف أوروبي ، ٥٠،٠٠٠ ألف آسيوي وملون ، ٨٠٠،٠٠٠ ألف مسلم ، ٤،٩٠٢،٠٠٠ مواطن . وقد استولت عليها البرتغال عام ١٥٠٥ ..وتعتبر « موزمبيق » منطقة مغلقة على غير البرتغاليين ، ومن هنا فهي تضم مساحات واسعة لم تستثمر بعد .

إنجولا . تقع على الشاطئ الغربي وعاصمتها « نوڤاليزبوا » وتبلغ مساحتها ٤٦٠،٠٠٠ ألف ميل مربع : ولعل من سخريات القدر أن مساحتها تبلغ قدر مساحة الدولة المعتدية أربع عشرة مرة . ويوجد بها ٣٠٩١٠٠٠ مواطن ، ٩٠ ألفا من الأوروبيين. وقد زاد تدفق البرتغاليين أخيراً عليها حينما اكتشفت مناطق هامة للمنجنيز. وقد استولى البرتغاليون على أنجولا منذ عام ١٤٨٢ . ويتبعون هناك نظاماً فيه إهدار للإنسانية . فكل إنسان مسخر لمناطق الاستغلال — حسب قانون العرض والطلب — بحيث يمكن تحويله إلى أي عمل يفرضه عليه البرتغاليون ، حتى لو كان ضارا بالبلاد ، وحينما يطلب رجل أبيض خادماً تسارع السلطة فتقبض على أي إنسان وتجبره على العمل كخادم . ويوجد هذا النظام في « موزمبيق » حيث يطلب البيض من

السلطة عمالا ، فتسارع السلطة ، وتقبض على من تريد . وقد تسخرهم للعمل أيضاً في مصالحها بدون أجر مما أهدر كرامة الإنسان وجعله يعيش في محيط من الرق ـ فالإنسان هناك لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا . وقد يكون خارجاً من عمل مضن وعلى شفتيه ابتسامة، لأنه يقابل أسرته بعد غياب. فإذا بالبرتغاليين يسوقونه إلى عمل آخر قد يطول وقد يقصر . ولهذا فالناس يعيشون في هذه البلاد ـ بلادهم ـ في غربة دائمة . !!

هـذا إذا أضفنا إلى ذلك أن نسبة الأمية في إنجولا وموزنبق تـكاد تعم المواطنين جميعا. فالتعليم مقصور على البيض ، ويكلف المواطن الفقير الـكثير . ولا يوجد هناك تعليم أكثر من التعليم الثانوى . وهكذا تفرض عليهم أمية إجبارية، كما يفرض عليهم العمل الإجبارى في أى مكان وزمان .

وكذلك تفرض عليهم «البالاماتولا» وهى الضرب على الأيدى بآلة حديدية مملوءة بالثقوب حتى لا تضطر السلطات إلى ما تستلزمه السجون من حراسة وطعام.

والقانون في هذه المستعمرات لا ينص على التفرقة العنصرية، فلا توجد أماكن للملونين وأماكن للبيض في هذه المستعمرات في أى مكان . إلا أن الاندماج بين الوطنيين والبيض هناك معدوم . فالأبيض لا يسمح لنفسه بدعوة إفريقى إلى بيته . والبرتغالى يجـد حرجا في هذه التسوية النفسية مهما بلغ شأن الإفريقى .

وقد ابتدع البرتغاليون هناك نظام « الإسميلادو » بمعنى أن المواطن الأسود يدخل عدة اختبارات متوالية حتى يصبح رجلا أبيض رغم لونه . وهى سياسة تقوم على الختل والمراوغة لقتل الرغبات التحررية في النفوس. ولخلق طبقة تأتمر بأمرهم وتنفصل تلقائيا عن مجموعات المواطنين .

وللوصول إلى هذا الإدماج المصطنع يقف المواطن أمام محكمة برئاسة برتغالى . ثم يذكر أنه كاثوليـكى المذهب ، ويجيـد اللغـة البرتغـالية ، وأنه على شىء من الثراء . وسيكون سعيداً لأنه سينبذ معتقداته وأفـكاره المحلية ، ليـكون أهلا لحمل لقب «الرجل الأبيض » فإذا ما ذكر هـذا منح لقب الرجل الأبيض ورفعت عنه ضريبة المسكن التى يتحملها كل مواطن هناك ، وأصبح لأولاده حق التعليم بالمجان . وحق استخراج جواز سفر ، والذهاب إلى البرتغال ـ ولا شك أن هذا لون جـديد من الحـكم في إفريقية . فالبرتغاليون لا يسنون قوانين التفرقة العنصرية ، ومع هـذا يأنفون من

المواطنين فى هذه البلاد . ثم نراهم من ناحية أخرى يعملون على فصل طبقة من المواطنين وإغرائهم بما يتمتع به الرجل الأبيض من امتيازات حتى لا تقوم فى البلاد طبقة متطورة من صميم المواطنين تعبر عن رغبات الشعب. وحقه فى أن يحكم نفسه . وأن يعيش ببشرته السوداء فى طمأنينة على أرض وطنه ؛ أرض بلاده .

وبالرغم من أنه قد مضت مدة كبيرة على هذه المستعمرات ؛ دون أن تتحرك فى نفسها رغبة صادقة للخلاص . فجهد الجميع هناك أن يحيوا أحراراً. ولكنهم لا يملكون الأسلحة ولا يملكون القيادة المنظمة التى تحس بما يدور فى قلب كل إنسان ، من أن الحرية شىء لا يمنح وإنما يغتصب اغتصاباً ـ وبالرغم من كل هذه الألاعيب فى هذه المنطقة إلا أن صيحات الحرية التى بدأت تغزو القارة فى أكثر من مكان . بدأت تثمر فى أرض هذه المستعمرات. وبدأ الناس أخيرا يتمردون على نظرية « الأسميلادو » فلأن يكونوا سوداً فقراء فى بلادهم خير من أن يكونوا « بيضا » . فالطريق إلى أن يكونوا بيضاً فى مجتمعهم يقوم على إهدار كرامتهم وألوانهم وإفريقيتهم .

وهكذا أحس الإفريقيون بقيمتهم ووثقوا فى أنفسهم ، ولعل هذا هو ما كان ينقصهم فى الماضى .. أما الآن وبفضل هذه القيمة وهذه الثقة فسيتحرر كل مكان فى المستعمرات البرتغالية ـ وغداً سترفع موزمبيق وأنجولا وغينيا وسان جواو كابندا خمسة أعلام للحرية خمسة أعلام فى إفريقية ، بعد أن كان يرفرف عليها علم برتغالى دخيل .

نحن . . .

من كلمة للكاتب و. ى. دوبوا:

« نحن نطالب لإفريقية بالحكم الذاتى وبالاستقلال .

ونحن لا نشعر بخجل أو حياء من أننا صبرنا واحتملنا كل هذا الزمن الطويل ، بل إننا على استعداد حتى اليوم لأن نضحى ونكافح من أجل تصحيح أخطائنا البشرية ، ولكننا غير مستعدين لأن نتخذ بعد اليوم أداة تقوم بأحقر الأعمال وأحطها . فنمول بفقرنا وجهلنا أرستقراطية كاذبة واستعمارا آثما!».



للدكتور زاهر رياض

قصـد المصريون القدماء بلاد « بونت » ليحملوا منها الخشب والبخور واللبـان من أجل معابدهم وهياكلهم ، والحنوط من أجل تحنيط جثث موتاهم . وظل هذا الجزء مقصد المصريين طوال تاريخهم القديم حتى نهـاية العصر البطلمى .

ولم يكن المصريون وحدهم الذين قصدوا تلك الأنحاء ، بل لعل العرب ـ وهم أقرب الناس إلى هذه الأجزاء ـ كانوا أكثر الناس تردداً عليها من أجل التجارة التى حملوها إلى مختلف الأنحاء براً وبحراً . فالعرب هم الذين كانوا الواسطة التى حملت ، إلى هذا الساحل وماوراءه من بلاد الهضبة الأثيوبية ، نتاج الحضارتين الفارسية واليونانية ثم الرومانية . كما حملت إلى هذه البلاد نتاج الهضبة الأثيوبية . بل استقر منهم كثيرون هناك .

وكانت الظروف الطبيعية والمناخيـة فى الجزيرة العربية أكبر مشجع لهم على هـذه الهجرة وهـذا الاستقرار . ولعل أهم مواد التجارة التى حملها هؤلاء التجار العرب هو الرقيق الأسود ، الذى استخدمه الفرس والرومان بأعداد كبيرة للعمل فى مزارعهم .

وتقتضى تجارة الرقيق ، التى تدر كثيراً من الربح يفوق مايدره غـيرها ، شيئاً من التنظيم . فهى تحتاج إلى مراكز ساحلية ؛ يتجمع فيها العبيد فى حراسة قوية ريثما تصل السفن التى تنقلهم إلى مقاصـدهم . وبذلك نشأت على الساحل الإفريقى الشرقى المراكز

التجارية الحصينة ، لخدمة التجارة والتجار .

وقد حفلت الجزيرة العربية قبل الإسلام بكثير من الرقيق الذى جلبه هؤلاء التجار ، والذى استخدمه أغنيـــاء العرب لحراسة قوافلهم التجارية . وكان الرقيـق الأثيوبى أحب الأنواع إلى العرب لشجاعته وأمانته وإخلاصه فى العمل . ويحفظ لنا التاريخ اسماً يظل حتى اليوم مثالا للشجاعة والأمانة والإخلاص فى الخدمة هو « عنترة العبسى » كما اشتهرت الجوارى الحبشيات بأمانتهن وإخلاصهن فقد أخلصت أم أيمن للنبى عليه السلام حتى أنه قال « أم أيمن أمى بعد أمى » .

حتى إذا ما ظهر الإسلام ، وأنزل العرب الأذى بالنبى وأصحابه نصح النبى أنصاره بالهجرة إلى هناك حيث تعودوا أن يسيروا ، وحيث يعيش إخوان لهم من قبل .

ولم يكن الإسلام ليوقف هـذه الرحلة ، ولا هذه الهجرات المتصلة من الجزيرة العربية إلى الشواطئ المقابلة ، فقدحث الدين الجديد أنصاره على السعى فى سبيل الرزق ، وحمـل المهاجرون الجدد والتجار الجدد إسلامهم معهم . ومن ثم بدأ الإسلام يظهر فى الشاطئ الشرقى لإفريقية ، ويتغلغل فى أهله بمقدار ما يتغلغل هؤلاء التجار ويستقر بمقدار ما يستقرون .

وتقدمت الحضارة وازدهرت فى الدولة الإسلامية أيام الأمويين والعباسيين ، وألح الخلفاء والأمراء والأغنياء فى طلب ما ينقصهم من أدوات الترف ، فنشطت المراكز التجارية وازدحمت بالعرب النازلين فيهـا ، والذين توغلوا فى الداخـل فى طلب مواد التجارة . وانقسمت الدولة الإسلاميـة إلى دويلات تحكمها بيوت مالـكة ؛ فنشطت الحركة التجارية لتسد مطالب هذه البيوت المالـكة ، وكلهم أسرف فى الترف والنعيم ؛ وكلهم ألح فى طلب الرقيق ليتخذه مادة لجنده .

هذا إلى أن الثورات الـكثيرة التى قامت فى الدولة الإسلامية انتهت كلها بفرار المغلوب ؛ خوفا من أن يقع فى أسر الغـالب ، فقد فر العلويون هرباً مما أوقعه بهم الأمويون من مذابح إلى شرق إفريقية ، واستقروا فى شواطئها . وأسسوا مدينة مقديشيو ، وكبرت هذه المدينة واتسعت حتى أخذت مكان السيادة من ساحل إفريقية الشرقى كله . وعنيت الدولة الإسلامية بتتبـع هؤلاء الفارين إلى حيث استقروا ، خوف أن يبذلوا المساعدة لمن بقى من إخوانهم ، فاستولت على مجموعة جزر «دهلك» التى كانت مركزاً لتجارة مزدهرة نامية ، وخاصة تجارة الرقيق ، وكان لها أسطول تجارى غنى مؤرخو العرب بالتغنى به ، واتخذها الخلفاء فى بعض

الأوقات منفى للمغضوب عليهم . فقد حدثنا الرواة أن عمر بن عبد العزيز سمع عن عمر بن أبى ربيعة وهو ينتظر نساء المدينة وهن يقمن بشعائر الحج فيتغزل فيهن، فنفاه إلى «دهلك».

وإذا كنا قد عرفنا هـذه الهجرة التى استقرت فى هـذا الجزء من شاطئ إفريقية الشرقى، فأسست هذه المدينة مقديشيو، وجهلنا غيرها ، فليس معنى ذلك أنها كانت الوحيدة.

فهناك مكان هو زيلع الحالية يغرى بالإقامة والاستقرار ، فهو لسان يمتد إلى البحر تحوطه المياه من ثلاث جهات ، وهو فى الوقت نفسه يتصل بالأرض . وإلى الغرب منه قليلا مصب لخور يبدأ من السفوح الجنوبية الشرقية لهضبة أثيوبيا، حيث يوجد سهل متسع من أخصب سهول الهضبة هو سهل «هرر» .

ويحمل هذا الخور إلى زيلع بعض مايسقط على أطراف الهضبة الأثيوبية من أمطار موسمية صيفية .

وعمل النازلون الجدد والمستعمرون الجدد فى التجارة ، فحملوا من الداخل البن والفاكهة والخشب واللبان والبخور إلى السفن فى البحر العربى أو البحر الأحمر إلى حيث يلح الطالبون فى طلبها .

وأول مانسمع عن «زيلع» حين يذكرها «ابن فضل الله العمرى» صاحب «مسالك الأبصار» وينقل عنه «القريزى» و«القلقشندى» فيقول إنها كانت عاصمة لولاية إيفات «ويقال لها أيضاً أوفات» إحدى سبع سلطنات إسلامية فى شرقى الحبشة يتولاها سلاطين مسلمون .

ولم تكن «إيفات» هذه ضعيفة ولا فقيرة فقد ذكر عنها العمرى أن «طولها خمسة عشر يوماً فى عرض عشرين يوماً ، كلها عامرة بالقرى، والأسعار بها رخيصة ، وغالب أهلها شافعية المذهب ، يتكلمون الحبشية ، ويجلس ملكها على كرسى ، ويركب بالطبل والزمر ، ومن بلادها الزيلع، وأهلها مسلمون، يشتغلون بالتجارة ».

ولم تكن التجارة يسيرة ولا هينة ، فقد حمل أهل هذا الجزء التوابل من الهند ، والجواهر من سيلان ، والقرنفل وخشب الصندل من الصين الهندية ، والفلفل من مليار ، والنحاس من كلبانا ، والمسك والكشمير من السند ، والحرير الخام والصينى من الصين ، واللبان ، والبخور وسن الفيل، والبن من أثيوبيا ، لقاء ما يأتى من أوروبا من الرقيق والخشب والأقمشة، ومن القسطنطينية من المنسوجات الحريرية والمخرمات والأقمشة الموشاة بالذهب والأوانى الذهبية.

وقد لقى هؤلاء التجار من عناية الملوك والأباطرة، ماسهل عليهم عملهم . فقدكان فى «زيلع» موظف كبير للإشراف على التجارة ، ينظم أمورها ، ويزود قوافلها بالأدلاء والحراس ، كما ينظم التعامل بين المسلمين والمسيحيين ويشرف على الأعمال التجارية ، وجباية الضرائب والمكوس ؛ يحملها إلى الحكومة المركزية . وكان يطلق عليه اسم « نجادى راس » أى الرأس المشرف على التجارة .

وكانت هذه التجارة النشطة المزدهرة سبباً فى غنى أهل هذه الأجزاء فملكوا السفن والسلاح والمال والرجال .

وكانت هذه الثروة، وهذا السلاح الوفير، وهؤلاء الرجال المدربون هم الذين اعتمد عليهم « يكونو أملاك» ١٢٦٨-١٢٨٥ فى الوثوب إلى العرش الأثيوبى ، حين لجأ إلى أحد التجار الكبار فى « إيفات » وعقد معه اتفاقا يبذل فيه هذا التاجر المساعدة لقاء إطلاق الحرية له فى أن يغزو مملكة «شوا» الإسلامية (التى كونها مهاجرو المسلمين فى سهل شوا منذ القرن الرابع الهجرى) ليكون منها ، ومن إيفات سلطنة إسلامية واحدة يجلس هو إلى عرشها ويكون خاضعاً لإمبراطور أثيوبيا ويتمتع باستقلال داخلى يبيح له حرية التصرف لا فى ولايته فحسب ، بل فى الولايات الإسلامية كلها .

ويبدو أن هذه القوة الزيلعية التى انضمت إلى « يكونو أملاك » لم تكن صغيرة ولا يسيرة ، بل كانت كبيرة العدد كاملة التسليح. حتى لقد زها بها الإمبراطور حين كتب إلى الظاهر بيبرس فى مصر يذكر له: « وعندى فى عسكرى مائة ألف فارس مسلم » .

ولم يكن « يكونو أملاك » هو الوحيد الذى طلب المعونة من هؤلاء الزيلعيين فقد كونوا أيضاً جزءاً كبيراً من الجيوش الإسلامية فى اليمن . وكان لهم من القوة والنفوذ ماجعلهم ذوى أثر فى توجيه سياسة اليمن الداخلية والخارجية ، حتى لقد استطاعوا أن يسقطوا أسرتها الحاكمة ليقيموا دولة يتولاها رئيسهم هى دولة بنى نجاح التى استمرت تحكم صنعاء أكثر من سبعين سنة .

ونجح هذا الاتفاق فى الوصول إلى أهدافه فجلس « يكونوا أملاك » على العرش الأثيوبى سنة ١٢٦٨ ، كما حصلت إيفات وعاصمتها زيلع على مكان السيادة فى هذا الركن من العالم . وجلس « عمرو يسمع » على عرشها فكان أول والٍ مسلم يتولى حكم ناحية من نواحى أثيوبيا ، وفى ظل هذه السيادة

تمتعت إيفات بالهدوء والاستقرار مما مكنها ومعها بقية الولايات الإسلامية من أن تحتكر تجارة المياه الجنوبية . وقد مكنت سفنهم وثرواتهم أبناءهم من أن يقصدوا مراكز الثقافة الإسلامية فى مصر واليمن ؛ يرتشفون من مناهلها الخصبة ، وعاد بعض هؤلاء المغتربين إلى بلادهم، ليكونوا بدورهم قادة الركن الإسلامى فى شرق إفريقية ، واستقر آخرون فى اليمن متمتعين بعطف السلاطين والأمراء ؛ يغدقون عليهم من إحساناتهم وهباتهم لقاء ما يؤلفونه من الكتب ؛ يحملونها إلى السلاطين على الجمال مزفوفة بالطبل ، فقد ذكر لنا صاحب العقود اللؤلؤية أنه فى سنة ٧٣٠ ﻫ توفى باليمن الفقيه الصالح محمد بن على الزيلعى . وفى سنة ٧٤٩ توفى الفقيه الفاضل جمال الدين محمد بن منير الزيلعى ، وكان أحد الفقهاء المحدثين . وفى سنة ٧٦٨ توفى الفقيه البارع أحمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد الحبشى الزيلعى ، وكان فقيهاً فاضلا وله ديوان شعر ؛ وشعره حسن جيد ، ليس له فى زمانه نظير .

فهذه القلة من العلماء التى أقامت باليمن لا تعدو إلا نسبة ضئيلة ممن عادوا إلى بلادهم، واشتغلوا بالعلم وغير العلم من حرف .

وخلف « عمرو يسمع » أبناؤه من بعده يخلصون لأباطرة أثيوبيا فيبذلون لهم العون والمساعدة ما طلبوها منهم ، حتى كانت ثورة حاكمها « صبر الدين » الذى قال عنه المقريزى إنه تولى عرش إيفات فى حدود سنة ٧٠٠ﻫ. حين قام يؤازره التجار وقتل «النجادى رأس » ثم جمعوا جموعهم وغزوا ما حولهم ، وقتلوا كثيرين منهم وسبوا أكثر . وانضم إليه حاكم «هدية» حول هرر، وكان أكثر السلاطين خيلا ورجلا، وكذلك حاكم دوارو. ولكن الإمبراطور «عمداصيون» (١٣١٢ــ ١٣٤٢) نجح فى القضاء على ثورتهم ، بعد أن قتل منهم مقتلة كبيرة ، وامتلأت الأرض بجثث القتلى ، وعزل صبر الدين، ووضع مكانه أخاه جمال الدين ؛ ولكن هذا لم يلبث أن قاد ثورة أخرى قضى عليها الإمبراطور بدوره ، ففر أولاده العشرة إلى اليمن ، يطلبون من سلطانها النجدة .

وفى أيام ملا أصفح بن على بن صبر الدين قام حق الدين بن أحمد حرب أرعد يناوئه حتى قتله ، وسار بجيشه حتى وصل « شوا » وسكنها . ومنذ هذا الوقت نبه شأن شوا وأخذت إيفات فى الاضمحلال . وكان هذا الاضمحلال سبباً فى أن يحصل أحد أمراء زيلع على الاستقلال بهذه المدينة وما حولها تحت اسم «عدل» التى أصبحت تعرف من ذلك

الوقت «بعدل الأمراء» وكان هذا الاستقلال الجديد سبباً فى زيادة ثروة زيلع وقوتها، حتى استطاع أمراؤها فى أوقات كثيرة أن يقفوا لا فى وجه سلاطين « إيفات » فحسب ، بل فى وجه الأباطرة الأثيوبيين متتابعين . وتعتبر المدة التى بين ١٢٦٨ ـ ١٥٠٦ هى العصر الذهبى لزيلع سواء وهى تابعة لإيفات أو لعـدل . تولى عرشها خلال تلك المدة ثلاثة عشر سلطاناً عملوا جميعاً على ازدهار التجارة ونشاطها .

وكانت ثروة زيلع فى المال والرجال هى التى دفعت بالإمام أحمد بن إبراهيم الملقب بالأشول لأن يجعلها أول هدف حين قام بثورته الكبرى تشجعه تركيا بعد أن أمدته بالبنادق والمدافع وظل يسيطر على غالبية أثيوبيا زهاء ست عشرة سنة (١٥٢٦ـ١٥٤٢) حتى قضى عليها الإمبراطور جلاوديوس بمعونة البرتغاليين .

وقد مكنتهم الثروة من أن يجلبوا إلى مدينتهم كل ما اعتمدوا عليه من وسائل العيش من ملبس ومأكل ومشرب . إذ تقع المدينة فى صحراء جرداء غير ذى زرع تمتـد الصحراء وراءها إلى أكثر من خمسين ميلا . فـكانوا يجلبون إليها الماء يومياً من آبار تقع إلى الخلف منهم ، تحمله الإبل يومياً . وما زال منظر قافلة الماء يراه الزائر لهذه المدينة حتى اليـوم تحمله الإبل فى قرب كبيرة وصغيرة إلى سوق القرية ، حيث تحملها النساء إلى بيوتهن .

ولندرة الماء يقتصد أهل زيلع فى استعماله إلى حد التقتير . زارها ابن بطوطة فى القرن الرابع عشر فقال عنها إنها «مدينة كبيرة، لها سوق عظيمة إلا أنهـا أقذر مدينة فى المعمورة ، وأوحشها ، وأكثرها نتناً ، وسبب نتنها كثرة سمكها، ودماء الإبل التى ينحرونها فى الأزقة . ولما وصلنا إليها اخترنا المبيت بالبحر على شدة هوله ، ولم نبت بهـا لقذرها ، ثم سافرنا منهـا فى البحر خمس عشرة ليلة إلى مقديشيو ، وأهلها سود الألوان ، وأكثرهم رافضة ».

كما يصف ملابس أهل هذه البلاد فيقول إنها « فوطة خز يشدها الإنسان فى وسطه عوض السراويل ، فإنهم لا يعرفونها . ودراعة من المقطع المصرى ، وفرجية من القدسى مبطنة ، وعمامة مصرية معلمة » .

وكان اكتشاف البرتغاليين لطريق رأس الرجاء الصالح إلى الهند هو الضربة التى أصابت زيلع وغير زيلع من بلاد البحر الأحمر، ومن ثم أخذت طريقها ومعها غـيرها من بلاد هذا الجزء إلى التدهور السريع، واكتمل هـذا التدهور باستيلاء العثمانيين عليها . فقد ألحقت هذه المدينة بولاية جدة ـ وإذا كانت جدة ـ وهى مركز الوالى ـ قد لقيت الإهمال

المريع فى ظل الحكم التركى ، حتى أضحت الحجاز كلها مرتعاً للصوص يهاجمون الحجاج وركب المحمل وينهبونهم ، حتى أضحى الحج مخاطرة يقوم بها المسلم ، فما بال البلاد الأخرى البعيدة ، أو التى لا تجد فيها الدولة إيراداً أو فخرا يدفعانها إلى التمسك بها، ولذا أسرع الخراب إلى هذه المدينة، وبخاصة أنها قد تعرضت لهجمات قبائل الجالا من حين إلى آخر منذ القرن السابع عشر. حينما تركت هذه القبائل حياة الاستكانة والسلام ، وأخذت تعيش على السلب والنهب، وإذا كان العرب قد أخذوا يهجرونها إلى مدن شرق أفريقية الأخرى ، أو إلى داخل إثيوبيا عن طريق هرر ، فقد قصدها الهنود حتى سيطروا على تجارتها وأضحت المنسوجات القطنية والحرير والأرز واللؤلؤ تكون معظم وارداتها عن طريق البحر والبن والجلود والماشية الحية عن طريق البر ؛ كما هاجر إليها بعض اليونانيين إلا أنهم كانوا ضعيفى الأثر إذا قورنوا بالهنود من حيث العدد أو الثروة .

وعندما احتل الإنجليز عدن سنة ١٨٣٩ تطلعوا أيضا إلى زيلع التى تقابلها على الشاطئ الآخر لخليج عدن فانتهزوا فرصة اعتداء بعض أهلها على إحدى السفن البريطانية ، وأرسلوا الكابتن « روبرت مورسبى» الذى استطاع أن يعقد مع أحد مشايخ تلك الجهات معاهدة يتعهد فيها الشيخ ألا يدخل فى حلف مع دولة أجنبية إلا بإذن من انجلترا ، ومن ثم استطاعت شركة الهند الشرقية البريطانية أن تقيم لها مخازن من أجل استقبال سفنها ، أثناء رحلتها إلى الهند .

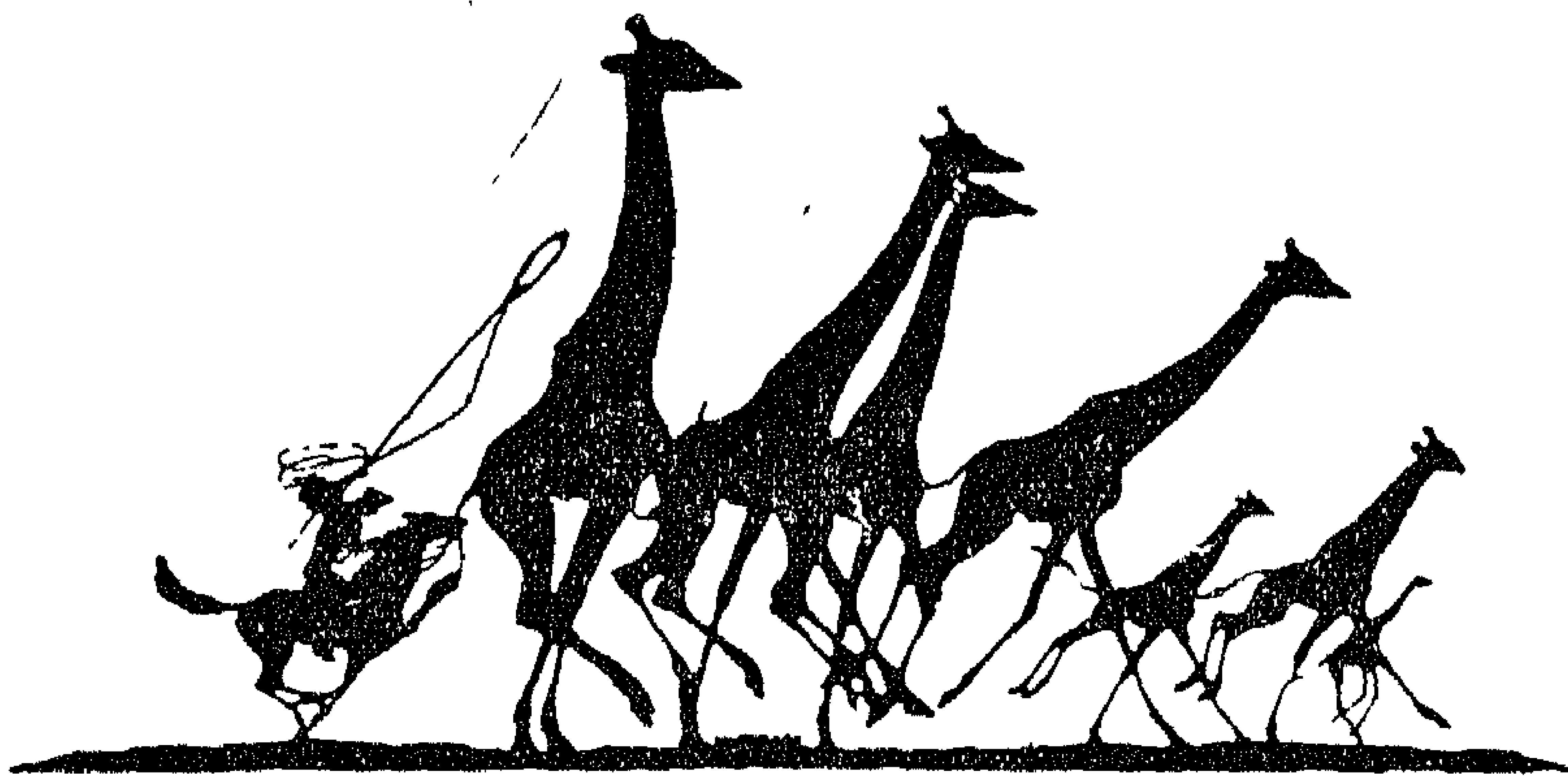
وبافتتاح قناة السويس للملاحة البحرية سنة ١٨٦٩ استرد البحر الأحمر أهميته كطريق للملاحة إلى الشرق الأقصى ، فتطلعت عين إسماعيل باشا إليه فبدأت سلسلة الحملات الحربية التى كان الغرض منها تركيز النفوذ المصرى فى هذه الأجزاء وكانت نهاية هذه المرحلة طلبه ضم ميناء زيلع إلى الأملاك المصرية نظير زيادة الجزية السنوية ١٥ ألف جنيه ، ومد إليها خط تلغرافى يصلها بسواكن وأقامت بها حامية مصرية لحفظ النظام وسار إليها بريد شهرى منتظم من السويس ، ولا شك أن النفوذ المصرى هناك أعاد النظام والأمن بين القبائل التى حرمتهما منذ وقعت تحت النفوذ التركى ، فأنشئ هناك مستشفى وصيدلية ومكتب بريد مما أدى إلى انتعاشها من جديد .

ولما كان هذا الانتعاش لا يتحقق إلا بتجارة تمونها، وتجلب لها دخلا فقد عمل إسماعيل على الاستيلاء على « هرر » موردها الطبيعى ،

فاتخذت زيلع « قاعدة لحملة » برية نجحت في الاستيلاء على « هرر » في أكتوبر سنة ١٨٧٥ . وبذلك كمل انتعاش « زيلع » وأخذت أسواقها تزخر من جديد بالبن والجلود والصمغ والغنم والزبد ؛ لقاء الأرز الهندى والأقمشة والدخان والسكر والشاى . ولكن هذا النفوذ المصرى لم يستمر إلا إلى سنة ١٨٨٤ حين أرغمت مصر على إخلاء جميع هذه الأجزاء نتيجة للثورة المهدية .

ولكن مما يكتب لمصر بالفخر أنها لم تتخذ يوماً هذه الأملاك هدفاً للاستغلال؛ بل عملت جاهدة على إقرار الأمن ونشر المدنية بين ربوع هذه الأماكن ؛ كما عملت على نشر الإسلام الصحيح بين السكان الذين كانوا يدينون بالإسلام اسماً، ولكنهم يمارسون كل شعائر وطقوس الديانات الوثنية القديمة التى كانوا يدينون بها .

وبإخلاء مصر للسودان والبلاد المطلة على البحر الأحمر اعتبرتها انجلترا أرضاً خلاء ودعت الدول إلى النزول بها ، فكانت زيلع من نصيب تركيا ، ودعيت إلى احتلالها إلا أن تردد هذه الأخيرة أدى إلى احتلال البريطانيين لها، وكذلك احتلال ثغرى « بربرة » و« بلهار » وكونت من هذه الأجزاء مستعمرة الصومال البريطانى . وكانت الضربة القاضية على زيلع هى إنشاء الخط الحديدى بين « جيبوتى » و « أديس أبابا » إذ أخذت تجارة « هرر » تخرج عن طريق « ديردوا » وبينهما طريق « ممهد » تقطعه السيارة فى ساعة واحدة .



شخصية العدد — محمد عبد الله حسن الصومالي

للأستاذ محمد شريف محمود

كان ذلك في الربع الأخير من القرن الماضي، عندما زحف المستعمرون على الصومال، وسرعان ما سرى الحزن في كل القلوب: الكآبة تعلو الوجوه، الرجال والنساء والأطفال يسيرون ورءوسهم منكسة، الدموع في كل بيت، والأنين في كل شارع، والجرح في كل حى.

ترى، من هؤلاء الغزاة الآتون من بعيد؟ ماذا يريدون في بلادكم؟! لماذا يفرحون لرؤيا الدماء؟

وبدأ المستعمرون يشعرون بأنهم سادة الموقف وبأن الأرض دانت تحت أقدامهم، وأخذوا ينهبون كل شىء، ويسحقون كل عزيز، ويدوسون كل المقدسات، ويمنعون الناس من ممارسة شعائرهم الدينية.

وبدأت إحساسات الحقد والانتقام والثورة تمور في كل النفوس، والتفت الناس يمنة ويسرة يفتشون عن قائد وزعيم.

كانت الأنظار كلها تتركز حول الشاب «محمد عبد الله حسن»، إنه كان رجل الموقف، وخير بطل لخير موقعة، فقد درس العلم والدين، واستوعب تاريخ الصومال، وتغنى بشعر البطولة، والمجد والكفاح.

وانطلقت شرارة الثورة عندما أخذ المستعمرون يدنسون المقدسات الدينية وبالتحديد عندما أطلق أحد جنود المستعمرين الرصاص على مؤذن يدعو الناس إلى الصلاة.

وكان أول بيان ثورى أصدره القائد محمد عبد الله حسن:

« جاء الإنجليز إلى بلادنا، وليس لهم غرض إلا إذلالنا وإفساد عقيدتنا، والسكوت على أمر كهذا معناه الرضا بالذل؛ أعظكم أن تقوموا بواجبكم، وأن تدفعوا شر هؤلاء قبل أن يستفحل الداء ويعز الدواء، إن المستعمرين غزوكم في بلادكم وهم يريدون إفساد عقيدتكم معتمدين على حماية حكوماتهم، وما لديهم من سلاح وعتاد، فحسبكم من سلاحكم إيمانكم بالله وقوة عزيمتكم، فلا ترهبوا جنودهم، ولا كثرة سلاحهم، فالله أقوى منهم وأكثر جنداً، وكونوا صابرين على الشدائد، موطنين النفس على طول الجهاد، في سبيل الوطن والعقيدة، وإذا رأيتم من يعين المستعمرين بأن دلوهم على الطريق وأماكن المياه، أو كانوا لهم عيونا وجواسيس، فاقتلوهم حيث وجدتموهم « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

أعلن جهادى أنا ومن اتبعنى على الحكومة الإنجليزية وأعوانها ، وإنى لأرجو أحد الفوزين : أن أموت شهيدا ، أو أطهر البلاد من درن المستعمرين ».

كان محمد عبد الله حسن قائداً عسكرياً محنكا فقد كون جيشاً ضخماً من مختلف أقسام الصومال، وبنى أكثر من أربعين حصناً أودع فيها المؤن والذخائر ، وصنع صهاريج لحفظ المياه .

وكان فى الوقت ذاته اقتصاديا كبيرا فقد ضمن توفير مواد التموين لجيشه ، فأصدر أمره إلى الزراع بالاجتهاد والتوسع فى الزراعة ليكثر محصولها ، وتكفى مئونة الجند وغيرهم من أهل البلاد ، وقاد الرجل أعنف معركة ضد الإنجليز، استمرت خمسة وعشرين عاما استخدم فيها الإنجليز أشد أنواع الأسلحة الوحشية، واستخدموا فيها الطائرة عند أول اختراعها ضد محمد عبد الله حسن وجيشه ، ولكنه رغم ذلك ظل منتصراً ، وعندما عجز الإنجليز عن كسب المعركة لجئوا إلى سلاح آخر : سلاح الخيانة والفتنة ، وحرب الدعايات والرشوة !

وبذلك تقهقر ذوو النفوس المريضة عن الميدان واتحدت جيوش المستعمرين من كل أقسام الصومال فى محاربة جيش الثورة وأخيراً مات الرجل العظيم نتيجة للخيانة ، واتحاد جيوش المستعمرين ، لكنه قبل أن يموت نطق بكلماته الخالدة :

لاحياة للصومال بدون الوحدة !

احذروا الخونة وحاربوا المستعمرين.



ألف باء الصومالية

• « دراسة لموضوع «ألف باء» التي تعرف محليا بالكتابة العثمانية، لتحديد مصادرها التي ترجع في الواقع إلى الصلات الوثيقة منذ أقدم العصور بين مصر ، في مختلف عهودها التاريخية ، وبلاد الصومال في مدلولها الإقليمي الواسع » .

• « والموضوع يتطلب الاهتمام بدراسة شاملة في جميع النواحي » .

للأستاذ الشاطر بصيلي عبد الجليل

لقد قامت «دول مدن» على الشاطئ الإفريقي الشرقي الذي شمل الجانب الإفريقي من خليج عدن وساحل البنادر ، وامتد جنوبا حتى سوفالة (موزنبيق) ، وكان من الضروري دراسة تاريخ «دول المدن». هذه، وأثرها على المناطق الداخلية القريبة والبعيدة بصفة عامة وانعكاساتها على حوض النيل ونشأة السلطنة السنارية في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، بصفة خاصة ، وقد وقع الاختيار على أن يكون البحث في مرحلته الأولى مقصورا على منطقة من الساحل الشرقي ، تبدأ من مقدشيو شمالا إلى كلوة جنوبا ، فقد كان لهذه الدول نشاط كبير لسببين هامين : أولهما موقعها الاستراتيجي على الساحل ، والآخر خصوبة المنطقة الداخلية وعلاقاتها التجارية مع داخلية البلاد الإفريقية . وقد أصاب هذه الدولة تطور في تنظيماتها وفي أسرها الحاكمة ، وانتقل الملك من زيد إلى عبيد ، وهكذا دواليك ، وحدثت حروب وهجرات إلى الداخل؛ وكان موضوع الألف باء الصومالية الذي برز خلال الدراسة ، قد استرعى الاهتمام ، وبخاصة ذلك النوع الذي يعرف محليا باسم الكتابة العثمانية ــ نسبة إلى عثمان بن يوسف ابن سلطان أوبيه Obbia . ويقول الكتاب الفرنج إنه قد وضع هذه الحروف في السنوات الأولى من العقد الثالث من القرن الحالي . وقد سبقه في هذه المحاولة أحد مشايخ الطريقة القادرية المسمى «بالشيخ عويس » (المتوفى في ١٩٠٩م) والذي حاول إدخال اللغة العربية في الكتابة ، غير أنه لم يلق نجاحا، كما كان هنالك اتجاه ثالث أوروبي يرمي إلى اتخاذ الحروف اللاتينية بدلا من العربية والعثمانية.

وإننا لا نرغب الآن فى الدخول فى بحث استعمال الحروف العربية أو اللاتينية ؛ لأن هــذه تتطلب دراسة خاصة ، ويهمنا أن نتعرض لدراسة الحروف العثمانية وتحقيق أصولها وتطورها ؛ والموضوع له أهميته التى تتطلب المزيد من البحث والتنقيب المستفيض. ونجدلزاماعليناأن نقدم بعض الملاحظات التى قد تــكون ذات فائدة فى السير بالموضوع إلى آفاق واتجاهات جديدةفى البحث لتحقيق العلاقة بين اللهجات الصومالية الثلاث وتطور الألف باء التى يقال إن واضعها عثمان ، فإذا رجعنا إلى هــذه الحروف (انظر الصفحة الأخيرة من النص الإفرنجى) فإننا نجد لأول وهلة أن هذه الحروف ترجع فى أصولها إلى مصادر قديمة تأثرت فى صورة أو أخرى بكتابات قديمة وتيارات حضارية قوية ، ولا غرابة فى ذلك فالبلد تاريخه قديم، يرجع إلى أكثر من ألف عام قبل الميلاد ، وقامت فى المنطقة إمبراطورية ضمت القرن الإفريقى والجانب الجنوبى الغربى من الجزيرةالعربية . وجاءت هجرات من الجزيرةالعربيةالجنوبيةإلى أثيوبيا ، وأقامت فيها ملـكا ما زال قائما حتى اليوم ، وامتدت الحضارة العربية القديمة إلى تلك البلاد ، وتوطدت العلاقات ، وكانت السفن تذهب إلى الصومال فى كل عام للتجارة ولجلب الأخشاب العطرية والروائح، إلى غير ذلك . واستمر الحال إلى عهد قريب فى صورة مصغرة ، فقد كان المصريون من مصر العليا يذهبون سنويا إلى الشاطئ الإفريقى للتجارة، وبخاصة لبيع المنسوجات المصرية التقليدية ، كما جاءت تجارة من الشرق الأقصى والهند، ودخل اليونان والروم الميدان التجارى ، كل ذلك قد ترك أثره وانطباعاته فى المنطقة .

وقد حاول الـكتاب الفرنج الربط بين الحروف العثمانية والحروف الأوروبية، ولـكن الواقع يخالف ذلك الرأى مخالفة تامة . فهذا القول ــ كما يبدو ــ قد بنى على افتراضات لا وجود لها كما أن عوامل كثيرة لم يؤخذ بها ، منها ما هو تاريخى ، ومنها ما هو خاص بطبيعة الشعب وإفريقيته ، فالحروف العثمانية ترجع فى أصولها إلى حروف الألف باء المروية[1] وغيرها من حروف الـكتابة فى حوض النيل . ومما يذكر أن الحروف المروية كانت تـكتب من اليمين إلى الشمال أو الشمال إلى اليمين ، ويتضح اتجاه الـكتابة من وجهة الحروف.

وتتطلب دراسة الموضوع القيام ببحوث واسعة تشمل مختلف نواحى النشاط، والتنقيب على الآثار ، والتعرف على تطور المجتمع ، وعلاقة بعض القبائل المختلفة ببعض، والله الموفق

(١) نسبة إلى مملـكة مرو التى قامت فى السودان بين حوضى نهر العطبرة والنيل الأزرق ، وكانت عاصمتها مرو الواقعة على الجانب الأيمن لمجرى النيل شمالى الخرطوم .

VIII I give hereunder the Usmaniyyah alphabet as given by Dringer and Moreno respectively tegether with the possible relative letters in other Nile alphabet; and the question needs further study to scrutinise the stages of developments, some letters have been corrupted in one way or the other. Some of them were used for letters other than those of the Nile alphabets. I must repeat again that these observations are tentative snbject to results of field study, and that they are based on limited experience in this branch of research-but these observations might be of use for the advancement of knowledge.

Dringer	Moreno	Value	Meroitic	value	Coptic	value	Diringer	Moreno	value	Meroitic	value	Coptic	value
[illegible]	[illegible]	ă a	[illegible]				[illegible]	[illegible]	q				
[illegible]	[illegible]	b			ϣ	sh	[illegible]	[illegible]	k			ϥ	f
[illegible]	[illegible]	t					[illegible]	[illegible]	l				
[illegible]	[illegible]	ġ					[illegible]	[illegible]	m	[illegible]	m		
[illegible]	[illegible]	ḥ			M	M	[illegible]	[illegible]	n				
[illegible]	[illegible]	ẖ					[illegible]	[illegible]	w				
[illegible]	[illegible]	d			O	o	[illegible]	[illegible]	h				
[illegible]	[illegible]	r					[illegible]	[illegible]	y, i				
[illegible]	[illegible]	s	[illegible]	w			[illegible]						
[illegible]	[illegible]	š			ϩ	h	[illegible]	[illegible]	i				
[illegible]	[illegible]	ḍ					[illegible]	[illegible]	a ö				
[illegible]	[illegible]	g	[illegible]	n			[illegible]						
[illegible]	[illegible]	c					[illegible]	[illegible]	e é				
[illegible]	[illegible]	f											

Numerals:—

1	2	3	4	5	6	7	8	9	0
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

found their way as a result of intermarrying to Egyptians, Arabs, Malayans, Indians and others.

V In his work entitled «The Alphabet» Dringer states that the origin of this Somalian alphabet can be analysed as follows :-

i) The general idea of the alphabet, with distinct signs for the consonants and vowels, came from the Italian script, also the direction of writing, from left to right, was adopted from the Italian.

ii) The order of the letters and the way of representing the long vowels, are based on the arabic Alphabet.

iii) The general ductus of the script is reminiscent of the Ethiopic script.

iv) The signs are generally arbitrary inventions, there are, however, some which are like Latin letters, either capitals or minuscule, either in print or handwriting (H. H. b. f.) or Arabic letters or else Ethiopic sighs, but the phonetic values do not agree. (I)

VII I am afraid that the conclusions arrived at by Dringer and others do not represent the actual facts because their treatment of the subject was confined to the narrow local scope, ignoring the various factors of the past history of the region and its relations with outer seas trade, with the hinterland and with the up country regions in Central Africa and the Nile Valley. Dringer attempts to establish relations with or influence of the Italian, in the direction of writing and in the general idea of the alphabet, on the Usmaniyyah script, had he widened his scope of study he should have changed his idea. Iam inclined, on historical evidence that the origin of the alphabet of Isman may be sought mainly in the Meroitic and other Nile aphabets. The Meroitic is written from left to right or right to left–with the signs of the letters facing the direction intended. It has also distinct signs for the consonants and vowels.

---

1) Dringer, David, The Alphabet «Hutchinson» s, London, 1949

of the Somaliland is primarily responsible for the vexed issue because of the number of cultural drifts and it is assumed that with a brief survey of the historical background the secrets hidden behind the Usmaniyyah alphabet might be disclosed.

IVI There are evidences that there was a very ancient and very advanced civilisation in the African horn dating from about IOOO B. C. and possibly much earlier. There was an old empire which embraced this part of Africa and south western Arabia; civilsation advanced from Pharaonic Egypt and this civilisation had gradually spread into the hinterland and up country, the remnants of which are still practised to this day in Central Africa and on the strip of East African coast as far as sofala (Zufar Ez Zeng) in Mozambique. The region was known to the Egyptians as the land of PUNT to which they have sent their commercial fleet, and it was the role of the Egyptian traders, mainly those engaged in the manufacturing of coloured cloth in Upper Egypt (Naqada region-north of Luxor), to make the traditional annual visits to the Somali regions. The Old civilised nations-South Arabia, Egypt, and Persia opencd their trade routes in all directions and established their commercial stations on the coast of East Africa from Aden Gulf to Sofala, and the mercantile ships from the Far East and India used to come to the African coast and to the Red Sea.

V. The Greeks and Romans entered the theatre of trading activities in the Indian Ocean but on account of other factors their activities have declined, and apart from the rise of Axumite kingdom in Ethiopia, the activities of which were mainly confined to the southern regions of the Red Sea (Yemen etc), a lull had prevailed This lull was broken with the rise of Islam, which brought in a new empetus which strongly influenced the subsequent events and gave birth to the Swahili language in East Africa. Traders from the various parts of the Far East, India and Persia resumed their seagoing trade. Considerable modifications

THE SOMALI ALPHABET

By Chater Bosayley

I. In the course of my researches, in an attempt to explore the possible relations, or otherwise, of the Somaliland beach-the Benadir where sea born city states were established, with the rise of the Fung Sultanate of Sennar, I was struck with a somali script known locally as « Al Kitabah Al Usmaniyyah» named after Isman Yusuf, the son of the Sultan of Obbia. This Isman (Usman or Othman) is said to have created this script in the early twenties of this century, for the use in the writing of the Somalis; a previous effort was by a Qadiriyyah Sheikh by name Awes (died in 1909) to use the Arabic alphabet but with no success. A third trend is to use the Latin alphabet instead of the Arabic or Usmaniyyah script.

II. We are not concerned here with the issue of using of the Latin or Arabic alphabets, but the point at issue is to discuss the Usmaniyyah alphabet with a view tracing its origin and developments. It is not claimed that the discussion is based on expert knowledge, but it is aimed, by presenting some observations, at the advancement of studies in new horizons, and for taking the matter futher to elucidate the relations between the three Somali dialect cluster :-

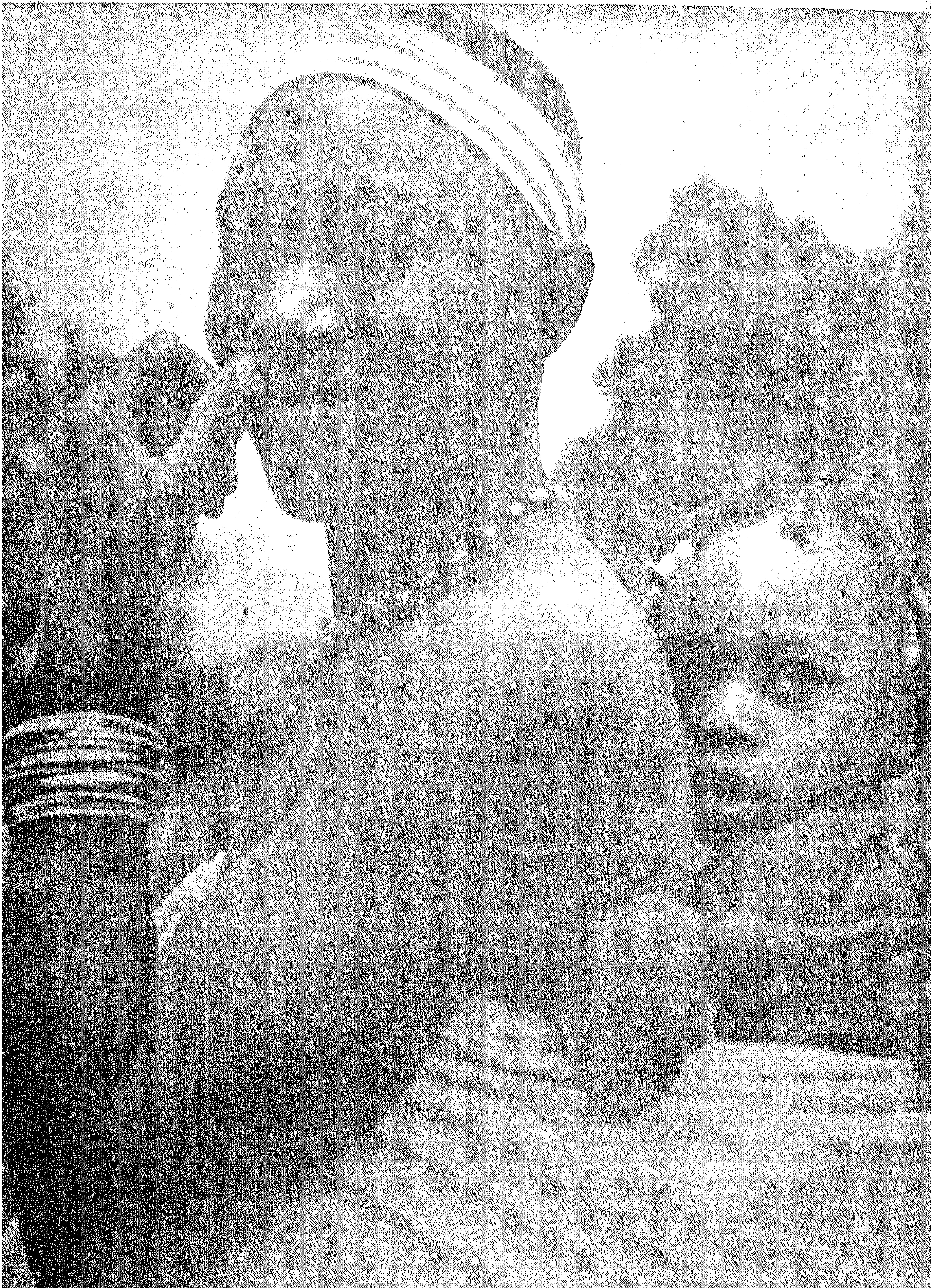
i) Dialect spoken by the tribes : Ishaak, Darod, Dir (Gadabursi and Esa), and Hawiya .

ii) Dialect of : Rahanwein, Jidda and Tunni.

iii) Dialect used in Benadir.

and it does require an exhaustive field work in the archaeological, anthropoligical and philological sides.

III. From an examination of the Usmaniyyah alphabet, which is demonstrated hereafter, the relation of this script is established as having its origin in an ancient source dogged by influences of some other scripts. Isman appears to have attempted a remodelling of the alphabet with apparent changes. The geographical setting



أمومة افريقية

Vol. 1

No. 11 September 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- Language of the African Continent
- Role of Africa Sculptor
- Colour Bar in Africa
- Racial Discrimination in Literature
- Arab Pioneers in Uganda

السنة الثانية

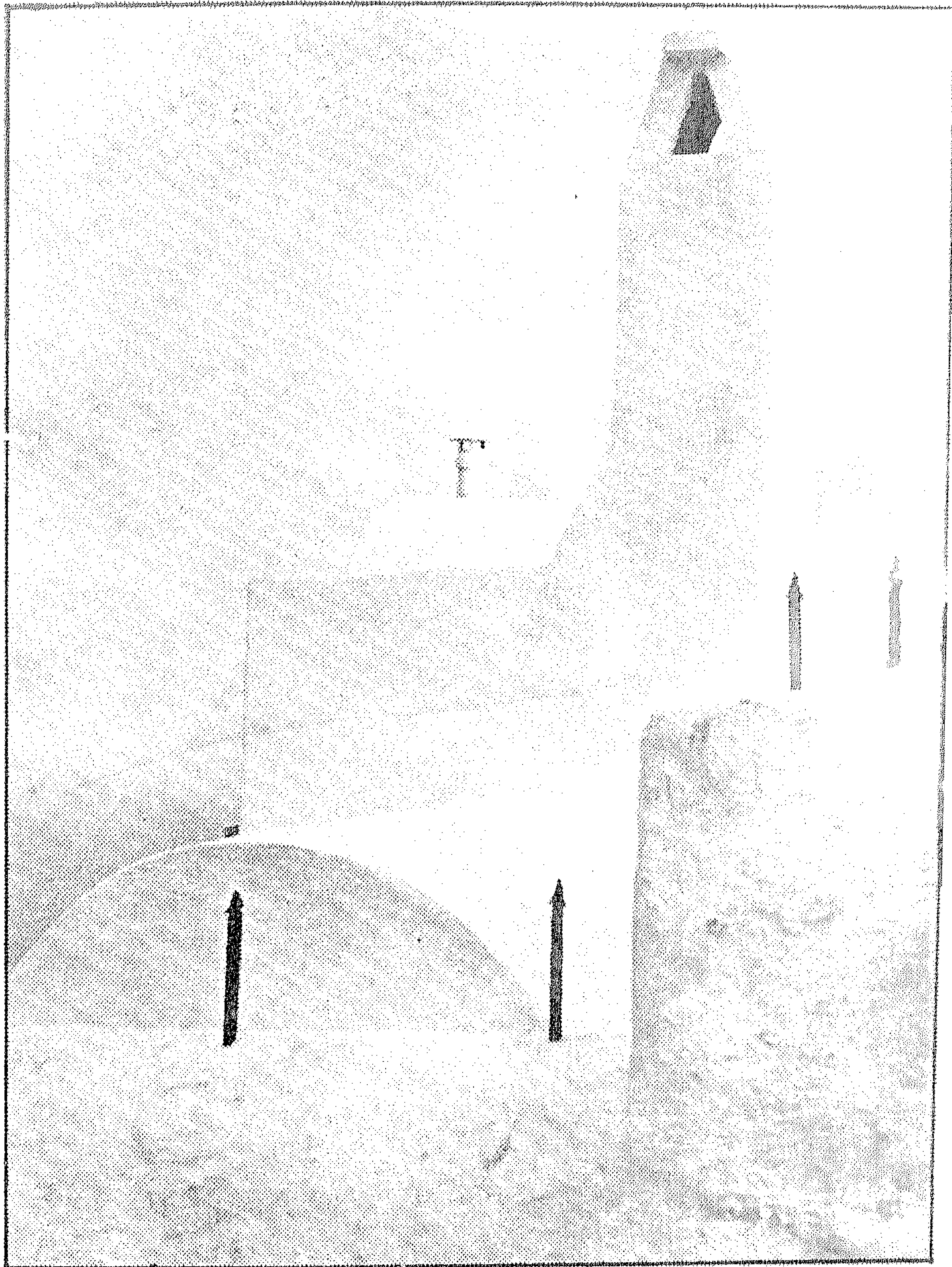
العدد ١٢ ، ١٣ : اكتوبر ونوفمبر ١٩٥٨



نهضة افريقية

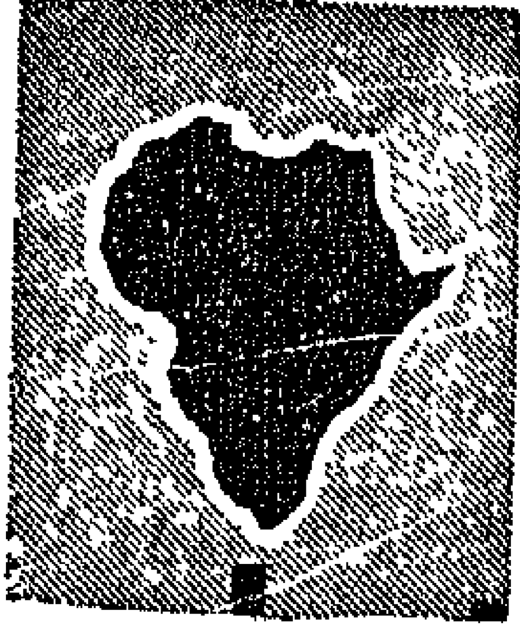
عدد خاص

فى هذا العدد



بيت فى بلاد « المغرب »

Moroccan Home



نهضة افريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة افريقية

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى .

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع احمد حشمت ــ الزمالك ــ بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

بصدور هذا العدد تكون مجلة نهضة أفريقية قد شقت طريقها الى العام الثانى ، والى عقول القراء وقلوبهم . بعد أن وقفت موقفا رائديا فى مجال لم تسبق اليه فى عالم الدراسات الافريقية باللغة العربية ..

ومع أن الخطوات التى خطتها المجلة معدودة الا أنها معالم على الطريق . ذلك لانها أستطاعت أن تقدم تاريخ القارة ، وثقافتها ، ودورها فى تطوير البشرية . وكيف أنها لم تعرف الحقد والسلب ، واستنزاف القارات الاخرى .. فنحن نعتقد أننا نضع بهذه المجلة ((مصباحا)) على مشكلات القارة وأوجاعها .. مصباحا يضىء المتربصين على الجبال . والمتحفزين فى الادغال ، والمتدفقة دماؤهم فى المعارك . حتى لا يشعروا بأنهم فى ((عالم مفقود)) وانما فى عالم يساندهم ويحس بأنهم لايناضلون من أجل الحرية فى بلادهم فحسب ، وانما من أجل الحرية فى كل مكان!

وفى الوقت نفسه تقدم المجلة مادة علمية تعين الباحثين فى الداخل والخارج ، وتغطى ((الفراغ الثقافى الافريقى)) الذى خلفه المستعمرون من وقت بعيد . والذى قد بدأ يذوب بفضل عقل واحد هو عقل القارة . ففى القارة اليوم ((عقل جماعى)) له قيمه المضيئة ، ومبادئه الانسانية .. وأخيرا فهذه المجلة هى هدية بلادنا الى أفريقية .. كل افريقية ..

((عبده بدوى))

محتويات العدد

الاتحادات المشبوهة

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

فى العــدد الثانى من هــذه المجلة كتب السيد « شيكاجو كامولاندو » يقول :

« منذ أربعــة أعوام أعلنت وزارة المستعمرات البريطانية أنها تعمل على انشاء دولة اتحادية فى وسط افريقية تتكون من : روديســيا الشماليــة وروديسيا الجنوبية ونياسالاند ... فما الذى دفع وزارة المستعمرات الى انشاء هذا الاتحاد الذى لا يزيد عدد المستوطنين الاوربيين فيه على بضع عشرات من الالوف يعيشون فى وسط بحر متلاطم الامواج من الافريقيين السود ؟

أهى الرغبــة فى تحـرير هؤلاء الافريقيين ووضع مصيرهم فى أيديهم ؟

أم هو تمكين هؤلاء الملايين من البشر من موارد بلادهم وثرواتها ، وفتح الطريق أمامهم للارتقاء المادى والسير فى ركب الحضارة الانسانية ؟

أم هو شعور العدالة والانصاف ، والاقتناع بأن هــذا العصر هو عصر الشعوب التى لا تغلب ارادتهـا ولو بالحديد والنار ...؟ »

ويستطرد السيد « كامولاندو » قائلا :

« أخشى أن أقول — والاسى ملء فؤادى — ان لا شىء من تلك الاعتبارات كان يجول بخاطر وزارة المستعمرات البريطانية وهى « تصنع » فى مكاتبها فى لندن هيكل هذا الاتحاد الجديد . وانما الذى كان يجول بخاطرها أرقام الارباح الناتجة من منـاجم النحـاس والزنك والرصاص والذهب والفضة والكوبلت واليورانيوم والكروم والفحم ... هــذه الارقام التى تتقاسـمها الشركات البريطانية والامريكية فى وسط أفريقية والتى تتزايد على مر السنين »

ولقد وضع هذا الكاتب الافريقي الوطني يده على موطن الداء حينما صور الحافز الدافع للاستعمار البريطاني على انشاء « اتحاد » براق له كيانه الدولي الرسمي ، ولكنه في واقع الامر دمية تمسك بخيوطها أصابع الاستعمار في لندن ، وتحركها الشركات البريطانية والامريكية لتخدع بها الوطنيين وتلهيهم عن السعي الى التحرر الحقيقي والاستقلال الكامل.

وقد أعجبت هذه الدمية صانعيها فيما يبدو ، فرأيناهم يتحركون شمالا ويحيكون خيوطا جديدة : تمهيدا « لاتحاد » جديد سموه على الورق ، في مكاتب وزارة المستعمرات « اتحاد شرق افريقية » ...

وكان المفروض أن يضم هذا الاتحاد كينيا وتنجانيقا وأوغندة ، ولا بأس أن تلحق به زنجبار ، ولكن هذا المشروع صادف من المقاومة ومن العقبات مايكاد ييئس الداعين اليه ، ويفسد عليهم أمرهم في تلك الاقطار أو يحدث نكسة في اتحاد وسط افريقية الذى أصبح في مهب ريح عاتية من القومية الزاحفة ..

فقد تنبهت لاخطار الاتحاد الجديد — أول ماتنبهت — أوغندة ، ونهض «المؤتمر الوطني» فرفع علم المعارضة الواعية المتماسكة ، وكشف للمواطنين ماترمي اليه وزارة المستعمرات من انتشار المستوطنين الانجليز في جميع أقطار الاتحاد ، وما يتبع ذلك من استيلائهم على الاراضي الخصبة ، على نحو مافعلوا في كينيا ، وطرد السكان الوطنيين الى البقاع المجدبة ، واحاطة من يبدى تذمرا منهم بالاسلاك الشائكة بعد أن تسلط عليهم المدافع الرشاشة ، ويشنق زعماؤهم ويوصفوا بأنهم صورة جديدة من صور الـ « ماو ماو » ...

وأشار الزعماء الاوغنديون الى منطقة التعدين الكبرى في غرب بلادهم وقالوا : ها هنا مركز الجاذبية للشركات الاحتكارية الاستعمارية ، وكما فعل السادة الاوربيون والامريكيون في منطقة «حزام النحاس» في روديسيا الشمالية ، فسوف نرى غدا هذه الشركات نفسها ، في ظل حكومة الاتحاد الجديد ، وهي تقصر « العمل الفني » في المناجم على العمال الاوربيين والخبراء الامريكيين ، وتمنح العامل منهم مائة جنيه في الشهر ، فضلا عن نسبة مئوية في الارباح قد تبلغ مائة جنيه أخرى ، في حين تتفضل على العامل الوطني بأجر لايزيد مطلقا على ستة جنيهات ..

ومضى الزعماء في حملتهم التي صورت للشعب الاوغندي بشاعة الاتحاد الجديد ، وتكاتف الشعب مع الـ « كاباكا » ، وهو الرئيس الوطني المنتخب ، واشتد ضغط الانجليز على الحكومة الاوغندية ممثلة في « الكاباكا » للتوقيع على مراسيم تؤدى الى « الاتحاد » دون جدوى ، ولما لم ينجح الضغط السياسي والدعايات المغرضة ، لجأت بريطانيا كعادتها ، الى الانتقام ، وعزلت الـ « الكاباكا » وبعثت به الى لندن في حركة مسرحية تثير الاشمئزاز ..

وزادت هذه الحركة من تصميم الشعب الاوغندي واستمراره في معارضة «الاتحاد» من جهة والاصرار على عودة الكاباكا من جهة أخرى..

وفي النهاية ، وبعد عامين من الكفاح المنظم المتماسك ، تراجعت بريطانيا — مؤقتا — وأعادت الكاباكا ، ثم عزلت الحاكم الانجليزي الذى أشار بنفيه ، ولكن وزير المستعمرات لم يعترف بعدول بلاده عن السعي في المستقبل الى انشاء ذلك الاتحاد المشبوه ..

وفي الوقت الذى تحرز فيه الحركة الوطنية الاوغندية كل يوم تقدما جديدا ، حتى ان « المؤتمر الوطني » فاز بخمسة وثمانين في المائة من

أصوات الناخبين في الشهر الماضي ...

وفي الوقت الذي يترنح فيه « اتحاد وسط افريقية » بعد أن أسفر حكامه الاجانب عن مبادئهم الفاشية العنصرية ، لا تيأس بريطانيا من التماس الوسائل الخادعة لانشاء « اتحادات » جديدة في أقطار أخرى من افريقية ، وفي الاجزاء الباقية في أيديها من القارة الآسيوية ..

ففي غرب افريقية تبذل المحاولات المغرضة لانشاء اتحادات يمكن استغلالها « كمجموعة » وطلاؤها بمظاهر الاستقلال البراقة ، والاحتفاظ بها في نطاق الاحتكار ، وفي كتلة الاسترليني .

وفي الشرق ينبعث ، بين وقت وآخر ، مشروع الاتحاد الصومالي أو صوماليا الكبرى ، وتأمل بريطانيا أن تجعل من « الصوامل الخمسة » منطقة نفوذ جديدة تطل منها على البحر الاحمر والمحيط الهندي .

وعلى الجانب المقابل من القارة الآسيوية تجرى المؤامرات التي ماتلبث أن تنكشف ، فتنطلق المدافع لتمهد الطريق ، على أشلاء المجاهدين من الابطال في عدن ولحج وعمان لانشاء «اتحاد أمارات الخليج» ، وهو الاتحاد الذي يرمي الى تطويق بلاد العرب بأكملها من الجنوب ، بعد أن وضعت « الخطاطيف » البريطانية من الشمال في الاردن واسرائيل ..

ولم يقف الاستعمار الفرنسي بمعزل عن النشاط المماثل في هذا الميدان ، فقد حاولت السياسة الفرنسية أن تتشبه بالمرونة البريطانية فجاءت في دستور الجنرال ديجول بتخيير المستعمرات بين « الاتحاد » مع فرنسا وبين الاستقلال ...

وجرى الاستفتاء الذي وصفته الصحف الاوربية المحايدة بأنه « مهزلة » ، والذي استطاعت أن تفلت منه « غينيا » وتقول : لا ..

وجاءت النتيجة «المشبوهة» لتقول : أن جميع الاقطار التي تحتلها فرنسا ما عدا غينيا ، ترغب في دخول « الاتحاد الفرنسي » ..!

جاءت هذه النتيجة رغم الصراع الهائل الذي يدمي صدر فرنسا في الجزائر ورغم الدماء التي سالت في السنغال ومدغشقر ، ورغم اضطرارها الى اختطاف زعماء اقليم « تشاد » واعتقالهم في باريس طيلة أيام الاستفتاء .

فهل يرتجى بعد ذلك بقاء لهذا « الاتحاد » ؟

وهل يرتجى تحقيق المزيد من الاتحادات البريطانية الاهداف ؟

هل ترضى أوغندا اليوم ، مثلا ، بما رفضته في غضب واصرار منذ أربع سنوات ؟

الجواب على هذا السؤال بالذات جاء من « كمپالا » منذ أيام ..

لقد كانت أوغندا ، حتى الشهر الماضي ، تطالب « بالحكم الذاتي » والاستقلال على مراحل .

فلما فاز « المؤتمر الوطني » في الانتخابات ذلك الفوز الساحق ، قرر المؤتمر أن يطالب بالاستقلال « فورا » .

وهكذا القول في كل اقليم يبلغ فيه الوعي والتنظيم القومي مرحلة التدفق والاندفاع .

ان الاتحادات الافريقية «النظيفة» آتية لاريب فيها ، ولن تغني حينئذ عن الاستعمار مشروعات براقة تخفي وراءها سيطرة الاسترليني أو الفرنك أو الدولار ! ..

السلالة والجنس فى افريقية

للدكتور محمد رياض

(١)

مقدمة :

تمتد قارة أفريقية الى الجنوب الغربى من الكتلة القارية العظيمة أوراسيا (أوربا وآسيا) فى مساحة تبلغ ١١٢٦٢ر٠٠٠ ميل مربع . ولافريقية سواحل بحرية يبلغ طولها ١٦١٠٠ ميل وهى ليست طويلة بالنسبة الى مساحة القارة . وتقترب أفريقية من أوراسيا على طول سواحلها الشمالية وجزء من ساحلها الشرقى يمتد من خليج السويس الى القرن الافريقى ، وهى بهذا الوضع جزيرة كبيرة ، اذا استثنينا الرابط الارضى الوحيد الصغير وهو برزخ السويس الذى يبلغ طوله حوالى ٨٠ ميلا . ولاشك انه كان لوضع افريقية هكذا أثر كبير فى علاقاتها المكانية مع كتلة أوراسيا . فأكثر جهاتها اتصالا بالعالم الخارجى هو الركن الشمالى الشرقى – أى مصر ويليها فى الاهمية كل من سواحل البحر الاحمر الطويلة الى خليج عدن ، وسواحل البحر المتوسط الى مضيق جبل طارق . ونقطة الارتكاز فى العلاقات المكانية على ساحل البحر الاحمر وخليج عدن هو منطقة مضيق باب المندب ، وفى سواحل البحر المتوسط نجد تونس من ناحية ، ومنطقة طنجة من ناحية أخرى . والملاحظ ان هذه النقطة هى أكثر النقط قربا من أوراسيا ، حيث يشتد ضيق البحار الفاصلة . فمضيق باب المندب يبلغ عرضه حوالى ٢٠ ميلا ومضيق جبل طارق حوالى ٨ أميال والمضيق البحرى الفاصل بين تونس وجزيرة صقلية حوالى ١٥ ميلا .

ودراسة هذه النقط من الاهمية بمكان فى الدراسات البشرية اذ انها تعد معابر لدخول أو خروج الهجرات البشرية . ولا يعنى هذا ، بأية حال استبعاد مناطق ساحلية أخرى لدخول أو خروج الهجرات البشرية . ولدينا فى أفريقية مثل واضح على ذلك :

فان بعضا من سكان جزيرة مدغشقر قد أتوا اليها من شرقى المحيط الهندى بوساطة القوارب فى الغالب ، لانه لايوجد أى دليل على وجود آثار لهذه السلالة البشرية التى تتصف بالصفات المغولية فى أجزاء القارة الافريقية الاخرى ، كما ان العرب والهنود قد انتشروا أيضا على طول سواحل أفريقية الشرقية المطلة على المحيط الهندى والبحر العربى بوساطة السفن ، دون أن يلجئوا الى العبور عن طريق باب المندب ، ولكن أهمية المعابر التى سبق ان ذكرناها لاتنكر فى انها أسهل الطرق فليس كل المهاجرين بملاحيين

ولذلك، فانهم يلجئون الى أقصر الطرق البحرية للعبور، وهي المتمثلة في هذه المضايق • وقد ترتب على هذه السهولة ان أصبحت هذه المعابر أبوابا مفتوحة للمهاجرين باستمرار وعلى مدى زمن طويل • ولاشك ان هذه الصفة ـ صفة الاستمرار ـ تجعل معظم عمليات الهجرة من والى افريقية عبر هذه المضايق • •

ويترتب على ذلك ان أكثر المناطق قربا من المعابر الارضية أو المضايق البحرية هي أكثرها أهمية في دراسة التاريخ الجنسي لقارة افريقية وأكثرها تعقيدا من ناحية التركيب الجنسي للسكان • وهذا في الواقع هو حقيقة الحال • فمصر وأقليم القرن الافريقي والهضبة الحبشية، وشمال غرب افريقية كلها مناطق تعقيد واختلاط جنسي، على عكس مناطق أخرى في افريقية، ففي الحبشة ومنطقة القرن الافريقي نجد جماعات زنجية قديمة وحديثة (سلالات سودانية وبانتووية) وجماعات حامية (بربرية وأثيوبية)(١) وجماعات سامية قديمة وحديثة (سلالات شرقية) • وفي مصر نجد جماعات من أصول مختلفة سودانية (بالمعنى الجنسي وليس الحضاري) وبربرية وشرقية ووسيطة وأرمينية ونوردية ومغولية • وفي شمال غرب افريقية نجد أيضا سلالات بربرية وشرقية ونوردية وأرمينية •

ولا يعني هذا أن مناطق التعقيد في التركيب الجنسي في افريقية مقصورة على شمال وشمال شرق أفريقية، بل ان هناك مناطق أخرى تتداخل فيها السلالات • اما على أساس انصهار واما على أساس تجاور مكاني ويوجد هذا التداخل اما في مناطق غنية وهي في الوقت نفسه مناطق التقاء، واما في مناطق فقيرة، هي في الوقت نفسه مناطق عزلة • •

أما في النوع الاول فأن تداخل وتجاور أو انصهار السلالات يحدث لغنى المنطقة وطمع المجموعات المختلفة في احتلالها، وفي النوع الثاني يحدث هذا لان السلالات والمجموعات المستضعفة تضطر الى الهجرة اليها خوفا من العناصر القوية • •

ونظرا لان افريقيا مملوءة بالمناطق الغنية والفقيرة، فان تركيبها الجنسي ليس سهلا مبسطا، بل متداخلا معقدا • والاكثر منه صعوبة أن نحاول تحليل التركيب الجنسي بالتفصيل لهذا السبب • الى جانب عدة أسباب أخرى، منها :

أولا : ان غالبية افريقية لم تدرس الدراسة العلمية الصحيحة، وان كل الدراسات التي حدثت كانت في مناطق متفرقة، وفي كميات عددية بسيطة لا تمثل حقا مجموع السكان • •

وثانيا : أن هناك سوء فهم أدى الى تداخل في استعمال المصطلحات العلمية • ومن أكثر الامثلة وضوحا على هذه الفوضى في استخدام المصطلحات أن المصطلحات اللغوية أو الحضارية قد غلبت على استخدام المصطلحات الجنسية وشاع استعمالها • • فالمصطلحات «بانتو» و «سامي» و «حامي» مصطلحات لغوية وحضارية في آن واحد، ولكن الكثير من الكتاب قد استخدمها خطأ للاشارة الى أجناس معينة • وقد نجم عن ذلك أن حاول بعض علماء الانثربولوجيا الطبيعية اشتقاق أسماء ومصطلحات تعبر عن

---

(١) اصطلاح «بربرية Berberide» صفة أو مرادف صفة «همجي» ولكنها مشتقة من اسم سكان افريقية الشمالية الغربية «البربر Berber»، واصطلاح «أثيوبية Athiopide» ليس صفة مشتقة من كلمة اثيوبيا Ethiopia لا بمعناها القديم ولا الحديث، ولكنها محاولة من جانب «ايكشتد» لتسمية سلالة من السلالة الجنسية الافريقية •

السلالة فقط . وهذه المحـــارنة لم يتم الاتفاق عليها ، ولهذا فان هناك أيضا تضـــاربا فى استـخدام بعض المصطلحات بين الاخصائيين . وسيتضح ذلك فيما بعـــد عند مناقشــــة التقسيمات الجنسية فى أفريقيا لكل من المدرسة الالمانية متمثلة فى كتابات فون ايكشتد Egon von Eickstedt والمدرسة البولندية متمثلة فى آراء Klimik وغيره ، وبعض المدارس الاوروبيـــة والامريكية الاخرى .

لمحة عن تاريخ الجنس القديم :

يقول الكثير من المؤلفين انافريقية تمثل جيبـــا بشريا من الناحيتين الجنســية والحضارية ، بمعنى أنها منطقة لم تنبع منهـا أصول اجناس أو حضارات ، انما كانت تلتجىء اليها أجناس مستضعفة أو حضـارات متدهورة ، والحقيقـــة أنه لا يمكننا التصديق على مثل هذا الحكم العام، فان بعض التفصيلات تنقصـــــه ، خاصة بعد الـكثير من الاكتشــافات الجديدة فيميدان الانثربولوجيا (١). وبالرغم من أن هـــذه الاكتشـــافات محدودة وضئيلة العدد ، الا أنها قد ألقت بعض الضــوء على منشأ بعض الاجناس الافريقية ، وأعطتنا صورة عن علاقاتافريقية ببقية كتلالقارات فى العالم القديم .

ومن بين هذه الكشوف حفرية من الرئيسيات (٢) سميت«بروكونسول «Proconsul africanus» وجدت فى كينيا على بحيرة فكتوريا ، وحفـرية « الانسـان الجنوبى » «Australopithècinae» التى وجدت فى جنوبافريقية . وقد اكتشف أنواعا من هذه الحفرية كلمن الاساتذة الدكتور « دارت Dart» عام ١٩٢٤ ، والدكتـور برووم Broom عام ١٩٣٦ ، وقد قيل ان عمر هذه الحفـــرية قديم جدا ، ولكن هناك اختلاف فى التقـدير الزمنى . ومرد هذا الاختلاف ان بعضهذه الحفريات وجــدت فى رواسـب تنتمى الى البلايوسين الاعلى (٣) وبعضها فى رواسب تنتمى الى البلايوستـوسين الاعلى (٣) ، والفــارق الزمنى بين مجموعتى الرواسب يبلغ قرابةنصف مليون ســنة . وعلى أية حال فان الاتجاه العام بين الانثربولوجيين الى التغاضى عن أهمية هذا « الانســان الجنوبى » ودوره كحلقة من حلقات التطور البشرى، لانه قديم قدمانسان جاوه Pithic anthropos erectus ومع ذلك فهــو أقل منــه تطورا فى الاتجاه الى الصفات البشرية ، وربما اعتبرنا الانســـان الجنـوبى أحدى المحاولات الفاشلة التىأصيبت بالعقم والتوقف فى حلقات التطور البشرى.

وهناك بقايا عظمية اخرى وجدت فى افريقية لانواع من الانسان البـائد نذكر منها ما يلى :

---

(١) لن نناقش الموقف الحضارى الافريقيـة فىتاريخها الطويل فى هذه المقالة . وهنـاك الكثير من المؤلفين والكتاب الاجانب الذين كتبوا فىهذه الناحية ، ويمكننى أن أحيل القـارىء فى ذلكعلى كتابات D Westermann, «geschichte Afrikas» Koln 1953 , Lady Shaw, «Tropical Dependency» London 1906
ومقال قصير : R. Kennedy, «West Africa in Prehistory», in History Today, Sept. 1958. London.

(٢) الرئيســيات Primates المصطلح العلمى الذى يطلق على القردة العليـا مثــل الشمبانزى والجوريلا والجيبون والاورانج أوتانج

(٣) البلايوسين Pliocene هو العصر الأخير فى الزمن الجيولوجى الثالث . والبلايوستوسين هو القسم الاول فى الزمن الجيولوجى الرابع .

١ ــ انسان فلوريسباد Florisbad man ، وقد اكتشفت بقاياه العظمية عام ١٩٣٣ فى اقليم أورانج فرى ستيت Orange free State فى اتحـــاد جنوب أفريقية . وقيل ان هــــذا الانســـان من فرع الانســـان المفـكر «Homo Sapiens» (١) . وان حجم مخه كان يقرب من متوسط حجم المخ الحـــالى ، ولو ان جبهته منحدرة بشدة لامثيل لها بين الانسان الحالى (أى أن الجبهة ليست رأسية على الوجـــه) .. وترى بعــض الاختراعات العلمية أنه ربما كان أصل السلالة التى انحـــدرت عنها سلالة البشـــمن «Bushmen» الحالية .. ويرجع تاريخ هذه الحفـــرية الى ٨٠،٠٠٠ سنة مضت .

٢ ــ انسان روديسيا Rhodisian man ، وقد اكتشفت حفرياته فى بروكن هل فى روديسيا عام ١٩٢١ ، وهو من السلالة المفكرة ايضا . وقيل ان عمر الحفرية يرجع الى ٤٠،٠٠٠ سنة . وكان حجم المخ يقـرب من حجم المخ الحالى، ولو أن عظم الحاجبين كانا بارزين بدرجة شديدة غير مألوفة لدى الانسان الحالى . وقيل انه الاصل الذى انحدرت عنه السلالات الزنجية أو المتصفة بالصفات الزنجية .

٣ ــ انسان كانجيرا Kanjera man
هذا الانسان مشكوك فيه ، وهو من أبحاث الدكتور ليكى فى شرق افريقية فقد وجد الدكتور ليكى عظمة جمجمة وعظمة فك . ولــكن مكان الحفريتين مختلف . وبالرغم من ذلك فقد قال ليكى انهما للسلالة نفسها ، وسمى كشفه باسم انسان كانجيرا . وتقول بعض النظريات العاجلة ان عمر هذا الانسان ٣٠،٠٠٠ ســـنة . وهو بهذه الصورة من فروع الانسان المفكر العامل Homo Sapien sapien وقيل انه من أوائل الاصـــول التى انحدرت عنها السلالات المعروفة حاليا باسم السلالات القوقازية .

والى جانب هذه الكشوف العظمية لبعض فروع الجنس البشرى التى لم يوجد لها مثيل خارج افريقية . فان هناك الكثير من البقايا العظمية التى وجدت فى شمال وشرق وجنوب أفريقيا التى ترجع الى سلالات كان لها انتشار أعظم ، فى كل من آسيا وأوروبا .

وأكثر هذه البقايا العظمية التى وجدت فى افريقيـــة تعـــود الى جنس الـ « نيـــاندرنال Homo-Neanderthalensis » . وسلالات أحدث مثل « الجريمالدى Grimaldi والكرومانيون Cromagnon »

وعلى الرغم من أن هناك بعض الشك فى بعض هذه الكشوف ، والكثير من الشك فيما يتعلق بانسان كانجـيرا ، فان لهذه الكشوف أهمية بالغــة ، وتدل دلالة واضحة على ان القارة الافريقية لم تكن مطلقـــا ــ حتى فى أقدم تاريخها البشرى ــ بمعزل عن الاحداث التى ترتب عليها ظهور الانسان فى

---

(١) يقسم العلماء البقايا العظمية للانسان فى مراحل منذ البداية الى الانســان العــاقل الحــالى .. وهــذه التقســيمات هى : طلائع الانسان Protoanthropus والانسان القديم Palaeoanthropus والانسان الحديث Neanthropus وبعض أنواع هــذا الانسان الحديث خصوصا القــديمة منهــا قد بادت وانقرضت ، وبعضــها الآخر تطور الى الانســان الحالى وهنــاك تقســيم آخر هو : Homo erectus وهى كل من ســار على رجليه من أنواع طــلائع الانســــان ، ثم Homo Sapiens (الانسان المفكر) ، ويشمل كل أنواع الانسان البائد فيما عدا طلائعه ، ثم Homo Sapiens Sapiens وهو الانســان المفكر المفكر أو الانسان العاقل الحالى .

أشكاله الحالية ، ولم تكن مجرد جيب أوطريق مغلق تتراكم فيه بقايا السلالات أو الحضارات ، ذلك اننا نجد حفريات للقردة العليا منذ أقدم العصور (مصرقرب الفيوم في رواسب الميوسين) وحفرية البروكوتسول ثم حفريات «لطلائع الانسان Protoanthropus » مثل الانسان الجنوبي وحفرية أخرى مشكوكا فيها هي الانسان الافريقي Africonthrous ثم « الانسان القديم Palaeoanthropus » مثل انسان فلوريسيا وروديسيا ، ثم « الانسان الحديث Neanthropus » مثل كانجيرا وكرومانيون ، وبطبيعة الحال «الانسان الحالي Living Races »

الأجناس والسلالات الرئيسية في افريقية :

ان في افريقية عددا من الاجناس الرئيسية اختلط بعضها ببعض وكونت سلالات ثانوية ، وظل بعضها بعيدا عن الاختلاط . وتحديد العناصر الاساسية لاجناس افريقية ليس بالامر السهل الهين ، بل هناك اختلافات بين العلماء على تحديد هذه الاجناس ، وبالتالي على تحديد السلالات الثانوية وعناصر تكوينها .

وفي هذا المضمار نجد ان النزاع بين العلماء يتعدى تعريف السلالة الى تسميتها أيضا . واذا بسطنا هذا النزاع نجد أن هناك ثلاثة اتجاهات يمكن ان نلخصها في : (١)ـ المدرسة التقليدية (٢)فون ايكشتد E. Von Eiekstedt (٣) المدرسة البولندية .

ومن أبرز أعضاء المدرسة التقليدية الاستاذان «هادون A. C. Haddon وسليجمان C. G. Seligman»

والواقع ان ثمة خلافا عميقا بين كل مدارس الانثروبولوجيا العالمية من ناحية وبين المدرسة البولندية من ناحية أخرى ، ولكن هذا الخلاف خلاف منهجي ، ولسنا نعرف بالضبط أي المنهجين أسلم فالمدارس الانثروبولوجية عامة تعتمد على المتوسطات الحسابية لكل صفة من الصفات الجسدية في حين تعتمد المدرسة البولندية على تحليل كل فرد من الافراد الذين تؤخذ عليهم المقاييس المختلفة ، بحيث ينتهي الامر الى وضع كل فرد في قسم خاص من الاقسام البشرية الاساسية . وربما أوضحنا هذا الاختلاف بالمثال التالي : اذا فرضنا ان هناك مائة فرد سنفعل عليهم الدراسه فاننا نجد بعد أخذ المقاييس عليهم أن منهج الانثروبولوجية العام يحلل كل صفة من الصفات الجسدية وحدها كوحدة قائمة بذاتها . فمتوسط النسبة الرأسية بين المقاسات المختلفة هو ما بين ٧٢ و ٧٥ مثلا ولذلك فان هذه المجموعة تسمى طويلة الرأس الى قرب حافة الرأس المتوسط . والانف متوسط نسبيا ضيق والقامة متوسطة طويلة الخ.. أما المنهج البولندي فلا يحلل كل صفة جسدية وحدها ، بل يدرس كل الصفات في كل فرد من الاشخاص المائة المذكورين ، ثم يقول ان حوالي ٥ أشخاص يظهر فيهم الترابط بين صفات السلالة الشرقية ، و١٠ تظهر فيهم صفات السلالة الالبية و ٣٠ تظهر فيهم صفات السلالة الوسيطة و ٢٠ تظهر فيهم الصفات البربرية والباقي تتضح فيهم صفات مختلطة بين هذه السلالات المختلفة ، ولهذا يمكن لهذه المدرسة ان تقول ان هؤلاء الاشخاص يمثلون اختلاطا بين السلالة الوسيطة والبربرية ، مع هجرات متوسطة من الالبيين وهجرة ضئيلة من الشرقيين ، على حين تربط المدرسة الانثروبولوجية العامة بين متوسطات النسب والمقاييس التي أخذتها ، وتنتهي الى أن هؤلاء الاشخاص

يمثلون أساسا عنصرا من السلالة الوسيطة مع خليط من عناصر وسلالات أخرى ٠

وربما كان من الاوفق ان نقول ان التعارض بين المنهجين ليس تعارضا تاما ٠ بل ان المنهجين يكمل بعضهما بعضا فى بعض النقاط ٠ فان المدرسة الانثروبولوجية العامة يمكنها ان توضح وترسم خرائط لكل صفة جسدية وحدها، ويمكن بالتالى معرفة التدرج أو الخطوط الفاصلة ومناطق الالتقاء الخ ٠٠ على حين تعطينا المدرسة البولندية مناطق النقاوة ومناطق الاختلاط مع نسب الاختلاط ٠

ولن نستطيع ان نستطرد فى هذه الاختلافات المنهجية كثيرا لضيق المقام وسنحدد الآن الاجناس والسلالات الاساسية فى أفريقية، مع الاعتبارات التالية :

١ ـ ان افريقية تنقسم الى قسمين كبيرين افريقيا البيضاء وافريقية السوداء والاولى فى الاجزاء الشمالية والشمالية الشرقية من القارة ، على حين تحتل الثانية بقية افريقية ٠

٢ ـ هناك هجرات بيضاء حديثة جدا تمثل الهجرة الاستعمارية الاوروبية فى جنوب افريقية وبعض مناطق شرق افريقية ٠

٣ ـ ان هناك مناطق خلط جنسى كثيرة بحيث يمكننا القول بأن أكثر مناطق افريقية نطاقات انتقالية ، على حين نجد مناطق النقاوة الجنسية محدودة الانتشار الآن ٠

٤ ـ ولذلك فانه من الصعب جدا تصور الخط الفاصل بين افريقيا البيضاء والسوداء ، ومعظم الخطوط التى رسمت للفصل بين الاثنين مجرد خطوط تقريبية وليست فاصلة ٠

٥ ـ ان شيوع استخدام المصطلحات اللغوية مع ميوعة هذه الاصطلاحات فى بعض الحالات ، قد أدى الى كثير من الخلط والتشويش العلمى ٠

وعلى الرغم من ان بعض هذه الاعتبارات تعرقل رسم صورة بسيطة واضحة للاجناس الا أن هناك ـ على أيه حال ـ اتفاقا على السلالات الاساسية التالية ٠

١ ـ السلالة القزمية Pygmy, Pygmic

والصفات الجسدية لهذه السلالة أو الجنس هى : شعر صوفى ملبد قصير ذو لون أكثر ميلا الى البنى الفاتح مع اسوداد ، وشعر ضعيف على الجسم القامة قزمية ـ أى قصيرة جدا ، فالاقزام يتراوحون بين ١٣٦ و ١٤٢ سنتيمترا طولا ، وهناك بعض القبائل القزمية التى تصل فيها النساء الى ١١٠ سم ، وقبائل أخرى يصل فيها الرجال الى ١٥٠ سم ٠٠

الرأس عريضة Brachycephalic (١) أو متوسطة Mesocephalic (٢)

أما الوجه فنسبته قصيرة ولاتبرز عظام الوجنتين ولكن هناك بروز فى الفك الاعلى وعظام الذقن ضعيفة وضيقة ٠ والانف مفرطحة ونهاية الانف شكل خاص عريض الفتحات مع بروز نسبى للجزء الغضروفى فيما بين الفتحات بحيث يصبح الشكل العام للنهاية على شكل ثلاثة اهرامات أوسطها أعلاها ٠ كما ان جذر الانف مبطط وعريض جدا ٠ أما الفم فواسع والشفة العليا محدبة تحديبا شديدا والشفاه عموما ليست سميكة مثل شفاه الزنوج ولكنها ممتلئة وليست مقلوبة بحيث يظهر باطن الشفة للخارج ٠ ولون البشرة بنى خفيف أو مصفر أو أصفر مشوب بحمرة الى

(١) عريضة فى راى المدرسة البولندية
(٢) متوسطة فى راى هادون وسليجمان

لون أسود نتيجة الاختلاط بالزنوج المجاورين • ويتميز القزمي ببروز واضح في العجز ، يشابه «البشمن» ولكنه أقل منه بروزا •

وينتشر الاقزام في قبائل وعائلات صغيرة العدد في مناطق الغابات الاستوائية الكثيفة في شمال وشرق حوض الكنغو وأقليم جابون والكنغو الفرنسي • وقد أمكن تقسيم الاقزام الى ثلاث مجموعات

(أ) المجموعة الغربية : في جابون والكنغو الفرنسي ومن أهم قبائلهـا البابنجا Babinga والبابونجو Babongo والباجيلي Bagielli

(ب) الباثوا : في وسط وجنوب شرق الكنغو وأهم قبائل هذه المجموعة باشوا Bacwa وبافوتو Bafoto والباتوا Batwa والباتمبو Batembo

(ج) مجموعة أقزام ايتوري Ituri في شمال شرقي حوض الكنغو وقرب حدود أوغندا والكنغو والسودان الجنوبي ، وأهم القبائل هي : الأكا Aka الافي Efe والبامبوتي Bambuti

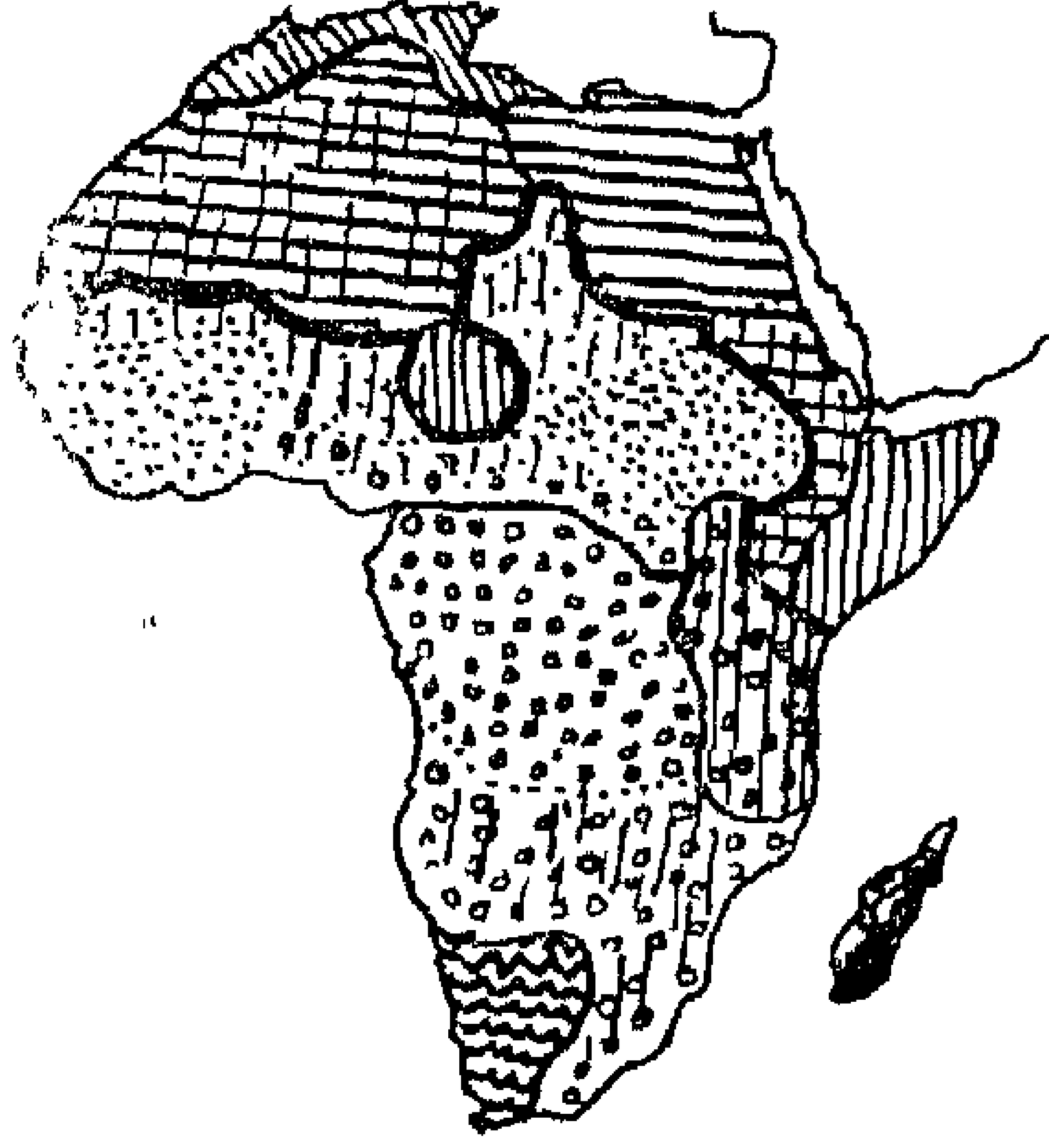
كما ان هناك مناطق أخرى في هضبة البحيرات تظهر فيها بعض آثار قزمية في السكان الحاليين مثل مجموعة باتوا Batwa وباجيشو Batwa على منحدرات جبل الجن Elgon في شرقي أوغنده •

ولسنا نعرف بالضبط مركز هذه السلالة بالنسبة للسلالات العالمية ، ولكن الاستاذ كروبير Kroeber يرى انها جزء من المجموعة أو الدائرة السوداء (الشعوب الزنجية بحكم نوع الشعر الصوفي) ولكن قصر القامة وعرض الرأس او ميله للعرض وغير ذلك من الخصائص تجعل ارتباط الاقزام بغيرهم من السلالات معضلة من معضلات الانتروبولوجيا • ولسنا نعرف أين نشأت هذه السلالة أولا، وهل دخلت افريقية من منطقة القرن الافريقي أو نشأت أصلا في أفريقيا ؟

وعلى أية حال فالواضح ان الاقزام كانوا يحتلون المناطق الشرقية من أفريقية في القديم ، وتحركوا الى مناطق الغابات الاستوائية محتمين بذلك من تقدم العناصر الاخرى مثل الزنوج • وهم يتراجعون بتراجع الغابات الاستوائية الكثيفة نتيجة ممارسة الزنوج للزراعة وبالتالي تخطيهم الغابات للاستفادة من الأرض وفي بعض الحالات لاضطرارهم الى الاختلاط بالزنوج ، كما هي حال الباتوا شرق الكنغو وينشأ عن ذلك خليط قزمي ترتفع فيه القامة بعض الشيء وتسود بشرتهم أكثر ، كما أوضحنا سابقا •

٢ ـ سلالة البشمن والهوتنتوت

Bushmen and Hottentot ويسميهم فون ايكشتد ، خويزانيد Koisanide ويسميهم بعض البولنديين « نجرويد Negroide » وهؤلاء هم الذين يطلق عليهم اسم ذوو الشعر المفلفل لان الشعر ينبت في مجموعات تلتف بعضها حول بعض بحيث تترك فراغا يظهر فيه جلد الرأس وبذلك يشبه الرأس حقل فلفل • والقامة قصيرة تتراوح بين ١٤٥ و ١٥٩ سم في رأي هادون • والرأس نسبته طويلة جدا في رأي البولنديين ومتوسطة الى طويلة عند هادون وسيلجمان ، والجبهة بارزة بوضوح وضيقة ، والوجه نسبته قصيرة وعظام الوجنتين بارزتان بشكل واضح ، ولايعتري الوجه في أغلب الاحيان ذلك البروز الفكي الذي



خريطة كليمبك للسلالات في أفريقيا

السـلالة الوسطى (بحر متوسط)

السلالة الوسـطى الشرقية والجنوبية (سامى + حامى)

سلالة شرق أفريقيا (حامى)

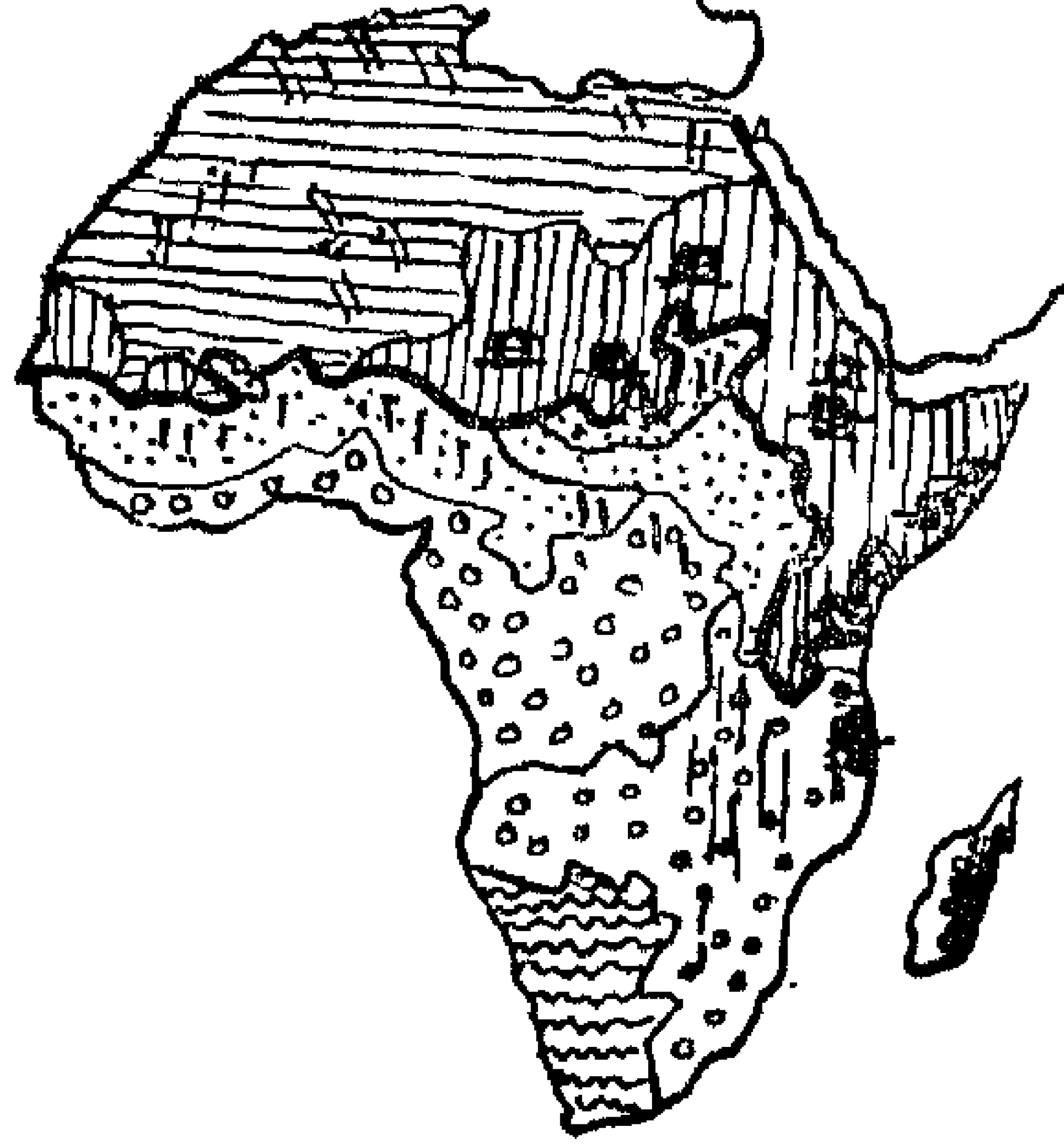
السـلالة السـودانية (زنوج السفانا)

زنوج الكنغو (زنوج الغـابات)

البشـمن والهـوتنتوت (نجرويد)

أسيويون شماليين

ملاحظة (الخريطة معدلة مع التبسيط - الخط السميك فى وسـط أفريقيا وغربها يمثل الخط الفاصل بين أفريقية البيضاء والسوداء)



خريطة ايكشتد للسلالات فى أفريقيا

السلالة الوسطى	Mediterranean	(بحرمتوسط)
السلالة البربرية	Barbarider	(الحامية)
السلالة الاثيوبية	Ethiopia	
النيلوتين	Nilodide	(الزنوج)
السودانيون	Sudanide	
الزنوج القدماء	Palanezide	
الكافيد	Kafinde	
الخويزانيد	Khaisanide	(البشمن)
السلالة الشرقية	Palanegoloid	(أثيوبيين مغول)
مغول قدماء	Orientalide	(ساميين)

ملاحظة : الخريطة معدلة مع التبسيط . الخط السميك يمثل الخط الفاصل بين أفريقيا البيضاء والسوداء . قارن ذلك بخريطة كليمبك المقابلة

بمير الزنوج • وعظمة الذقن صغيرة ومحجر العين نسبته ضيقةوفتحةالعين ضيقة وفى الجفون بعض مظاهر الجفون المغولية أو مايسمى « بالطية المغولية Epicanthic Fold » والنسبة الانفية عالية ، ويترتب على ذلك أن الانف عريض جدا ، والشفة العليا محدبة والشفاه أرق مما لدى الزنوج وليست مقلوبة فى الغالب • ولون البشرةبين فاتح أو أصفر كدر ويلاحظ بروز العجز بشكل واضح ، كما ان شحمة الاذن غير موجودة والايدى والاقدام صغيرة

والملاحظ ان صفات البشمن تتعدل بعض الشىء لدى الهوتنتوت • فالهوتنتوت فى الواقع خليط من البشمن وعناصر أخرى من البانتو المتصفين بالصفات الحامية ، ولهذا نجد القامة أطول قليلا واللون أغمق وغير ذلك •

غينيا

دولة إفريقية جديدة

بقلم الدكتور محمد صفى الدين

لم يكن يدور أبدا فى خلد « شارل ديجول » رئيس وزراء فرنسا عندما كان يجوب أنحاء القارة الافريقية فى شهر سبتمبر الماضى ، داعيا لدستور الجمهورية الخامس ، ان هناك مستعمرة صغيرة من بين مستعمرات فرنسا الاثنتى عشرة فى القارة الافريقية ، لن يغريها بريق الذهب ولن يهزها التهديد والوعيد ، بل ستنطلق صيحات أبنائها عالية مدوية لكى تعلن للملأ فى جميع ربوع الارض انها قد نفضت عنها ثوب الذلة والاستعباد ، وانها قد بدأت حياة جديدة لادخل لفرنسا فى توجيهها على الاطلاق .

أجل ! لم يكن يجول هذا الخاطر أبدا فى ذهن ديجول ، فقد كان على يقين من ان مستعمرات فرنسا الافريقية لن تستطيع العيش بدون معونة اقتصادية فرنسية ، أو استثمارات فرنسية ، أو حضارة فرنسية !

ولكن الصيحة التى انطلقت من غينيا قضت على كل آماله وأحلامه ، فكانت بمثابة يقظة جديدة لوعى افريقى مكبوت لابد أن ينطلق فى يوم من الايام فتأتى مع انطلاقه نهاية الاستعمار فى القارة التى نعتوها بالسوداء .

وقد كانت غينيا قبل ٢٩ من سبتمبر سنة ١٩٥٨ (وهو اليوم الذى أعلنت فيه انفصالها عن الاتحاد الفرنسى) جزءا من افريقية الغربية الفرنسية التى كانت تتألف من ثمان مستعمرات هى : غينيا ، وساحل العاج ، والسنغال ، والفلتا العليا ، وداهومى والسودان الفرنسى ، وموريتانيا ، والنيجر .

وقد ظهرت هذه الوحدة السياسية أول ماظهرت على هذا النحو بعد الحرب العالمية الثانية عندما أعلنت فرنسا اعادة تنظيم امبراطوريتها وتكوين اتحاد فرنسى يضم فرنسا وشتى مستعمراتها فيما وراء البحار ، فاندمجت المستعمرات الثمان السابقة فى اتحاد جديد جعلت عاصمته داكار .

ويتميز هذا الاتحاد بأنه عبارة عن كتلة كبيرة واحدة تطل على المحيط الاطلسى بأربع أذرع تتمثل فى السنغال ، وغينيا ، وساحل العاج ، وداهومى ، وتوجولاند (وهى تحت وصاية فرنسا) وتفصل هذه الاذرع الاربع جيوب تطل على المحيط ،

وتخضع لقوى استعمارية أخرى مثل جامبيا البريطانية ، وغينيا البرتغالية التى تفصل السنغال عن غينيا الفرنسية وليبيريا المستقلة وسيراليوني البريطانية التى تفصل غينيا الفرنسية عن ساحل العاج، أما داهومي فتفصلها عن ساحل العاج دولة غانا المستقلة (التى منحت استقلالها فى سنة ١٩٥٧) •

وان دلت هذه الصورة السياسية على شيء ، فهى تدل على ان فرنسا قد نفذت الى غرب افريقيا عن طريق البر والبحر معا ، فى الوقت الذى اعتمدت فيه بريطانيا على البحر وحده فى انشاء مستعمراتها فى غرب افريقية • ولهذا لم تزد هذه المستعمرات عن كونها أشرطة رأسية متعامدة مع الساحل ولا يوجد بينها أدنى اتصال أرضى •• هذا فى حين ان وجود الاتصال الارضى بين مستعمرات فرنسا فى غرب القارة ،هو الذى جعل الحافز قويا لتوحيدها وادماجها فى كتلة سياسية واحدة •

وعلى هذا نجد ان غينيا تنحصر بين مستعمرتين هما : غينيا البرتغالية فى شمالها الغربى ، وسيراليوني البريطانية فى جنوبها الشرقى ، وتمتد أرضها شمالا حتى منابع نهر النيجر الذى يدخل جزء كبير من حوضه الأعلى ضمن اراضى الدوله الجديدة • أما فى الجنوب الغربى فلها جبهة ساحلية طويلة تطل على المحيط الاطلسى وتنتشر على طولها مستنقعات ساحلية ، كما تخترقها بعض المصبات الخليجية للانهار التى تنتهى الى المحيط كنهر كوجون «Cogon» وفاتالا Fatalla وكنكورى «Konkure» ، كما يمتد أمام الساحل نطاق من الجزر الرملية الوطيئة التى تنتشر فوقها مساحات من البطائح والمستنقعات بحيث يبدو الساحل بأكمله على شكل دلتا هائلة متعددة الفروع •

وقد اختار الفرنسيون كوناكرى «Konakry» لتكون عاصمة لغينيا فى أوائل القرن الحالى ، وقد أنشئت هذه المدينة أول ما أنشئت على جزيرة تمبو «Tombo» التى تواجه احدى الرءوس الساحلية كما أنشىء معبر حديدى لربطها بالساحل ذاته •ولعل من أهم الاسباب التى دعت الى اختيار هذا الموضع لانشاء كوناكرى ان مياهها الاقليمية تكاد تخلو من حواجز الرمال — التى تعد عقبة كئودا فى سبيل النمو لشتى موانىء غرب افريقيا — ولوجود جزيرة كبيرة فى جنوبها هى جزيرة « لوس » بحيث تحميها من أمواج البحر وأنوائه (وقد كانت هذه الجزيرة تابعة لانجلترا ، ثم تنازلت عنها لفرنسا فى سنة ١٩٠٤ فى مقابل تنازل فرنسا عن حقوقها فى المياه الاقليمية لجزيرة « نيوفوندلاند » .

ويمتد من كوناكرى خط حديدى يبلغ طوله ٦٦١ كيلو مترا الى كوروسة وهى أعلى نقطة صالحة للملاحة على نهر النيجر) ، وقد استغرق مد هذا الخط أكثر من عشر سنوات ، وقد ترتبت عليه بعد ذلك عملية استغلال الاراضى الداخلية من البلاد •

وتبلغ مساحة غينيا ٢٨٠ر٩٠٠ كيلو متر مربع ، ويمكننا أن نقسمها الى أربعة أقاليم طبيعية واقتصادية :—

١ — السهل الساحلى : يتراوح اتساعه بين ٣٠ ، ٥٠ كيلو مترا ، وهو غزير الامطار ، وتقطنه جماعات السوسو التى تقوم بزراعة نخيل الزيت أو تعمل فى اقطاعيات الاناناس والموز التى يملكها الفرنسيون والتى تمتد كلها على طول الخط الحديدى الرئيسى •

٢ — الهضبة : وهى تمثل فى

الواقع حضيض مرتفعات فوتاجالون ـ أعلى جهات غرب افريقيا ، وتنتشر فوقها جماعات من رعاة الماشية والاغنام معظمهم من الفلاتة ، ويعيشون فى قرى كبيرة ذات أكواخ مستديرة تحيط بها حدائق للفاكهة المدارية •

٣ ـ مرتفعات فوتاجالون ـ ويزيد منسوبها على ثلاثة آلاف قدم، وتنحدر صوب الشمال، وهى تمثل أهم منطقة تقسيم مائى فى غرب افريقيا ، اذ تنحدر منها شعاب نهر السنغال متجهة نحو الشمال الغربى، كما تنحدر منها مياه نهر جامبيا ، وشمالا مياه نهر النيجر، وتخرج منها أيضا كل المجارى المائية التى تنتهى جنوبا الى المحيط وتعيش فى هذا الاقليم جماعات تحترف الزراعة سواء كانت فى صورة محاصيل غذائية كالذرة الرفيعة ، أو فى صورة محاصيل نقدية كالفول السودانى أو السمسم •

وتقع فى هذا الاقليم كانكان ، ويمر بها الخط الحديدى الرئيسى، كما تلتقى عندها كل الطرق البرية •

٤ ـ الاقليم الجنوبى الشرقى ـ وتكسوه غابات استوائية كثيفة ، وهو من أكثر أقاليم الدولة الجديدة وعورة وتأخرا ، وقد مدت فيه فى السنوات الاخيرة بعض الطرق التى تتلاقى كلها فى كانكان أو فى منروفيا عاصمة ليبيريا •

من هذا نرى ان كل اقليم من أقاليم غينيا الرئيسية يسود به نمط معين من الحياة الاقتصادية ، مما يجعل الانتاج متنوعا ، ويحقق تكاملها الاقتصادى •

ولايقتصر الامر على الثروة الزراعية أو الرعوية أو الغابية ، بل تحتوى أرض غينيا على ثروة معدنية محترمة تتمثل فى رواسب الحديد التى لاتوجد فى الجنوب والتى بدىء فى استغلالها أخيرا ، وكذلك فى معدن البوكسايت (خام الالومنيوم) الذى يوجد فى مناطق كثيرة أهمها شبه جزيرة كالوم وجزيرة لوس • وعلى هذا اذا ماحاولنا ان نحلل تجارة غينيا الخارجية وجدنا أهم صادراتها تتمثل فى : زيت النخيل والموز من الساحل ، والصمغ والفول السودانى والسمسم من مرتفعات فوتاجالون ، والماشية والاغنام من الهضبة وتصدر وهى حية بأعداد كبيرة الى سيراليونى وليبيريا وافريقية الاستوائية ، كما ان لتجارة الجلود مكانة هامة •

ومما يستحق الذكر هنا ان المطاط كان حتى سنة ١٩٢٥ فى أول القائمة لصادرات البلاد ، ولكن أزمة مابعد الحرب الاولى جعلت الزراع والمستثمرين يقلعون عن زراعته فى القسم الجنوبى، ويتحولون الى زراعة الموز والاناناس التى احتلت المقام الاول بين المحاصيل النقدية • أما الواردات فتتمثل فى السلع الآتية مرتبة بحسب قيمتها :

المنسوجات القطنية، والسيارات وقطع الغيار ، والارز والطباق ومواد البناء • ومعظم تجارة غينيا حاليا مع انجلترا وفرنسا ، اذ تستأثران معا بحوالى ٨٥ فى المائة من جملة قيمة التجارة الخارجية •

ويربو عدد سكان الدولة الجديدة على مليونين ونصف المليون يعيشون فى أقاليمها الاربعة الرئيسية فى وئام بالرغم من تعدد أصولهم القبلية وتوزعهم عبر الحدود السياسية فى المستعمرات المجاورة، أما عدد الاجانب فيزيد على سبعة آلاف أكثر من نصفهم من الفرنسيين والباقى من مواطنى الاقليم الشمالى بالجمهورية العربية المتحدة وعددهم حوالى ألف ، ومن اللبنانيين واليونانيين والايطاليين بنسب متقاربة • هذا ويدين معظم

الوطنيين بالاسلام ولو ان بعض القبائل كقبيلة السوسو مازالت تحتفظ بقدر من العادات والتقاليد الوثنية التى كانت شائعة قبل انتشار الاسلام بينهم .

وقد تزايد عدد سكان المدن تزايدا كبيرا فى العقود الثلاثة الاخيرة ، وليس أدل على هذا من ان عدد سكان كوناكرى قد تضاعف ست مرات من تسعة آلاف فى ١٩٢١ الى حوالى ٥٣ ألفا فى ١٩٥١ . والمدن باعتبارها مراكز رئيسية للاحتكاك الحضارى هى التى بعثت الروح القومية فى أبناء البلاد ، وهى التى خلقت زعيما مثل « سيكوتورى Sikou Toure » كانت لديه الشجاعة الكافية التى مكنته من نبذ النفوذ الفرنسى والمساعدات الفرنسية .

وفى ختام هذا المقال تجدر الاشارة الى نقطتين هامتين :

أولاهما : ان بعض كتاب الاستعمار مثل الانجليزى «J. H. Oldham» يعتقدون ان المستعمرات الافريقية مازال أمامها طريق طويل لكى تصل الى مرحلة الحكم الذاتى وانها لاتستطيع الوقوف على أقدامها دون مساعدة الغرب . ولكن يبدو ان أمثال هؤلاء قد تناسوا ان من بين الدول الافريقية من يستطيع ان يمد يد المعونة الى الدول الافريقية الجديدة الناشئة فى النواحى الثقافية والتكنولوجية والاقتصادية .

وان كنوز القارة الافريقية لن تسهم فى استغلالها الا الافريقيون من الشمال وهنا يبرز لنا الدور الذى يجب أن نلعبه الجمهورية العربية المتحدة فى الاخذ بيد هذه الدول الوليدة .

والاخرى : انه طالما ان القومية الافريقية مبنية أساسا على تقارب المصالح أكثر منها على أسس تاريخية أو اثنولوجية ، وطالما كان القاسم المشترك الاعظم فى الحركات القومية هو رفض الحكم الاستعمارى ، فلا بد أن تعمل الدول الوليدة فى افريقية على تعديل حدودها السياسية بحيث تتحلل من الاطار السياسى الذى حدده لها الاستعمار بعد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ وخاصة اننا قد رأينا القبائل فى غينيا تنتشر عبر الحدود ولا تقيم لها حسابا .

ان استقلال غينيا فى سنة ١٩٥٨ ماهو فى الواقع الا صدى قوى لاستقلال غانا فى سنة ١٩٥٧ ، ولابد ان يتردد الصدى ان عاجلا أو آجلا فى بقية أنحاء القارة ، وتتكرر قصة الاستعمار ونهايته المحزنة التى جرت حوادثها فى آسيا الافريقية وتنهار امبراطوريته الاخيرة فيها .

شخصية العدد
سيكوتوري

بقلم الاستاذ عبده بدوى

يعتبر شمال وغرب أفريقية من أهم المناطق الواقعة تحت النفوذ الفرنسي وبالرغم من ان هذا النفوذ يقوم على سياسة ناعمة فى مظهرها — كعملية الادماج فى فرنسا الام ، وضعف حواجز الجنس ، وتمثيل الافريقيين فى الجمعية الوطنية الفرنسية ، ومجلس الشيوخ — نرى السياسة الفرنسية تنهار فى « الشمال » لقربه من مراكز التحرر العربى . ثم فى الغرب لهذا الوعى الجديد الذى بدأ يعم القارة ، وكانت آخر ثمرة من ثمار هذا الوعى جمهورية جديدة تسمى « غينيا » .

جمهورية تبلغ مساحتها ١٠٥ آلاف من الاميال المربعة ، ويبلغ شعبها ثلاثة ملايين وتشع بالحرية بين سيراليون المحتلة ببريطانيا ، وغينيا المحتلة بالبرتغال ، وتتغطى حقولها الخصبة بالارز ، والبن ، والاناناس ، والمطاط والدخان ، وتغص كنوزها بالذهب ، والماس ، والبوكسيت . . وهكذا استنزفها الاستعمار الفرنسى منذ مايقرب من ثمانين عاما ، بعد مجاهدة مع الزعيم الاسلامى الكبير « الحاج عمر » وابنائه الذين اغتصبت منهم هذه البلاد بعنف وقسوة .

ففى عام ١٨٦٠ مد الحاج ((عمر تال)) أحد المرابطين من قبيلة ((الفولة)) نفوذه الى هذه البلاد ، وأخذ على عاتقه فى الوقت نفسه نشر الطريقة الصوفية المعروفة بالتيجانية ولكن الجنرال الفرنسي ((فيدروب)) عرقل مساعيه .. ولما حكم ابنه احمد (أمادو) تصدى له كذلك القائدان ((ارشينار)) و ((مانجان)) وصبغا الحرب معه بالصبغة الصليبية التى تكيد للاسلام فى هذه البلاد ، ومهما يكن من شيء فقد ظلت فى غينيا ثروة اخرى جبارة لم تستطع فرنسا استنزافها أو النيل منها ، لانها كانت الشعب نفسه بصلابته ، واصراره وعزمه على اقتلاع الاستعمار ، ثم ضم بلاده مرة ثانية الى قلبه . ومازالت هذه الرغبات تتلاقى وتتجمع حتى تجسدت أخيرا فى زعيم شاب يبلغ السادسة والثلاثين من عمره . تجسدت فى « سيكوتورى » الذى رفض أخيرا دستور ((ديجول)) واعلن مولد الجمهورية الغينية .

فقد نبت « سيكوتورى » من أشد الطبقات احساسا بالحرية وتقديرالها، طبقة البسطاء الذين يقع عليهم العبء دائما من المستعمرين ، والحكام . وهكذا عرف « سيكوتورى » كيف



الرئيس ((سيكوتورى))

يجاهد بمشقة ليوفر لنفسه اللقمة الخشنة والثوب الغليظ ،والذهاب الى المدرسة . ولكنه رغم فقره عرف كيف يجمع الشباب حوله ، فلا أمل للحرية فى غرب القارة الا بالشباب على حد تعبير كيسلى هالفورد ((ان مستقبل غرب افريقية يتطلب من الشباب هناك أن يبدأ الحياة وله غرض واضح معين ، ونحن على يقين من ان شباب هذه المنطقة يزخر بالعقول المفكرة والايدى الماهرة فى الحرف ، والمهن والآلية ، ولا ينقصه سوى القوى التى توجهه نحو الهدف الصحيح .

ووحدة غرب افريقية تنشأ وتنبعث منتقاة الجوهر . وهى فى الوقت نفسه ملهمة بعقيدة ان فى الوحدة قوتها وفى الخلاف والشقاق ضعفها ! »

وماكاد « سيكوتورى » ينتهى من تجميع قوى الشباب المتعلم من حوله حتى بدأ يعمل على خلق ركيزة أخرى من العمال ، فادخل فى قلوبهم الفهم الصحيح للوطنية الافريقية ، وأن من حقهم ان يعيشوا فى احرية ، وان يتمتعوا ببلادهم وان يأخذوا مايقابل انتاجهم ، أى مايقابل ((السرقة منهم)) اذ أن جهدهم وعرقهم ومستقبلهم يصدر فى واقع الامر الى فرنسا . ليحيا عليه هناك أناس غرباء عنهم وعن افريقية !

ومن هنا أسهم « سيكوتورى » فى تكوين نقابات تدافع عنهم ، وتجعل ساعات العمل متفقة مع قدراتهم كما تضمن لهم حياتهم التى يقفزون الى نهايتها سريعا بما يحملون من مرض، وتعب وجهد .

وبفضل هاتين الركيزتين خلق لنفسه ثقلا سياسيا فى بلاده دفعه لتمثيلها فى مجلس الشيوخ الفرنسى ودفعه الى تقوية ((حزب التجمع الافريقى)) الذى يعمل لتحرير كل المستعمرات الافريقية التى تقع تحت السيادة الفرنسية ، وبفضل مهارته وشعبيته استطاع أن يجعل من بلاده رأس الحربة لهذه الفكرة . وقد عمل للتحضير لهذه الفكرة فى المؤتمرات التى أقيمت فى ((باماكو)) و ((كوتونو)) فقد أوضح أكثر من مرة أن سياسته تقوم على تحرير بلاده ــ وقد تم له ماأراد ــ ثم قيام وحدة غرب افريقية ،ثم قيام وحدة افريقية عامة .

وقد ازعجت هذه الآراء فرنسا ، وخاصة انها تصدر من رئيس للوزراء مسئول ، فعرضت دستورا جديدا على غينيا ، وذهب ديجول الى هناك بنفسه ليضعف من هذه السياسة التحررية الجبارة ، فاذا بالعاصمة ((كوناكرى)) تطالبه بالعودة الى بلاده ، وتصرخ فى وجهه بحياة ((سيكوتورى)) ، واذا بسيكوتورى يجمع هذه الصرخات من الشعب ثم يخرجها قوية مدمرة .

((اننا لنفضل الحرية مع الجوع على الرفاهية فى ظل العبودية)) حتى لقد كتبت الموند الفرنسية تقول : « لقد شهدت كوناكرى عاصمة غينيا مشهدا لاينسى لرجلين مختلفين يمثل كل منهما حضارة مختلفة عن الاخرى ، ولحظتين متباينتين من التاريخ : أما أحدهما فكان عاصفا ثائرا يهدر فى خطابه كالمج العنيف ، وأما الثانى

فكان شاحبا متعبا كأنه غير مكترث لما يسمعه أو حتى لما يقوله !

ولقد كانت آخر ثمار عبقرية ((سيكوتوري)) هي ادماج بلاده في جمهورية غانة . بحيث تكونت منهما دولة افريقية عظمى . تستطيع من خلالها القارة أن تتنفس ! وأن تعيش ! وأن تطارد الاستعمار ! وان تخلق حضارة جديدة نابعة من حضارتها القديمة ، ومتطورة معها .. فقد عرفت هذه المنطقة حضارات ممالك غانة ، ومللي ، والاشانتي .

ان افريقية تستعيد شبابها اليوم من الغرب في ثقة واصرار ، بفضل شبابها المخلص الذي تحمل أعباء القارة وعاش في مشكلاتها . فلم ((ينعزل)) عنها في يوم من الايام الى حياة هادئة . مترفة ، وانما عرف الاصرار ، والمقاومة ، والقيادة الجماهيرية ، وهكذا شق طريقه يوما بعد يوم ، ومقاومة اثر مقاومة !! .

ومن هنا لمعت في أكثر من مكان في القارة منارات للحرية . لاتكتفي باهداء من حولها النور ، والحرية . وانما تمد أضواءها من هنا ومن هناك .. فاذا هي تتلاقى .. واذا هي تتشابك .. واذا هي فجر من الحرية يصدح في القارة .

فتحية الى عناق منارتين في غرب القارة !.

تحية الى ((نكرومه)) .. ! والى ((سيكوتوري)) ..!

حكمة من الصومال

الرجل الشجاع يخاف من الاسد ثلاث مرات : المرة الاولى عندما يرى آثار مخالبه لاول مرة على الارض ، والثانية عندما يسمع زئيره لاول مرة، والثالثة عندما يواجهه لاول مرة .. ثم بعدذلك ينتصرعليه الرجل الشجاع

القوى المتضادة في افريقية الوسطى

عرض للعميد أركان الحرب محمد عبد الفتاح ابراهيم

في الســـابع والعشرين من يناير عام ١٩٥٨ قال جوليوس هولمز المساعد الخاص لوزير الخارجية الامريكية في محاضرة له عن « افريقية » :

« ويتضح من المظاهر الحالية لثلاث حركات افريقيـــة عارمة قوية هي : العمل للقومية ، الكفاح ضد الفوارق الجنســـية ، ازالة الحواجز القبلية وانتقال الناس للعمـــل من أجل الامة كلها لا من أجل القبيلة وحدها – يتضح أن قارة افريقيـــة مثلها مثل المعدن المذاب المصهور المعد للتشـــكل ، ولا يعني هذا أنها ستتشكل في الطابع الغربي ، فمما لا شـــك فيه أنه ليس افريقيا ، كما أنه ليس أي جزء آخر من العالم يمكن القول بأنه من الممكن الاحتفاظ به للدوران في فلك الغرب دون منازع ! »

وفي فبراير سنة ١٩٥٨ بعد أيام قليلة من محاضرة جوليوس هولمز قال زعيم افريقي في « دار السلام » من أعمال تنجانيقا على ســـاحل افريقية الشرقي : « اننـــا ندافع عن مبـــدأ « افريقيـــة للافريقيين » أمام أولئك الذين كانوا ينتظرون حتى تصل موجة القومية الافريقيـــة الى ذروة مدها ، ونحن نقول هنا .. اننـــا قد ولدنا اليوم .. ولسنا في حاجة الى أن يرحب بنا أحد » .

وكان هذا الحديث اعلانا لتكوين منظمة سياســـية جديدة في شرقي افريقية ...

وكان هذا الحديث كسابقه حدثا تاريخيا ، فلوقت طويل كانت الحوادث في افريقية الشرقية وفي وسط القارة تدفع دفعا لان تكون هـــذه القومية الافريقية حقيقة لها وجود .. على أن هـــذا الحديث أثبت ظاهرة جديدة ،

افريقية الوسطى

ظاهرة أن الزعماء الافريقيين لم يعودوا يضطرون للحرص والحذر في أحاديثهم السياسية .

كيث ايرفين (١)

محرر مجلة افريقية الاسبوعية

وعندي أن محاضرة جوليوس هولمز وحديث الزعيم الافريقي في دار السلام وتعليق كيث آيرفين .. تدل كلها دلالة واضحة على لغة جديدة .. لغة جديدة تتفق مع العصر الجديد الذي نعيش فيه ، ألم يقل نيتشه نفسه : « ان القرن العشرين سيكون عصر البساطة المخيفة ، البساطة في

(١) كيث ايرفين صحفي افريقي من غانة أصلا تخرج من جامعة اكيموتا في « ساحل الذهب » غانه ، كان محررا لمجلة « افريقية اليوم » نصف الشهرية ، نزل امريكا من سنة ١٩٥٢، وعمل في عدة صحف منها « نيو ليدر » و « نيشن » و « واشنطون بوست » و « كارانت هيستوري » ، ويعتبر أخصائيا في الشئون الافريقية ، ويعمل الآن الى جانب تحريره لمجلة « افريقية » مراسلا من الامم المتحدة لمجلة « نيو ليدر » .

التعبيرات التي تبدو في مظهرها قليلة الاثر ولكنها في الواقع تصل الى الاعماق » ·

وينطبق حديث نيتشه عن « البساطة في التعبير » أكثر ما ينطبق على شرق وسط افريقية ، للاتجاهات العنيفة التي تنطوي في أعطاف هذه البساطة فلم يعد الامر مسألة التصويت الجماعي في الانتخابات ، ولا كم من المقاعد للافريقيين في المجلس التشريعي ، ولا السؤال عن ماهية الاتفاقات السرية التي تعقدها وزارة المستعمرات مع المستوطنين البيض ، ولا عن الدرجات العلمية التي تمنحها الكليات والجامعات لطلابها من الافريقيين وغيرهم ، ولا مناقشة الأجور التي تدفعها الشركات لموظفيها وعمالها على أساس الأجور المتكافئة للعمل المتماثل ، فلم يعد لهذا كله النصيب الاكبر من التفكير ــ ذلك لان مظهرا جديدا قويا عارما قد بدا من وراء الافق ، مظهر ازدياد الوعي الجارف في شرقي ووسط افريقية . ومن الحوادث البسيطة التي تدور كل يوم يستطيع المرء بسهولة أن يدرك ما اذا كان القرار قد جاء من رأس ذي وجه أبيض أو أسود او اسمر ، ذلك لان السحنات قد أضحت اليوم القوى المحركة الدافعة وراء كل قرار في هذا الركن من العالم ··

ويشتمل شرق ووسط افريقية في النطاق الذي ما زال يتحكم فيه المستعمرون الانجليز على ستة أقاليم ففي الشرق : كينيا وأوغنده وتنجانيقا وفي وسط افريقية نياسالاند ، شمال وجنوب روديسيا ، ويعتبر الانجليز هذه الأقاليم الستة البقية الباقية من محور القاهرة ــ الكاب ، المحور الذي كان في يوم ما العمود الفقري الاستراتيجي لقارة افريقية ، ولكن لم يلبث الانتصار القومي في جنوب افريقية سنة ١٩٤٨ أن فصل القاعدة عن المحور ، وفي سنة ١٩٥٦ احتزت أزمة السويس العنق ، كما كان استقلال السودان سنة ١٩٥٤ احداثا لثغرة واسعة في هذا المحور ، فكان الجزء الباقي الذي ينتظر تطورات التاريخ هو وحدة شرق ووسط افريقية ·

وتمتد المنطقة في التوائها بين حدود الترنسفال الى منابع مياه النيل ، والناس الذين يعيشون في هذه المنطقة الطويلة الممتدة من الارض لا يتحدون في اللغة ولا التاريخ ولا الدين ولا في البيئة الجغرافية ·· ولكن يجمع بينهم عاملان لهما أهميتهما : حكم المستعمرين الانجليز ، والتوتر الذي توجده الفواصل الجنسية ، وكان هذا التباين في كل شيء هو الذي جعل رجال الادارة الانجليز يستهدفون دائما تكوين وحدة ادارية واحدة من هذه المناطق الست ، وبذلك لا يمكن أن تتوافر في داخلها عوامل الالتفاف حول رمز واحد لمكافحة المستعمر ··

والواقع أن الأحوال الداخلية في شرقي القارة ووسطها تتأثر بمظاهر التباين هذه الى القدر الذي يجعلها تتطلب اختبارا دقيقا في جملتها ، ومع أن الحوادث تتوالى بسرعة الا ان شرقي القارة كان له نصيب من دراسة مجلتنا « نهضة افريقية » (١) ولهذا فسيكون حديثنا اليوم خالصا عن الموقف في وسط القارة ، وذلك

---

(١) « نهضة افريقية » العدد الثالث « كينيا » ص ١٢ ــ ١٦ ، العدد الخامس « أرض الكيكويو » ص ٣٤ ــ ٣٩ . العدد السابع « الصومال » و « مهدي الصومال » ص ٢٩ ــ ٣١ ، ٣٢ ــ ٣٥ ، العدد التاسع « الصومال » و « زنجبار » ص ٢٢ ــ ٢٤ ، ٢٥ ــ ٣٣ ، ٣٤ ــ ٤٣ ، العدد العاشر « الحركات التحررية في جنوب وشرق افريقية » · ص ٧ ــ ١٤

بسبب تعقد الموقف فى هذا الركن من القارة وبسبب قلة ماهو معروف عنه لو قورن بشرقى القارة الذى كتب عنه الكثير من الدراسات ·

اتحاد افريقية الوسطى :

فى فبراير سنة ١٩٥٨ حدث أروع فيضان يمكن أن تعيه الذاكرة ، فاكتسح فى طريقه مع مجرى نهر الزمبيزى كل شىء ، وأزال جل منشئات مشروع كاريبا ، المشروع الذى أعد لانتاج الكهرباء من القوى المائية فى منطقة الاتحاد والذى ستتكلف مرحلته الاولى لانتاج طاقة مقدارها ٥٠٠ ميجافولت ٧٩ر٤١٤ر٠٠٠ دولار ، وجملة تكاليفه بعد انتهاء مرحلته الثانية لزيادة الطاقة الى ١٢٠٠ ميجافولت ١١٣ر٢٣٤ر٠٠٠ دولار يقدم منها البنك الدولى ٨٠ مليون دولار (٢٨ر٣٧ مليون جنيه استرلينى) على أن تستكمل التكاليف بقروض تسهم فيها بعض المصارف والشركات ، وبذلك تغطى موارد الكومنولث ٧٧ ٠/٠ من جملة التكاليف وقد رأى الكثيرون فى هذا الاتلاف الذريع الذى أصاب منشئات المشروع ظلا لخطأ هذا الاتحاد الذى فرض فى سنة ١٩٥٣ على مناطق (نياسالاند وروديسيا الشمالية والجنوبية) الثلاث ليس دون موافقة فحسب بل ضد رغبة السكان الافريقيين أنفسهم . ونتيجة لعدم الرضا عن هذا الاتحاد انخفضت أسعار النحاس ، وهو المصدر الاقتصادى الذى تستند اليه مالية الاتحاد ، فضلا عن الانقسام العلنى الواضح بين السياسيين (البيض) ذوى النفوذ نتيجة لمناقشة مشكلة الجنس ، المشكلة العنصرية التى قد باتت طابع هذا العصر ، ليس فى قارتنا افريقية فحسب ، بل فى مناطق كثيرة من العالم الغربى ، فى بريطانيا والولايات المتحدة على السواء .

وقد كان الاتحاد نفسه موضع النقد فى بريطانيا نفسها على أساس أنه لم يجىء برغبة الاهلين ، بل تبعا لرغبات أصحاب رؤوس الاموال المستثمرة فيما وراء البحار (!) سيما اذا قدر أن بلاد نياسالاند وروديسيا الشمالية لم تكن تحت حكم بريطانيا نتيجة للغزو كما حدث بالنسبة لأرض روديسيا الجنوبية (!!) بل نتيجة للخدعة السياسية التى جعلت الناس فى تلك البلاد يتقدمون طواعية (!!) راغبين فى حماية الملكة فيكتوريا ، وان كانت سجلات التاريخ ــ التى تذكر أن ضم نياسالاند كان نتيجة لرحلات دافيد ليفنجستون ــ تؤكد أن ضم أرض روديسيا الجنوبية جاء نتيجة لتدخل سيسيل رودس وشركته التجارية على مرحلتين من مراحل السلب والاغتصاب فى سنة ١٨٩٠ وسنة ١٨٩٣ ، عندما دفعت جماعات البيض للتقدم شمالا لاحتلال الارض باسم الشركة بوعد اقطاعهم الاراضى الزراعية مع نصيب من الذهب الذى سيستخرج من باطن الارض ، وهى عملية « سلب » ، ولا معنى لها غير هذا ؛ لان العقود التى حررت مع هؤلاء البيض نص فيها على أن تأخذ الشركة نصف الاسلاب والغنائم ، ويقسم الباقى بين الضباط والجنود ! (ولم يكونوا ضباطا ولا جنودا بالمعنى النظامى المعروف) بأنصبة متساوية ·· ، وذبح رجال الشركة التجارية بنيران مدافع الماكينة عشرة آلاف من محاربى « الماتا بيل » ، واحتفل بهذا النصر فى حفلة ساهرة داعرة بمدينة الكاب أقامها الدكتور جيمسون الذى أدت أعماله فيما بعد الى الحرب ضد البوير الأحرار ، وفى

هذا الحلف أعلن أنه أطلق على البلاد اسم روديسيا ، الاسم الذى سجلتـه القوانين الانجليزية سـنة ١٩١١ ، هذا عدا أن أرض « نياسـالاند » فى الواقع من الناحية الجغرافية الصحيحة تعتبر جزءا من الارض الداخلية لشرقى افريقيـة ، ولا تعتبر من افريقيـة الوسطى ، ولها طابعها الزراعى بخلاف الطـابع الصـناعى الذى يسود كل « نطاق النحاس » « الـكوبر بلت » فى وسط القارة ، والمسافة التى تفصل بين « زومبا » عاصمة نياسـالاند ، و « ساليسبورى » عاصمة روديسيا الجنوبية طويلة ، ولا تتصـل بهـا اتصالا مباشرا بالخط الحديدى .

والأمر البـارز فى الاحتجاج على فرض هذا الاتحاد على المناطق الثلاث سنة ١٩٥٣ أنه قام على أساس التثبت من أن تغير الادارة سيسبب امتـداد الاضـطهاد العنصرى من روديسـيا الجنوبية الى الشـمال دون أن يقابله أى نفوذ مضاد يتجه للجنوب .

العنصرية فى افريقية الوسطى :

وللعنصرية فى افريقيـة الوسطى المظهر السيىء الخطير نفسه الذى لها فى جنوب افريقيـة ، ونستطيع أن ندرك تأثير الضـغط الذى للتفرقة العنصرية عندما نراجع تقرير اللجنة البرلمانيـة التى زارت البلاد وفيها أربعة من المحافظين وثلاثة من العمال ، وقد كتبت اللجنة فى ينـاير ١٩٥٨ تقول :

« .... وفى الوقت الحـاضر لايستطيع الا العـدد القليل من غير الاوروبيين أن يتعـاونوا على أساس مساواة اجتماعية بينهم وبين الاوروبيين **وتأمل اللجنـة فى أن تزيل سلطات الاتحاد كل صور التفرقة مثل ايجاد مداخل خاصـة عند مكاتب البريد ، واعتبار أن أى اتصال بين الأوربيين والافريقيين فيما عدا الاتصـال بين العمال وأصحاب الاعمال اتصـال خطر »** .

والواقع أن هذا الذى تتحدث عنه اللجنة مجرد أمل ، فان كل الاتجاهات لاتبشر بشىء من هذا ، ويقصون قصة «ناظر مدرسة» اسمه «اكان سيفيل» وصل الى ساليسبورى فى روديسـيا الجنوبية سنة ١٩٥٤ . ولما بدأ الرجل صلاته بالافريقيين ممن يلقاهم فى عمله بدأ الاوربيون ينتقدونه ، فلما عرف أنه يكاد يتزوج فتـاة افريقية أخرج من البلاد بحجة أنه أعيـد الى لندن للعمل هناك ! ، ولفظ الاعادة الى لندن هو التفسير المهذب من جانب حكومة الاتحاد لابعاد رجل عن افريقية ، وقد شمل هـذا الابعاد رجلين من رجال الدين : أحدهما من اللجنة الأمريكية الشئون الافريقية ، والآخر هو «باسيل دافيدسون » مؤلف كتـاب « يقظـة افريقية » ، كما يقصون قصة سياسى افريقى هو « هارى ناكومبولا » من روديسيا الشمالية ، ففى سنة ١٩٥٧ عاد الرجل ذات ليلة من حضـور الاحتفالات باسـتقلال غانة ، وترك الرجل المطار سائرا على قدميـه ، ثم خطر له أن يبتاع شرابا ، فلما أن ولج باب خان للاوربيين ضربه البيض ضربا مبرحا لاعطائه درسـا ، ولم يستطع الرجل النجاة الا بعد أن أخرج مديته وهدد بذبح مهاجميه ..

الطابع الاعمق للصورة :

ولم تكن هذه القصص مجرد سرد حـوادث عابرة ، بل كانت طابعـا

للصورة العامة فى البلاد .. بل ان بعضها قد جاء على ألسنة السياسيين المبرزين فى البلاد ، فضلا عن انتشارها بين المواطنين كلهم .

ومما يقصونه فى هذا الضرب من الحديث أن هنـــاك منظمة اسـمها « كوبريكـون » قامت للـــدفاع عن العنصرية فى البلاد ، وقد بات اسم كوبريكون اصطلاحا يستخدم للتعريف بالمرشـــدين الذين يعملون فى خدمة البوليس المحلى لأعمـــال الاضطهاد العنصرى .

وحتى الكنيسة لم تستطع أن تفعل شيئا ، ولا أن تقف موقف التضاد من الاضـــطهاد العنصرى كما حدث فى جنوب افريقيـــة ، فعنـــدما أراد رجل أوروبى من شمال روديسيا أن يتزوج امرأة افريقية فى سنة ١٩٥٦ لم يجدا رجلا من رجال الدين لاتمام اجراءات الزواج ولا من «الانجيليكيين» . فماذا كانت نتيجة ذلك ؟ انه عنـــدما قامت جمعية دينية بتوزيع نسخ الانجيل بين الافريقيين تبعا لتقاليد القرن الماضى ، لم يحرق المصريون فى «الكوبريلت» نسخ الانجيل بل وقفوا موقف العداء من الجمعية مما اضطرها الى تصفية أعمالها (١) .

النزاع على المبادىء :

على أن هذا الشد والجذب العنصرى ليس قاصرا على الجماعات الجنسية المختلفة وحـــدها ، بل انه يوجد فى داخل هـــذه الجماعات نفسها ، ففى الجانب الافريقى امتـــدت السلطات القبلية التى عرفت فى العصور القديمة واستمرت أيضـــا مع تطور الحياة الحضرية الحديثـــة ، وفى الجـــانب الاوروبى جاءت بعد السلطات الجديدة للافراد فى هذه الجماعات .

وفى خضم هـــذه المنـــازعات على السلطات والحقوق التقليدية قام نزاع له صـــورته الفذة بين جارفيلد تود رئيس الوزارة الســـابق لروديسيا الجنوبية وبين السير روى ويلينسكى رئيس وزراء الاتحاد ، وقد خرج هذا النزاع الى العامة عندما أرغم الســـير روى وزارة تود على الاســـتقالة أثناء وجود تود نفسه فى « اجازة » ، ولم يكن هـــذا النزاع مجـــرد نزاع بين شخصيتين بارزتين فى الاتحاد ، بل كان أعمق من هذا ، فقد كان الصراع بين تقاليـــد سيسيل رودس يمثلهـــا السير روى الذى يعتبر نفسه من بناة الامبراطورية ، وبين تقاليد ليفنجستون التى يمثلهـــا تود ، وتود نفســـه من جماعات التبشير التى تنـــادى بمبدأ « التآخى » بين الناس ، وان كان هو الذى منع زعماء روديســـيا الشمالية الجنوبية أو العكس .. ، ولـــكن على أية حال فان سياسة السير روى تتبع أسس ومبادىء السياسة المكيافيلية

وكان السبب الأبعد وراء هـــذا النزاع بين الرجلين مايعمـــل له تود لرفع مستوى أجور العمال الافريقيين ، وكان تود يمثل وجهة نظر الشركة الانجليزية الامريكية فى روديسيا ، التى تعمـــل على الأسس الأمريكيـــة للانتاج واستخدام العمال ، على حين يمثـــل روى وجهـــة نظر الشركات الانجليزية الامريكية فى جنوب افريقية والتى يتولاها مستر هارى أو بنهمير والتى ترى ضرورة التفرقة فى الاجور لمصلحتها ولزيادة كسبها ..

ولكن ماذا سيحدث سنة ١٩٦٠ ؟

والآن يبقى سؤال واحد له أهميته : فهل سيعطى للاتحاد طابعه المســـتقل فى سنة ١٩٦٠ ؟!

(١) « كارانت هيستورى » عدد ٢٠٢ مجلد ٣٤ ص ٣٣١

لقد شكا السير روى ويلينيسكى طويلا من أن بعض الدول كغانة والملايو ونيجيريا قد اندفعت نحو الاستقلال فى سرعة لها خطرها ، ولم يذكر روى أن الاتحاد لو انفصل عن السيطرة البريطانية فان السلطة ستنتقل لا الى الاغلبية ، بل الى أقلية من المستوطنين المهاجرين ، وبذلك يوجد موقف « جنوب افريقية » آخر فى قارة افريقية ، وهذا هو الامر الذى يعمل له السير روى ، وقد كشف السير روى عن هذا فى مناقشاته الاخيرة حول تعديل الدستور .

وهكذا يمكن القول بأنه مابقى روى ويلينيسكى فى الحكم لايمكن أن يتبع اتحاد افريقية الوسطى العالم الحر الديمقراطى بحال ما ، والحليف الطبيعى لاتحاد افريقية الوسطى هو اتحاد جنوب افريقية الذى جاء منه أغلب السكان البيض ليستوطنوا روديسيا بقسميها وكذلك أرض نياسالاند ، والذى يضحك هو أنه بين الاسباب التى زعمت يوم أن فرض اتحاد افريقية الوسطى فرضا فى سنة ١٩٥٣ ، العمل لوقف امتداد « اتحاد جنوب افريقية » للشمال (!)

ازدهار حركة «افريقية للافريقيين»

وهكذا انتهى الأمر بالافريقيين فى اتحاد افريقية الوسطى — كما حدث فى شرقى افريقية وفى جنوبها — الى ادراك أنه من الخطل الاعتماد عاطفيا على بريطانيا أو على حزب العمال البريطانى عندما يكون خارج الحكم ، ونتيجة لهذا فقد اتجهوا بالطبيعة نحو الحركة « الافريقية » التى قامت فى طابع مستقل فى الشرق وفى الجنوب من القارة ، هذه الحركة التى تنادى علانية وفى جلاء بأن « افريقية للافريقيين » .

لقد كان ازدياد الوعى القومى يدفع الأهلين دفعا الى هذا الهدف ، ولكن لاشك أن هذه العوامل التى تحدثنا عنها كانت بدورها الدافع وراء سرعة حدوث هذا .

صحيح أنه يوجد بعض الزعماء الافريقيين المنطقيين مثل « شيرو ا » فى الاتحاد و « ولوثولى » فى الشرق و « نيريرا » فى الجنوب والذين هم على أتم استعداد ليلعبوا بدورهم الدور الذى تلعبه برلمانات « البيض » من ارباك وتعقيد اجراءات الانتخابات على أساس أن الذين يكسبون المعركة الانتخابية هم الذين يضعون الاسس التى تدور المعركة تبعا لها ، وصحيح أيضا أن الانجليز وان كانوا على نقيض الفرنسيين لم يخطوا خطوات واسعة فى تدمير الاسس **الصحيحة للتعبير عن حرية الرأى الا أنه مامن شك فى أن الانجليز قد أوجدوا فى شرقى افريقية وفى وسطها من الاجراءات ماجعل الانتخابات لاتعبر عن حقيقة آراء الأغلبية ، بل كانت تعبر عن آراء الانجليز المستعمرين ومصالحهم .**

لقد فشلت كل المحاولات التى يقال انها تتسم بطابع الاعتدال أو المنطق ، ولم تعد مشكلة اتحاد افريقية الوسطى محتجزة فى داخل القارة ، بل خرجت منها الى الرأى العام الخارجى ، حقا لقد استطاع الانجليز أن يمنعوا الزعيم « باندا » رئيس حزب المؤتمر الوطنى فى نياسالاند من حضور المؤتمر الآسيوى — الافريقى الذى عقد بالقاهرة ، ولكن منع زعيم سياسى من حضور مؤتمر أشبه مايكون بمؤتمر عالمى — لايحول دون امتداد المشكلة الى ماوراء حدود الاتحاد ، الامر الذى سيؤدى ولاشك الى أن تجد هذه الحركات المتحررة عونا يجعلها تصل الى تحقيق أهدافها التى تعبر عن رغبات ومطالب سكان القارة كلهم ...

ألف باء الصومالية

● لقد جاء في الكلمة التي نشرت في العدد الحادي عشر من مجلة «نهضة افريقية» — ان الغرض من هـذه الدراسة هو تحقيق أصول الحروف التي تنسب الى عثمان — والمعروفة بالعثمانية — والتي كان ينتظر لها أن تحل محل الحروف العربية · وان العمل على اهمال الحروف العربية والاستغناء عنها بحروف هي خليط من شتى المصادر قديمها وحديثها لمحاولة يهدف من ورائها الاوروبي الغاصب الى عزل منطقة الصومال عن دار الاسلام ، التي تحتل الصومال في رقعتها مكانا مرموقا ·

● ويتعرض بحث اليوم الى محاولة أخرى قام بها الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ نور قاضي بوراما — في الوقت الحالي ·

(٢)

للصومال في تقسيماته السياسية الحالية (١) لغة موحدة تختلف بعض الشيء في لهجاتها المحلية الخاصة بكل منطقة ، وهذه بدورها قد تعرضت لاختلافات محلية في حدودها الضيقة · ولاتعرف لهذه اللهجات وفروعها أسماء معينة أكثر من انتسابها الى المجموعات التي تتفاهم بها · وتنقسم اللهجات في هذا الاطار العام كالآتي : (٢)

ا) اللهجة التي تتكلم بها المجموعات القبلية المكونة من اسحاق · دادود (جاد أبورسي Gadabursi وعيسى والهاويا · Hawiya

ب) اللهجة بين : الراحوين Rahawein وتتكون من الجدو Jiddu والتوني Tunni · والمعلومات قليلة في الوقت الحاضر عن هذه اللهجة ·

ج) اللهجة التي تستخدم على ساحل البنادر وبخاصة في المدن الساحلية حيث لايمتد النظام القبلي الموجود في داخلية البلاد · وهذه اللهجة هي وسط بين (اللهجتين) (أ) و (ب) ·

وتستخدم اللغة العربية بصفة عامة في جميع أنحاء الصومال بين الطبقة المثقفة · وقد حاول بعض الباحثين التوصل الى ألف باء محلية لتداولها بين السكان بدلا من الحروف العربية · ومن بين هؤلاء الشيخ عثمان يوسف كما أشرنا في المقال السابق · وهناك أيضا محاولة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ نور الذي أخرج في عام ١٩٣٣ « ألف باء » مكونة من واحد وعشرين حرفا ساكنا وسبعة حروف علة ومجموعها ثمانية وعشرون حرفا ·

والشيخ عبد الرحمن صاحب هذه الالف باء التي تعرف باسم كتابة الجادابورسي Gadabursi · قد

---

١) يتكون الصومال الاكبر في تقسيماته السياسية الحالية من الصومال الفرنسي والصومال البريطاني وصوماليا · والأوجادين والاخيرة تعرف بالصومال الاصغر ·

٢) نقلا عن كتاب الصومال وعفار وساهو بقلم ا · م · لويس I. M. Lewis ص ١١ و ١٢ ·

عمل مدرسا فى ادارة التعليم فى الصومال الذى تحتله بريطانيا، وانتقل بعد خدمة بضع سنوات كمدرس الى مركز القضاء خلفا لوالده الشيخ نور فى منطقة بوراما Borama الواقعة غربى الصومال • وللشيخ عبدالرحمن اهتمام بدراسة تاريخ قبيلته ، وقد كتب عنها مخطوطة لم تنشر بعد ، وهى مكتوبة باللغة العربية ، والحروف التى حاول الشيخ عبد الرحمن استخدامها لم تخرج عن دائرة ضيقة بين زملائه والمقربين اليه فى منطقة بوراما ، وتكاد تكون هذه الالف باء الجديدة مجهولة فى خارج منطقته المشار اليها، ويرجع عدم انتشار هذه الالف باء الى منافسة المتحمسين للحروف العثمانية ،ويبدو أن محاولة الادارة الاجنبية استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة الصومالية كان لها أثرها فى الجمود الذى أصاب المحاولات المحلية فى ألف باءاتها ــ العثمانية والجادابورسية وغيرها ــ ومن محاولات الادارة البريطانية الجريئة انها أصدرت فى مارس ١٩٥٧ صحيفة دورية مكتوبة بالحروف اللاتينية للغة الصومالية، واسمها ورقيسكا صوماليه

Wargeiska Somaliyed

وقد قابل الاهلون هذه الصحيفة فى حروفها الاوروبية بعاصفة من الاحتجاج وبخاصة المتحمسين لاستخدام الحروف العثمانية • وكانت نتيجة هذا الاعتراض توقف الصحيفة عن الصدور بعد ظهور أعداد قليلة منها •

وكما أوضحنا باديء ذى بدء أن البحث عن مصادر هذه الالف باء وغيرها من الحروف المحلية للتعرف على أصولها وتطورها انما هو للفائدة العلمية المرجوة فى معالجة هذه المشكلة حتى يتمكن الشعب الصومالى من السير فى ركب الحضارة والاخذ به بعيدا عن الانحراف الثقافى فى كتابة لغته التى هى الحجر الاساسى فى نهضته وتقدمه ــ لذلك نقدم فيما يلى جدولا مقارنا بين الالف باء العثمانية والجادابورسية اتماما للفائدة وتمهيدا لبحوث أعمق جذورا •

(أ•ب•ع)



من سلسلة الموانى العربية

للدكتور صلاح الدين على الشامى

ظفرت سواكن -بعد عيذاب- بالشهرة والمجد ، واتجه اليها النشاط العربى الذى رعى التجارة فى البحر الاحمر وساحل شرق أفريقيه • وجدير بالذكر ان العرب كانوا -منذ القدم- ينتقلون فيما بين الساحلين الشرقى والغربى للبحر الاحمر بقصد التجارة وقد شهدت هضبة الحبشة وسهول السودان تحركاتهم وقوافل التجارة التى سيروها • كما شهدت مجهوداتهم فى الجانب السياسى ممثلا فى قيام وبعث دولة اكسوم Axum • ويشهد الجانب الحضارى لاكسوم انبثاقها على أسس من حضارة سبأ وحمير (١) •

ويبدو أن النشاط العربى اكتملت له مقومات النصر فى فجر الاسلام ، فاتخذ العرب لانفسهم موانىء ومرافىء على طول الساحل الغربى للبحر الاحمر وساحل شرق افريقية لممارسة التجارة وجلب السلع الافريقية ، والعمل بالوساطة التجارية بين القارة الافريقية والاجزاء التى تقبل على استهلاك تلك السلع • ويعنى ذلك ان النشاط العربى كان على غرار النظام اليونانى • فكانت لهم مراكز تجارة (٢) تمثل نقط الارتكاز التى يمارسون منها نشاطهم الاقتصادى وغير الاقتصادى •

وكان للساحل السودانى نصيبه من تلك النقط ، نذكر منها « باضع وعيذاب وسواكن» ولعل من الطريف ان تلك المراكز جاءت متتابعة متلاحقة فورثت كل منها الاخرى • بحيث احتلت سواكن مركز الصدارة بعد أن حطمت عيذاب، على يد سلطان المماليك •

ومع ذلك فان سواكن ميناء قديم عاصر كلا من باضع وعيذاب ، وقد ذكره المقريزى عندما أشار الى فرار بقايا الامويين عن طريقه فى صدر دولة بنى العباس ، ويرى بعض المؤرخين ان سواكن أقدم من النشاط التجارى الذى ازدهر فى عصر البطالمة، ويرجع تسميتها الى انها مشتقة من أصل مصرى قديم هو :

« شواخن — Shoa Khon

وقد تحولت كلمة « خن » Khon الى « كن Kon ، لان سكان منطقة « الظهير Hinterland لا يعرفون فى أبجديتهم حرف الخاء •

والواقع أن تحليل اسم سواكن يمثل بحثا طريفا ، ذلك ان هذا الاسم — سواكن — لم يكن معروفا الا منذ العصر العربى الاسلامى • فافترض

١ — Theodore Bentte : The Ancient Trade Routes. (G. J. 1893) P. 144 — ويعتقد دكتور عوض أن النشاط العربى لعرب الجنوب يرجع فى الغالب الى القرن العاشر قبل الميلاد •

٢ — نقصد بالمركز التجارى ما يعرف باسم Trade Centre

البعض انه مشتق من كلمة سوق ، ذلك ان المنطقة الخلفية أصابها جدب ونفقت فيها الماشية ، فنزح بعض السكان الى الموقع التي قامت فيه سواكن، حيث تعلموا الصيد، ومارسوا التجارة والتبادل وأصبحت سوقا ومنها اشتق اسم «سواكم Suakim » التي حرفت الى سواكن Suakin . واقترضت قصة أخرى اشتقاق الاسم من لفظ « سجون » ، ذلك انهم يتصورون انها كانت منفى المجرمين في عهد الملك سليمان . وثمة رأى ثالث يعتمد فى تصويره على قصة خيالية طريفة هى قصة «السبعهجن»، يرددونها ويرتبون حوادثها ، ومن ثم ينسبون اليها اسم سواكن (١)

ومهما يكن من أمر فان هذا الموضع الذى قامت فيه سواكن ملائم لقيام ميناء ، ذلك انه صالح لحماية السفن من العواصف ، وأعماقه مناسبة لرسوها . ولايمكن للباحث مهما كان دقيقا ان يصور ابداع الطبيعة فى تكوين المرفأ ، والطريق الذى تسلكه السفن من عرض البحر . ويمتد المدخل الى المرفأ مستقيما بدرجة لاتمكن الناظر من ان يصدق انه غير صناعي وانه من صنع الطبيعة ، ذلك انه يتجه من الشرق الى الغرب ، تحف به الحواجز المرجانية الخارجية ومرجان خط الساحل . التى لاتغمرها الا أقدام قليلة من ماء البحر . وهذه القناة طويلة يبلغ طولها ميلين ، وأقل عرض لها يبلغ ١٢٠ ياردة . وتحف بالقناة قرب بدايتها بعض الحواجز التى تبدو مكشوفة من مايو الى أغسطس ، وتغطيها المياه الضحلة فى شهر ديسمبر تماما . وتقودنا تلك القناة الى المرفأ ، حيث ينقسم الى ذراعين لهما

---

١ – Bloss, J.F.E. : The Story of Suakin S.N.R.

معا شكل شبه دائرى غير منتظم • ويمتاز الجزء الداخـــلى من الذراع الشمالية الغربية بالاعماق الضحلة وانتشار المخاضـــات ، أما الذراع الاخرى ـ التى تمتد الى الجنوب الغربى فالماء فيها أكثر عمقا وتقع فيهـــا جزيرة سواكن (١) والاعماق هنـا مناسبة وأكثر انتظـاما ، وقد قام فيما حول تلك الجزيرة النشاط الملاحى وكل المجهودات المتعلقة برسو السفن والشحن والتفريغ (٢)

أما فيما يتعلق بقيمة الميناء من الناحية الوظيفية فيظن ان سـواكن كانت تخدم تجارة الدويلات المسيحية فى النوبة والحبشة ، قبيل أن يتجه اليها النشاط العـــربى الاسلامى وتسيطر عليها مصر •

ويذكر ياقوت الحموى ـ مثلا ـ أن سكانها سنة ١٢٢٤ كانوا خليطا من المسيحيين والزنوج ، وانهـــم كانوا يمثلون العملاء التجاريين للحبشة ، والنوبة المسيحية • ويعنى ذلك أن طرقا كانت تصل اليها من الداخـل أشار اليهـا كل من المقـريزى وسليم الاسوانى ، وتحمـل انتـــاج السودان وسلعه • والواقـع انه من السهل علينا أن نقسم تاريخ سواكن وقيمتها الوظيفية الى فترتين أساسيتين على النحو التالى : ـ

أولا : سواكن مينـــاء الدويلات المسيحية وتجارة التهريب •

ويشمل هـــذا القسم من تاريـخ سواكن قرونا طويلة تبدأ من القرن الثامن الميلادى كانت خلالها فى المرتبة الثانية لايتجه اليها النشاط العربى • ومع ذلك فانها استقبلت فى القرون التاسع والعاشر والحادى عشر الميلادية أسرا عربية كبيرة نزحت اليهـــا من الجزيرة العربية عبر البحـر الاحمر ومنها أسرة أرتيجا • وظلت سواكن حتى سنة ١٢٥٥ قرية صغيرة ، تقوم على خدمة تجارة الدويلات المسيحية وتجارة التهريب • ويبدو ان شهرة باضع وبعدها عيـذاب كانت تصرف العرب التجار عن استغلالها •

ومع ذلك فان سواكن تشتهر فى منتصف القرن الثالث عشر وتصبح مركز استقرار لعدد كبير من الجاليات الاجنبية التى تهتم بالتجارة والسلع السودانية • ويبـدو أن مصر كانت توجه طرفا من عنايتها لنشاطها التجارى وترعاه ، بل ربما كان لها بها مصالح تجارية أو علاقات اقتصادية ، ويفهم ذلك على ضوء الاحتجاج المصرى الشديد اللهجة الذى وجهته مصر الى سلطان سواكن سنة ١٢٦٤ ميـــلادية ، ثم توجيه حملة حربية ضدها بقيادة حاكم قوص فى السنة التاليـــة مباشرة ، لتأديب سكانها وسلطانها على سـوء معاملة التجار •

وهكذا ظهر اهتمام مصر الرسمى بالساحل السودانى وميناء ســواكن بالذات ، وبات سقوط دويلات النوبة المسيحية وشيك الوقوع بعد سلسلة الحملات التأديبية المتوالية التى نذكر منها حملة سنة ١٣١٠ ميلادية عـلى سواكن ، لان ذلك من شأنه اغلاق آخر منفذ كانت تتصل به مع الخارج (٣) وسقوط سواكن فى يد العرب يجعلها بمثابة جزيرة مسيحية فى محيـــط اسلامى كبير ، وانهيارها رهن بالمـد العربى الاسـلامى الذى يتمثـل فى موجات القبائل العربية التى هبطت

---

١ ـ An Officer Whe Was there : Suakin 1888
٢ ـ British Admirality : Red Sea Pilot 1944 P. 210
٣ ـ Muir, W. : The Mamluke or Slave Dynasty of Egypt P. 72

أرض السودان واستقرت فيه . وكان ختام تلك الفترة فى أوائل القرن الخامس عشر عندما تم تخريب عيذاب سنة ١٤٢٢ ميلادية ، لان ذلك يعنى نهاية المنافسة ، وبقاء سواكن وحدها على الساحل السودانى فى خدمة الملاحة والتجارة .

ثانيا : سواكن الميناء السودانى العربى .

• أصبحت سواكن فى هذه المرحلة ميناء السودان الرسمى . وفى خدمة التجارة السودانية بصفة خاصة والافريقية بصفة عامة بعد أن خلا لها الجو . والظاهر ان استقرار النفوذ العربى المصرى على هذا الجزء من الساحل السودانى خلال القرن الخامس عشر هيأ لها الظروف المناسبه وساعدها على أن تقوم بدورها فى ظل الامن والنظام . هكذا قفزت سواكن الى المرتبة الاولى بين موانىء البحر الاحمر ووصلت اليها السفن التجارية من كل الدول، كالهند والصين كما انتظمت اليها القوافل من قلب السودان . وما ان انقضت سنوات القرن الخامس عشر حتى سيطرت على الموقف ظروف جديدة فى البحر الاحمر من جانب وفى منطقة الظهير والسودان من جانب آخر .

وتتعلق تلك الظروف بقيام دولة الفنج فى السودان وتكوين نوع من الحكومة التى من شأنها المحافظه على الامن من ناحية ووصول القوة العثمانية الى البحر الاحمر والسيطرة على الميناء بعد سقوط مصر فى أيديهم من ناحية أخرى . وجدير بالذكر ان الساسة العثمانيين هنا ساروا على نهج سياسة البطالمة والعرب ، فاكتفوا ببسط نفوذهم على نمط ارتكاز ومراكز التجارة على شروم الساحل السودانى ولم تظهر ثمة محاولة للتوغل بعيدا عن الساحل . أما دولة الفنج التى قامت على أسس اقتصادية ، ودخلت فى محالفات تعاقدية مع القبائل فقد أشرفت على حفظ الامن وتوفير مياه الشرب - على الاقل - للميناء احساسا منهم بقيمة موقعها كمنفذ لتجارة السودان . وكان الاتفاق قائما بين دولة الفنج والقبائل على طول الطريق الى سواكن من سنار وغيرها من مراكز التجارة بقصد سلامة القوافل وأمنها .

واتفقت القوتان - العثمانيون فى البحر الاحمر ، وسواكن والفتح فى السودان على تنظيمات التجارة ، بحيث يتكفل الفنج برعاية القوافل وسلامة وصولها الى سواكن ، ومن ثم يشرف العثمانيون على بيعها . وكان لهذا التعاون أثر فعال فى ازدياد قيمة سواكن وازدهارها وقد جاء على لسان «دكسترو Dacastro الذى زار الساحل السودانى سنة ١٥٤١ (١) ان سواكن أهم موانىء الشرق ولايضارعها فى الغرب الا لشبونه البرتغالية . وقد عدد فى كتاباته العوامل التى يراها سببا فى ازدياد قيمة سواكن ، كما ذكر صلاتها التجارية بالهند وملقا وغيرها من موانىء البحر الاحمر والاسكندرية

---

١ - جاء دون جوان دكسترو ضمن حملة برتغالية لمقاومة نفوذ العثمانيين سنة ١٥٤١ وقد حمل البرتغاليون لواء الجهاد ضد العثمانيين فى البحر الاحمر ، وساعدهم ملك الحبشة للتخلص من المسلمين . وقد اقترح - فى ذلك الحين - حملة صليبية من ثلاث دول ، هى فرنسا لاحتلال سواكن ، واسبانيا لاحتلال زيلع ، والبرتغال لاحتلال مصوع .

راجع Kammarer, A. : Le Rontier de Dam Joan Da Castro

Crowford, O. G. S. : The Fung Kingdom of Sennar P. 321

Trimingham, S. J. : Islam in Ethiopia PP. 87 - 89

كما أورد وصفا لموقعها الحصين وصعوبة الاقتراب اليها من البحر لمهاجمتها ·

وكما صعدت سواكن الى قمة المجد والشهرة في خدمة الملاحة والتجارة عندما تحققت الظروف الملائمة ، فانها تعرضت للتدهور والانهيار كنتيجة حتمية للسياسة الجديدة التي اعتنقها العثمانيون وتتلخص تلك السياسة الفاشلة في عودة الصفاء بين الاحباش والعثمانيين والتحالف فيما بينهم والعمل المشترك على مقاومة التيارات الاوروبية وابعادها عن البحر الاحمر وتجارته · ويعني ذلك العودة الى سياسة تقييد التجارة في البحر الاحمر الامر الذي أدى الى تحول النشاط الاوروبي الى شرق افريقية وغربها ·

وهكذا كان التدهور نصيب كل ميناء من موانىء البحر الاحمر ، وتدهورت تجارتها ، كما تدهورت قوة العثمانيين ذاتها وسيطر اللصوص والمجرمون على موانيه ، سواكن ومصوع ·

وزاد من تدهور سواكن وضياع قيمتها الاضطراب الذي ساد منطقة الظهير من القبائل التي تسكن تلال البحر الاحمر ومنحدراتها ، ممثلا في نزاع بين الفنج والهدندوة · وكان ذلك الاضطراب سببا في اضطراب وصول القوافل وتعرضها للسلب والنهب · ويعني ذلك ان الظروف السيئة قد تحالفت في البحر الاحمر من جانب والسودان من جانب آخر ضد سواكن ، وظل التدهور وقتا طويلا من القرن السابع عشر الى السنوات المبكرة من القرن التاسع عشر ·

وقد صور لنا « لورد فلانشيا » الذي زار الساحل السوداني سنة ١٨٠٥ ـ حال الميناء وما وصلت اليه من تدهور وفقدان لشهرتها التي ذاعت في القرن السادس عشر · ويذكر فلانشيا أن وصول السفن التجارية الضخمة بات غير متوقع ، كما يذكر الشيء الكثير عن عدم انتظام القوافل اليها · ويرسم لنا بوركارت صاحب الرحلة المشهورة في المنطقة الظهير وبلاد النوبة صورة قائمة عن حالة التدهور في الميناء ويرجع هذا التدهور الى عدم دخول السفن التجارية الكبيرة الى سواكن طبقا للقوانين التي تحرم دخولها في غير وقت الانواء والعواصف · كما يصور لنا سوء الاحوال في الاراضي السودانية وحالة الفوضى والاضطراب في المجتمع · ونحن نحمل الحكم التركي في سواكن مسئولية ضخمة لان ضعف الحكم وفساده هو الذي هبط بالميناء وقيمته خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر · كما نحمل الفنج مسئولية التدهور والانهيار في الاراضي السودانية الذي ساد بعد ضعف ملوكها · وكان لابد من ظروف جديدة ملائمة وسياسة مستقرة واعية ، لتأخذ بيد سواكن وتستعيد قيمتها ·

وجاءت تلك الظروف مع التوسع المصري في السودان الذي شغل الفراغ السياسي في سودان وادي النيل ، أضف الى ذلك تسرب النفوذ المصري الى حوض البحر الاحمر الذي عاد شريانا هاما للتجارة · واستردت سواكن بعضا من قيمتها · وتزايدت أهمية الميناء مع استقرار الحكم ، حتى تم فتح قناة السويس ، فقفزت مرة أخرى الى قمة المجد · ونذكر ان ظهور قيمة سواكن في خدمة الاقتصاد السوداني بات واضحا في سنة ١٨٦٩ عندما طلبت الحكومة اليونانية تعيين قنصل لها في الميناء · وكانت أهم الواردات من خشب البناء والشيلان والتمر والدقيق والصابون والسكر والتمباك والمنسوجات القطنية · أما الصادرات فكانت من السمن والعسل

وسن الفيل والصمغ والحصير والجلود وبعض القطن والملح (١) ٠وقد ارتفع عدد السفن التى تزور الميناء من ١٦٩ سفينة سنة ١٨٦٩ الى ٢٣٠ سفينة سنة ١٨٧٤ ، وكانت نسبة السفن التجارية تتراوح بين ٣٠ فى المائة الى ٥٠ في المائة ٠ وكانت بعض السفن التجارية تصل اليها من أوروبا مباشرة بعد مايسرت قناة السويس الملاحة مباشرة بين الشرق والغرب ٠

وما أن وضعت سواكن قدميها على عتبات المجد حتى تغيرت الظروف وتشكلت بصورة عنيفة ، وأصابتها نكسة أثرت على قيمتها كميناء فى خدمة التجارة السودانية ٠ وتتلخص الظروف السيئة الجديدة فى قيام الحركة المهدية واندلاع الفوضى وانهيار أسس الحكومة السليمة المنظمة ٠واذا ماخرجنا عن نطاق الحركة المهدية ومجهودات عثمان دقنه فان أهم مانلاحظه هو ان تحركات القوات المهدية (الدراويش) عرقلت وصول القوافل من بربر وكسلا ٠ ويعنى ذلك انقطاع شرايين التجارة من الداخل ٠ وهى عماد الحركة الملاحية والتجارية فى سواكن ٠ وقد اهتم البريطانيون بالساحل السودانى ، وتمسكوا بسواكن ومقاومة الدراويش ووقف محاولاتهم للاستيلاء عليها ٠ ويعزون ذلك الى أنه مساهمة منهم فى مقاومة عودة الحياة والنشاط لتجارة الرقيق ٠

وقد نظروا الى سياسة عثمان دقنه ومجهوداته على أساس أنها جزء من خطة عامة ترمى الى اعادة تجارة الرقيق الى العالم عن طريق البحر الاحمر ٠ وأصبحت سواكن عندئذ مركز العمليات العسكرية ، وظهرت فكرة امتداد السكك الحديدية منها الى الداخل كجزء من خطة عامة تخدم تجارة الانتاج البريطانى من جانب ومقاومة الرقيق وتجارته من جانب آخر ٠ ولم يكتب لتلك المحاولة أى نجاح ، وتوقفت كل تجارة عن طريق سواكن والموانىء الصغيرة الاخرى وبات السودان فى شبه عزلة ٠

وكان تفسير تلك السياسة يعنى الخسارة الجسيمة للتجارة البريطانية ، وحبذ الرأى العام البريطانى احياء النشاط التجارى على الساحل السودانى واعادة فتح سواكن للتجارة ٠ وحمل لواء هذه الدعوة «مستر وايلد Waylde الذى نقد سياسة التخلى عن التجارة مع السودان وافريقية بطريق سواكن ٠

وحمل البريطانيين فى مصر — فى جيش الاحتلال — مسئولية اضاعة الفرصة أمام التجارة البريطانية واخلاء الجو أمام دول أوروبية أخرى قد تنتهز الفرصة وتثبت أقدامها فى التعامل مع السودان ٠ والواقع أن كلا من فرنسا وايطاليا وبلجيكا فى مستعمراتها المتاخمة للسودان كانت تسعى الى ذلك ٠ وقد حملت « شركة جلاتلى وهانكى » لواء الدفاع عن مصالح التجارة البريطانية ، وقد أسست مكاتبها فى سواكن سنة ١٨٨٧ للاحتفاظ بالسودان كجزء من السوق للانتاج البريطاني وكطريق ملائم للوصول الى قلب أفريقية ٠

وعندما استقرت الامور وتحسنت الظروف وأعيد فتح السودان عاد لسواكن بعض من عزها القديم ، واستردت مكانتها فى خدمة التجارة

---

١ — Donan, G.: Histoire du Khedive du Regine Ismail Tome III 2ème partie p. 506

والملاحة • وقامت المشكلات المتعلقة بشكل الميناء والمدخل وعلاقته بالنمو المرجاني والحواجز (١) وكانت تلك الظروف لاتعنى بالخدمة المطلوبة للتجارة ، وقيل انها لم تعد صالحة

لاستقبال السفن التى تطور شكلها وزادت أحجامها والغاطس منها •

واتجه البحث أولا نحو اعادة تنظيمها واعداد الارصفة بها وتحطيم الحاجز المرجانى الذى يهدد الملاحة • وفكر بعضهم فى نقطة « جراهام Graham Poirnt (٢) كموضع ملائم لبناء الارصفة الحديثة لاستقبال السفن • ولكن « مستر كنيدى Kennedy اتجه بالافكار نحو موقع جديد ، واقترح ميناء جديدا عند مرسى الشيخ برغوث

واستمرت فترة الصراع من أجل البقاء سنين طويلة حتى سنة ١٩٢٢

وكان كفاح الميناء وأهله مريرا، وظلت الحياة فى سواكن عادية حتى فترة الحرب العالمية الاولى • وكانت الحكومة لاتبذل من جانبها مجهودا يذكر للابقاء على سواكن كميناء فى خدمة السفن

والتجارة • وكان الهنود أكثر الجاليات الاجنبية تمسكا بسواكن والحيلولة دون سقوطها • وظلت سفنهم تصل اليها من حين لآخر حتى سنة ١٩٢٤ تحمل اليهم البضائع

والسلع الهندية • ويفسر ذلك التمسك على ضوء سهولة التفريغ والشحن والتخزين فى مخازنهم التى كانت لاتبعد كثيرا عن المرابط التى ترسو عليها السفن ، وتقع فى مساكنهم نفسها التى يقطنون الادوار العليا منها ، ويضعونها فى أدوارها السفلى

وقد اضطروا أخيرا الى التخلى عنها تحت ضغط الظروف، وانتقل نشاطهم الى بور سودان ، وفقدت سواكن آخر خيط من أمل تعلقت به •

ولايسمح فى الوقت الحاضر بدخول السفن فيما عدا التى لايزيد طولها عن ٣٣٠ قدما، والغاطس منها ٢٠ قدما،

ومع ذلك فليس لهذا المرفأ الهادىء الجميل أى استعداد لاستقبال السفن ، وليس ثمة رصيف يمكن أن ترسو الى جانبه • وتصل الى سواكن الان السفن فى مواسم معينة لخدمة الحجاج حيث جهزت بالحجر الصحى،

وأعد بناء ضخم على الجانب الايمن من القناة المؤدية الى الجزيرة ، وبها

الصهاريج الكبيرة اللازمة لتخزين المياه التى تصل اليها من آبار « الشاطه Shata التى يعتمد عليها السكان • وتنقل المياه الى المدينة على الحيوانات بطريقة بدائية ، كما تشرف الحكومة على خمس آبار تخرج منها المياه بطريقة ميكانيكية ، كما

توجد طلمبة هوائية لهذا الغرض من آثار الحكم المصرى •

ولا يمكن لزائر يقصد سواكن فى سيارة من بورسودان أن يصدق وهو

يقترب منها انها مدينة مخربة • فما زالت مبانيها قائمة ضخمة جميلة ذات

طراز عربى جميل ، ولكنها مهجورة لاتعرف الحياة ومازال بعضها يحمل طابع العز والغنى الذى تمتعت به سواكن •

ويحتفظ السواكنية ــ أصحاب الجزيرة ــ بمنازلهم مغلقة ويحنون دائما الى العودة الى سواكن •

ويؤسفنى أن أقرر أن سياسة الحكومة

---

١ ــ دكتور صلاح الشامى بور سودان ميناء السودان

٢ ــ تقع على الجانب الجنوبى من القناة أو المدخل الرئيسى الى مرفا سواكن .

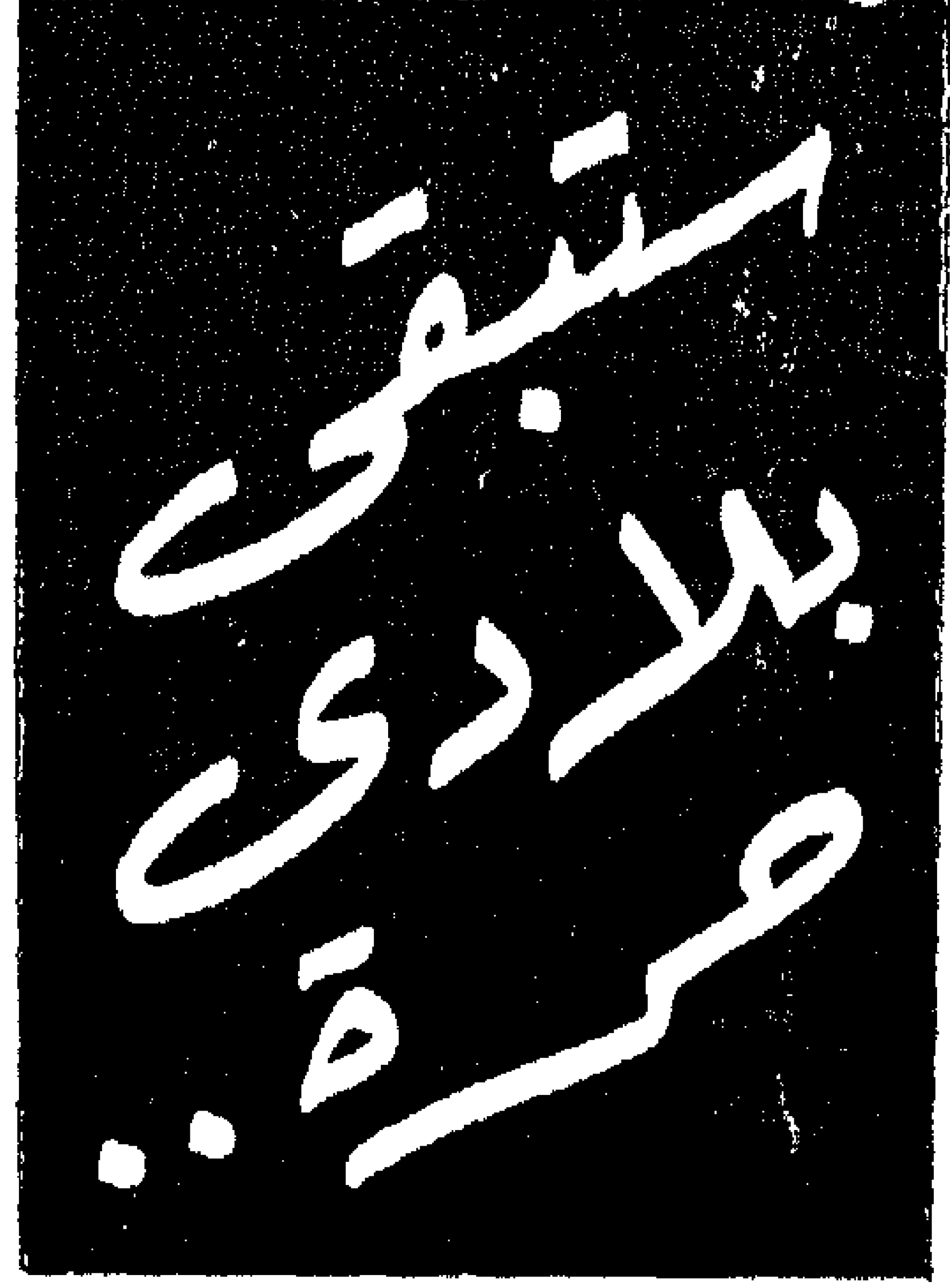
الانجليزية قد عمدت قبيل الانتخابات مباشرة سنة ١٩٥٣ الى اتخاذ قرار خطير يقضي بوقف سير القطارات اليها، كما قررت أيضا بعد وقت قليل نزع الخط الحديدي الممتد اليها من « سلوم Sallom

وجاءت تلك الضربة في مطلع سنة ١٩٥٤ وقبيل تشكيل الوزارة الوطنية الاولى في السودان • وقد ثارت نفوس السواكنية من أجل ذلك وقدم نواب شرق السودان وشيوخه احتجاجا لتغيير تلك السياسة التي تعجل بنهاية سواكن ، وانتقدت سياسة استخدام القضبان الحديدية في خط سنار الروصيرص •.

وعمدت الحكومة السودانية الى تكوين لجنة أهلية للبحث في أمر سواكن وتعهدت الوزارة بتعبيد الطريق اليها من بورسودان وحل مشكلة الماء بطريقة عملية علمية حتى يمكن أن تعود اليها الحياة •

ولا أعتقد أن مجهودات اللجنة ستكون مجدية اذا ماوضعت نصب عينيها عودة سواكن الى الحياة كميناء لان استعداد بورسودان وظروفها لن تعطى سواكن الفرصة لكي تقف على قدميها • لذلك يجب أن يتجه البحث في أمر احياء سواكن الى خلق الاعمال التي من شأنها جذب السكان وزيادة عددهم ، وتحبب اليهم البقاء فيها • ذلك ان الملاحظ أن محلج قطن دباس يبعث جانبا من النشاط في سواكن في موسم حلج القطن وتتدفق فيها الحياة •

ومن هنا يجب أن نفكر في اقامة بعض الصناعات الخفيفة التي تعتمد على مواد خام متوافرة فيها كصناعة الاصداف البحرية وصناعة صيد الاسماك لتشغيل عدد كبير من السكان وجذب عدد آخر يجد في سواكن مستقرا ومقاما • ويظن انه سوف يأتي اليوم الذي يتقدم فيه الانتاج السوداني وتعجز بورسودان عن خدمته ، وعندئذ يمكن ان تعود سواكن الى الظهور بعد اجراء تطهير المدخل اليها من نشاط النمو المرجاني •



بقلم الاستاذ
أبو بكر محمد حسين الصومالى

قامت انتخابات البلدية فى ٢٠ من أكتوبر ، وقد اشتركت فيها جميع الاحزاب الصومالية وفاز فيها حزب وحدة الشباب الصومالى بالاغلبية ، أما حزب الصومال الكبرى فقد فاز بالمركز الثالث . وهذه الانتخابات هى بداية للانتخابات السياسية التى ستجرى فى مارس سنة ١٩٥٩ .

ولقد لعب الاستعمار الامريكى دوره فأغرق البلاد بالدولارات .

وكان من المؤكد أن يفوز حزب «وحدة الصومال الكبرى » بالاغلبية ، ولكن ضغط الحكومة وعدم توفر الامكانيات .. كل ذلك ساعد على فوز حزب وحدة الشباب الصومالى .

والمرحلة القادمة بالنسبة للصومال مرحلة حاسمة ، فستحصل على استقلالها فى عام ١٩٦٠ ، ولذا يجب قيام حكومة وطنية تعمل من أجل وحدة الصومال . كما أن الشعب فى هرجيسه وجيبوتى يعبر عن عدم رضائه عن الوضع الحالى بالقيام بمظاهرات يعلن فيها عن رأيه . وقد برهن محمود حربى رئيس وزراء الصومال الفرنسى على وطنيته بعدم قبوله دستور ديجول ، حتى لقد سجنته الحكومة ، ولكن ضغط الشعب على السلطات اضطرها الى الافراج عنه .

ورجل الصومال الآن هو الزعيم محمد حسين الذى يرأس الحزب الجديد وهو حزب وحدة الصومال الكبرى . وما زال هذا الحزب يحاول نشر الوعى القومى والوقوف أمام الاستعمار الامريكى الذى بدأ يغزو البلاد بحثا عن البترول . وأمام الشعب الصومالى الآن ، وبمعنى أصح ، أمام حكومة الصومال القادمة مشكلات كثيرة أقامها الاستعمار لعرقلة استقلال صوماليا . منها عجز الميزان الاقتصادى ومشكلة الحدود .

أما عن الاقتصاد ، فقد رحب شعب الصومال بأن تقوم الامم المتحدة بتكملة هذا النقص . وقد قدمت الجمهورية العربية اقتراحا لمجلس الوزراء بفتح صندوق لمساعدة الصومال . أما مشكلة الحدود فلم تحل حتى الآن .

ولذا نرى أن أمام حكومة الصومال القادمة مسئولية جسيمة عليها أن تقوم بها بما لا يتعارض ومصلحة شعب الصومال .

كما أن الوحدة الصومالية يجب أن تأخذ مكانها من تفكير الحكومة . وان الاستعمار الامريكى يحاول التهديد بالغزو الحبشى المزعوم ، ولكن الانتخابات السياسية القادمة ستكون مرحلة حاسمة تتضح بعدها الشخصية الصومالية فى المجال الدولى . وسيعرف الشعب الصومالى طريقه ، وستبقى بلادى حرة .

النظام الأساسى للرابطة الأفريقية

الباب الاول
غرض الجمعية وعملها

مادة ١ : تنشأ بمدينة القاهرة جمعية تسمى بالرابطة الافريقية .

مادة ٢ : أغراض الرابطة ووسائلها :

أولا ــ جمع جهود المهتمين بالشئون الافريقية فى مختلف الميادين الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والادارية .

ثانيا ــ تنظيم محاضرات ودراسات ودراسات وحلقات لتعرف الاحوال السائدة فى مختلف أنحاء القارة .

ثالثا ــ ايجاد مركز للصداقة والتعارف والتعاون بين مواطنى القارة .

رابعا ــ ايجاد روابط بين المصريين ومواطنى الاقاليم الافريقية عن طريق الرحلات والزيارات والمراسلات والنشرات وتبادل المعلومات والاشتراك فى المؤتمرات لايجاد رابطة فكرية مشتركة .

خامسا ــ التعاون مع الهيئات ذات النشاط المماثل فى الجمهورية العربية المتحدة وفى الخارج .

سادسا ــ نشر البحوث والمؤلفات المتصلة بالاغراض السابقة .

سابعا ــ اصدار نشرات ومجلات لتعريف الافريقيين بظروف الحياة الاجتماعية والثقافية فى مختلف أنحاء القارة وعرض المشكلات الاجتماعية والتماس الحلول المناسبة لها .

ثامنا ــ السعي الى ايجاد تعاون متبادل بين مصر ومختلف أقاليم القارة واقتراح السبل المحققة لذلك .

تاسعا ــ جمع الكتب والوثائق والمذكرات الرسمية وغير الرسمية وجميع المحفوظات المتعلقة بالمسائل الافريقية .

مادة ٣ : يحظر على الاعضاء التدخل فى المسائل السياسية أو الدينية .

الباب الثانى
موارد الجمعية

مادة ٤ : تتكون موارد الجمعية مما يأتى :

أ ــ اشتراكات الاعضاء .

ب ــ الاعانات والهبات التى يؤذن للجمعية فى قبولها .

ج ــ جميع وسائل الدخل الاخرى التى يقرها مجلس الادارة .

الباب الثالث
أعضاء الرابطة

مادة ٥ : تتألف الجمعية من :

أ ــ أعضاء عاملين .

ب ــ أعضاء منتسبين .

ج ــ أعضاء مراسلين .

د ــ أعضاء فخريين .

مادة ٦ : يشترط فى العضو العامل أن يكون من المشتغلين بالشئون الافريقية وأن يصدر بقبوله قرار من مجلس الادارة .

مادة ٧ : يعتبر عضوا منتسبا كل عضو تتحقق فيه شروط العضو العامل وتمنعه ظروفه من الاشتراك الفعلى فى نشاط الرابطة .

مادة ٨ : يعتبر عضوا مراسلا من يرى مجلس الادارة الاستفادة بعمله أو نشاطه ممن يقيمون فى الخارج .

مادة ٩ : العضو الفخرى لقب يمنحه مجلس الادارة لمن يمتاز فى مصر أو فى الخارج بتأدية خدمات جليلة لاغراض الرابطة .

مادة ١٠ : يدفع الاعضاء العاملون والمنتسبون من الاعضاء اشتراكا سنويا ... (يحدده مجلس الادارة).

الباب الرابع
مجلس ادارة الرابطة

مادة ١١ : يتولى تصريف شئون الرابطة مجلس ادارة مكون من سكرتير عام وسكرتير عام مساعد وخمسة أعضاء ، وتقوم الجمعية العمومية بانتخابهم ، ويكون انتخاب السكرتير العام ومساعده لمدة ثلاث سنوات والاعضاء لمدة سنتين على أن تكون مدة أول مجلس ادارة خمس سنوات .

مادة ١٢ : يعين المجلس من بين أعضائه أمينا للصندوق .

مادة ١٣ : يجوز لمجلس الادارة أن يكون اللجان الآتية لتحقيق أغراض الرابطة بحيث لا تقل عضوية كل لجنة عن ثلاثة أعضاء .

١ ــ لجنة الشئون الثقافية وتشرف على شئون الصحافة والمكتبة واصدار الكتب وكافة وسائل النشر .

٢ ــ لجنة الشئون القانونية والدستورية لدراسة الاوضاع الدستورية والادارية والقانونية فى مختلف أنحاء القارة .

٣ ــ لجنة الشئون الاجتماعية وتشرف على أوجه النشاط الداخلى فى الرابطة وعلى تنظيم الرحلات والاجتماعات والحفلات .

أو أية لجان أخرى يرى ضرورة تكوينها تحقيقا لاغراض الرابطة ولرئيس كل لجنة أن يضم الى اللجنة عضوا أو أكثر من أعضاء الجمعية بعد موافقة مجلس الادارة ممن يرى فيهم توفر الاستعداد لمعاونتها فى عملها ، وأن يعين بموافقة مجلس الادارة الموظفين الاداريين اللازمين لنشاط اللجنة .

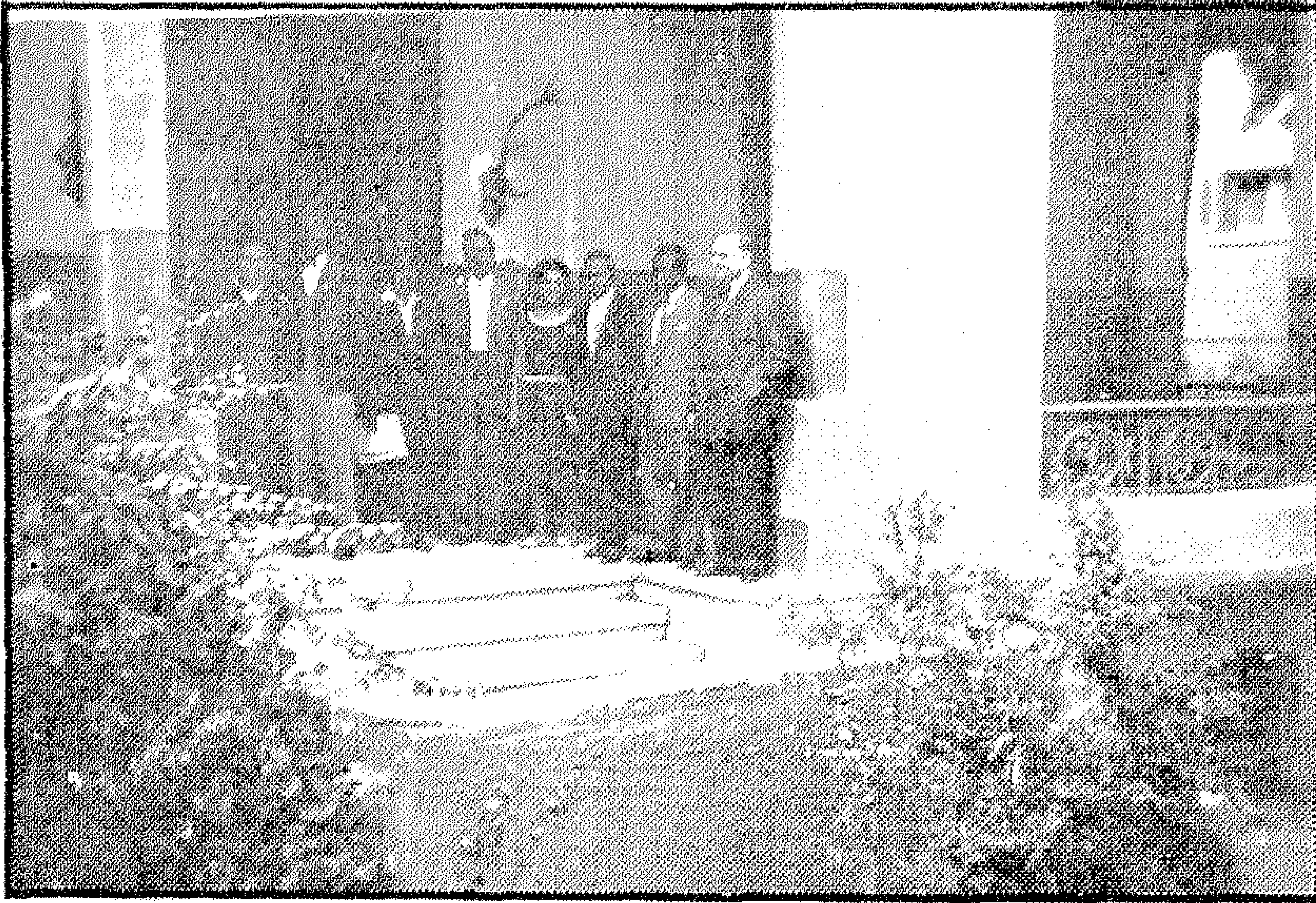
وتكون هذه اللجان مسئولة مباشرة أمام مجلس الادارة ، وتدون اللجنة قراراتها فى سجل خاص وتعرضها على مجلس الادارة ، ويحدد مجلس الادارة فى كل عام المال اللازم لكل لجنة من مالية الجمعية ، ويحدد المجلس نظام حفظ أموال اللجان والتصرف فيها وكيفية مسك حساباتها فى دفاتر حسابية خاصة بكل لجنة .

مادة ١٤ : يجتمع مجلس الادارة مرة كل شهر على الاقل بناء على دعوة السكرتير العام ولا تكون اجتماعاته صحيحة الا اذا حضرها خمسة أعضاء على الاقل من بينهم السكرتير العام أو مساعده ويصدر المجلس قراراته بأغلبية أصوات الحاضرين وتكون رياسة الجلسات دورية بين الاعضاء .



منظر خارجي للرابطة

EXTERNAL VIEW OF ASSOCIATION



بعض الاعضـاء أمام مـدخل الرابطـة

SOME MEMBERS INFRONT OF ASSOCIATION CENTRE



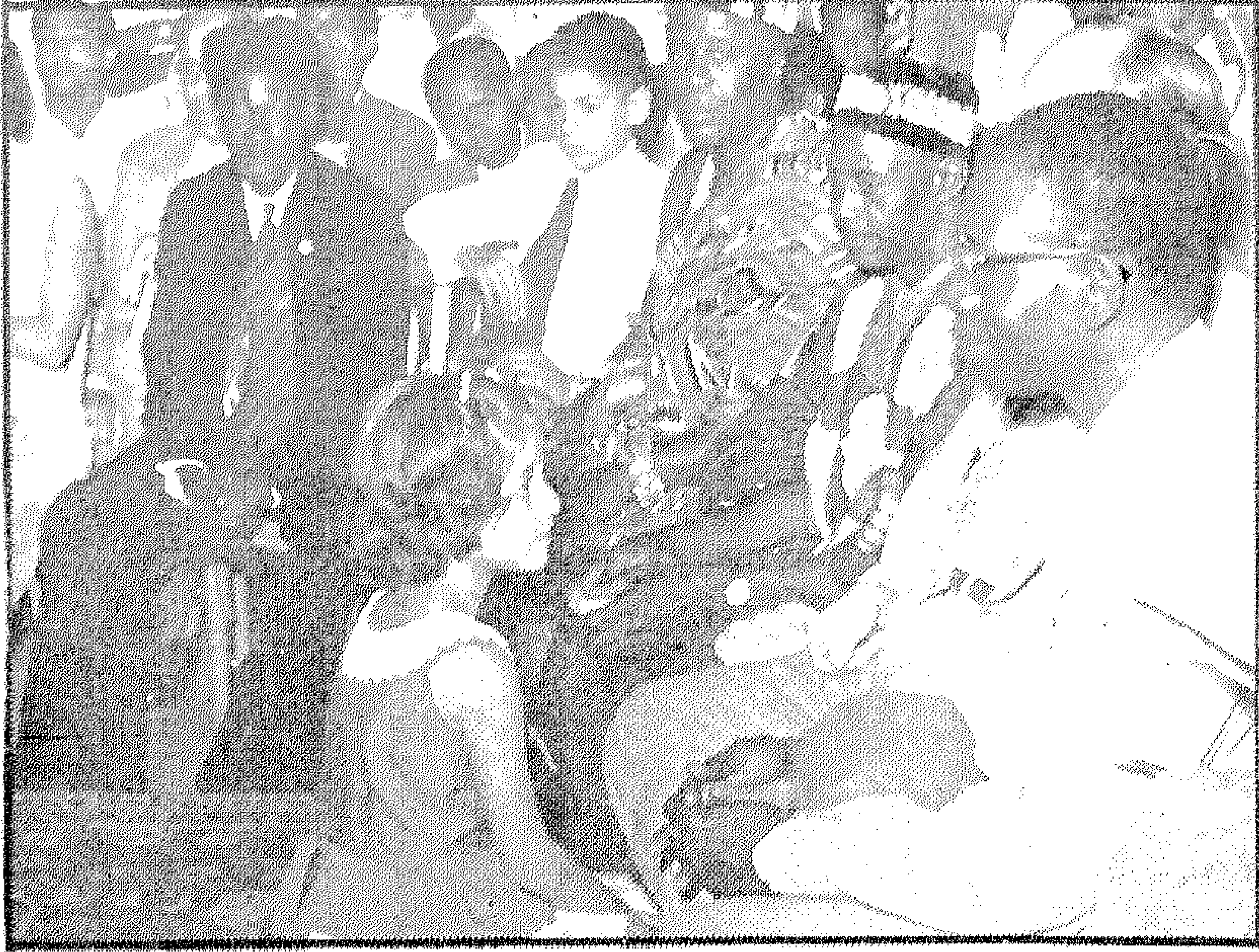
كوامى نكروما يزور الرابطة

NKRUMAH VISITS ASSOCIATION



قاعة المطالعة

STUDY HALL



سـفير غانا يحادث طفلة مصرية

GHANA AMBASSADOR TALKS TO EGN. GIRL



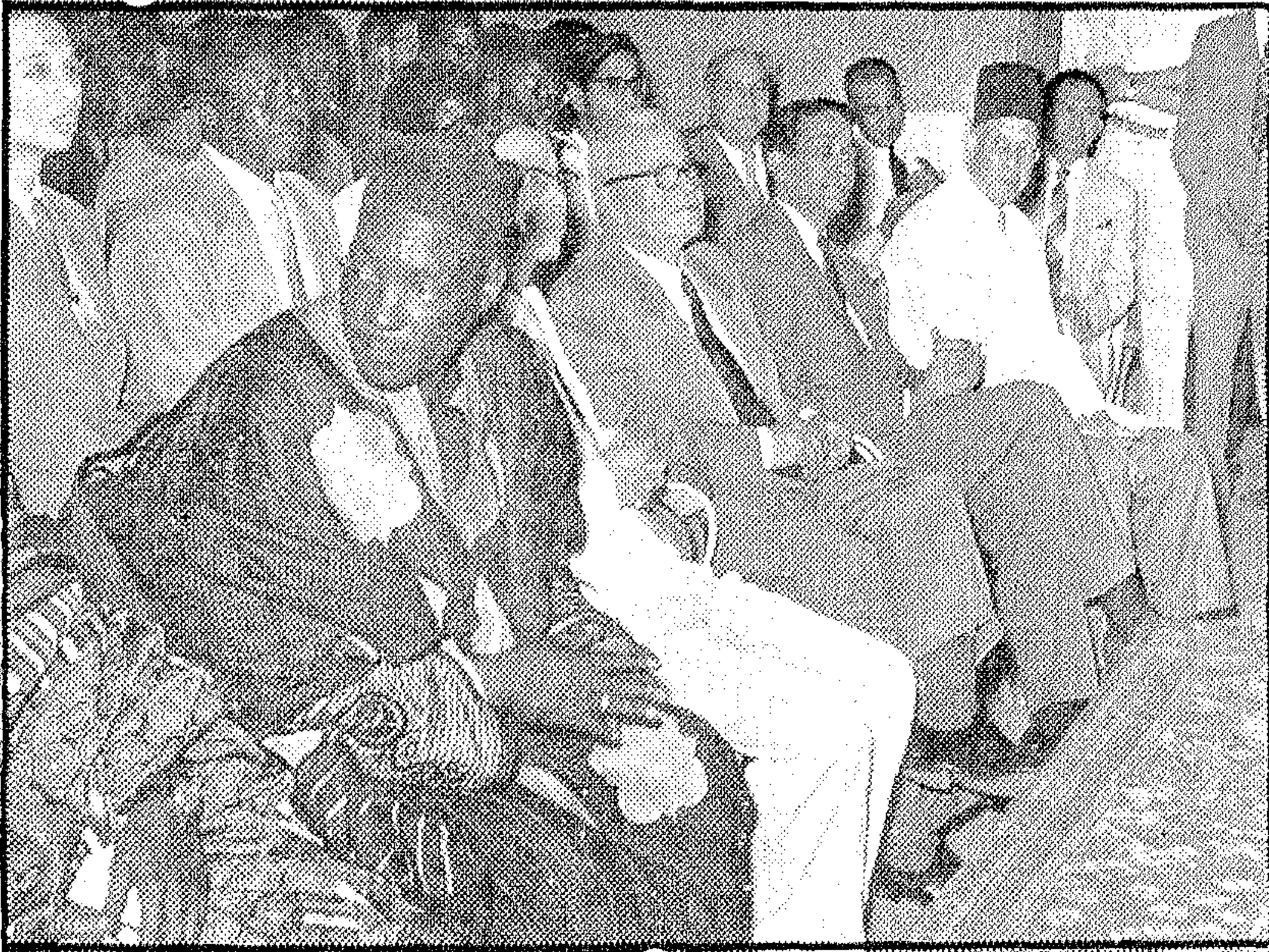
فتيـات من الصـومال

GIRLS FROM SOMALILAND



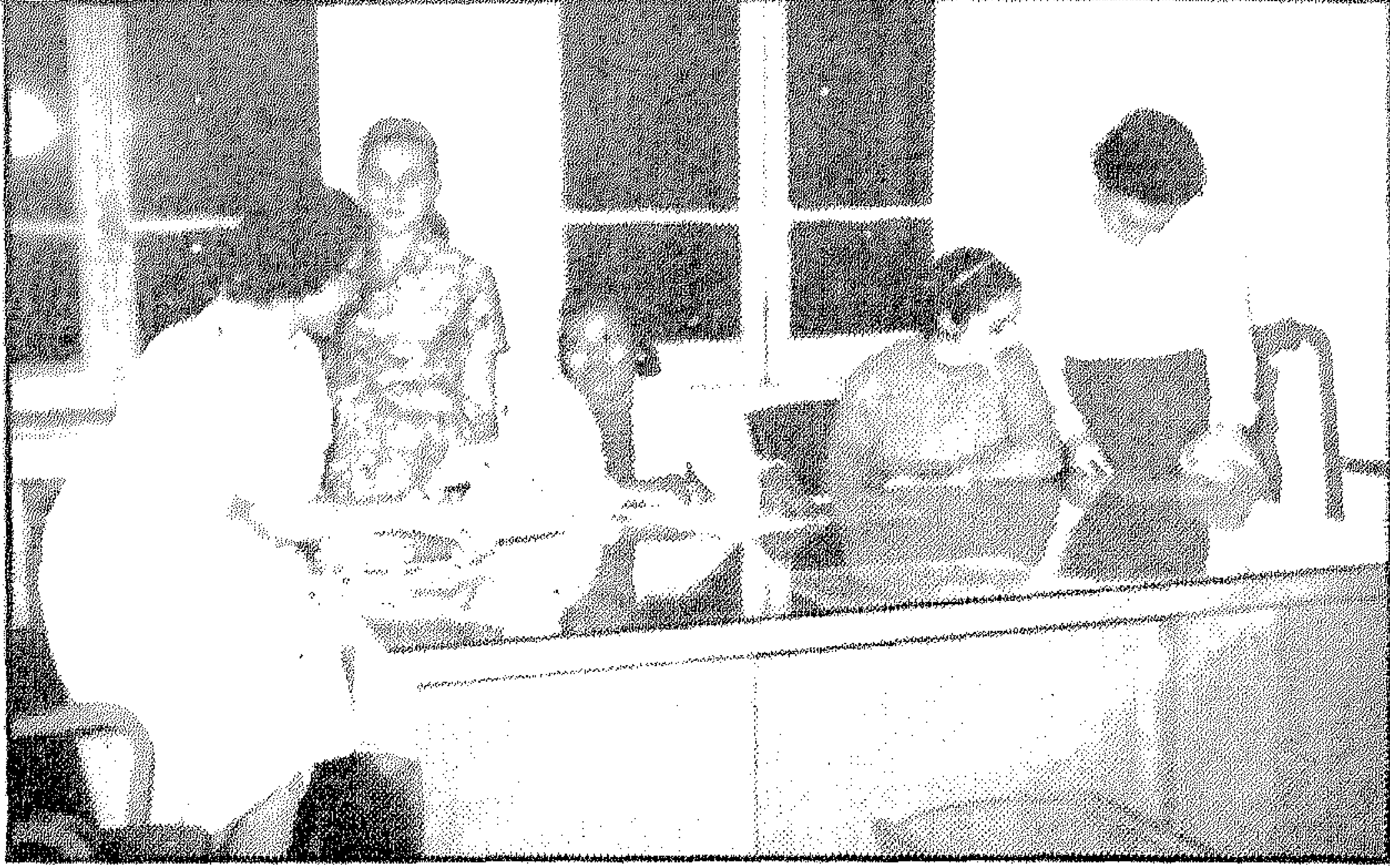
سـكرتير عام الرابطـة يرحب بضيفة من الهند

SEC. GEN. WELCOMES INDIAN GUEST



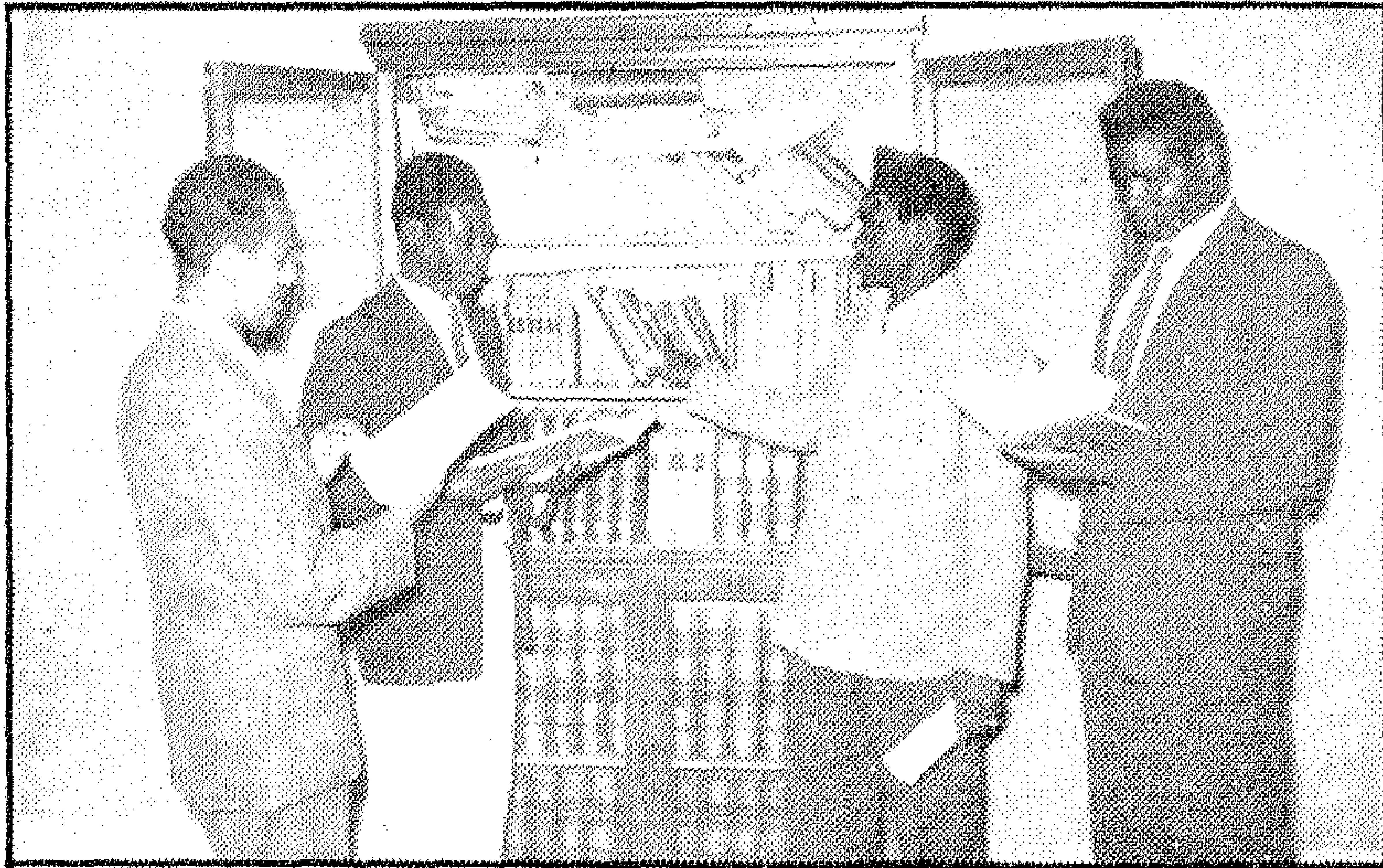
أمير مسلمي غانا بالرابطة

RULER OF GHANA MUSLIMS.



حديث بين العضوات فى الرابطة

LADY MEMBERS IN CONVERSATION



طلبة أفريقيون أمام المكتبة

AFRICAN STUDENTS BEFORE BOOKSHELF

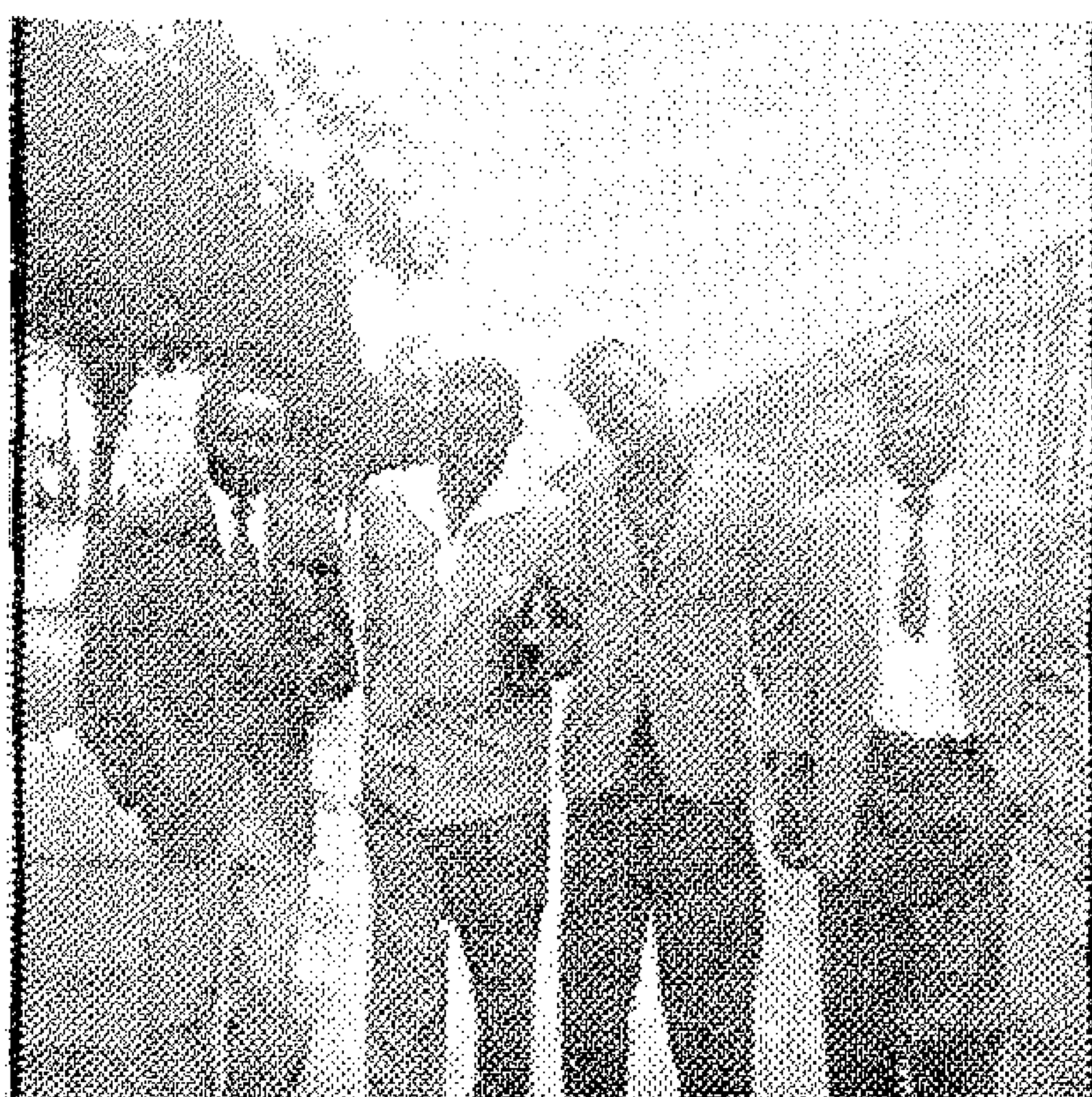


مواطن من الكمرون فى الرابطة

CAMEROONIAN IN ASSOCIATION CENTRE



نشـــيد أفريقى فى الرابطة
AFRICAN ANTHEM BEING PLAYED



رحلة الرابطة الى بور ســـعيد
VISIT TO PORT SAID

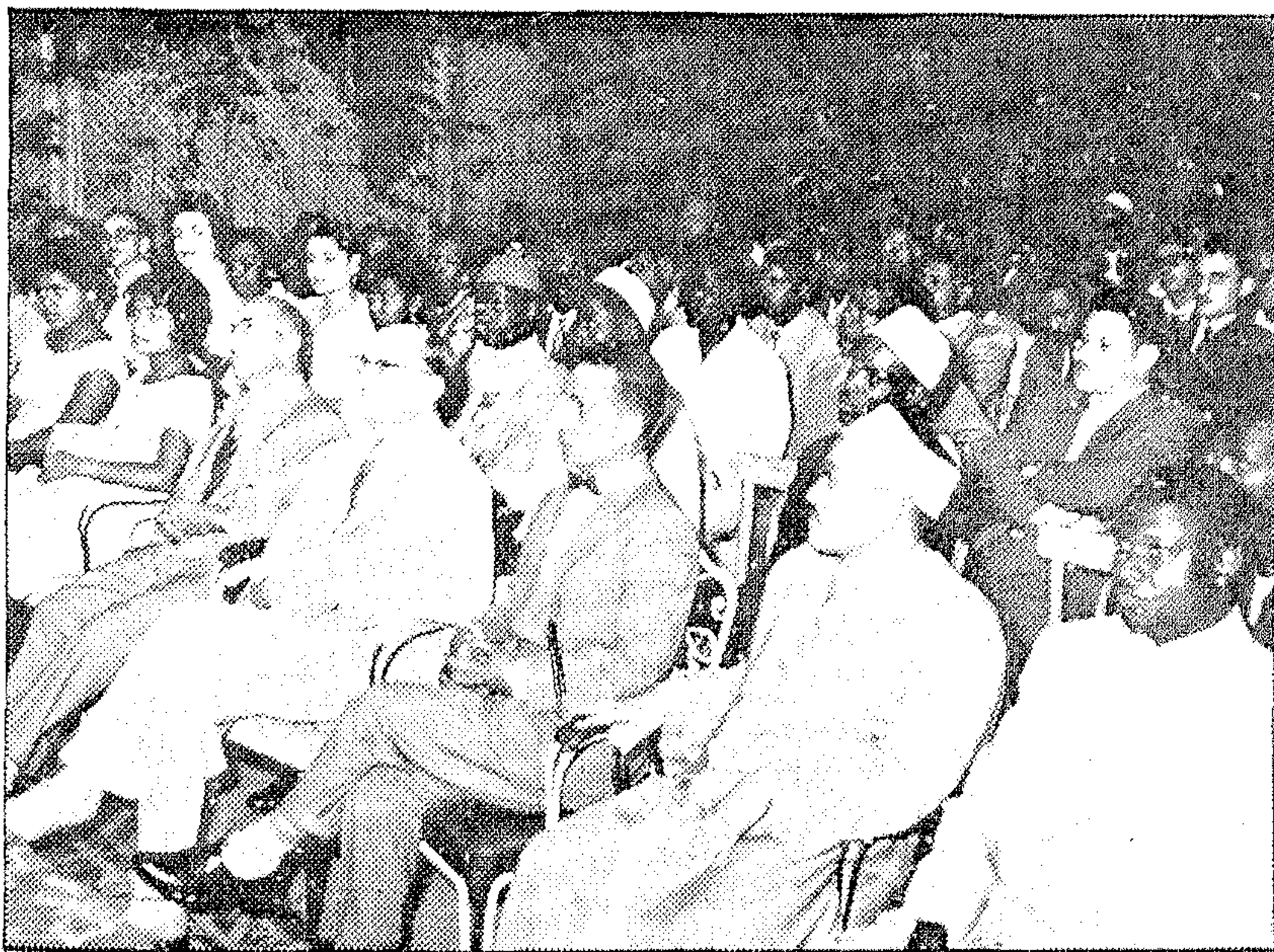


تصفيق لأحد المشـــاهد
APPLAUSE



مناقشة فى الرابطة

QUITE DISCUSSION



حفل استقلال غينيا

GUINEA INDEPENDENCE CELEBERATION



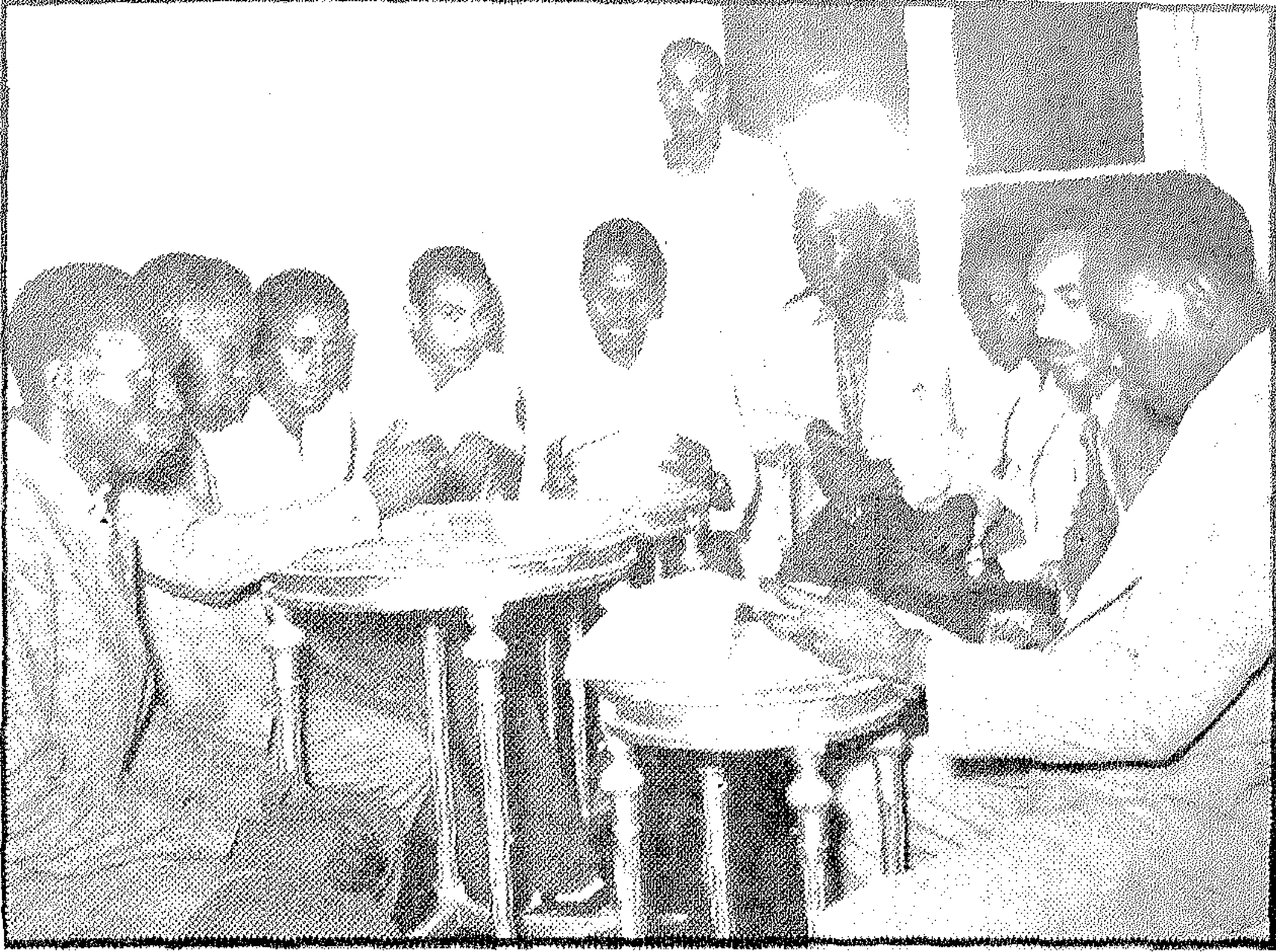
الاحتفال برفع العلم الصــومالى

SOMALILAND NATIONAL FLAG HOISTED



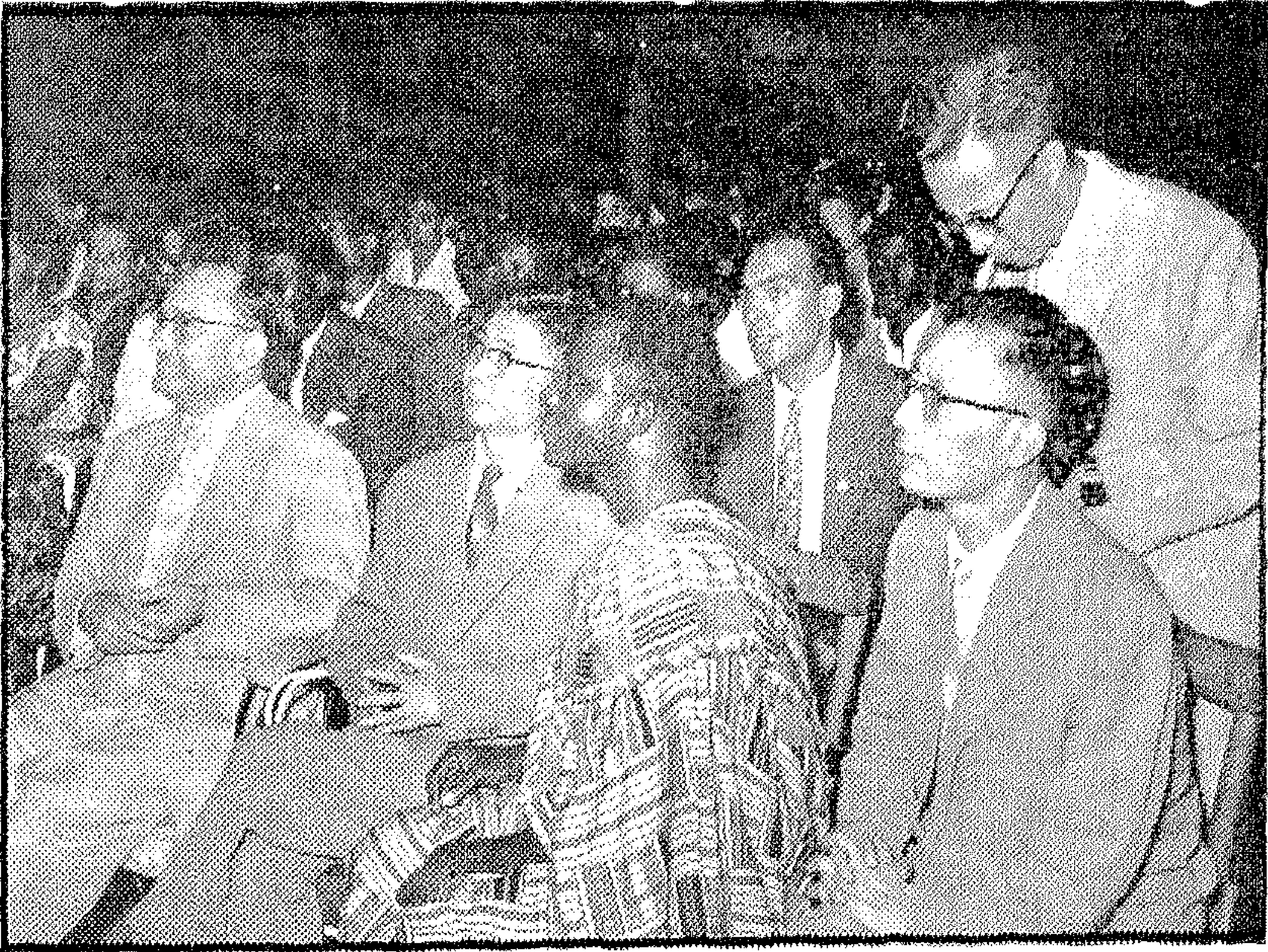
نيجيرية تخطب فى الرابطة

NIGERIAN GIRL MAKES ADDRESS



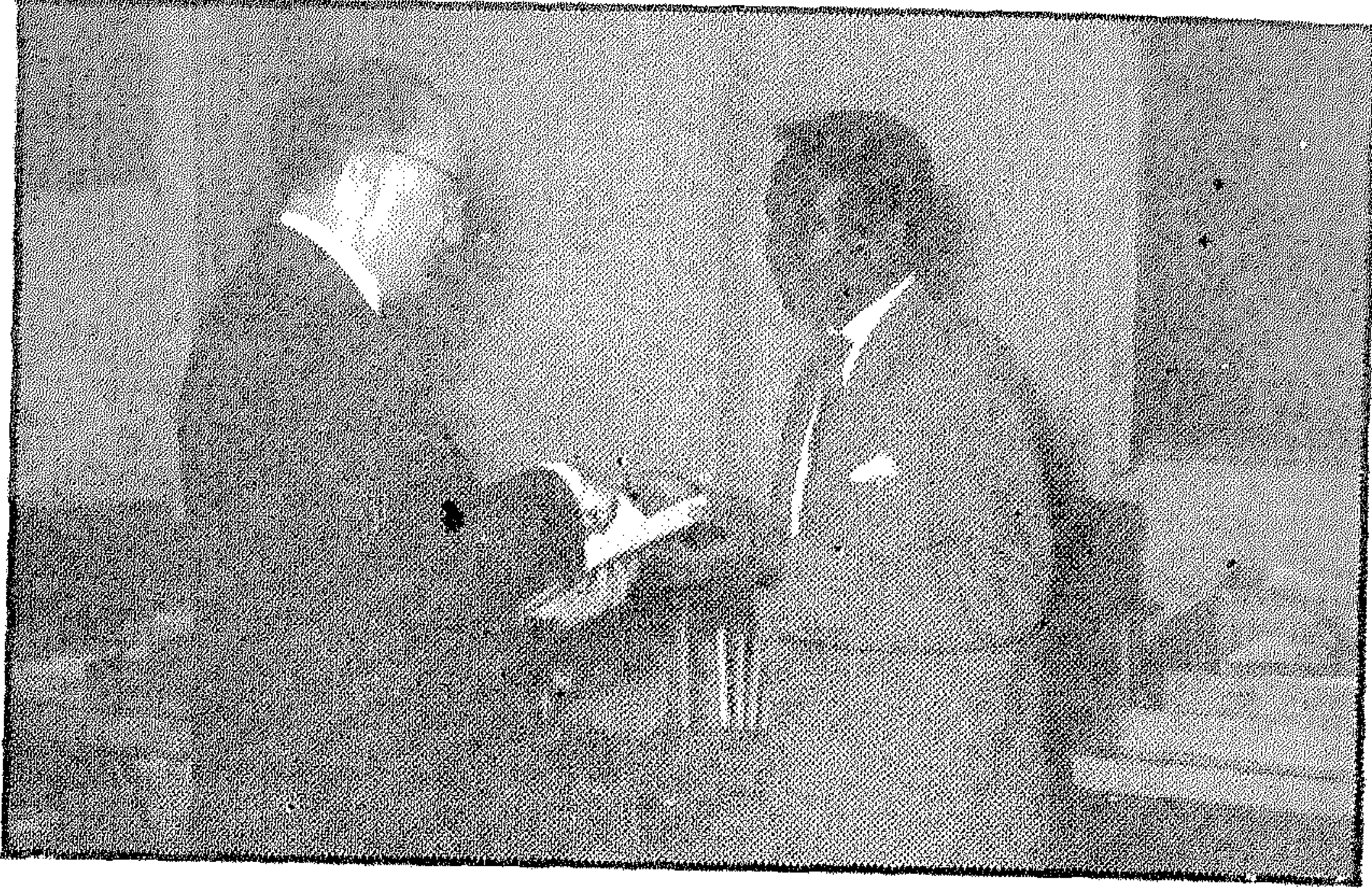
مناقشة حول المشكلات الافريقية

DISCUSSING AFRICAN PROBLEMS.



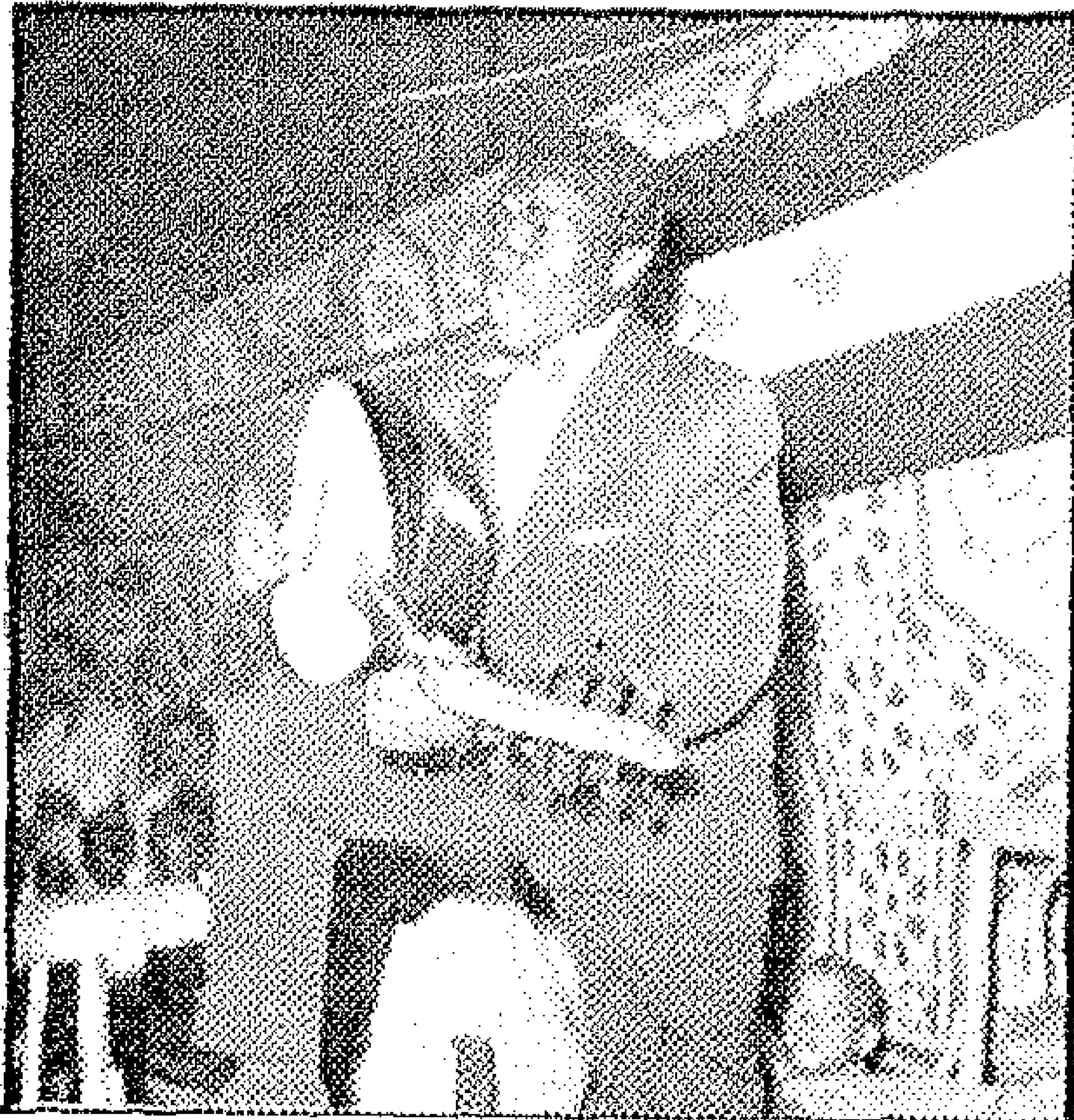
حفل استقبال زعماء غانا

RECEIVING GHANA LEADERS



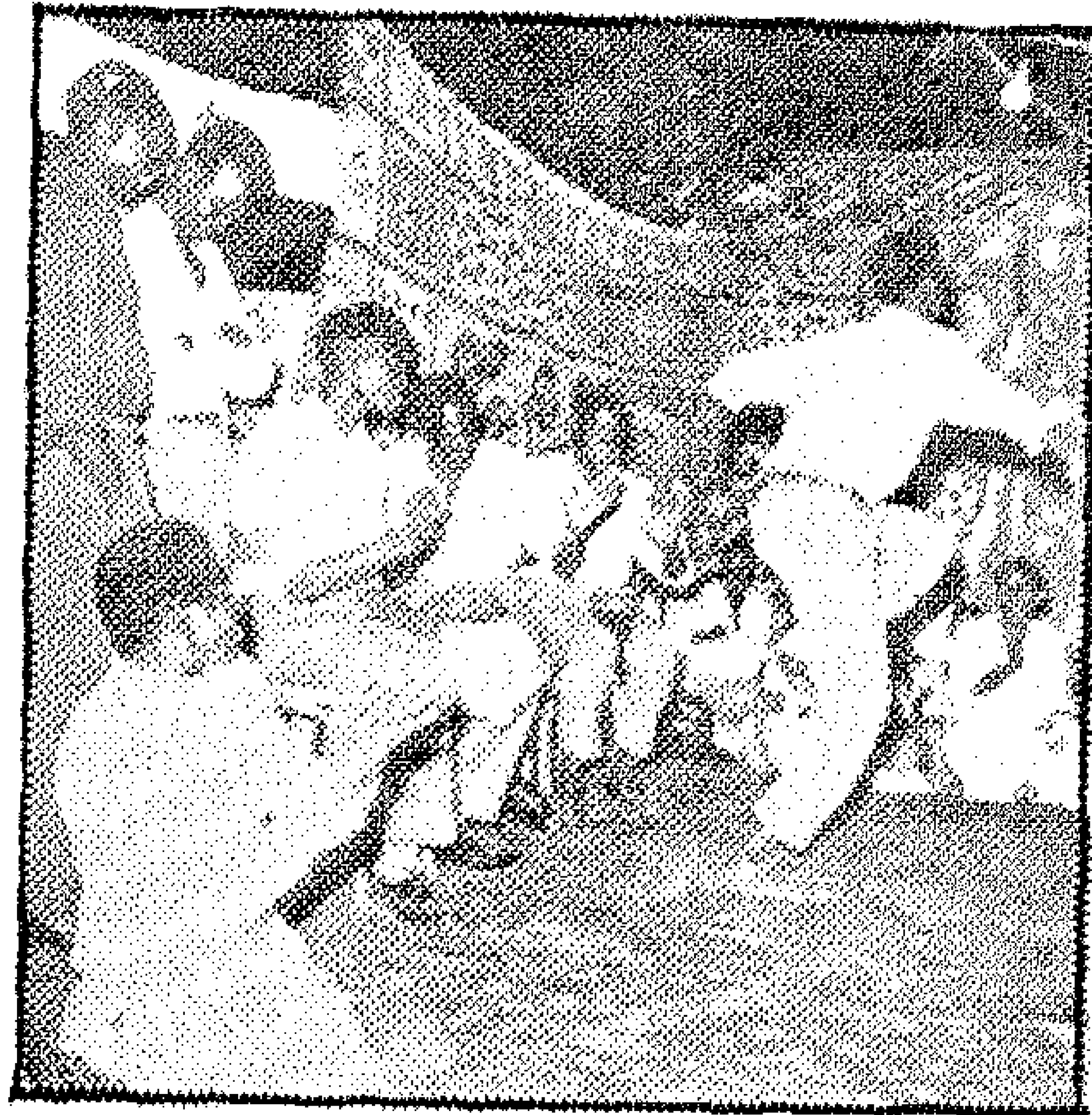
حــديث بين رئيس التحرير ومندوب أوغندة

EDITOR TALKING TO UGANDA REPRESENTATIVE



طالب من أوغنــدة يغنى

UGANDA STUDENT SINGS



مرح فى الرابطة

DANCE PARTY

activities undertaken by the Association and arrange travels, meetings and parties.

Or any other Committees deemed appropriate in fulfilment of the aims of the Association. The Chairman of each Committee is allowed to include a member or more of the Association, with the Consent of the Executive Council, who are willing to co-operate. He can, with the approval of the Council, appoint administrative staff required by the Committee.

The Committees will be responsible direct to the Executive Council, and will record then decisions in a special register for presentation to the Executive Council. The Council each year allocates the necessary funds for each Committee. The Council defines the procedure for the safe-keeping and spending of Committees' funds and method of book-keeping adopted by each Committee.

SECTION 14

The Executive Council meets at least once a month on invitation from the Secretary-General. 5 members at least including the Secretary - General or his Assistant constitute a quorum. The Council takes its decisions by a majority of votes cast by those present. Chairmanship of sittings is rotational among members.

تحتل الرابطة الافريقية مكانة مرموقة فى نفوس الافريقيين داخل القارة ، وخارجها . فهى الى جانب رعايتها الحركات التحررية ، ورصدها ، واعطاء معلومات صادقة عنها .. تستقبل فى فرح الوافدين من ساسة القارة ، ومفكريها ، وتجمعهم بالافريقيين المقيمين فى البلاد . وتتعرف على بلادهم بتنظيم محاضرات لهم .

.. فاذا أضفنا الى هذا سلسلة التعريف بالقارة ، وتنمية الوعى بكل ما يدور فيها ، أدركنا الدور الكبير الذى تؤديه الرابطة فى صدق ، وحب واخلاص .

ولعل قانون الرابطة الذى قدمنا بعضه هنا بالعربية والانجليزية يلقى بعض الاضواء على الدور الهام الذى تقوم به الرابطة الافريقية فى مصر .

C — All other sources of income recognized by the Executive Council.

PART III
MEMBERS OF ASSOCIATION
SECTION 5

The Association is Composed of :—

A — Active Members.

B — Associate Members.

C — Corresponding Members.

D — Honourary Members.

SECTION 6

Active Member must be a person closely interested in African affairs who is admitted to membership by a decision of the Executive Council.

SECTION 7

Associate Member is one to whom are applied qualifications of active Member, but whose circumstances prevent his actual participation in the activity of the Association.

SECTION 8

Corresponding Member is one resident abroad whose activity the Executive Council decides to enlist.

SECTION 9

Honorary Member is a title awarded by the executive Council to whoever distinguishes himself in Egypt or elsewhere by doing meritorious services to the goals of the Association.

SECTION 10

Members - active and Associate - pay an annual subscription of ...... (to be fixed by the Executive Council).

PART IV
ASSOCIATION EXECUTIVE COUNCIL
SECTION 11

Association functions will be carried out by an Executive Council composed of Secretary General, Assistant Secretary General and five Members all of whom are elected by the General Assembly. Both the Secretary - General and his Assistant hold office for a speil of 3 years while the member's tour of duty is 2 years provided the first council remains in office for 5 years.

SECTION 12

The Executive Council appoints Honorary Treasurer from amongst its Members.

SECTION 13

The Executive Council is authorized to form the following Committies to implement the objectives of the Association. Each Committee must be made up of not less than three Members.

1 — Cultural Committee to supervise press and library affairs, issue of books and all means of publicity.

2 — Legal and constitutional Committee to study constitutional, administrative and legal positions in different parts of Africa.

3 — Social Committee to superintend aspects of internal

African Association

5 Ahmad Hishmat St. Zamalek

Telephone 807658

Constitution and Statutes

PART I
PURPOSE AND ACTIVITY OF ASSOCIATION

SECTION 1

There shall be established in Cairo an association to be known as the African Association :

SECTION 2

Ends and means of the Association :

First — To rally efforts of students of African Affairs whethen cultural, social, economical or administrative.

Secondly — To arrange lectures, studies and seminare to ascertain conditions ruling in all parts of the African Continent.

Thirdly — To set up a centre for frindslup, acqaaintance and co-operation among the Africans.

Fourthly — To establish bonds of understanding between the Egyptians and citizens of the African regions by way of travels, visits, correspondence, leaflets, exchange of information and participation in conferences to produce a mutual mental bond of understanding.

Fifthly — Collaborate with organs of similar activity both in the United Arab Republic and abroad.

Sixthly — Publish treatises and books having to do with the said aims.

Seventhly — Issue booklets and magazines to acquaint the Africains with social and cultural trends of life in different parts of the continent, and present social problems for discussion with the object of finding suitable answers thereto.

Eighthly — Try to establish mutual collaboration between Egypt and the rest of African territories, and explore the possibilities for so doing.

Finally — Colect books, documents and memoire whelter official or otherwise as well as all archives connected with African affairs.

SECTION 3

Members are precluded from interference with political or religious issues.

PART II
ASSOCIATIONS RESOURCES

SECTION 4

Association's source of revenue is made up of :—

A — Members' subscriptions.

B — Aids and gifts duly allowed.

من الوثائق التاريخية :

تاريخ الزنج

- ٢ -

فصل – فلما وصل العرب من صنعاء اليمن ، وهم قوم التبع الحميرى ، وذلك فى زمن الجاهلية ، كما ذكر قتادة فى تفسير قوله تعالى « فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ، أهم خير أم قوم تبع (١) (والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين) ، قال قتادة : هو تبع الحميرى ، وكان قد سار بالجيوش حتى خرب الحيرة وبنى سمرقند ، وكان من ملوك اليمن ، وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال كان أبو كلب أسعدى الحميرى من التبابعة آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وكان فى الملك خمسين سنة ، كما ذكر فى سبائك الذهب ، ودلت أن تبع الحميرى كان فى زمن نبى (الله) موسى عليه السلام بدليل الآية التى ذكر فيها قوم تبع ، وهى « ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين ، من فرعون انه كان عاليا من المسرفين » . (٢) «ولقد اخترناهم على علم على العالمين» وقوله « اخترناهم » يعنى موسى وبنى اسرائيل ، وعمروا مقدشوه ، فهى أول مدينة عمروها ، ثم بساسة عربية أصلية ، وسميت بساسة بكون سكانها كانوا من الحجاز مقهورون (مقهورين) بترك مكانهم ، وسموها بكنية مكة المكرمة (٣) كما قال الشاعر

بساسة هى كنية أم القرى
سموا بها أهل الحجاز مقاما

وبنى أيضا تبع الحميرى كلوى ثم بنى Patte وسيوى Siwi وآم Amu وغاما ، وغاما كانت مدينة فى جزيرة بين كليف والنهر التز (تانا) ، فالآن تدعى غمين . فكانت جزيرة عامرة بنيانها مشيدة بالحجر والنورة ، وضربت بالبحر وكان يخذها (يأخذها) قليلا وفقدوا أهلها ماء وانتقلوا الى اوزى ، وغرقت البنيان والآن يدعى بحر غاما ، وله موج هائل ويرى الجدران والحيطان من فى السفينة اذا حرت (مرت) عليه السفينة ، ويلقط أحجارها بلندى ومبردى وقت الارتب – أعنى الريح الشمال ، وكان

---

١) سورة الدخان آية ٣٦ و ٣٧ . وما بين القوسين هو تكملة الآية ٣٦

٢) سورة الدخان آية ٣٠ و ٣١ . وردت فى الأصل كلمة المهيم بدلا من المهين ، وكلمة المسافرين بدلا من المسرفين .

٣) جاء فى مخطوطة ب (وأهل عمان وأهل جوف بين عسير وصنعاء اليمن ومنهم وقفان بهم احتلطوا بالتزويج اهل الحجاز والجوف وتناسلوا واختلطوا فلا تباين بينهم فقالو هؤلاء مخلطون أعنى قبائل مختلطه ، وبلغة السواحل وتفاق ، ومنهم أعنى أهل عمان الجلنداني نسبه من جالد بن مسعود بن كركره ومنهم التعماوى قبيلة من مهرة بن حيدان فهم تغمى أبو قبيلتهم والمنتسب اليه تغمارى وهم من الحجاز أصلهم فلان الجلنداني يقال لهم الكلندين (بكسر الكاف واللام والدال وسكون النون) غلط للجهال والتغماوى يقال لهم شعماوى فكل ذلك غلط كبير) . ا هـ .

مراد تبع الحميري ذهبا ، وحفر ووجد ماوجد ، ثم انتشروا العرب وعمروا ما بين مقدشوه وممباسة مركة وبراوة (١) فلما وصل العرب الى جب وهربوا عنهم الزنج وسموهم كشور ومعناه الهارب « ثم اجتهدوا العرب بملاقاتهم وتلقاهم بعد شهرين وكسوهم وأعطاهم عطايا من أنواع ، وذهب ما فيهم من الخوف ، واتفقوا بالوداد بينهم والمودة، وتألفوا الزنوج العرب ألفا لم يصرم منهم الى الآن ولم يتعرضوا بالاحكام قط لان تلك السنوات العرب كانوا من المشركين، ثم عمروا ما بين الجب وممباسة وكسمايو وأهلها من نحو مصر هنالك بلد يقال بانه (٢) فهم الباجوني (٣)

ثم فازه وسيوى وأهل سيوى من عمان — هنالك خور فكان الى الآن بلد تدعى سيوى وأهلها بنو سعدى ، ثم بتي وهم من أهل الشام ، وآم من أهل عمان وحجاز ، وأوزى فهم من أهل العراق ، يعنى الكوفة خاصة ، وكذلك أهل مليندى من الكوفة ، ويومب ، والاصح يومب عربية لاجل أهلها من اليمن من يومب (٤). فيومب هذا من ذلك . وكفى (٥) اسم قبيلة فهى

من جد عامر بن الحارث ، والمطافى من أهل الطايف ، وممباسة فهم من أهل الحجاز كما ذكرنا سابقا وبعض منهم من عمان من جلنداني نسبا ، فهم الذين يدعون كلنديني خطأ عظيما ، وانهم من ذرية جلند بن كركرة والمنتسب اليه الجلنداني قبيلة بعمان وهم الى الآن موجودين وبعض أهل ممباسة من اليمن والجوف وهم النغمي قبيلة من مهرة بن حيدان ، والمنتسب اليه يقول النغماوى عربية من غير خلاف ، والجوف هو ما بين

عسير وصنعاء اليمن ، ولم يختص بقبيلة واحدة الا قبائل شتى وطيوى عربية أصيلة ، وكان أهلها من طيوى وفنج فمن فنج التى بعمان ، وواسين عربية أصلية ، وواسين أعنى أحزن هو معناه لان أهل فنج كانوا يحبسون الناس هنالك ، فلما استوى مرض الطاعون والوباء خربت بعض البلدان والقرى والمدن وثبتت البواق الى الان وسكنوا العرب بساحل بحر الهند ، وكانوا يجيئون بالسفائن والمواشي غالبهم وبالبر كانوا يجيئون لاجل الحرب من سواكن وبربره (٦) ويتبعون القطب الجنوبى مقابلة ويكون

---

١) تضيف مخطوطة ب (وأرض الباجوني وعمروا أيضا أهل العراق ملندى وأصله تدعى ملود وفى النسخة ملوذ بالذال المعجمة ومعناه ملاذ من الاعداء عربية وملود واوزى قد بناهما أهل الكوفة الذين هربوا من الحجاج بن يوسف بتاريخ ٤٩ سنت ، وبنوا زنجبار أهل عراق وهى جزيرة أصلها كانت خاليه عن البنيان وكان الزنوج يجيئون اليها ليصيدوا السمك فيعبروا بالداوات ومتى وصلوا الى تلك الجزيرة يحرقوها خوفا من الحيات فموت الحيات بالنار فبذلك سميت اعود يعنى موت فالآن تدعى أغوج وقلبت زاء جيما وأما زنجبار فعربية من غير خلاف ومعناه — زنج بر — والبر معروف والزنج منسوب بالبر انتهى . وواسين متعاقبة أهلها فقالوا لهم واسين هنا أعنى احزنوا والكلام بذلك يطول فنذكر أمور تبع الحميرى .

٢) بانه بلد قديم بمديرية أسيوط بالاقليم الجنوبى من الجمهورية العربيه المتحدة، اشتهر بصناعة نسيج الاقمشة الملونه التى كانت ترسل الى داخل افريقيه .

٣) الباجونى نسبة الى الباجون وهم جماعه تسكن الساحل — وأطلق على منسوجات بانه (أنظر أعلاه) الباجونى بسبب أن تلك الاقمشة كانت ترد عن طريقهم حيث كانت تصل السفن القادمه من (مصر — البحر الاحمر) والقماش الباجونى نسيج به خليط من الصوف

٤) يومب . وأهل أيومب وغدف من يومب اليمن . هنالك بلدة تدعى يومب الى الآن عامرة

٥) كلفى . قرية بالقرب من أيومب كانت تدعى باسم قبيلة أهلها .

٦) أنظر مقال .. دويلات عربية على الشاطىء لافريقى ص ١٥—١٩ من العدد العاشر من مجلة نهضة افريقية

ظهورهم هو مولون نجم الجاهمدبرة ، وينزلون الى مقدشـــوه وغيره ، وسيرة الزنج تلك الايام كانوايقضون حوائجهم من أصـحابهم ، فكل الزنج كان يصحب صاحب من الزنج ،وادا توجه أحد من العرب الى بلدان الزنج يكون في حماية صاحبه وقبيلته اذا تعرض أحد من الزنج ، وكذلك العرب كانوا يحـمى الزنج من كل أمر من امور الحرب وغيره ، ومتى يستدان العرب من كشور ، وغاب عنده فالزنج يخذ (يأخذ) من مال العـرب غيره ويخبره كان فلان بن فلان هنا وسافر عنا وعليه كذا وكذا من مالنا ، فمالك هـذا موقوف فأت به علينـا حتى يستوفي ما عليه لنا فنكون لك من الشاركين (الشاكرين)

فصـل — وجـرى واسـتوى امـور بصـنعاء اليمن وذلك كان أبرهـه الاشرم الحبشي أمـير

النجاشي ، لما ملك اليمن ورأى الامير جيوشا أفواجا فى أيام المواسم وشهر ذى الحجة سائرين الكعبة فقال الامير أبرهـه لملوك اليمن سوف أبنى لكم دارا بدلا للكعبـة ، فقـال ملك من ملوك العرب بلى ابن لنا فقد رضينا ما ترجو منا جميعا ، فمـا كان من خـلاف بذلك (١) ، وبنى ابرهـه كنيسة عظيمة فلما فرغ من البنـاء وفرشها وقندلها بقنادل(٢) وشعلها أحد من أهل مكة ليلا وسار ،فلمـا أصبح سمع الامير ما كان من الكنيسة وغضب غضبا ، ان أهل مكة استغاظوا بهذا البيت حتى فعلوا ما فعـلوا : فسوف أهدم بيتهم حجـرا حجرا وجهز جيشا ومعهم الفيـل ، ولما وصلوا قرب مكة لم يقبل الفيل ،ولما كان وقت العصر جاء طـير أبابيـل ترميهم بحجارة من سـجيل فجعلهم

كعصـف مأكول ، وماتوا جميعـا وبقى منهم رجل واحـد وهرب الى أبرهـه الاشرم وحكى له ما رأى من شان الطير ولم يفـرغ من كلامه الا وحضر الطير ورمى عليه حجرا ومات فتعجب أمير النجاشي بذلك وانتقـل الحبوش الى بلادهم ، وأتبعهم العرب

من الحمير وقيس غيلان ، وكانوا مع الحبوش ثمانين سنة وماتوا العـرب بانقضاء أجلهم وبقـوا المولودين بدار الحبوش (الحبشة) ولا ينطقـون بالعربية لاجل تخليط الحبشـة وقلة العرب وكثرة الحبوش ، وفى تاريخ ٤١ سنت هجرية فى زمن أمير المؤمنين سيدنا عمر بن خطاب (الخطـاب) فصار العرب ، كلهم مسلمون ، فلما سمع بنو قيس غيلان الذين اتبعوا وقد تنصروا بأجمعهم، وذكروامامضى

من الازمان وأمور العرب القـديمة ، وكانوا يذكرون ذلك عند الحبشـة وغاظوا الحبـوش بمقالة العـرب وندمانهم (ندمهم) بماسمعوا كون العرب كلهم مسلمون وتنازعوا بذلك وهاجروا من أرض الحبشة الى أرض الجب وكانوا الكشور هنالك أصـل مكانهم ولم يتوافقون بينهم الا عداوة والبغضاء وكانوا بنو قيس غيـلان يقتلون الكشور كل يوم وليلة وهربوا

الكشـور جميعـا الذين بمجاورة النهـر الجب وبقيت الذين بوابة وشغوابه فلما وصل الى نهـر التن ولفظ التن عربية أصلية ومعناه الحجر الذى نبت بوسط النهر وسد مجراه ذلك الجبل وجرى الماء بعيون الجبل من أسفله الى أعلاه فيقال نهر التن والآن يدعى مت تان بلغة السواحل — انتهى — فلمـا وصـلوا النهر التن المذكور ورأوه نهرا عظيما فقالوا فى

(١) فى نسخة ب : فقالوا رضينا ابنـوا ونحن ان شاء الله ندخلها كما عادتنا)
(٢) قنـادل = قناديل مفردها قنديل .

قلوبهم أن بني قيس غيلان لايقتلون من كان لهم أسيرا لانهم يقطعون مذاكير الاعداء ولا يقطعون مذاكيرالاسراء(الاسرى) ، واستشاروا بعضهم بعضا واتفقوا برأى واحد وتوجهوا البكوم الى بني قيس غيلان فقالوا نحن قد رضينا ما ترضون ولاتجعلونا من أعدائكم واجعلونا من خدامكم ومواليكم ونحن لكم طائعين، فارفعوا عنا رماحكم وكونوا لنا من الناصحين ، فقالوا بنو قيس غيلان للكشور يعنى البكوم يا أيها الذين تذعنون بالطاعة لستم الآن ممن تكون بضاعة فطيبوا أنفوسكم (أنفسكم) وقروا عيونكم وكونوا لنا خداما وأمورنا لكم وعليكم لزاما والسلام . وسكنوا هنالك وهربوا وسفى ووبخ الى نحو طيوى وفنج وطبسج الى الان ، وامن الكشور الباقيين بشفوايه » ووأما استوى قتال بينهم وبين بني قيس عيلان أيضا وهربوا الى اعلى بساسه الى الارض التى يقال لها جرياما ، فلما وصلوا الكشور الى أرض جرياما استقوى الكشور برجل يقال له خزان لانه علمهم السهام الحديدية ، وكانوا أولا سهام الكشور حطبية ، ولما وصلوا وبنوا هنالك بلدهم تدعى كايه. ولم يقدروا بنو قيس غيلان على الكشور ، واستقوى الكشور وكانوا من الغالبين ، والى الآن لم يتركون تلك البلدة تفاولا بكونهم غالبين على بني قيس غيلان بذلك الموضع واستوطنوا وتولدوا أولادا ، ويصاحبوا أصحابا من أهل بساسة خاصة . وتقاسموا قبيلة الزنج من الكشور بقبيلة العرب فى بساسة فالجيريماوى (نسبة الى جرياما) بقبيلة بنى جلنداني . وهم الذين يقال لهم الكلندين ومشون لقبيلة العرب الذين هم من أهل الطايف ، فهم الآن يقال لهم المطافى بنسبة قريتهم فهى مطاياف ، والكلام سيطول بذلك لانهم يعلمون الى الآن كل قبيلة لقبيلة معلومة ، والله على ما أقول شهيد ، وأما مديغ ومسعى ومكمب وملوغ انهم تقدموا الى موضع الذى هم فيه ساكنون الآن ، ولا يخفى ذلك رعزؤء الذين كانوا مساكنهم حول نهر الجب ، وانتقلوا قبل أهل شغواية ، وامتلئت الكشور فى الارض ، وهربوا عنهم الزنوج غيرهم مثل وتودى وغيرهم الى الآن وسكنوا الباجونى بساحل البحر نحو شغوايه وبنو قيس غيلان فوق البر ، وألفهم الباجونى ولايتهم الفهم يوما ولا يتمنون المذاكير الا بقتل واحد من الباجوني ، ويقتلونهم قتالا ويصلحون .

فصل — وفى تاريخ سنت ٧٥ جاءوا العرب من شام وهم جنود من امير المؤمنين عبد الملك بن مروان قاصدين الى ساحل بحرالهندووصلوا الى مقدشوه والى كلوى وأرادوا الخراج من أهل البلاد وسلموا لهم وكان لهم أمير يقال له موى بن زبير الخثعمى وعلم الناس قراءة القرآن والدين وبنى بكلوى حصنا وفيه جملة أسلحة وكانوا أهل البلاد له طائعين من أولهم الى آخرهم الى أن انقرضت دولة بنى أمية عن دمشق الشام ، وبقى بأندلس اسم هذه الدولة فقط وكان آخرهم محمد بن عبدالرحمن . وفى تاريخ سنت ١٤٩ جاء المرسول من دولة العباسية الى السلاطين فى مقدشوه ومنذ الذى يقال له الآن منذ ربمى وام واوزى وكلفى وبساسة وزنجبار وكلوى وويب » وقال الامير المرسول لكل واحد مقالا الذى يسر قلب السامع بحلاوة لسان الوزير وكان الوزير يقال له يحيى بن عمر العنزى ، ونال من السلاطين مرادا ورجع الى بغداد بخير ، وأخبر أمير المؤمنين أبو جعفر عبد الله المنصور بكون أهل بلادنا انهم فى الطاعة

ولاريب فيه واخرج ماحصل عليه من الخراج وفرح أبو جعفر عبـــد الله المنصور فرحا بليغا وفى تاريخ سنت ١٨٩ كان امير المؤمنين أبو جعفـــر عبد الله هارون الرشــيد ببغــداد وخافوه الزنوج ولم يسلموا له خراجا وأرسل عساكره الى بلاد الزنوج وولى ولاة من الاعاجم وصـاروا أوليــاء الزنوج من كل قرية ومدينة والبـــا خصـوصا فى الجـزائر مثل كوايو وممباسة وجزيرة الخضرة وكلوى ثم بعد سنين وخافوا أهـل البلدان فى زمن أبو العباس عبـــد الله المأمون بتاريخ سنت ٢٠٩ فلما كان بتــاريخ سنت ٢١٣ ظهر القول بخلق القرآن وقامت الفتنة ببغـــداد وضعف أمر المأمون ببلاد الزنج بذلك وخالفـــوا

رجهز المأمون خمسين ألف عســاكر ووصلوا الى ملنـــدى وهزموا من فى البلدان والقرى والمدن بتلك الجيش ورضيوا مايرضى الخليفة وسـلموا الخراج للسنوات الماضيات أدبا لهم من أمير المؤمنين واســتوى الخلق فى الطاعة بتلك الجيش من غير قتال .

حكاية ــ واجتمعوا أهل ممباســـة وبرورها وملئت بممباسة وشعر أهلها بالجوع فقالوا أهل البر نسير الى بلداننا ولو كنا من الهالكين فقالوا اصبروا حتى يتبين الحرب لاجل هـذا نقيت حز وسميت بساسة مقيتا وأصل اسمها بالســواحلية كوغ وى وبالعـربية بساســة وقلبت بممبـــاسة باسم النصارى البرتغيس (البرتغـــال)

الذى كان حاكما فيها ومقيت بمعنى الحرب الذى اتى من بغداد بتــاريخ سنت ٢١٤ ثم ان الاتراك كانوا ببغداد ومنعوا الخلفاء ببغـــداد بأمور بلادنا بكونهم مسلمين وهم طائعـــين لرب العالمين فكيف تأخذون مالهم ولاتنفقون لاراملهم وفقرائهم واليتـــامى فلا لكم سبيل بذلك الا انكم تجورون عليهم

وتوفقوا بخـروج الخراج وذلك كان بالحيل من الاتراك ولا بالنصاحة ، ثم ان الاتراك صاروا بمركبين ووصلوا الى مند وبتى وسيوى وتناســـلوا هنالك ورجعوا الى بلدانهم من غير مكروه

فصـــل ــ وفى تاريخ سنت ٩٠٦ جاء النصارى بست مراكب شراعية وأميرهم يقال له وسكودغام ومر بزنجبار ورضيوا له واتى الى بساسة وامتنعوا عنه وتحاربوا وحاربهـــم وانكسرت مراكب واحد وبقيت خمسة وأتى الى ملود ورضيوا به وفرح بذلك واعـز الملك بملود وحواليه بمال وافرواجذل له شاكرا ثم مضى الى بتى ومندوانى مقدشوه وبراوه ولم يصل الى أوزى ثم مضى الى بر الهند وذلك بمدة سنتين ثم رجع الى بلاد الزنج وحارب ممباسة وفتح ودخل بقوة الله تعـالى وبنى الكوت وأوله كان جبلا رفيـه غارات كثيرة وسد تلك الغـــارات الداخلة والخارجة ورفعوا سمكه وبوبه وبناه بأحجـار مربعة بمدة ثلاث سـنين وسكنوا فيه واتوا بالمدافع الطـوال والسـلاسل والأعلال وكان السلطان بأرض بساسة يقال له حسين وحبسه النصارى وســيره الى الهند وتم له هنالك ثلاث سنين وولى واحد من أهل ملود أى ملندى على بساسة من أهل البورى الملندى العنزى فالبورى نسبة من قرية بحضرموت وقيل بورة التى قرب بنط سعيد وكلها فيهمـا بنوا عنزه بن أسد بن ربيع بن نزار فالبورى نسبة لقرية المذكورة فلمـا استقر ملك النصـارى برتغيس كان حاكم يسكن الكوت فسمى حارة غفانه والآن صار مناء يلفان . وكان اسمه بمباسة وقيل بومبساو قلبت بساسة ممباسة باسم الحاكم فيها بوم بيسا ولاندرى معناه والله أعلم ، وسكنوا بتى وكان ذلك الدهر مملكة فيهـــا وشيله ، وشيله هى كان أحـد من البوادير البرتغيس بنى كنيسة هناك

لينظر البندر وكان لهچيله فلماجاءوا أهل مند وتاقه وكتاء وبنوا هنالك قريةالتى الىالآن فسميت شيله وجرى أمر النصارى مدة طويلةحتى بعد ذلك جاء أمير قيد الارض يقال لهسالم الصارمي وخرج النصارى الدين كانوا في مقدشوه وبركه وبراوه وبتى وآم

وشيله جميعا ورجع الامير الى عمان مسرور الحال واخبر الامام أخبار النصارى وانهم كانوا يفعلون أمور مكروهة والآن المسلمون يدعون لك

العمر الطويل رفعت عنهم الذل والجور بأمر الذى يسمع بشكوى وكان ذلك الوقت سنة ١٠٧٦ وطاب قلب الامام بذلك ثم امام سيف بن سلطان اليعربى كان له بغلة تقال لها فتح الاسلام

وكانت تسافر الى جهة السواحل ويبحث أخبار البلدان وما فيها من النصارى والذى يجور فيها ويعدل

وكان بأرض ممباسة حاكم يقال له بومباس وهو الذى سمي باسمه البلد وفسق يوما وبان أمره عند أهل ممباسة

وفسق أيضا فلماكان امير البرتغيس يفعل المكروه على أهل ممباسه وسفروا رجلا الى مسكت (مسقط) في بغلة الامام التى تقال لها فتح الاسلام وأخبر

الامام ما جرى بارض ممباسة بأفعال بومبيسا فهو حاكم فيها وغضب الامام فقال للامير شهداد بن شهدى البلوشي

هل سمعت مقال أهل ممباسة فقال شهداد نعم فقال الامام لاميره اشترى ثياب وبضائع وجربا وسافر بها الى

ممباسة وانزل البضاعة واستأجر دارا وبع قليلا قليلا وانظر مدخل القرية

ورغب أهل القرية فينا وارفق عليهم رفقا الذى يجرى بين الولد والوالد

فقال الامير سمعا وطاعة لله تعالى ثم لك يا ايها الامام وجهز السفر الامير شهداد بن شهدى البلوشي الى ممباسة

وحمل معه حسن البضائع ووصل الى ممباسة بتاريخ سنة ١٠٨٦

واستأجر الدار التى بوسط البلد وباع ماعنده من البضائع ولم يعلم أحد من النصارى سوى رجلان من أهل

ممباسة الذين سائرين الى مسكت وكان الامير شهداد بن شهدى يبيع وينفق على الشيوبه وزارا وقمصانا وتمرا ولم يزل ذلك حتى كان عند

أهل ممباسة محبوبا مكروما ويسيرون الى البر معا ويرجعون معا حتى علم الامير سبل ممباسة جميعا فلما استوى الموسم وسفر الى مسكت واخبر الامام

سيف بن سلطان اليعربى ما كان وما جرى بأرض ممباسة بأفعال حاكمهم الردية فقال الامام فقد وجب علينا ان نرد المظالم وبالله التوفيق . فجهز الجيش

وجعل مقدمهم وأميرهم شهداد ابن شهدى البلوشي وسافر بالمراكب الشراعية والسفن وعندهم ربان من اهل ممباسة فلما وصلوا الى ممباسة

ودخلوا السفن خور كلندين ونزلوا عساكر الامام ووافقوا أهل ممباسة اتفاقا كون الحرب برأى واحد يكونوا مع عساكر الامام قيد الارض ومركب الامام قد ارسى على باب كلندين

والمدافع طيار ودخلوا النصارى فى الكوت واغلقوا باب السكوت وكانوا يضربون المدافع فى الكوت ولم يصب على مركب الامام رصاصهم لاجل على الخور كلندين تحتيه والكوت أعلى

وكانوا النصارى تلك الايام مراكبهم شراعية يجيئون من ولايتهم الى ممباسة بست أشهر وزيادة ولم يصل اليهم حتى مركب واحد وكانوا يستغيثون ولم يغاثوا أحد مدة أربعة أشهر فلما رأوا عساكر الامام انهم فى

البلد آمنين وناموا ولم يسهرون وخرج النصارى اتفاقا ، وهجموا على العرب

هجمة واحـدة وقاتلوهم وماتوا من العرب بقدر مائتين نفر وكان الامير شهداد ذلك اليوم قد بات فى المركب فلما سمع الامير بنادق نزل مع العساكر وتقاتلوا ثم ان النصارى دخلوا الكوت وأغلقوا بابا فلما رأى ذلك الامير شهداد عمل السلالم وطلع بها العرب على الكوت من ناحيه المغرب ونزلوا عليهم والنصارى سكران وهم نيام وقتلهم وهزمهم وخرجهم وكانوا من المغلوبين وتملك الامير شهداد كوت ممباسة وذلك بعد خمسة سنين بتاريخ سنت ١٠٩١ وقبل بتسع سنين فى سنت ١٠٩٥ وهو الاصح على قول المتقدمين فرج بن احمد ومحمد بن احمد الحميرى ثم ان الامير شهداد بن شهدى أقام بمباسة اثنى عشر سنة واستخلف رجلا من وزرائه يقال له ناصر بن سالم العاصرى وتوجه الامير شهداد الى عمان لزيارة الامام سيف بن سلطان وقام هناك بعمان سنتين ومات ناصر بن سالم ورجع الامير شهداد الى ممباسة وقام بعد ذلك سبعة سنين ومات الامام سيف بن سلطان اليعربى بتاريخ سنت ١١١٦ الى رحمة الله تعالى .

(طبق الاصل) ويتبع
أ.ب.ح

الانسان والسرعة

يستطيع بعض أهالى قبيلة ((ناميب)) فى أفريقية الجنوبية مسابقة الغزلان والتفوق عليها فى سرعة عدوها ، فاذا علمنا أن سرعة الغزال هى ٣٠ ميلا فى الساعة ، أدركنا أن نسبة العدو هذه لم يصل اليها انسان الا فى هذه القبيلة التى يصيد أفرادها الغزلان بمطاردتها ثم بالقبض عليها .

من عادات العرب في السودان

بقلم الدكتور عبد الحميد السيد طلب

للعرب في السودان عادات وتقاليد يتصل بعضها بعادات العرب وتقاليدهم في موطنهم الاصلي « الجزيرة العربية » وبعضها وليد البيئة التي عاشوا فيها واختلطوا بغيرهم من سكانها بعد هجرتهم اليها .

وقد قضيت في السودان أربع سنوات ، تنقلت في خلالها بين القبائل العربية في السودان ، سواء من يرجع منهم الى الاصل العدناني أو الى الاصل القحطاني ، واطلعت على كثير من هذه العادات والتقاليد ، وسأذكر في مقالي هذا بعض هذه العادات التي ترجع في أصلها الى العادات العربية ، فمن هذه العادات :

١ ـ **حماية الجار** : فالعرب في السودان يفتخرون بهذه الصفة ، ويتغنون بها ويحرصون عليها ، فاذا ما استجار بهم انسان أجاروه ، وان احتمى بهم ضعيف أعانوه ، مهما بذلوا في سبيل جواره ، ولن يستطيع امرؤ ان ينال من جارهم مهما كانت قوته أو مكانته ، ولقد ظهرت تلك الصفة جلية واضحة في شعرهم الشعبي ، وهذا أحدهم يفتخر بأن جاره عزيز لايهان ولا يضام سواء في حضرته أو في غيبته حيث يقول :

شن غب شن حضر ها بندكن جاري

كما يقول آخر :

ألجانا شرطا نجيره لو بكون مهزوز
والناس العزاز جارهم كريم معزوز

وتلك عادة عربية ، ورثوها عن آبائهم وأجدادهم العرب ، وفيها تأييد لما ذهب اليه أكثر المؤرخين من ان السودانيين يرجعون في نسبهم الى الاصل العربي .

وفي كتب الادب كثير من القصص والشعر عن حماية الجار عند العرب ، تلك الصفة التي بلغت عندهم مبلغا لم تبلغه عند غيرهم ، حتى كان الواحد منهم يجير قاتل ولده أو أخيه ، أو يفتدي جاره بولده وفلذة كبده ، وقصة السموأل في الجوار معروفة ، وقد افتخر شعراؤهم بحماية الجار ، وفي ذلك يقول أحدهم مادحا :

هم يمنعون الجار حتى كأنما
لجارهم بين السماكين منزل

ويقول آخر :

هم يمنعون الجار حتى كأنه
كثيبة زور بين خافيتى نسر

ويقول ثالث :

وما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل

٢ ـ **العقيرة** : ومن عاداتهم (العقيرة) وهي ذبح الماشية أو الضأن في الليلة الاولى بعد دفن الميت ، وهي عادة منتشرة بين القبائل العربية في السودان .

وتختلف العقيرة باختلاف قدر الميت ومكانة أهله ، فبعضهم يعقر جملا أو ناقة ، وبعضهم يذبح بقرة أو يقدم كبشا وهكذا ، وبعضهم يوزع لحم

العقيرة على الفقراء دون طهي، وبعضهم يقدمه مطهوا .

وهذه عادة عربية كانت شائعة في الجاهلية في جزيرة العرب ، فقد كانوا يعقرون على قبر الميت ، وقد اختلف العلماء في سبب هذه العادة، فقال بعضهم انهم كانوا يفعلون ذلك ليكافئوا الميت على ماكان يعقره من الابل في حياته . وقد قال زياد الاعجم :

وإذا مررت بقبره فاعقر به .
كوم الجلاد وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها
فلقد يكون أخا دم وذبائح

ويقول آخرون : ان ذلك كان من قبيل تعظيم الميت ، وقيل انهم كانوا يعقرون الابل وهي أنفس أموالهم ليبينوا بذلك انها قد هانت عليهم لعظم المصيبة

٣ - الوشم :

ومن عاداتهم العربية في التزين والتجمل وشم اللثة والشفة السفلى في النساء ، وهذه العادة منتشرة في معظم القبائل في السودان ، وهم يعتبرون ذلك جمالا في المرأة ، وقد تغنى به شعراؤهم كثيرا ، من ذلك قول أحدهم :

قدمك يا أم سرور ماشاف علالى السوق
لقبك(١) نيلة السحب اللفن له بروق

ويقول آخر :

دغمة (٢) خشمك الضحوي المرزقين غادي

الى غير ذلك من أشعارهم الشعبية التي قيلت في الغزل بأولئك النسوة اللاتي وشمن شفاههن أو لثاتهن .

وهذه عادة عربية جاهلية ، فقد عرف عن النساء في الجاهلية أنهن كن ينقشن شفاههن حتى تبدو زرقاء، ويشمن لثاتهن بالاثمد ، وفي ذلك يقول النابغه الذبياني .

تجلو بقادمتي حمامة أيكة
بردا أسف الناته بالاثمد

كما يقول طرفة في ثغر محبوبته:

سقته أياة الشمس الا لثاته
أسف ولم تكدم عليه بأثمد

وقد امتدحت العرب اللمى واللعس وهما السمرة والسواد في الشفتين ، واعتبرتهما جمالا في المرأة .

ولم يقتصر الوشم عند عرب السودان على الشفة أو اللثة ، بل وجدناهم يشمون ظاهر اليد أو الذراع، وينقشون رسوما مختلفة أو صورا للحيوانات والطيور، والنساء مولعات به ، وهو قليل في الرجال، وفي ذلك يقول أحد شعرائهم الشعبيين :

استنطوا كلامي انتو ياسامعين
أنا أخو الفوق يمينه سلم الدراسين
وسلم الدارسين رسم يدل على
كثرة المحبين للمرأة الذين درسوا وهلكوا في حبها .

وهذه العادة عربية أيضا ، فقد كان العرب ينقشون غالب أجسامهم بأنواع من الوشم على صورة حيوانات وغيرها ، وكثر ذلك عند النساء أما الرجال فانهم كانوا يشمون في بعض مواضع من الجسد بزعم أن الوشم يقوي المفصل الذي وشم عليه ، وفي قول طرفة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

اشارة الى هذه العادة .

٤ - لبس الرهط :

وتلبس الفتيات اللاتي لم يتزوجن بعد مايسمى عندهم (الرهط أو الرحض) وهو عبارة عن حزام جلدي أحمر مشقق الى سيور تشده الفتاة في وسطها كالسروال ويبالغ بعض السودانيين في الرحط فيجعلون خيوطه

١) اللقب : ما بين الثنايا من اللحم والمراد اللثة .

٢) الدغمة اللون يضرب الى السواد.

دقيقة كخيوط الحرير ، ويرصعونه بالخرز المختلف الالوان ، ويمكنك أن تميز من يلبسن الرحط من الفتيات فان سيوره تحدث صوتا مسموعا عند التقائها بأفخاذ المرأة أثناء السير ، ويكثر في شعرهم الشعبي ذكر الرحط كما تتغزل شعراؤهم بالفتيات اللاتي يشددنه ، وهذا أحدهم يتحرق شوقا الى محبوبته ذات الرحط وقد حال السجن بينه وبينها فيقول :

جابولنا الطلح أمرونا به كسيره
شايقني غرام رحطا مجرجر سيره

وهذه العادة مأخوذة عن العرب أيضا ، فقد عرف عنهم لبس الارحاط ، وقد جاء في «لسان العرب» أن العرب كانوا في الجاهلية يطوفون عراة والنساء في أرحاط .

ويقول الشاعر :

بضرب في الجماجم ذي فروغ
وطعن مثل تعطيط الرحاط

٥ ـ ازالة الشعر الثابت على الجباه والخدود :

ونساء العرب في السودان مولعات بازالة الشعر الثابت على الجباه والخدود ، وذلك بالخيوط أو الرماد ، وليس ذلك مقصورا على المتزوجات فحسب ، بل ان الفتيات الصغيرات يفعلن ذلك ، ويبدو أثر ذلك جليا في جباههن .

وهذه العادة عربية وتعرف بالاحتفاف ، وهي ازالة الشعر بخيطين وقد وصف شاعر عربي احدى الزوجات وقد غاب عنها زوجها ، ثم أخبرت بقدومه ، فأسرعت تستدعي من تساعدها على تلك العملية حتى تبدو جميلة أمام زوجها ، حيث يقول :

فلما مضى شهر وعشر لعيرها
وقالوا تجيء اليوم قد حان حينها
أمرت من الكتان خيطا وأرسلت
جريا الى أخرى قريبا تعينها
فمازال يجري السلك في حروجهها

وجبهتها حتى ثنته قرونها

٦ ـ عادات عربية ترجع الى الخرافة :

ولهم عادات ترجع الى الخرافة وان كانت ذات أصل عربي ، ومنها :

أ ـ اختلاج العين :

وهم يعتقدون في حدوث خير أو شر من وراء اختلاج العين ، ويسمون ذلك (الرف)

وهذا معروف في مصر أيضا ، ولكننا نجدهم في السودان يفرقون بين اختلاج الجفن الاسفل والجفن الاعلى ، فالاول دليل التشاؤم وتوقع حدوث الشر والآخر دليل الخير والبركة ، على حين نجدهم في مصر يفرقون بين اختلاج العين اليمنى واليسرى ، ولكل انسان اعتقاد خاص ، وتجربة شخصية في كل منهما ، فبينما يتفاءل أحدهم باختلاج العين اليمنى يتشاءم به الآخر .

وهذه عادة عربية أيضا ، فقد كان العرب يعتقدون ان العين اذا اختلجت رأت من تحبه ، وفي هذا يقول الشاعر العربي :

اذا اختلجت عيني رأت من تحبه
فدام لعيني ماحييت اختلاجها

ويقول آخر :

اذا اختلجت عيني أقول لعلها
فتاة بني عمرو بها العين تلمع

ويقول ثالث :

اذا اختلجت عيني تيقنت أنني
أراك وان كان المزار بعيدا

ب ـ الخدر :

ومن عاداتهم أيضا اعتقادهم في (الخدر) وهو ألم ينتج عن حركات المفاصل والاعصاب

ويقولون ان من أصابه هذا الالم يشفى اذا ضربه في مكان الالم البكر من أبويه .

وفي صعيد مصر نجد هذا الاعتقاد ، ولكنه يختلف عما في السودان ، اذ يعتقدون ان « المخدور » في يده أو

رجله يزول عنه ذلك اذا داست مكان الالم امرأة سبق ان ولدت توأمين .
وهذه العادة الخرافية مأخوذة عن العرب القدامى أيضا ، ولكنها تختلف بعض الاختـــلاف ، فالعرب كانوا يعتقدون أن من يصاب بالخدر فيذكر أحب الناس اليه يزل ذلك عنه

وفى ذلك يقول كثير :

اذا مذلت رجــلى ذكرتك أشتفى
بدعواك من مذل بهــــا فيهون

وقالت امرأة من كلاب :

اذا خدرت رجلى دعوت ابن مصعب
فان قلت عبد الله أجــلى فتورها

وقيل ذلك لابن عمر ، وقد خدرت رجله فقال : وامحمداه .
وقال آخر :

اذا خدرت رجلى تذكرت من لها
فناديت لبنى باســـمها ودعوت

حـ ـ رمى السن فى عين الشمس:

ومن العادات الخرافية أيضـــا : اعتقادهم ان الطفل اذا سقطت احدى أسنانه وأمسك بها فألقاها فى عـين الشمس ، طالبا منها أن « تأخذ منه سن الحمار وتعطيه ســـن الغزال » نبتت سنه بعـد ذلك سليمة معتدلة وهذه العادة مازالت منتشرة حتى الآن فى ريف مصر ، وقد كان للعرب مثل هذا الاعتقاد أيضا، فقد كانوا يزعمون أن الطفل اذا ثغر فرمى سنه فى عين الشمس بسبابته وابهامه ، وقال : أبدلينى أحسن منها ، أمن على اسنانه العوج والفلج ، وفى ذلك يقول طرفه:

أبدلته الشمس من منبته
بردا أبيض مصـــقول الاشر

مصر وغانة

قال نكرومه : ان المعتقدات الدينية متشـــابهة الى مدى بعيـــد بين مصر الفرعونية وغانة . وما زالت المقاعد تصمم عندنا الى الآن على طراز المقاعد الفرعونية . وما أشبه الصنادل عندنا بالصنادل الفرعونية القديمة .



الى جولى تافوايرينى

بقلم الاديبة السودانية

خديجة صفوت

على المسالك المتفتحة
على الدروب اللامتناهية
على الساحات الطافحة
أكتب اسمك .

كان يترنم بصوت خافت رخيم على حين تعبث أصابعه الضخمة بأوتار جيتار بدا صغيرا بلا حول بين أحضانه الهائلة .

انه افريقى
يعزف لحنا افريقيا
من صدى غابات أفريقية

وعندما أغمضت عينى ، وسبحت مع اللحن الهادىء أولا ، العنيف تدريجيا ، المتذبذب كأمواج طوفان عارم على صخور حارة ينشد الانعتاق ، ويتوق الى أرض خصيبة ندية رطبة ثم يسكن .

وسبحت مع اللحن وقد أثرت على ذهنى كلماتها التى كانت تخرجها قوية متدفقة تعبر ببريق عينها بالرغم من ضعف اللغة المتبادلة بيننا .

كانت تتكلم بحرارة دائما . وبقوة .
انهم جميعا يتكلمون بحرارة وبقوة .
وعندما يذكرون بلادهم ذات الغابات الغامضة الهائلة المسكونة بأرواح شهدائهم ، وسهولهم الخصبة العذراء المورقة دائمة الخضرة الربيعية عندما يتحدثون عن افريقيتهم السوداء يلمع البريق الحنون نفسه فى عيونهم الواسعة السوداء التى تبعث فيك شعورا بأنها لابد أن تملك مقدرة الاضاءة فى ظلمات الغاب كعيون الفهود المتحفزة . ولكن البريق يحتوى التحفز والحنان ، ويملأ السمة عواطف متباينة مضطربة ، والسواد أملا أكيدا فى الفجر الذى يصفونه .

على الحقول ، على الافق
على أجنحة الطيور
أكتب اسمك .
ما زال يغنى .

ـ لقد أصيب محصول الكاكاو هذا العام .. و ...

وفقدت بعض أفراد أسرتى ووصلنى خطاب بذلك ..

انه يتحدث كما لو كان يلقى أخبارا مطلقة .

ـ كيف ؟

ـ انها أختى الكبيرة . المتزوجة .
لقد وجدوا لديها صورتى **فأعدموها .**

ـ أمن أجل ذلك أنت صامت منذ الامس ؟ انك لست مرحا كأمس الاول !

ـ كلا مطلقا . من قال ذلك ؟ فلقد تلقيت النبأ أمس الاول (!)

ـ تذكرت .

انهم لايأملون فى رؤية أهليهم ، ويعلنون هذه الحقيقة دائما ، ربما لكى لاينسوا . دون أن تختلج عضلة بوجه ، كأنها أمور طبيعية محتملة .

وكنت أعجب من داخل أعماقى البورجوازية العواطف ، **وأصمت**

ولكن لن يفقدوا حتى مجرد وجودهم فى مكان ما أو على أرض ما . **مهما بعدت** ومهما ضعف أمل لقياهم فى ميعاد ما . فأمر لايحتمل صمودى البورجوازى المتداعى .

ـ ولكن أين الاطفال وأين زوجها !
ـ الاطفال . ربما أعدموا أيضا ، أو تركوا ليموتوا جوعا . أواه ان هناك آلافا يمتن فى حالات وضع أو وباء . ان أختى محظوظة

لقد ماتت بشرف .
انه يحسدها عليه .
ومرة أخرى عجز فهمى البورجوازى عن ملاحقة قطارأفكاره على قضبان مفاهيمه .

على غياب بلا رغبة
على عزلة عارية
على خطوات الموت
أكتب اسمك

انه يواصل بهدوء كانما يحلم
وصاحت واحدة :
ـ ان هذا يزيد من رومانطيقية المشهد !!
ـ أنه يلائم حضرة الشاعرة . هه أليس كذلك ؟

انها تعرف المرح . يا الهى انهم جميعا يمرحون كأطفال شباع خرجوا لتوهم من حمام دافىء .
انها «مارث»التىأضفىعليها خيالى البورجوازى ـ وأنا أستمع اليها ـ جهامة الحزم ، وكآبة كلاسيكية ملازمة للبطولة وأصحاب الاعمال المجيدة الخارقة .

انها تمرح ، هذه التى لم تر أمها منذ خمس سنوات . هذه التى هجرت بيت أبيها الاقطاعى المترف ـ التى تخلت عن رسالة كانت تعدها لها راهبات ديركاثوليكى فى أعماق غابة حزينة بالكاميرون . .
انها تمرح تلك التى خلفت زوجها ودارها واحترفت الثورة ، وكانت أول محترفة سياسية فى الحزب .

انها تمرح ياخيالى البورجوازى الذى يلقى على الابطال أوسمة المعارك النابليونية .

كانوا يطعمون بالشعور نفسه الذى نطعم به طبقا لانرغبه . يفشلون وينجحون بشعور الزائر الذىلايجيد فنالزيارات . مجرد ضيق دونتوقف بغير يأس .
أواه يامعاييرى البورجوازية
التى لاتجدى حتى الباحثين عن ترف الذهن
لقد تكلمت فى آلاف من النساء. نساء لايجدن حتى التحدث بلغة بلادهن ، وكن يرتجفن بغضب وحماس زنجيين ويصفقن فتهتز الغابة مرتعبة ، ويسرع الغروببركبه ليسلمهن لوشاح ليل الغاب الأسيان .

على الغابة والصحراء
على الاعشاش على الوزان
على صدى طفولتى
اكتب اسمك

يضيف خلفية مشجية للمكان
. . وقد اقتلعوا ظفر بنانها لانها أشارت به فى وجه رئيس الشرطة الفرنسى . .
عندما اعتقلوها ياخضابى البورجوازى النمق . .
يا أناملى المرهفة التى تقطر حساسية كحساسية المعتلين . لقد اقتلعوه .

اعتقلوها فى تلك الامسية التى لم يضىء ليلها المدلهم سوى بريق أعين الفهود المتحفزة . . وبقايا نيران خافتة تبعث الى السماء مع دخانها أذرعا سرطانية قاتمة الزرقة تشيد قسم اتحاد الشباب الكاميرونى .

لقد كانتآخر المتحدثين فىمقاطعة أذناب الفرنسيين والاقطاعيين العملاء وبائعى نشوق الغيبوبة والخدر الكبير الذى يسمونه عندهم « الميعاد »
كانت تعلم أنها تدين أباها أمام آلاف الجموع العارمة الحقد ، وانها

أباحت دم أبيها . أبيها الذى تعلم قبل عيرسا ان عروفه المرتعبةتنبض بسم الخيانة .
ونحن ما نزال نلثم أيدى المتحين بلحى التقوى سحن الدعارةوالزيف.
ونحن ما نزال عاجزين بانفاقى البورجوازى

وعبق المكان
على كل جسد منغم
على جباه رفاقى
على كل يد مبسوطة
أكتب اسمك

***

لقد امتهنوا جسدها فى تلك الليلة من ليالى الصمت المتحفز . لقد أخذوها ياشرفى الطفيلى
ولم يرتجف لها عصب تلك التى تضحك بوجهها وشفنيها وكل جسدها . لم يرتجف عصب فى جسدها الزنجى الملتهب . لقد أخجلهم برودها فى تلك الليلة من ليالى الصمت المتحفز

كانت هنك جثتان : احداهما لحبلى سيظل جنينها فى شهره الرابع أبدا . كم من القصص كانت تحفظها له عندما يأتى ! كم من القصص التى لن تروى على رأس مهد ناعم من ريش الطيور الافريقية! مهد لن يقام أبدا وقصص لن تروى قصص وأساطير وحكايات خرافية من خرافات الجنوب الكئيبة كآبة الغابة فى تلك الايام . وأمثلة عن حياة تافوايرينى — أعظم الآباء كرامة . تافوايرينى الذى أخذ على عاتقه أمر القيم بصليبيته من أجل حرية الكاميرون .

والاخرى جثة بعيون ترى . صامتة شاخصة كالابد .
لقد أخجلت أعداه الكاميرون فى « عريهم الفاجع »
لقد اغتصبوا ميتة ..

وعندما ابتعد القمر تحركت لنهرب . وتسلل الفجر طارحا أصوات الغابة الوهمية والمغلفة بالأسرار . وألقت نظرة وعد الى جثة الام ونظرة حب الى جثة الطفل . انها تضمه بحنان أفضل الامهات ذلك الذى سيظل فى شهره الرابع الى الابد .

« كل الليالى لها فجرها »
لتحمل النساء لك ولجميع الامهات الراحلات والاطفال الأجنة أبدا زهورا فوق أذرعتهم المعترفة بالجميل . عندما تعود الأزمنة أفضل ، عندما تصبح الحياة عيدا لاينقطع من « العمل والفرح » والمحبة

وهربت لتتابع الكفاح
— أشاعرتنا بسبيل قصيدة حالمة ..؟ أم هى فى أودية مورقة من خيالها ؟
— .. أبدا كنت أفكر وحسب
— فيم ؟
— لاشىء .. لاشىء
— بالمناسبة لقد احتفظت بمقتطفة لك نشرت فى الاسبوع الماضى . أود أن تترجميها لى .
— أية مقتطفة ؟

وأخرج من جيب سترته قصاصة بها شعر فوقه صورة .
— انه . انه سخيف لاداعى للاحتفاظ به .
— لا ، أرجوك سوف ألجأ الى أحد الزملاء ليترجمها لى ..
ماهو العنوان ؟
وخجل غرورى البورجوازى
— انها .. انه للحزن

وفى شبه اعتذار
— رومانطيقية مضجرة . لقد نبشها المحرر دون أن يعلمنى نيته. مقطوعة قديمة تاريخها يرجع الى عامين

كذب ...

وان يكن

ان حرب الجزائر بدأت منذ ثلاث أعوام . ولم تر مارت أمها منـــــذ خمس واحتفلنـــا بمرور عام وحسب على استقلالنا منذ شهر فقط .

وتنتزع فرنسا الارستقراطيةالخبز والثقافة منذ أعوام طويلة لنسج أردية منمقة من نتـــاج تعاســـة الشعب الكاميرونى .

ــ ان مدنية جديدة مختلفـــة قد ولدت فى قلوبنـــا من وحى تلك التى استحوذت على أكثر من سدس الكرة الارضية

ياحزنى البورجوازى

ولكن أمارو يقـــول : « التعاســـة ليست سوى مقدمة الحرية »

« وبقوة كلمة
أبدأ حياتى ثانية
لقد ولدت لاعرفك
لاسميك
أيتها الحرية »

ــ لم أكن أدرى أن الحرية مطيعة الى هذا الحد .

ــ الحرية ؟؟ ان الحرية ليســـت باهظة الثمن على الاطلاق . «وحتىاذا بلغت ثمنا هو الموت » . اذ مامعنى الحياة فى القيود والمذلة ؟؟

نعم مامعنى الحياة ــ أى حياة ــ فى القيود والمذلة .

بودى أن أتعرف على أكثرالكلمات انسانية وأعظمها بطولة . هذا الشعب الذى ديس واحتقـــر وسلب قـــوته وكيل لايدع مجـــالا للامبـــالاة أن تســـيطر عليـــه . انه يعمل ويأمل لايأمل بلا عمـــل ولا يعمـــل الا بأمل عظيم .

لقد ولدت لاعرفك
لاسميك
أيتها الحرية

كان صـــوته هادرا . جريئـــا ، كالشعب بل ككل الشعوب ، وديعـــا ومزمجرا . صبورا وعارما . عادلا ورهيبا .

انه الشعب لايسمح « بلا مبـــالاة مشئومة » للسيطرة عليه . يهـــدهد بين ملايين العيون أملا لامتناهيا . لتصبح الحياة عيديه الفرحة بالمحبـــة والسلام والعمل .



ان الصيحة التى بعثتها منذ عهد فى بلجيكا الانتقادات الموجهة ضد الادارة البلجيكية فى الكونغو ،تعتبر نذيرا بالخطر ، حتى انها حركت ملك بلجيكا نفسه منذ عامين ودفعته للقيام بزيارة أكثر مناطق المستعمرة الشاسعة الاطراف فى جولة للدعاية استمرت مايقرب من شهر. ولم يكن لتلك الزيارة فى الحقيقةصدى يذكر فى الصحافة العالمية ، ولكن صحف بروكسيل بالغت فى أهميتها لتلفت اليها الانظار ، وكان يبدو جليا من خلال مقالاتها الرئيسية ومن أخبار مراسليها رد الفعل السىء الذى أوجده هذا الانتقاد المرير المنبعث أحيانا من جهات عليا فىعالم اليوم، وكان اهتمام تلك الصحفملحوظا فى تبرير وجود البلجيكيين فىالكونغو ،

ويحق للبلجيك أن ينزعجوا لذلك اذ أن بلجيكا بمساهمتها التى لا تتجاوز ٣٠ ألف كيلو متر مربع وسكانها الذين لايتعدون تسعة ملايين تجلب من مستعمرة الكونغو الهائلة ، — التى تقرب مساحة أراضيها من مليونين ونصف مليون كيلو متر مربع ، ويسكنها مايقرب من ١٢ مليون نسمة نصيبا لابأس به من ثروتها ، ليس فى شكل تجارة خارجة فحسب ، ولكن فى هيئة استيراد مواد أولية أيضا ، ثم هى مجال لاستيطان الفائض من السكان ومركز هام للنقل البحرى والجوى، ومورد لعدد ضخم من أفراد الطبقة البيروقراطية ، ولايفوتنا أن نقول ان وجود هذه المستعمرة له هيبته الدولية ، لانها تعتبره ضمانا قيما للقروض وما أشبه ذلك .

وعند ذكر التجارة الخارجية ، يكفينا القول بأن مايصدره ٩ ملايين بلجيكى الى بلاد الكونغو ، يفوق بمراحل مايصدره ٤٨ مليونا من الايطاليين فى افريقية كلها .

ان امكانيات الكونغو الضخمة بدأت تظهر للعيان ، وأعظمها شأنا مناجم الاورانيوم الهائلة ، ولهذا أسرعت بلجيكا لانقاذ نصيبها من الغنيمة الافريقية والحيلولة دون اصابتها بضرر ما وذلك بالرحلة الملكية بقصد الدعاية .

وقد كتب مصور صحفى محايد بتاريخ ١٢ من يونيو عام ١٩٥٥ يقول « ان زيارة الملك لممتلكاتنا فيما وراء البحار قد كشفت لجماهير الشعب بمختلف طبقاته عن أهمية تلك المستعمرة لحياة بلادنا ورفاهيتها » .

أما عن كون بلجيكا مرتبطة ارتباطا وثيقا بالكونغو ، فيدل عليه الخطاب القوى الذى ألقاه الملك نفسه بتاريخ ١٧ من مايو عام ١٩٥٥ فى ستاد «بولودفينو» بمدينة « ليوبولدفيل » فى حشد من الناس يزيد عدده على ٧٥ ألف نسمة ،اذ دافع فيه بحرارة عن سيادة بلجيكا لبلاد الكونغو ، ووجه الملك كلامه للحاضرين من البيض والسود مناديا اياهم « مواطنى الاعزاء »وقد أثنت الصحافةالبلجيكية

على هـذه العبارة واعتبرتها تصديقا للمساواة فى كل الامـور (وبنوع خاص حق كل منهـم فى أن يكون بلجيكيا) وذلك بالنسبة لابناء بلجيكا وأبناء الكونغو على السـواء ، وهى مساواة ليس لها فى الحقيقة أى وجود الى يومنا هذا، لان البلجيكيين يعتبرون « مواطنين بلجيكيين » وأهل الكونغو يعاملون معاملة الرعايا التابعين .

وقد أيد العاهل البلجيكى فـكرة ادماج الاقليم الاوروبى الصـغير فى دولة موحـدة مع مجمـوعة الاراضى الافريقية الواسعة الارجاء عندما قال: « ان والدى الملك ليـوبولد الثالث الذى ارتبط هو وأسلافه بهذا البلد قد غرس فى نفسى منذ نعومة اظفارى فكرة توحيد بلجيكا والـكونغو لخلق أمة موحدة »

ولكن الشىء الذى يسترعى اهتمامنا نحن الايطاليين أكثر من غيره هو ماذكره بعد ذلك فى قوله :

« ان الملك ليوبولد الثانى ـ بماكان يتصف به من نظر سديد ـ رأى وأيقن أن الكونغو لابد من ان يجرفه تيـار لا يقـاوم من الوعى والتطور ، وتنبأ بما قد تتعرض له البلاد من مشكلات للتعـاون مع الاجانب فى الحقـل الاقتصادى ، كمـا عرف تماما كيف يخط حدود هذا التعاون وينظمه » .

ومما قاله الملك أيضـا « نحن نبغى الاحتفاظ بتضـامننا واتحادنا داخل اطار هذه المبادىء الحكيمة التى يرجع اليها الفضل فى تأمين سـلامة أراضينا فيما وراء البحار » .

وتحسن بنـا المقابلة بين بعض الآراء التى تعبر عنها بوضوح مقالات وأحاديث دورية يلقيها بعض البلجيكيين لنفهم كيف انه يجب على الايطاليين أن يعتبروا أنفسهم مبعدين عن ميدان التعاون فى الكونغو . ولا ندرى أهذا ارضاء للنظـرية الاشتراكية التى تنادى بوجـوب توزيع الثروة اذا ماتجمعت فى أيدى فئة قليلة (١) أم هو ارضـاء للتضـامن الاوروبى من جانب والوعى الافريقـى من جانب آخر .

ونسوق على سـبيل المثـال بعض النماذج من الاحاديث والمقالات . أما الحديث فكلمة ألقاها الاستاذ « فان در لندن » مستشار الحكومة البلجيكية لشئون المستعمرات فى حفل بمدينة نابولى حينما أيد المحاضر الذى سبقه وهو البروفسور « انريكو دى ليونى» فيما ذهب اليه من تأييـد النظـرية القائلة بوجوب عودة الايدى العـاملة ورءوس الاموال الايطالية الى افريقية ونوه بالمشروعات العمرانيـة التى أتمهـا الايطاليـون فى ليبيا أثنـاء استعمارهم لها . وقال الاسـتاذ « فان در لندن » ان هذه رغبة عادلة ولكن يجب أن تأخذ فى الاعتبار ان الكونغو البلجيكى يعانى تضـخما فى عدد السكان وان الاهالى هناك ينزحون الى المدن فيوفرون بذلك الايدى العاملة فيكثر عرضها ، هذا فضلا عن وفرة عدد الاجانب المقيمين فى تلك الديار، وانه على الرغم من الاستعداد والرغبة الملحة فى تنفيذ هذه الفكرة ، فان هجرة الايطاليين الى بلاد الكونغو محفوفة بالمصاعب والمشكلات .

ويمكن القول اذن بأن هـذا اغلاق بطريقة مهـذبة لابواب الـكونغو فى وجه الايطاليين .

أما المقال فعنـوانه « الـكونغو البلجيكى والتـكامل الاوروبى » وقد نشره « بول مونتنيز » عـلى صفحات مجلة « مشكلات أفريقية الوسطى » الصادرة فى الربع الاول من عام ١٩٥٤ واليكم فقرتين هامتين من المقال المذكور « ... ألسنا مسـئولين نحن معشر

(١) يلاحظ ان الحكم فى بلجـيكا اشتراكى النزعة

الفرنسيين والبلجيك أمام أنفسنا وأمام أولئك الذين نقودهم لننتقل بهم من عصر الحديد الى مقتضيات عصر الذرة بألا نسيء الى التوجيه الحكيم الذى توليناه حتى يومنا هذا فى سبيل تطور « الكونغو » وتقدمه ، وألا نعهد بذلك التوجيه لقيادة تكون أقل خبرة من قيادتنا ؟ »

« أما عن مشروع « سترازبورج» الذى وضعه أحد الانجليز بصفته الشخصية فلو قبلت المملكة المتحدة، التفكير فى تطبيق بعض جزئياته ، فان هذا يمكن أن يتم فى شكل تعاونى دولى حسب النظم التقليدية وليس فى شكل اشتراك كامل متداخل . ولهذا تعتبر فرنسا وبلجيكا دون غيرهما صاحبتى الدعوة للجاليات الاوروبية بالهجرة الى مستعمراتهما بافريقية ولهما حق فتح مجال التوسع لاعدائهما السابقين من الالمان والايطاليين » .

وبديهى ان الايطاليين لايمكنهم أن يؤيدوا هذه النظرية الاستعمارية التى تجعل من الكونغو فريسة للبلجيكيين تحت قناع كاذب من العبارات المعسولة مثل « رسالة التمدين » و « الرعاية الابوية » فما عمله الايطاليون فى افريقية الشرقية فى غضون خمس سنوات يفوق بكثير ماتم عمله فى الكونغو فى خلال سبعين سنة ، ولهم من الخبرة مايؤهلهم للحكم على أعمال من بقى بعدهم فى افريقية الى حين !

والدليل على الاختلاف البين بين الاستعمارين هو ان الصومال سينال استقلاله كاملا عام ١٩٦٠ بعد الحماية الايطالية الطويلة ، على حين نرى أن البلجيكيين يذيعون فى خيلاء وفخر نبأ قبول خمسة عشر طفلا من الوطنيين فى المدارس الاوروبية بمدينة ليوبولدفيل :

ولايمكن لدولة صغيرة لايزيد عدد سكانها على الملايين التسعة ان تتكفل بتطوير بلاد واسعة مثل الكونغو . بل يجب على الاوروبيين جميعا أن يشتركوا فى تحرير الشعوب الافريقية تحريرا حقيقيا .

واذا كان الكونغو خاضعا لبلجيكا اليوم ، فانه يجب أن يكون فى الغد جزءا لايتجزأ من واقع القارة الافريقية التى يجب أن يعيش فيها الناس جميعا فى سلام وحرية دائمين .. فالزمن قد تغير بالنسبة للاستعمار، وسواء كان هذا الاستعمار ايطاليا أم بلجيكا فلا بد من سيادة الشعوب .

عن الايطالية

ترجمة الاستاذ محمد مصطفى نصار

باب نقد الكتب

بقلم الاستاذ الشاطر بصيلى عبد الجليل .

الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية للدكتور حسن احمد محمود
الجزء الاول ٤٨٩ ص وبه خرائط ـ مطبعة لجنة البيان العربى بالقاهرة
توزيع مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٥٨

لاشك فى أن المكتبة العربية ترحب كل الترحيب ، وترجو المزيد ، بما يضاف اليها من بحوث ، نحن اليوم فى أشد الحاجة اليها ، وبخاصة تلك البحوث التى تعالج الموضوعات العربية الاسلامية بصفة عامة والافريقية بصفة خاصة ،ففى القيام بهذه البحوث تبصرة لابناء الامة العربية وغيرهم من الامم الاخرى

ويتطلب هذا العمل فيما يتطلب جهودا مضنية فى تحقيق الروايات والرجوع بها إلى الوثائق المحليةذات القيمة العلمية ، كما يحتاج الى الدراسة المقارنة بين ماكتبه أهل البلاد وبين ماكتبه الفرنجة لتصحيح ماقد يكون هنالك من أخطاء فى تفسير الظواهر ،وللخروج بفكرة صحيحه ٠

وتحقيقا لهذه الاغراض قد يكون من المتفق عليه تحديد نطاق البحث فى اطار معين ليشمل قضايا محددة فى بيئة معينة ، وفى هذا مايجعل البحث أكثر عمقا وتركيزا ويقربه فى صورة متكاملة الى أذهان القراء ، كما أن هذا التحديد يساعد الباحث على معالجة مختلف الظواهر التى لعبت دورها فى تكوين المظاهر العامة للمجتمعات . وتحديد البحث ليشمل بيئة معينة وقضايا محددة يعاون كثيرا على الوصول الى نتائج تدفع بالبحوث الى مراحل هامة فى آفاق جديدة

ولا شك فى أن الدكتور حسن احمد محمود قد بذل جهدا مضنيا فى اعداد موضوع بحثه الذى احتوى على مايقرب من خمسمائة صفحة مزودا بالخرائط وبثبت ضخم للمراجع ، وقد ذكر سيادته فى مقدمته أنه « قدظل يعمل طيلة عامين حافلين بالعناء والنصب » ولا ننسى أن نذكر أنهذا العبء كان بالاضافة الى أعبائه الاخرى ، ويتميز الكتاب بأن مؤلفه قد اشترك فى بعثة طوفت بأفريقية من الصومال شرقا الى نيجيريا غربا ، وذلك فى ابريل سنة ١٩٥٦ ، وكنا نود أن تكون هذه الرحلة الدراسية لشعوب افريقية قد عاونت على تحقيق الكثير من المسائل فى طبيعة بيئاتهاوعلى التعرف على الاسماء المحلية ـ القبلية ، والمدن والالقاب الخ الخ فى نطقها الصحيح فى مواطنها ، كما كنا نرجو أن يكون قد لمس عن كثب حياة المجتمع الافريقى اليومية فى مختلف المواطن ٠ فهل تحقق هذا كله أو بعضه ؟

ومع التقدير الصادق لهذا المجهود الشاق الذى بذله المؤلف فى اعداد بحثه بالرجوع الى مختلف المصادر العربية منها والاجنبية ، فانه يبدو أن فسحة الزمن التى أعد فيها دراسته لم تكن كافية لاستيعاب مختلف المشكلات ، وتحقيقها وتمحيصها ومقارنتها من مختلف الزوايا ، والواقع أن المؤلف كان ضحية هذا الوقت القصير الذى قضاه فى اخراج هذا البحث الضخم والضخم جدا ، فكان الامر الذى ليس منه بد ، فقد تأثر بمختلف الروايات التى نراها بارزة فى صفحات الكتاب. فهنالك تناقض وتكرار وتعارض ، واعتنق من الآراء والنظريات ، والتفسيرات الاجنبية مالا يتمشى مع الواقع ، ومثال ذلك ماجاء فى ص ٧١ « ان الاسلام لم يستطع دخول المناطق الاستوائية أو شبه الاستوائية والسنغال وساحل الذهب وينفذ الى غرب نيجيريا وجنوبها وسواحل افريقية الشرقية ويدخل كينيا ، لم يستطع الاسلام دخول هذه المناطق الا فى ظل الاستعمار الاوروبى» وهذا بطبيعة الحال رأى أرنولد كما أوضح المؤلف فى الهامش . وهو فى الواقع لايمت للحقيقة بصلة ، فالعرب قد سبقوا الاوروبيين فى دخولهم الى قلب القارة الافريقية ، ووصلوا الى مجاهلها قبل مجيء الاوروبيين الى هذه القارة بعدة قرون . هذا ما يؤيده ما وجد فى روديسيا وفى غيرها من المدن فى شرق أفريقية ، وماكتبه الرواد العرب عن وسط وغرب افريقية . وما كان للأوروبيين ان يتجهوا نحو افريقية لولا تلك التجارة الواسعة التى قام بها العرب من شمال افريقية ، وانتقلت انباء هذه الثروة من الذهب والعاج وغيره الى الاندلس وتناقلها الاوروبيون ، وعندما حانت الفرصة لهم اتجهوا الى القارة الافريقية لاستغلال تجارتها .

ولما كان المجال المحدد لهذه الصفحات ضيقا لايتسع لعرض شامل فقد اخترت تحقيق اهم ماجاء فى هذا البحث عن سلطنة الفونج . والذى يبدو أن المؤلف قد استهدف حين صنف . فهو يذكر فى ص ١٧٨ أن ظهور السلطنة كان من الجنوب فجأة، ثم يعود فى ص ٣١٢ ويقول : « ان الدول لاتولد فجأة ، ولا يمكن أن تكون دولة الفونج قد استولدها الحدث الذى وقع فى سنة ١٥٠٥ » (يشير الى حدث سقوط مملكة علوة) ، ففى هذا تناقض واضح . ونعرض المؤلف لاصل الفونج فقال فى ص ١٧٨ «انهم جاءوا من الجنوب» وجاء فى ص ٣١٢ «ان دولة الفونج قد شاركت العرب » وفى هذا ما يشكك فى أصلهم ويرجح ضمنا أنهم من الشلك. ويقول أيضا ان « المنطق يقضى بأن نفترض ظهور الفونج قبل هذا التاريخ (سنة ١٥٠٥ تاريخ سقوط علوة) بوقت طويل » . . وفى ص ٣١٣ يستطرد فيقول . «اذن ظهور الفونج بعد انتهاء القرن الثالث عشر ، ونرجح أن ظهورهم بعد الاحداث التى أفضت الى القضاء على مملكة دنقلة ، وتسرب العرب الى بلاد علوة على نطاق واسع ، ولا بد أن ثمة نواة لهذه الامارة ظهرت ، ثم اشتدت وتبلورت فى الاحداث التى أفضت الى القضاء على مملكة علوة » ويكرر هذا الرأى فى ص ٣١٦و٣٢٠ ، وبعد هذا كله يقول فى ص ٣١ مايؤيد الرأى بأن الفونج قد انحدروا من الشرق . وفى ص ٣١٧ يؤيد القول بأن سلطان الفونج قد بقى فى عاصمته القديمة (لملم) حتى ديسمبر سنة ١٥٢١ ، حين زار هذه البلاد الرحالة روبينى ، وفى الصفحة نفسها يعود

فينقض قوله عن بقاء السلطان فى عاصمته القديمة حتى ديسمبر سنة ١٥٢١ فيقول « غير أن هؤلاء السلاطين انتقلوا الى سنار لاسباب تختلف عما جاء فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل » ويقول : « ان الظروف التى ذكرت فى الكتاب المشار اليه لم تدفعهم الى الانتقال ، بل «كانت على العكس تشجعهم على البقاء » . لماذا كان ذلك ؟ فيجيب عليه فى الصفحة نفسها « لانكر أن الظروف التى سارت قبل ظهور (الامام) أحمد القرين كانت تشجع على الرحيل . أما بعد ظهوره وجهاده وتوفيقه فانها كانت تحمل على البقاء » ويقول « بل الثابت أن عميرة شارك فى هذه الحركة الاسلامية العامة حين حارب البلو فى المنطقة الشمالية الغربية لاثيوبيا ، فالروايات المتواترة بين سكان شرق السودان تشير الى قتال حدث بين الفونج وبين قوة مشتركة من البلو والارتيقة وذلك فى السنوات الاولى من القرن السادس عشر . وقد خرج منها هؤلاء السلاطين ظافرين . كما انتصروا على مملكة علوة » ولا نعلم مصدر هذا القول ، فالثابت أن الفونج قد أصيبوا بهزيمة فادحة فى حربهم مع البلو والارتيقة كما سنبينه فيما بعد . ولم يعثر على أى دليل عن اشتراك الفونج فى حروب الامام أحمد القرين ، وكل ما ذكر أن الامام قد أعطى ثغر التاكه (كسلا) الى الوزير عباس ، وكان ذلك قبيل استشهاد الامام فى ١٥٤٣م ولم يرد ذكر الفونج بالمرة ، وهذا يدل على خروجهم من المنطقة التى كانت فيها عاصمتهم القديمة قبل ذلك التاريخ بسنوات كثيرة .

ويعود فى صفحة ٣١٨ فيقول « ويخيل الى أن عميرة انتقل الى سنار بعد عام ١٥٤٣ ، وهى السنة التى قتل (استشهد) فيها (الامام) أحمد القرين وفترت حركته الاسلامية بعد وضوح التدخل البرتغالى » ويضيف فى هذه الصفحة نفسها ٣١٨ « ويخيل الى أيضا أنهم اتخذوا اسم فونج بعد انتصارهم سنة ٩١٠ هـ ــ ١٥٠٥ م وان الشلك خلعوا عليهم هذا الاسم باعتبارهم وافدين ، فأصبح علما عليهم » وسنتعرض لهذه النقطة فيما بعد ، ويقول فى صفحة ٣٢٠ « وقد ظهرت دولة الفونج منذ فجرها الاول فى مظهر اسلامى عميق واضح ، فقد استهلت حياتها الاولى مساهمة فى حركة الجهاد الاسلامى ، وكانت مشاركتهم العرب فى القضاء على علوة المسيحية » فالمؤلف يشير ضمنا الى أن الفونج ليسوا من العرب كما يتبين من النص الذى أوردناه . أما عن جهاد الامام أحمد القرين وما نبع ذلك من أحداث فقد كان أصلا لاسباب اقتصادية بحتة لم يكن للدين دخل فيه . ويستطرد فيقول « ولولا مساعدتهم وتأييدهم ــ أى الفونج ــ ووقوفهم الى جانبهم لما تحقق هذا النصر العظيم وقد رأيناهم غير متخلفين عن ركب الجهاد فى شرق افريقية ، جاهدوا البلو واشتركوا فى حملة (الامام) أحمد القرين وجهاده » . ويذكر فى ص ٣٢١ «أن سلطان سنار قد قتل المبعوث الفرنسى راءول ورفاقه لوصول أخبار من مصر مشككة فى حسن قصد البعثة وأنها ماضية لتدريب جيش النجاشى على الحرب الحديثة»

فكل هذا يبين لنا مدى التناقض والتعارض فى بحث الاوضاع ، الامر الذى يحدث البلبلة فى ذهن القارىء

فالحقيقة الواضحة التى تسندها الوثائق أن السلطان السنارى قد أقام أصلا فى جنوب غرب أريتريا ،واتخذ

من منطقة (لملم) عاصمة له ولم ينتقل الى عاصمته الجديدة الا بعد عام ١٥٢٣ أو ١٥٢٥ م - (أنظر تاريخ معالم سودان وادى النيل ص ٣٤) والجديد الذى وصلنا اليه أن هناك احتمالا قويا بأن هذه السلطنة نشأت فى ساحل الصومال فى منطقة لامو ، وانتقلت فيما بعد بسبب الحروب وغيرها فى تلك المناطق ، الى ساحل البحر الاحمر الافريقى ، الى القطاع مابين سواكن ومصوع ، ودخلت الى منطقة لملم (انظر العدد العاشر من مجلة نهضة أفريقية ص ١٥-١٩ « دويلات عربية على الشاطىء الافريقى ») وانهم يستمدون اسمهم الفنج من أصل القبيلة التى ينتمون اليها أصلا من الجزيرة العربية وهى قبيلة «فنجة Fanaga » وهذه الكلمة فى صورة محرفة لها مدلول مخالف فى أثيوبيا ، فهى تدل على أهل البيت الحاكم . وحدوث هذا التغيير فى الكلمات وفى معانيها أمر متوقع الحدوث فى البيئات السامية والحامية

والامر المقطوع به أيضا أن الفونج لم يشتركوا مع الحركة التى قام بها الامام احمد القرين ، وأن اهتمام هذه السلطنة الاول هو اقامة جمهوريتهم التجارية (كما أوضحنا فى معالم تاريخ سودان وادى النيل) فى منطقة آمنة بعيدة عن الحروب . أما ماجاء عن حربهم مع الارتيقة والبلو فالذى أوضحناه انهم (اى الفونج) قد هزموا هزيمة منكرة ، ولم يخرجوا منتصرين كما أراد لهم المؤلف أن يكونوا ، ولا يفوتنا أن نذكر أن الارتيقة والبسمو أو البلى كانوا من المسلمين ، كما ذكر المؤلف نفسه فى ص ١٨٤ حيث قال « وكانت أول الشعوب استجابة للاسلام شعوب البجة المنتشرين بين النيل والبحر الاحمر ، واستمر انتشار الاسلام فى الساحل الشرقى طوال القرن العاشر وبعض الحادى عشر » .

والحرب التى يشير اليها قد وقعت فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى وترجع الى أسباب التنافس فى السيطرة على القطاع الشمالى الشرقى المطل على البحر الاحمر الذى وصل اليه السلطان العثمانى فى ١٥٢٠ م

أما مقتل البعثه الفرنسية فيرجع الى منافسات رجال التبشير من المسيحيين كما جاء فى كتاب معالم تاريخ سودان وادى النيل ٨٦ (ص- ٨٧

ومن هذا يتضح لنا أن السلطان السنارى لم يشترك فى تخريب مملكة علوة التى سقطت لاسباب داخلية محلية . ومن الجدير بالذكر أن السلطان عميرة الذى يقول عنه فى ص ٣١٨ « ويخيل الى أن عميرة انتقل الى سنار بعد عام ١٥٤٣ » ، فهذا غير صحيح لان عميرة قد انتقل الى رحمة مولاه باتفاق الروايات فى عام ١٥٣٦ م (انظر الجداول فى معالم تاريخ سودان وادى النيل ص ١٠٢-١٠٩)

أما قوله ان دولة الفونج قد ظهرت منذ فجرها الاول فى مظهر اسلامى عميق (ص ٣٢٠) فالواقع يدحضه فالعادات الوثنية قد بقيت الى وقت متأخر (كما ذكر جكسن فى كتابه سن النار ص ٢١) وذكر الفارز ما يفيد أن فى بلاد علوة فى القرن السادس عشر حوالى مائة وخمسين كنيسة مزدانة بصورة العذراء مريم وذكر اوليا شلبى الذى زار المنطقة أواخر القرن السابع عشر وجود أسماء مسيحية للسكان .

هذه المامة سريعة بأهم الملاحظات التى نرجو أن تجد مايساعد على تصحيحها وتحقيقها فى الطبعة الثانية لمؤلف الدكتور حسن احمد محمود.



دعوة الى السعي للاستقلال
انتبهوا أيها الافريقيون !

هل سمعتم الصيحة المدوية الداعية الى العمل ؟ « ارفعوا أيديكم عن أفريقية »، « يجب أن تتحرر افريقية » .

والآن لتنتقل هذه الدعوة من الاقوال الى الافعال واتاحة الفرصة للجماهير الافريقية المظلومة المستغلة للظفر بحقوقها الانسانية المشروعة وأمانيها السياسية فى الحكم الذاتى والاستقلال وتقرير المصير، قررنا نحن ممثلى الهيئة الداعية لهذا المؤتمر ، عقد مؤتمر لجميع الشعوب الافريقية تلتف حوله القومية الافريقية الصاعدة، وسينعقد هذا المؤتمر فى اكرا عاصمة دولة غانا التقدمية فى ديسمبر عام ١٩٥٨ .

وهذا المؤتمر على النقيض من المؤتمر الذى عقدته أخيرا الدول الافريقية المستقلة ، سيجتمع على مستوى غير حكومى وسيحضره مئات من ممثلى الهيئات التقدمية السياسية الوطنية النقابية التعاونية والفتية النسائية ، وغيرها من منظمات الشعب الافريقى فى كل بلد من بلاد افريقية أخذت على عاتقها الكفاح لتحقيق الاستقلال التام .

وسيدعى الى هذا المؤتمر كل الذين ينتمون الى العنصر الافريقى وكذلك ممثلون من الهيئات الافريقية التى تؤيد أهداف ومبادىء المؤتمر بوصفهم مندوبين أشقاء ومراقبين غير رسميين .

وسيكون هذا المؤتمر أعظم اجتماع من نوعه فى أرض افريقية وسيبرهن على التضامن والاخاء اللذين يربطان بين شعوب افريقية الناهضة ،ويخترق الحدود القبلية والعنصرية المصطنعة التى أحدثها المستعمرون ليفرقوا بيننا ويحافظوا على أساليبهم الاستعمارية الشريرة ، وعلى سيطرتهم العنصرية وعلى التمزيق القبلى .

وسيضع هذا المؤتمر مقومات شخصيتنا الافريقية القائمة على فلسفة القومية الافريقية الاشتراكية بوصفها المبادىء السياسية والاجتماعية والاقتصادية للثورة الافريقية التى لاتتسم بالعنف ، وسيعلن ذلك على الملأ .

وشعارنا هو :

« اتحدوا ياشعوب افريقية »

« لن تفقدوا شيئا سوى أغلالكم »

« ان لكم قارة بأسرها عليكم ان تستخلصوها من أيدى المستعمرين »

« حققوا لانفسكم الحرية والكرامة الانسانية »

« يجب أن نقول للمستعمرين :

« ارفعوا أيديكم عن افريقية »

« افريقية يجب أن تتحرر »

***

الجدول المبدئى
لاعمال مؤتمر الشعوب الافريقية

المبادىء والأهداف .

ان الغرض الاساسى لمؤتمر جميع الشعوب الافريقية الذى سينعقد فى اكرا عاصمة غانة فى ديسمبر سنة ١٩٥٨ سيكون من شأنه وضع الخطط المحدودة ، وتنفيذ المنهج الغانى الخاص

بالثورة الافريقية التى لاتتسم بالعنف فى الشئون الآتية :

١ ـ الاستعمار والتوسع الامبريالى

٢ ـ العنصرية والقوانين الخاصة بالتمييز العنصرى

٣ ـ القبلية والخلافات الدينية

٤ ـ مركز الزعامة القبلية تحت :

(ا) ـ الحكم الاستعمارى ·

(ب) ـ المجتمع الديمقراطى الحر ·

لقد آن الوقت للكشف عن دعاة القبلية والهجوم عليهم ، لانهم أشد عملاء الاستعمار خطرا ، نظرا لسياستهم المسمومة التى تحرض الافريقيين على الافريقيين والاخوة على الاخوة والقبائل على القبائل ، والتى تشكل أعظم عقبة فى سبيل تحقيق الجبهة المتحدة للمناضلين من أجل الحرية التى تستطيع وحدها أن تضع حدا سريعا للسيطرة الاجنبية ·

ومالم نكشف عن الدور الذى يلعبه هؤلاء الافريقيون أعداء بلادهم من محترفى السياسة الذين يساعدون المستعمرين فى نشاطهم للاحتفاظ بسياستهم التقليدية « فرق تسد » ـ وهى آخر مالجأ اليه المستعمرون ـ مالم يتحقق ذلك ، فان افريقية لن تسترد حريتها المفقودة وتظفر بمكانها اللائق بها بين الامم على قدم المساواة ·

ومشكلة « فرق تسد » هذه القائمة على أسس قبلية تعتبر على الدوام خطرا داهما فى الاقطار التى يزعمون انها أقطار متعددة القبائل فى افريقية الشرقية والوسطى ، حيث يجب علينا أن ننادى ، دون قبول أى حل وسط بالاهداف الآتية :

١ ـ حق تمليك الافريقيين الاراضى ·

٢ ـ حق الانتخاب على قدم المساواة للجميع دون نظر الى العنصر أو القبيلة أو اللون أو العقيدة ·

٣ ـ تطبيق حقوق الانسان التى أعلنتها الامم المتحدة

وسيبحث المؤتمر كذلك مشكلة اليسارية ، ويناقش الخطط لاعادة توحيد الدول الافريقية المستقلة على أساس :

١ ـ تسوية الحدود المصطنعة الراهنة ·

٢ ـ ادماج أو توحيد الاقطار على أساس اقليمى ·

٣ ـ التدرج فى انشاء اتحاد فيدرالى أو كونفيدرالى للوحدات الدولية الاقليمية الجغرافية رغبة فى تأسيس رابطة شعوب افريقية حرة مستقلة لولايات افريقية متحدة ·

3. **The progressive federation or confederation of geographical regional State Groupings into an ultimate Pan-African Commonwelth of Free, Independent United States of Africa.**

A CALL TO INDEPENDENCE

Attention, all Africans !

Have you heard the clarion call to action ? — **HANDS OFF !**

AFRICA MUST BE FREE !

Now in order to translate this call into action and thereby enable the oppressed and exploited masses of Africa to achieve their legitimate human rights and political aspirations of self-government, independence and self-determination,

we the representatives of the sponsoring organisations have taken the initiative in convening an All African People's Conference as the rallying centre of Emergent African Nationalism.

THIS CONFERENCE will take place in Accra, the capital of the new progressive State of Ghana, in December, 1958.

THIS CONFERENCE, unlike the recent Conference of Independent African States, will be on a non-governmental level and will be attended by hundreds of representatives of progressive political, nationalist, trade union, co-operative, youth, women's and other organisations of the people from every country throughout Africa committed to the struggle for complete Independence.

PEOPLE OF AFRICAN DESCENT, as well as representatives from non-African organisations which endorse the aims and objects of the Conference will also be invited as fraternal delegates and unofficial observers.

THIS CONFERENCE will be the greatest gathering of its kind ever to be brought together on African soil. It will demonstrate the solidarity and fraternity which bind the awakening peoples of Africa, cutting across race, tribe and the artificial frontiers which the imperialists have contrived in order to divide us and so maintain their evil system of Colonialism, Racial Domination and Tribal Separatism.

THIS CONFERENCE will formulate and proclaim our African Personality based on the philosophy of Pan-African Socialism as the ideology of the African Non-Violent Revolution.

HENCEFORTH OUR SLOGAN SHALL BE :

PEOPLES OF AFRICA, UNITE ! YOU HAVE NOTHING TO LOSE BUT YOUR CHAINS ! YOU HAVE A CONTINENT TO REGAIN ! YOU HAVE FREEDOM AND HUMAN DIGNITY TO ATTAIN !

And to the Colonialists we say:

HANDS OFF AFRICA !

HANDS OFF AFRICA !

AFRICA MUST BE FREE !

AIMS AND OBJECTS

The main purpose of the All African People's Conference to be held in Accra, Ghana, in December, 1958, will be to formulate concrete plans and work out the Gandhian tactics and strategy of the African Non-Violent Revolution in relation to :—

1. **Colonialism and Imperialism**
2. **Racialism and Discriminatory Laws and Practices**
3. **Tribalism and Religious Separatism**
4. **The position of Chieftaincy under :**
   (a) Colonial Rule
   (b) A Free Democratic Society

The time has come for an open exposure of, and an onslaught upon, the propagators of Tribalism, who are today the most dangerous black agents of the Imperialists, for it is their poisonous policy of inciting Africans against Africans, brothers against brothers, tribes against tribes, which constitutes the greatest obstacle to the achievement of **United Freedom Fighters Fronts,** which alone can bring about a speedy end to foreign domination.

Not until we expose and unmask the anti-patriotic role of those African political careerists whose activities only help the Imperialists to maintain their traditional policy of **«divide and rule»**—the last bulwark of Colonialism—will Africa regain her lost freedom and take her rightful place among the community of nations on an equal footing with others.

This problem of «divide and rule» along tribal lines is an ever-pressing danger in the so-called multi-racial territories of East and Central Africa, where our uncompromising demands must be :

1 **Land to the Africans.**
2 **Equal voting rights for all, regardless of race, tribe, colour or creed.**
3. **Implementation of the Universal Declaration of Human Rights of the United Nations.**

THE CONFERENCE will also examine the question of Irredentism and discuss plans for the regrouping of Independent African States on the basis of :

1. **Adjustment of existing artificial frontiers**
2. **Amalgamation or federation of territories on a regional basis.**

vivants dans les fleuves, déportés clandestinement à des lieux inconnus jusqu'à présent. Des villages entiers furent rasés et transformés en un champ de cimetière. Les prisons sont rempli de patriotes Kamerunais où ils sont raffinement torturés. Les camps de concentration sont chez nous champ d'exécution.

La répression qui fait rage dans notre pays à l'heure actuelle ne respecte même plus l'âge : enfants, vieillards, femmes enceintes sont sauvagement brutalisés puis égorgés.

Les femmes n'ont pas pour autant cessé de soutenir la lutte juste que mène le peuple Kamerunais et sa jeunesse contre l'impérialisme. La déportation de quelques-unes avec les hommes a au contraire reveillé le nationalisme chez quelques-uns et favorisé la popularisation du problème de notre pays.

C'est ainsi qu'au Caire où quelques-unes se trouvent réfugiées, elles ont présenté le 15 Août 1958 au gouvernement américain par le canal de son Ambassade au Caire un Mémorandum sur le problème Kamerunais. Lors de la visite du Secrétaire Général de l'O.N.U. au Caire, les femmes refugiées au Caire ont demandé à se rencontrer avec M. Hamarjold. Mais elles se sont heurtées à un refus catégorique on dirait prémédité de M. Gérig, qui est appelé à présider la Mission de visite devant se rendre au Kamerun. Cet accueil glacial du représentant des U.S.A. nous a laissé comprendre que la prochaine Mission de visite au Kamerun étant reactionnaire par sa composition, ne pourra pas se conformer à l'esprit de la Charte. C'est pourquoi à l'heure actuelle où la situation est bien troublé dans notre pays une commission d'enquête largement représentative s'impose. Et pour donner un sens au régime international de tutelle les Nations-Unies doivent imposer le retrait immédiat de troupes étrangères ou l'envoi d'une force de police, afin que le calme nécessaire au succès du travail de cette Mission.

Les femmes kamerunaises demandent le soutien ferme et constant de toutes les femmes et de tous les hommes épris de paix et de progrès dans la lutte à mort engagée dans notre pays pour hâter notre victoire sur l'Unification et l'Indépendance Immédiate de notre pays et pour la paix du monde.

ment 2.900 tonnes de textiles, 11.000 tonnes de vins et 33.000 tonnes de ciment. Des projets ambitieux d'entreprises extensives étaient envisagés par l'administration française, notamment la création d'une industrie de l'aluminium rendue possible par l'existence des riches gisements de bauxite et la production d'énergie électrique d'une puissance de 130 millions de kilowatts-heure.

Instruction.—La Guinée possède actuellement 151 écoles primaires, 40 écoles privées, 10 écoles secondaires et 1 collège technique groupant en tout 25.000 élèves dont le nombre augmente chaque année.

Les espérances françaises concernant les projets à longue échéance dans l'ancienne colonie sont désormais réduites à néant, la Guinée ayant décidé de tenir elle-même le gouvernail et de voguer seule vers sa destinée.

René Khoury.

LA FEMME KAMERUNAISE ET LA LUTTE DE LIBERATION NATIONALE

Par NGOYI Margueritte

Les femmes Kamerunaises, depuis que les colonialistes ont réussi à partager et à dominer notre pays, ont été l'une des victimes les plus malheureuses du régime d'oppression institué au Kamerun par les impérialistes franco-britanniques. Cet état de répression ne pouvait continuer longtemps sans provoquer aussi une réaction de la part des femmes. C'est ce qui est arrivé en 1952 quand les femmes voulant appuyer fortement les revendications du peuple Kamerunaise, se sont organisées. Les impérialistes français ont vu d'un mauvais œil cette conscience nationale des femmes Kamerunaises. Aussi ils leur firent endurer les mêmes tortures qu'ils avaient réservées jusque là aux hommes.

La détermination des femmes Kamerunaises doublée de celle des hommes d'extraire à n'importe quel prix les dernières vestiges du colonialisme, cause de tous leurs maux, cette détermination dis-je fut soldée en 1955 par le massacre massif des patriotes Kamerunais, qui a été plus tard intensifié en Décembre 1956. J'ignore, exactement le nombre de ceux qui ont été systématiquement tués, jetés

tions. Un traité fut conclu le 1er août 1839 avec le chef des Landoumans accordant libre accès à la France dans le rio Nunez.

Dix ans plus tard, le roi des Landoumans ayant refusé de supprimer la traite des esclaves, la corvette **Recherche** bombarda Boki qui fut définitivement occupé.

Après avoir pénétré successivement dans le rio Pongo en 1851, le rio Cassini en 1857 et signé un traité avec le roi des Nalou en 1865, les Français s'établirent, en 1880, dans la région de Dubréka et acquirent de ce fait des droits sur l'île Toumbo où s'élève l'actuelle Conakry.

En 1887, les Anglais ayant émis des prétentions sur Toumbo, voisine de leurs territoires, la France, pour éviter une mainmise des concurrents britanniques sur l'île, fit occuper la capitale.

Par la Convention du 10 août 1889, la Grande-Bretagne reconnaissait enfin les droits de la France sur le Fouta-Djallon qui, en fait, ne fut conquis qu'en 1896, grâce à un hardi aventurier, Olivier de Sandervald, lequel, étant parvenu on ne sait comment à se faire proclamer roi par les tribus du Fouta-Djallon, envoya son armée contre Bokar Biro, ennemi déclaré de la France, le battit et céda à son pays les droits que lui-même s'était acquis sur les territoires où s'exerçait sa souveraineté.

L'année suivante, une révolte éclatait dans la nouvelle colonie, rapidement réprimée par l'Administrateur Noirot. La conquête de la Guinée ne fut véritablement achevée qu'en 1904.

Ressources.—La Guinée produit du riz, des noix, des noix de coco, des bananes, du café, des ananas et du millet. L'administration française, soucieuse de favoriser les cultures, avait établi des centres d'expérimentation agricole à Camayenne, près de Conakry, deux centres pour l'étude spéciale du riz à Kankan ainsi qu'un centre expérimental pour la quinine à Sérédou.

Le bétail, abondant dans le Fouta-Djallon, comprend 720.000 bœufs, 150.000 moutons, 170.000 chèvres, 950 chevaux et 3.200 porcs. Ces statistiques sont de 1954.

L'or se rencontre dans le district de Siguiri. L'extraction du métal précieux a donné 4.000 kgs prut en 1949. Enfin, les mines de diamant de Macenta ont fourni 114.000 carats en 1954. Le sous-sol renferme, en outre, des gisements de bauxite et de fer. Les mines de fer ont commencé à être exploitées dans la péninsule de Kaloum en 1953 et ont donné 595.000 tonnes de minerai en 1954.

La Guinée importe annuelle-

LA GUINEE

par

René Khoury

L'année 1958 a vu naître une nouvelle république africaine, la République de Guinée avec, pour capitale, Conakry. Les lecteurs de la revue **Nahdatu Ifriquia** seront peut-être intéressés de lire ici les quelques renseignements que nous avons réunis à leur intention concernant cette ancienne colonie française.

Le pays et les habitants.—La République de Guinée s'étend sur la côte entre la Guinée portugaise et la colonie britannique de Sierra Leone. D'une superficie de 275.000 km², la Guinée possède une population de deux millions et quart d'habitants parmi lesquels on comptait jusqu'à la déclaration d'indépendance 4.600 Français originaires de la Métropole et 2.400 étrangers dont 1.500 Syriens et Libanais.

Conakry, la capitale, est une ville de 39.000 âmes. Après elle, par ordre d'importance, viennent les villes de Kankan (17.500 habitants), Kindia (13.900), Siguiri (11.200), Labé (10.800), Mamou (6.700) et Boké (5.700). Trois tribus principales se partagent ce grand territoire : les **Fullahs,** qui comprennent 860.000 membres, les **Malinké** 490.000 et les **Soussou,** qui en comprennent 245.000.

Un peu d'histoire.—La Guinée intéressa de bonne heure les pionniers des entreprises d'expansion coloniale. En 1666, la Compagnie des Indes occidentales y envoya en mission d'exploration Villaud de Bellefond qui a laissé de son voyage une intéressante relation pour servir à ses successeurs.

Quand la Compagnie des Indes disparut en 1672, elle fut remplacée d'abord par la Compagnie du Sénégal, puis par la Compagnie de la Côte d'Or et de Guinée (1687). Enfin, lorsque le fameux banquier Law, en 1719, créa sa puissante société ayant pour but de monopoliser tout le commerce extérieur de la France, la côte de Guinée entra naturellement dans le domaine de ses activités.

C'est en 1838 que commença véritablement la pénétration française dans la région. Prenant prétexte d'une querelle surgie entre des Sénégalais et des Landoumans du rio Nunez, au cours de laquelle les Sénégalais furent maltraités, le gouvernement français envoya, l'année suivante, la goélette **Fine** pour exiger des répara-

AFRICA NEVER TO BE ATOM PROVING - GROUND ?

The peoples of Africa as well as the other peoples of the world demand that all atom tests for military purposes should be immediately stopped. They highly appriciate the peaceful initiative of the USSR Government which took a decision to stop all soviet atom tests. and at the same time they condemn the stubbornness of the Governments of the USA and Great Britain which continue their atom tests in the Pacific Ocean and other places. But it is difficult to express the disgust of the African people when they found out about the intentions of France and Western Germany to test their atom and H-bombs in the Sahara desert and thus to turn Africa into an atom proving ground of their military forces.

We know that the atom tests held in the near past already caused much trouble to the people of may countries and nobody knows what disasters can fall on the people in the future as because of these tests the radiation of air, water, soil and so on has highly increased. But this increase of the radiation automatically affects the health of the people and especially the health of the newly born children, who can suffer from many different diseases which are even not known to medicine.

Contamination of the ground, air and water is especially dangerous for the people in the areas which are not far from a place of test ? In these areas even fruits, vegetables, animals get poisoned and they become dangerous for the use of population.

Thus having given you general information about the harmful consequences of the atom tests we can imagine what will happen to the African peoples if France and Western Germany start their tests in the Sahar desert. It will mean death and innumerable tortures for the thousands of Africans.

Permanent winds in the African continent will spread atom at distances of thousands of miles and many countries such as the UAR, the Sudan, Morocco, Libia, Tunis, Ghana, as well as Uganda and other countries of the Central Africa will suffer from these tests.

In such a situation we have nothing but fight against these criminal intentions of France and Western Germany.

The governments and all national forces of all African states should warn the French and German governments that they consider the atom testa in Africa as an attempt on the life of the African people and therefore they will undertake necessary and decisive measures against French and German war maniacs.

the national leaders of Tchad during the elections.

Is there any hope of the survival of such federation ?

Is it to be hope that more federations of such a kind as to serve the British interests would be formed ? Would Uganda accept to day what she indignantly rejected four years ago ?

The answer to the later question was to be found in Kampala, a few days ago. Up till last month Uganda was demanding self - government and a phased independence. But the National Congress party, having achieved such sweeping victory in the general elections, decided to demand immediate independence. And this is the rule in every country where national consciousness reaches its zenich and maturity.

Clean African federations would not be lacking in the fature bringing the defeat of the imperialists with their fantastic plans that masks the Sterling, Franc or Dollar domination.

tain enraged the people and made them more resolute to oppose the preposed federation on one hand and to insist upon Kabaka's return home on the other.

Finally, Britain back paddled before the two-year coordinated and solid struggle of the people, and accepted the return of the Kabaka relieving of his position the British governor who commended his fanishment. However the colonial secretary did not admit his country's abondonment to resume attempts to establish the said federation. At the very time in Uganda achieved such steady when the national movement in progress that the National Congress party won 35 per cent of electoral votes last month — and while the Central African Federation — staggers following fascist tentencies demonstrated by its foreign bosses. Britain showed no signs of despair of groping for new plans for the setting up of further federations in the other African countries and in British held territories in Asia.

In West Africa, Britain attemps to form new federation with the object of exploiting such federations as a group white washing them with outward independent status retaining them within the framework of monopolystic economy inside the sterling bloc.

In East Africa, emanates from time to time the projected Somaliland Federation incorporating the five territories of that country of which the British hope to a new sphere of confluence over looking the Red Sea and the Indian Ocean.

On the opposite side, dark conspiracies are being undertaken but soon uncovered, they aim at establishing, the Gulf Sheikdoms Federation and thus to contain the Arab Word from the south, having contained it from the north through Jordan and Israel.

French imperialists were not any way content to stand aloof, and so began similar activities. The French tried to adopt such flexibily as was shown by the British policy lately, so De Gaul's constitution left to the colonies the choice between federation with France and independence. Elections were held in a way that tempted the importial European newspapers to describe it by the word «fiasco », and Ginea voted « non ». Results were proclaimed whereby it was alleged that all territories held by France except Ginea opted for the federation with France.

Such results were proclaimed despite the severe struggle of Algeria and its disastrous effect on France and despite the bloodshed in Senigal and mogdicio and French's arrest of

federation the sponsorers made up their mind to go further toward the north to draw up fresh plans to prepare the ground for a « new » federation which they called the « East African Federation »...

The original plan was that it should comprise Kenya, Tanganika and Uganda and probably Zanzibar later. The project, however, was exposed to such opposition and difficulties that its authors almost despaired. Their position in those territories practically deteriorated and a set-back nearly occurred in the central African Federation which found itself the target of a severe onslaught from progressing nationalism...

The first to be aware of the perils inherent in the new Federation was Uganda where the « National Congress » at once stood in fully-enlightened solid opposition and revealed to the Africans the Colonial Office conspiracy to spread British settlers far and wide in the Federated territories to take hold of fertile land there like Kenya and herd out the natives into barren areas encircling with barhed wire the disgruntled after exposure to bullets from machine-guns. Their leaders are hanged and they are described as a fresh version of « Mau-Mau »...

The leaders of Uganda pointed to the principal mining region in west Uganda as the centre of gravity for imperialist colonialistic firms; and just as the Europeans and Americans did in the Copper Belt region of Northern Rhodesia these same firms will, under the auspices of the new Federal Government, confine the « term technicality » in mines to European labour and United States Experts, granting individual worker one hundred pounds a month along with a share in the profits amounting perhaps to another one hundred, whereas the native worker gets a monthly wage not more than six pounds.

The national leaders carried on with their campaign with a view to demonstrating to the people the absurdity of the proposed federation and as the people began to rally in support of the Kabaka, the popularly elected chief, the British increased in vain their pressure upon the government of Uganda or rather on the Kabaka to issue decrees paving the way to the establishment of the federation. But as the political pressure and biased propaganda proved a failure, Britain had to resort as usual to taking revenge upon her pray and so the Kabaka was removed from office and sent to London in the most dramatic abhorrent way.

This step on the part of Bri-

SUSPICIOUS FEDERATIONS

by

Mtre M. A/Aziz Ishaq

This magazine carried in its second issue an article which the writer, Mr. Chicaco Camolando, said :

« Four years ago the Colonial Office in London announced that attempts were being made to establish a Federated State in Central Africa comprising Northen and Southern Rhodesias and Neasaland ... What made the Colonial Office think of setting of the said federation in which European settlers do not exceed a few hundred thousand living amid a great expanse of troubled water in which the African Blacks engage them... ?

Is the *Colonial* Office actuated by a desire to emancipte these Africans and allow them to determine their own future... ?

Or is it a step to enable millions of human beings to take control of their Countries' resources and natural deposits; and to open the road for them tc material progress to join the forward march of human civilization... ?

Or is it a tendency to justice and equity and conviction that the current age belongs to the peoples whose resolute will cannot he forcibly defeated... ?

Mr. Camolando goes on to assert :

« I am afraid I must say lamentably - that none of these considerations ever occurred to the Colonial Office while «building up » in its offices in London the framework of the new Federation. What in fact operated in its mind were the profits accruing to it from copper, zinc, lead, gold, silver, cobalt, uranium, chromate and coal mines which Anglo-American firms in Central Africa share among themselves and which continue to grow...»

This African writer has correctly detected the secret which prompted British Colonialism to establish a false « Federation » having a recognized international status but which is in actual fact a puppet organization directed from behind the scenes by London and Anglo-American Commercial Companies to delude African nationlaists from their straggle for genuine freedom and full independence.

Having found thorough satisfaction in the idea of a puppet

nero da una attività simile, e la politica francese cercô di imitare quella britannica, tanto è vero che nello Statuto di de Gaulle fu concessa alle colonie la piena libertà di scegliere tra l'unione con la Francia in uno Stato Federale e la completa indipendenza ...... E cosî ebbe luogo il plebiscito definito dalla Stampa europea imparziale : «scena comica», dalla quale la Guinea seppe sottrarsi non partecipandovi. Si ebbero perciô quei risultati tanto sospetti che rappresentano l'opinione falsificata dei popoli che vivono sotto il dominio francese.

Alla Francia non mancô il coraggio di presentare al mondo questi risultati, nonostante quelle lotte accanite che fanno spargere tanto sangue francese in Algeria, nel Senegal e nel Madagascar e malgrado la cattura dei capi tribù della zona Ciad ed il loro arresto a Parigi durante tutto il periodo del plebiscito.

Chı potrebbe sperare dunque che una confederazione cosî nata possa sopavvivere ?

Queste confederazioni dirette dalla politica britannica, potrebbero aumentare di numero?

L'Uganda accetterebbe oggi quanto aveva rifiutato con tanta persistenza quattro anni fà? La riposta a quest 'ultima domanda fu data giorni fa dal Signor Cambala ....

Le richieste dell' Uganda erano fino ad un mese fa l'autogoverno e la graduale indipendenza. Ma quando l'Assemblea Nazionale riuscî cosî vittoriosa dalla battaglia elettorale, le cose cambiarono, e questo paese decise di ottenere l'immediata indipendenza. Questo è proprio quanto accade in tutti i paesi dove il sentimento patriottico e nazionalistico è già maturo ed ha assunto una forma attiva.

Le confederazioni africane libere da ogni imposizione, sorgeranno senz' altro, ed allora il colonialismo non potrà piû contare sui progetti che celano l'influenza della sterlina, del franco e del dollaro.

M. A. ESHAK

ricorrere come al solito alla vendetta e destituire il Cabaca inviandolo a Londra in un modo tragico e vergognoso.

Ma questo modo d'agire rinfocolô la decisione del popolo ugandese che continuô ad opporsi all'Unione e insistette per il ritorno del Cabaca in patria.

Finalmente dopo due anni di continua e dura lotta, l'Inghilterra fu costretta a cedere e cessare le ostilità - almeno per un certo periodo di tempo - ridando al Cabaca i suoi poteri tolti e licenziando il governatore inglese che aveva suggerito l'espulsione del Capo ugandese. Ma nonostante tutto ciô, il Ministro delle colonie non volle riconoscere che l'Inghilterra si era impegnata di non tentare più la costituzione di quell'Unione tanto sospetta e tanto malvista, e continuô la sua opera tendente agli intrighi ed alle congiure.

Nel momento in cui vediamo il movimento nazionalistico ugandese conquistare ogni giorno nuove vittorie - tanto é vero che l'Assemblea Nazionale ottenne l'ottantacinque per cento dei voti nelle elezioni svolte il mese scorso-, e mentre l'Unione dell'Africa centrale comincia a declinare dopo che i suoi governanti rivelarono i loro principi fascisti basati sul razzismo, malgrado tutto questo, l'Inghilterra non disperô di ricorrere agli inganni per la formazione di altre leghe nelle diverse parti dell' Africa e nelle regioni asiatiche da essa ancora dominate.

Difatti nelle regioni occidentali dell' Africa sono ben noti i tentativi tendenziosi compiuti per la costituzione di diverse leghe che possono essere complessivamente sfruttate - dopo averle tinte con un colore di falsa indipendenza — e tenute nell' orbita monopolizzatrice e nel blocco della sterlina.

E nelle regioni orientali del Continente nero, si sente ogni tanto parlare di una federazione somala, cioè della « Grande Somalia », e l'Inghilterra mira a servirsi delle cinque Somalie come di una nuova zona d'influenza, da cui puô offacciarsi sul Mar Rosso e sull' Oceano Indiano. E sul lato opposto, cioè sulla striscia costiera del Continente asiatico, si ordiscono gli intrighi che perô ben presto vengono svelati, per cui i colonialisti sono costretti a ricorrere alle armi per costituire con la forza la Federazione dei Principati del Galfo in modo da accerchiare i Paesi Arabi dalla parte meridionale, dopo aver sistemato le proprie teste di ponte in Israele ed in Giordania, nelle parti settentrionali.

Nel frattempo anche i colonialisti francesi, non si asten-

sere nuovi intrighi progettando una nuova confederazione a cui dettero il nome - negli uffici del Ministero delle colonie - di «Unione dell'Africa orientale». A questa Unione dovrebbe partecipare il Kenia, la Tanganica, l'Uganda e magari anche lo Zanzibar. Però questo progetto si urtò contro una dura resistenza e gravi ostacoli capaci di far perdere ogni speranza ai suoi promotori e far fallire il loro piano in quelle zone. Inoltre bisogna tener conto delle reazioni che questi ostacoli potrebbero provocare sulla Confederazione dell'Africa centrale, la quale é ormai in preda a un movimento nazionalistico prorompente in tutte le classi sociali.

L'Uganda fu il primo paese ad accorgersi del pericolo derivato da questa nuova lega, tanto è vero che l'Assemblea Nazionale dichiarò la sua completa opposizione e svelò alle popolazioni indigene le mire del Ministero delle colonie e come quest'ultimo tende ad introdurre i colonizzatori inglesi in tutti i territori dell'Unione e renderli possessori dei terreni più fertili, in seguito al trasferimento forzato degli indigeni nelle zone sterili e deserte, come accadde nel Kenia. Questo, oltre alla possibile esecuzione della condanna a morte per coloro che osassero dimostrare il minimo malcontento o ribellarsi alle imposizioni.

I Capi dell'Uganda indicarono la zona occidentale del loro paese, ricca per le sue miniere, dicendo fra l'altro : - Qui risiede il centro di gravità che attrae le Società monopolizzatrici inglesi, francesi ed americane; e come avvenne nella zona della «cintura del rame» nella Rodesia settentrionale, così domani vedremo queste medesime Società, sotto l'egida del nuovo regime federale, riservare i posti più importanti ed i lavori tecnici nelle miniere agli operai europei ed ai tecnici americani, pagando ad ognuno di loro non meno di cento sterline al mese, oltre ad una parte dei profitti che giungerà ad altre cento sterline, mentre l'operaio indigeno non oterrà più di sei sterline al mese.

I Capi ugandesi non cessarono i loro sforzi per mettere il popolo al corrente dei tremendi pericoli che potrebbe causare la nuova Unione per l'esistenza del paese; e così popolo e Cabaca - Capo nazionale eletto - formarono un solo fronte fortemente compatto. Invano gl'Inglesi tentarono di costringere il Cabaca ad approvare i decreti preliminari dell'Unione, con una pressione sempre più intensa. Ma quando fallì il giogo politico e la tendenziosa propaganda imperialistica, ecco gl'Inglesi

LE CONFEDERAZIONI SOSPETTE

Nel secondo numero di questa rivista é stato pubblicato un articolo di Cicago Camolando nel quale é stato detto fra l'altro : Sono già quattro anni che il Ministero inglese per le colonie sta lavorando per la costituzione di uno stato federale nell'Africa centrale, formato dalla Rodesia settentrionale, dalla Rodesia meridionale e dal Niasaland...... Si potrebbe sapere dunque il motivo che indusse detto Ministero a creare questa confederazione nella quale gli abitanti europei sono una minoranza che raggiunge appena poche decine di migliaia vivente in mezzo ad una moltitudine ribelle di negri ? E forse l'aspirazione di emancipare quei popoli africani e renderli padroni del proprio destino ? Oppure é la buona intenzione di dare a quei milioni di esseri umani la possibilità di sfrùttare le loro risorse naturali e le ricchezze dei propri paesi ed aprir loro la via del progresso economico mettendoli alla pari col rimanente dell'umanità ormai civilizzata e progredita ? Oppure é il senso della giustizia e della convinzione che in quest'epoca é la volontà dei popoli che domina, volontà che non é più possibile reprimere col ferro e col fuoco ?

Il Signor Camolando continuava dicendo : - Mi dispiace profondamente dire che nessuna di queste considerazioni balenava nella mente dei dirigenti del Ministero britannico per le colonie, quando ideavano nei loro uffici di Londra il progretto della suddetta confederazione. Gli uomini di Stato inglesi miravano piuttosto ai profitti derivati dallo sfruttamento delle miniere di rame, zinco, piombo, oro, argento, uranio, carbone ecc. ecc., cioé alle ricchezze che le imprese britanniche e quelle americane installate nel centro dell' Africa si sono divise fra loro, e che col passar degli anni anumentano sempre più.

A dir la verità, questo scrittore africano, colpî direttamente l'obiettivo quando definî il motivo per cui il colonialismo britannico agî per la fondazione di questa confederazione che in apparenza ha una sua forma ufficiale ed internazionale, ma in realtà non rappresenta che un fantoccio manovrato dalle dita del colonialismo a Londra, e dalle Società inglesi ed americane per ingannare gli indigeni e distrarli dai tentativi di una vera emancipazione e di una completa indipendenza.

Sembra che questo fantoccio piacesse molto a coloro che lo fabbricarono, per cui li vedemmo dirigersi verso nord per tes-

NAHDATU IFRIQUIAH

AIMS

1.—Promotion of African National consciousness.

2.—Creating a medium of cooperation between Africans in their respective milieu.

3.—Publishing special and general studies relevant to the African in his vital field of activity.

Subscribers are entitled to :—

1.—Receive—at reduced cost — regular issues of the magazine and its occasional papers.

2.—Profiting by the services of the Relations Committee.

Articles published in this magazine are not necessarily representing the editorial views.

Correspondence :—

Editor :— **MOHAMED A/AZIZ ISHAQ**

NAHDATU IFRIQUIAH

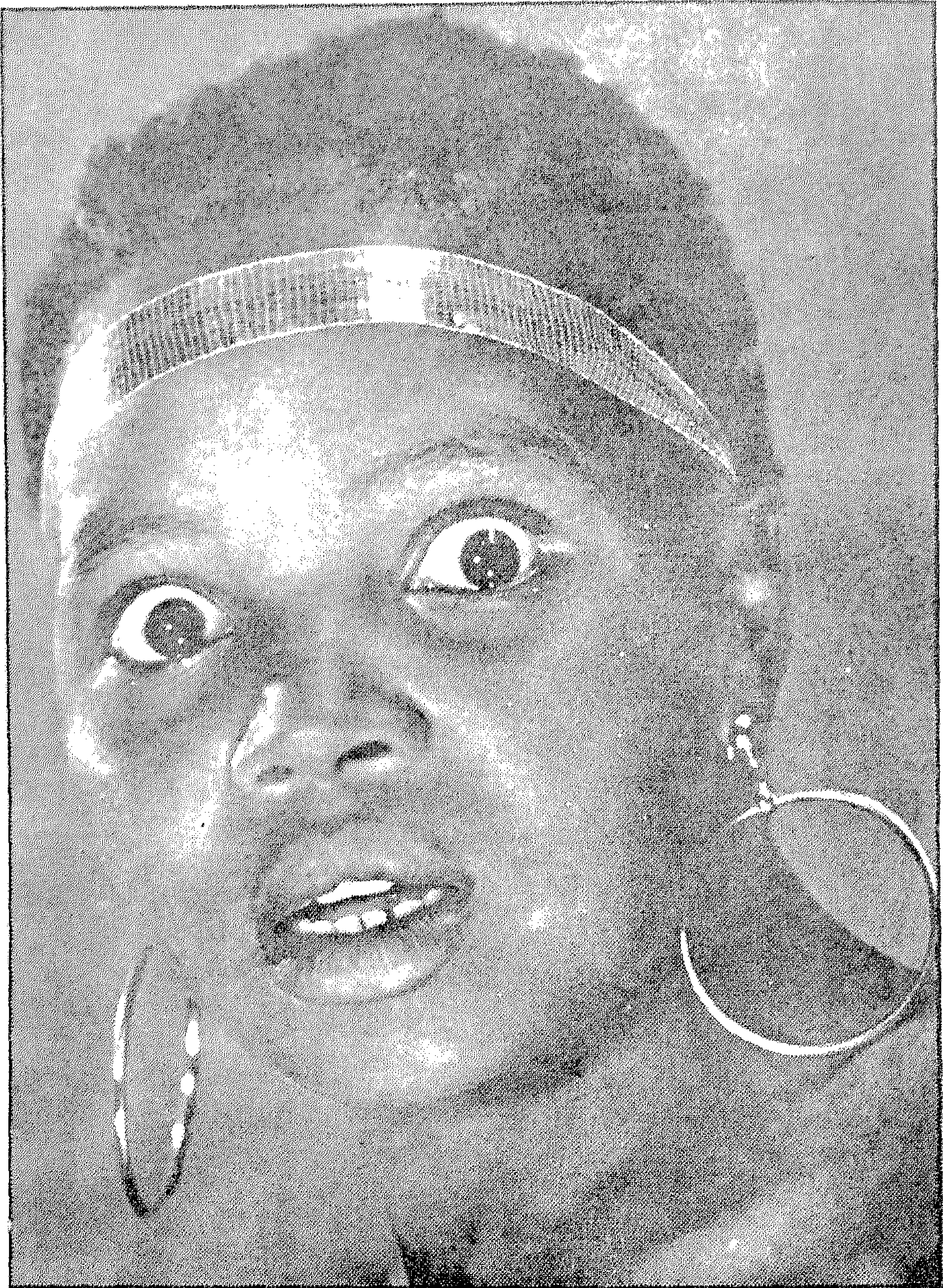
5, Sharia Ahmad Heshmat.

Tel. 807658 Zamalek — Cairo

Subscription Rates

P.T.

Annual subscription for U. A. R. and Sudan 30



فتاة من جنوب افريقية

South African Native Girl

2nd Year Number 12 and 13 — 1958



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- Suspicious Federations.
- Anthropology in Africa.
- Contending Powers in Africa.
- Guinea Sicotory.
- Special Issue on African Association.

السنة الثانية

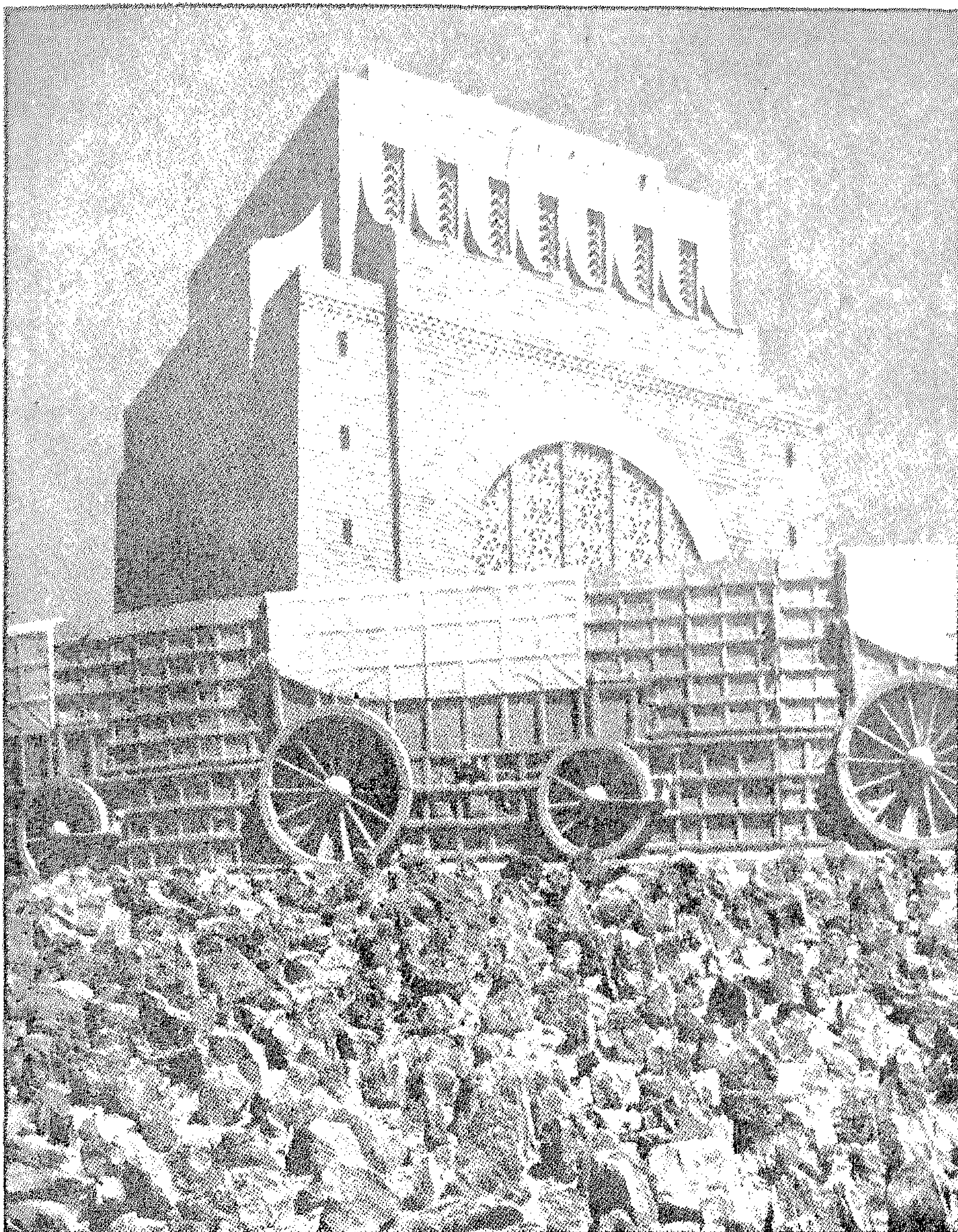
العدد الرابع عشر ـ يناير ١٩٥٩



نهضة افريقية

فى هذا العدد

الثمن
٣



نصب تذكاري لحرب البوير

BOER WAR MEMORIAL



نهضة افريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

تهدف هذه المجلة الى :

١ ـ تنمية الوعى القومى الافريقى .
٢ ـ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
٣ ـ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى .

وللمشتركين الحق فى :

١ ـ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .
٢ ـ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

- ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
- ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية ٥ شارع أحمد حشمت ـ الزمالك ـ القاهرة ـ تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ اقليم مصر بالجمهورية العربية المتحدة .

ترسل اشتراكات المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك السنوى :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

فى العدد الماضى من مجلة نهضة افريقية كتبنا ما يأتى :

((اذا كان الكونغو خاضعا لبلجيكا اليوم فانه يجب أن يكون فى الغد جزءا لايتجزأ من واقع القارة الافريقية التى يجب أن يعيش فيها الناس جميعا فى سلام ، وحرية دائمين ! .))

.. ولم تمض الا أيام حتى أشرق هذا الغد الذى تنبأنا به ، فاذا بالكونغو عزم ، واصرار ، وثورة ، واذا بافريقية تتجمع ، وتتلاقى ثم تستعيد جزءا عزيزا من نفسها ! تستعيد الكونغو من أيدى البلجيكيين . فقد هب الشعب جميعه ضد المحتلين ، فاذا البلجيكيين يحسون أنهم غرباء عن هذه البلاد ، وأنه لابد لهم من الرحيل . فان تكون هذه البلاد لهم بعد اليوم .. وانما ستكون لهذه الصيحات الثائرة ، لهذه الجباه المتراصة ، ولكل ماهو من ((الكونغو)) .

فليس حزب ((أباكو)) الذى يتولى القيادة الجماهيرية اليوم الا نقطة تجمع الصراع الافريقى فى ((الكونغو)) . على أنا نلمح نقط صراع أخرى فى القارة ، فقد هبت ثورة أخرى فى ((توجولاند)) ضد الفرنسيين ، وثورة فى ((أنجولا)) ضد البرتغاليين وتتجمع نذر ثورة أخرى فى ((داهومى)) . وهكذا ينمو الصراع ويتشابك . وان ينحسر بعد اليوم الا على القارة محررة . والاعلى قيم مضيئة ، وحياة جديدة ، فقد آن للقارة الافريقية أن تقوم بدور قيادى فى توجيه مصير العالم . وحين يكون لها هذا الدور ــ وغدا سيكون ــ ستنمو زهور السلام فى كل قلب ، وتزدهر الطمأنينة فى كل نفس . وتصبح الحياة جديرة بأن يعيشها كل انسان !! .

((عبده بدوى))

محتويات العدد

ماذا حدث في « اكرا » ؟

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

في مدينة جميلة أنيقة سقوفها حمراء ، وشوارعها فسيحة مستقيمة ملساء ، زهورها يانعة ، وثمارها تتدلى في عناقيد شهية دانية ، أهلها وادعون ، على شفاههم بسمات الرضا وعلى أجسادهم الآبنوسية أطياف من الالوان الزاهية ، توافدت ، في أوائل ديسمبر الماضي وفود الشباب والكهول والرجال والنساء ، لحضور أول مؤتمر شامل ، يرفع صوت القارة الافريقية ويتردد صداه في العالمين .

وهناك حيث تطل على المحيط الاطلسي وتتاخم خط الاستواء ، مدينة اكرا الحديثة ، كانت وفود الشعوب الافريقية تتوارد الى المطار ، وتتجه الى مراكزها ، حيث تعرف مستقرها ثم تتوافد الى فندق « الامباسادور » الذى هو كعبة القصاد ، ومهبط السادة وعلية القوم ، والذى اتسعت شرفاته لتجمعات الوفود كل مساء ، وكل ظهيرة ، في مواعيد الوجبات ، أما في أويقات الاصيل فان « الامباسادور » هو الرئة التي يستروح بها من ضاق بالقيظ المحرق ، والرطوبة المتكاثفة الآخذة بالانفاس .

وكنت ترى من حولك أشتاتا من أبناء افريقيا ، اختلفت فيهم القامات وخطوط الملامح ، وألوان البشرة واللغات واللهجات وأنماط الثياب ، واتفقت عقولهم ومشاعرهم وأحلامهم ، وعزائمهم على شعار واحد قذفوا به في وجه المستعمرين في دوى كالرعد ! **((أخرجو من أفريقيا .. !))**

ولم يكن أبناء القارة المعذبة ، المخلصون لارض أجدادهم وتراثهم الروحي وكرامتهم الانسانية ، بمأمن في « اكرا » ، من المنافقين والمصانعين والمندسين بأخبث النوايا بين الصفوف فقد تدفق الى المدينة ، من وراء المحيط طوابير من الامريكيين ، بيض وسود .. رجال مزودون بعناصر الدعاية المضادة للقومية الافريقية ، ونساء مسلحات بالمنظر البهي ، والمنطق الرخيم ، والتعاطف المسموم ، جاءوا بوصفهم « مراقبين » أبرياء ، يهمهم الاستطلاع والبحث والدراسة ، والتسجيل ، ولكنهم مالبثوا أن تكشفوا عن جواسيس وعملاء وأذناب للاستعمار .

وعندما وصلنا الى « اكرا » واجتمع الشمل ، وأوشكت عجلة المؤتمر أن تدور ، تكشفت للمؤتمرين ثغرات في الترتيبات المنهجية التي

رسمتها « اللجنة التحضيرية » وكانت تلك اللجنة قد أعدت من قبل منهاج أعمال المؤتمر ، وأشرفت على النواحى الشكلية والنظامية ، وبذلت فى ذلك جهدا مشكورا ، ولكن المؤتمرين لاحظوا ، كما ذكرنا ، بعض الثغرات التى قد تتسع فتنفذمنها أخطارجسام ومنها السماح « للمراقبين » أو من يزعمون أنهم « مراقبون » بحضور جلسات اللجان وسماع مناقشاتها ، وان لم يكن لهم حق التصويت . ولما كان هؤلاء المراقبون لايخرجون عن كونهم ، فى الاغلب ، أجانب مغرضين قاموا فى « الامباسادور » وفى ردهات المؤتمر بدور « الوسواس الخناس » ، فقد كان السماح لهم بحضورجلسات اللجان منطويا على المجازفة التىلاتجد مايبررها .

ولاحظ المؤتمرون كذلك أنالمشرفين على النظام قد رفعوا على مقر المؤتمر أعلام الدول التى هي أعضاء فى هيئة الامم المتحدة ، ومن بينها علم يرمز الى انحراف التقدير لدى هيئة الامم ، بل الظلم المجحف بشعب أسيوى شقيق هو شعب الصين .. لقد ارتفع على المؤتمر « علم فورموزا » ..

وتجمعت هذه الملاحظات وأمثالها ، فدفعت ممثلى الشعوب الى المناقشة ، ثم الى التشاور ، ثم الى اصدار قرار بتكوين لجنة جديدة ، من رؤساء بعض الوفود (وكان من بينهم رئيس وفد الجمهورية العربية) لتضع للمؤتمر منهجا وخطةأخرى ، وكان هذا القرار سببا فى تأجيل أعمال المؤتمر بضعة أيام ، تم فى خلالها الاتفاق على نهج مستقيم ، فأبعد المراقبون الاجانبعن حضور اللجان ، وأنزل علم « شان كاى شك » واقتصرت عضوية اللجان وأعمالها على ممثلى الاحزاب السياسية والهيئات النقابية .

أمابقية الوفودفقداعتبرت «وفودا أخوية » لها حق حضور الجلسات العامة ، ولكنها لاتساهم فى أعمال اللجان .

ولم يكن الوصول الى اتفاق كهذا بالامر السهل ، فان كل اقليم قد جاء منهأكثر من وفد ، وكانتوفودالاقليم الواحد لاتلتزم كلها نظرة واحدة الى كل الامور ، ولكن الرغبة فى نجاح المؤتمر ، من جهة ، والاجماع التام على طرد الاستعمار ، من جهة أخرى ، كان أكبر معوان على التئام الصفوف كلما أنذر النقاش باختلاف ، وتباعد وشتات ..

وفى يوم ٨ من ديسمبرعام ١٩٥٨ بدأ مؤتمر الشعوبالافريقية جلساته وتعاقب الخطباء من سواحل المحيط الهندى ، الى أدغال الكونغو ، الى ضفاف النيجر والسنغال ، الىصحراء موريتانيا الى جبال الاطلس الى وادى النيل ، وقد شملت الجميعروحواحدة تعزفألحان الأسى والألم مما تقاسيه هذه القارة المعذبة ، ثم تزمجر فى وجه الطغاة المستغلين المستبدين المحتكرين لخيراتنا وجهودنا البشرية : اخرجوا من أفريقيا ..!

وقد كان الاتفاق العام ، فىوجهات النظر الرئيسية واضحا كذلك فيما يتصل بالمشكلات الافريقية الجوهرية التى تمخض عنها تحكم الاستعمار ،

وأعنى بهامشكلات التفرقة العنصرية والنزعات القبلية ، ورجعيـــة الحكام المتعاونين مع الاســـتعمار ، والحدود المصطنعة التى رسمتها على الخريطة، المطامع الاوروبية الاشعبية . وقدكان اتحاد غانا وغينيا موضع الرضا من المؤتمر ، ومطمح أحـــلام افريقيـــا الغربية ، التى لايفصل بين أقاليمها على الطبيعة حاجز ولا مانع ، والتى ترجو أن يأتى اليوم الذى تتحد فيه جميعا ، اتحـــادا نظيفـــا ليس به من رواسب الاستعمار أو الرجعية مايهدد بالعـــودة ، مرة أخرى الى التفـــكك، أو الانحلال .

وحينمـــا تكونت اللجان وبدأت اجتمـــاعاتها ، كان من الواضح منذ البداية ، أن لجنتين منهما ، يقع عليهما العبء الاكبر وتفوزان بأكبر نصيب من الاهتمام ،وهما : «لجنة الاستعمار والسيطرة» و « لجنة السكرتيرية الدائمة » .

فقد كان يقع على عاتق اللجنةالأولى وهى تبحث أفاعيل الاســـتعمار فى كبت الشعوب وامتصاص دمائها أن تصدر فى النهاية توصية ، لها قيمتها الادبية ، والدعائية ، فى جميع أنحاء افريقيـــة ، وكان المقترح فى جـــدول أعمال المؤتمر ، أن توصى هذه اللجنة وأن يعتمد المؤتمر توصـــيتها ، بأن تسلك شعوب افريقيـــا كلهـــا مسلك المقاومة الســـلبية (السلمية) فى كفاحها للاستعمار . وقد سمى هذا المسلك ، فى مواضع كثيرة «بأسلوب غاندى ، فى عدم العنف »

وكان كثير من الاعضاء ، ومن ورائهم شعوب بأكملها ، يخشـــون أن تقر اللجنة مبدأ « عدم العنف » وحده فى كفاح الاستعمار . ذلك أن الاستعمار يختلف ويتلون ، كالحرباء ، من بلدالى بلد ، ووسائل الكفاح تتنوع وتتفاوت فى جدواها ، من اقليم الى آخر . وقد ثبت بالتجربة ، فى أماكن كثيرة من افريقية وآسيا أن مسالمة الاستعمار ومفـــاوضته لا تجدى ، بل قد تكون خطرا على الروح الوطنية نفسها ، بل انها قد تغرى الاستعمار نفسه باتخاذ مسلك العنف ليقهر الشعوب ، ويغلبها على أمرها ..

ثم ... ماذا تكون الحال لو تبنى المؤتمر سياسة المســـالمة وحـــدها ، واعتبرها الطريقة المثلى ، ألا يفت ذلك فى عضد المـــكافحين الذين يحملون السلاح فى الجزائر والكمرون وكينيا والذين سبق لهم أن لجأوا الى الوسائل السلمية ، وأوشكوا على اليأس منها وعما قريب ، قد تمتـــد أيديهم الى الزناد ، وقد تمتشـــق الحسام لكى تجهزعلى الاستعمار المتهاوى الجبان!؟

لقـــد أصغت « لجنـــة الاستعمار والسيطرة» الى صوت المنطق والتجربة العملية والعاطفة الوطنية ، فاستقر رأيها ، لدى التوصية ، على أن لـــكل شعب أن يقرر الوســـيلة التى يراها ملائمة لطردالاستعمار سواء بالوسائل السلمية (والدستورية) أو بالرد على القوة بالقوة ، وفى هذه الحالة الاخيرة « يستنكر المؤتمر مايضـــعه الحكام المستعمرون من قوانين تعتبر المكافح الوطنى مجرما عاديا »

أما اللجنة الهامة الثانية وهى «لجنة السكرتارية الدائمة» فقد كان عبؤها بالغ الخطـــورة لانهـــا كانت تحمـــل مسئولية « صنع الجهـــاز » الذى من

حقه أن يتولى تنسيق الجهود وتعبئة الموارد ، ومساعدة الشعوب الافريقية المستعبدة للفكاك من قبضة الاستعمار .

فلو تمخض الامر عن « جهاز ضعيف » لخشينا أن ينفذ الاستعمار نفسه ، بأحابيله ومفترياته ، الى الجهاز نفسه فيبطل عمله . بل انه قد ينقلب وبالا على الحركات الوطنية بدلا من أن يكون معوانا لها .

ولقد طال الاخذ والرد في مناقشات هذه اللجنة ، وانتهى الامر الى التوجيه بانشاء سكرتيرية دائمة يكون مقرها في أكرا ، وتمثل فيها المناطق الرئيسية في شرق القارة ووسطها وشمالها وغربها ، ولكن الصورة النهائية للسكرتيرية لم تكتمل بعد ، وسوف تجتمع « اللجنة التوجيهية » للمؤتمر في القاهرة في شهر يونيو القادم لكى تتم العمل الذى بدأ في « أكرا » .

ان مؤتمر أكرا ، قد حقق الى جانب النتائج التى ذكرناها نتائج لاتقل أهمية ولا خطورة ، فقد كان المؤتمر فرصة نادرة للتعارف بين ممثلى أقاليم متباعدة ، تفصل بينها حواجز استعمارية حديدية ، وسوف يترتب على هذا التعارف مزيد من التفاهم والتعاون وتنسيق الجهود ، تمهيدا للوثوب النهائى على الاستعمار ، وكان المؤتمر فرصة لوضع الاجانب في وضعهم الحقيقى كأغراب متطفلين ، مما كاد يطير بصوابهم ، وألجأ بعضهم الى الحماقة المنكرة ، فقد اختبأ واحد منهم ، وهو صحفى أمريكى ، تحت منضدة «لجنة الاستعمار والسيطرة » وأخذ يسترق السمع الى أن ضبط متلبسا بالتجسس .

وقد أعانه على الافلات من عمله ذاك الخسيس ، ما آثرته السلطات في غانا من مجاملة السفارة ألتى يتبعها وهى السفارة الامريكية .. وياليتها ، أى السلطات أتاحت للقانون أن يأخذ بتلابيبه ، وأن يذيقه من شر أعماله .

وقد بلغ من تهافت هؤلاء الامريكيين وفى أذيالهم ممثلو اسرائيل في أكرا ، على احباط المؤتمر وتمزيق صفوفه أن لجأوا الى وسائل الترغيب والرشوة السافرة ، محاولين التأثير على كثير من الاعضاء (وخصوصا الشباب الافريقى الذاهب من القاهرة ، فكم لوحوا لهؤلاء الشباب بالمنح الدراسية السخية و (بالشيكات) المنطوية على مئات الجنيهات ، وخرج الشباب من التجربة كما هو ، نظيفا وطنيا حرا نبيلا ...

ولقد بلغ الحماس ضد الاجانب ونفوذهم ، لدى بعض الوفود ، مبلغ الانتهاب ، فاندفعوا يعبرون عن آرائهم بأسلوب رأت فيه السلطات في غانا خروجا عن الحدود المحتملة ، كما حدث للامير «زكريا بن خينو» مندوب موريتانيا ، فما كان من السلطات الا أن أمرت باخراجه من غانا ، ويشاء الحظ العاثر أن يوضع في طائرة ذاهبة الى « أرض فرنسية » وان كانت في القارة الافريقية ، وهناك اختطفه الفرنسيون من الطائرة ، وليس يدرى أحد الآن مصيره ! بل انه يخشى أن تنفذ السلطات الفرنسية ، بوحشيتها المعهودة ، ماسبق أن أصدرته من حكم باعدامه .

ان مؤتمر الشعوب الافريقية ماهو في الواقع الا مرحلة من مراحل الوعى الافريقى المتفتح ، وما هو الا علامة من علامات الطريق الطويل الوعر ، الى الحرية والاستقلال !

السلالة والجنس فى افريقية

للدكتور محمد رياض

— ٢ —

السلالات الزنجية فى افريقيا :

تشمل هذه السلالات مساحة فى أفريقية أكثر من المساحة التى تشغلها أية سلالات أخرى . وتمتد فى غرب القاهرة من الاقليم السودانى الطبيعى الى ساحل غانة ، وفى وسط القارة فتشمل الجنوب من اقليم تشاد ، والجنوب من جمهورية السودان ، وجيوبا فى غرب وجنوب الهضاب الحبشية وجيوبا على ساحل المحيط الهندى الى عرض زنجبار ، ثم تشمل كل افريقية جنوبى خط الاستواء ، فيما عدا اقليمين أحدهما فى الجنوب الغربى ، وهو الذى تشغله سلالات البشمن والهوتنتوت ، والجنوب الاقصى الذى يشغله الاوربيون الحديثو العهد بالقارة .

هذه المساحة الضخمة المترامية تضم من أساسها نوعين من أنواع المناخ المدارى ، وبالتالى نوعين من أنواع النبات الطبيعى ، هما : الحياة الشجرية الكثيفة حيث يغزر المطر وتشتد الحرارة ، ويتوزعان على شهور السنة وبذلك نشأ ما عرف باسم الغابات الاستوائية فى كثير من أجزاء ساحل غانة ، وفى الاجزاء الشمالية والوسطى والشرقية من حوض نهر الكونغو وفى الكنغو الفرنسى . والنوع الثانى : الحياة العشبية التى تتمثل فى الحشائش الخشنة الطويلة المسماة السفانا ، والتى تتخللها أحيانا أشجار غير متكاثفة ، وفى أحيان أخرى تخلو تماما من الشجر . وهذه السفانا تمتد فى ثلاثة نطاقات فى أفريقيا :

الاول : بعرض القارة فى الاقليم السودانى الطبيعى الممتد من السنغال الى حافة هضبة الحبشة ، ويقع الى الشمال من نطاق الغابات الاستوائية السابق ذكرها .

والثانى : بعرض القارة أيضا من موزنبيق والزمبيزى الى انجولا والاجزاء الجنوبية من الكنغو ، ويقع بذلك جنوب نطاق الغابات الاستوائية .

والنطاق الثالث : يمتد من الشمال الى الجنوب فى هضبة البحيرات ومرتفعات شرق أفريقيا عموما ، وهو لذلك حلقة الربط بين نطاقى السفانا فى الشمال والجنوب ، ويمثل معبرا أساسيا للهجرات والتحركات البشرية التى يستحيل عليها التقدم عبر النطاق الغابى فى الكونغو من الشمال الى الجنوب .

لقد استطردنا الى حد ما فى هذه النقطة ، ولكن لها أهميتها الكبرى فى التقسيمات الكبرى للسلالات الزنجية وقد عبر عن ذلك خير تعبير كل من « فون ايكتشند » والمدرسة البولندية فقسموا الزنوج الى قسمين رئيسيين هما : زنوج الغابات ، وزنوج السودان ولكل منهما صفات متغايرة ، كما أن لكل منهما أقساما فرعية سنذكرها فى موضعها .

ان دخول الزنوج افريقيا قديم ، بحيث لايمكن تحديده مطلقا . ويكفى أن تعرف أن معظم زنوج العالم من

ناحيتي العدد والتنوع موجود في أفريقية ، لكي ندرك أن موطن الزنوج الأول ، أو بعبارة أصح ، المكان الذي أخذوا فيه صفاتهم الأساسية ليس بعيدا عن أفريقية ان لم يكن داخل أفريقية ذاتها .

ويرى أصحاب التوزيعات الجغرافية للاجناس أن الزنوج نشأوا غالبا في منطقة ما من جنوب آسيا ، والغالبية ترجح أنها منطقة جنوب الهند وجنوب الجزيرة العربية . ويؤيدهم في ذلك وجود بعض رواسب للصفات الزنجية في سكان هاتين المنطقتين . ويرى علماء الانثروبولوجيا أنه يتعين على الزنوج أن يكونوا قد أخذوا صفاتهم الحالية من الناحية البيولوجية في منطقة حارة شديدة الاشعاع الشمسي ، وشديدة الجفاف . ويرى « أوتوريخة Otto Reche (١) » ان الزنوج قد تخصصوا في صفاتهم في مناطق الحشائش التي كانت تملأ الصحراء الكبرى في العصر المطير الاخير ، وربما أيضا صحراء الجزيرة العربية ، وأنهم تقهقروا جنوبا بتقهقر الحشائش وحلول الجفاف في الصحراء ، وتقهقروا أيضا الى الجنوب أمام دفعات الفروع البربرية والاثيوبية « الحاميين الشماليين والشرقيين » من السلالة الوسطى « سلالة البحر المتوسط » ويعتمد ريخه في ذلك على عوامل بيولوجية بحتة منها أن غدد افرازات العرق الكثير لدى الزنوج ليست لها أية أهمية في تبريد الجسم اذا كانت منطقة تخصص الزنوج اقليما حارا مطيرا كثير الرطوبة . فلكثرة الرطوبة الجوية تمنع سرعة تبخر افرازات العرق ، وبالتالي لا بد من أن اقليم [illegible] الاشعاع الشمسي المتميز بالجفاف أكثر منه بالرطوبة . وعلى هذا فاننا نرى أن هناك شبه اتفاق على أن الزنوج ، سواء نشأوا أصلا في الجزيرة العربية أو في افريقيا ذاتها — قد ظهروا الى حيز الوجود بمميزاتهم الجسدية الاساسية في العصر المطير الاخير المقابل للفترة الجليدية « فورم » في أوروبا .

١ — زنوج الغابات :

ويسميهم « فون ايكشتد » الزنوج القدماء «Palanegride» ويمكن أن نقول انهم يدخلون في جزء ممن يسميهم الاستاذ « سليجمان » بالزنوج الخلص «True Negro» وجزء من مجموعة البانتو ، وعلى الاخص من يسميهم « سليجمان » البانتو الغربيين . وهم كما يتضح من خريطتي « كليميك » و « فون ايكشتد » يمتدون فعلا في نطاق الغابات الاستوائية الكثيفة في الكنغو الشرقي والاوسط والشمالي ، وفي الكنغو الفرنسية وجابون وجنوب شرقي نيجيريا وساحل غانة الى ليبيريا .. وأهم مميزاتهم الجسدية لون البشرة أسود داكن أو بني أسود والشعر صوفي والنسبة الرأسية طويلة الى حافة المتوسطة والجبهة بارزة ، كما يتميزون بظاهرة بروز الفك ، والانف عريض مبطط أفطس واسع الفتحات عريض الجذر ، عريض الى عريض جدا في النسبة الانفية . الشفاه غليظة ومقلوبة ، والقامة متوسطة ١٦٠ سم الى ١٦٨ سم والسيقان قصيرة نسبيا . ومن أهم ممثلي هذه السلالة قبائل « الكرو » في ليبيريا ، وقبائل اقليم ساحل العاج ، والاجزاء الجنوبية من جمهورية غانا مثل «اتحاد الاشانتي» وقبيلة « الجائم الداهومي » في داهومي و « اليوربا » و « الايبو » في

---

(1) Otto Reche, «Merkunft und Enrstehung der Negerrassen» in «Koloniale Voelkerkunde. Berlin 1943.

نيجيريا و « قبيلة الفانج » فى جابون ومجموعة قبائل « سونجو ــ مينو » فى وسط الكونغو ، ومجموعة قبائل «منجو» فى شمال الكونغو الاوسط .

٢ ــ زنوج السودان :

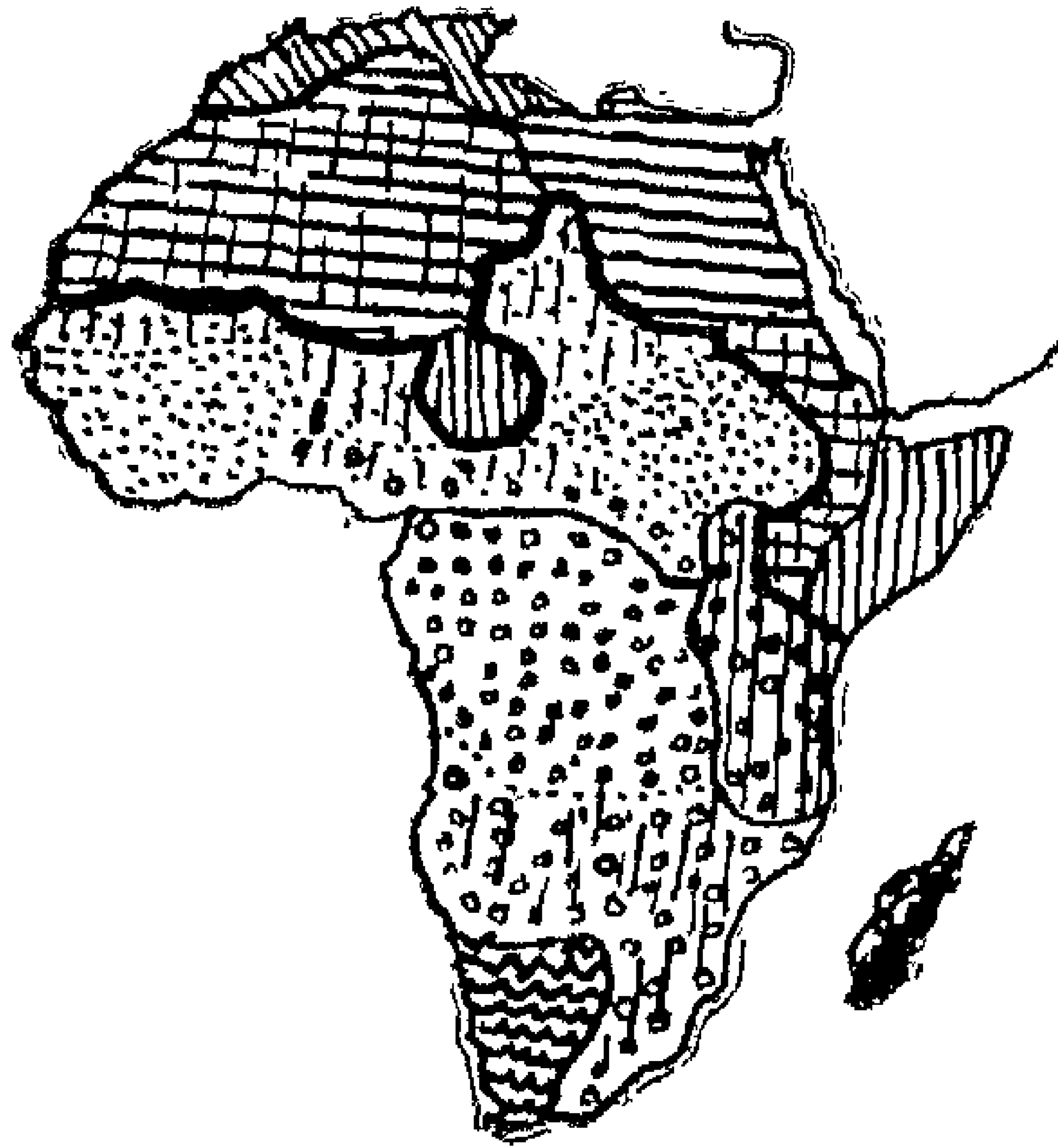
وهؤلاءلهم أقسام كثيرة ، وتسميهم المدرسة البولندية السلالة السودانية Sudanide ، ويقسمهم « فون ايكشتد » الى قسمين أساسيين ، يسميهما «السلالة النيلية Nilotide والسلالة السودانية ، وهؤلاءيدخلون فى جزء ممن أطلق عليهم «سليجمان» الزنوج الخلص . ونلاحظ أن هذه السلالة فى أنقى صورها ، تحتل نطاق السفانا السودانى الكبير الذى يمتد بعرض القارة شمال نطاق الغابات من السنغال الى الهضبة الحبشية .

وهؤلاء يتميزون بلون بشرة أسود آبنوسى لامع ، وشعر صوفى ونسبة رأسيةطويلة ، وجبهة بارزة متراجعة وقوس الجمجمة مرتفع ، والوجه عريض قصير الطول ، ويتميزبظاهرة بروز الفك والانف قصير وعريض ، وفتحاته واسعة ، والقصبة الانفية اما مستقيمة او مقعرة ، والشفاه غليظة ومقلوبة ، والقامة طويلة جدا ، تصل الى ١٧٧ سم أو أطول ، والسيقان طويلة عن التناسب المطلوب فى الجسد ، والجسد ذو بنية نحيفة فى الغالب . ومن أهم ممثلى هذه السلالة قبائل النيليين فى جنوب جمهورية السودان « الشلك والدنكا والنوير والاتشولى والجالو ودار فرتيت » ومجموعة « الماسا والموسجو وسارا » فى « باجرمى » و «الجوكون» فى حوض « بنوى » الاعلى والاوسط و « الموسى » و « الدوجون » فى ثنية النيجر ومجموعات « الماندنجو » فى النيجر الاعلى .

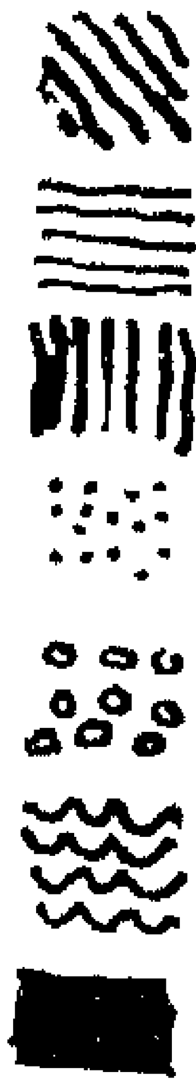
يبقى لدينا بعد ذلك نطاقا السفانا الآخران فى شرق أفريقيا وجنوبها وهما النطاقان اللذان تسكن فيهما الجماعات التى يطلق عليها «سليجمان» « البانتو البحريين » أو الشرقيين و « البانتو » الجنوبيين . ويلاحظ أن كلا من « ايكشتد » و« كليميك » فى خريطتيهما قد ظللا هذه المناطق بحيث يظهر فيهما الاشتراك بين زنوج الغابات وزنوج السودان . والواقع أن « سليجمان » أيضا يؤكد وجود اختلاط فى هذه المناطق بين « الحاميين » (الأتيوبيين) و «البانتو» (زنوج الغابات) . وبهذا يتبين أنه لاتوجد فى الواقع اختلافات على حدوث هذا الخلط الجنسى .

ويميز « ايكشتد » هذه المجموعة فى جنوب أفريقيا باسم « الكافيريد Kafiride » وهو فى هذه التسمية سىء الحظ ، لانه يشتقها من اسم « الكافير » الذى أطلقه الاوربيون على مجموعات الزنوج فى جنوب أفريقيا ، حينما قابلوهم واشتبكوا معهم . ولا ضرورة لمثل هذا التحديد . فالاسلم ــ والواقع ــ أن نطاقى السفانا فى شرق وجنوب أفريقيا لايمثلان منطقة نقاوة جنسية نسبية ، بل يمثلان خليطا جنسيا بين زنوج الغابات وزنوج السودان ، ولذلك لا يمكن أن نعدهم مجموعة أو سلالة منفصلة ، ومن أهم قبائل هذين النطاقين « الباجندا » فى « أوغندا » و « الكيكويو » فى كينيا و «الشاجا» حول «جبل كليمانجارو» و « السانجو » و « الهيهى » فى وسط « تنجانيقا » و « الشيوا » فى « نياسالاند » ومجموعة «الشونا» و « اليمبا » فى روديسيا و « الزولو » فى « نتال » ومجموعات « الباكوبا » و « البالوندا » فى الكونغو الجنوبى .

ولا يسعنا فى ختام هذا الجزء الا أن نقرر حقيقة واضحة ، هى أن زنوج السودان أكثر تغايرا فيما بينهم فى صفاتهم عن زنوج الغابات . وقد



خريطة ((كاليميك)) السلالات فى أفريقيا



السلالة الوسطى (البحر المتوسط)

السلالة الوسطى الشرقية والجنوبية (سامى + حامى)

سلالة شرق افريقيا (حامى)

السلالة السودانية (زنوج السفانا)

زنوج الكنغو (زنوج الغابات)

البشمن والهوتنتوت (نجرويد)

آسيويون شماليون

ملاحظة : الخريطة معدلة مبسطة ، والخط السميك فى وسط أفريقياوغربها يمثل الخط الفاصل بين أفريقيا البيضاءوالسوداء .

نجم ذلك عن تجاور موطن زنوج السودان بمواطن البربر والاثيوبيين (الحاميين) وما يؤدى اليه ذلك من درجات مختلفة من الاختلاط . وسنعود الى ذلك فيما بعد .

٣ – السلالات البيضاء فى افريقية :

وتتميز هذه السلالات ، على عكس السلالات السوداء اللون ، بأن أصولها ترجع الى فرع واحد من فروع الجنس القوقازى ، هذا الفرع هو الفرع الجنوبى من هذا الجنس الذى يعرف فى اللغات الاجنبية باسم : Mediterranean Race

وقد شاعت ترجمته فى اللغة العربية باسم سلالة البحر المتوسط . والواقع أن هذه التسمية العربية خاطئة . ففى اللغات الاجنبية ليس المقصود ربط هذا الفرع فى توزيعه وانتشاره بالبحر المتوسط فى حد ذاته ، بل قصد حرفية ما تعنيه كلمة Mediterranean أى ما بين أواسط الكتل القارية او الارضية (Medi = أواسط ، terra = أرض) ولو كان القصد نسبة الفرع البشرى هذا الى حوض البحر المتوسط لسمى Mediterranean Sea Race أى سلالة البحر المتوسط وعلى أية حال فالمجال مفتوح للمناقشة ، ولكننى هنا سأتبع فى تسميته السلالة الوسيطة كتسمية مبدئية ، لانها أعم انتشارا من حوض البحر المتوسط .

كما أنها تتوسط فى توزيعها المكانى

الوسط بين أوروبا وأفريقيا ، وتمتد في جنوب الاولى وشمال الثانية وشرقها ، الى جانب أنها في حد ذاتها تشتمل على كثير من الصفات الجسدية الظاهرية والقياسية التي يمكن أن تكون حلقات الاتصال والتدرج بين السلالات التي تقع الى الشمال والى الجنوب منها . فهذه السلالة في الواقع بفروعها الكثيرة معبر حقيقي تتدرج فيه الصفات الجسدية ، وعلى الاخص لون البشرة وشكل الشعر . ولا يهمنا في الوقت الحالي مناقشة أسباب هذا التدرج : هل هي نتيجة الاختلاط ؟ أم نتيجة التكييف البيئي أم نتيجة العاملين معا ؟ أننا نناقش الحقائق الموجودة فعلا ، أما الاسباب فلها مجال آخر .

وواضح من خريطتي « كليميك » و « فون ايكشتد » ، كما يتضح من كتابات سليجمان أن الفروع الاساسية للسلالة الوسطى في افريقية هي : (١) السلالة الوسطى في أبرز صورها النقية . (٢) السلالة البربرية Berberide (النسبة الى البربر سكان شمال أفريقيا) وليست الى صفة البرابرة أو المجموعة الجنسية التي نسميها « البرابرة » في منطقة النيل النوبي ، وهذه تسمى البربرية في مصطلحات « فون ايكشتد » ، وتسمى السلالة الوسطى الشرقية والجنوبية في مصطلحات « كليميك » وان كانت المدرسة البولندية الحديثة تسميها السلالة البربرية وتسمى السلالة الحامية الشمالية في مصطلحات « سليجمان » وكانت فيما سبق تسمى السلالة الليبية . (٣) سلالة شرق أفريقيا وهذه تسمى بهذا الاسم في مصطلحات « كليميك » ويسميها « فون ايكشتد » السلالة الاثيوبية Athiopide ويسميها سليجمان السلالة الحامية الشرقية . (٤) السلالة الشرقية Orientalide ويتفق كل من «كليميك» و« فون أيكشتد» على هذه التسمية على حين يطلق عليها سليجمان وغيره من كتاب المدرسة الانثروبولوجية التقليدية اسم السلالة السامية Semetic

والى جانب هذه الفروع الرئيسية نجد نسبا ضئيلة منصهرة من سلالات اخرى خارج نطاق السلالة الوسطى . وأهم هذه السلالات العناصر العريضة الرؤوس الالبية وأغلبها من السلالة الارمينية في صورتها الاصلية أو في صورتها غير المباشرة عن طريق آثار السلالة الارمينية في الفينيقيين سكان سواحل الشام وفي الحميريين سكان جنوب الجزيرة العربية .

٤ ــ السلالة الوسطى :
Mediterranean Race

وهذه السلالة في صورتها النقية أكثر انتشارا في حوض البحر المتوسط الاوروبي ، وتتمثل في أفريقيا في شمال غرب أفريقيا ، كما يتضح ذلك من خريطتي «كليميك» و «فون ايكشتد » وان كان كايميك يعممها في كل الشمال الغربي . والواقع أن انتشار هذه السلالة محدود في مناطق معينة في شمال غرب افريقيا كما هو واضح في خريطة « فون أيكشتد » كما أن لها انتشارا محدودا آخر في بقية أفريقيا البيضاء ، وعلى الاخص في الاجزاء الغربية للصحراء الكبرى(١) وأهم المميزات الجسدية هو أن الشعر أسود اللون مموج الى مجعد تجعيدا خفيفا ، والنسبة الرأسية من ٧٣ الى

---

(١) حيث يكونون الطبقات النبيلة في مجتمعات الطوارق ، وبعض قبائل البربر في الاجزاء الغربية من الصحراء الكبرى ، وربما أيضا في جماعات أخرى في الصحراء الكبرى مثل التبو وجماعات حافات السفانا والصحراء مثل الفولاني .

٧٦أي طويلة الى قرب الحافة المتوسطة والوجه طويل وبيضاوي والعيون سوداء داكنة والانف نسبته ضيقة وقصبته مستقيمة مع بعض العرض والشفاه متوسطة أميل الى الدقة مع الامتلاء ، والقامة متوسطة حوالى ١٦٢ ـ ١٦٥ سم . وبناء الجسم نحيف ولون البشرة أبيض مع بعض السمرة .

٥ ـ السلالة البربرية Berberide

وهذه السلالة هي التي يسميها « سليجمان » بالحاميين الشماليين وهم كما سبق القول أحد فروع السلالة الوسطى المتخصصة ويسكنون في شمال غرب أفريقيا والجزء الغربي والليبي من الصحراء الكبرى ، ويشتركون مع سلالة شرق أفريقيا أو ما يسمى أحيانا بالاتيوبيين أو الحاميين الشرقيين في تكوين الاساس الجنسي لوادى النيل الادنى وأبرز ممثلي هذه السلالة هم البربر في الجزائر ومراكش وموريتانيا واقليم الطوارق . وأهم المميزات الجسمانية هي : الشعر مموج به بعض التجاعيد ولون الشعر أسود في الغالب ، وبعضه أشقر يتدرج في درجات الشقرة المعروفة . الرأس نسبتها طويلة حوالى ٧٥ في المتوسط مع ظهور عناصر عريضة بالرأس وشكلها بيضاوي مع ارتفاع في قوس الجمجمة والوجه بيضاوي طويل وعظمة الذقن مدببة ولا توجد أية آثار للبروز الفكي الا في بعض الجماعات المختلطة مع الزنوج وفي بعض الحالات يظهر بروز خفيف في المنطقة الصغيرة أسفل الانف ، أي في الجزء الاعلى من الفك الاعلى . والعيون لوزية الشكل وفتحة المحجر متوسطة في الغالب ، والانف عادة بارز في الوجه بروزا معتدلا ، والقصبة متوسطة الطول ، والنسبة الانفية ضيقة الى متوسطة . الشفاه غالبا رقيقة ، والقامة في المتوسط ١٦٥ سم وفي الطول ١٧٣ سم . وبنية الجسم من النوع الخفيف النحيف ولون البشرة يتدرج بين الاسمر البنى والاسمر المحمر الى الابيض .

ويلاحظ من هذه الصفات أن هناك عنصرا أساسيا في التكوين وهو أقرب ما يكون الى المميزات الجسدية للسلالة الوسطى ، وهذا العنصر هو ما يسمى البربر . ونجد الى جانب ذلك عنصرين آخرين ساهما في تكوين البربر ولعبا دورا في تشكيله ، العنصر الاول يظهر في صفات شقرة الشعر والعين ولون البشرة وطول القامة ، وهذا بلا شك يرجع الى آثار نوردية Nordic Race ، والعنصر الثاني يظهر في عرض النسبة الرأسية، وهذا لا شك يرجع الى آثار ألبية Alpine Race

ومن السهل ارجاع العنصر النوردى الى أسبابه . فهناك حلان لهذه المشكلة . فالمعروف أن الصفات النوردية تظهر في منطقتين : الاولى منطقة النورديين الحاليين في شمال أوروبا ، والثانية تظهر في المناطق التي كان يعيش فيها جنس « كرومانيين » Cromagnon البائد . ونحن نعرف أن منطقة شمال غرب افريقيا كانت موطنا لبعض عناصر الكرومانيين ، ولهذا فالراجح أن سبب الشقرة بين البربر يعود الى استمرار بقاء صفات الكرومانيين في بعض العناصر الاساسية للسكان في الاقليم . والحل الآخر هو أن النورديين الحاليين قد أثروا في شمال أفريقيا جنسيا ، أما على فرض أن البربر الشقر مستمدون أصلا من النورديين الحاليين ، أو على فرض أن النورديين الحاليين مستمدون أصلا من منطقة شمال أفريقيا . وكلا الفرضين من الصعب تحقيقهما ، ذلك أن النورديين الحاليين قد أخذوا صفاتهم الحالية في منطقة تخصصهم

وهى غالبا منطقة شمال أوروبا . كما ان شقرة بعض البربر لا ترجع الى فترة حديثة ، كما اقترح بعض الكتاب ارجاعهم الى هجرة الوندال Wandal فى القرن الخامس ، لانه ثابت من رسوم الدولة الحديثة فى مصر الفرعونية ، وجود ليبيين شقر ، وهجرة الوندال هى الهجرة النوردية الوحيدة التى نعرف عن وصولها الى شمال أفريقيا . وعلى أية حال فانه يبدو أن أسلم الحلول لمشكلة الشقرة بين البربر هو ارجاعها الى آثار متخلفة عن اختلاط عناصر من الكرومانيين بالبربر فى زمن بعيد مع حدوث تعديل فى بعض الصفات الجسمانية الاخرى نتيجة الاختلاط ، وبذلك تظهر لنا عناصر البربر الشقراء فى شكل يقارب النورديين الحاليين أكثر من قربها شبها بالصفات الجسمانية الاخرى التى تكون الكرومانيين . ويؤيد ذلك القول بعض التأييد أن أصول النورديين الاولى وأصول السلالة الوسيطة الاولى أكثر تقاربا (١) .

أما مشكلة عرض النسبة الرأسية لدى البربر فهى أعقد من المشكلة السابقة ، ولا يسعنا فى هذا المجال الا الاشارة الى ثلاثة حلول :

١ — أن عرض الرأس صفة متخلفة من الكرومانيين أو على الاخص سلالة « الافالو Afalou » البائدة .

٢ — أنها تعود الى آثار الفينيقيين الذين كانوا يعيشون على السواحل منذ عهد بعيد .

٣ — أنها تعود الى القبائل اليمنية التى هاجرت الى المنطقة . والحل الاخير أضعف الحلول ، والثانى لايفسر عرض الرأس الا فى السواحل فقط .

ولذلك ربما كان السبب هو اشتراك العوامل كلها فى التاريخ الطويل لشمال غرب أفريقيا .

هكذا نرى أن السلالة البربرية تتكون أساسا من عنصر موحد هو السلالة الوسطى . دخلت عليه عناصر غريبة . ربما امكن القول بأنها نتيجة اختلاط مع السلالات البائدة أكثر من القول بأنها نتيجة هجرات عناصر غريبة . والى جانب العنصرين اللذين ذكرناهما نجد بعض آثار زنجية وهذه نتيجة للاحتكاك بالزنوج الى الجنوب من اقليم البربر ، وما يتبع ذلك فى بعض الاحيان من تزاوج وانصهار للعناصر المولدة .

٦ — السلالة الاتيوبية Athiopide

وهذه هى مايطلق عليها بوجه عام السلالة الحامية الشرقية أو سلالة شرق أفريقيا . وتعيش هذه الجماعات فى القرن الافريقى — أي فى مناطق الصومال المختلفة ومعظم هضبة الحبشة وساحل البحر الاحمر كله الى القصير فى الشمال ، والى نهر تانا فى أواسط كينيا الشرقية ، وتمتد أيضا فى بلاد النوبة ، وتظهر فى جميع السكان فى غرب السودان ، ويضم اليها « فون ابكشتد» قبائل التبو من جبال تبستى الى منخفض بركو ، ثم الى منخفض بحيرة شاد ، ومعظم السكان حول بحيرة شاد ، كما يضم أيضا اليها الفولانى أو الفولا الذين يمتدون فى مناطق مختلفة من جبال فوتاجالون عند منابع النيجر الى شلال ماندارا فى الكمرون الاوسط والشمالى . كما كانوا يكونون الاصل الاساسى فى سكان مصر القدماء .

---

(١) انظر شكل ٣٠ وصفحتى ٢٩١ و ٢٩٢ من كتاب :
C.S. Coon «Races of Europe» New York 1948.

وعلى الرغم من أنهم أيضا جزء من السلالة الوسيطة ، وأنهم فى كثير من التسميات يتفقـــون مع الســـلالة البربرية ، الا أن هذه السلالة الاتيوبية تمثل أكثر فروع الســلالة الوسيطة تطرفا الى الجنوب ، وأكثرها التصاقا بعالم الزنوج المتنوع . ونظرا الى هذا الموقع الفريد فاننا نجد أن الســلالة الاتيوبية تتميز عن بقية فروع السلالة الوسيطة بأن لون البشرة يتدرج الى اللون النحاسى الداكن فى الغالب الاعم الذى يقرب من اللون الاسود. كذلك الشعر تجاعيده كثيرة ، كما نلاحظها فيما بين أغلبية المصريين. ولا مناص لنا ، نظرا لمثل هذه الصفات وغيرها، الا أن نوافق على قـــول مدرستى « ايكشتد » والمدرسة البولندية أن هناك ظروفا خاصة أدت الى أن يتخذ هـــذا الفرع الجنوبى من الســلالة الوسيطة هــذا المنحى فى التطـور ، استحق معه أن يسمى باسم خاص، سواء كان هذا الاسم «الاتيوبيين»(١) أو « شرق افريقيــا » أو الحــاميين الشرقيين ، والواقع أننا نجد شـبه اتفاق فى هــذا الصدد بين العلماء .

وبعضهم يذكر ذلك علانية، وبعضهم يذكره تلميحا . وكل من البولنديين وفون ايكشتد قد أثبت هذه السلالة على أنها قائمة بذاتها ، وان كان هناك خلافات فيما بينهما . ونجد أن « فون ايكشتد » لايخص أفريقيا بالاتيوبيين بل يؤكد أنهم فى افريقيــا جــزء من سلالة أعم، هى فى حد ذاتها فرع من السلالة الوسيطة ، وتمتد فى جنوب الهنــد . ويستمد « فون ايكشتد » تقسيمه على أساس تقسيمات الاستاذ سرجى Prof. Sergi عام ١٩٠٨ حـين خص سكان القرن الافريقى باسم الانسان العاقل الافريقى Homo Sapiens Africanus وتقسيمات الاستاذ دينكر Porf. Deniker عــــام ١٩٠٠ حين وصف سكان جنوب الهند باسم Homo Sapiens Indomelanicus

وأشار الاســتاذ « اليوث سميث E. Smith » الى مثل هـــذا التقسيم تحت اسم السلالة السمراء Brown Race ولكنه حمله أكثر مما يستطيع فأوصله من التركستان واندونيســيا الى فرنســـا والجزر البريطانية فى العصر الحجرى الحديث.

وقد قســم « فون ايكشـــتد » الاتيوبيين فى افريقيــا الى الاقســام التالية(٢) :

١ ـ الاتيوبيين الشــماليين ومن أشهر ممثليهم النوبيون وقبائل البجه.

٢ ـ الاتيوبيين الشرقيين ومن أشهر ممثليهم الصوماليون والاحباش .

٣ ـ الاتيوبيين الجنوبيين ومن أشهر ممثليهم الهيما والمازاى Hima, Masai

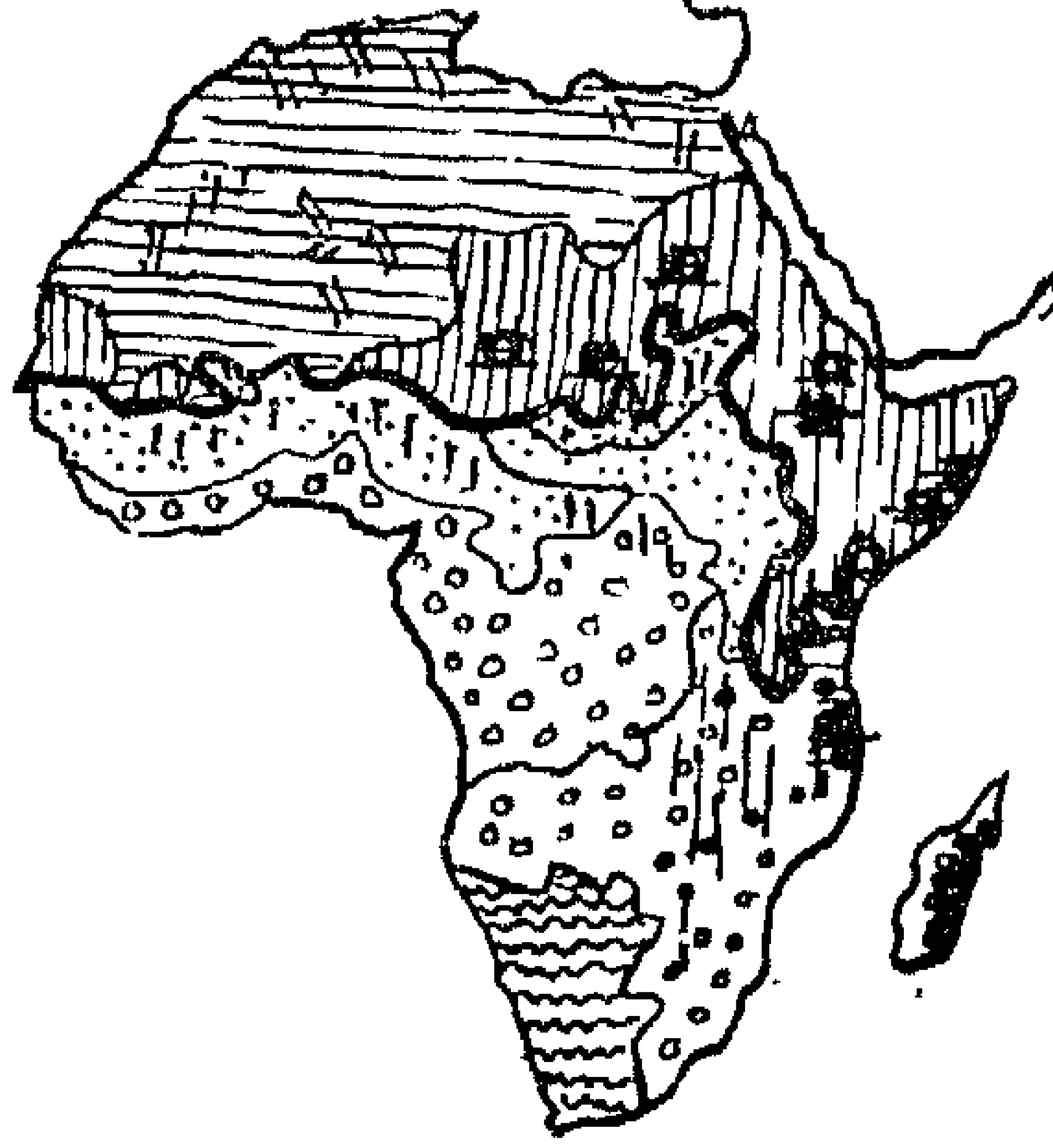
٤ ـ الاتيوبيين المركزيين ومن أشهر ممثليهم التبو والهوسـ Tibu, Hausa

٥ ـ الاتيوبيين الغربيين ومن أشهر ممثليهم الفولانى وسكان موريتانيا .

---

(١) اسم اثيوبيــين لا يشـير الى اثيوبيــا الحالية ، بل ربما استوحى « فون ايكشتد » هذا الاسم من اسم « اثيوبيا » القديمة التى كانت تمتد جنوب مصر والتى كان لهــا شهرة خيالية فى العهد الاغريقى الرومانى .

(٢) مقال : VON EICKSTEDT, E, «Volkerbilogische Probleme der Sahara» p. 223. «Koloniale Voelkerkunde» Berlin 1943.



خريطة ((ايكشتد)) للسلالات فى أفريقيا

السلالة الوسطى	Mediterranean	(بحر متوسط)
السلالة البربرية	Berberide	(الحامية)
السلالة الاثيوبية	Athiopide	
النيلوتين	Nilotide	(الزنوج)
السودانيون	Sudanide	
الزنوج القدماء	Palanegride	
الكافيريد (جزء من البانتو)	Kafiride	
الخوايزانيد	Khoisanide	(البشمن)
المغول القدماء	Palamongolide	(هوفا)
السلالة الشرقية	Orientalide	(ساميين)

ملاحظة : الخريطة معدلة مبسطة ،والخط السميك يمثل الخط الفاصل بين أفريقيا البيضاء والسوداء . قارن هذا بخريطة ((كليميك)) السابقة .

وُلنا بعض الاعتراضات على هذا التقسيم لأن « ايكشتد » يستخدم أسماء جماعية فى بعض الاحيان مثل استخدامه لكلمة « الاحباش » ونحن نعلم أن هناك خليطا كبيرا من السلالات فى هضاب الحبشة . وربما كان الاعتراض الكبير الذى نسوقه على هذا التقسيم أن « ايكشتد » قد تأثر ـ الى جانب تصنيفاته الخاصة بالصفات القياسية ـ بالكم الحضارى والتشابه الثقافى فى مضمار النظم الاقتصادية الاجتماعية بين بعض هذه الجماعات. وهو ـ اذا كان ما نفترضه صحيحا ـ يكون قد خرج بعض الشيء عن التحديد الجنسى ذى الاتجاهات القياسية ، وأضاف الى قياساته الجسدية قياسات حضارية . وعلى أية حال ، فان اعتراضنا هذا لا يقلل اطلاقا من قيمة هذا التقسيم وهذا الاتجاه ، ولكننا نحتاج فقط الى كميات أخرى كثيرة من البحوث الانتروبولوجية .

أضواء على
اثيوبيا المعاصرة

بقلم : الاستاذ عبده بدوى

اثيوبيا تاريخيا :

تتشكل « اثيوبيا » من هضبتين ضخمتين . تصل الاولى الى نحو الف متر بينما تبلغ الثانية نحو ألف وخمسمائة متر ، وتتوسطها بحيرة « تانا » ..

واذا كان هذا التكوين يعتبر تحصينا محكما من الطبيعة لهذه البلاد ضد الغزوات الخارجية . فانه فى الوقت نفسه قد أدى دورا خطيرا فى حوادث التمرد الداخلى ، وفى جعلها مخابئ لثروات الملوك ، وخلوات صامتة للتعبد ، والتقرب الى الله . كما استخدمها بعض الحكام كسجن عام لجميع الذكور من الاسرة الحاكمة . فيما خلا أبناء النجاشى المتربع على دست الحكم

وبسبب هذه الطبيعة لم تتكون قبل الفترة الحديثة وحدة عامة للمجتمع الاثيوبى . ذلك لان الامارات كانت تقوم . ثم تتوارى . دون رابطة قوية تربط بينهما جميعا . ومن هنا عاشوا فى الماضى فى شبه عزلة لا يتصل بعضهم ببعض . ثم فى عزلة تامة عن العالم الخارجى . ذلك لانه لم يكن من سبيل الى تلك الحياة الخارجية سوى الموانىء التى تطل على البحر الاحمر ، التى كانت توصلهم فى بطء . وفى تعب الى مدنية البحر الابيض المتوسط ولقد كان هذا الطريق هو المنفذ الطبيعى للحبشة ، فقد حمل اليها مسيحية اليونان ، وثقافتها ، كما حمل اليها من قبل ثقافة العرب القدامى ، ولغتهم .

فقد تغلغلت من قبل المسيح عدة قبائل يمنية ــ بعد أن عبرت البحر الاحمر ــ فى الحبشة . وكان من أهم هذه القبائل قبيلة « الحيشات » التى اشتق منها من بعد اسم « الحبشة » وقبيلة « بنى عجازى » التى اشتق من اسمها أيضا اسم اللغة التى يعتز الاحباش بآدابها القديمة وهى لغة « العجيز » التى مازالت ترتل بها الى الآن الاناشيد الدينية فى الكنائس .

ومن تداخل هذه القبائل العربية وامتزاجها بالسكان الاصليين من الحاميين . وفرض ثقافتهم ، وانماط سلوكهم تكونت فى أول الامر نواة هذا الشعب الحامى ذى الثقافة السامية !

ثم كان للعرب تأثير آخر بعد الاسلام حينما أصبحت للعرب الكلمة الاولى فى هذه البلاد ، وتكونت باسمهم سبع ولايات هى (١) أوفات والزيلع (٢) دوارو (٣) أرابينى (٤) هدية (٥) سرخا (٦) بالى (٧) دارة .

وإذا كان البحر الاحمر هو الطريق الذى حمل المسيحية والاسلام الى هذه البلاد ، فانه قد حمل أيضا الى هذه البلاد الرواد الاول من الاستعماريين الغربيين ، وقد كان فى طليعتهم « البرتغال » .

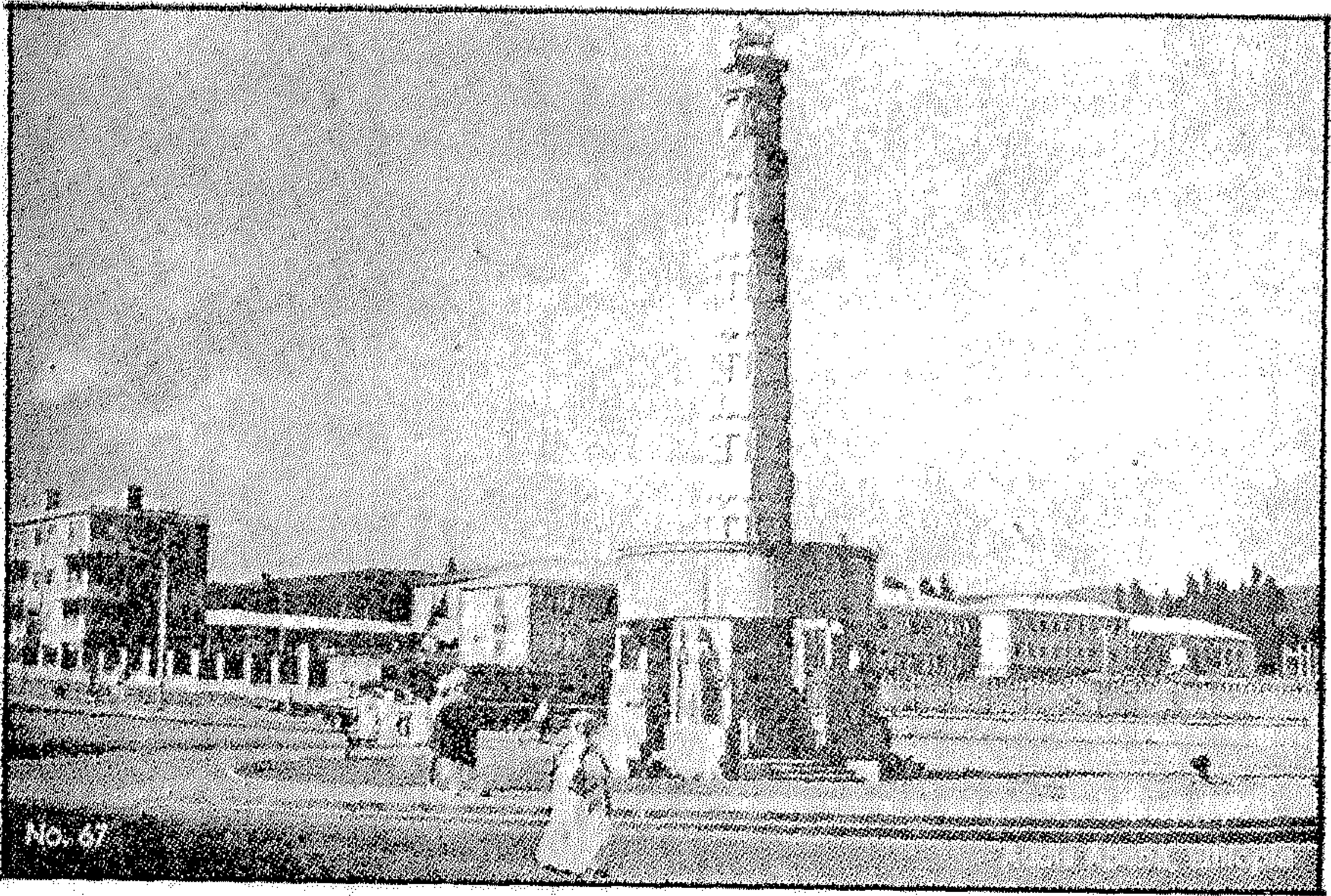
على أن هذه الامة الافريقية مالبثت ان استردت سلطتها على بلادها تماما بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد أن ضمت اليها « اريتريا » وتخلصت من الايطاليين والبريطانيين .. وقد اهملت الآن الاسم الذى حملته فى ثنايا التاريخ ، وهو « الحبشة » ، وأصبح اسمها الآن « اثيوبيا » نسبة الى « أثيوبيا بن أكسوماى » ومعنى « اثيوبيا » الوجه المحترق . وقد أطلقها المؤرخون القدماء على سودان الوادى من الشلال الى الخرطوم . ولكنها أصبحت الآن الاسم الذى يفخر به هذا البلد الافريقى ..

واثيوبيا يتلاقى فيها الآن القديم بالحديث . الا أن الحديث يغطى شيئا فشيئا على القديم ، وان كان للقديم طابعه الافريقي الخاص . الذى يعتبر الجذور الحقيقية لهذه البلاد . والذى يضفى عليها سحرا عميقا .

.. وسنحاول الآن تقديم «تابلوه» مصور عن أهم المدن فى « أثيوبيا » حتى نعطى القارىء صورة حقيقية عن أثيوبيا الحديثة .

أديس أبابا :

هى عاصمة اثيوبيا ، ومعناها « الزهرة الجديدة » . وقد بناها الامبراطور « منليك الثانى » عام ١٨٨٣ الذى يشاهد تمثاله فى قلب المدينة . وتعتبر هذه المدينة أكبر المدن الاثيوبية . فهى تضم ٤٠٠ر٠٠٠ مواطن . وتقع على ارتفاع ٢٧٠٠ متر بينما تحيط بها جبال شاهقة ، تضفى



نصب تذكارى فى « أديس آبابا »

عليها جلالا ورهبة ·

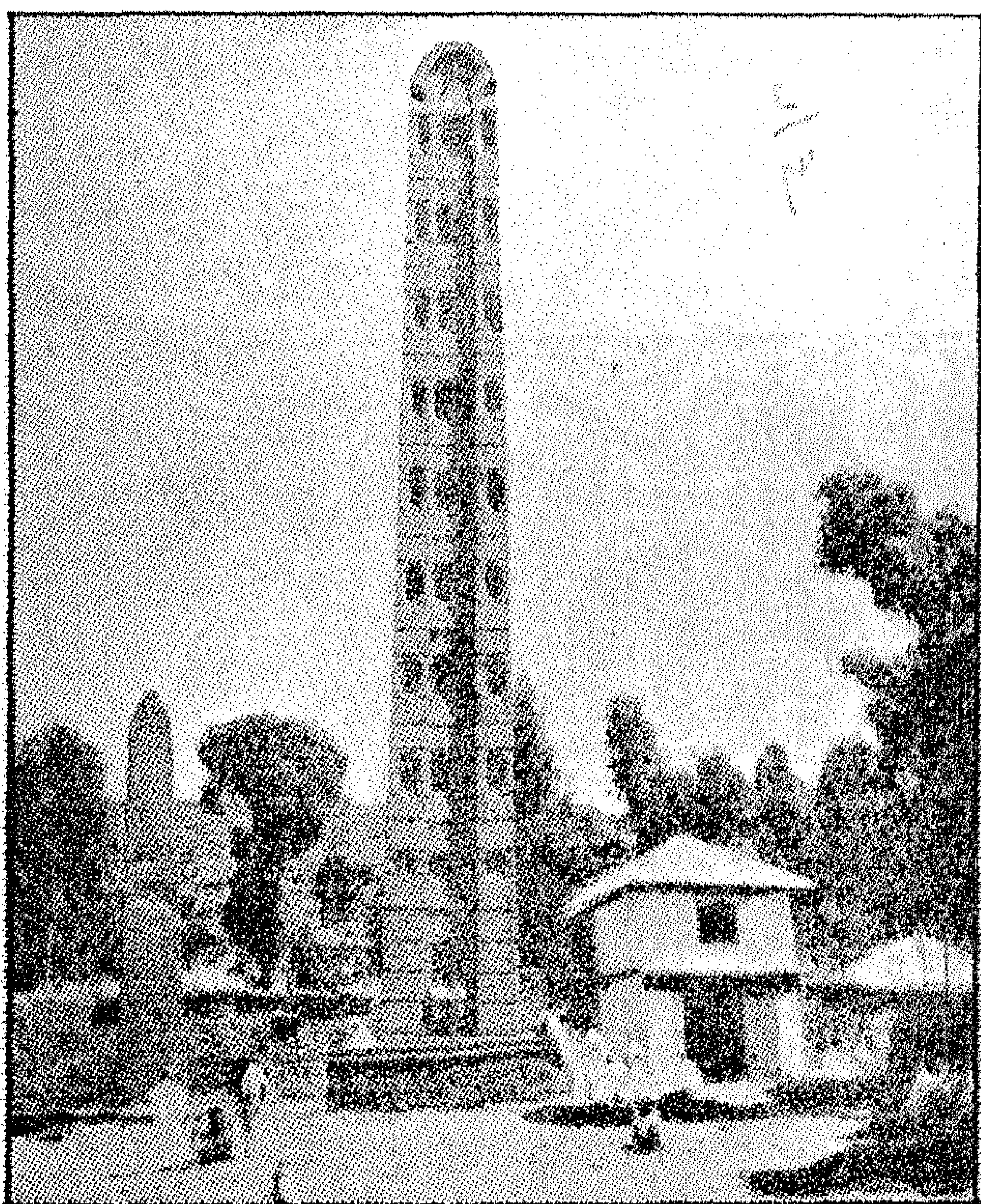
ومن أهم مشاهد هذه المدينة المتحف الشعبى ، وقصر وضريح «منليك» والكاتدرائية ، والقصر الامبراطورى المحاط بالبساتين · ومن قلب هذه المدينة الافريقية التى تتقدم اخواتها فى التطور ، لن تفقد روح الشعب الذى مازال محافظا على تقاليده وعاداته

اكسوم :

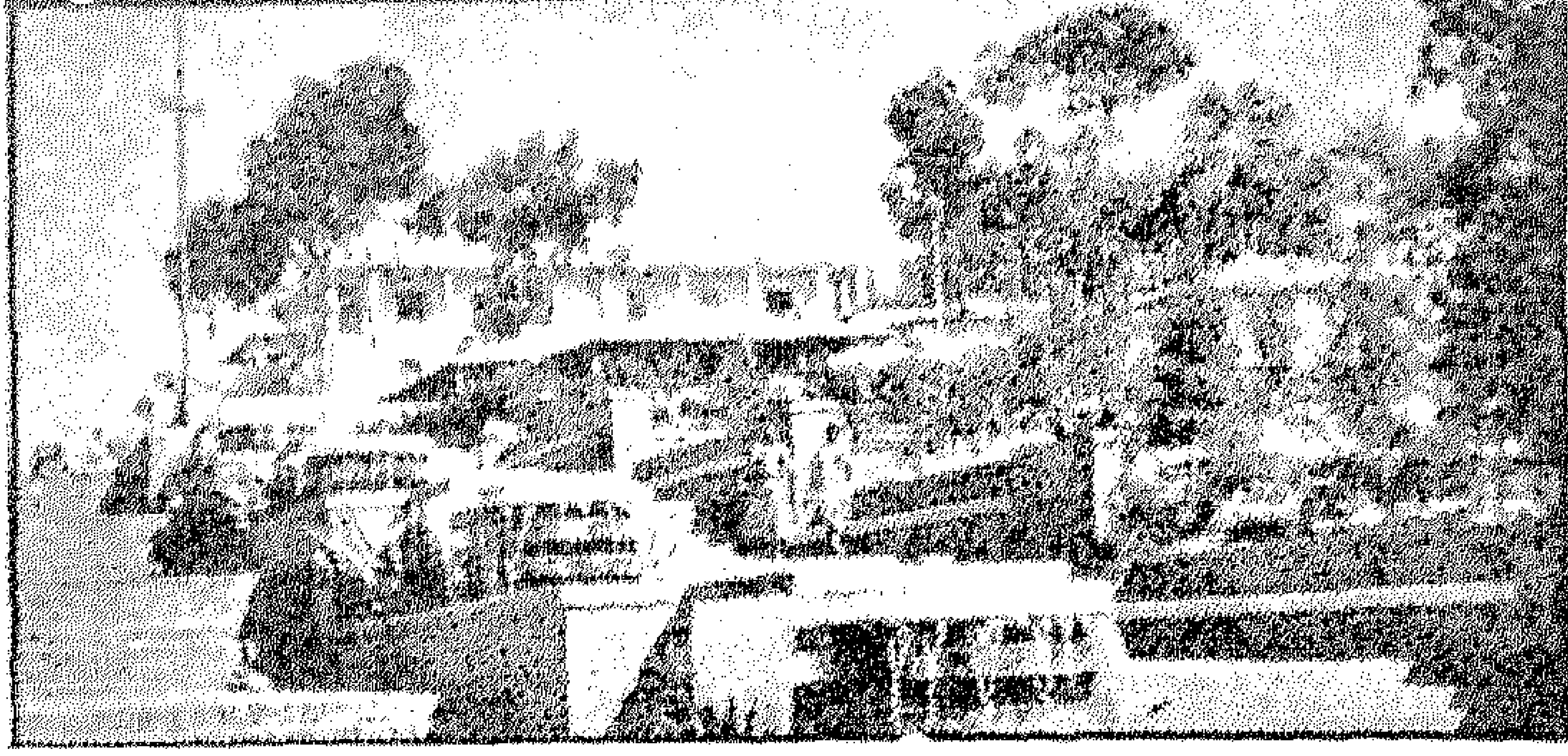
شيدها الامبراطور « فيسلاديس » عام ١٦٦٥ ، وقد كانت تعرف فى الماضى ، باسم مملكة « اكسوم » · وتمتاز عن غيرها بالمسلات العالية ، التى تضفى على البلد روحا تاريخيا عميقا ·

أسمرا :

هى عاصمة ارتريا ، وتمتاز بالتنظيمات الحديثة ، التى أدخلت فيها وباشرافها على البحر الاحمر · مما زاد فى أهميتها · وتوجد بها مغارات عليها رسوم مطبوعة ، تعتبر تحفة قيمة من الفن الافريقى ·



مسلة



أحد المناظر فى مدينة ((أسمرا))

هرر :

تقع فى سـهل خصيب ، تطالعك فيه من كل جانب تلال خضراء تتوجها أشجار البن والقات ، وقد كان آخر حكام هرر من المصريين على رضا باشا ثم استولت عليها الحبشة عام ١٨٨٧ وتلمح فيهـا عن قرب خرائب الميناء القديم

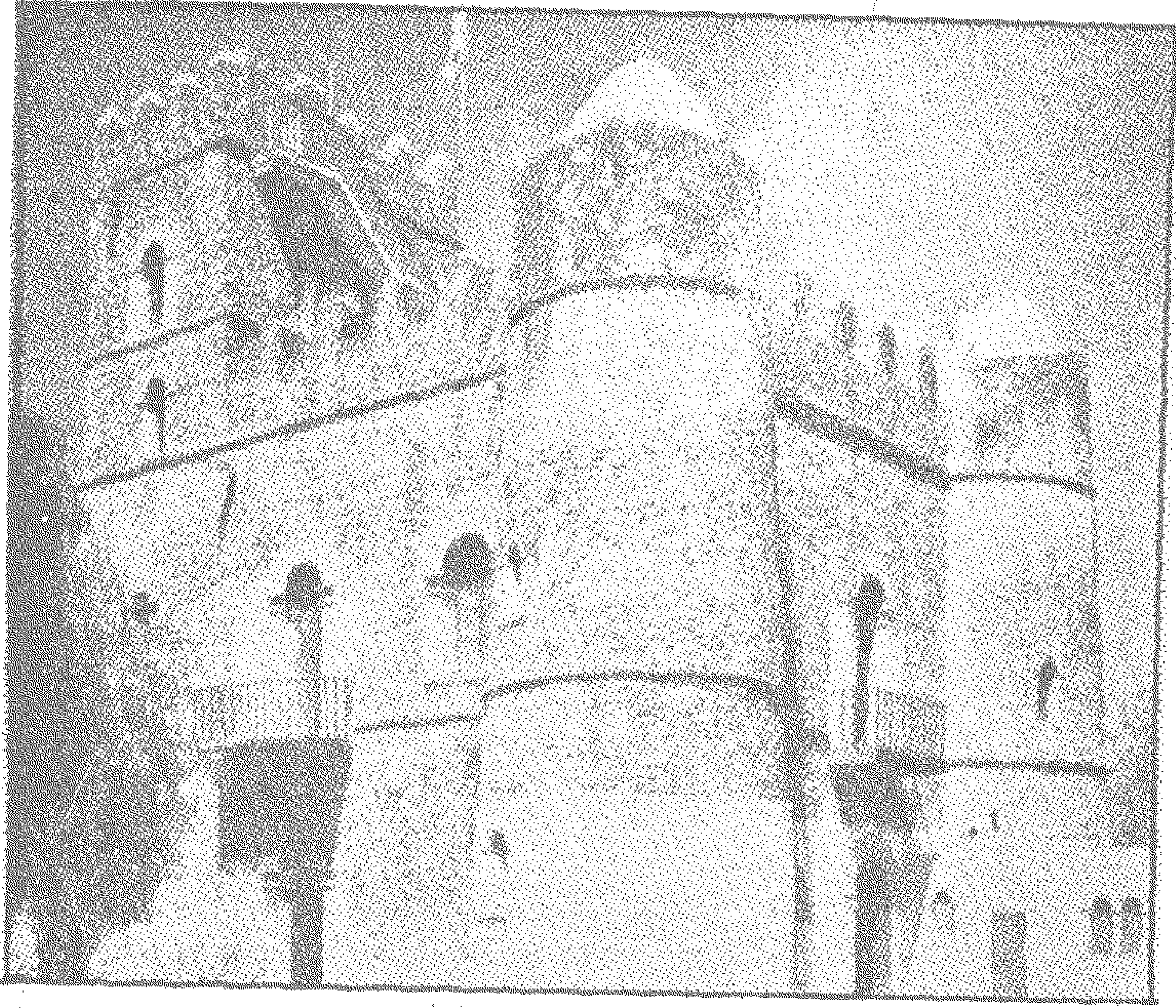


منظر فى مدينة هرر

جوندار :

تعتبر جوندار بلدا قديما معرقا فى القدم ، وقد كان العاصمة لاثيوبيا منذ قرنين من الزمان . وهو يقع شمال بحيرة « تانا » . ويمتاز بالكنـائس التاريخية القديمة ، والاديرة

كما توجد بجوار هذه المدن مدن أخرى مثل بيشوفتو آمبو ، نازاريت ، أديس الم ووليسو وكلهاتمتازبالطابع القـــديم . وبالحيـــاة الافريقيـــة الصميمـــة . وبالوعى الذى يداخل الســـكان بأنه يجب أن تـــكون لهم ثقافتهم وحياتهم الخاصـــة التى تنبع من صميم روحهم ، ومن ثقافة قارتهم العميقة .



احدى القلاع
فى مدينة « جوندار »

قانون السخرة

علقت ((ليدى سيمون)) على قانون السخرة فى أفريقية بقولها : ((تحاول معظم الحكومات الاســـتعمارية تبرير السخرة بحجة ((الاشغال العامة)) ، وهذه الاعمال وغيرها هى التى تزيد العبء على كاهل الشعوب الافريقية الاستوائية .. ومن هنـــا فهـــذه الشعوب لاتعتبر الحاكمين أداة لنشر العدل ، وحفظ النظام ، وانماتعتبرها أداة قوية تعمل بجهد على اغتصاب جهود العمال وأرزاقهم))



بقلم الدكتور زاهر رياض

(٢)

بينا فى المقال السابق الاوجه المختلفة للسياسة فى اتيوبيا وكيف أرادت ايطاليا السيطرة على البلاد اثر احتلالها . ولكنها فشلت وكان فشلها ذريعا . وسنحاول الآن أن نبين كيف أرادت ابطاليا أن تتخذ الدين وسيلة الى هذه السيطرة وأن فشلها فيه لم يكن دون فشلها فى المجالات الاخرى. فالدين دائما — اذا أريد استغلاله فى سبيل السياسة — سبيل العاجزين . فقد اتخذته بريطانيا فى مصر خلال السنين الاولى من القرن العشرين . ونجحت فيه ولكن نجاحها كان يسيرا . اذ سرعان ماتبين المصريون المكيدة واضحة فأفلتوا منها وكذلك أفلت اخوانهم الاتيوبيين من بعد .

وقد اتجهت السياسة الفاشية الى استغلال الدين من أجل اخضاع الاتيوبيين ، وهم يعرفون ما يكنه الاتيوبيون من الاحترام لرجال الدين عامة والمطران خاصة . فاذا أسبغ الايطاليون عطفهم على هذا المطران واستمالوه الى ناحيتهم فأصدر منشورا يبارك فيه الحكم الايطالى . ويطلب الى الشعب الخضوع له كان ذلك كسبا كبيرا لهم ولأراحهم من كثير من المتاعب .

فما كاد الجيش الايطالى يدخل أديس أبابا فى السادس من مايو سنة ١٩٣٦ حتى أرسل «المارشال بادوليو » الى المطران كيرلس (١) رسولا يطلب منه مقابلته فاذا ماذهب اليه أحسن القائد لقاءه وأبدى له استعداد الحكومة الايطالية لمساعدته فى كل مايرى القيام به من مشروعات . وكرر له الوعد الماريشال جرازيانى . كل ذلك مقابل منشور رعوى من نيافته يطلب فيه من الشعب الخضوع للحكم الجديد والاخلاص له . ولكن المطران لم يفعل لانه كان يرى (أن خضوع الشعب للحكومة الجديدة أو عدم خضوعه لها مسألة سياسية لا دخل للكنيسة فيها وهى يجب أن تكون بعيدة عن السياسة من أجل أداء رسالتها الروحية) .

فاذا ماراأوا منه امتناعا عن أداء هذا الطلب حاولوا اغراءه بفصل الكنيسة الاثيوبية عن المصرية على ان يكون هو رئيسا للكنيسة الجديدة أي بطريركا ليس عليه من رئيس آخر وله حق رسامة الاساقفة . وجميع ايرادات الكنيسة سوف تنصب الى خزانته وليس عليه من رقيب فيمكنه بفضل هذا الايراد المتدفق أن يقيم مايشاء من المنشآت أو المشروعات مما يكفل للكنيسة الخير كل الخير . وأبدوا له غضبهم من أن يكون رأس الكنيسة الاتيوبية فى بلد يسيطر عليه

---

(١) بقى المطران فى اديس أبابا بعد خروج الامبراطور استجابة لرأى الحكومة الاثيوبية التى رأت أن يبقى نيافته بصفته رئيس الكنيسة وليس له دخل فى السياسة وقد ابلغه هذا الرأى وزير الخارجية الاتيوبية آنئذاك بلاتن جيتا هروى

البريطانيون أعداؤهم . فأبدى المطران موافقته على هذا الفصل اذا بادرت ايطاليا بفصل جميع الكنائس الكاثوليكية الموجودة فى بلاد يسيطر عليها الانجليز كذلك . فعرفوا منذ ذلك الوقت أن الرجل لن يكون هينا فحاولوا ان يلجئوا الى التهديد . وكان هذا التهديد على درجات . هدده جرازيانى وحده أول الامر . حتى اذا فشل هدده معه وزير المستعمرات وقواد الجيش . ثم هدده موسولينى بنفسه حين أتى به الى روما لمقابلته . حتى اذا فشلت كل هذه الوسائل . اتجهوا الى تغيير سياستهم بعض الشىء .

وكان هذا التغيير الجديد الذى تفتق عنه ذهنهم هو فصل الكنيسة الاتيوبية عن المصرية تحت رياسة اتيوبية بدلا من الرياسة المصرية وحينئذ سوف يكون ذلك اكثر قربا الى نفوس الاتيوبيين فسوف يجدون من بينهم من يتطلع الى شغل هذا المنصب الذى كانوا محرومين منه . كما أن الشعب سوف يرى فى هذه الخطوة ارضاء لكرامته واشباعا لعزته القومية وحينئذ سوف يعرف هذا الشعب المنكر للجميل ما فعله الحكم الجديد لأجلهم .

ولكن لابد من التمهيد لهذه الخطوة . وكان هذا التمهيد هو طرد جميع المبشرين الاجانب من اتيوبيا حتى لو كانوا كاثوليكا وسوف يغضب هذا البابا ولكنهم الآن أحرص على ارضاء الاتيوبيين من ارضاء البابا رغم سياسة حسن التفاهم بينه وبين الحكومة الايطالية . ثم سلسلة من المقالات بأن استقلال الكنائس الفرعية عن الأم لايعنى الابتعاد عن الدين ولا المروق منه فقد سبق أن انفصلت كنيسة روسيا . ثم كنيستا رومانيا وبلغاريا عن كنيسة القسطنطينية فلم يعن ذلك مروقا من الدين ولا خروجا على العقيدة . فان الرياسة الوطنية أكثر ادراكا لمطالب الشعب عن الرياسة الاجنبية الغريبة . ولم يتورعوا أثناء ذلك عن اتهام الكنيسة المصرية بكل منقصة . فقالوا انها لم تبذل فى سبيل الاتيوبيين ماتبذله الكنائس الاخرى . وان الاتيوبيين طوال تاريخهم المسيحى الذى امتد الى أكثر من ستة عشر قرنا لم يستفيدوا من المصريين فائدة ما . ولم يكونوا فى ذلك صادقين . وهم يعلمون أنهم غير صادقين . وهم يعلمون أيضا أن الاتيوبيين يعرفون أنهم غير صادقين . ولكنهم لم يتورعوا عن شىء . فهم يدركون ولا شك أن الاتيوبيين شديدو التعلق بكنيستهم المصرية التى بذلت لهم ما لم تبذل كنيسة أخرى تابعة لها . فتراث الكنيسة الاتيوبية الادبى والثقافى والروحى مصرى كله . فالاديرة المصرية ظلت طوال تاريخها مفتوحة لمن يقصدها من الرهبان الاتيوبيين الذين عاشوا فيها واطلعوا على ذخائرها . وترجموها الى لغتهم وبذل لهم الرهبان المصريون من المساعدات مامكنهم من القيام بهذه الترجمات التى كانت ، ومازالت ، خير ذخيرة للكنيسة الاتيوبية . وليس أدل على ذلك من أن الاصل القبطى لبعض هذه الذخائر قد ضاع ولم يبق الا ترجماته الاتيوبية . كما كان الشهداء المصريون أثمن ذخيرة روحية لرجال الدين وغيرهم من الاتيوبيين الذين أقبلوا على ترجمة حياتهم الى الحبشية ودراسة هذه الترجمات دراسة حية خصبة حتى أصبحت جزءا من تاريخهم كما كانت الاديرة الاتيوبية التى أسست على النظام الباخومى فى القرن الخامس وما بعده وما الحق بها من مدارس هى التى أخرجت للاتيوبيين رجال الدين الذين كان لهم الفضل فى المحافظة على المسيحية فى اتيوبيا . كما كانت هذه الكتب التى

داوم البطاركة المتعاقبون على ارسالها الى أبنائهم فى اتيوبيا فى المناسبات المختلفة هى التى قضت على الهرطقات وأرشدت الاتيوبيين الى مبادىء الدين القويم . كما كان المطارنة المصريون — بوقوفهم دائما موقف الحياد بين الزعماء المتنافسين — هم الذين حفظوا للبلاد وحدتها وحالوا دون تفككها . وهذه المساعدات الادبية التى بذلها المصريون منذ القرن السادس عشر هى التى قضت على محاولات الاستعمار الاجنبى لاتيوبيا حين أراده البرتغاليون أيام جلاوديوس وفاسيلاداس .

كان الايطاليون يعرفون هذا كله. بل يعرفون أيضا ان الاتيوبيين يعرفون هذا أيضا ولكنهم رغم ذلك انتهزوا فرصة غياب الانبا كيرلس فى مصر فأعلنوا فى سبتمبر سنة ١٩٣٧ انفصال الكنيسة الاتيوبية وأقاموا أحد أساقفتها — هو الانبا ابرام — بطريركا وخولوه حق رسامة الاساقفة . وفرض عليه رسم اثنى عشر أسقفا قبل أن يموت فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ . ثم عين مكانه الانبا يؤنس أحد هؤلاء الاثنى عشر . واستكتبه بيانا يشكر فيه الايطاليين على هذه السياسة الجديدة . فأعلنت ايطاليا ضمانها لحقوق الكنيسة . واحترامها لاملاكها مع اعلان العفو عن كل من يخضع للحكومة الجديدة خلال خمسة عشر يوما . والتهديد لمن بقى على مقاومته بل وصل هذا التهديد الى حد الحرمان .

ورغم مافى هذه الخطوة من ارضاء للنزعة الاستقلالية عند الاتيوبيين فانهم لم يخضعوا بل نظروا الى هذا البطريرك الجديد نظرة الخائن لأمته وكنيسته . وكانوا يقاومونه . بل يقاومون كل من يسانده فلم يجد الايطاليون بدا من اللجوء الى الشدة . فأعدموا عددا هائلا من القسس والرهبان وكان نصيب دير دبرا ليبانوس من هذه المذبحة كبيرا . بدعوى اشتراك رهبانه فى مؤامرة الاعتداء على جرازيانى . ولم تكف أيدى الايطاليين عن ذبح القسس مطلقا بل بلغت منتهاها حين اجتمع الكهنة للاحتفال بعيد القديس تكلا هيمانوت فقتلوا المجتمعين جميعا. كما حدثت مذبحة أخرى فى زوكوال لاتقل شناعة عن مذبحة عيد تكلاهيمانوت . فمن بين الاساقفة الاربعة الذين نصبتهم مصر قتل اثنان كان أولهما الانبابطرس الذى شنق فى السوق العامة فى أديس أبابا (١) . وكان الثانى الانبا ميخائيل بتهمة معاضدتهما لحركة المقاومة .

وفى سنة ١٩٤٠ . أصدر نائب الملك « دوق داوستا » التنظيمات الجديدة التى اتفق على اجرائها مع السلطة الدينية فقسمت اتيوبيا الى عشر أسقفيات يرأس كلا منها أسقف يملك حق رسامة القسس نظير رسوم معينة يستولى عليها الاسقف . ولكنهم فى الوقت نفسه لم يبذلوا أى مجهود لرفع المستوى الثقافى للكهنة الاتيوبيين وهو الشىء الوحيد الذى كانت الكنيسة تنتظره .

ويبدو من هذه الخطوة أن الحكومة الايطالية كانت على جهل تام بما قام به العلماء الايطاليون من دراسة مستفيضة لتاريخ اتيوبيا أو أنها كانت تعلمه ثم آثرت أن تتجاهله . فلم تكن هذه هى المرة الاولى التى تنقطع فيها العلاقة بين الكنيستين بل انقطعت قبل ذلك مرات ومرات وكانت فى كل مرة تعود الى الاتصال أقوى ماتكون توثقا .

فقد انقطعت فى القرن العاشر حين قامت الاسرة الزاجوية فقد أمعنت جوديت الملكة الاولى فى هذه الاسرة

(١) جعل هذا الاسقف رمزا لجميع الشهداء وأقيم له تمثال فى ميدان عام أطلق عليه اسم ميدان الشهداء .

فى اضطهاد المسيحية وقتل رجال الدين وهدم الكنائس وتخريب الاديرة وتشريد الرهبان . وقطعت كل صلة بالكنيسة الاتيوبية بالكنيسة المصرية. وقيل فى تعليل ذلك ان هذه الملكة كانت يهودية ولكن الحقيقة ان هذه الاسرة اعتمدت – من أجل القضاء على الاسرة القديمة – على العناصر الغاضبة ومنها القبائل التى كانت مازالت محتفظة بالديانة اليهوديه على نحو مااعتمدت الدولة العباسية على العناصر الغاضبة من حكم الامويين حتى اذا نجحت الثورة أمعنت هذه العناصر الغاضبة من حكم الامويين ماظنته سبب القوة للأسرة السابقة وهو المسيحية. ولكن لم يكد ينقضى حكم هذه الملكة ويتولى العرش جبرا ماسقال الاول حتى أعاد الحال الى ماكانت عليه وأرسل الى مصر يطلب اعادة العلاقات وتعيين مطران جديد وعادت هذه العلاقة متينة كما كانت بعد قطيعة دامت أربعين سنة. حتى اذا تولى العرش لاليبالا (جبرا ماسكال الثالث) اتبع سياسة تقوية المسيحية بالاكثار من بناء الكنائس وأرسل الى مصر يطلب الاستعانة بالصناع فكانت مصر عند حسن ظنه فقدمها من هؤلاء الصناع مهرتهم فقاموا ببناء مجموعة من الكنائس مازالت باقية حتى الآن تشهد بما بلغه الفنان المصرى آنئذك من دقة بالغة .

وانقطعت العلاقات مرة أخرى فى القرن الثالث عشر قبيل انتهاء الاسرة الزاجوية حين كان آخر ملوك هذه الاسرة لا يملكون من أسباب القوة مايمكنهم من فرض نفوذهم الى أكثر من مدينة أكسوم . فلم يستطع أحد منهم أن يجبى من الضرائب مايمكنه من ارسال الوفد المعتاد فى طلب المطران . كما لم يتمكنوا من فرض الحماية على الطريق الذى يسلكه الوفد . فانقطعت هذه الصلة لمدة زادت على تسعين سنة. ولكن ماكاد يكونو أملاك يرقى العرش كمستعيد للعرش السليمانى سنة ١٢٦٨ حتى أرسل الى مصر – عن طريق صاحب اليمن – يطلب ارسال المطران. ولكن حال دون ذلك رفض السلطان بيبرس ولما كان وجود المطران ضروريا من أجل تتويج الامبراطور لم يملك يكونو أملاك الا التماس مطران ارثوذكسى آخر من بطريرك أنطاكية . ولكن هذا المطران الجديد رغم كونه ارثوذكسيا لم يكن ليخدع الشعب الاتيوبى الذى لايرضى بديلا عن تبعيته للكرسى السكندرى بالاضافة الى ما اتصف به من حب المال ولذا كان وجود هذا المطران داعيا الى قيام الثورة . ويبدو أن هذه الثورة لم تكن هينة ولايسيرة. فأخذ العرش يهتز ولذا لم يكد ابنه « يجبيا صيون » «Yegbia Sion» يرقى العرش حتى أرسل الى مصر يعتذر عما ارتكبه أبوه ويسأله سرعة ارسال المطران . ويلح فى السؤال والرجاء حين يكتب الى البطريرك يؤنس الثامن فيقول : « أرجو الا تسمحوا بخراب مملكتنا ، كما أرجو أن ترسلوا لنا مطرانا – كعهدنا بكم – لايقتنى ذهبا ولا فضة » .

وانقطعت العلاقات مرة ثالثة حين أرسل الامبراطور لبنادنجل وفدا الى الملك ايمانويل الثانى ملك البرتغال يطلب مددا عسكريا من أجل القضاء على ثورة الامام أحمد بن ابراهيم ويعرض ثمن هذه المساعدة قطع الصلة الدينية بمصر وبادر مقدما فطرد المطران المصرى تمهيدا لقبول المذهب الرومى. وقد تقدم الامبراطور بهذا العرض لدقة الظروف التى كان بها حين طاردته جيوش الامام وأصبح طريدا لايجد مكانا يلجأ اليه ووصلت المعونة العسكرية أيام جلاوديوس ونجحت فى سحق ثورة الامام وانتظرت الثمن ولكن الاتيوبيين رفضوا أن

يكون هذا الثمن غاليا الى حد التفريط في مذهبهم وفي علاقتهم بأمهم الكنيسة المصرية . فرفضوا وأمعنوا في الرفض حتى حملوا الامبراطور على اتباع سياسة عدائية نحو بعثة الرهبان الكاثوليك فطردهم من البلاد وحرم دخولهم اليها مرة أخرى . وعادت اثيوبيا الى أمها ترجو أن تعيد علاقتها معها وترسل اليها مطرانا جديدا يحفظ لها مذهبها ومعتقدها فأجابت مصر الرجاء وأرسل الأنبا سلامة الثاني ليبدأ عصر انتعاش أدبي رائع مازالت أثيوبيا تجني ثماره الناضجة .

وانقطعت العلاقات مرة رابعة حين صمم الامبراطور سوسنيوس على أن يعتنق المذهب الكاثوليكي لانه أخذ شخصية المبعوث الكاثوليكي بايز ورآه مثلا للراعي الواسع الافق المتضلع في العلوم اللاهوتية فأصدر مرسوما بذلك وحتم على قواد جيشه وأفراد دولته اعتناق هذا المذهب بل اعتنقه ولده وولي عهده فاسيلاداس رغم معارضته له . ولكن الأمة كلها راحت تقاوم هذه المحاولة التي رأت فيها علاوة على ضياع مذهبها ضياعا لاستقلالها السياسي ، ودارت المعارك الحامية التي قتل فيها آلاف من الطرفين . وابنه ولي العهد يناصره رغم ماتبينه من خطأ والده . وأخيرا استطاع ولي العهد فاسيلاداس أن يقنع الامبراطور أنه قد ارتكب أمرا أدا بمخالفته لشعبه وارغامه على اعتناق مذهب لا يرتضيه فكانت نتيجة ذلك انقسام الوطن الواحد الى معسكرين يمعن كل منهما في الآخر تقتيلا وسفكا للدماء . بينما الاعداء الحقيقيون يغنمون من هذه الفرقة مكسبا لانفسهم اذ استولى الاتراك على كل أجزاء الساحل ، ولم يعد للبلاد منفذ الى البحر كما تحولت البلاد من الحياة الهادئة المستكينة الى حياة الحرب والقتال فطردوا أهل البلاد من أكثر أجزائها خصبا واستولوا هم عليها فسرعان ماتبين الامبراطور خطأه وتنازل عن العرش لابنه الذي أسرع فأعاد الى شعبه مذهبه وأسرع الى مصر يستغفر رئيسها الديني ويطلب ارسال (مطران فاضل يعيد الى البلاد الهدوء والسكينة اللتين حرمت منهما بسبب سياسة أبيه الخاطئة) وعادت العلاقات مرة أخرى أقوى ماتكون توثقا .

وانقطعت العلاقات مرة خامسة وسادسة وسابعة بل أكثر من ذلك خلال عصر الفوضى الذى استمر طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر بل التاسع عشر أيضا حين انقسمت البلاد الى أكثر من معسكرين يرأس كلا منهما رأس أو أمير أو مغتصب فيسيطر على جزء دون الآخر .

وفي كل هذه المرات ــ كما رأينا ــ كان الشعب وعلى رأسه الامبراطور أسرع مايكون الى طلب الصفح واعادة المياه الى مجاريها ثم طلب عودة المطران . وهذا ماحدث تماما في سنة ١٩٤١ اذ ماكاد الاحتلال الايطالي ينتهي ويعود الحكم الوطني ممثلا في الامبراطور هيلاسلاسي حتى أسرعت الحكومة الجديدة وأرسلت وفدا يطلب عودة العلاقات ورفع الجرم عمن صدر عليهم من الاثيوبيين وانهم لم يكونوا الا مسيرين الى ماأقدموا عليه من خطوات خلال الحكم الايطالي . ثم ارسال المطران من جديد ليقوم باصلاح مافسد خلال الحكم السابق .

وفي سنة ١٩٤٦ قدرت الكنيسة المصرية ما ملأ نفوس الاثيوبيين من روح قومية عارمة اثر استعادتهم استقلال بلادهم . فوافق المجمع المقدس في تلك السنة على حق الاثيوبيين ان يكون لهم مطران أثيوبي ، وتم هذا الامر وظلت الكنيسة الاثيوبية تابعة للكنيسة المصرية التي تتولى قيادة الشعب الاثيوبي في المجال الروحي .

التفرقة العنصرية

استعرضت الرابطة في ندوات لها من قبل بعض الجوانب المظلمة لسياسة التفرقة العنصرية ومظالمها الفادحة التى تعانى منها مجموعات كبيرة من أبناء قارتنا أفريقية ·

ومشكلة التفرقة العنصرية بآثامها وجرائمها البشعة ، هي فى الحقيقة مشكلة خطيرة ومؤلمة ، لايستكثر بالنسبة اليها اتصال الاحاديث والاستمرار فى كشف النقاب عن شرورها ·

وان آلام المعذبين المظلومين من اخواننا الافريقيين لتستصرخ ضمائرنا وضمائر الاحرار من بنى البشر جميعا، وتدفعنا دفعا الى عدم السكوت أو الوقوف موقف المتفرج من صرعى هذه السياسة الجائرة ·

وحديثى هذا يتناول مشكلة التفرقة العنصرية ، ومدى تعارضها مع القيم الانسانية العليا ·

وأبدأ الحديث بأن أستعيد الى الاذهان بعض أنباء سبق أن نقلتها الينا شركات الانباء العالمية : —

النبأ الاول : عن جنوب أفريقية ملخصه أن المحاكم هناك نظرت قضية أوروبى اتهم بقتل أحد خدمه الافريقيين لامتناعه عن طاعة أوامره · وقد أدانت المحكمة السيد الاوروبى المتهم بالقتل، وعاقبته بغرامة قدرها خمسة عشر جنيها هو عقاب ازهاق روح آدمية جريرتها الامتناع عن طاعة أوامر السيد !

النبأ الثانى : من أمريكا ، ان قضاء احدى الولايات الجنوبية أصدر حكما بالاعدام على زنجى اتهم بسرقة دولار وخمسة وستين سنتا من احدى السيدات البيض ! سرقة مبلغ أقل من دولارين استحق مقترفها عقوبة الاعدام فى نظر قانون الولاية !

ومن الغريب ان الآدمى المظلوم قرر أنه لم يسرق هذا المبلغ من السيدة وانما أخذه منها وبرضاها نظير خدمات أداها لها · والغريب ان الشاهد الوحيد فى هذه القضية ضد الآدمى المظلوم هى السيدة الشاكية نفسها !

والنبأ الثالث : من لندن ، من الدولة التى استطاعت — احقابا طويلة — ان تتخفى فى مسوح القديسين ، وهى فى حقيقتها من أوليات الدول التى استعبدت شعوبا افريقية ، وأذلتها وامتصت دماءها · ويتضمن النبأ ان جماعة من البيض هجمت على السكان السود فى مدينة نتنجهام ثم فى حى نتنج هول فى لندن ، ولقى السود المعتدى عليهم مثل مايلاقيه اخوانهم فى أمريكا من العدوان والصياح عليهم، واثارة الفزع فى نفوسهم ، والمطالبة بطردهم من البلاد !

هذه الانباء الثلاثة أردت أن أذكرها على سبيل المثال كلون من ألوان البطش والظلم والعدوان التى تنصب على الضحايا البريئة · وأود أن أسجل هنا ملاحظتين : الاولى أنه من الجائز بل

من المؤكد انه تجرى هناك حوادث أشد عنفا وفظاعة مما تضمنته الامثلة الثلاثة ، ولاترد الينا أنباؤها لاسباب لاتخفى على الذهن ٠

والملاحظة الثانية . ان هناك دولا أوروبية أخرى تمارس في مستعمراتها هذه السياسة العنصرية الجائرة ،غير انها تتخذ من وسائل الحيطة مايمنع تسرب أنبائها الى الرأى العام العالمى، وبالرغم من احكام الرقابة التى تفرضها هذه الدول على مستعمراتها ، فانه لايستعصى على الذهن أن يستنتج من الحوادث التى تصل اليه أخبارها من حين الى آخر ، حقيقة مايجرى وراء حدود هذه المستعمرات من جرائم !

وقد لايتسع المجال فى هذا المقال لاستقصاء الظروف الخاصة التاريخية وتفصيلات الخلافات العنصرية فى كل من الدول التى تقترف فيها جرائم التفرقة العنصرية سواء فى داخل بلادها نفسها أو فى مستعمراتها الا انه من الممكن ان ترجع فى النهاية غالبا الى أسباب عامة مشتركة بينها ٠ كما يمكن القول بأن مشكلة التفرقة العنصرية وجدت بذورها منذ البداية الاولى التى تم فيها الاتصال بين الافريقى وبين الرجل الابيض ٠ كان الاول اما آدميا اختطف من أهله واشتراه سيده منسارقيه للعمل فى خدمته كما حدث فى أمريكا وغيرها

واما مواطنا فى مستعمرة متهورة مغلوبةعلى أمرها، وهو فى كلتا الحالتين انسان ساذج بسيط عاش حياته على الفطرة ، وليس من العدل أن يعد مسئولا عن ظروفه المتخلفة التى كان يعيش فيها ٠ أما الرجل الابيض فانه كان قد بلغ أعلىسلم الحضارة البشرية مسلحا بالعلم وبالخبرة وبالقوة المادية القاهرة ٠ ومن سوء الحظ ان هذا الاتصال قد تم فى حقبة من تاريخ الانسان تحكم خلالها فى نفسه الرجل الابيض الجشع ، وروح المغامرة فى سبيل جمع المال والاثراء بكل الطرق الممكنة ٠

ومن الواضح ان الموقف بين الاثنين لم يكن فيه تكافؤ على الاطلاق، وان الرق الواسع المدى بين الاثنين أتاحت للاوروبى الفرصة للتفوق الكامل الشامل ، فأعمى بصيرته الجشع وحب الاثراء عنأبسط مبادىء الرحمة والعدل فى وسائل استغلاله للافريقيين ، الذين دفعهم نكد الطالع الى الوقوع فى براثنه ٠ ولاشك انه ارتكب من ألوان التعسف والشطط ماجعله يتلمس المبررات التى ترفع عن ضميره المثقل بعض مايهبط بهمن الشعور بالاثم ٠ فاصطنع المغالطات التاريخية والعلمية التى يثبتبها سمو جنسه عن الاجناس الاخرى ويقنع نفسه عن طريقها بأن الزنوجوالملونين فى مرتبة أدنى من مراتب الآدمية تجيز له استغلالهم والشطط فى معاملتهم ٠ فىاستعلاء باطل من جانبهم لا يدعمه سند علمى صحيح ولا قيمة له الا من حيث اعتباره مبررا يخفف عنهم الشعور بالاثم ٠

فلما بلغ تطور الفكر الانسانى فى القرنالماضىمرحلة استهجانشريعة الاسترقاق ، لبى أحرار الفكر فى العالم نداء ضمائرهم وانتهى الامر بالقضاء نهائيا على تجارة الرق،الا أن المستغلين الجشعين لم يرضهم تطور العقليةالبشريةوالغاؤها الرقواعتبروا قوانين التحرير افتياتا على حقوقهم فحاولوا التمرد على هذا الوضعالجديد

ولما خاب تمردهم وانتهى الى غير رجعة تحول غيظهم المكظوم الى كراهية متأججة يقذفون بحممها الى الذين تحرروا وأصبحوا مساوين لهم فى الحقوق ، فى كراهية ممقوتة ممزوجة بفيض من الاستعلاء والترفع الاجوف الذى لايدعمه سند علمى .

هكذا انتهى الرق وهكذا كانت مخلفاته، اما بالنسبة للاستعمار فانه بالرغم مما جاء به القرن العشرون من نظريات اقتصادية مستحدثة وبالرغم من اندلاع نار حربين عالميتين قلبتا الاوضاع وموازين القوى وأثارتاالوعى القومى لدى كثيرمن الشعوب المقهورة، فان الدول المستعمرة قدتبلدت عقليتها ولاتريد انتتقبل تطور الفكر الانسانى من حيث استهجانه للاستعمار . وما يلازمه من استغلال للآدميين وامتهان لكرامتهم وسلب لحقوقهم ، وما زالت الدول المستعمرة تحتستار منالخداع والمخاتلةوادعاء ابقائهافى المستعمرات لصالح أهاليها والاخذ بيدهم فىطريق التقدم الحضارى ، مازالتهذه الدول المستعمرة تمارس سياستها فى التفرقة العنصرية مستهدفة ابقاء الافريقيين فى حال من التأخر والجهل حتى تسهل عليها السيطرة عليهم .

والغريب الذى يدعو الى الدهشة ان هذه الدول المستعمرة نفسها هى فى الوقت نفسه أعضاء فى الامم المتحدة وقد وقعت على ميثاقه الذى جاء فى ديباجته :

.. نحن الامم المتحدة آلينا على أنفسنا ان نؤكد من جديد ايماننا بالحقوق السياسية للانسان وبكرامة الفرد وقدره وبما للرجال والنساء والامم كبيرها وصغيرها من حقوق متساوية.. وانهم مشتركون فىقرار اعلان حقوق الانسان الذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى العاشرة من شهر اكتوبر سنة ١٩٥٤ . وهو يتضمن اقرار المساواة من جميع الوجوه للبشر جميعا دون تمييز للون أو الجنس أو الدين أو اللغة ..

وبعد أليست هذه الدول التى تستمرىء المضىفى سياستهاالعنصرية العدوانية قد حنثتبمواثيقها الدولية التى آلت على نفسها التقيد ببنودها؟

ومما لاشك فيه ان ميثاق الامم المتحدة واعلان حقوق الانسان هو تعبير صادق للرأى العام العالمى فيما يتعلق بالمساواة التامة بين الاجناس ويتفق والمثل العليا التى تستهدفها البشرية فى تطورها .

ومن ثم أليس من الحق أن تنعت الدول التى تصر فى عناد على المضىفى سياستها العنصرية بأنهادول مستهترة بمعايير الاخلاق والمثل العليا للانسان.

لقد تغير الزمن وأصبح التعاون الآسيوى الافريقى حقيقة واقعة وأصبح لها قدرها فى ميزان القوى الدولية . والامل معقود عليها فى أن تضع نهاية حاسمة لهذا الاستهتار بكرامة الآدمى والتلاعب بالمواثيق الدولية .

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض » .

أ . ف

مشروع الصحراء الكبرى الفرنسى

للدكتور ابراهيم صقر

فكر فى هذا المشروع الوزيرالفرنسى بيير جولى وكان فيما سبق وزيرا لتونس والمغرب ، ولقد استمرالاهتمام به ، وكرر النغمة نفسها كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى السابق فى الأمم المتحدة حين كانت تعرض مشكلة الجزائر فى الدورة التى قبل السابقة .

ويلاحظ أن هذا المشروع كان من أهم « الكروت » التى حاول جى موليه أن يلعب بها فى زيارته الأخيرة للولايات المتحدة الأمريكية فى أواخر فبراير ١٩٥٧ لمحاولة اغراء الولايات المتحدة بزيادة الترابط مع استعمار أوروبا الغربية فى منطقة افريقية .

وعندما وصل جى موليه فى ٢٥ من فبراير سنة ١٩٥٧ صرح فيما صرح به « فى المطار » أنه منذ رأى الرئيس ايزنهاور فى عام ١٩٥٥ جدت مشكلات كثيرة متعبة حقا وان كان كثير من الآمال قد تحقق منذ ذلك الحين . واستطرد يقول : « اننى أحب أن أعطى أهمية خاصة لوحدة أوروبا التى أصبحت الآن حقيقة واقعة ، بل ان وحدة أكثر اتساعا قد بدأت تخرج الى الحياة وهذه الوحدة هى الوحدة بين أوروبا وأفريقيا » ، وفى خطاب له بعد ذلك فى نادى الصحفيين فى واشنطن ذكر مرة أخرى انه منذ ثمانية أيام التقى لاول مرة فى تاريخ أوروبا ستة من رؤساء الوزارات فى باريس بدعوة من فرنسا وقد تمت بينهم تسوية الصعوبات الأخيرة فيما يختص بالاتحاد الأوروبى الذى يتناول الشئون الذرية وكذلك مسألة السوق الاوروبية المشتركة ، وأضاف : « اننا اتخذنا أيضا قرارا على جانب كبير من الأهمية وهو ربط أوروبا بالمناطق الافريقية السوداء المرتبطة الآن ببلجيكا وبفرنسا » وأبرز « جى موليه » ضخامة السوق الاوروبية وقرر أنها « ستصبح سوقا تتألف من ١٦٥ مليون نسمة ، أى مايساوى سكان الولايات المتحدة الامريكية تقريبا ، وأنها سوف تتبادل السلع فى المناطق جميعها فى حرية ودون قيد » . ثم أضاف الى ذلك أنها سوف «تربط المناطق التابعة فيما وراء البحار ، وان الطريق سوف يصبح مفتوحا على مصراعيه لاتحاد أوروبا وأفريقية .

ومما قاله فى هذه المناسبة : « ان المجتمع الاوروبى بعد أن تكون أسرع الى تقرير الاستفادة من افريقية ، فهى المنطقة الاولى التى سوف تطبق فيها سياسة أوروبية موحدة ، وهدفنا هو فى تعبئة قوى أوروبا الصناعية لامداد افريقية بما تحتاج اليه من تقدم اجتماعى واعدادات فنية مختلفة » .

ويحاول جي موليه أن يقدم مزيدا من الاغراء فيذكر أنه «على أي الاحوال فان فرنسا سوف ترفض أن تحتكر استغلال هذه المناطق والافادة اقتصاديا منها وهي بمشروعاتها سوف تفتح الأبواب فيما بين هذه المناطق وبين أوروبا على مصراعيها» ويدعى « أن هذا سوف يحقق مصلحة كبرى لافريقية » . ثم يضيف « ان هذا هو العلاج الوحيد » ، أي أن تكوين مجتمع من الاحرار بين أوروبا وافريقية يتبادل التعاون لتحقيق المصلحة والرخاء المشترك هو العلاج الوحيد فيما يرى جي موليه لمواجهة الحركات المتعصبة الضيقة الأفق والشيوعية ، وهما في نظره خطران يسيران في هذه المناطق جنبا الى جنب .

وقد تكررت هذه النغمة في البيان الرسمي الذى صدر في واشنطن عن هذه الزيارة في ٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٧ ، وتكرر هذا الوضع أيضا بصورة بارزة حين ألح جي موليه على جمعية السياسة الخارجية الأمريكية في أن تؤيد مشروع ربط أوروبا بافريقية ، وذكر أنه « يرد على محاولات الاثارة التى تقوم بها القومية والشيوعية في افريقية ببرنامج من المساعدة الاقتصادية والتدرج نحو الحرية السياسية وان هذا المشروع سوف يمد القارة الافريقية بالعون الأوروبي الذى يساعد شعوب القارة على تحقيق الاستقلال الحقيقى » .

ثم أنذر « بأن الشيوعيين يحاولون بطريقة منظمة تنظيم واثارة الجبهات الداخلية في افريقية على حين يبقون في الظاهر وراء ستار ، ويجب علينا ان نفتح أعيننا للخطر الشديد الناجم عن القومية المتطرفة التى تنتشر بين شعوب المستعمرات » .

وأضاف بأن « التعصب والعداء للأجانب والفقر والدكتاتورية ، كل هذا غالبا ما كان ثمنا لاكتساب هذه الشعوب السيادة القومية المدعاة » .

ويعد جي موليه بأنه حالما تصبح هذه الشعوب الافريقية ناضجة الى حد تصبح معه قادرة على الاختيار ، فان فرنسا سوف تقترح أن تنضم هذه الشعوب الى مجموعات مثل الوحدة الفرنسية الافريقية ، وسوف يتمتعون بذلك باستقلال حقيقى .

وعاد يؤكد مرة أخرى أن الدول الأوروبية الست وهى فرنسا وايطاليا والمانيا الغربية وبلجيكا وهولندا ولكسمبرج التى قررت توحيد السوق فيما بينها اتخذت قرارا آخر في ٢٠ من فبراير سنة ١٩٥٧ بربط هذه الاراضى الافريقية التابعة لها بالسوق الأوروبية المشتركة .

ويمكننا بعد هذا العرض السريع أن نلاحظ أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ازداد اهتمامها كما هو معروف ، بهذه القارة الافريقية بعد أن ضاقت مجالات الاستعمار الاجنبى في الاجزاء الاخرى من العالم القديم وزادت مقدرة الولايات المتحدة الانتاجية ازديادا كبيرا بعد الحرب العالمية الثانية ، واشتدت مع هذا الازدياد حاجة الولايات المتحدة الى التوسع الاقتصادى في الخارج ، بالاضافة الى الموارد المختلفة الكثيرة الموجودة في أفريقية التى يسيل لها لعاب الاستعمار الغربى .

ولقد كان هذا الوضع من العوامل التى أدت الى زيادة اهتمام الولايات المتحدة بالارتباط بافريقية ، ودفعت الى قيام نائب رئيس الجمهورية في هذه البلاد بزيارة دول كثيرة في هذه القارة في أواخر فبراير وفي مارس سنة ١٩٥٧ . ولقد ذكر نائب رئيس الجمهورية الامريكي ريتشارد نيكسون عند مغادرته أمريكا أهمية المصالح

الامريكية الحيوية فى هذه القارة التى تتزايد أهميتها بسرعة ، وعلقت احدى الصحف الأمريكية الهامة على هـذه الزيارة « بأن افريقية تحوى كميات ضخمة من المعادن ، وهى كذلك تحوى ملايين كثيرة من العمال بأجر رخيص ، وتهتم الولايات المتحـدة الى جانب توسعها الاقتصادى فى هذه القارة بافريقية من الناحية الاستراتيجية » .

أما ربط مشروع الصحراء الكبرى بالولايات المتحدة وبقية دول أوروبا الغربية فهو اغراء بمشاركة هذه الدول فى الاستثمار فى هذه المنطقة ، وبهـذا تتحقق لهذه الدول — وعلى رأسها المانيا الغربيـة فى أوروبا ، مع تزايد الاستثمارات الامريكية فى المانيا الغربية تزايدا مضطردا ، والولايات المتحـدة الامريكية — فرصة طيبة ، حيث يفتح لها مجال أكبر للاستثمار ، ثم مجـال أكبر من ناحية التصريف باتساع هذه السوق التى سوف تشـمل الدول الأوروبية الست والمناطق الافريقيـة المختلفة . ولا شك أن هـذا يحقق مصلحة الدول الصناعية التى تتمتع بمركز أكثر امتيازا كالولايات المتحدة والمانيا الغربية .

ويلاحظ أن الربط بين المنـاطق الافريقية التابعة وبين الدول الأوروبية الست فيه تحقيق لمصـلحة أخرى أبرزها البيـان المشترك لايزنهـاور ومواليه ، اذ تحدث هـذا البيان عن الاعتماد المتبـادل بين المنطقتين وعن دعم هذا الاعتماد المتبادل ، فيلاحظ أن من مصلحة الاسـتعمار الأوروبى استمرار زيادة الاعتماد على المنـاطق الافريقية فى الحصول على المواد الخام ، ويتضح هنا بجلاء حين نجد أن الدول الأوروبية المشتركة فى هذه السـوق المشتركة معتمدة اعتمادا كبـيرا على الواردات فى حصولها على المواد الخام والمواد الغذائية ، ويتضح هـذا من الجدول الآتى الذى يبين قيمة الواردات فى هـذه المواد عام ١٩٥٤ — ١٩٥٥ بالنسبة لمجموعة الدول الآتية وهى :

بريطانيا وايطاليا وفرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية وهولندة

المادة	منطقة الدولار	المناطق الاخرى فيما وراء البحار	الدول الاشـتراكية
	مليون دولار		مليون دولار
البترول ومشتقاته	٣٠٠	١٨٠٠	٤٩
المعادن	٥٣٠	٥٨٠	٣٥
القطن	٤٦٣	٥٥٠	٤٢
الصوف	—	١٠٢٢	—
الزيوت النباتية والدهنية	٢٤٨	٧٠٠	٨
المطاط	٤٥	٣٩٥	١٢٨
الخشب والسيلولوز	٢٤٤	١٤٦	—
البن	١٨٦	٤٠٠	—
الطباق	٢١٤	١٤٠	٤
المجموع	٢٢٣٠	٥٧٣٣	٢٦٦

ويلاحظ من هذا الجدول ان أوروبا تعتمد بصفة أساسية على الخارج فى الحصول على المواد الخـام والمـواد الغذائية ، مما يكلفها كثيرا من العملات الأجنبية ، ولا شك أن ربط المناطق الافريقية بالسوق الأوروبية المشتركة سوف يؤدى الى فتح السوق الافريقية بالنسبة لاوروبا فضلا عن التخفيف من حاجة أوروبا الغربية لمناطق العالم الأخرى فيما عدا القارة الافريقيـة لحصولها على المواد الخـام والمواد الغذائية .

ونظرة الى تفصيلات المشروع تمكننا من أن نلقى ضوءا أكثر على الوضع ، فنلاحظ مثلا أن هذا المشروع فكر فيه من مدة ، اذ وجدت فرنسا أنها فقدت جزءا كبيرا من مستعمراتها فى آسـيا بعد الحرب العالمية الثانية (مثل سوريا ولبنان والهند الصينية) فضلا عن أنها منحت الاستقلال بدرجة ما الى بعض المناطق الأخرى (مثل تونس ومراكش) كما توالت البحوث المختلفة للتنقيب عن المعادن ، وبدأت هـذه البحوث بنشاط عام ١٩٥٢ ، فتكونت منـذ عام ١٩٥٣ أربع شركات تشرف عليها الحـكومة للتنقيب عـن البترول ، وتشـترك فى نشاطها لجنـة بحوث الزيت والمكتب الصـناعى الافريقى ووزارة المستعمرات الفرنسية .

وقد اكتشفت فى منطقة الصحراء هذه كميات كبيرة من البترول يقـدر بعض الباحثين انها تكفى حاجة فرنسا لمدة خمسين عاما .

أما خام الحديد فتوجد كميـات كبيرة منه تمتاز بجودتها وارتفـاع نسبة المعدن فيها ، حتى أنه يقـدر بضعف الكمية الموجودة فى خام الحديد فى المنطقة التى تقع على الحـدود بين فرنسا وألمانيا ، وهى منطقة اللورين ، كما أن الحديد الموجود فى المنطقة يقرب من سطح الارض مما يسهل عمليات التعدين . كذلك توجد كميات لابأس بها من المنجنيز والنحاس والقصدير والرصاص والزنك ، بل توجد أيضـا كميات من المعـادن التى تستعمل فى الطاقة الذرية تستورد كميات كبيرة من مصادر الطاقة حتى الفحم ، فنجـد أنها فى عام ١٩٥٥ تزيد حاجتها منـه عما تنتجه بمقـدار ١٣ مليون طن ، وهذه الواردات تكون ماقيمته ٢ر٧٪ من مجمـوع الواردات ، ويلاحظ أن نصيب الدولار من العملة الأجنبيـة اللازمة للحصول على الفحـم نصيب كبير .

أما البترول فنجد أن فرنسـا فى عام ١٩٥٥ تنتج مليون طن ولكنهـا تستورد من الخارج فى عام ١٩٥٥ من البترول الخام وحده ماقيمتـه ٤٩٥ مليون دولار ، كمـا نجد ان فرنسـا تنتج فيما عدا الحديد كميات لاتكاد تذكر من المعادن الأخرى ، وحتى فى حالة الحديد فاننا نجد أن الحـديد الموجود فى افريقيـا أكثر جودة . ويكفى أن نذكر أن الجزائر وحـدها يقدر ما بها من حديد خام بـ ٣٠٠٠ مليون طن ، حيث أنها تعتبر احـدى المناطق الخمس الأولى فى العالم .

ولا تقتصر أهمية هذه المنطقة على مواردها الاقتصادية ، فانهـا كذلك ذات أهمية استراتيجية كبرى لفرنسا ، حيث أن هذه المنطقة تمر خلالهـا خطوط المواصلات التى تربط افريقية الشمالية بافريقية الوسطى ، كما أنه يمكن انشاء قواعد عسكرية تستخدم فى أى صراع قد يقوم فى منطقة البحر المتوسط وما وراءها الى الشـمال ، أضف الى هذا أنه يمكن اقامة صناعات عسكرية فى هذه المنطقة بعيـدة عن خطر وسائل الحرب العـادية اذا ما قامت الحرب بين الكتلة الشرقيـة والكتلة الغربية ، كما أن هذه المناطق يمكن أن تتخذ منطقة لتفجير الأسلحة النووية بوساطة فرنسا .

ويمكن أن يضاف الى هذا الأهمية الاستراتيجية لهذه المناطق بالنسبة للغرب على العموم ، فنلاحظ الى جانب أهمية أفريقية الشمالية ان افريقية الغربية مهمة من حيث أن الانبعاج الافريقى الغربى يقع فيها ، وهذا الانبعاج يعتبر أقرب منطقة الى العالم الجديد عن طريق المحيط الاطلنطى ، مما يجعل لهذه المنطقة أهمية استراتيجية كبرى فى أى صراع محتمل بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية .

وهناك ناحية أخرى هى أن الخطر على التوسع الاستعمارى فى هذه المنطقة من ناحية الحركات القومية لن يكون كبيرا وذلك للأسباب الآتية :

أولا — أنه بالرغم من أن المنطقة الداخلة فى هذا المشروع تبلغ ثمانية أضعاف فرنسا (٣ر٤ مليون كم مربع) فان عدد سكانها يقل عن مليونى نسمة (حوالى ١ر٧٠٠ر٠٠٠) .

ثانيا — أن سكان هذه المنطقة لم يبلغوا بعد درجة كافية من الوعى السياسى تجعلهم خطرا يهدد المصالح الاستعمارية .

ثالثا — انه فى الوقت الذى خرج هذا المشروع فيه الى الحياة كانت هناك مشروعات أخرى لربط المناطق الساحلية الشمالية فى افريقية بعجلة الغرب سواء أكان ذلك بمحاولة اقامة حلف البحر المتوسط أم بانشاء اتحاد لدول افريقية الشمالية أم بقيام اتفاقات ثنائية بين بعض هذه الدول وبعضها الآخر ، ثم ربط هذه الدول بحلف بغداد بطريق أو بآخر . هذه المحاولة تجعل هذا المشروع يعمل وهو آمن فى ظل من حماية النطاق الشمالى الذى يحاول الغرب أن يرتبط به ارتباطا وثيقا .

رابعا — أن أخذ الدول الغربية الاستعمارية وعلى رأسها الولايات المتحدة بنصيب من التوسع الاقتصادى فى هذه المنطقة يجعل هذه الدول تتكاتف جميعا لكبت أى شعور مضاد للاستعمار والسيطرة عليها لتحقيق هذا الاستقلال المشترك .

ولقد أشار رئيس الوزراء الفرنسى كما ذكرنا من قبل الى أن هذا المشروع يقرر سياسة أوروبية موحدة فى هذه المناطق ، ولا شك أن هذه السياسة الموحدة التى تحقق مصلحة الاستعمار الغربى مجتمعة سوف تسندها عند اللزوم سياسة عسكرية موحدة .

ومن المصاعب التى تواجه هذا المشروع الافتقار الى الاستثمار أو رؤوس الأموال اللازمة للبرامج الموضوعة وافتقار المنطقة الى وسائل النقل اللازمة سواء كانت أنابيب أو سككا حديدية تنقل المواد المختلفة من والى قلب الصحراء ومن والى الموانىء الساحلية التى تربطها بالعالم الخارجى ، وكذلك مايلزم من استعدادات وتوسيع للموانىء المختلفة ، وتظهر أهمية هذه الناحية حين يلاحظ أن المنطقة قليلة السكان بالرغم من كبر حجمها ، مما يجعلها فى حاجة الى العالم الخارجى كسوق لمنتجاتها . وكذلك هناك مصاعب ادارية مختلفة .

أما من ناحية الاستثمارات فاننا نجد أن فرنسا فى مشروعها هذا حاولت أن تشجع رأس المال الأجنبى وقامت بعدة بحوث ومباحثات مع كثير من الدول والشركات الغربية فى ألمانيا وايطاليا وهولندا وبلجيكا ولكسمبرج وكذلك الولايات المتحدة وكندا ، كما فكرت فى الحصول على معاونة البنك الدولى لهذا المشروع .

ويلاحظ أن اتحادات الصلب فى بريطانيا وشركاته فى كندا دعيت للأخذ بنصيب فى استغلال حديد هذه المنطقة كما تكونت عدة شركات للبترول

ومن أمثال هذه الشركات شركة الجزائر الأهلية للبترول وشركة الزيت الفرنسية بالجزائر والشركة الجزائرية الزيت ، كما تكونت هيئة عالمية من زمن قريب لاستغلال موارد الثروة الطبيعية المختلفة فى هذه المنطقة . وكثير من هذه الشركات تشترك فيها رؤوس الأموال الأجنبية بنصيب كبير ذلك لأن الشركات الفرنسية قدوجدت أنه من الضرورى أن تلجأ الى الاستثمارات الغربية من أجل اقامة المنشآت والطرق اللازمة وكذلك لضمان الحماية المشتركة من الدول الغربية مجتمعة ، بل اننا نلاحظ كذلك أن فرنسا أيضا حاولت أن تغرى رءوس الأموال المراكشية بالاشتراك فى هذا المشروع حتى تربط بعض العناصر الوطنية به .

غير أننا نلاحظ أن فرنسا ولو أنها فى حاجة الى هذه المشاركة من الناحية المالية وهى مشاركة تسندها من الناحية العسكرية ، الا أن فرنسا فى الوقت نفسه تحاول المحافظة على نصيبها أو دورها الممتاز فى المنطقة . ونلاحظ أن القانون الخاص بالمشروع يؤكد تأييد الصفة الوطنية للشركات المشتركة التى تقوم بالمشروعات المختلفة ، كما نجد أن بيير جولى الوزير السابق لشئون المغرب يذكر فى تقديمه للمشروع « أن الصحراء فرنسية وستظل كذلك ، تؤيدنا فى ذلك دون شك أو لبس كل النصوص الادارية والقانونية ، وليس فى امكان أحد أن ينكر حق فرنسا فى احتفاظها بأرض اكتشفتها وسهرت على ادارتها وبذلت فيها ما بذلت لتحقيق حياة انتاجية أفضل » *

وهناك كذلك مصاعب قومية وادارية ، ذلك لأن هذا المشروع يقتطع اجزاء كثيرة ومهمة من الجزائر ومن مراكش وكذلك من افريقية الغربية الفرنسية ومن افريقية الاستوائية الفرنسية ، ومن الملاحظ أن الحاجة الى رأس المال الاجنبى تقتضى قيام نوع من الاستقرار فى المنطقة وتوفير الاطمئنان لدى أصحاب رؤوس الأموال الأجانب ، وهذا لايتأتى الا اذا أمكن محاولة التوفيق بين المصالح القومية المختلفة وبين ماتريده فرنسا والدول الغربية وان كان للمرء أن يتساءل عن امكان استسلام الحركات القومية فى المنطقة لاقتطاع هذه الأجزاء منها وكذلك لمحاولة الغرب ربط اقتصاديات هذه المنطقة بأوروبا الغربية على أساس من التبعية لايحقق تمتع أهل هذه المناطق بمواردهم ورفع مستوى معيشتهم . تمهيدا لربط المنطقة جميعها بالغرب بطريق أو بآخر

ليس هذا فقط ، بل انهم يحاولون احكام الحاجز حول المناطق الافريقية المستقيمة فى الصحراء وفيما وراء الصحراء ، فيعملون على ربط هذه المنطقة بالاحلاف الغربية الأخرى بشكل أو بآخر حتى تتصل حلقات الأحلاف اتصالا مستمرا يحجز المناطق الافريقية وحتى تتمكن الدول الغربية من احكام سيطرتها على هذه المناطق .

غير أننا نلاحظ أن هناك تناقضا أساسيا بين الدول الاستعمارية ومصالحها المتباينة فى المنطقة والولايات المتحدة مثلا تريد أن تتوسع برؤوس أموالها ، ولقد بلغ ضيق المتطرفين فى فرنسا بهذا التوسع حدا كبيرا جعل جاك سوستيل الوزير الفرنسى يعلن فى ابريل الماضى أن فرنسا مهددة بتصفية مراكزها فى افريقية الشمالية تصفية كاملة . ثم يستطرد فيقول :

---

* يمكن أن نشير الى تصرفات تونس الاخيرة بالنسبة للجمهورية العربية المتحدة والحركة العربية المتحررة عامة .

«أن هذه هي سياسة احتكارات الزيت الأمريكية التي تريد أن تطردنا من الصحراء » (١) .

كما أننا نلاحظ أن فرنسا في الوقت الذي تفتح فيه الباب قليلاً تحاول أن تتمسك بسيطرتها على المنطقة وتحكمها فيها ولا تسمح لغيرها من الدول بالمشاركة الا بالقدر الذي تعجز عن القيام به ، ويعلن أحد الكتاب الفرنسيين أن معاونة الدول الاخرى لاتعتبر مقبولة الا عندما تتفق ومصالح فرنسا ؛ ويدعو الى أن تمنع مقدما أية محاولة قد تؤثر تأثيرا ضارا على مصالح فرنسا السياسية والاقتصادية ، ويرى أن من واجب فرنسا حتى تضمن عدم حدوث هذا أن تبقى لنفسها مركز القيادة في مشروع الصحراء .

وكذلك نلاحظ أن هناك تناقضا أساسيا بين الحركات القومية المختلفة والمصالح الخاصة للبلاد المجاورة من ناحية وبين خطط فرنسا في هذا المشروع من ناحية أخرى ، ويكفي أن نشير الى ماتواجهه فرنسا من مشكلات في الجزائر تقض مضجعها وتقلقها حتى في عقر دارها ، كما نذكر على سبيل المثال ما ذكرته جريدة العلم وهي جريدة حزب الاستقلال المراكشي في يناير سنة ١٩٥٧ ، فقد قالت هذه الجريدة : « لقد بدأت معركة الصحراء ويجب أن نكسبها . ان حزب الاستقلال يدعو الشعب الى التعبئة للدفاع عن الصحراء . ان مستقبلنا يكمن في هذه الصحراء وثقافتنا هي ثقافة الصحراء وحضارتنا هي حضارة الصحراء . فلنؤمن بالصحراء ولندافع عنها ولنتحد من أجلها » . بل ان السيد علال الفاسي يعلن في ابريل عام ١٩٥٧ بأنه « لايمكن أن نعتبر أي بلد من البلاد العربية متحررا تحررا كاملا حتى تتحرر الصحراء الغربية » . كما أن جبهة التحرير الوطني الجزائرية قد كونت منذ صيف عام ١٩٥٦ (جبهة الصحراء) وهي تختص بمقاومة الفرنسيين وغيرهم من المستعمرين للصحراء الجزائرية (٢) .

هذه المتناقضات وان كانت فرنسا تحاول تخفيف حدتها بالتوفيق بينها ، الا أن التناقض فيها أساسي لايسهل التوفيق فيه ، مما يجعلها عاملاً هاماً من عوامل القلقلة وعدم الاستقرار ومعطلاً لهذا المشروع الاستعماري ومعرقلا لوضعه في حيز التنفيذ بالصورة التي تحقق ما ينشده الاستعمار الغربي .

ومن المصاعب التي تواجه هذا المشروع الصعوبات الادارية بسبب تنوع الاجزاء المضمومة من ثلاث مناطق تابعة للنفوذ الفرنسي ، ويقترح بعضهم تقسيم المنطقة الى ثلاثة أجزاء ادارية مختلفة وان كان الوضع انتهى الى انشاء منظمة أقاليم الصحراء على أن يتولى رياسة الحكومة فيها مندوب عام لايختلف كثيرا عن المقيم العام في أجزاء شمال افريقية

---

(١) آخر ماجاءت به الانباء أن شركة فلبس الامريكية للبترول منحت امتياز التنقيب عن الزيت في منطقتين جديدتين مساحتهما ...ر١٨١ر٣ فدان في صحراء الجزائر . الشعب ٥٨/٩/١٧)

(٢) آخر ما جاء في هذا السياق مقال للسيد علال الفاسي في صحيفة « الصحراء الغربية » أكد فيه « أن موريتانيا والمناطق الصحراوية في أراض مغربية خالصة وأن اجراء استفتاء على الدستور الفرنسي في هذه المناطق يعتبر اعتداء على بلادنا » المساء ١٩٥٩/٩/١٨ .

تعاونه عدة لجان أهمها أن اللجنة الفنية التى تقوم على رسم خطط الاستغلال وتنفيذها تمثل فيها الادارات الفرنسية المختلفة والشركات عامة كانت أو خاصة .

وكما ذكرنا سابقا نلاحظ أن صفة الاستغلال البارزة فى المشروع تجعل فرنسا مهتمة بمحاولة حسر تيار القومية الخطر على هذا المشروع الاستغلالى ، ولهذا ينص القانون على أن تكون الادارة فى هذه المنطقة سلطات عسكرية ـ هذه السلطات العسكرية ينص عليها القانون للدفاع عن المنطقة وللمحافظة على النظام فيها على أن يكون ذلك فى نطاق السياسة الاستراتيجية العامة للغرب فى افريقية ، ويعاون الحاكم العام فى هذه الشئون العسكرية ضابط فرنسى برتبة جنرال .

وقد ذكر ممثل الحكومة حين عالجت اللجنة هذه النقطة أن الأحداث فى افريقية الشمالية وفى الشرق الأوسط تشير الى ضرورة اليقظة الشديدة . وقد أدت أحداث معينة الى أن يظهر بوضوح أن هناك مناطق خطرة فى الاقليم المذكور وأن علينا أن نتخذ الأهبة العسكرية الجادة لمواجهة الموقف وخاصة اذا أخذنا فى الاعتبار طول الحدود بين هذا الاقليم وبين الأجزاء الخارجية ، هذه الأجزاء التى يزداد فيها الشعور القومى والتى تتطلع الى اقتطاع أجزاء من هذا الاقليم تراها من حقها الخاص .

ولهذا تحاول فرنسا ويحاول الغرب معها أن يربط الدول المحيطة بالمنطقة مع دول الغرب بطريقة أو بأخرى فى أحلاف عسكرية تعوق هذه المحاولات ، وفى الوقت نفسه يقيم حاجزا من هذه الدول وخاصة الشمالية بين الأقاليم المذكورة وبين المناطق الأخرى التى قد يأتى منها الخطر فى حالة قيام صراع بين الشرق والغرب . وتختلف صور هذه المحاولات ، فمن هذه المحاولات ما أشار اليه ريتشارد نيكسون فى رحلته الأخيرة الى افريقية اذ أشار بطريقة ما الى امكان قيام اتحاد فدرالى من دول افريقية الشمالية على رأسه السلطان محمد الخامس سلطان مراكش .

ومن المحاولات الأخرى عمل اتفاقات ثنائية تربط هذه المنطقة بطريق غير مباشر بوساطة الغرب ومن أمثلة ذلك المحاولة التى أجلت مؤقتا بين تونس ومراكش والمحاولات التى تحققت بين تونس وليبيا .

ولذا قام الحبيب بورقيبة زعيم تونس يدافع عن الارتباط بالغرب ويدعو اليه ويرفض فكرة الحياد الايجابى بين الكتلتين الشرقية والغربية ، وقد أعلن هذا مرارا ، ومن الأمثلة على محاولاته محاولة معارضة قرارات مؤتمر الرؤساء الأربعة بالقاهرة (فبراير سنة ١٩٥٧) ، وكذلك محاولاته الدعوة الى مؤتمر افريقى ، وكذلك ما أتت به الانباء فى مايو سنة ١٩٥٧ عن طريق وكالة الأنباء الايطالية من أنه يدعو الى مؤتمر يجمع اسبانيا وليبيا وتونس ومراكش وايطاليا لمحاولة التوفيق بين فرنسا والجزائر .

تنمية الثروة الاقتصادية فى افريقية

بقلم الدكتور جلال يحيى

يعتبر موضـــوع تنميـــة الثروة الاقتصـــادية فى افريقيـــة من أهم الموضوعات التى تشغـــل الرأى العام فى الوقت الحاضر نظرا لارتباطه ارتباطا وثيقا بمستوى معيشة المـــلايين من السكان فى القارة الافريقية وفى البلاد الاستعمارية على حد سواء ، فنجـــد حكام المســـتعمرات ورجال الاعمال الاوروبيين والامريكيين يهتمون بهذا الموضوع ، مثلهم فى ذلك مثل الزعماء الافريقيين أنفسهم ، كما اننا نجد ان المجالس الادارية فى المســـتعمرات توصى ببعض التوصيات ،وان مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاستوائية يتناول الموضوع بالبحث ،ويتخذ فيه القرارات • وعلى أية حال فان هـــذا الموضوع يتلخص فى استغلال الموارد الطبيعية غير المستغلة في افريقية ، وفى رفع مستوى معيشة الشعوب ، وفى الحصول على مساعدات أجنبية فى الميادين المالية والاقتصادية والفنية •

وبالرغم من اصرار الجميع على تناول هذا الموضوع العويص بالبحث فان طريقة معالجة كل من الباحثين له تختلف عن طريقة الآخر ، وهدف كل منهم يختلف اختلافا بينا عن هدف الآخر • ولن يكون تطبيق برنامج واحد كافيا للوصول الى تنمية الاقتصاد الافريقى بل يمكننا استخدام برامج مختلفة ، وسنجد ان كلا منها سيعطى نتائج تختلف عن نتائج الآخر • ومن الطبيعى ان يكون للافريقيين حق الاختيار بين هذه البرامج ، دون أن تفرض عليهم الدول الاجنبية أى مشروع بعينه ، ولكن ذلك لايمنعنا من تناول مقدمات هـــذا الموضوع بالبحث ، فنلقى نظرة عـــلى الحالة القائمة بالفعل فى افريقية ، ثم نشرح أهم النظريات الموجودة وموقف الزعماء الافريقيين من تلك النظريات ومن احتياجات شـــعوبهم فى الوقت نفسه •

ان من حقنا ان نتساءل قبـــل كل شىء عن السبب العارض الذى دفـــع بالدول الاستعمارية الى اظهار اهتمامها المفاجىء بتنمية الثروة الاقتصادية فى افريقية ، بعد أن تعامت عن هـــذا الموضوع منذ استيلائها على مستعمراتها فى نهاية القرن التاســـع عشر حتى الآن •

لقد أحجم رجال الاعمال الاوروبيين بشكل عام حتى ســـنة ١٩٤٥ عن استغلال رؤوس أموالهم فى افريقية، فلم يقوموا الا باستغلال مناجم النحاس فى كل من روديسيا الشمالية والكنغو، وهى المناجم ذات الربح الطائل والمؤكد أما فيما عدا ذلك فقد ظل النشـــاط الاقتصادى فى افريقية السوداء محتكرا فى أيدى بعض الشركات الكبرى ، واقتصر هذا الاحتكار عـــلى نوع من المقايضة التجارية • كانت أهم هـــذه

الشركات هى الشركة الفرنسية الافريقية الغربية والشركة التجارية لغرب افريقية وشركة اليونيليفر «Unilever» وقد عملت الاولى فى افريقية الغربية الفرنسية والثانية فى افريقية الاستوائية الفرنسية والثالثة فى كل من المستعمرات الفرنسية والانجليزية فى افريقية السوداء ، وأنشأت هذه الشركات لها شبكة من الفروع «والثمون» فى تلك المناطق ، واستخدمتها فى شراء أهم مواد التصدير من المنتج الافريقى (الفول السودانى والقهوة والكاكاو) وفى بيع المنسوجات والادوات الحديدية أى أدوات الاستهلاك المحلى للافريقيين .

وأدت هذه العمليات التجارية البسيطة الى الاخلال بالنظام الاقتصادى السائد فى تلك المناطق قبل الاستعمار ، وربما كانت الشركات مجبرة على ذلك نظر التكوينها الفعلى . ولقصر نظر القائمين بها عن كل مالا يتطابق مع الربح للاوروبيين ، عمل الاستعمار على زيادة انتاج المواد الاستوائية اللازمة للبلاد الاوروبية ، وعمل على خلق حاجات مالية بين الشعوب الافريقية فى الوقت نفسه ، وأقر السخرة (التى لم تلغ من المستعمرات الفرنسية الا فى عام ١٩٤٦) وسمح للادارة بفرض المحاصيل على المزارعين الافريقيين (مثل زراعة القطن فى افريقية الاستوائية الفرنسية) ، وأدخل منتجات أوروبية للاستهلاك المحلى ، بما فى ذلك النبيذ والكحول اللذين تعاونت الدول الاوروبية فى ادعائها منع ادخالهما فى افريقية فى فترة تقسيمها لتلك القارة فيما بينها ، ثم فرض الضرائب على الرؤوس والمواشى والاسلحة والاسواق . وكان مبدأ الاستعمار فى كل ذلك هو الشراء من الافريقى بأبخس الاثمان والبيع له بأعلاها ، حتى يؤكد لانصاره أقصى مايمكنهم ربحه ، وظل هذا الوضع قائما بشكل عام حتى الوقت الحاضر ، فنجد ان المزارع البسيط الذى يخدم فى حقول القطن الذى يصدر لفرنسا كمادة خام يدفع مبلغا باهظا نسبيا فى شراء قطعة من نسيج ذلك القطن نفسه ليستر بها عورته فى حقله .

ولكن هذا الاستغلال الاقتصادى قد كتب له الموت ، وما استمراره الا مسألة وقت ، اذ ان الاسس القائم عليها لم تعد صالحة للاستمرار فترة طويلة وخصوصا ان نسبة الانتاج التى كانت تهيمن على اقتصاد المستعمرات قد أصبحت تتعارض مع تنمية القوى المنتجة فى العالم ، فنجد ان قلة الوسائل المالية الناتجة عن انخفاض مستوى المعيشة تحدد من توسيع الاسواق الداخلية . كما ان الانتاج الضعيف وغير المتزايد لزراعة الاهالى لايبشر بزيادة أو سرعة ذلك الانتاج ولا بتزايد أرباح الاستعماريين بشكل واضح . ومن ناحية أخرى نجد ان النمو الاقتصادى فى البلاد الصناعية يزيد من الطلب على المنتجات الاستوائية ويظهر حاجته المتزايدة للمواد الاولية ، وليس فقط الزراعية منها ، بل كذلك المعدنية مثل النحاس والالمونيوم والحديد والمنجنيز التى تستطيع افريقية تزويده بها .

عمل الاخلال بالنظام الاقتصادى التقليدى أو القديم فى افريقية على هدم النظم الاجتماعية القديمة وساعد على هجرة أهل الريف الى المدن فى شكل جيوش من العمال العاطلين .

وقد ساعد الغاء الرق وتحسين الحالة الصحية وانتهاء الحروب فى تلك المناطق على تزايد السكان فى المستعمرات بنسبة ٢ فى المائة سنويا ،

أى بمايضاعف عدد السكان كل خمسين عاما .

وأخيرا فان حركة تحرير شعوب القارة تزداد فى كل يوم بشكل يجبر الدول الاستعمارية على التفكير فى الامر ومحاولة ايجاد حلول قبل أن يتسع الخرق على الراقع وتندلع نيران ثورات مسلحة ستضطر أمامها الدول الاستعمارية الى الاستسلام وان طال الزمن .

ونستطيع أن نضيف الى ماسبق أهمية الضغط الدولى الذى تقوم به كل من انجلترا وبلجيكا والبرتغال ضد فرنسا عاملين فى ذلك مع الدول الامبريالية غير الاستعمارية مثل الولايات المتحدة الامريكية وألمانيا الغربية . انهم يفضحون مساوى النظام الاستعمارى القديم، ولايتحملون الا بصبر جميع العقبات التى يفرضها نظام حماية التجارة فى المستعمرات الفرنسية على تجارتهم وعلى استغلال رؤوس أموالهم .

ويجب ألا ننسى ان نجاح التجارب الاقتصادية فى الروسيا وفى الدول الاشتراكية بالاضافة الى تأييد هذه الدول الاشتراكية للبلاد التى تحررت من الاستعمار تعمل على جذب أنظار الزعماء الافريقيين . وكان كل ماسبق أسبابا لنشوء نظريتين لتنمية الثروة الاقتصادية فى افريقية : احداهما خاصة بالامبرياليين والثانية خاصة بالافريقيين .

ان الدول الاستعمارية هى أول من يعلن اليوم أن زمن الاستعمار الاقتصادى قد ولى ، بل انه قد انتهى بالفعل ذاكرين ان الدول الافريقية تستطيع بمساعدة الدول الصناعية وتحت اشرافها ان تبدأ فى تنمية مواردها الاقتصادية بشكل يعود بالربح على الطرفين . انهم يقترحون انشاء مراكز صناعية ضخمة تستطيع استغلال الموارد الطبيعية غير المستثمرة فى افريقية الاستوائيه . وسيعمل استثمار رؤوس الاموال الاجنبية اللازمة لذلك على موازنة عجز الميزان التجارى ، كما ان الضرائب غير المباشرة على الانتاج ستغذى الميزانيات المحلية بشكل يسمح لها بزيادة الصرف على المشروعات الاجتماعية ، أما بيع الخامات للخارج فانه سيزيد قيمة الصادرات ، وستعمل الشركات الاجنبية التى ساهمت فى التمويل على ضمان الاسواق الخارجية لتلك الخامات ،كما ان المرتبات التى تصرفها للاهالى ستعمل على زيادة الدخل القومى .

هناك مشروعات ضخمة لاستغلال الثروة المعدنية والقوى المائية فى افريقية السوداء، أهم مافيها استخراج ٢٠٠٠ر٢٠ طن من النحاس ومليون طن من الحديد من اكشوت ، علاوة على ٤ ملايين طن من الحديد من فورجورود فى موريتانيا فى كل عام ومن خمسة الى عشرة ملايين طن من الحديد من تندوف فى جنوب الجزائر فى كل عام، أما خزان سوابيتى فى غينيا فانه سينتج ٣ مليارات كيلووات و ٠٠٠ر١٦٠ طن من الالمنيوم ، وهناك مشروع آخر لاستخراج نحو ٠٠٠ر٧٠٠ الى مليون طن من الالمنيوم سنويا من غينيا ،أما الكمرون فانه سينتج ٠٠٠ر٤٥ طن من الالمنيوم سنويا ، وسيولد خزان كويلو فى الكنغو الاوسط قوة ٧ مليارات كيلو وات ، ويساعد على استخراج ٠٠٠ر٢٠٠ طن من الالمنيوم علاوة على الحديد والمنجيز ، كما انه يمكن استخراج من ٠٠٠ر٦٠٠ طن الى مليون طن من المنجنيز سنويا من جابون ، أما غانه فيمكنها استخراج ٠٠٠ر٢١٠ طن من الالمنيوم سنويا .

ان هذه المشروعات تستلزم ٦٠٠ مليون جنيه للمستعمرات الفرنسية علاوة على ١٠٠ مليون جنيه لمشروعات بترول الصحراء ، كما ان غانة يلزمها ٢٥٠ مليون جنيه ، ويجب رصد ١٠٠٠ مليون جنيه لمشروعات الكنغو ومن الواجب علينا ان نعترف بضخامة رؤوس الاموال اللازمة لتلك المشروعات خصوصا اذا عرفنا ان الحكومة الفرنسية لاتستغل فى افريقية السوداء أكثر من ٨٠ مليون جنيه سنويا بما فى ذلك الاعانات والسلفيات . وان استغلال أصحاب رؤوس الاموال الفرنسيين فى هذه المناطق لايصل الى عشرة ملايين جنيه . ان هذا هو السبب الرئيسى الذى دفع بالدول الاستعمارية الى التخلى عن فكرة مناطق النفوذ والى عقد الآمال على الحلول الاوروبية أو الدولية (خصوصا مع الولايات المتحدة الامريكية ومع كندا) حتى يجمعوا رؤوس الاموال اللازمة ، ويضمنوا الاسواق الضرورية لتصريف الانتاج الزائد عن حاجتهم الداخلية .

ان هذا النوع من أنواع الاستغلال الاقتصادى لافريقية هو الذى دفع المندوب السامى الفرنسى فى افريقية الغربية الفرنسية الى التصريح يوم ٢٧ من مارس سنة ١٩٥٨ أمام المجلس الاعلى الاقليمى بأن حكومته قد دعت جميع منتجى الالمنيوم من الاوروبيين فى شكل جمعية تعاونية لاستغلال مشروعات غينية ، وكانت أكبر الشركات الامريكية تؤيدها فى ذلك كل التأييد . كما انها قد اقترحت على جيرانها من الاسبانيين الاشتراك فى استغلال معادن فورجورد مع بقية رجال التعدين الاوروبيين .

ان المجال لايسمح لنا هنا بشرح الدوافع السياسية لذلك الاتجاه الذى يرمى الى تدويل استغلال افريقية ، ولكن ما يهمنا الآن هو أن استغلال رؤوس الاموال الهامة اللازمة لتلك المشروعات لن يكون بدون قيد ولا شرط ، ويمكن بطبيعة الحال التغلب على كثير من المصاعب الفنية التى تعترض تلك المشروعات ، وستكون حصيلتها ربحا مؤكدا للمموّلين ، ولكن الشركات المالية الكبرى تطالب بأشياء أخرى عرفتها الغرفة التجارية الدولية فى القانون الدولى الخاص « بمعاملة رؤوس الاموال المصدرة » وتتلخص فى تعهدات باعفاء المشروع من الضرائب لمدة طويلة ، وفى ضمانات بعدم التأميم ، وفى امكانيات لاعادة تصدير الارباح ، وحرية ادارة المشروعات دون اشراف من الحكومات المحلية .

وهذه هى المشكلة التى واجهت المجلس الاوروبى بخصوص تنمية الثروة الاقتصادية فى افريقية ، والتى لم يتمكن تقرير الخبراء من ايجاد حل لها فى (سبتمبر سنة ١٩٥٧) :

« ان الصعوبة الاساسية تتلخص فى ايجاد طريقة للتعاون توفق بين رغبة الدول الافريقية فى ادارة شئونها الاقتصادية وفى المحافظة على استغلال ثرواتها الوطنية فى أيدى الاهالى من ناحية ، وبين رغبة المموّلين الاجانب فى الاشراف على مصالحهم بسلطات مراقبة وادارة بنسبة رؤوس أموالهم وفى الحصول على أقصى ما يمكنهم الحصول عليه من الارباح لانفسهم » .

من هذا نرى ان النظرية الرسمية التى أعلنها الامبرياليون تعمل على ان تخضع تنمية الثروة الاقتصادية لرؤوس الاموال الاجنبية ، وهذا ما يفرض على الرؤساء الافريقيين خلق « جو مناسب » لتنمية الثروة الاقتصادية ، أى منع الاهالى من القيام بأى عمل يقلل من ربح الاجنبى ، حتى لو كان فى ذلك ادخال تحسين بسيط على حال الوطنى .

ان مثل ليبيريا يجعـــل الرؤساء الافريقيين يفكرون فى قيمة النصائح المقدمة اليهم. لقد استقلت هذه الدولة منذ سـنة ١٨٥٧ ، ويمكن اعتبارها مخبارا لقياس تنمية الثروة الاقتصادية عن طريق رؤوس الاموال الاجنبيـة الخاصة . لقد سـنت من القوانين مايشجع استيراد رؤوس الاموال ، فأعطت امتيازات طويلة المدى، وأعفت من الضرائب ، وضمنت الحرية التامة لاستيراد وتصدير رؤوس الاموال ، وحددت بعدم فرض ضرائب على أكثر من ربع دخل الشركات الاجنبية، فكان من نتيجة ذلك ان زادت رؤوس الاموال المستغلة من ٤٦ مليون دولار فى عام ١٩٤٩ الى ٢٣٦ فى عام ١٩٥٤ . ان شركة فايرستون تستغل امتياز زراعة مليون فدان لمدة ٩٩ عاما ، وتستخدم ٣٠٫٠٠٠ عامل زراعى من الاهالى ، وتنتج ٤٠٫٠٠٠ طن من الكاوتشوك، أى مايعادل ٧٠ فى المائة من مجموع صادرات البلاد ، كما انها تدفع لخزانة الدولة ٤٠ فى المائة من قيمة الايرادات العامة ، وقد حصلت شركة جودريش المنافسة فى عام ١٩٥٥ على امتيـاز لاستـغلال ٦٠٠٫٠٠٠ فدان لمدة ٨٠ عاما ، كما ان شركة « ليبيريا مييننج» وهى فـرع من « ريببلك ستيل » تستغل منـذ سنـة ١٩٤٩ مناجم تحتوى على ٣٥ مليون طن من الحديد، تستخرج منها سـنويا ١٫٨ مليون طن . وتدير احدى الشركات الامريكية ميناء مونروفيا ، وتتعهد حكومة ليبيريا فى اتفاقها مع الولايات المتحدة بتحويله الى قاعدة بحرية توضع تحت تصرف أمريكا فى حالة نشوب حرب ، مثله فى ذلك مثل مطار «روبرتس فيلدز» الذى تديره شركة «P. A. A» . وقد وافقت الحكومة على مشروع التنمية الاقتصادية فى تسع سنوات قام بعمله بعض الخبراء الامريكيين ، وتضـطر الحكومة الى أن تدفع ٢٠ فى المائة من ايرادها لتنفيذه . وقد وعد بنـك الاسـتيراد والتصدير بتقديم قرض يبلغ ٢٣ مليون دولار من الـ ٧٥ مليونا اللازمة لهذا المشروع .

يمكن للامريكيين فى هـذه الحال أن يتباهوا بأن مشروعهم يمثل تجربة تعود فائدتها على الطرفين بعد تعاون وتضحيات معقولة وافقت عليها كل من المشروعات الفردية والحكومة ، ولكن الناقد لايستطيع التعامى عن أن ليبيريا تعتمد على زراعة محصول واحد هـو الكاوتشوك ، مما يجعلها تحت رحمة تقلبات الاثمان الدوليـة ، وانها بلد متخلف لاينتج المواد الغذائية اللازمة لاهله وان الطرق فيه غير كافية ، وان الملاريا والاوبئة كثيرة الانتشار ، وان معظم أراضيه غير مزروعة ولايعمل أحد على استصلاحها ، وان ٩٠ فى المائة من الاهالى هم من الاميين ، وانه ينقصه تماما الخبراء والفنيون وحتى العمال منهم وغير المتخصصين . ويمكننا ان نضـيف الى ذلك أن الدخل للفرد فى ليبيريا هو أشد الدخول انخفاضا فى العالم أجمع .

يجعل هذا المثل السلبى الرؤساء الافريقيين يرفضون الترحيب بالنظرية الرسمية الخاصـة بتنمية الثروة الاقتصادية فى بلادهم ، ونجد محمد وضـيا يقـرران أن عصر الترابط الاقتصادى قد ساد بعد نهـاية عصر السـيطرة السياسـية . ويعرف الافريقيون جيدا أن برنامج انشـاء مراكز صناعية ضخمة هو مسـاعدة كبيرة لتنمية الثروة الاقتصادية وأن المساعدة الاجنبية هى أمل من الآمال وأكثر من ضرورية ، ولكنهم يعرفون أيضا **أن الهدف الاساسى لتنمية الثروة**

الاقتصادية يجب ألا يقتصر على توريد المنتجات الاستوائية والمواد الاولية للدول الصناعية (حتى لو كان ذلك نتيجة لتنمية الثروة الاقتصادية) **بل على اشباع الحاجيات المتزايدة للشعوب الافريقية •**

يجب علينا ألا ننسى ان مشروعات الاستعماريين تخلق كثيرا من المشكلات وتعرض الافريقيين للمخاطر: ذلك ان انشاء مراكز صناعية ضخمة بالشكل المقترح تهدد بزيادة فقد التوازن الاقتصادي في تلك البلاد وذلك باخضاع اقتصادهم لمادة أساسية واحدة ، كما ان هذه المشروعات لن تستخدم الا القليل من الايدى العاملة بعد اتمامها للمشروعات الضخمة ، ولاننسى ان تصدير المواد الخام أو شبه الخام لن تكون له قيمة كبيرة ، وان اعادة تصدير الارباح سيحرم هذه البلاد من الموارد اللازمة لتقدمها الاجتماعى • لن يصل الافريقيون اذن الى تكوين ادخار محلى يساعد على تنمية النشاط الاقتصادي ، ويساعد بدوره على تنمية ذلك الادخار المحلى ، وهو الامر اللازم للمحافظة على مستوى المعيشة أمام ازدياد السكان • وبالاختصار ــ وبدون التحدث عن الاخطار السياسية التى ستنتج من الاعتماد الاقتصادى على رأس مال كبير أجنبى ــ نجد أن رءوس الاموال تسعى دائما الى الحصول على أكبر ربح مستطاع ، ولكن الاستثمار الاكثر ربحا ليس هو الاستثمار الاكثر ضرورية لحاجات الشعب خصوصا في حالة اقتصاديات الدول الافريقية المعاصرة . وهذا ما يسميه محمد وضيا « التوسع المتوازن » وما يسميه مؤتمر القاهرة « **بتخطيط وتنظيم وتنسيق الانتاج** » •

ضرائب

تكثر فى أنحاء جنوب أفريقية الضرائب التى تثقل كاهل السكان الافريقيين ، فهناك ضريبة الرءوس التى تفرض على كل شخص ، وضريبة المياه ، وضريبة الانتقال من مكان الى آخر ، وضريبة الاستغلال البدنى ، وضريبة المبانى الخ •

أما أغرب هذه الضرائب فهى : ((ضريبة الوفاة)) •• بمعنى أن الميت لا يدفن الا اذا دفعت له هذه الضريبة •

تاريخ الزنج

وتولى سلطان بن سيف بن سلطان اليعربى بعد أبيه بأرض عمان ، فلما تولى سلطان بن سيف كتب كتابا الى الامير شهداد والى ممباسة وذكر فيه : أما بعد فاذا قرأت كتابى هذا فاعزم السفر عاجلا لأن والدى قد تركك وجعلك وصيا لنا ، فالمراد وصولك الينا عاجلا والسلام .

فلما وصل الكتاب الى الامير شهداد واستدان من تجار ممباسة وزنجبار وترك المال بأرض ممباسة لأجل مشاهرة العساكر ، واستخلف رجلا يقال له حميد بن سالم الصارمى وهو ابن الامير الذى ذكرناه سابقا ، فلما وصل الامير شهداد الى مسكت (مسقط) ووجه الامام سلطان بن سيف بن سلطان وأخبره بكونه قد استدان الدين ، وتركها بممباسة وذلك من قلة المحصول من ممباسة وجميع أرض السواحل ، فقال فكيف أمر هذه البلدان لم توجد منها غرامة عساكر الذين هم بالسواحل وتكون من عمان ، فشرط على أهل ممباسة يسلمون العشور عاجلا أو نردوا عساكرنا الى عمان ونترك ممباسة كما كان أمر مقدشوه وبراوة وبركة وبتى وقد ترك الى أهلها لأن الامير سالم الصارمى حارب النصارى وخرجهم عن البلدان وتركهم لأهلها ورجع الامير المذكور الى عمان . ولم يترك هناك أحد من عساكرنا فقالوا وزراؤه : فكيف ياسيدنا نترك ممباسة وهى معلومة عندنا بالكوت المانع والبندر العالى ، وكيف نتركها وذلك يقولون من قوة حصنها وحسن بندرها ورجع الامير شهداد بن شهدى الى ممباسة ، وكان أهل ممباسة يسلمون عشورهم لاهل الامام والدين الذى على الامير شهداد قدوفى حميد ابن سالم بتدبيره غير العشور وقدوفاه فقام الامير شهداد بعد ذلك سنين ، وكان الامام سيف بن سلطان بن سيف ابن سلطان جبارا جايرا ، فاسقا خمارا تمزن للتنباك وكان يدعو ذكره برقا ورعدا ، وكان يستخبر من الخنيثين اخبار النسوة الحسان الوجوه ويرسل القوادين لتأتى اليه النسوة المذكورة المشهورة بالحسن ، فلما علموا أهل عمان والمشائخ وعرفوه فى الكتاب وأنكر ذلك ودعى الامير شهداد بن شهدى وكان بممباسة ، وأراد أن يترك ممباسة من قلة المحصول وغرامة العساكر ، وكان ذلك أصلا لأتباع الامام سلطان بن سيف بن سلطان فقال محمد بن عثمان المزروعى : يأيها الامير لاترد العساكر فانى أقدر أن أسلم جميع غرامة العساكر للسيد كذا وكذا واستأجر محمد بن عثمان المزروعى من الامير شهداد بن شهدى بقدر معلوم وقصر العساكر وبقى ما بقى من جماعتهم ومشاهرتهم وولاه الامير شهداد محمد بن عثمان المزروعى

وسافر الامير الى عمـــان ، وكانت ممباسة تحتالمزروعى بسبيل الاجارة بتاريخ سنت ١٩٥٢

وقام محمدبن عثمان المزروعى واليا بأرض ممباسة مدة ١٥ ســنه ومات روبى بولاية ممباسة مسعود بن ناصر المزروعى وأقام فيها ٢٥ سنة ثمالوالى عبد الله بن محمد بن عثمان ٨ سنين ثم الوالى أحمد بن محمد بن عثمـان ٣٣ سنة ، ثم الوالى عبد الله بن أحمد ٢٠ سنة ، ثم الوالى سليمان بن علي سنتين ، ثم الوالى سالم بن احمد ٢٠ سنة ، ثم الوالى خميس بن احمد بن محمد سنتين ، ثم الوالى راشــد بن سالم سنتين .

فصل فنرجع الى أخبـار سيف بن سلطان بن سيف اليعربى لمابان كون أموره قبيحة اجتمعوا مشايخ عمــان وعزلوه عن الولاية ، وولى بعده الامام احمد بن سعيد البوسـعيدى ، ولم يسئل عن أخبار زنجبار ولا ممباسة سـوى أنه كان يصلح أمور عمـــان ١١٩٣ ، ومات أحمد بن سعيد في ومسكت ، وكان ولايتـه فى السنـة سنت ١٢٠٦ ، وولى بعده سلطان بن أحمـد بن ســعيد البوسعيدى بأرض عمان ومسكت ، وأرسل الى زنجبار ابن عمه ويقـــال له سـعود بن على البوسعيدى ، فلما وصـل سعود بن على الىزنجبار ، وهنالك جملة القبائل من العرب المتقدمين من دهور . الامام قائد الارض ، وهو سيف بن سلطان ابن ملك اليعربى وفى الجزيرة المزارع ساكنون فيهـا ، وتوفى سلطان بن احمـد وقام بعده سعود بن عـلى من طرف ابنـه ســعيد بن سلطان لانه كان صغيرا فلما بلغسعيد بن سلطان ست عشر سنتقتل سعيد بن سلطان سعود بن على وقبض الملك سعيد بن سلطان بن احمد بن الامام بتـــاريخ سنت ١٢١٩ ثمانه أصلح أمور الدولة بعمان والسواحل ، وارسل رســول الى ممباسة يقال له هبوب الغبش ، وهو رجل ذو حلمشديد شجاع وهيبة يفزع ويفرح من رآه بعظم خلقه وقامته روصل الى ممباسة بعواسيه صغيره رنزل معه منالعرب بقدر عشرة رجال بسيوفهم وتوجه الى كوت ممباسة ووصلوا الى البـــاب واستاذن من البواب رخصة للدخول ، ودخلوا قبل رجوع البواب ووصلوا الىالوالى بأرض ممباســة وصاحـوا عليهم العســاكر وردهم الوالى،وتواجهوا الوالى وأمير سعيد بنسلطان أعنى هبوب الغبش ويقال له سالم بن احمد فقال هبوب الغبش للوالى المذكور من أنت ولمن هدهالارض ، وأجاب الوالىفزعا مفزعا من هيبة الغبش : هذه الارضللسيد سعيد بن سلطان وأنا قائم من طرفه فقال هبوب الغبش اكتب وهـــذه القرطاسة والمواد جاهزا ،وكتب الوالى سالم بن احمد المزروعي يكون كوت ممباسة للسيد سعيد بن سلطان بن حمد البوسعيدى واعطاههبوب الغبش وطواه وخرجعنالكوت وطلع عواسيته وانزخ شراعه وقصد الى زنجبار عاجلا فلما شاع الخبـر والقصـة اجتمعوا المزارع باللوامة والندامــة فلمـا جاء الموسم ووصلالسيد سعيدالى زنجبار ثم جاءه الامير وجيشه وحاربهم اعنى حارب الزارع ولم يقدر عليهم ورجع الجيش الى عمـان وكان اسم اميره مسعود بن سعيد البوســعيدى وفى تاريخ سنت ١٢٢٧ وقع الحرب بين أهل لاموه واهل ممباسة اعنى المزارع وكان تلك الايام أهل لاموه مخالفين النباهن واستوى الولاية لهم من قبل الحرب المذكور فلما راوا المزارع كون أهل لاموه مخالفينالنباهن سار اليهم عبد الله بن احمد بن محمد بن عثمان المزورعى فقال اريد التزويج فقـالوا رضينا لك ونحن نعرفك انك تريد البلدة فسمعا وطاعة لله تعالى ثم لك وبنى عبد الله بن حمد جزيرة بأرض

لامـوه ومضيت سـنت كاملة ينزل صبحا ويركب بغلته ليلا ويبيت فيها وشق الامر على أهـل لامـوه بذلك واستشـاروا بعضهم عـلى بعض فى المجمع فقال واحد منهم وهـو أصغر عنهم سنا يقال له زاهـد بن مفوم المخزومى انا سوف نبين أموره بمدة ثلاثة أيام وشرع بسرار رأسين غنم وحرسين سمنا ومزيجوتين رزا وافتعل كتابا باسم سلطان بتى وعرفه أما بعد فالواصلات اليك كذا وكذا هدية لك فتفضل بقبول ذلك ان الهدية بقدر المهدى الى المهدى اليه ايضا انى ارى انك فى غفلة وغرور قد غرتك فانه مكو بيت موسى لاجل ماسمعنا فعلك ولا قضائك على أهل لاموه والسـلام وكتب شيخ بن محمد النبهانى ، وقال المزروعى فى جـوابه أما بعد فكتابك الينا قد وصل وفهمناه والذى تفضلت به علينا قبلناه ولا زلت متجملا فينا وأحسنت وأنا لست بمعزور مـوان بنت موسى ولاغيرها • فسمع افعالى وأحكامى متى قوضنا الجزيرة فأما محمد ابن شيخ عمر البورى وأمير محمد بن حاج وغيرهما فيصـيرون فى الكوت ممباسة اكلا للغيران والسـلام • من اخيك عبد الله بن حمـد بن محمـد المزروعى ، فلما وصل كتاب المزروعى الى اهل لاموه بيد رسـولهم يقال له موسى خادم زاهد بن مفوم وقراه ورأى زاهد بن مفوم مافيه سار به الى كبير وهو محمد بن شيخ عمر البورى فلما رأوا ذلك أهل لاموه اجتمعوا صبحا وقالوا لعبد الله بن حمد اقرأ كتابك هذا جوابك الذى عرفت شيخ بن محمد النبهانى قد بان أمرك وعزمك فاخرج من بلدنا وانت ان شاء الله من الفرارين وسافر الوالى عبد الله بن حمد راجعا الى ممباسة متحيرا ومحتدا بما خاب أمره ودخل خور ممباسى ليـلا ونزل كأنه مريض وامر خدامه واصحـابه الذين كانوا معا أنهم يكتمو ماجرى للجميع وشرع الوالى عبد الله بتجهيز الحرب بجيش كبير بقدر ستة الف رجال من خدام المزارع والبـاجونى وأهل سيوى وبتى وفنج وطنج وقيل خمس آلاف من هؤلاء المذكورين وصار الجيش فى المواشى لم تبقى بغـلة ومتافيـة والداوات كلها حضرت ذلك اليوم وهى مشحونة العساكر ونزلوا شيلة وتحاربوا وتقاتلوا قتالا وهزموا المزارع بحول الله وقوته وكانوا أهل لاموه من الغالبين ثم استشاروا بعضهم بعضـا وسـافر محمد بن حاج الصعصعى الى مسـكت واحتمى من سعيد بن سلطان وحمـاهم وأعطاهم مائتين نفر من العرب والنوبيـان وعقيدهم يقال له عثمان النوبى وذلك بشرط ان يكون مشاهرة العساكر على أهل لاموه وبنيان الجزيرة ورضيوا بذلك فلمـا رجـع محمد بن حـاج الصعصعى ورحـل الى لاموه تكبروا وتجللوا قلوب الحاضرين والله اكبر ونزلوا فرحانين وشرعوا ببنيان الجزيرة وانفاق على العساكر مشاهرتهم فلما جاء الاريب أعنى الريح الشمالى ووصل المركب وفيـه سـعيد بن سـلطان البوسعيدى وتوجهه أهل لاموه فقال سعيد بن سلطان احضروا دفاتركم حتى نعلم عدد التى تصرفتم فنعطيكم فقالوا أحسنت ونحن قد سمعنـاك ، فالآن اقبض عسـاكرك وجـزيرتك وتوجه سعيد بن سلطان الى زنجبار فرحـا مسرورا مجبـورا فلمـا مضى السنوات وشرع سـعيد بن سلطان بالحرب من عمان الى ممباسة باتفاق أهل ممباسـة والسيـد سـعيد بن سلطان وكان دليله يقال له معلم مونى شـافى الجلندانى وقيـل الكلنـدانى فهى قبيلة من جلنـدا بن مسعود بن كركرة الذى ملك عمـان قبل قيس وقصته مشهورة بأرض عمان الى الآن

(طبق الاصل ويتبع)

أ • ب • ع •

دور افريقيا..
في حصار اسرائيل

بقلم الاستاذ عبد الخالق الشهاوى

لم يكن المؤتمر الافريقي للدول الافريقية المستقلة الذى عقد فى «أكرا» مؤتمرا اقليميا بالمعنى الضيق، بل كان مؤتمرا عاما، يرى القارة كلها على ضوء الظروف العالمية والمحلية، للاسباب التالية :

أولا : انه عقد في ظل ظروف الانتصارات العظيمة، والمكاسب التى تحرزها حركات التحرير ضد الاستعمار العالمى .

ثانيا : انه عقد عقب مؤتمر القاهرة، الذى يعتبر أكثر من خطوة بعد باندونج، وأنه قفزة رائعة فى سبيل الحرية والسلام لشعوب آسيا وافريقية بل للعالم جميعه .

ثالثا : انه يرى التهديد الاستعمارى فى قلب القارة مرتبطا بالمراكز العسكرية الاستعمارية على حدودها، وفى كل أرجاء العالم .

أما علاقة الدول الافريقية بالمشكلة الفلسطينية فلا يمكن لاحد تجاهلها . فالاقليم المصرى من الجمهورية العربية المتحدة افريقي فى الوقت الذى هو فيه جزء من دولة آسيوية افريقية معا . وعلاقة البلاد العربية جميعها — ومن بينها البلاد العربية فى افريقية — بمشكلة فلسطين أوضح من أن تحتاج الى بيان .

لذلك كله لم يكن عجيبا أن يتعرض مؤتمر الدول الافريقية المستقلة فى أكرا لمشكلة فلسطين، ولمأساة اللاجئين .

ونحن نعلم انه فى وقت الاعداد للمؤتمر كانت « جولدا ماير » تطوف بدول افريقية محاولة ربطها اقتصاديا، وتصريف أزمة الاقتصاد الاسرائيلى المتدهور، عن طريق ايجاد علاقات اقتصادية مع هذه الدول تستلزم ايجاد علاقات سياسية تابعة فى المقام الاول للسياسة الاستعمارية الامريكية .

وبهذا كان قرار « مؤتمر اكرا » الخاص باسرائيل ذا أهمية كبرى، اذ انه طليعة لموقف افريقى متكامل ازاء هذه الدولة المدسوسة فى المنطقة، التى تعمل على الاستفزاز والتوتر ..

لقد أصبحت سياسة باندونج واضحة كحقيقة واقعة، وأثبتت الايام من مؤتمر باندونج الى مؤتمر القاهرة ثم مؤتمر أكرا ان قرارات الشعوب لا يمكن تجاهلها .

ولما كانت قرارات أكرا هى فى الواقع تطبيقا محليا لقرارات مؤتمر القاهرة الخاصة باسرائيل، فاننا هنا نحاول ان ندرس المشكلة الاسرائيلية على ضوء قرارات القاهرة المعبرة عن ثقة الشعوب بنفسها، وعن نجاحها فى وضع قرارات باندونج موضع التنفيذ .

وستمر مدة طويلة حتى تأخذ قرارات مؤتمر القاهرة حقها من الدراسة والفحص ، فانها وان كانت واضحة صريحه ، فهى عميقة أيضا ، ومن أجل ذلك فهى فى حاجة الى الدراسة والتمحيص ·

فمما لاشك فيه ان كل القرارات التى تناولت مشكلات الشرق الاوسط تمس اسرائيل، باعتبارها رأس الرمح الاستعمارية فى المنطقة ، وباعتبارها مجال الاستفزاز والضغط الاستعماريين على شعوب المنطقة ، وعلى الحكومات الوطنية ·

فتأييد الشعب اليمنى فى نضاله « ضد الفظائع التى ترتكبها القوات البريطانية، وتأييد حق شعوب الخليج العربى فى الاستقلال ، والمطالبة بوقف الاعتداء على عمان الى آخر هذه القرارات ، كل هذا يدعم سياسة السلام والحياد ، ويخنق سياسة الاستعمار والانحياز ، ويقوى ساعد الشعوب العربية فى موقفها من اسرائيل ·

ولكن المؤتمر أصدر قرارات ، واضحة وصريحة جريئة ازاء اسرائيل بل موجهة الى قلب أطماعها مباشرة·

فقد أعلن المؤتمر ان خليج العقبة خليج عربى مغلق ضمن المياه الاقليمية للدول العربية ، ومعنى هذا ان المؤتمر يؤيد بصراحة بالغة موقف الشعوب العربية من هذه المشكلة حيال موقف اسرائيل وأسيادها ، وهذا القرار يقوى مركز العرب فى حصارهم ومقاطعتهم لاسرائيل ·

وهذا مع مقاطعة اسرائيل فى قناة السويس يؤدى الى خنق الاقتصاد الاسرائيلى الذى يعتمد لاعلى التعامل مع أوربا الصناعية ، وانما مع البلدان المتخلفة اقتصاديا وصناعيا فى آسيا وافريقية ، تلك البلدان التى يمر طريق اسرائيل التجارى التابع لها بخليج العقبة ، او بقناة السويس ·

لقد أصبح الموقف اليوم بحيث لا يمكن فرض أى قرار استعمارى لمصلحة اسرائيل ، وأصبح من المستحيل تحدى الحقوق القومية لمصر والعرب، ومن الغباء الاستعمارى تجاهل رغبة وتصميم ١٥٠٠ مليون من البشر ·

وقد تبنى المؤتمر التقرير المقدم من وفد فلسطين عن قضية بلاده ، وأعلن ان اسرائيل قاعدة استعمارية تهدد تقدم الشرق الاوسط ، وأدان سياستها العدوانية التى تهدد السلام العالمى · وأكد حقوق العرب فى فلسطين ، وأعلن عطفه على اللاجئين ، وأيد حقوقهم فى العودة لوطنهم ·

ومعنى هذا ان الدماء الطاهرة التى أراقها الاجرام الاسرائيلى فى غزة ، وكفر قاسم ، وجلجوليه ، والطيرة، والطيبة ، والدماء التى أريقت أثناء احتلال غزة وسيناء ،والجرائم البشعة فى رفح · وان كل التضحيات التى بذلها العرب لم تذهب هدرا ، فهاهو الضمير الانسانى يتحدث بلسان ١٥٠٠ مليون من البشر : « هاهى أكثر القرارات نضجا وصراحة : ترد للضمير الانسانى قدسيته ويقظته » ·

واسرائيل لاتستطيع ان تتجاهل هذه القرارات ،انها ستتأثر بها برغم أنفها ، لانها قرارات من يملك القدرة على التنفيذ · ومقومات هذه القدرة ظاهرة،وأول هذه المقومات ان المؤتمر مؤتمر شعوب ، ومن القول المعاد اننا فى عصر الشعوب أو فى عصر انتصار الشعوب ، وكذلك فان من مقومات القدرة على التنفيذ ان أكثر من ألف

مليون من الممثلين فى المؤتمر يملكون حكومات تتبنى فى صراحة رأى الشعوب الذى أعلن فى القرارات • حكومات لاتقف فى وجه ارادة شعوبها، حكومات تعمل ما وسعها العمل لتنفيذ ارادة شعوبها ،وهذا واضح فى قرارات أكرا ضد اسرائيل •

وأيضا فان من مقومات القدرة على التنفيذ ان الجدار الذى تحتمى به اسرائيل أصبح منهارا، لان الاستعمار لايستطيع اليوم ان يقف على قدميه، ليحمى نفسه من مؤتمر القاهرة ، وهو بالطبع لايستطيع ان يحمى اسرائيل •

واذا كانت اسرائيل ، المخلب الاستعمارى ، رأس الجسر الامريكى قد وقفت ضد قرارات هيئة الامم ، ومنعت تنفيذها ، واذا كانت قد دأبت منذ نشأتها على السير بسياسة مراكز القوة وكراهية الشعوب ، واذا كانت اسرائيل قد تجاهلت مشكلة اللاجئين، وأنكرت حقهم فى وطنهم وديارهم ، واذا كانت تنتهج نهجا استبداديا ، فتضطهد العرب المقيمين بها ،وتحرمهم من الحقوق الانسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ، وتعمل بسياسة التمييز العنصرى ، والاضطهاد والارهاب والتعصب • فتواجه العرب بالحرمان من حقوقهم وسد أبواب مكاتب العمل فى وجوههم، وحرمانهم من الانتقال الا بتصريح والتمييز بينهم وبين الآخرين فى الاجور ، والطرد من أماكن العمل ، والتمييز فى الخدمة الاجتماعية،وحرمان الفلاحين العرب من الارض ، وشراء المنتجات العربية بسعر أقل •

فاذا كانت اسرائيل تسير بهذه السياسة ، وتتحدى هيئة الامم والضمير الانسانى فيما مضى ، فان قرارات مؤتمرى القاهرة وأكرا ليست موكولة الى اسرائيل لتنفذها ، انها فى يد الشعوب، فى يد ١٥٠٠ مليون، تعاهدوا على وضع قرارات مؤتمر القاهرة موضع التنفيذ •

والذين يظنون ان اسرائيل قادرة على السير فى طريقها الى غير نهاية مخطئون : ولئن قال ترومان يوم ميلاد اسرائيل انها ولدت لتعيش ! فان قرارات المؤتمرين قد حفرت اليوم لاسرائيل قبرها ، ويوم تنفذ هذه القرارات ، ولامحالة فان كلمة ترومان ستصير نكتة جوفاء •

لقد خلقت اسرائيل لتكون أداة استعمارية فى المنطقة ، والاستعمار متشبث بها حتى نهايته المحتومة ، مثل تشبثه « بفرموزا » بالنسبة للصين ، أو « جوا » بالنسبة للهند ، أو « ايريان » بالنسبة لاندونيسيا الخ ولكن النظام الاستعمارى يتداعى

لقد وضع مؤتمر القاهرة مسألة تصفية الاستعمار فى جدول الاعمال اليومى لالف وخمسمائة مليون من البشر • فهل ستقف اسرائيل وحدها؟ انها ستصفى من تلقاء نفسها بمجرد تصفية أسيادها •

ومن الناحية الاخرى فان الموقف ضد اسرائيل هو فى الوقت نفسه مساهمة جبارة فى تصفية الاستعمار، سيد اسرائيل وخالقها وحاميها •

فمن الناحية الاقتصادية • يقوم الاقتصاد الاسرائيلى على :

١ ــ مساعدات بنك التصدير والاستيراد •

٢ ــ النقطة الرابعة •

٣ ــ مساعدات برنامج الامن المتبادل الامريكى •

٤ ـ سندات وقروض تعرض باسم الاستقلال والتطوير •

٥ ـ مساعدات صهيونية من خارج اسرائيل •

ومعنى هـذا ان اسرائيل مزرعة أمريكية ، تدخل أمريكا اليها رؤوس أموالها بلا حساب، وتخرجها بلا رقيب، وتعفيها من الضرائب ، وتخلق فى المنطقة سوقا لفائض انتاجها، وتستغل الموارد الطبيعيـة لبرامج الاقتصاد العسكرى •

وهـذا أيضا يفسر كيف ان ديون الدولة الاسرائيلية قد تضاعفت ١٣ مرة فى بضع سنوات، وكيف ارتفعت نسبة العجز حتى بلغت فى الشهور الاربعة الاولى من سـنة ١٩٥٦ الى ١٨٤١ر١ مليارا من الدولارات •

وهذا أيضا يفسر كيف انه بحكم سيطرة رأس المال الاجنبى ، وسباق التسلح والسياسـة المعادية للسلام ترتفع الاسعار فى اسرائيل، وتنخفض قيمة الاجور فى مقابل ازدياد أعباء الضرائب ، والاجهاد فى العمل• حتى تقول جـريدة « ها آرت » ان اتجاه انخفاض قيمة الاجور بلغ نحو ٤٥ فى المائة سنة ١٩٥٧ وان موجات الافلاس والاندحار تحت وطأة رأس مال أمريكا تتفاقم ، وتسبب اضراب العمـال والاطباء والمهندسين والمدرسين الخ

فهل يسـتطيع اقتصاد منهـار ومهلهل على هذه الصورة أن يقف فى وجه المقاطعة العربيـة ، المتزايدة بتزايد وعى الشعوب العربية وتحررها؟!

وهل يستطيع أن يقف على قدميه اذا أغلقت أسـواق آسـيا وافريقيا التى يعتمد عليها اعتمادا كليا للتصريف؟

ان الاجابة على هذه الاسئلة هى فى ذاتها ايمان قوى بروعة قرارات مؤتمرى القاهرة وأكرا وصراحتهـا وايجابيتها ضـد اسرائيل • هذا من الناحية الاقتصادية •

أما من الناحيـة السياسية ، فيجدر بنا ان نذكر كلمة بن جوريون: « ان من ينكر حق اسرائيل فى عقـد اتفاقية أمن متبـادل مـع الولايات المتحدة انما ينكر سـيادة اسرائيل لاسباب غير اسرائيلية » •

ان اسرائيل الى اليوم دولة لادستور لها ، وهى ليست فى حاجة الى دستور، فالارادة الامريكية لاتريد من اسرائيل ان تتقيد حتى ولو بنص أمريكى ، وهكذا فان بن جوريون يعلن ان من ينكر حق اسرائيل فى الامن المتبادل مع أمريكا انما يتحدث بلسان غـير اسرائيلى، ولو أنصف لقال غير أمريكى•

ومن السذاجة ان نعيد القول بأن اسرائيـل مخلوق أمريكى ، وظيفته أمريكية ، وحيـاته مرتبطـة بحياة الاستعمار الامريكى وليست كلمـات « الاغتراب » أو « التشتيت » التى تتخذ مبررا للهجرة الا تغطية مفضوحة للاسفين الامريكى •

وهكذا ،فان قرارات مؤتمر القاهرة وأكرا الخاصة بالوقوف فى وجـه المؤامرات الاستعمارية وادانة الجرائم الاسـتعمارية فى كل مكان ، وتأييد وتنمية سياسـة الحياد الايجـابى والسلام •

هذه القرارات هى فى صميمهـا ضربة للسياسة الامريكية ، وخطـوة جبارة فى سبيل تصفية الاستعمار، وتصفية اسرائيل عميلته •

ومن أجل هذا فان قرارات المؤتمرين ضد اسرائيل وضـد الاستعمار هى قرارات عظيمة تهدف الى رفاهية وأمن وسلام شعوب الشرق الاوسـط بل العالم كله وتهدف فى الوقت نفسـه الى ازاحة عقبة رئيسـية من طريق التقدم ، عقبة مدسوسة على المنطقة ، تلك العقبة هى اسرائيل •

غينيا

دولة إفريقية جديدة

بقلم المواطن الغينى أبو بكر محمد

ان يوم ٢ اكتوبر من عام ١٩٥٨ من الايام التاريخية المجيدة ، لا فى حياة شعب غينية فحسب ، ولكن فى تاريخ الانسانية أيضا ، اذ أعلن فيه ميلاد دولة جديدة فى غرب افريقية ، الا وهى جمهورية غينية الفتية ، التى ستنضم الى ركب الدول المتحررة ، لتدافع معها عن قضية السلام ، وعن سعادة الانسان .

فغينية تقع غرب أفريقية ، ويحدها المحيط الاطلسى غربا ، وغينية البرتغالية ، والسنغال شمالا ، والسودان الفرنسى ، وساحل العاج شرقا ، وسيراليون ، وليبريا جنوبا .

ومساحتها ٢٦١ ألف كيلو متر مربع ، يسكنها حوالى ٢ر٥ مليونين ونصف مليون نسمة ، نسبة المسلمين فيهم حوالى ٩٠٪ ، والباقى ما بين مسيحيين ووثنيين .

وتعتبر منطقة غينية أكثر مناطق غرب أفريقية تروية بمياه الأمطار والأنهار ، اذ ينبع فيها جميع الأنهار التى تروى غرب أفريقية ، وعلى الرغم من وجود هذه الثروة المائية الضخمة ، فان الاستعمار لم يقم بأى مشروع لتنظيم الرى فيها ، ومن أجل ذلك ظلت الزراعة فيها الى اليوم تعتمد على الأمطار ، وتكون مرة واحدة فى العام .

أما مناخها فنظرا الى وقوعها على ساحل المحيط الأطلسى والى كثرة الأنهار والغابات والمرتفعات فيها ، فان مناخها يميل الى البرودة والاعتدال .

ومنتجاتها الزراعية : هى الأرز والذرة والموز والأناناس ، والمانجو والبرتقال ، والليمون ، والبن ، وجوز الهند ، وحب النخيل ، والصمغ ، والمطاط ، والتبغ ، وأنواع أخرى من الحبوب والفواكه والبقول غير الموجودة فى مصر .

أما الثروة الحيوانية فتشمل الماشية والأغنام ، وأنواعا مختلفة من الطيور ، وتعتبر من أهم مصادر الثروة القومية فى غينية .

ويوجد فى غينية أيضا الحديد ، والبكسيت ، والألمنيوم بكمية وافرة ، وتستغلها شركات فرنسية وكندية وأمريكية وألمانية ، كما يوجد فيها الذهب والفضة والماس بوفرة ، وعلى الرغم من وجود هذه الثروة المعدنية الكبيرة ، فان السياسة الاستعمارية

حالت دون قيـــام صناعات ضخمة لاستغلال هذه الموارد الطبيعية .

أما الصناعات الصغيرة الناهضة فى غينيـــة فهى : صـــناعة الزيوت ، والصـــابون ، والســجائر ، وزيت البرتقال ، كما توجد هناك صــناعات وطنية مزدهرة مثل : صناعة الفخار، والجـلد ، والنسـيج ، والحـدادة ، والصـياغة ، وغيرها من الصـناعات الوطنية .

أما المواصلات ففيها خط واحـــد حـــديدى يمتـد من « كوناكرى » العاصمة الى مدينــة « كنكان » وطوله ٦٦٢ كيلو مترا ، كما توجد فيها الملاحة النهرية ، والطرق الصالحة للسيارات التى تربط مـدن القطـر بعضـــها ببعض .

أما صـــادراتها الى فرنسا فهى : الذهب ، والفواكه ، وزيت البرتقال ، والجلود ، والعسل ، والمطاط ، والبن، كما تصدر الى المناطق المجاورةالمواشى والأغنام .

وتستورد الأقمشة على اختـــلاف أنواعها ، كما تستورد المصـــنوعات وأدوات البناء ، والماكينات والسيارات، والمواد الغذائية المحفوظة فى العلب من فرنسا وانجلترا ، والولايات المتحـدة وشمال أفريقية .

وغينية من قـديم الأزمان ، أرض البطولة والعزة ، ومن يراجع تاريخها القديم أو الحديث ، يجد أمثلة حية من البطولات الخالدة التى ستظل مع الأيام مفخـرة الأحرار فى كل مكان ، فقد كان فى القطر الغينى قبل الاحتلال الفرنسى زعيم وطنى مشـــهور يدعى « ساموری » حاول توحيـــد غرب افريقية تحت زعامتــه ، وكاد يحقق هذا الأمل ، لولا أن وقف فى طريقــه الغزو الفرنسى الذى ظل يقاومه أكثر من ستةعشر عاما ، ولما أيقن الاستعمار بأن القوة لن تفيد فى اخضاع هـــذا الزعيم البطل ، استعان بالخونة من أهل البلاد ، الذين أفســـدوا عليــه خطته ، وجلبوا على الوطن العزيز عار الاحتـــلال الأجنبى ، وتم للفرنسيين اخضاع جميع منــاطق غينيـــا عام ١٨٩٨ .

ومنـــذ ذلك التـــاريخ والاستعمار الفرنسي يعمل دائبا على توطيدأقدامه فى البلاد ، بكل وسائل العنف والقسوة، وكانت معاملتـــه للغينيين أقسى من معاملة العجماوات . كان الفـــرنسى لاينتقل من مكان الى مكان الا محمولا على أكتاف الرجال ، وكان لايتحمل أن يرى الناس الا وهم حاسرو الرؤوس منحنيو الظهور ، اجلالا وتكريما . ومن يتجرأ فيمتنع عن رفع غطاء رأســـه يلقى به فى السجن ، واذا أرادالفرنسى انجاز عمل من الاعمال ، فليس عليه الا أن يصدر أمره بسوق الوطنيين أيا ما كانوا ، وحيثما وجـدوا ، ليقوموا بانجازه دون مقابل ، واذا تصادف أن كان مكان العمل بعيدا عن العمران كما هو الكثير فى الغالب ، صرفت لهم من باب الرحمـــة كميـــة محـــدودة من الدقيق ، لاتتناسب وكفايتهم الغذائية ، وهذه الكمية القليـــلة التى تصرف لهم يأكلونها بدون أدم ، وذلك بعد عجنها ووضعها على النار ان وجدت هنـــاك نار ، فكانت النتيجة دائما أبدا موت أغلبية العمـــال من الجوع والمرض ، ومن كان يبقى منهم على قيد الحياة ممن لايقدرون على العمـــل لضـــعفهم يطردون ، فمنهم من يلقى حتفه وهو عائد الى بلدته ، ومنهم من يصـــل محطما لم يبق منه الا أعظم لايكسوها من اللحم الا الجلد الرقيق ، ثم يساق بدلا من هؤلاء فوج آخر ، ليلقى المصير نفسه .

ان تاريخ الاستعمار الفرنسي فى غينية مليء بالجرائم الوحشية والخلقية التى لا يتسع هذا المقام لذكرها ، ونأمل أن نوفق فى وقت قريب ، لنشر الكثير عن هذه الجرائم حتى يتضح للعالم كله مدى ما انحط اليه الفرنسيون من الخسة والنذالة فى معاملة الشعب الغينى المسالم .

ظل العمل بهذا النظام الفاشى زهاء ثمانية وأربعين عاما من الاحتلال الفرنسى الى أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، فوضعنا نحن بدورنا بعض تكاليف هذا النظام عن عاتقنا ، وذلك بفضل مواطنينا الذين سيقوا الى الحرب ، ليدافعوا عن فرنسا ، وعن مصالحها ، ثم يعودوا ليصنع الفرنسيون من انتصاراتهم فى ميادين الحرب أغلالا جديدة يغلون بها أيدينا ، ويكبلون بها أرجلنا ، ويقتلون بها كل معنى من معانى العزة والكرامة الانسانية فى نفوسنا .

نعم ذهب هؤلاء الجنود الى الحرب بنفوس لا تختلف فى شيء عن نفوس مواطنيهم ، وصور هى طبق الأصل من الدعاية الفرنسية عن عظمة فرنسا العسكرية التى لا تدانيها عظمة عسكرية أخرى فى العالم ، ولكنهم لما عادوا ، عادوا بنفوس غير النفوس ، وصور غير الصور ، عادوا وقد تحررت نفوسهم من الخوف ، واحتل مكان الخوف من نفوسهم الاحتقار والازدراء بفرنسا والفرنسيين ، كما أنهم عادوا بصور عن عظمة فرنسا العسكرية ، هى على طول الخط عكس الصور التى ذهبوا بها الى ميادين الحرب ، فقد كانوا يرون الفرنسيين بأعينهم يتقهقرون عن مواقعهم بغير انتظام ، ويتخلون عن زوجاتهم وأولادهم الصغار والعجزة من أبنائهم فى صورة مزرية ، بينما هم يصمدون ليدافعوا عن هذه المواقع ، ويحموا أولئك الضعفاء .

كل هذه الأحداث تركت فى نفوس مواطنينا من الجنود آثارا عميقة ، وكان لها رد فعل قوى فى نفوسهم ، فلما عادوا الى البلاد وجدوا الفرنسيين مازالوا كما تركوهم آلهة وأنصاف آلهة ، يملأون الدنيا من حولهم بالدعاية الجوفاء عن بطولاتهم الوهمية فى الحرب ، ويظلمون فيمعنون فى الظلم ، ويعذبون فيتعدون كل حد فى التعذيب ، فلم تتحمل أعصابهم أن تستنسر البغاة بأرضهم ، ويستأسد فيها الجبناء ، فدافعوا عن مواطنيهم ، وحطموا هالات العظمة والكبرياء التى كانت تحيط بهم . فكانوا يدخلون على الحاكم الفرنسى فى المديريات والمراكز والأقسام ، فيفرضون عليه تنفيذ رغباتهم بالقوة ، فاذا امتنع أوسعوه ضربا على مشهد من المواطنين ، كما كانوا يقتحمون متاجر الأقمشة التابعة للفرنسيين ، فيوزعونها على المواطنين بالمجان ، هذا الى الأحاديث التى كانوا يتحدثون بها الى اخوانهم المدنيين عن جبن الفرنسيين وهزائمهم المنكرة فى الحرب .

كل هذا جعل المواطنين يستعيدون ثقتهم بأنفسهم ، ويغيرون نظرتهم الى الفرنسيين ، وأثار فى نفوسهم معانى العزة والكرامة ، فلم يعودوا بعد ذلك الشعب الذى كان يخضع لكل قانون ويتقبل كل وضع .

هذه هى التطورات التى كانت بداية الحركة الوطنية فى غرب أفريقية ، التى تمخضت عن تكوين الأحزاب السياسية ، لتحقيق آمال البلاد فى الحرية والاستقلال ، ومنذ ذلك التاريخ دخلت الحركة الوطنية فى دور التنظيم والتنسيق ، وكان أهم هذه الأحزاب هو حزب التجمع الديموقراطى

الافريقى ، الذى تكون عام ١٩٤٥ بعد مؤتمر برزافيل مباشرة ذلك المؤتمر الذى أعلن فيه ديجول عن خيانته للعهد الذى قطعه على نفسه بمنح المستعمرات حريتها واستقلالها بمجرد انتهاء الحرب ، اذ أصدر دستورا جديدا فرض بمقتضاه الجنسية الفرنسية على المستعمرات ، وأصبحت المستعمرات فى غرب افريقية ضمن أعضاء الاتحاد الفرنسى بموجب ذلك الدستور .

أقول ان حزب التجمع الديموقراطى الافريقى الذى كون عام ١٩٤٥ بزعامة « أوفيه بونيه » والذى جاء نتيجة طبيعية لنتائج مؤتمر برزافيل ، قد أنشىء للدفاع عن حقوق البلاد وآمالها فى الحرية والاستقلال ، وتكونت للحزب فروع فى كل منطقة من مناطق افريقية الغربية ، بل فى كل مناطق افريقية الاستوائية والكمرون كذلك ، وكان رئيس فرع الحزب فى غينية هو « سيكوتورى » الزعيم الوطنى الحر الذى حقق لبلاده حريتها واستقلالها .

واستمر الحزب يزداد قوة ونفوذا على مر الأيام والسنين ، وازداد مع ذلك اضطهاد الفرنسيين لأعضائه وأنصاره ، ولكن ذلك الاضطهاد لم يزدهم الا التفافا حول الحزب وأهدافه .

ولما أجريت الانتخابات عام ١٩٥٦ فاز الحزب بأغلبية ساحقة ، وكان « سيكوتورى » زعيم غينية من الفائزين فى هذه الانتخابات .

وفى عام ١٩٥٦ ، أى بعد الانتخابات ، عقد مؤتمر « بمكو » الذى حضره مندوبون عن جميع فروع الحزب فى المستعمرات الفرنسية الأخرى ، وأعلنوا رفضهم التام للاصلاحات الشكلية التى أدخلها « جى موليه » على نظام الادارة المحلية للمستعمرات ، ذلك النظام الذى أعلنوا سخطهم عليه من قبل ، والذى لم تعالج الاصلاحات الجديدة من فساده شيئا ، وأدركوا أن الطريق الوحيد للاصلاح الذى ينشدونه لبلادهم هو طريق الاستقلال ، فأصدروا قرارا اجماعيا ، طالبوا فيه الحكومة الفرنسية بالاستقلال التام الناجز .

ولكن « جى موليه » رئيس الوزارة الفرنسية تمكن من احداث انشقاق فى صفوف الحزب اذ تمكن من اصطياد زعيم الحزب « أوفيه بونيه » الذى نسى ماضيه ، وباع وطنه ، ودفن كل مبادئه الوطنية ، مقابل سلطان زائف هو كرسى وزارة فى دولة متداعية كفرنسا ، وبانحراف زعيم الحزب عن مبدأ الاستقلال الى مبدأ الاتحاد مع فرنسا ، انحرف معه كثيرون من أقطاب الحزب ، ولكن « سيكوتورى » زعيم غينية ظل ثابتا على مبدأ الاستقلال كالطود لا يزحزحه عنه تهديد أو اغراء ، واعتبر فرع الحزب فى غينية ، منذ ذلك الوقت منفصلا تلقائيا عن الحزب المركزى الذى يرأسه الخائن « أوفيه بونيه » .

وظل « سيكوتورى » يعمل ليل نهار تمهيدا لتحقيق استقلال غينية ، فألغى منصب السلطنة أو العمدية ، التى كانت مصدر الفساد والخيانة فى البلاد ، وتولى الشعب بنفسه محاسبة الخونة ، وأذناب الاستعمار ، ولم يأت الاستفتاء على دستور ديجول الا وقد بلغ الوعى الوطنى فى غينية درجة تفوق كل تصوير ، وقد جاءت كلمة « لا » التى أجمع عليها الشعب الغينى فى الاستفتاء مظهرا من مظاهر هذا الوعى ، ووضعت حدا فاصلا بين عهدين : عهد الظلام الذى مضى وانقضى ، وعهد النور الذى أضاء وأشرق . **هذه قصة بلادى .**

مستقبل افريقية الثقافى

بقلم الاستاذ عبد الصبور شاهين

يمكننا ان نقدر بصفة عامة قيمة ثقافة معينة ، عندما تصبح تاريخا ، ولكن القرن العشرين قد أوجد مقاييس جديدة نقدر فى ضوئها روح الثقافة وقيمة منهجها ، فان أهم مايتميز به عصرنا أنه قد صار عصر التخطيط منذ قامت الحرب العالمية الاولى . بحيث لا تستقيم نظرتنا الى الثقافة الا اذا تصورناها « كمشروع » قبل أن نعتبرها « نتيجة » .

فلو أننا أردنا اليوم أن نواجه مشكلة (ثقافة افريقية) فيجب أن نرسم حدودها فى ضوء مقياس عملي نفعي، أي أنها يجب أن تكون لها فائدة فى ذاتها ، ثم نعرف الى من تعود هذه الفائدة ، أي أننا ينبغي أن نعرفها فى ضوء ماتؤديه من خدمات وماتضطلع به من مسئوليات .

ولنا فى ذلك سبيلان : فاما أن نحاول رسم خطوط هذه الثقافة طبقا لنموذج سبق فى التاريخ ، واما أن نحاول ابتداع ثقافة خاصة بنا ، ولدينا بالنسبة للاحتمال الاول نماذج لثقافات امبراطورية ، كثقافة اليونان أو الرومان . ولدينا بالنسبة للاحتمال الثانى مقياس أصيل ينبع من صميم حاجاتنا التاريخية والاجتماعية، وهو أن نحاول انشاء ثقافة بقدر مانحن فى حاجة الى بناء حضارة تتسق مع أهدافنا ، وتتفق مع امكانياتنا ، وتتجاوب مع ماضينا .

واذا كان من المسلم به أن الثقافة تعكس دائما أسلوب الحياة ، وفنون العيش التى يلتزمها مجتمع ما ، فان المستوى الذى نطمح الى بلوغه فى بناء حضارتنا هو أن يقوم على أساس التشبث بالبقاء ، لا على أساس التنازع والاستعلاء . وبذلك يكون من الضرورى أن نعرض مشكلاتنا على ضمائرنا ، بقدر ماتجاهلت الشعوب السابقة هذا المعنى ، فعرضت مشكلاتها على حد السيف رغبة فى احراز كسب عاجل ، أو منفعة سريعة . فالضمير على هذا هو منبع الحلول التى نقترحها لمشكلاتنا ، وهو المنبع الذى فقدته الشعوب التى شادت حضاراتها فى القديم والحديث ، فكانت تجارب اليونان وتجارب الرومان على اختلافهما صورا لمآسي انسانية ، نبعت من الروح المحاربة التى انطبعت بها عبقريات هذه الشعوب . فكان نوع من الثقافة الناشئة مطابقا لحتمية صادرة عن نفسياتها ، اذ كانت النفسية الرومانية تطمح الى بناء امبراطورية ، وكانت النفسية الاغريقية تستهدف احداث (معجزة) ، وقد كان حتما اذا مانشأ تيار معارض لمجرى هذه النفسية أن يمحى ويتلاشى بحكم كونه مناقضا لبنائها العضوى ، وخير شاهد على ذلك اصرار « أثينا » على محو « اسبرطة » التى كانت تستهدف بناء امبراطورية عسكرية .

وهكذا يتضح لنا أن الثقافات فى نشوئها تبحث فى مجالها الخاص عن مصادر الهامها ، وعن حقل نشاطها ،

لكى تدرك مسئولياتهـا ، وتصطنع وسائلها .

وفى ضوء هذه الملاحظات نستطيع أن نقول : ان فى افريقيا متحفا حافلا بصنوف التجارب التاريخية ، التى يمكن أن تلهمنا فى محاولاتنا الجديدة فى حدود الزمان والمكان ، اللذين ينبغى أن ننشىء فيهما ثقافة افريقية .

فنحن، كما قدمت فى أول المقال، لانريد بناء امبراطورية تقوم على قوة السلاح ، وعلى منطق التهديد والعنف ، بل كل اعتمادنا فى هذا المجال انما هو على أساس قوة الاشياء ، فليس لدينا فى الحقيقة رصيد من القنابل الذرية ، كما أننا لا نملك صناعات ثقيلة ، وعلى هذا يستحيل أن نعالج أمورنا بمنطق القوة ، وانما تحملنا طبيعة الاشياء على أن نعالجها فى حدود حرصنا على البقاء ، وعلى تشييد حضارة نتمتع فى جنابها مابقينا على ظهر الارض ، أو ما أبقتعلينا معدات الدمار الذرى التى تملكها حضارة الغرب فى أوروبا الشرقية والغربية وفى أمريكا .

فما هىالحدود التى نضعها لثقافة افريقية ؟ أو بعبارة أخرى : ما هى الحدود التى نستطيع أن نجد لها مصادر الالهام منناحية، ومجالتأثيرها من ناحية أخرى ؟..

ان من البين أن ضمائر الناس فى القرن العشرين لم تعد تتكون فى اطار قومى أوقارى ، على الرغم منأنالارض التى ولدوا فيها هى التى تقدم لهم الدوافع الاصيلة لمواقفهم حيال الاشياء .

بيد أن هنالك ضميرا انسانيا هو الذى يطبع تكوين ضمائر الافراد فى القرن العشرين ، وهناك أيضا مصير انسانى مشترك تسيرالانسانية جميعها على هداه، بصرفالنظرعن الاعتبارات الجغرافية . فالثقافة التى نريد بناءها لابد أن تكون ذات خطة عالمية ، فان منابعها التى تستقى منها أفكارها وعواطفها ، وتستمد منها أسبابها ومقوماتها ، لايمكن أن توجد على الارض المحدودة ، فى اطار الاقليم . فمجال الثقافة الافريقية المنشودة محيطه العالمأجمع ، وفى هذا المستوى سيكون تقديرنا لمسئولياتها ، حين نميز من عناصرها مايستهدف بناء حضارة افريقية ، مما يشع خارج حدودها .

ونحن فى تصورنا للعالم الذى نعده مجالا لنشأة هذه الثقافة نجده ذا شطرين اتخذ كل منهما طابعا تاريخيا مميزا ، فالشطر الاول : مستعمر ، والثانى : خاضع لسيطرة الاستعمار . وكل مايعانيه العالم من مشكلات نفسيةوسياسية واقتصادية انما يعزى فى الحقيقة الى هذا الوضع الموروث عن القرن التاسع عشر ، بل ان جميع العلاقات الداخلية فى منطقة معينة انما هى فى الحقيقة فعل أو رد فعل لهذا الوضع . فالنزاع الخطير الناشب بين الامم المتحضرة ليس موضوعه فى جانبه الاكبر سوىالرغبة فى السيطرة على الرقعة المتخلفة من البسيطة ، وهذه الرقعة متقاسمة بين مختلف المواثيق الاستعمارية ، التى تحاول جهدها أن تتخلص من قبضتها عسكريا واقتصاديا . فهناك كراهية باطنية ومتبادلة تنوء بها مشكلة السلام ، ولا شك أنها هى المشكلة الحاسمة الآن .

فنحن نعيش فى نزاع يتمثللأعيننا فى جميع صوره ، ونحسب أن ساعة الخلاص منه قد آذنت مع بزوغ فجر باندونج، اذا حققالتاريخ مشروعاته.

هذا هو الشكل الراهن للعالم فى مجموعه ، وهو الذى نريد أن نبنى

من خلاله ثقافة افريقية ، وذلك بأن تواجه ثلاث مشكلات :

أولا : أن نرفع الانسان الافريقي المتحرر » أو الذى مازال مستعمرا الى مستوى الحضارة .

ثانيا : وأن نرفع الانسان المتحضر الذى مازال يقارف آثام الاستعمار الى مستوى الانسانية .

ثالثا : وأن ندمج الحقيقة الافريقية فى مشكلة السلام الحاسمة .

والحق أن هذه المشكلات الثلاث تعتبر مشكلة واحدة ، هى المشكلة الانسانية فى عمومها ، المشكلة التى تقتضى منا فى الحقيقة عملية البناء التى ننشدها .

ولا شك أن المجتمع الافريقى واجد ـ فى مجاله ، وفى الظروف التى يتعرض لها تطوره ـ الالهامات الضرورية التى تحول بين ثقافته وبين أن تتحول الى (ثقافة امبراطورية) ، فتسير فى طريقها لتصبح (ثقافة حضارة) .

بيد أن هناك مشكلة تواجهنا فى هذا الشأن هى أن الصفوة من أبناء البلاد الافريقية ، أولئك الذين سيناط بهم مهمة السعى ببلادهم الى أهدافها البعيدة ، ينبغى أن تكون لديهم فكرة صحيحة عن المشكلات التى تعانيها القارة .

لكنهم قد يجدون أنفسهم أحيانا منفصلين عن بلادهم ، فهم فى الغالب يتلقون تعليمهم فى لندن أو فى باريس فاذا بثقافتهم التى قبسوها عن الغرب تحاول صرف ولائهم وتوجيه خلجاتهم الى الارض التى علمتهم وغذتهم بمعارفها أكثر من أن ينعطفوا الى الارض التى ولدوا بها ، وارتبطوا بثراها ارتباطا أبديا .

ولا شك أن هذه نقطة اتصال هامة فى ضمير المثقف ، لازمة لاستحداث تركيب انسانى ، فمن الممكن بسبب هذا التطعيم الثقافى أن ينظر المثقف الاوربى من أبناء افريقيا الى المشكلات ، وأن يعيشها بنوعيها الاوروبى والافريقى ، أى ينظر اليها بعين ثقافته ، كما ينظر اليها بعين بيئته .

لكن لهذه الحالة الغريبة جانبا سلبيا يتجلى بوضوح فى موقف هذه الصفوة المتعلمة فى افريقية عندما نجد واحدا من بنيها يبحث عن بعض التقاليد ليعالج بها نقصا ليس من جنسه أو نوعه . كما نلاحظه عليهم فى بعض الحفلات الرسمية (١) .

لكن هذا الجانب السلبى يوشك أن يؤدى لدى هؤلاء المتعلمين الافريقيين الى ضروب من الانفصال الثقافى حيث يلزم أن يكون هناك اتصال ، فان الحضارة التى اعتنقوها قد فصلتهم عن بقية المجموعات التى ظلت فى مرحلة بدائية من الحضارة ، فاذا ماحاولوا العودة الى واقع افريقية ، فان ذلك قد يأخذ صورة الانفصال عن العالم المتحضر وان كان من الممكن أن تتم دون حدوث هذا الانفصال ، اذا ما اعتبر هؤلاء المتعلمون أنفسهم همزة وصل بين العالم الذى نبتوا فيه وبين الحضارة ، بحكم اخلاصهم لمنبتهم ولثقافتهم .

فوجودهم فى افريقية يجب أن يتخلص من العقد ، وثقافتهم ينبغى ألا تعتبر نفسها قمة رائعة ، شامخة ،

لا يصل الى مستواها بقية الشعب الذى مازال الكثير منه جاهلا ، بل على العكس من ذلك تعتبر نفسها قاعدة ترفع هذه البقية الى المستوى الحضارى .

وتلك هى أولى المشكلات التى تواجهنا ـ فيما يبدو ـ فى بناء ثقافة افريقية .

---

(١) كتاب « فكرة الافريقية الآسيوية » ترجمة عبد الصبور شاهين

روابط مصر بافريقية

للدكتور على ابراهيم عبده

ولدت مصر افريقيـــة ، ولا زالت تشعر بافريقيتها وبالتزاماتها حيـال تلك القـارة على مـدار الزمـان وفى مختلف عصور التاريخ . ولقداجتذبها البحر الابيض المتوسط ، وأدخلهـا فى نطاقه الحضارى ، وشغلتها آسيا واحتوتها فى نطاقهـا قرونا طويلة من الزمان ، ولكن شـعب مصر كان وما يزال يشعر بافريقيته ، حريصا عليها فخوراً بهـا . ولقد فرضت الظروف على مصر أن تتحمل أكبر العبء وأن تكون صاحبة النصيب الاكبر فى جهاد النهوض بشركائها وأشقائها فى هـذه القارة الافريقية . ولقد قامتبواجبها نحو الوطن الافريقى علىمدارالتاريخ ، قامت بهذا الواجب نحو افريقيـة من تلقاء نفسها وبفطرتها التى برأها الله عليهـا ، ولم تكن فى ذلك تهـدف إلى مصلحة شخصية ، أو تتوخى منفعة ذاتية ، ويرجع هذا الى روابط وثيقة العرى وأواصر بعيدة عن الانفصـام تربط بين مصر وأفريقية .

وأولى هـذه الروابط هى : رابطة الموقع الجغـرافى لمصر ، فكما هـو معروف تقع مصر فى الشمال الشرقى من هذه القارة العظيمة المسـاحة ، ويقول السيد الرئيس جمال عبـد الناصر فى كتابه فلسفة الثورة : « اننا لن نستطيع بحال من الاحوال ــ حتى لو أردنا ــ أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور اليـوم فى أعماق أفريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين ، لانستطيع لسبب هام وبديهى ، هـو أننا فى افريقية. ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع الينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتهـا بالعالم الخارجى كلـه . ولن نستطيع بحال من الاحوال أن نتخلى عن مسئوليتنـا فى المعـاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضـارة حتى أعماق الغابة العـذراء . ويبقى بعـد ذلك سبب هام هو أن النيل ، شريان الحياة لوطننا ، يستمد ماءه من قلب القارة . ويبقى أيضا أن السودان ــ الشقيق الحبيب ــ تمتـد حدوده الى أعماق أفريقية ، ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة فى وسطها والمؤكد أن افريقية الآن مسرح لفوران عجيب مثير ، وأن الرجل الابيض الذى

يمثل عدة دول أوروبية يحاول الآن اعادة تقسيم خريطتها ، وان نستطيع بحال من الاحوال أن نقف أمام الذى يجرى فى افريقية ونتصور أنه لايمسنا ولا يعنينا » . وقال سيادته فىمكانآخر من الكتاب نفسه « أيمكن أن نتجاهل أن هناك قارة افريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها ، وشاء أيضا أن يكون فيها اليوم صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره علينا سواء أردنا أو لم نرد ؟ » . كما قال سيادة الرئيس جمال عبد الناصر فى مناسبة أخرى : « وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، أن كل افريقى لكل افريقى أخ وجار ، ولكل جار على جاره حق المعونة حتى يستغنى ويأمن ويتحرر » .

أماالرابطةالثانية : التى تربطمصر بافريقية فهي رابطة النيل ، الذىينبع من أواسط هذه القارة ، ويضمحوضه مصر والسودان والحبشة والصومال واريتريا وأوغندةوكينيا وتنجانيقا فى وحدة طبيعية متماسكة يصل بين أجزائها على نحو النخلة وجذورها وفروعها كما ذكر تشرشل فى آخر صفحات كتابه « حرب النهر » فى معرض حديثه عن مظاهر الاتحاد بين شعوب هذا الحوض . وقد ظل أمر الانتفاع بمياه النيل منذ عهد الفراعنة مشكلة المشكلات التى ظلت شاغلة لاذهان المصريين واحتلت مكانا بارزا من تفكيرهم ونشاطهم ، فوضع مهندسوهم فيما وضعوا مشروعا كان فى عداد عجائب الدنيا السبع ، اذ عمدوا فى عهد امنحتب الثانى الى استعمال بحيرة موريس لاختزان مياه الفيضان واتقاء أخطارها . ويقول هيرودوتس انهمأحاطوا البحيرة بجسر هائل طوله سبعون ميلا ،ووصلوا بين البحيرة والنيل بترعتين ، وأنشأوا على كل منهما قنطرة تستخدم احداهما لاختزان المياه بالبحيرة والاخرى لضرفها عنها ان كان ايراد النهر غير كاف لحاجة البلاد . هذا ما كان من عناية أجدادنا المصريين القدماء بالنيل ومبلغ اهتمامهم به ، حتى عبدوه فيما عبدوا ، واتخذوه الها من بين آلهتهم،يقدسونه ويجلونه ويدينون بفضله ويسبحون بحمده ويذكرون ما أفاض به على البلاد من خير . وتذهب الايام وتقبل وما زال النيل يجرى من منابعه فى أواسط افريقية كما جرى فى سالف الزمان ، ينعم سكان حوضه بمائه وما يدره عليهم من خيرات ، ويرقبون سير مياهه فى مزيد من القلق والامل ، مغتبطين مقدرين ماسيسبغه عليهم من رزق كثير وخير وفير . وكان لتقدم العلوم والفنون فى العصرالحديث مازاد مصر شعورا بأهمية النيل وضرورة الالمام بأطواره ، وبدت للمصريين أكثر من ذى قبل الحاجة الى الحصول على المزيد من المعلومات فأخذوا يتطلعون الى منابعه العليا وما تنطوى عليه من أسرار ، ولذلك أرسلوا الكشاف ، وشجعوا العلماء والباحثين على الرحلات العلمية لاكتشاف منابع النيل،وأنشأوا النقط الضرورية لرصد النهر فى كثير من المواقع الهامة ، كما قامت مصر بانشاء الكثير من مشروعات الرى على طول مجرى النهر أو روافده ، متوخية فى ذلك لامصلحة مصر ومنفعتها وحدها، بل مصلحة ومنفعة كل الاقطار التى يتكون منها حوض النيل

والرابطة الثالثة التى تربط مصر بافريقية هى رابطة الجنس ، وقد ثبت من الناحية العلمية أن سكان النصف الشمالى من افريقية فىالمنطقة الممتدة بين البحر الابيض المتوسطفى الشمال وهضبة البحيرات فىالجنوب وبين سواحل البحر الاحمر والمحيط

الهندى شرقا وبين المحيط الاطلسى فى خليج غانة غربا ، ثبت من الناحية العلمية ان سكان هذه المنطقة الفسيحة من الارض على مختلف ألوانهم وصورهم من أصل واحد هو الاصل الحالى ، وكل الفروق البسيطة فى لون البشرة أو العينين واختلاف صفات الشعر انما هى فروق عارضة جاءت نتيجة تزاوج واختلاط فى منطقة أكثر مما جاءت فى منطقة أخرى، أو لتعرض بعض السكان لهجرة من الهجرات سواء كانت عابرة أو مقيمة مما أوجد بعض الصور الفرعية ، ولكن كل هذه الصور الفرعية لايمكن أن تتنكر للعامل الاساسى ، وهو عامل الاصل الواحد ، وهو الاصل الحالى • وسكان هذه المنطقة يمثلون شقى هذا الاصل الحامى • وهذان الشقان هما الحاميون الشرقيون والحاميون الشماليون • والحاميون الشرقيون يكونون المصريين، والبجة ، والنوبيين ، والجالا ، والصوماليين والدناكل ، وغالبية الاحباش •

أما الحاميون الشماليون فيكونون سكان طرابلس فى غربى ليبيا ومراكش ، والطوارق ،والتيبو سكان الصحراء ، والفولا سكان نيجيريا ، ثم الجوانشى سكان جزر الكنارى الموجودة فى المحيط الاطلسى بالقرب من ساحل افريقية الغربى ولقد جاء فى الصفحة السابعة من الجزء الاول من كتاب « تاريخ الازمنة القديمة » لمؤلفه « ماكس رونكا » العبارة التالية : « ان سكان جميع مناطق شمال افريقية وأهالى وادى النيل وكذلك أراضى المستنقعات الواقعة عند جبال الحبشة كلهم شعوب تكون فصيلة واحدة لاتزال لغتها الاصلية محفوظة فى لغة البربر حتى اليوم ، بيد أن شعبة من هذه الفصيلة التى استوطنت بوادى النيل وجدت من حسن البيئة ومناسبة الوسط ماجعلها تبز كل الشعوب الاخرى وتضع دعائم أقدم مدنية عرفها العالم وخلدت لها الفخر الدائم » • وان

من يقرأ الفصلين المتعين من كتاب الدكتور جورج بوشان المطبوع فى سنة ١٩٢٢ بشأن سكان شمال وشرق افريقية ليجد من الايضاحات الكثيرة والمعلومات الوثيقة مايبرهن على أن سكان مصر وكل هذه المناطق من عنصر واحد • ويقول بادج عالم الاجناس البريطانى ، ان المصرى منذ العصر الحجرى القديم والحديث افريقى الجنس • وزاد هذا العالم الانجليزى على ذلك بأن قرر ان هناك أمورا كثيرة فى عادات المصريين القدماء ودياناتهم وسلوكهم تحمل على الاعتقاد بأن الوطن الاصلى لاجدادهم قبل التاريخ كان أرضا تقرب من أوغندة الحالية وبلاد بونت التى هى بلاد الصومال فى الوقت الحاضر •

أما الرابطة الرابعة : فهى رابطة الدين ، ففى افريقية اليوم مايزيد على ٨٥ مليونا يدينون بالدين الاسلامى الذى هو دين المصريين ، ويقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر « وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، ان المسلمين فى شتى بقاع الارض اخوة ، ولابد ان يتعاون الاخوة فى البأساء والشدة» وقد انتشر الاسلام عن طريق مصر الى بلاد شمال افريقية وغربها والى بلاد النوبة والسودان • وقد تقدم نجاح الاسلام فى كثير من جهات افريقية تقدما كبيرا ، لسبب عدم

وجود أي احساس باحتقار الاسود الذي لم يعامل أبدا على انه من طبقة منحطة ، كما هي الحال في كثير من الاحيان في العالم المسيحي ٠ وبينما نجد المبشرين المسيحيين لايتزوجون من السود حتى لايثيروا شعور أبناء جنسهم عليهم ، نجد الدعاة المسلمين ينفذون الى قلب افريقية وينفذون في سهولة الى الوثنيين ويحولونهم الى الاسلام ويتزوجون منهم ، ويسيرون مع أهالي هذه البلاد على المبادىء القائمة على الاخاء والمساواة ٠ لهذا لانعجب اذا نظر الافريقيون الى الاسلام على انه دين السود ، وان المسيحية هي دين البيض ، ويرون ان المسيحية تدعو الافريقي الى الخلاص ، ولكنها تضعه في مكان منحط عن الابيض بحيث أصبح يعتقد أنه ليس له نصيب في هذا الدين ، أما الاسلام فأنه يدعو الناس الى الخلاص ، ويكفل لهم الوصول الى أسمى الدرجات ٠ لقد قام الاسلام على أساس الحرية والاخاء والعدالة والمساواة والتسامح الديني ٠ ومن أبرز مظاهر الاسلام أنه آخى بين المسلمين على اختلاف طبقاتهم، وجعلهم اخوة لاتفاوت بينهم الا بقدرمايتفاضلون به من الحق ، وحافظ الاسلام على كرامة الفرد ، وقضى على العنصرية ، فسوى بين الناس على اختلاف أجناسهم ، سوى بين الابيض والاسود، وبين الحاكم والمحكوم ، وبين الرجل والمرأة ،فلم يقم أي اعتبار للجنس ولا للون في النظام الاجتماعي ولا في اسناد مناصب الدولة ، ولم يجعل أي تفاضل بين مسلم ومسلم الا بالتقوى ٠

ولقد أثر عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: « اسمعوا وأطيعوا ولو ولى عليكم عبد حبشي » ٠

ويتبين مدى ما يشعر به المسلم الافريقي في المجتمع الاسلامي وتعلقه بدينه واطمئنانه اليه من هذه العبارة التي ذكرها « موريل » في كتابه عن أهل نيجيريا فقال : « ان الاسلام .. لايتطلب ، من وجهة نظر أهل نيجيريا، ان يفقد أحدهم قوميته باعتبار أن ذلك شيء يصحب الدخول في الاسلام ولايستلزم تغييرات انقلابية في الحياة الاجتماعية ٠ ٠ ولاهو يقوض نفوذ الاسرة أو سلطة الجماعة ، وليست هناك هوة بين الداعي الى الاسلام والمتحول اليه ، فكل منهما مساو للآخر ، لانظريا بل عمليا ، أمام الله وكل منهما افريقي ، وهما من أبناء أرض واحدة ، وينفذ مبدأ التآخي الانساني تنفيذا عمليا ، ولايعني الدخول في الاسلام ان ينصرف الداخل فيه عن شئونه وأسرته وحياته الاجتماعية ، ولاعن احترامه لسلطان حكام بلاده الاصليين ٠٠ وليس هناك من لايعجب بسلوك المسلم النيجيري ووقاره — بل بسلوك مسلمي افريقية عامة ٠ وان هيئة الرجل العامة لتنم عن شعور بالقومية واعتزاز بالجنس، يخيل اليك انه يقول : ان كلا منا يختلف عن الآخر ، ولكننا جميعا بشر ٠ وان انتشار الاسلام الذي نشهده اليوم في نيجيريا الجنوبية ليؤثر بصفة خاصة تأثيرا اجتماعيا ٠ ويمنح الاسلام هؤلاء الذين يتصلون به منزلة أرقى وفكرة أسمى عن مكانة الانسان من العالم المحيط به ،ويحرره من ربقة ما ألف من الاوهام الخرافية » ٠

أما الرابطة الخامسة التي تربط مصر بافريقية ، فهي رابطة الحضارة والثقافة ،فمنذ فجر التاريخ والحضارة المصرية متوغلة في افريقية ، فمثلا في عهد الدولة المصرية الوسطى ، أي منذ ألفي سنة قبل الميلاد ،ذهب الى كرمة بالسودان الكثير من الصناع المصريين ليقيموا بها ، وعلى أيدي هؤلاء تطورت في السودان صناعة

الفخار المحلي الاحمر ذي الحافة السوداء الى صنف من أجمل أنواع الفخار الذى رآه العالم • واليهم يعزى نحت التماثيل وصناعة السيوف البرونزية ذات المقابض العاجية الغريبة ، وهم الذين زينوا السرر بتطعيمها بالعاج في مثل زراف ونعام وضباع وطيور ووحيد القرن وآكل النمل وحيوانات أخرى ، وهم الذين صنعوا الآنية من الفيونس الازرق المحلى بالرسوم ذات الخطوط السوداء ، وزخرفوا الحيطان والسقوف بالبلاط الازرق ، وصنعوا من رقائق الميكا أشكالا للحيوانات ليزينوا بها أغطية رءوس النساء . وفي العصور الحديثة حقق المصريون للسودان وحدته القومية بعد ان كان سلطنات متفرقة ونشروا لواء الحضارة والعمران في أصقاعه ، وأسسوا فيه مدنا زاهرة صارت مبعث التقدم والحضارة في أنحائه ، فهم الذين أنشأوا مدينة الخرطوم عاصمة السودان اليوم وأكبر مدائن افريقية فيما بين أسيوط ومدينة الكاب ، ومدينة كسلا عاصمة السودان الشرقى ، ومدينة فامكة على النيل الازرق في اقليم سنار • وعنى المصريون عناية كبيرة بانشاء المدارس فى أنحاء السودان المختلفة وبارسال أبناء السودان الى مصر حتى يتعلموا بمدارسها الحكومية ، وعمر المصريون المساجد فى السودان ، وصرفوا المرتبات لائمتها ووزعوا الارزاق عليهم ، وشجعوا الفقهاء بكل الوسائل على المضى فى نشر الثقافة الاسلامية فى أرجاء السودان ، وهذا شيء من كثير قامت به مصر نحو السودان • ولو لم يكن للمصريين غير هذا لكان حسبهم وهو أنصع دليل على طبيعة رسالتهم فى القارة الافريقية ، وهى رسالة حضارة وعمران وانشاء . فى شرق افريقية والصومال شمل تعمير المصريين مدن زيلع وتاجورة وبربرة وهرر ، ففى أيامهم زرعت الاراضى فى تلك الجهات ، وأقيمت الجوامع ، وافتتحت المدارس ، وشيدت دور الحكومة ، وبنيت المستشفيات، وجهود مصر اليوم فى تعليم أبناء الشعب الصومالى غير خافية على أحد ، اذ أن مصر ترسل مدرسيها أفواجا الى الصومال لنشر نور العلم ، كما أنها تيسر للشباب الصومالى أن يردمناهل العلم فيها •

ومن المعلوم أن الحدود السياسية الغربية لمصر فى العصور القديمة والوسطى تصل الى اقليم برقة ، ولا حاجة بنا الى الاشارة الى مايلاحظه كل زائر لهذا الاقليم حتى اليوم من غلبة الطابع الحضارى المصرى عليه ، ومن أن أهله يعتبرون مصر المركز الكبير الذى يستطيعون الاعتماد عليه في كل حين • والحضارة المصرية واضحة فى تونس ، وتاريخها فى هذه البلاد ليس بعيدا كتاريخها فى برقة ، فهو يرجع فى الغالب الى العصور الاسلامية ، ففى الفسطاط درس أهل تونس حتى استقام العلم فى بلادهم ، فقامت مدرسة القيروان المعروفة فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وظل شيوخ القيروان يذكرون شيوخ مصر مدى طويلا • ولاعجب أن نجد الاتصال الحضارى بين مصر ومراكش ظاهرا متصلا . ويكفى أن نذكر فى هذا المقام ركب الحجاج المعروف بالركب المغربى ، الذى كان يخرج من فاس ومراكش للحج ويلم بمصر شهورا طوالا فى الغدو والرواح ، فقد كانت القافلة تصل فى بعض الاحيان الى الخمسين ألفا ، لنتصور مايمكن أن يكون من الاثر لخمسين ألف شخص ينتقلون من مراكش الى مصر فالحجاز وبالعكس كل عام •

ويصل الاشعاع الحضارى المصرى الى نواحي السنغال ، والى اقليم شنقيط أو شنجيط ، وأهله هم الشناجطة المعروفون فى مصر ، فلهم فيها جالية تمصرت من زمن طويل ، والقرون الماضية تقص قصة الركب الشنجيطى الذى كان يخرج من هذه الناحية القصية ليحج الى بيت الله الحرام ، فيمر بمصر ويطيل المقام بها ، وربما تخلف الكثيرون من أفراده أعواما فى مصر ريثما يتزودون بزاد العلم ، ثم يعودون الى بلادهم ، ولقد ازدهر أمر شنقيط وزخرت نواحيها بالعلم والعلماء ،وكلهم تلاميذ مصر فى العلم والحضارة ٠ وان الصلات بين مصر وتمبكتو ، كبرى مدائن حوض النيجر الاوسط كانت موصولة لعدة قرون ٠ وقد كان الاوروبيون يعتقدون ان تمبكتو مجهولة تماما ، وتصدى نفر منهم للكشف عنها ،فلم يجدوا اليها سبيلا الا عن طريق القاهرة ٠ وان من يقرأ قصص الكاشفين من أمثال مونجوبارك وفردريك هونيمان ليتبين تعجبهم من وصول الحضارة المصرية الى هذه الجهات ، ولكن الحقيقة أن هذه هى رسالة مصر فى افريقية التى جعلها الله فيها فهى الام ومنبع النور ، وهذا فى ذاته حقيقة يثبتها التاريخ فى كل حين ، وتعمل مصر على أدائها فى مختلف العصور ٠

ثم لاننسى ان هناك الملايين الافريقيين الذين يتكلمون اللغة العربية التى هى لغة المصريين ، ويقول السيد الرئيس جمال عبد الناصر : « وليعرف من شاء ومن لم يشأ ، ان كل بلاد تنطق العربية بلادنا ، ولابد أن تتحرر بلادنا » ٠

وهناك رابطة سادسة هامة تربط مصر بافريقية ، وهى رابطة المصلحة المشتركة التى تقتضى توحيد الكفاح ضد المستعمرين الباغين والمستميتين للبقاء فى هذه القارة الغنية بطاقتها البشرية ومواردها الاقتصادية ٠ وقد أدركت مصر فى ثورة سنة ١٩٥٢ انه لابد لنجاح قضية تحرير افريقية من تنسيق الحركات التحريرية الافريقية ودعم التضامن والجهاد الجماعى بين شعوب افريقية ، فاشتركت بوفد كبير فى مؤتمر الدول الافريقية المستقلة الذى عقد فى مدينة أكرا فى ابريل سنة ١٩٥٨ ، كما ان السيد الرئيس جمال عبد الناصر دعا زعيما افريقيا كبيرا من زعماء حركات التحرير ، وهو الدكتور كوامى نكروما رئيس وزراء غانا ، لزيارة رسمية للجمهورية العربية المتحدة ، وكانت هذه الزيارة فى منتصف يونيه سنة ١٩٥٨ ، ودارت خلالها محادثات بين الرئيسين كانت نتيجتها تأكيد العزم على دفع أخطار الاستعمار الذى يحدق بافريقية وعلى مساندة جميع الشعوب الافريقية غير المستقلة لتنال حريتها واستقلالها .

وقد قال الرئيس نكروما فى خطبة ألقاها فى حفلة أقامها للرئيس جمال عبد الناصر أثناء تلك الزيارة ما يأتى :

« ان افريقية اليوم تلتقى فى طريق واحد ، فان الرابطة التى تجمع بين شعوب القارة الافريقية أصبحت حلقة واحدة ، فالوعى الافريقى انبعث فى مؤتمر أكرا ، وهو اليوم فى سبيله يتقدم دون توقف ٠

ان افريقية تربطنا سويا ، وعلى هذا فان مايحدث فى أى جزء من هذه القارة يهمنا جميعا ٠ ونحن نؤكد ان حرية الدول الافريقية لايمكن أن تظل بمأمن مالم تصبح القارة الافريقية بكل شعوبها ودولها وأراضيها حرة من آثار الاستعمار والاحتلال والتفرقة العنصرية .

تأثير القصص المصرى في أفريقية

بقلم الاستاذ محمد مصطفى محمد الجابرى

قد يجد الدارس لتاريخ مصر القديم، سجلا حافلا بكل أسباب الثقافة والعلم، طوت صفحاته الايام، وكاد الاهمال والنسيان يطمسان معالمه، والواقع أن أجدادنا كانوا قد ضربوا بسهم وافر فى أسباب الثقافة والعلم. وانهم لم يخلفوا لنا أحجارا نشاهدها أو قبورا نسرح الطرف فيها معجبين، أو مستغربين بعد أن صرفوا هممهم وبذلوا كل جهدهم وعنايتهم فى اقامتها فهم الى جانب ماتركوه لنا فيها من فن نابض ناطق، بهر الدنيا بهاؤه، وأعجزت العقول صنعته، ضموا اليها وثائق من ثقافتهم وعلمهم تشهد بالفخر لهم وتقيم الدليل الناصع على مدنيتهم العالية، ورقيهم الوافر.

وهذا الادب الذى هو بضاعة الذهن النفيسة، وخير ماتفخر به ثقافة هذا الجيل، كان لهم فيه المجال الواسع، اذ سبقونا اليه، بل سبقوا أمم العالم بأسرها، الحديثة منها والقديمة الى غرس بذوره وقطف ثماره الناضجة.

وهم لم يطرقوا سبيل الادب من ناحية واحدة، بل مارسوه كتابة وشعرا وقصصا وتباروا فى أسلوبه كما نتبارى اليوم، وكان منهم الفلاسفة والكتاب النوابغ، كما كان منهم الشعراء والناشرون، وكان منهم الرواة، وقد تفننوا فى أساليب الادب وفنونه، وابتكروا قصصا نظرية سهلة المأخذ سريعة الانتشار فجعلونا نقرأ لهم ما تفيض به عواطفهم، وجعلونا نمتع أعيننا وأذهاننا بالبديع من أفكارهم وآرائهم

والمجال متسع لاثبات كل ذلك، ونرى أن نبدأه اليوم بقصة مصرية قديمة وجدت فى ملف من ملفات ورق البردى كتبها كاتب مصرى روى فيه أن مدينة (يافا) شقت ذات مرة عصا الطاعة على الفاتح العظيم تحتمس الثالث الذى يقول العالم برستيد أنه « نابليون مصر » والذى خاض غمار سبع عشرة معركة فى النوبة وفى فلسطين وفى سوريا فانتصر فيها كلها ومد حدود الامبراطورية المصرية الى حدود لم تبلغها فى غير عصره، وكان تحتمس فى مصر حينما جاءه خبر انتفاض (يافا) فلم ير أن يقوم اليها بنفسه فبعث اليها قائدا من قواده كان يسمى (توتينى) فمضى اليها هذا القائد وشرع يحاصرها وكانت ذات سور وتحيط به أبراج موزعة على هذا السور، فلم يكن بد للدخول اليها من فتح ثغرة فى السور والابراج أو من اعمال الحيلة، فلجأ توتينى الى الحيلة، فراسل أمير المدينة وأوهمه أن لديه عصا سحرية للملك مصر، ويظهر أن هذه العصا كانت ذات شهرة خاصة فى ذلك الوقت، ويظهر أيضا أن توتينى كان بارع الحيلة ولذلك استطاع أن يقنع الامير بالخروج لزيارته فى خيمته كى يرى العصا فيها ويرى أفعالها العجيبة، فلما سار الامير الى الخيمة أمر القائد المصرى بالقبض عليه وقتله، ثم أمر بخمسمائة خابية فأعدت وجعل فى كل واحدة منها جنديا من أشد جنوده، ثم حملها

ودنا بها من سور المدينة . وكان قد ساق معه تابع الامير ، فأكرهه على أن يقول للحراس : ان المصريين انهزموا ، وانه عائد بقائدهم أسيرا ، وبأسلحتهم وأمتعتهم غنيمة للمدينة ، فلما سمع الحراس ذلك فتحوا الابواب ، وتركوا الخوابى تدخل ، فما كان بعد ذلك الا أن خرج الجنود من الخوابى وأعملوا السلاح فى المدينة واستولوا عليها .

وهذه القصة نقلها العالم الشهير ماسبيرو ، ودونها فى كتاب « تاريخ مصر القديم » ص ٢٤٠ كما ذكرها أيضا العلامة برستيد ص ٣٢٢ .

وقد سرت هذه القصة الى شاعر اليونان الاكبر هوميرس فتخيل قصة مثلها فى حرب اليونان لمدينة طروادة وأدخلها فى ملحمته التى تعرف بالالياذة .

وسرت الى العرب فى قصتي « على بابا والاربعون حرامى » وقصة قصير والملكة الزباء المعروفة فى تاريخ العرب، ثم سرت فكرتها الى قبيلة الهوسا فى نيجريا فى قصة الارنب وجماعة الاسود والضبع وأصل صناعة الحديد كما سنذكره فيما يأتى .

وقبل أن نبدأ يحسن بنا أن نقول: ان قبيلتى الهوسا والجبكون فى غرب افريقية من كبريات المجموعات القبلية الموجودة فى نيجريا ذات الطابع الحضارى البارز والوثيقة الصلة بمصر الفرعونية ، كما فى كتاب « الملكة السودانية » .

وتحتل القصص عند قبيلة الهوسا مقاما رفيعا ، وهم يعتزون بها ويرددونها بين القبائل ، وتتلقفها الالسنة ، ويتناقلها الرواة ، ويتحدث بها السمار والقصاص .

وقد عنى علماء الاجتماع بدراسة قصص البدائيين وطغت على جميع ما عداها من بحوث ولا يرجع السبب فى ذلك الى طرافة القصة وغرابتها وأهميتها فى ذاتها فحسب وانما يرجع كذلك الى أنها أصدق فى الدلالة على طبائع الناس من الفلسفة المنظمة ، وأنها تنير الطريق للوقوف على الاصول القديمة لنظم الاجتماع الانسانى وما كانت عليه الانسانية فى فجر نشأتها . وذلك لان هذه الشعوب قد ظلت أمدا طويلا بمعزل عن التيارات الحضارية الكبرى التى توالى ظهورها بين سكان القارات القديمة ، وما زالت جامدة على حالتها البدائية ، ولم تتزحزح عن أقدم الاوضاع ، بل ظلت فى جمود وتقديس للماضى وانصراف عن الحاضر وانكار لكل مطالب الحياة .

وهذه القصة نقية خالية من شوائب القصص الدخيلة والملابسات العصرية، ولم يكن العالم فى العرف البدائى سوى طعام وشراب ومحافظة على الذات والنوع . فهذه الشعوب فى نظر علماء الاجتماع بمنزلة المتاحف فى نظر علماء الآثار

***

قصة الارنب والضبع وجماعة الأسود وأصل صناعة الحديد

فى قديم الزمان وسالف العصر والأوان ، انتاب العالم جوع وقحط ، واتفق ذات يوم أن خرجت أرنب تجول فى الخلاء ، فصادفها منزل كبير مصنوع من الحديد ، فوقفت تنظر اليه مبهوتة ، وبعد قليل سمعت حركة داخل البيت الحديدى، فانتبهت وراقبت فى يقظة وانتباه مايحدث .. وسرعان ماسمعت أصواتا تقول « يو — واى » وفى الحال انفتح باب البيت على مصراعيه ، وخرج من البيت جماعة من الاسود !!! ولما خرج الجميع قالوا « با — جا » فانصفق الباب وصر كعادته . بعدئذ انصرفت الاسود الى الصيد ، وزأر أحدهم

زئير الجبروت والعزة ، فتربصت أنا الارنب حيث كنت ، وجعلت أتابع نظرى ، وأمسكت أنفاسي ، ولكنى مع ذلك اهتززت هزات عنيفة عند سماع ذلك الصوت ، ولم يكن من العجيب أن أجد مثلا جديدا من احتيال الكائنات على اقتناص الرزق ، فان قانون الصحارى والغابات هكذا دائما : من عز بز ! ومن غلب افترس ! ومن استطاع صيدا اصطاد ! ومن قدر على الزوغان زاغ ! .. وأنا الارنب بلغت سن النضج ، وعلمتنى التجارب معانى الاشياء على اختلافها ، حتى صار حفيف الحشائش والاشجار ، ونسيم الليل الدافىء ، ونعيب البوم وحركة الخفاش ، ورذاذ الماء الذى يعقب قفز الاسماك فى الماء ، كل ذلك صار لغات مألوفة لدى ، أفهم معانيها ودقائقها ، كما يفهم أى عاقل معانى عمله ودقائقه .

والآن وقد ذهبت الاسود بعيدا عن البيت الحديدى ، وما زالت كلمة السر تطن فى أذن الارنب ذهبت الى البيت الحديدى وقالت : «يو-واى» فانفتح الباب فى الحال .

وبكل هدوء دخلت الارنب داخل البيت ثم قالت : « با-جا » فأغلق الباب بصرير هادىء ... وهنا رأت أكواما من شرائح اللحم ... اللحم الغض ، والجاف !! ولحم الآدميين ، ولحم الحيوان . . . فوقفت وعيناها مبهوتتان ... وأخيرا أخذت تأكل بلهفة وسرعة حتى امتلأت معدتها باللحم الشهى .

ثم اختارت شرائح من اللحم وأخذت منها ما استطاعت أن تحمله واتجهت نحو الباب ونادت قائلة : « يو - واى » فانفتح الباب . . . فحملت اللحم وذهبت الى بيتها وقدمت الطعام الشهى الى أهلها وذويها ففرحوا بهذا اليسر العظيم ، واستمرت تذهب كل يوم الى بيت جماعة الاسود تأكل وتحضر الى البيت اللحم الكثير والشحم الوفير .

وفى ذات يوم أرسلت الضبع ولدها الصغير الى بيت الارنب ،لكى يحضر لها جذوة نار ، ولما عاد ومعه شعلة النار سألته الضبع قائلة : «هل لاحظت -وأنت فى بيت الارنب- وجود نار لانضاج الطعام ؟ »فأجاب الولد أمه : « أنا رأيت الارنب تعد شرائح من اللحم وتقدم الى أهلها الطعام المطهو والشواء » .

ما كادت الام الضبع تسمع ذلك حتى أطفأت شعلة النار وأمرت ابنها بأن يعود الى بيت الارنب مرة أخرى ويحضر لها شعلة أخرى ففعل ، وبعد أن عاد سألته فقال : « ان الارنب وعائلتها أعدوا الطعام!!» فأمرت الام الضبع ولدها بأن يعود مرة ثالثة وقامت هى على الفور خلفه ولحقته هناك .

ولما وصلت الضبع الى بيت الارنب التفتت الى ولدها قائلة : انك مخلوق تافه وباطل !! لقد أرسلتك الى هنا لكى تسعفنى بشعلة نار ، وبدلا من أن تحضرها بسرعة جلست هنا وتشاغلت باللعب ! ثم اتجهت من باب بيت الارنب عائدة الى بيتها ولكن الارنب حجزتها وطلبت منها أن تقاسمهم الطعام فقبلت الضبع الدعوة وشاركتهم فى الاكل ومعها ولدها ، ولما كانا محرومين من الاكل فقد كانا يملآن مخالبهما بالطعام واستمرا يأكلان حتى شبعا .

وبعد أن انتهى الطعام ، مالت الضبع على الارنب وقالت : « فلينعم خشمك بطعام ، وعيناك بنوم عميق ، سأذكرك ، ياخير الارانب فى صيدى القادم ، سأضع رأس فريستى جانبا لتهنئى بها وحدك ! ثم عطفت الضبع

على الارنب وطلبت منها أن ترشـدها عن المـورد الذى تسـتورد منـه هذا الطعام الشهى ؟ » .

فأجابتهـا الارنب قائلة : « ان الرجال لايعـدمون الحيـلة فى جلب الطعام ، وأخشى ان أنا أرشدتك الى الوسـائل أن تغـدرى وتسـتأثرى بهـا وحدك !! » فقالت مسرعة أبدا أبدا ! سأظل مخلصة لك طول حياتى فقبلت الارنب وقالت : « غـدا سنذهب سـويا مبكـرين الى مكان معـلوم ، فاذهبى الى بيتك الآن » عندئذ ذهبت الضـبع الى بيتهـا ، ولكنها كانت قلقـة ، وبعد قليل من الوقت عادت الى منزل الارنب وقالت : « هـل حان الوقت للذهـاب الى المـكان الميمـون ؟؟ » فانزعجت الارنب وقالت : «الفجرمايزال بعيدا ، والصبح ليس بقريب !! عـودى الى بيتك » فعادت الضبع الى بيتها ولكنها لم تهدأ ولم تستقر فيـه ، وأخذت تذهب الى بيت الارنب وتعـود الى بيتها ولم تكتف بذلك ، بل أخـذت تنادى الارنب ، ولكن الارنبانصرفت عنها وصممت على عدم الخروج الا بعد طلوع الفجر .

وفى الصـباح الباكر وبعـد مطلع الفجر ذهبتا سويا الى بيت الاسود، واختبـأتا به حتى خرجت جمـاعة الاسود الى الصيد .

بعدئذ قصدت الارنب الى البيت الحديدى وخاطبت الباب بكلمة السر (أى) « يو ـ واى » فانفتح الباب وبعد دخولهما قالت : « با ـ جا » فانصفق الباب فأخذتا تنظـران الى مافى المنزل فوجدتاه ممتلئـا باللحم الكثير ، والشحم الوفير ، ففـرحت الضبع وقالت للارنب : هـذا كله من نصيبى فلا تمسى أية قطعـة منه ! ! وجعلت تحوم حول اللحم بزهـو ، متحدية الارنب التى ابتعدت عنهـا حيث وجدت قطعا صغيرة من شرائح اللحم فجمعتها ولمـا أعدتها للحمـل اتجهت الى الضـبع وقالت : أيتهـا الضبع لقد آن وقت الخروج من هنا ولكن الضبع انصرفت عنها وانشغلت بأكل اللحـم ولم تعرها اهتمـاما . وأخيرا قالتلها اذهبى أنتوسأحضر بعـدك ، وقبلت الارنب ذلك ، ثم عطفت عليهـا قائلة « احرصى عـلى كلمة السر » ثم اتجهت نحو البـاب وقالت « يو ـ واى » فانفتح الباب ولمـا صارت الارنب خارج البـاب قالت « با ـ جا » فانقفل البـاب ، ولكن الضـبع كانت مشـغولة بالاكل ولم تعمـل بنصيحتها كمـا يجب ، وذهب عقلها فى ملء بطنها .

ولمـا امتلأت معدة الضبع أعدت حمـلا كبـيرا من شرائح اللحـم ، واتجهت نحو الباب وقالت «با ـ جا» وبدلا من أن ينفتح الباب التصـق باحـكام ولم يعـد يفتـح فصرخت الضبع وقالت « با ـ جا » وكررت النداء مرارا كثيرة ، ورفعت صوتها حتى كلت حنجرتها ، وصارت كلما نطقت ونادت « با ـ جـا » ازداد الباب التصاقا حتى بح صوتهـا ، أخـيرا ألقت حملهـا على الارض ، وحاولت الاكل من جديد .

وبينما هى كذلك أحست بقدوم جماعة الاسود الى البيت الحديدى وهى تحمل لحـوم الحيـوانات التى قتلتها ، وعند ذلك انطرحت الضـبع على بطنهـا وأخـذت تزحف داخل البيت وهناك اختبأت فى ركن منـه أما الاسود فقـالوا « يو ـ واى » فانفتح باب البيت ودخلوا منه .

فقالت الضبع لنفسـها « لو كنت حرصت على حفظ كلمة السر لمـا وقعت فى هذه المحنة » .

وما كادت جماعة الاسـود تدخل البيت حتى تملكهـا الفزع وقالت :

«هنا رائحة ضيف غريب داخل بيتنا فلنبحث عنه !!! » وفى أقل من لمح البصر وجدوا الضبع مختبئة داخل البيت ، فلم يطلقوها بل قتلوها ثم سلخوا جلدها وقسموه الى قطعتين كبيرتين وخاطوا كل جزء مع الجزء الآخر ، وصنعوا منهما زوجا من المنافخ أى كورا ، ليذكوا به لهيب النار ، ليصهروا الحديد .

أما الارنب فقد انصرفت الى بيتها كالمعتاد ، وانتظرت عودة الضبع الى بيتها ، ولكنها لم تعد ، عندئذ أدركت أنها قتلت وأصبحت فى خبر كان .

وفى اليوم التالى لهذا الحادث ، لم تخرج الاسود من البيت الحديدى ، بل بقوا فيه وأخذوا يذيبون الحديد ويصنعون منه صندوقا وأوعية حديدية ، ولما ذهبت الارنب اليهم وجدت الباب مفتوحا ووجدتهم يصبون الحديد فى قوالب ، فحيتهم يجهد نفسه فى عمل النفخ فاقبلت عليه وقالت : « أيها الصديق الصغير اسمح لى أن اريحك !! » وأخذت الارنب تشتغل فى النفخ بكل همة ونشاط ، فزادت النار اشتعالا ، وأخذ الحديد ينساب كالماء الجارى ففرح الاسود ، ونظروا الى الارنب بعين الرضى ، ولما انست بهم أخذت تنشد قائلة : متيو ، نيورا — واى يانيو رانيوياجا ومعنى ذلك « تعلم فى المتبلم يصبح ناسى ، لان عقله حديد قاسى »

وكأن صوت الارنب قد استهوى الاسود ، فأخذوا يرقصون ويغنون معه حتى تعبوا وانطرحوا على الارض وناموا ، فما كان من الارنب الا أن جمعت الاوعية المصنوعة من الحديد وذهبت الى بيتها ولما رآها أهل البلد، أعجبوا بالاوعية الحديدية ، وأعطتهم منها ففرحوا بها ، وهذا منشأ صناعة الحديد التى تعلمها سكان البيوت من سكان الاحراش .

كشوف

كان الفينيقيون أول من كشف الشاطىء الافريقى الذى يبلغ طوله ١٦٫١٠٠ ميل فى بعثة ((نخاو فرعون مصر)) وقد دارت البعثة حول أفريقيا ثم تلتها رحلات متمثلة فى رحلة المكتشف القرطاجنى ((هانو)) الى ((سيراليون)) سنة ٥٢٠ قبل الميلاد كما طاف بعض البحارة اليونانيين حول أطراف أفريقية . أما عصر الكشوف الحديثة فيبدأ بالرحالة الذين قاموا برحلات واسعة النطاق ، ومستكملة العدة فى عصر « الامير هنرى » فى الفترة من سنة ١٣٩٤ الى ١٤٦٠ ميلادية .

عقائد واساطير افريقية

بقلم الاستاذ عزت محمد ابراهيم

للاساطير عند بعض الشعوب روعة وسحر ، تنبىء فى كثير من الاحايين عن خيال خصب ، ونزعات فنية خالصة ،وليس من المحتم ان يصاحب الايمان الاسطورى تأخر فى المدنية أو تقهقر فى الحضارة ، فقد عاشت بلاد الاغريق فترة من حياتها فى لجة من الاساطير ، ومع ذلك فقد صاحب ايمانهم بالاساطير والخرافات نهضة بالغة فى ميادين الحياة الاخرى ، من فنية وفلسفية وسياسية ، ولا نزال حتى الآن نستمتع بما لهذه الاساطير من روعة تتجلى فى الاعمال الفنية الباهرة التى استخلصت منها ، من نحت ورسم وتمثيل ، تعد آية فى الجمال والروعة ، ولو ان الاساطير الافريقية وجدت من يعنى بها ،العناية الكافية ويوليها الاهتمام الكافى فلربما استطعنا أن نستنبط منها آيات كثيرة من ضروب الفن المختلفة ولاشك فى متانة الصلة بين الاساطير، والمعتقدات الدينية ولما كانت الاديان فى أفريقية — وخاصة الوثنية منها — كثيرة متعددة فقد كثرت بها الاساطير ، وتنوعت تبعا لذلك .

وللحيوان عند كثير من قبائل أفريقية مكانة كبيرة مقدسة ومن هنا كانت كثرة المعتقدات والاساطير التى ترتبط به ، ومن ذلك ان الاسرة المالكة فى (داهومى) تزعم انها من سلالة أميرة وفهد ، ولذلك فهم يتخذون رسم الفهد شعارا لهم ، وان بعض القبائل تؤمن بوجود قرابة بين الانسان وبعض الحيوان ، فاذا قتل انسان قريبا له من الحيوان ، فعليه أن يقدم القرابين تهدئة لروحه ، بل على الانسان اذا كان مضطرا الى قتل الحيوان أن يستأذنه فى ذلك ، بل انهم يتمادون أكثر من هذا فيزعمون انه اذا وقع انسان فريسة لوحش كاسر من ذوى قرباه ، فما عليه الا أن يذكره بالصلة الوثيقة التى تربطه به ليخلى سبيله ، وتزعم بعض قبائل الكمرون أن لها القدرة على التشكل بأشكال الحيوان المختلفة كما يزعمون ان فى امكانهم أن يسلطوا بعض أقربائهم من الحيوان على أعدائهم من الانسان فيفترسهم .

واذا كانت هذه القدرة قد أتيحت للانسان فمن الاولى ان تتاح للآلهة أيضا ، فالاله (فارو) عند (البامبارا) يستطيع ان يتشكل بأشكال مختلفة ليست للحيوان فقط ، ولكن لكثير من مظاهر الكون أيضا . وقد عبدت القبائل الافريقية، بالاضافة الى الحيوان، الاسلاف وأقامت لهم المحاريب ، وعبدت الارض والسماء ولم تدع شيئا تقع عليه أعينهم ، الا التمست فيه شيئا من القداسة .

بل ان قبائل « الدوجون » تقدس معدنى الذهب والنحاس ، وغيرها من القبائل تعتقد بأن وحشا هائلا يعيش فى باطن الارض يتغذى بالدماء، ويفرز مادة الذهب ، كما ان قبائل (كرنوكو) تقدس بعض أنواع

الصخور ، ومن العجيب ان القبائل الافريقية فى سذاجتها وايمانها السطحى قد اهتدت الى أنواع من الفلسفات التى ظهرت فى عصور الفلسفة المختلفة ، ولايزال يوجد بين ظهرانينا من يؤمن بها فى عصر التقدم العلمى ، ومن هذه نظرية الحلول ، فمن القبائل الافريقية التى تؤمن بها قبائل (ايفا) التى يؤمن أفرادها بأن روح الميت قد تحل فى جسم ذريته ، ومن طريف ايمانهم فى هذا الصدد انه قد يحدث ان تتنافس روحان على الحلول فى جسم معين ، وبطبيعة الحال ، يتنازعان ويتشاجران ، فتحدث تبعا لذلك الاضطرابات العقلية ، وأمراض الصرع التى تنتاب الجسد المتشاجر عليه .

ومن غريب ماتؤمن به قبائل « روديسيا » فى هذا الصدد أن روح الميت لها الحق فى أن تختار الجنس الذى تحب الحلول فيه ذكرا كان أو انثى ، حتى تشبع رغباتها الجنسية اذا كانت مكبوتة فى حياتها ، وتعليل تشاجر الارواح على الحلول فى جسم معين هنا أيسر ، اذا مافترضنا ان روحين ترغبان فى الحلول فى جسد امرأة جميلة مثلا ، فيصاب جسدها بالصرع ويصبح « عليها أسياد » أو أرواح ، ولايزال لدينا حتى الآن من يؤمن بمثل هذا من قريب أو بعيد .

وتعطى قبائل (السارا) للارواح أهمية بالغة ، فهى تنسب اليها المقدرة على الحلول فى أى مكان . كما تنسب اليها المقدرة على استدعاء أحد الاحياء فيكون ذلك نذيرا بقرب موته ، ونلاحظ هنا انه لايزال لدينا الآن من يؤمن بهذا ، وخاصة فيما يتعلق بالاحلام وتفسيرها .

***

ومن غرائب المعتقدات عند كثير من القبائل ، انهم يعطون لثمرة الطماطم أهمية خاصة ، فهم يعتقدون ان الاتصال الجنسى وحده بين الرجل والمرأة لايكفى لتكوين الجنين ، اذ لابد لها من أكل الطماطم ، ولعل اكتشافهم ماللدم من علاقة وثيقة بحياتهم تتوقف عليه هذه الحياة ، ثم ربطهم بين لونه ولون الطماطم هو الذى دعاهم الى التفكير فى انه ينبغى ان يكون للطماطم تلك الاهمية التى للدم الجارى فى عروقهم .

***

ولعملية الختان عندهم أهمية كبرى ، فهم يقيمون لها الاحتفالات الكبيرة ، وقد بنوا عليها كثيرا من أساطيرهم ، فبعض القبائل تؤمن بأن الفرق بين الذكر والانثى لايمكن تحديده الا بعد عملية الختان ، ولهذا الاعتقاد عندهم صلة وثيقة بخلق الكون من أكثر من وجهة ، فهى عند بعضهم ان الاله (أما Amma) سوى الارض فى صورة أنثى ثم تزوجها ، فولدت ابن آوى الذى رآها عارية فاغتصبها فسال منها دم الطمث ، وهذه هى الخطيئة الاولى عندهم ، وبعد ذلك خلق هذا الاله الانسان جنسا واحدا ، حتى اذا أجريت له عملية الختان ، تحدد جنسه وظهرت طبيعة الذكر والانثى فيه .

وبعض القبائل تزعم ان الاله «بمبا» طلب من كل النساء الزواج منه ، فثارت زوجه (موسو كورونى) فانتقمت من الرجال والنساء جميعا ، ببتر الاعضاء التناسلية عندهم ، ومن هنا جاءت عملية الختان .

واذا كان الاله (أما Amma) قد خلق الارض فان اله (البوشمان) هو الذى خلق القمر ، ولذلك عندهم قصة طريفة فقد قذف الاله بحذائه فى السماء ، فحدث القمر نتيجة لذلك .

***

والضحايا تقدم الى الآلهة ، وهى ليست من الحيوان فحسب ، بل قد

تكون أيضا من البشر ، فاذا تتابعت الكوارث والبلايا على القبيلة تحتم عليها ان تقدم ضحية بشرية سواء للاله أو الملك ، حتى يكف أذاه عنها .

والغريب هنا هو رضا الضحية التام عن ذلك ، لاعتقادها ان روحها ستحل في جسد شخص مرموق المكانة وأكثر مايكون هذا الاعتقاد رسوخا عند قبائل (البامبارا) وأغلب ماتكون الضحية عندهم شخصا أشقر اللون ولايعرف السبب الحقيقي لهذا الاختيار ، ولكن ربما كان ذلك لاعتقادهم بكثرة الدم فيه، صلة بذلك، والدم يكون من نصيب الاله ، ويكون اللحم من نصيب المحتفلين به ، وتأكل الاسرة مقدمة الضحية : اللسان والانف والعينين ، ونجد اعتقاد تقديم الدم للاله كغذاء مشتركا فى أكثر القبائل وتقدم قبائل أخرى معه الطماطم . وهنا نلاحظ ربطهم بينها وبين الدم ، وجمعهم لهما فى ظروف واحدة .

واذا كان للطماطم مثل هذه الاهمية عندهم ، فهناك أيضا مثلها لصناع الحدايد لديهم ، فله أهمية كبرى فيما يتعلق بأمور الطقوس الدينية ومراسم الكهنوت ، فهو الذى يتولى رياسة جمعية (كومو) الدينية عند قبائل (البامبارا) ومن الغريب حقا ان نجد مثل هذا التقديس للحداد فى الديانات الافريقية القديمة .

ومن عادات بعض القبائل التى لم تبلغ مبلغ العقيدة ، مايقصه علينا « أميل لودفيج » فى كتابه النيل عن قبائل « الشلك » من انهم يحملون نساءهم على الاعتراف بغرمائهم ، فيلزمون كل واحد منهم بتقديم بقرة للزوج المخدوع ، أما اذا كان للمرأة عدة عشاق وكانت جريئة فانها تنثر قبضة من التراب فى الهواء قائلة ان هذا هو عدوهم . وعلى الزوج فى هذه الحال ان يلعن أمها على سوء تربيتها لها .

« ولودفيج » يحكى لنا ذلك فى سخرية لاذعة

وبالرغم من انتشار المسيحية والاسلام أخيرا فى كثير من مناطق أفريقية ، ألا أنهما لم يقضيا قضاء تاما على العادات والتقاليد الوثنية فيها ، فظهر من يدعى النبوة ، أو من يعبدون أناسا من البشر فى المناطق التى اعتنقت المسيحية أو الاسلام ومن الطوائف التى من هذا القبيل ما كان من أمر المتنبىء (أدايه Adaé) من ساحل العاج الذى خرج على قومه بوصايا منها « لاتغرر بامرأة بغير أن تدفع لها أجرها » . وفى ساحل العاج ومنذ زمن وجيز حدث ان اتخذ الناس النائب البرلمانى الافريقى (هوفويت Hophouët) آلها بغير علم منه ، ولم يرجعوا عن عبادته الا بعد ان طلب منهم ذلك .

ولا مناص لنا أخيرا من أن نلمس للقوم هناك الاعذار فيما يعتقدون ، فالمستعمر قد حرص على تركهم فى ضلالتهم ، كما انه يبدو ان المصادفات كانت تساعد الى حد بعيد على تمكين هذه المعتقدات فى نفوسهم يظهر ذلك فيما يحكى عن الرحالة لفنجستون (١) فانه بعد أن نجح فى دعوة الملك (سيشله Sechélé) الى المسيحية ، وتخليه عن الاعتقاد فى قدرته الالهية وقدرته **على اسقاط المطر** ، حدث ان اعقب ذلك زمن من الجفاف دام أربع سنوات .

وأخيرا فانه اذا كان قد تم استكشاف أفريقية جغرافيا فالواقع انه لم يتم اكتشاف دياناتها وعقائدها لاننا لم نهتم بدراساتها ، وهى — كما يقول « هوبير ديشان » — من أجدى الاساليب الحديثة لاستكمال الكشف عنها

---

(١) الديانات فى أفريقيا السوداء هوبير ديشان — ترجمة أحمد صادق حمدى

إفريقية وآسيا معًا

منذ أربعين قرنا قبل الميلادوأنوار الحضارة البشرية تشع على قارتي أفريقية وآسيا العظيمتين . فعلى ضفاف النيل ، وفي وديان دجلة والفرات ، ومنطقة نهر « السند » « والجانج » و « ألهوانج هو » و «اليانج تسى » ومناطق كثيرة أخرى في آسيا وأفريقية أوجد أسلافنا ثقافات عظيمة ، دعامتها الحكمة والمثابرة .

وكان الآسيويون والافريقيون يعرفون الشيء الكثير عنأسرار الانتاج الزراعى والصناعىمنذ أبعد العصور، وما الاهرام وأبو الهول التى تحف بها العظمة وترتفع شامخة فى السماءعلىشاطىءنهر النيل ــالا دليل على مدى الرقى الثقافى ، والتقدم العلمى الذى وصل اليه المصريون منذ أربعة او خمسة آلاف سنة. وقدكان لقدامى العرب ايضا شأن عظيم فى التراث الثقافى ، وبنوع خاص فى مجال العلوم والفنون والصناعات . ففى العصور الوسطى ، كانتالمعارف العلمية التى عرفتحتى ذلك التاريخ قد جمعت ونسقت وتم تطويرها على أيدى كثرة من العلماء النابغين من أبناء آسيا الوسطى ، والعالم العربى

وفيما بين القرن الثلاثين والقرن العشرين قبل الميلاد ، بلغ مستوى سكان وادى السند فى الفن المعمارى والاشغال اليدوية أعلى درجاته بدليل أنهم كانوا قد بدأوا فى استعمال الآلات المعدنية ، وبرعوا فى هندسة رى الاراضى الزراعية ، وفى شتى ميادين العلوم والفنون ، وأسهمعلماء الهند القديمة وأدباؤها فى تطوير الحضارة العالمية ورقيها .

وفى العصر الحجرى الحديث كان سكان الصين يرسمون صورا بديعة الشكل وفى غاية الاتقان على الاوانى الخزفية ، وقد دلت بعض الكشوف الاثرية التى يرجع عهدها الى أكثرمن ٣٥٠٠ عام على المستوى الرفيع الذى وصل اليه الصينيون فى الزراعة والعمارة وصناعة الحرير ، هذا فضلا عن السور العظيم الذى تم بناؤه فى الصين منذ ٢٤٠٠عامعلىوجه التقريب وفى خلال القرن الاول للميلاد كان لتلك البلاد الفضل فى اختراع الورق والطباعة والبوصلة .

أما فى مجال الفلسفة والادب والعلوم الدينية ، فان الشعوب الآسيوية والافريقية قد أضفت على الثقافة العالمية ثروة ونماء بمقدار مالديها من معارف ،والذى لاشك فيه انها قد قامت فى هذا المضمار بأعمال جليلة خلدها التاريخ

ولم تقتصر جهود شعوب آسيا وأفريقية على خلق الثقافة وتطويرها، بل كان لها أيضا تراث عظيم فىمجال العلاقات الثقافية الداخلية ، اذ نمت ثقافتهم وازدهرت على أثر تبادل

الصـــــلات فيما بينهم ، واختلاطهم المستمر • وفي القرن السادس قبـل الميلاد أنشيء «طريق الحرير» المشهور على الرغـــم من المصاعب الجمـــة ، والعراقيل التى اكتنفت هذا المشروع •

وهكذا توثقت المعامـــــلات التجارية والعلاقات الثقافية بين الامم الافريقية والآسيوية • وبدأ الاتصال الثقافى بين الصـــين ومصر بصفة رسمية فى القرن السادس الميلادى ، وكانت سفن كل من البلدين تزور موانيء البـلد الآخر ، ثم تطـور هـذا الاتصال وأصبح مع مضى الزمن ارتباطا ثقافيا وثيقا بفضل هذا الطريق الحريرى • وعن طريق هـــذا الشريط الحريرى الذى يتعــرج الى مالا نهاية خـــلال المحيطات اســـتطاع العرب أن ينقلوا الى بلاد الصين تلك الذخائر النفيسة من العلوم الفلكية والرياضية والطبية، وفى الوقت نفسه جلبوا الى الشرق الاوسط صـــــناعات الورق الصينى والطباعة والبوصلة والحرير والخزف •

وأنشئت صفحة مجيدة فى تاريخ العلاقات الثقافية بـــين بلاد الجنوب الشرقى وجنـــوب آسيا ، ففى القرن الثالث قبل الميلاد عمت الثقافة والفنون الهندية كثيرا من البلاد الآســـيوية على أثر انتشار البوذية فى تلك المناطق، وكانت الاتصالات الثقافية بين الصين والهند سببا فى خلق ملاحم غاية فى القوة والجمال والروعة ، وفى سبيل نشر ثقافتهم والحصول على الجديد من المعـــارف ، كان رجال الدين من كلا البلدين يتزاورون معرضين حياتهم للخطر فيعبرون فى ظـــروف قاسية البحـــار والمحيـــطات والصــــحارى الشاسعة الاطراف والجبال الشاهقة • وهناك أيضا تاريخ طويل من التبادل الثقافى بين الصـــين واليابان وكوريا وفيتنام ونيبال وسيلان وأفغانستان، وبلاد آسيوية وأفريقية أخرى كثيرة •

ولـــكن الغزو الاستعمارى الغربى قضى على الحياة الهادئة لشعوب آسيا وأفريقية وقطع الصلات الثقافية بينها على أثر اخضـــــاع الـــكثير من الامم الآسيوية والافريقية الواحـــدة تلو الاخرى ، واشتركت جميعها فى مصير بائس موحد •

وهكذا أمكن للاســـتعمار الغربى أن يحجب شعاع الثقافة الشرقية •

صفحة جديدة

وبعد الحرب العالمية الثانية استطاع عدد وفير من بلاد آسيا وأفريقية ان يحطم قيـــود الاســــتعمار وأن ينال حريته واستقلاله ، وفى الســـنوات الاخيرة اتخذت القارتان مظهرا تاريخيا جديدا، نمت على أثره الصلات والروابط الثقافية بين بلاد هاتين القارتين وازدادت قوة ومتانة •

وقد كان لمؤتمر باندونج عام ١٩٥٥ دور تاريخى هام فى التضامن بـــين بلاد آسيا وأفريقية ، ومن وحى روح « باندونج » تطورت العلاقات الودية ونما النشاط الثقافى بين هذه البلاد فى شتى الاشكال ومختلف العصور ، فعقدت عدة مؤتمرات من بينها المؤتمر الآسيوى – الافريقى للطلبة ، ومؤتمر الكتاب الآسيويين ،وأسبوع السينما الآسيوية ، والمؤتمر العلمى العربى ومؤتمر نساء آسيا وافريقية ، ومؤتمر تضامن الشعوب الآسيوية والافريقية • وخلال السنوات الاخيرة ازداد النشاط الخاص بتنمية الصداقة ، وتبــــادل الثقافة وتقـــوية أواصر التعاون الودى وروابطه بين هذه الشعوب ، هـــــذا فضلا عما تم توقيعه من اتفاقيات كثيرة خاصـــة بالتعاون الثقافى وتبــــادل المعلومات •

وقد اتخذ مؤتمر التضامن لشعوب آسيا وأفريقية قرارات حول المسائل الثقافية وأعلن ان الاستعمار يخلق العقبات فى سبيل التعاون الثقافى، ويعمل على محو كل أثر للثقافات الوطنية . وقد طالب القرار الشعوب الآسيوية والافريقية بضرورة العمل على انماء أواصر التعاون الثقافى بينهم، فنشطت زيارات البعثات الثقافية والفنية وأخذ التبادل الثقافى فى الزيادة والنمو .

ومنذ عقد مؤتمر الطلبة الافريقيين والآسيويين ، بدأ النشاط المتبادل بين طلبة بلاد أفريقية وآسيا واتسع نطاقه ورأينا وفود الطلبة الصينيين تزور الجمهورية العربية المتحدة والمغرب وتونس وبلادا أخرى ، فى الوقت الذى كان فيه الطلبة الصينيون يستقبلون فى ديارهم وفود زملائهم من الطلاب الوافدين من كوريا وفيتنام والهند وأندونيسيا وبورما والجمهورية العربية المتحدة والسودان ونيبال واليابان وغيرها .

وكان من ثمرة هذا النشاط تنمية الصداقة والتعاون الثقافى بين بلاد آسيا وأفريقية ، وأثبتت الاحداث ان المبادلات الثقافية والعلاقات الودية لم تكن من العوامل التى ساعدت على تقوية روح التفاهم والتعاون الودى بين الشعوب والشباب والطلبة فى آسيا وافريقية فحسب ، بل انها عملت أيضا على تقوية التضامن بين شعوب هاتين القارتين فى كفاحهم المشترك من أجل السلام ، واستقلال أوطانهم ، وجهادهم ضد الاستعمار .

ترجمة الاستاذ محمد مصطفى نصار
عن الايطالية

مساحة افريقية

لاتقل مساحة افريقية عن ١١٫٢٦٢٫٠٠٠ ميل مربع ومن هنا فهى تعادل فى مساحتها أمريكا ، وغرب أوروبا ، والهند والصين ، وبمعنى آخر تقدر مساحتها بخمس سطح الكرة الارضية كلها . ثم نراها تطل على المحيط الاطلسى ، والبحر الأبيض المتوسط ، والبحر الاحمر ، والمحيط الهندى ، والمحيط المتجمد الجنوبى .

المرأة الكاميرونية مع معاناتها

بقلم المواطنة الكمرونية
أنجوى مارجريت

كانت المرأة الكاميرونية ، منذ أن أفلح المستعمر فى اغتصاب بلادنا وتمزيق أوصالها من أتعس الضحايا لعهد الضغط والارهاب الذى أقامه الفرنسيون والانجليز فى الكاميرون .

ولم يكن من الممكن أن تستمر هذه الحال زمنا طويلاً دون أن يكون لها رد فعل ما من جانب المرأة . وهذا ماحدث عام ١٩٥٢ عندما عقد نساء الكاميرون العزم على مساندة الحركة التحررية التى قام بها شعب الكاميرون فعملن على تنظيم صفوفهن . وكان بديهيا أن ينظر المستعمرون الفرنسيون بعين السخط الى هذه الانتفاضة الوطنية من جانب المرأة الكاميرونية ، فبدأوا يستعملون معهن طرق التنكيل التى كانت حتى ذلك التاريخ وقفا على الرجال .

وكان من نتيجة تصميم المرأة الكاميرونية على الوقوف بجانب الرجل للقضاء على أى أثر للمستعمر مهما كلفها ذلك من ثمن — أن قام المستعمرون بتلك الابادة الجماعية للوطنيين الكاميرونيين عام ١٩٥٥ ، ثم اتسع نطاقها عام ١٩٥٦ .

ولست أعلم على وجه التحديد عدد الذين أعدموا تباعا ، أو لقوا حتفهم غرقا فى الانهار ، أو نقلوا سرا الى أماكن مجهولة لم يعرف عنها شىء حتى اليوم . هذا فضلا عن ابادة قرى بأسرها أصبحت أطلالا وخرابا . أما السجون فقد غصت بالوطنيين الذين يلقون أبشع أنواع التعذيب . وقد تحولت معسكرات الاعتقال فى بلادنا الى مجازر لتنفيذ حكم الاعدام .

ولم يعد السفاحون يحترمون المبادىء الانسانية، فالاطفال والشيوخ والنساء والحبالى يمثل بهم بوحشية لايمكن وصفها ثم يصرعون . ولكن كل هذا لم ينل من عزم المرأة على مواصلة الكفاح الذى يرفع لواءه شعب الكاميرون الأبى وشبابه الاحرار ، بل ان نفى بعضهن مع الرجال كان من العوامل التى ساعدت على ايقاظ الروح الوطنية عند المتخلفين من الرجال

ولما كان بعض النساء الكاميرونيات قد لجأن الى القاهرة ، فقد قدمن الى الحكومة الامريكية بتاريخ ١٥/٨/٩٥٨ عن طريق سفارتها بالقاهرة مذكرة بشأن المشكلة الكاميرونية ، ثم طلبن مقابلة مستر هامرشولد ، السكرتير العام للامم المتحدة ، عند زيارته للقاهرة ، ولكن هذا الطلب رفض رفضا باتا **ولكن المرأة الكمرونية مستمرة فى ركب التحرير . ولا بد ان تتحرر بلادى**

ترجمة م . م . ن
عن الفرنسية

The United Party is led by « rebels » who split from the Uganda National Congress. One of them Zake Luyimbazi even having founded a party of his own based on tribal lines, then deserted to join the congress and now he has deserted the congress to form the United. One wonders where he will stop Mr. Zake is now in America and is the Vice President of the United Party. The Leaders of the United, are intellectuals who hardly knew politics a couple of years ago.

Uganda is thence faced by majority Nationalist Leaders and a minority, but rich anti-Nationalists. Our struggle now is to convince these leaders that any thing short of nationalist Policy cannot genuinely boast of being designed for National Independence for Uganda. We have reiterated meeting after another that we cannot afford disunity now. Given a United National Liberation front, Ugand's Independence would no longer be a matter of specula tion.

Uganda National Congress
for
Independence and Justice

Youth and Student Federation. After leaving college he joined the Congress and was a full time unpaid servant.

Mr. Kale is also a prison graduate on the issue of the colonial seminar held in Denmark. Mr. Kale is one of the first Congress Leaders mandated to establish a Uganda Office Abroad.

This is a mere outlined cross-section of only a few of the Congress Leaders of the executive Committee randomly sampled. Leaders of the Congress and members of its National Council are experienced men of all walks of life. They are all privately employed people and form the leading bulk of the Legislative Council, District Councils, the great Lukiko and other leading organisations, be it the social, cultural, commercial, workers, Youth, women or otherwise.

Nationalism and uncompromising stand against imperialism are essential prerequisites for Congress leaders from local National levels.

For contemplative purposes I wish to give briefly a short account of the leader of the other Political Parties recently formed in Uganda.

Mr. Matayo Mugwanya is the President of the Democratic Party, a rigid Conservative Roman Catholic, has been a Minister of Justice a post alloted by tradition to a Roman catholic in order to balance religion creeds, in the Great Lukiko (Buganda Parliament). With change of constitution however, Mr. Mugwanya was not returned and lost his post. As an alternative he was given an idea and he founded the O.P. with every support and encouragement from the Roman Catholic Missionaries. Apart from the religions honours he has his role is politically uneventful. Mr, Mugwanya's colleagues are of importance to fill the truth unknown to me and are of no significance in the shaping of Uganda's future.

Mr. E. M. Mulira, is the proprietor of a newspaper and President of the Progressive Party. His Career was to be a clergyman and is a very pleasant personality. His paper is popular he is a Conservative « stage-by-stage self-government » Leader. His party is supported by the rich class but they are deserting him gradually.

Mr. Leonard Bassade, his firm supporter and «Coffee magnate » having resigned from his Party last November. His other colleagues, if any, are insignificant.

the Legislative Council. This man is Bamutta and was the first Uganda African to have a scholarship to go to study in England.

Mr. A. K. Kironde a grandson of Sir Appolo Kagwa, the Katikiro or Prime Minister of Uganda, who made with the British the Uganda Agreement of 1900 which established Ugan da as a Protectorate.

Mr. Kironde is further one of the first African advocates in Uganda and was the Prosecutor of the British Government on the illegality of exiling the Kabaka, a case he handled more judiciously won and thereby achieved for Uganda one of its greatest victories over the British Government.

Mr. I. W. Kiwanuka : Chairman of the Uganda National Congress is a member of the Great Lukike (Buganda Parliament) and a newspaper Editor and Proprietor. Once a favourite of the imperialists he knows their tricks most now, and is one of their most dangerous opponents. Mr. Kiwanuka is a forceful Leader and both in his newspapers, one of which « Uganda Express » is banned now, and personal participation in deligation worked most effectively for the return of H. H. kabaka. In fact he did so much in London that on return to Uganda to collect material and return to England he was arrested in Entebe and exited to the West Nile District — a remote area of Uganda.

Mr. Otema Allimadi : Permanent secretary of the Congress is apart from I. K. Musazi, the only African in Uganda fully to work for a political Party without any income. Mr. Allimadi after the war stayed in Kenya which did him good. He was transferred to Uganda when he could not pay his political rights for civil service and thereby resigned to a full time political career. Mr. Otema Allimadi is too young to have done much but his sacrifice and spirit for National liberation is unequalled in Uganda.

Mr. J. K. Kale : the writer is the secretary for Foreign Affairs of the Uganda National Congress. Though there is little to say about myself, it is so difficult to speak of oneself and since my department is an indication of the Congress International expansion I am perforce obliged to say at least something. The writer a former chairman of and latter Vice President for Foreign Affairs of the Makerere University Students Union (Guild) was the promoter of the Affliation of world organisation : World Student Organisation to University Services International Student Congress. Former President of the Uganda

studying in England as well as representing the Congress in London. The strike he led at Mekerere College in response to the outstanding need of recognising rights of University students was a mile stone in Uganda. The writer was one of the undergraduates in Makerere college and knew best the National Aspiration of Mr. Mayanja. On expulsion from college Mr. Mayanja did not follow the usual routine i.e. that of hunting for employment. He walked straight to join his college. Mr. I. K. Musazi to work full time for the Congress till after many controversies he was given a scholarship to go and continue his studies in England. Though still a student -- but returning to Uganda this year — Mr. Mayanja has had important achievements especially with the British Public and he was the sole Uganda student who struggled for the Kabaka's return, on a political basis. Mr. Mayanja has already represented Congress internationally. He spent last September in India as a Congress Leader guest of the Indian Cultural Organisation.

The Hon. Dr. B.N. Kununka : M.L.C. is secretary General of the Uganda National Congress. He is a member of the Legislative Council, a leader of the African Representative members and a chairman Uganda Branch of the Common wealth Parliamentary Association which he has represented in the last Commonwealth Parliamentry Conference in India last November.

Dr. B. N. Kununka was one of the first African Doctors who could not sacrifice their citizenship rights and national affairs obligation in order to obtain a salary from the Government. As a response to this and to suppliment what he had already done as a civil servant Dr. B. N. Kununka resigned from government Service in order to participate effectively in the Uganda Liberation. Dr. Kunnunka believes in the Uganda Nation as a whole and is in fact a representative of a constituency far and even different from his birth place. Dr. Kunnunka was a leading member of the Delegation to demand the return of the Kabaka from the shameful exile imposed by the British Colonial Office.

A. K. Kironde : M. L. C. Minister of Social Services is a Vice President of Uganda National Congress and a member the Legislative Assembly. He is the first and only elected member of the Legislative Council who was selected by the Governor to join Government as a Minister. This was an obvious success of the Congress and the by-election then created brought another member of Congress in

farm products rather than sell them to foreign marketing co operation ...... In order therefore to coordinate the Economi cal the political struggle of Uganda that the Congress mother of the Uganda's Politics was born in 1952 ».

It was whole heartedly supported by African farmers traders and business men. Teaching the ordinary folk politics it was recognised and supported through out the country as the only National Liberation Movement till 1956 when the imperialists sponsored anti-Nationalist-Parties which are however of a big significance in the country.

The Honorable Ignatius K. Musazi the present President General of the Uganda National Congress was the founder of the Congress. President of the Federation of Uganda African Farmers. Mr. I. K. Musazi, presides also over half a dozen other organisations. Having been involved in Politics local and International before any body else in Uganda, Mr. Musazi represented Uganda as early as the thirties in Conferences specifically dealing with colonial peoples and workers Unions. He was a well known leader in the African Congress in England. Mr. Musazi, an International Personality, has attended more world gatherings in Africa, Asia and Europe than those of Other Political Leaders in Uganda put together.

Mr. Musazi though a farmers' Leader, he has no farm, having no time to farm, all Uganda farms are his. But he suffered more than anybody else at «The Bataka uprising in 1945 and 1949 ». Having been accused as the organiser of the movement, he was for long kept under House arrest. Mr. Musazi was the champion of the Return of H.H. The Kabaka for which he personally suffered.

Bataka means the owners of the Land or Soil or People of the Country.

Mr. Musazi has been severally imprisoned and exiled. He is married to his Party a full time politician and a single «penny» he has is for Party. A leading member in the Legislative Assembly the Hon. I. K. Musazi is a National Hero in the Uganda's struggle for Liberation and is respected by all from H.H. the Kabaka to the street sweeper ! If ever Uganda is to be liberated if it is not by Musazi, it will at least be by the fruit of the work of his whole political life.

Mr. A. K. Mayanja is one of the youngest Politicians Uganda has, also founder of the Congress, Mr. Mayanja having been expelled from Mekerere University in Uganda purely because of his leadership calibre, is still

The Leaders of the Congress

Uganda is renowned in the colonial office as a country of racial harmony and frienliness a place where the colour of one's skin has no significance. This description is partly right and partly wrong. Of Course it « significantly » matters to be a non-African in Uganda, whereas this colonial office description has its own merits and many « dismerits »; what is relevant to my writing now is the effect of the psychology of this theory on the Uganda people as a whole and the « National Leader » in particular.

Consequent to the indirect rule necessitated by the Uganda Agreements with the British Government. The mass bulk of he people, with significant exceptions of the uprisings in 1945 and 1949 of the Bataka, have not yet, because I hope they will, made a nation-wide revolt against the colonial regime. Up country land cultivators and partoralists even saw no harm of the European stay in Uganda. No doubt they don't like him. They regard him as an accidential, but not necessary evil who may or may not quit. You will notice here a significant difference between the ordinary folk in Kenya and Uganda.

The intellectual elites initially and even to a big extent now hardly show any difference of view from the simple up country folk. This intellectual's education was prejudicial to his culture and civilisation. It is impressed that he was a barbarian and now he is being civilised. He leaves school and is given a mechanical job, say fitting or typewriting. If a mistake were found in the original draft he would on all probability copy the same. This intellectual Uganda citizen though may not know what politics is, he is to make assurance doubly sure, sworn never to participate in politics. He is therefore, apart from knowing how to read and write no better than his up country brother in the field or grazing cattle.

This situation creating an upper class had to be redeemed by a commercial and forming middle class.

It is « when the Federation of African farmers demanded a fair portion in the National Economy of the country and requested to export their own



جنى القطن فى تنجانيقا
COTTON PICKING IN TANGANYIKA

rd. YEAR

No. 16 - MARCH 1959



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- Unfortunate Agreement.
- Africa and Egypteology.
- Light Thrown on Cameroon.
- Popular Literature in Sudan.
- National Leader Banda.

السنة الثانية
العـــدد ١٦ : مارس ١٩٥٩

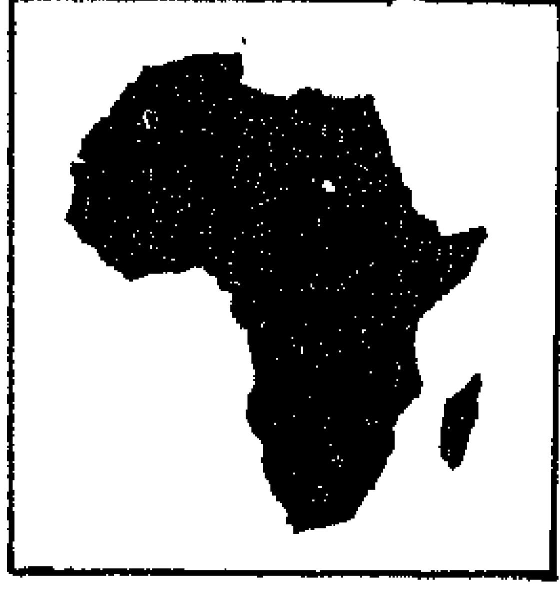


نهضة أفريقية

فى هذا العدد



ما زالت الثورة في الكونغو



نهضة أفريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعي القومي الافريقي .

٢ ــ التعارف بين الافريقيين في مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التي تهم كل أفريقي في مجاله الحيوي .

وللمشتركين الحق في :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام ، وكذلك المطبوعات التي تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

- **ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .**
- **ليس من الضروري أن تكون المقالات التي تنشر في هذه المجلة معبرة عن رأيها .**

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية ٥ شارع أحمد حشمت ــ الزمالك ــ القاهرة ــ تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨ أقليم مصر بالجمهورية العربية المتحدة .

ترسل اشتراكات المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك السنوي :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

جاءت الانباء أن «جومو كنياتا» استدعى لسماع شهادته من جديد بعد أن اعترف ((ماشيار)) أن البريطانيين حرضوه ليشهد ضد الزعيم الكيني في القضية التي حكم عليه فيها بالسجن سبع سنوات .

وأنهم عقدوا المحكمة في ((كيتال)) التي تبعد عن ((نيروبي)) ٢٠٠ ميلا ، حتى لايرى الشعب زعيمه وهو في شموخه رغم الحديد الذي في يديه ، والاصرار الذي يكسو وجهه ! ! ..

ولكن الشعب كله تحول الى عواطف قوية أحاطت بالزعيم وهو يخترق باب السجن ! وهو يحشد في عربة ! وهو يضغط في قضبان ! ..

ولقد أحس الزعيم بهذه العواطف وباركها . أحس عواطف قبيلة ((الكيكويو)) وهي تنعقد فوق راسه كغار وشعر بنسمات ((الارض العلية)) التي كانت يوما لاسرته ثم اغتصبها البيض وعانق حزن الرجال السود المكدودين الذين يضربون الارض في عناد وهم يغنون أغنية تلدر ... عودته . ومن بعيد جاءه صوت الاغنية « وحينما تعود ياجوموكنياتا .. يامن يدل اسمك على الحرية الملتهبة ستزدهر حقول الكاكاو .. وتنام العيون المفتوحة بعد أن تكون قد ضمت على كل كينيا أهدابها .. ومن سيموت منا قبل أن يراك فسيلقن أغنية عودتك لطفلة ! ! »

ويصفو وجه جومو، وترق ملامحه فاذا به شيء كبير كالوطن ، قوى كالشعب . عنيد كافريقية . واذا به يشعر أنه هو الذي يحاكم المستعمرين في بلاده ، وانه هو الذي يضعهم خلف القضبان ، وانه لم يبق لهم في بلاده الا صيحة أمام رمح ! وصرخة تجاه حربه !

عبده بدوى

محتويات العدد

المشاركة الملعونة

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

لم يفاجأ المتتبعون ليقظة أفريقية، وزحفها المظفر المتلاحق الخطوات الى التحرر وتقرير المصير ، بما يحدث فى هذه الايام فى اتحاد افريقية الوسطى الذى يضم روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند . ذلك الاتحاد الذى يعتبر تجربة بريطانية مبتكرة فاشلة ، كانت وما تزال تهدف الى افناء الشخصية القومية فى افريقية الوسطى ، واعداد ثلاثة أقاليم غنية واسعة من صميم هذه القارة ، لكى تكون لقمة شهية دسمة للمستوطنين البريطانيين .

ويعتبر اتحاد افريقية الوسطى تجربة مبتكرة ، لان البريطانيين يحاولون ، على سبيل التعمية ، أن يوهموا الرأى العام العالمى بأنهم صادقون فى تظاهرهم بالسخط عما يجرى فى اتحاد جنوب أفريقية من تفرقة عنصرية وأنهم — أى البريطانيين — لايريدون تكرار تلك المأساة فى منطقة الروديسيات المجاورة، وانهم لذلك يتقدمون الى أبناء القارة السوداء المضطهدة بمشروع **((اتحاد))** انسانى ينبذ التمييز ويقوم على أساس **((المشاركة))** .

لقد تفتقت عقلية وزارة المستعمرات البريطانية عن هذه الفكرة العبقرية منذ خمس سنوات ، فأعلنت ، دون استشارة الاهالى الافريقيين ، انها قررت ضم محمية نياسالاند ومحمية روديسيا الشمالية واقليم روديسيا الجنوبية المتمتع بالحكم الذاتى تحت الاشراف البريطانى ، فى اتحاد يسمى ((اتحاد افريقية الوسطى)) ووضعت لهذا الاتحاد دستورا (صنع فى لندن) وتضمن عبارات براقة عن حكم الاتحاد فى ظل **((المشاركة))** بين الاهالى السود والمستوطنين البيض .

ولقد بنى هذا الاتحاد فى الواقع ، على خيالات وأوهام ، فان المناطق الثلاث التى يضمها الاتحاد لايكاد يربطها رابط الا مجرد ((المجاورة)) فبعضها يختلف عن بعض اختلافا بينا ، فى اللغة والدين والتقاليد ، والانظمة القبلية، بل يختلف فى طبيعة الارض وثروتها وحاصلاتها . ولم يكن يربط بينها الا وقوفها جميعا بين مخالب الاستعمار البريطانى ، ذلك الاستعمار الذى امتهن سمعة اقليمين من أقاليم ((الاتحاد)) بأن نسبهما الى الاستعمارى المغامر ((سيسيل رودس)) فسمى أحد الاقليمين ((روديسيا الشمالية)) وسمى الآخر ((روديسيا الجنوبية)) .

وقد ابتلى كل أقليم من الاقاليم الثلاثة بمصائب مختلفة أيضا ففى روديسيا الشمالية احتكارات مناجم النحاس ، وفى روديسيا الجنوبية احتكارات مناجم الفحم وسيادة

الاقطاع ، وفي نياسالاند ، التي تشبه في طبيعة أرضها مرتفعات كينيا المعتدلة المناخ ، والتي تزخر جنباتها بالهضاب والوديان والبحيرات والمراعي، يستولي سبعة آلاف أوروبي على الثروة الزراعية والحيوانية التي ينتجها نحو ثلاثة ملايين افريقي .

لقد نبت هذا الاتحاد في رءوس المستوطنين البيض هم ورجال وزارة المستعمرات البريطانية ، ولم يدر قط بخلد الافريقيين الذين خلصتهم بريطانيا ، فيما تزعم ، من أيدي تجار الرقيق ، لكي تستخدمهم هي فوق أرضهم رقيقا مسخرين ، ولكي تضرب حولهم من حجب الجهل والتأخر مايصدهم عن ادراك حقهم في الحياة . وقد بلغ من كثافة تلك الحجب ان اقليما خصبا غنيا بموارده مثل « نياسالاند » لم يتأهل من بين ملايينه الثلاثة سوى طبيب واحد ومحام واحد .

ومهما يكن الامر فقد تقرر أمر الاتحاد منذ خمس سنوات، وأصدرت لندن قراراتها لفرضه على المناطق الثلاث ، وأعلن دستور « المشاركة » البراق وبدأت التجربة ، التجربة التي قدرت لها بريطانيا ست سنوات، تنتهي في العام القادم ، وتجرى بعدها انتخابات تقرر المصير النهائي للاتحاد .

لقد وضع الدستور أمانة في أيدي المستوطنين البيض (ولا يزيد عددهم في روديسيا الشمالية عن مائتي ألف، وفي روديسيا الجنوبية عن مائة ألف، وفي نياسالاند — كما ذكرنا — عن سبعة آلاف) وسرعان ما انحسر القناع الاستعماري عن مواد الدستور الأساسية عند التطبيق ، فان قيام الاتحاد وأجهزته التشريعية والتنفيذية يستلزم انتخابات عامة ، ولو أجريت انتخابات حرة لفاز مرشحو الملايين من الافريقيين ، قطعا ، على مرشحي الحفنة من المستوطنين البيض . ومن هنا بدأ الخداع والنفاق والالتواء ، فوضعت السلطات البريطانية قانون انتخاب عجيب ، يقرر أن حق الانتخاب مكفول للجميع ، من ناحية المبدأ ، ولكنه يشترط شروطا خاصة فيمن يتاح له الاستمتاع بهذا الحق بالفعل.

وكان أهم شرط يحقق المؤامرة المقصودة هو توفر مستوى اقتصادي معين لمن يمارس حق الانتخاب (بحيث لايقل دخله عن ٧٠٠ جنيه سنويا) .

وسرعان ماتبين الأثر المجحف الفظيع، فأين ذلك الافريقي الذي يتوفر له هذا الدخل في نياسالاند والروديسيات ؟ بل أين ذلك الافريقي الذي يبلغ دخله سبعين جنيها فقط في العام ..؟

ان أرقى مستوى اقتصادي للافريقيين في المناطق الثلاث هو مانجده في روديسيا الشمالية بين عمال مناجم النحاس ، فان العامل الوطني في تلك المناجم يتقاضى نحو ستة جنيهات شهريا (في حين يتقاضى العامل الأوروبي نحو تسعين جنيها بين مرتب ثابت وعلاوات متنوعة) فكيف يستطيع مرشح أفريقي أن يجد له مؤيدا واحدا بين الناخبين ، وكيف ينفذ وطني واحد الى مجالس البرلمان فضلا عن الادارات الحكومية الكبرى ومجالس الوزراء ..؟

وتمت هذه المهزلة الأولى حينذاك، وجاءت بعدها مهازل كثيرات ، فقد تكونت في الاقاليم الثلاثة هيئات حاكمة « بيضاء » وعلى الرغم من قيام « الاتحاد » فقد كانت هنالك حكومات متنافرة ، فاقليم روديسيا الجنوبية له حكومة بيضاء ذات استقلال داخلي، أي تتمتع باختصاصات داخلية واسعة النطاق ، وروديسيا الشمالية لها وزارة بيضاء ، ولكنها تتمتع داخليا ، باختصاصات أقل ، لأنها لم تبلغ ، في عرف بريطانيا ، مرحلة الحكم الذاتي،

ولهذا تحتفظ لندن بنصيب كبير من الاشراف على شئونها الداخلية .

أما نياسالاند ، فهى على الرغم من عضويتها فى الاتحاد محمية بريطانية ، تدار رأسا من وزارة المستعمرات (ويحكمها الآن أحد حكام قبرص السابقين ، وهو السير روبرت أرميتاج) .

وفوق هذه الحكومات المتباينة تتربع وزارة اتحادية ، تدعى الهيمنة على شئون الاتحاد والسهر على تحقيق مبدأ المشاركة الذى تجلت أولى بشائره فى قوانين الانتخاب ...

لقد هزت خيانة بريطانيا والمستوطنين البيض لمبدأ المشاركة ضمير الافريقيين فى الاقاليم الثلاثة فهبوا يقاومونها ، بوسائلهم المحدودة ، بعد انقضاء فترة قصيرة على قيام الاتحاد ، فرأينا اضرابات العمال فى مناجم النحاس بروديسيا الشمالية ، ورأينا المظاهرات الصاخبة فى روديسيا الجنوبية ونياسالاند ، وتمخض السخط عن تكوين هيئات وطنية تسعى الى فصم عرى ذلك الاتحاد الاثيم الذى يرمى الى تمكين سرطان الاستيطان فى كيان البلاد واكسابه صفة شرعية دولية ، واتخذت تلك الهيئات لنفسها اسما موحدا أصبح شائعا بين الهيئات الافريقية المناضلة هو « حزب المؤتمر الافريقى » .

وأخذ كل « مؤتمر » من هؤلاء يعبىء جهوده مستعينا فى بعث الروح الوطنية بما تتخذه حكومات الاتحاد « البيضاء » من تدبيرات وحشية دكتاتورية ، مقتبسة ، من قوانين اتحاد جنوب افريقية ، ذلك الاتحاد الذى لم يلجأ قادته البيض المتوحشون الى النفاق بل أعلنوا التمييز العنصرى ، بلا مواربة ولا حياء .

والآن ، وقد أشرفت فترة التجربة على الانتهاء ، وأخذت وزارة المستعمرات البريطانية تتهيأ لتوجيه الضربة القاضية الى الأقاليم الثلاثة ، بربطها فى أصفاد الاتحاد ، قامت الجماهير الافريقية تزأر فى وجوه المنافقين المستعمرين الدخلاء ، فتردد ذلك الزئير مفزعا فى أسماع لندن ، وفى أسماع المستوطنين على حد سواء .

لقد انتشر « **الغليان الشعبى** » فى الروديسيات ، وقامت الجماهير التى حرص الاستعمار على ألا يصل الى أيديها غير الحجارة والهراوات ، بالمظاهرات الصاخبة ، وسارعت حكومة المستوطنين الى اطلاق المدافع والقنابل الفتاكة ، وخرت الضحايا صرعى ، وتفرقت الجماهير لتعود فتتجمع وتقدم المزيد من التضحيات .

أما فى نياسالاند فقد كان السيل أشد تدفقا وافزاعا للمستوطنين ولوزارة المستعمرات ، اذ عاد اليها ابنها وزعيمها « **دكتور باندا** » بعد غيبة استطالت أربعين عاما ، وما ان وطىء الدكتور باندا ثرى نياسالاند حتى أحاط به الصحفيون الاوربيون ، واستجوبوه : قل لنا كيف أنت بين الساسة الافريقيين ...؟

وأجاب الدكتور باندا ، وعلى وجهه ابتسامة اليقين :

« **اكتبوا : اننى من غلاة المتطرفين .!** »

وأثبتت الافعال فيما بعد ، أنه القول الفصل ، وما هو بالهزل ...

فقد اندلعت نيران الوطنية فى نياسالاند ، وتدفقت الكتل البشرية لايقاع الخلل فى الحياة العامة التى فرضها المستوطنون وأنسوا اليها ، وسارع الحاكم البريطانى فأعلن حالة الطوارىء وصدرت القرارات بحل أحزاب المؤتمر الافريقى فى الاقاليم الثلاثة ، وتدفقت النجدات العسكرية الاستعمارية على

نياســالاند ، ونفى الدكتــور باندا ، وأنشئت على عجل،معسكرات اعتقال فى المناطق النائية،وطار «اللورد بيرث» وزير الدولةلشئون المستعمرات موفدا من لندن لاستجلاء الحالةعلى الطبيعة، وسمع العالم كلهبالفظائع التى ترتكبها القوات الاستعمارية،لفرض «الاتحاد» بالقوة على شعوب أفريقية الوسطى.

لقد استخدم الحاكم البريطانى كل وسائل القمع والارهاب لاخمادالحركة الوطنية ، فلم يكتفبالبنادق والمدافع، بل أطلق طائرات « الفامبير » النفاثة على الافريقيين المجاهدين ، وحشــد – على ماروته مجلة تايم الامريكية – الفرق العسكرية لمجابهــة الثــائرين المجردين من السلاح :

فرقة البنادق الافريقية الملكية .
فرقة البنادق الروديسية .
الفرقة الملكية الروديسية .
فرقة جنوب أفريقية البوليسية .
سلاح الطيران الرودي سى الملكى .
فرقة تنجانيقا البوليسية .
فرقة بوليس نياسالاند .

ومع كل هذا تأتى الانباء من نياسالاند المجاهدة بأن كل أوروبى هناك ، ينام ويده على مسدســـه ، وأن الاسر الاوروبية المذعورة أخذت فى الهجرة أفواجا الى بريطانيا ...

ومع ان الدكتور باندا قد اختطفه سير أرميتاج فى ظلام الليل ، وهــو يرتدى ملابس نومه ، وعلى الرغم من حل ((المؤتمر الافريقى)) واعتقــال أعضائه والقذف بهم فى المعتقلات فان هناك حقيقة أصبحت الآن على مرمى البصر ، وهى أن اتحـــاد أفريقيــة الوسطى قــد انحلت عراه ، وتداعت أركانه،وأصبح مصيره فى يد الوطنيين الافريقيين.



شخصية الغد

الزعيم "باندا"

للاستاذ عبده بدوى

سعد العالم فى هذه الايام باكتشاف منجم جديد فى القارة الافريقية . منجم يتوهج بكنوز الشعب ، ويتألق بأعماقه ، ويدوى بقواه ، ذلك لان هذا النوع من المناجم لم يستطع الاستعمار التنقيب عنه ، واستنزاف مقوماته لانه «منجم بشرى» من هذه المناجم الانسانية التى لاتتفتح الا على أيدى الشعب . حينما يتجمع شوقه، ويزداد حنينه الى الحرية ، والنور ، والغد !

ولقد عاش شعب «نياسالاند» مدة كبيرة فى البحث عن الرجل القوى الذى يستطيع حمل مشاعر مليونين ونصف من السكان ، وأشواق وطن استبيحت كرامته بحيلة بريطانية وضيعة . ذلك لان «**سيسل رودس**» حينما تمكن من عقد اتفاقية عام ١٨٨٨ مع ملك روديسيا الافريقى « لوبنجيولا » ، وقبل أن يخوض من أجل الشركة التى أقامها حرب « المتابيلى » عام ١٨٩٣ ، ويصير الوحيد فى تاريخ العالم الذى يطلق اسمه على روديسيا الشمالية ، وروديسيا الجنوبية .

حينما كان « رودس » فى حومة هذا الصراع فكر فى ضم «نياسالاند» الى الحماية البريطانية . ومن هنا أرسل « هارى جونستون » الى هذه البلاد ، وزوده ، بمبلغ ١٠٠٠٠ جنيه وقد تمكن بواسطتها «هارى جونستون» من اغراء رؤساء القبائل بقبول



الزعيم باندا

الحماية البريطانية ، وكان أن عقدت هذه المعاهدة بينهم وبين الملكة (فيكتوريا) وأصبحت (نياسالاند) تحت حماية بريطانيا .

ولا شك أن هذه الحقائق التاريخية كانت تؤرق الجيل الجديد من الشبان فكانوا يجمعون فى صدورهم سخط الشعب وحقده ، وكانوا ينسجون فى بطء وحكمة كلمة « أوفولو » التى تدل فى لغتهم (النيانجية) على (الحرية) .

وكأنما أحس البريطانيون بوميض هـذه الكلمة فى عيـون الشـعب . فأرادوا فى عام ١٩٥٣ أن يربطـوه بمصير روديسيا الشمالية، وروديسيا الجنوبية فى اتحاد يضم مصير هـذه الشعوب الثلاثة ويسمى اتحاد وسط افريقية الفيدرالى .

وكان أن قامت فى (نياسـالاند) معارضة قوية لهـذا الاتحاد . وتبرع الشعب الفقير بمبلغ ١٩٦٧ جنيهـا لارسال وفد يتحدث فى هذا الامرالى **الملكة (اليزابيث) ولكنها رفضـت مقابلته .**

وأخرجت هـذه الثـورة من بين الصفوف زعيمـا شعبيا يسـمى **((فيليب جومانى)) يدعو فى البلاد الى فكرة ((العصيان المدنى)) .**

فلما ضيقت عليـه الحكومة تمكن من الهـرب الى « أنجولا » ولـكن البرتغاليين ردوه الى البلاد . وبينما كانوا يعدون الامر للحكم عليه بالاعدام مات موتا طبيعيا .. وبموته تلفتت البلاد حولها تبحث عن رجل يستطيع أن يردد كلمة « أوفولو » وأخيرا وجدته بعيدا عن البلاد . فتوجهت بقلوبهـا اليه حتى اسـتطاعت أن تعود به الى معركة التحرير التى تقودها البلاد .

وتجمعت حول نفسها «نياسالاند» وراحت تجمع ذكرياتهـا عن الدكتور (هاستنجزباندا) فرأته طفلا صغيرا يقاسى حياة خشنة مع والديه الفقيرين ورأته يهرب على قدميه حتى يصل الى جنـوب افريقيـة ، وهنـاك فى (جوهانسبرج) كان يكدح مع اخوانه الافريقيين فى قلب المنـاجم ليعطوا للمسـتعمرين الذهب ، وليتسلموا نقودا ضئيلة يستعينون بها على الحياة!

وبالرغم من أن والده بكاه كثـيرا واعتقد أنه حين تغلغل فى الغابة قـد أصبح طعاما للوحوش الا أن الوطن كان يحس أنه سيكون له دور كبير فى تحرير البـلاد . فقد تابع خطواته خطوة خطوة . ورآه يقتر على نفسـه ليتجمع لديه بعض المـال . فلمـا تحققت له هذه الرغبة توجه الى أمريكا حيث قضى بهـا اثنى عشر عاما قضى أكثرها فى دراسة الطب ، ثم التحق بجامعة (أدنبرة) ، وأخيرا باشر عمله كطبيب فى ضاحية من ضواحى لندن .. وقد بادل بلاده هـذه العواطف فكان دائما على اتصال بقضـاياها ، وقد تكلم بلسانها فى لندن معارضا فكرة الاتحاد الفيدرالى حينما كان يقيم فيها .

ثم سافر الى غانة ودرس مع نكرومة فكرة التحرر الافريقى وعاد ثانية الى لنـدن وكان له من الآراء ماجعـل الاحزاب السياسية فى البلاد تستلهم منه الكفاح والعزم على تخليص البلاد من أيديهم ، ولما تحقق هذا الاصرار فى أنفسـهم أرسـلوا اليه باسـم (نياسالاند) ليتولى حركة التحـرير بنفسه ، وكان أن عاد الى الوطن فى ١٠ يوليو سنة ١٩٥٨ .

ولما ألقوا على كتفيه معطف الزعامة التقليدى المصنوع من جلد القط .. أحس أن بلاده كلها تضمه الى قلبهـا فى حب ، وحنـان . وكان أن تألقت الدموع فى عينيه ، ولكنهـا سرعان ماتخلت عن مكانهـا لوميض قوى من الاصرار أمام الكتل الصوتية الموحدة التى تتلاقى جميعا فى كلمة **((أوفولو))** .

.. وها هو اليوم قد وفى بوعده لبلاده ، واستطاع أن يجعل كلمـة الحرية على كل لسان . ولكن هـذه الكلمة اذا كانت اليـوم غاضبة ثائرة وهى تنطلق فى وجوه الانجليز ، فانها سـتكون غـدا أغنيـة رقيقـة تتغنى بالخصب ، والجمال ، والسلام .

أغنية تبدأ بكلمة ((أوفولو)) .

وتنتهى بكلمة ((هاستنجزباندا)) .

افريقية والدراسات المصرية القديمة

للدكتور احمد فخرى

منذ بدأ الاهتمام بالقارة الافريقية تنافست الدول المختلفة فى ارسال البعثات الى مختلف انحاء تلك القارة، وليس يعنينا فى هـذا المقال امر تلك البعثات التى ذهبت الى هناك لاستغلالها ، أو دراسة طرق ووسائل استغلالها او اخضاعها ولكن يعنينا أمر نوع معين من تلك البعثات ، كان يقتصر فى الغالب على فرد واحـد فقط كان يذهب لدراسة منطقة من المناطق دراسة اثنولوجية او انتربولوجية ويقيم بين السكان وقتا كافيا يسجل فيه شيئا من عاداتهم وطرق حياتهم وصناعاتهم ودياناتهم، ويجمع الكثير من أدواتهم التى يستخدمونها فى حياتهم اليومية او فى غير ذلك من الاغراض ويحصل على مجموعات يحملها الى متاحف بلاده ومعاهدها ٠

كانت تلك المجموعات هى أول شيء لفت انظار علماء الدراسات المصرية القديمة الى تشابه بعض ماتستخدمه تلك القبائل الافريقية حتى الآن مع ماكان يستخدمه قدماء المصريين منذ آلاف السنين سواء فى أدوات الموسيقى او فى بعض ادوات الزينة ، او فى اثاث المنزل او الادوات المستخدمة فى الخدمة الدينية ٠

وكان الامر فى القرن الماضى وفى الربع الاول من هذا القرن يقف عند ذلك الحد اذ اقتصر ماكتبه الباحثون على ذكر تلك الملاحظات او مقارنة الادوات بعضها ببعض ٠

ومنذ قيام الحرب العالمية الاولى اخذت هذه الناحية من الدراسات الافريقية تزداد أهمية ، ولم يعد أمر المقارنة بين الحضارة المصرية فى ايام الفراعنة وبين الحضارة التى مازالت سائدة بين بعض القبائل الافريقية مقصورة على المظاهر المادية وهى الادوات بل تعدتها الى ماهو اهم من ذلك فشملت العادات والديانة واللغة والفنون الشعبية ٠ وهنا ظهرت حقائق هامة كثيرة فمامن شك فى ان هناك بعض وجوه الشبه والمقارنة بين بعض اللغات التى مازالت باقية حتى اليوم يتكلم بها الناس وبين اللغة المصرية القديمة ٠ بل هناك ماهو اهم من ذلك ، فقد اتضح من تلك الدراسات وجود شبه بين الطقوس الدينية فى تنصيب ملوكهم او زعمائهم وبين الطقوس التى كانت معروفة لدى المصريين القدماء وبذلك امكن تفسير الشيء الكثير مما كانت تنقصنا معرفته عن تلك الطقوس فى عهد قدماء المصريين ، وبعبارة اخرى أصبحت الدراسات الافريقية مصدرا من المصادر التى يتحتم على علماء الدراسات المصرية القديمة أن يلجأوا اليه لتفسير بعض النواحى التى يصعب عليهم فهمها ٠

ولكن افريقية واسعة ممتدة الاطراف فأى مناطقها نقصد ؟ والجواب على ذلك أن افريقية كلها ميدان واسع

لتلك الدراسات فعلى طول مجرى النيل وفى شرقى افريقية وفى وسطها وفى غربها توجد القبائل المختلفة تلقى شيئا من الضوء على موضوع من موضوعات الحضارة المصرية واذا تساءلنا مرة ثانية عما اذا كانت هناك منطقة معينة اهم من غيرها فسنجد انفسنا فى حيرة عند الاجابة على هذا السؤال لان حظ بعض المناطق او القبائل من عناية الباحثين كان اكثر من غيره ، بل ان هذا البعض القليل الذى نال شيئا من عناية الباحثين مازال ينقصه الكثير، ولكن بالرغم من ذلك كله يمكننا ان نقول ان قبائل غرب افريقية مازالت تحتفظ بكثير من العادات والطقوس التى ستفسر لنا الكثير من الطقوس المصرية وتوضح لنا ماوصل الى أيدينا من دراسة الآثار المصرية والنصوص المصرية وبعض المناظر الدينية الغامضة التى وردت على جدران بعض المعابد او المقابر ٠

وقد اهتم بعض علماء دراسات الشعوب وبخاصة المرحوم الدكتور س ٠ ج ٠ سليجمان بعمل بعض المقارنات فى بحوثه الكثيرة وخصوصا فى محاضرته التى ألقاها فى جامعة ليفربول فى عام ١٩٣٣ ثم نشرت فى كتاب صغير تحت عنوان « مصر وزنوج افريقية » التى خصصها لموضوع تأليه الملوك، كما اهتم آخرون وعلى الاخص تلاميذ سليجمان وبعض المختصين بدراسة اللغات الافريقية من الالمان والنمسويين بعمل المقارنات ولكنا مازلنا فى اول الدرب وامام الباحثين فرص كثيرة لاحصر لها نرجو ان يقوموا بها قبل فوات الاوان واهمال تلك القبائل لعاداتها التقليدية التى احتفظت بها منذ آلاف السنين ٠

وكثيرا مانبهت طلابى الى تلك الحقائق وكنت ارجو ، بل مازلت ارجو ، ان يهتم بعضهم بهذه الناحية من الدراسة التى تحتاج الى كثير من الصبر وطول البحث، ولكنها تحتاج بدون شك الى زيارة تلك المناطق والاقامة فيها بعض الوقت وهو امر لايمكن تحقيقه دون عون مالى وأدبى من الهيئات العلمية وهو مالم يتيسر لهم حتى الآن ٠

كنت أقرأ أخيرا أحد الكتب وعنوانه « افريقية تدق طبولها » الذى نشره مؤلفه ريتشارد سينت بارب بيكر فى عام ١٩٤٣ عن ذكرياته فى افريقية خلال السنوات التى أقامها هناك فى شرقى أفريقية وغربها فى المدة بين عامى ١٩٢٧ و ١٩٣١ عندما كان يعمل مفتشا وخبيرا للغابات وكان يعيش بحكم عمله بين الاهالى فى المناطق النائية داخل الغابات، وقد استرعى انتباهى بعض ماذكره عن مشاهداته، ولكن الموضوع الذى اهتممت به اكثر من غيره ماذكره عن ملك منطقة تسمى «بنين» فى نيجيريا اذ أن ملكها ويسمونه الـ « اوبا » مازال يعتبره السكان شخصا له صفة الالوهية ولايظهر لشعبه الا مرتين فقط فى كل عام احداهما فى العيد الاكبر للناس ويقع فى شهر نوفمبر فى عيد رأس السنة عندهم ويسمى «انعاش الاب» وكانت تجرى فيه سلسلة من الطقوس لتمجيد ذكرى والد الاوبا وأهم مافيه ارسال الرسل مع التمنيات الطيبة والتحايا الى روح أبيه فى عالم الموتى، والى أرواح الموتى الآخرين وفى بعض الاحيان الى الآلهة الاخرى التى يرجون منها الخير فى نزول المطر والى اله الشمس والى « اوجيو » الاله الذى يهب الناس الصحة والعافية ٠

ففى هذا العيد ويظهر الملك للناس وهو يلبس الملابس الفاخرة المطرزة بالذهب والفضة وحول وسطه نقبة طويلة واسعة مصنوعة من آلاف

حبات المرجان ، وكان الناس يأتون من كل صوب من أطراف مملكته ويجتمعون فى ساحة فسيحة على مقربة من قصر الملك ، ليشهدوا ارسال الهدايا الى الملك المتوفى وكان من بينها بعض المتطوعين من الارقاء وأسرى الحرب الذين كان يبعث بهم الى عالم الموتى يحملون الهدايا ومعهم الخيول والماشيه وبعض الماعز والطيور ليقدموها الى روح ابيه .

يبدأ الجلادون الرسميون للاوبا بقطع رءوس الحيوانات ويلقون بتلك الحيونات فى حفرة عميقة ثم يردفون ذلك بصناديق من زجاجات الخمر والمناديل وقطع الثياب الحريرية والبيض والندرة وجميع انواع المآكل التى يعتقدون ان الملك المتوفى فى حاجة اليها فى عالم الارواح .

وبعد ان يتم ذلك يخاطب الملك بصوت رقيق من تطوعوا لحمل تلك الهدايا وهم يجلسون فى صف أمام بوابة القصر ويقول لهم :انه يرسلهم برسالة الى أبيه ويرجو منهم ان ينقلوا تحياته الى روحه ويقولوا لها ان ابنه لم يستعد بعد للحضور اليه بنفسه لينفذ اوامره . وكثيرا مايحدث اذ ذاك ان واحدا او اكثر من أولئك المتطوعين يغير رأيه فى اللحظة الاخيرة فيقفون على اقدامهم ويخاطبون الملك قائلين انهم يفضلون البقاء وقتاأطول وان الوقت لم يحن بعد ليحملوا رسالته الى ابيه فيسمح لهم بالانسحاب وعند ذلك يسرع غيرهم من الرقيق المتقدم فى السن ليأخذوا اماكنهم . ثم تبدأ بعد ذلك عملية القتل فيتقدم الجلاد الرسمى الاول وفى احدى يديه سلاح حاد مثبت بطوله فى عصا من خشب وفى يده الاخرى مايشبه دبوس القتال فيضع السلاح أسفل عنق الشخص المتطوع للموت من الخلف ، ثم يضرب فوقه بالدبوس ضربة قوية تقطع السلسلة الفقرية ، ويكرر ذلك فى عدد قليل محدود من الافراد ثم يتقدم بعد ذلك مساعدوه فيضعون الحبال فى اعناق وأيدى وأرجل الآخرين ويقطعون اعناقهم بالسيوف وبعد ان ينتهوا من عملهم يجمعون تلك الجثث ويلقون بها فى الحفرة العميقه . ويسمون هذا التقليد « العادة العظيمة »وكانت تقام على نطاق واسع مرة واحدة بعد وفاة الملك ، وعلى نطاق ضيق فى كل عام ، وكان اكثر الاشخاص الذين يرسلون فى كل عام الى عالم الارواح ليحملوا الهدايا الى الملك المتوفى من اسرى الحرب ومن المجرمين والخارجين على الملك الذين كانوا يفضلون الموت على هذا الاسلوب خيرا من قتلهم بصورة اخرى لان فى ذلك عزاء لانفسهم بأنهم قد كفروا عن ذنوبهم ، وأن آلامهم فى هذه الدنيا قد انتهت،وستعيش أرواحهم فى خدمة الاوبا الذى حملوا اليه الهدايا ..

ومنذ اتمام خضوع تلك البلاد النفوذ الاوروبى لم تسمح السلطات بقتل الاشخاص ، فاستمرت العادة كما هى ولكن مع تعديل طفيف وهو قتل بعض التماسيح بدلا من الاشخاص .

هذا ماكان مباحا للملوك « بنين » وحدهم، اما الافراد فكان لهم شأن آخر . لقد كان الواجب يحتم على الابن الاكبر للميت ان يقوم ايضا بمراسيم عادة « انعاش الاب » او الطقوس الجنازية لان الاهالى يعتقدون ان الروح لايمكن ان تهدأ او تستقر مالم يقم لها هذا الاحتفال . انهم يدفنون الميت طبعا فى اليوم التالى لوفاته ثم تأخذ العائلة بعد ذلك فى الاستعداد للاحتفال فتتكبد ماتتكبد من مصاريف،بل تستدين للقيام به.

أما يوم الاحتفال فربما يكون بعد شهور او عام او عامين حسب استعدادهم المالى .

وهم يعدون لهذا اليوم كميات كبيرة من الاكل والخمور (ويفضلون الآن شراب الجن) ويحتسون منه الشيء الكثير قبل السير فى موكب الاحتفال لانه مالم يكن كل المشتركين فى الموكب فى حالة سكر شديد لايكون الاحتفال ناجحا ولاتكون الروح مستقرة أو تشعر بأنها دفنت على الطريقة الصحيحة .

يبدأ الموكب من بيت الابن الاكبر، فيمشى هو فى مقدمة الجميع يحمل فوق رأسه صندوقا خشبيا جميل الصنع ويشبه المذبح فى شكله ويغطى بأفخر أنواع الاقمشة المزخرفة فيمر بالبلدة كلها يتبعه المشتركون فى الاحتفال من الاهل والاصدقاء ويسيرون وهم يترنحون سكرا ويكررون الاغانى ، ولاينظر الناس الى الابن نظرة احترام حتى يقوم بأداء هذا الواجب نحو روح ابيه مهما كلفه من نفقات، وكثيرا ما يستدين الابن او يبيع بعض مايملكه فى سبيل ذلك .

ويستطيع القارىء ان يدرك قيمة هذه الملاحظات للمشتغلين بدراسة الآثار المصرية اذا عرف أن عادة قتل بعض الاتباع ودفنهم مع الملك سواء أكان بعضهم مع بعض ام فى مدفن مستقل لكل واحد منهم — كانت معروفة فى مصر حتى الاسرة الاولى فقط ،ومع شيء من الشك فى الاسرة الثانية ، ولكن المصريين لم يستمروا على ممارستها لاجل ملوكهم بعد ذلك، وان كانت قد استمرت فى جنوبى مصر، اذ نعرف انها كانت حتى بداية الاسرة الثانية عشرة اى فى القرن العشرين قبل الميلاد معروفة فى دنقلة وأنه عندما مات زفاى حعبى الذى كان حاكما مصريا على المنطقة دفنوه فى كرما على حسب التقاليد المحلية هناك ودفنوا معه فى الدهليز الموصل الى مقبرته اكثر من مائتين يذكرهم الاثريون بأنهم خدمه وأتباعه ؛ كما نعرف ان تلك العادة ظلت مستخدمة ايضا بين قبائل البلمى حتى القرن السادس الميلادى على الاقل ، وهذه القبائل، وهى أجداد قبائل البشارية الذين مازالوا يعيشون حتى اليوم فى الصحراء الشرقية ، كانت تعيش او يعيش بعض منها فى جنوبى بلاد النوبة المصرية فى القرون الاولى من العصر المسيحى وقد عثر على بعض مقابر زعمائهم عند بلانة وعثر فى دهاليزها على خيولهم وبعض اتباعهم الذين دفنوهم معهم .

ويسترعى نظرنا أمران هامان اولهما : انه عندما حرمت السلطات الحكومية قتل الاتباع والمذنبين واسرى الحروب، لا الاتباع فقط ، لجأ الاهالى الى الاستعاضة عنهم بالتماسيح أو أى حيوان من الحيوانات . وفى مثل هذه الحالة لايمكننا ان نقول ان التمساح كان حيوانا مكروها او انهم يعتبرونه عدوا لانه فى مثل هاتين الحالتين لايمكن ان يرسله الملك يحمل هداياه الى ابيه .

اما الامر المهم الثانى فهو ان قيام الابن الاكبر للميت بعمل المأدبة الجنازية المليئة بالغناء والمرح وشرب الخمر وطوافه بأنحاء البلدة وهو يحمل صندوقا فوق رأسه ، انما هو نفس العادة بالنسبة الى الافراد لان كلتا العادتين لهما الاسم نفسه وهو « انعاش الاب » .

ولاشك انه يمكننا ان نربط بين طقوس تلك الاحتفالات فى « بنين » وبين مانعرفه عما كان يتبع فى دفن الملوك وفى تقديم القرابين لهم فى

مصر القديمة ، وفى الدور الذى كان يتحتم على الابن الاكبر أن يقوم به فى احتفالات دفن ابيه . كما نستطيع ايضا ان نربط بين تلك الحفلة الجنازية الصاخبة وموكبها وبين ما نعرفه عن الحفلات الجنازية فى مصر القديمة كما هى مسجلة على جدران المئات بل الآلاف من مقابر غير الملوك فى جميع عهود التاريخ المصرى القديم .

ان صفحات الكتب الخاصة بافريقية ملأى بأمثال هذه الملاحظات العابرة وهى تصلح بدون شك كبداية متى جمع بعضها الى بعض ثم درست تفاصيلها دراسة علمية صحيحة وقورنت بما نعرفه عن قدماء المصريين ولكن المشتغلين بعلم دراسة الشعوب معذورون اذا هم لم يدركوا أهمية العادات الافريقية فى تفسير ما غمض من عادات وطقوس المصريين القدماء فان مثل هذا الامر يجب أن يقوم به المشتغلون بالدراسات المصرية القديمة فيتخصص بعض منهم فى دراسة العادات والتقاليد والصناعات الباقية بين القبائل الافريقية فان ذلك سيلقى دون شك ضوءا على أشياء كثيرة نجهل تفاصيلها وأصلها . وكم أرجو مخلصا أن يتخصص أكثر من فرد واحد فى مثل هذه الدراسة .



أضواء على الكميرون

للعميد أ ح : محمد عبدالفتاح ابراهيم

تقول النشرة الدورية الشهرية للأمم المتحدة في العدد العاشر للمجلد الرابع (أبريل ١٩٥٨) :

« ان المسافر الذى يتجول فى الكميرون الفرنسى يلقى فى تجواله أرضا متباينة الصور حتى ليلقى هذا التباين أكثر مما يمكن أن يتوقعه لو انتقل من قارة الى قارة ، ففي الجنوب قد يشاهد محطة للقوى الكهربائية أوميناء من طراز حديث ، لخدمة سكان مدينة حديثة ومصانع كبيرة فى جوارها ، فاذا قطع بعض مئات الاميال للشمال ألفى أمامه غابات مليئة بالاشجار المشتبكة وفى جوارها أراض واسعة مليئة بالحشائش العالية ، وهذه وتلك تحفان بالصحراء الواسعة وهناك يجد بدلا من المدن قرى قد قامت كل أبنيتها من الطين المحترق ، وهنا يقابل رؤساء القبائل الذين يضعون فوق رءوسهم العمائم ، ويسدلون على أكتافهم القماش الابيض الذى يتدلى الى أقدامهم ، ويسمع الموسيقى التى تذكره وكأنه يعيش فى بلد اسلامى فى القرون الوسطى ، وسيجد المسافر أن الناس يتغيرون تبعا للبيئة الجغرافية التى يعيشون فيها ، وهنا لا يجد من يحدثه بالفرنسية ، بل سيلقى الناس الذين يعيشون تبعا لتقاليدهم المتوارثة فى نظام قبلى يرجع الى قرون وقرون » .

ولم تتعرض نشرة هيئة الامم فى عجالتها عن الكميرون ــ التى جاءت بمناسبة اتجاه لجنة الوصاية التابعة للهيئة لدراسة الموقف فيها ــ الى ماضى البلاد ، بل نظرت اليها بالصورة التى تنطبع لأول وهلة من النظرة العاجلة لحاضر قد أثر فيه استعمار طال خمسة قرون .

والواقع أن الكاميرون كانت فى القرن السابع الميلادى دولة ذات سيادة وتطور اقتصادى متقدم ، وكانت لها ثقافتها الخاصة ، وهى ثقافة أوضحت البحوث التى قام بها الكثيرون من علماء « الأنثروبولوجى » علم الانسان وأعماله ، أنها كانت منذ نشأتها وثيقة الصلة بمصر القديمة تبعا لانتقال الحضارة الى غرب افريقية عن طريق النيل الأعظم أو عن الطريق البرى فى الصحراء .

فلما كان القرن الخامس عشر الميلادى نزل الأوروبيون الألمان الأرض كمستعمرين ، لاستغلالها واغتصاب خيراتها ، فلما انتهت الحرب العالمية الأولى وهزمت المانيا قسمت الارض بين فرنسا وبريطانيا ، ولا تزال حتى اليوم تحت امرة الدولتين على نظام

« الوصاية » للأمم المتحدة ، ويتحكم في الأوروبيون الذين يمثلون جزءا من عشرين من جملة السكان في ثلثي الدخل القومي ، وبذلك يعيش الملايين الخمسة الذين يكونون أهل الكميرون في فقر مدقع محرومين حتى من الحقوق السياسية في أبسط صورها (١)

ولقد كافح أهل الكميرون ببطولة من أجل استقلالهم ، وقد حققت حركتهم التحريرية الكثير وبخاصة منذ تكوين « اتحاد أهالي الكميرون » في سنة ١٩٤٨ ، ومنذ ذلك التاريخ تولى الاتحاد قيادة الجماهير في كفاح مسلح ضد المستعمرين الفرنسيين ، وازدادت القوات الاهلية في السنوات الثلاث الاخيرة من المئات الى عشرات الألوف ، واتسعت منطقة حرب العصابات حتى غطت غربي الكميرون وشماليه ، وعبأت فرنسا الاستعمارية تجاههم ثمانين ألف جندي ، واعتقلت خمسين ألفا من الوطنيين في معسكرات الاعتقال ، ومع هذا لم تستطع القضاء على الثورة التي تجتاح البلاد .

وذبح المستعمرون « روبين أوم ثيوبي » زعيم حركة التحرير ، ومع هذا فقد أرغمت الدولتان الاستعماريتان — بريطانيا وفرنسا — على تحرير أرض الكمرون في أول يناير وأول أكتوبر سنة ١٩٦٠ على التوالي بالنسبة للقسم الذي تتولى كل منهما الوصاية عليه باسم الامم المتحدة .

على أن أهل الكميرون يذكرون أن فرنسا كانت قد وعدتهم بالاستقلال في سنة ١٩٥٥ ، ثم في سنة ١٩٥٩ ، ولكنها قد تراجعت عما وعدت به ، ولم تحقق الخطى اللازمة لاعلان هذا الاستقلال في الموعد المحدد .

(١) بكين ريفيو ٢٤ من فبراير ١٩٥٩

وكانت فرنسا أيضا قد وعدت أهل الكميرون في سنة ١٩٥٧ أن توقف عمليات الاضطهاد ، ولكنها ألقت بعشرين ألفا من الأهلين في معسكرات الاعتقال ، واستمرت أعمال العنف بالقوات المسلحة ، ولا تزال مستمرة حتى اليوم .

الكتلة الآسيوية الافريقية تتدخل

على أنه تبعا لضغط الرأى العام العالمي قدمت لجنة الوصاية في نوفمبر الماضي توصية بأن تناقش الجمعية العامة للأمم المتحدة مستقبل الكميرون في العشرين من فبراير سنة ١٩٥٩ ، على أساس استقلال البلاد في سنة ١٩٦٠ .

وكانت اللجنة التي عينتها هيئة الوصاية التابعة للأمم المتحدة قد ذكرت في تقاريرها الكثير من جرائم المستعمرين الغربيين ، على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، بل ان الدولتين الاستعماريتين حاولتا بمساعدة الولايات المتحدة الدفاع عن مصالحهما الاستعمارية ، ولذلك فانهما قد عارضتا المقترحات التي تقدمت بها الكتلة الآسيوية الافريقية للانتخابات الديمقراطية في البلاد ، مع توحيد القسمين اللذين تتكون منهما الكميرون تحت ادارة حكومة موحدة مستقلة .

الأرض والناس

وتغطي أرض الكميرون — التي تحت وصاية فرنسا — (١٦٦٨٠٠) ميل مربع ، وتحدها من الغرب أرض الكميرون تحت وصاية بريطانيا ونيجيريا ، كما تحدها من الشرق افريقية الاستوائية ، وتمتد البلاد من الشمال على حافتي بحيرة تشاد في انبعاج جنوبي حتى المحيط الاطلنطي .

والارض فى الواقع متغيرة السمات. على أن هذه الارض التى توصف أحيانا بأنها ((**المعبر الجنسى لشعوب أفريقية**)) تحتوى على مجموعة متباينة من الناس فالسكان الذين يصل تعدادهم الى ٣ر١٥٧ر٠٠٠ نسمة تبعا للتعداد الرسمى الذى أجرته الامم المتحدة لحصر الناخبين ولمناقشة التنظيم الحكومى، يكونون مائة وأربعين مجموعة جنسية ، ففيهم أناس من « البانتو » وجلهم من الفلاحين عمال الأرض والتجار ، وفيهم أناس من « الفولا »

أرض الكميرون مع بيان المحصولات الرئيسية

وآخرون من السلالات الحامية ومن الاصول السودانية ، وتختلف كثافة السكان فتصل فى المناطق المزدحمة الى ٢٠٠ بل الى ٣٠٠ للميل المربع الواحد ، وفى السكان ٠٠٠ر٧٠٠ر١ من المسيحيين و ٠٠٠ر٥٠٠ من المسلمين و ٢٠٠٠٠ من الاقزام .

***

أما أرض الكميرون التى تتولى الوصاية عليها بريطانيا ، فمنطقة جبلية تمتد فى الطول الى مسافة سبعمائة ميل من بحيرة تشاد الى خليج غانة .

وتنقسم الارض الى منطقتين تفصل بينهما ثغرة تمتد الى مسافة ٤٥ ميلا على مقربة من نهر بينو ، ومساحة الارض ٣٤٠٨١ ميلا مربعا .

وفى هذا الجزء الغربى وديان ومجارى مياه وقمم جبلية موحشة ، ولكنها من أجمل المناطق الافريقية الساحرة .

وفى أقصى الجنوب من جبال الكميرون توجد مناطق بركانية ترتفع الى ما يزيد على ١٣٠٠٠ قدم ، تشرف مسيطرة على مينائى فيكتوريا وتيكو .

والى الشمال من هذا توجد منطقة الاعشاب حيث ترعى الماشية ، أما أقصى الشمال على حواف بحيرة تشاد فتغمره مياه الفيضان ، مما يسبب صعوبة المواصلات ، وعدد السكان فى هذا القسم من البلاد ٠٠٠ر٥٣٠ر١ هم بدورهم أيضا خليط من الاجناس ، فتنضم القبائل الرئيسية الخمسة الى سلالات وعشائر ، وقد سببت الاغارات للرق فى القرن التاسع عشر تفتيت الكثير من الجماعات القبلية

وسكان الشمال من المسلمين ، وهم من قبائل «الفلانى» و «الكانورى» وتنتشر المسيحية فى الجنوب وبخاصة بين الطبقات المتعلمة .

حوادث الجنوب

ولم تقم فرنسا بعدم الوفاء بوعدها باستقلال الكميرون فحسب بل عملت على حل كل الاحزاب السياسة وبخاصة حزب اتحاد أهالى الكميرون ، ولم يمر هذا كله من جانب فرنسا دون نتائج خطيرة ، فبدأت فى الجنوب قلاقل ثورية خطيرة ، وبخاصة فى المناطق النهرية على نهر سانانجا ، وكان هذا طابع سنة ١٩٥٦/٥٥ ، وقد زعمت فرنسا أن هذه القلاقل الثورية كانت بسبب محاولة المتطرفين حث الأهالى على العصيان المدنى ، واستخدام وسائل العنف المنظمة (١) ، ولم تكن الحوادث تحمل طابع العصيان العادى الذى عرفته الهند مثلا فى كفاحها ضد الانجليز للتحرر ، بل كانت حوادث دامية بالاضطرار كنوع من المقابلة بالمثل لاعمال الفرنسيين أنفسهم .

وقد استندت فرنسا على هذه القلاقل وزعمت أن وراء هذا كله زعماء الاتحاد ، مع أن القلاقل فى الواقع برغم الهدف الاصلى الذى كان طابعا عاما لها ، وهو محاولة التحرر الا أنها لم تتبع تنظيما سياسيا لمسئولين حزبيين ، اللهم الا فى العمل ضد بعض من كانوا يعملون على معاونة المستعمر .

ثم بدأت العمليات المضادة المنظمة جماهير من أفراد الشعب تقودها قلة مسلحة ببنادق الصيد ولا تعمل الا ليلا ، وبقيت سلطات الحكومة الفرنسية تزعم ان كل هذه الحركات

---

(١) تقرير مسيو دنيو أمام مجلس الوصاية للامم المتحدة — مجلة المنظمة العالمية ، عددى ابريل وديسمبر ١٩٥٨

الثورية لايمكن ان تعبر عن الرأى العام ، وكانت تحاول ابراز الجانب الشاذ من هذه الحركات وهو جانب الحوادث الفردية التى يمكن أن تصحب كل ثورة اكتساحية دامية ، وتلقى ظلالها على الحركة كلها .

القانون الذى تستند اليه فرنسا للكبت السياسى

ولم تحل فرنسا نتيجة لحوادث سنة ١٩٥٥ اتحاد شعب الكميرون وحده ، بل حلت كذلك حزب الشباب الديمقراطى والاتحاد الديمقراطى لنساء الكميرون ، وكان من الضرورى أن تشرح فرنسا هذا للجنة الوصاية فزعمت فى تقريرها ١٩٥٧ انها فعلت هذا مستندة الى القانون الفرنسى الصادر فى ١٠ من يناير سنة ١٩٣٦ (!!!) أى أنها تستند الى قانون صدر قبل عشرين سنة من قيام القلاقل فى الكميرون .

ويقول هذا القانون لسنة ١٩٣٦ بحل المنظمات والجماعات التى تقوم أو تتسبب فى قيام :

١ ـ المظاهرات المسلحة فى الطرقات العامة .

٢ ـ التشبه بالقوات المقاتلة والميليشيا الخاصة فى تشكيلها وتنظيمها .

٣ ـ محاولة قلب النظام الجمهورى للحكومة بالقوة .

والقانون على مايتضح قد وضع أصلا لفرنسا التى عرفت أحزابها اثارة القلاقل الداخلية ، والتى كانت تستهدف أحيانا القضاء على الجمهورية الثالثة قبل أن تقضى عليها هزيمة فرنسا واستسلامها فى ١٦ من يونيو سنة ١٩٤٠ .

ولم يقف الزعماء مكتوفى الايدى ، فقد رفعوا للامم المتحدة عشرات الالتماسات والاحتجاجات مطالبين باعادة الاحزاب السياسية البلاد .

الحكومة المحلية :

وقد كان من الضرورى كتعليمات هيئة الوصاية أن تنشأ ادارة أهلية فى البلاد ، وقد قامت السلطات الفرنسية فعلا بانشاء وظائف العمد ونواب للبلديات ، ولكن مع هذا فان ثلث الـ ٦٨ عمدة فقط كانوا من الأهليين فى الوقت الذى وصف فيه مندوب فرنسا قرار ١٦ من ابريل سنة ١٩٥٧ بأنه ليس مجرد اصلاح وتجديد،بل ثورة ادارية سياسية(١) ، وكل ماتم عدا هذا لاجابة الرغبة لاكساب وظائف الدولة الطابع القومى الكاميرونى بتعيين نواب أو مساعدين للموظفين الفرنسيين .

وتولت الأمر حكومة يتولى رياستها رئيس الوزراء احمد (و) أصيدجو . وقد حضر **السيد احمد** اجتماعات اللجنة الرابعة من الجمعية العامة للامم المتحدة فى الايام الاخيرة من سنة ١٩٥٨ .

وأعدت الحكومة المحلية علما وطنيا بالألوان (الاخضر والاحمر والاصفر) .

الوضع الاقتصادى :

وقد تحسن الوضع الاقتصادى بسبب ارتفاع أثمان حاصلات التصدير وزيادة كمياتها ، فقد صدرت البلاد فى سنة ١٩٥٧ مايزيد قليلا على ٥٣٠٠٠ طن من الكاكاو ، وزاد ماصدر من الموز من ٦٦٠٠٠ طن الى ٨٥٠٠٠ ، ومع أن صادرات البن لم تزد الا أن العلائم تدل على أنه سيكون للبن أهمية كبيرة فى المستقبل القريب .

وقد أنشىء فى الثانى من يناير عام ١٩٥٨ مكتب بحوث التربة ، لدراسة كل برامج التطور والتنمية ومقاومة كل الآفات التى تتلف خصب التربة .

---

(١) تقرير مسيو اكسافير دنيو أمام مجلس الوصاية فى مارس عام ١٩٥٨ عند انعقاد الدورة الحادية والعشرين للمجلس .

واهم الانتاج المعدنى الالومنيوم ، ومن المتوقع أن يصل الانتاج الى ٥٠٠٠٤ طن سنويا .

وتكونت جمعيات اقراض تعاونى للاقراض على آجال قريبة وآجال بعيدة ، للتمكين من الحصول على الادوات التى يحتاجها العمل فى الارض ، وقد وزعت جمعيات الاقراض فى العام الماضى ١٥٠ مليون فرنك فى قروض صغيرة وكبيرة ، ومن المتوقع ارتفاع هذا الرقم فى السنوات القليلة القادمة .

الامم المتحدة :

على أنه بسبب ضغط الرأى العام العالمى ، وضغط الكتلة الآسيوية الافريقية فى الميدان الدولى قررت الجمعية العامة للامم المتحدة ارسال لجنة زائرة مكونة من و . ثورب (نيوزيلاند) وريكهى وحايبال (الهند) وبنيامين جديج (الولايات المتحدة) (الرئيس) وجورج سولومون (هاييتى) والاخير من أصل زنجى ، وقد أبحرت اللجنة من نيويورك فى ١٨ من اكتوبر وجالت بالكميرون طوال شهرنوفمبر ، وقد وجدت اللجنة أن ثقة أهل الكميرون باحتمال مسئولية حكم أنفسهم تعتبر فى حال مشجعة ، وذلك لان كلا من التقدم الاجتماعى والتنمية الاقتصادية انما يسير قدما مع التطور السياسى ، فضلا عن ان الحكومة الوطنية الجديدة فى الواقع قد تقبلت أن ترث عن الفرنسيين مسئولية المشكلات المزمنة فى البلاد .

وقد لاحظ مندوب الهند أن الحاكم العام الفرنسى لايتمتع فقط بالسلطات التى فرضتها له المادة ٤٤ من الدستور ، بل انه يرأس جلسات مجلس الوزراء ، ولذلك يتوافر له نفوذ كبير على الحكومة الامر الذى جعل مستر مبيدا رئيس الوزراء السابق يستقيل عندما رفض الحاكم العام الموافقة على بعض من رشحهم « ميدا » لمعاونة من يتولى وزارات الحكومة الجديدة .

وقد لاحظ مندوب الهند أيضا أن الحاجة تقتضى القيام ببعض التدبيرات لازالة جو التوتر والعنف الذى استمر طويلا ، لاسيما انه لاول مرة فى التاريخ استدعت دولة تتولى الوصاية باسم الامم المتحدة جنودها لاخماد حركة سياسية فى البلاد التى تتولى الوصاية عليها .

وأشار مندوب بورما فى مجلس الوصاية بأن السلطات الفرنسية لاتزال تتولى جزءا كبيرا من الادارة ، ومعنى هذا أنها تستهدف اظهار ان البلاد غير صالحة لتولى أمرها بنفسها قبل مرور فترة انتقال طويلة .

وكان أهم مادار النقاش حوله ، وبخاصة من ممثلى الكتلة الآسيوية الافريقية بمجلس الوصاية ضرورة العمل على توحيد شسقى الكميرون ، نتيجة لاستفتاء يجرى بين الاهلين فى صورة ما .

وهنا مسألة جديرة بالنظر ، وهى أن بريطانيا كانت ولا تزال تتولى ادارة القسم تحت وصايتها كجزء من اتحاد نيجيريا ، وان كانت قد أعدت فى السنوات الاخيرة كلا من نيجيريا والكميرون للاستقلال .

وهكذا نضع أصبعنا على العامل الحاسم بالنسبة للمشكلات التى يواجهها كل من شقى الكميرون ، والتى يجب العمل للوصول الى حل لها قبل أول يناير سنة ١٩٦٠ ، وهذا حديث يتطلب منا مناقشة تقريرى الدولتين اللتين تقومان بالوصاية على ماجاء فى وثائق الامم المتحدة ، وموعدنا فى هذا مقال قادم ان شاء الله



بمناسبة عرض قضية الكاميرون على هيئة الامم المتحدة فى ٢١ من فبراير ١٩٥٩ اجتمع أبناء الكاميرون الذين يعيشون فى مصر بمقر الغرفة التجارية واحتفلوا بيوم الكاميرون .

وافتتح الحفل السيد فؤاد جلال مندوب الاتحاد القومى قائلا : ان قضية الكاميرون سوف تعرض على هيئة الامم المتحدة ، ووصفها بأنها قضية « وحدة وحرية » . وشرح كيف ان شعب الكاميرون يكافح من زمن طويل الاستعمار الذى لم يترك بقعة من بقاع الارض، الا استغلها وصادر حريتها . ان الاستعمار فى القارة الافريقية له تاريخ طويل تمثله بريطانيا، وفرنسا، وايطاليا، والبرتغال هذه الدول استعمرت شعوبا فى قارتنا . وكانت تستغل أبناء افريقية فى سوق التجارة والصناعة ، بعد أن استغلتهم فى أسواق العبيد . كانوا يخطفون أهلها ، ويذهبون بهم الى أماكن بعيدة .

ووصف السيد فؤاد جلال تاريخ الكاميرون وكيف كانت مستعمرة المانية قبل الحرب العالمية الاولى ، ولما هزمت الجيوش الالمانية ، احتلتها الجيوش الفرنسية والانجليزية وحكموها حكما مشتركا ثم استقلت كل منهما بجزء منها . ثم قسم الكاميرون تقسيما تعسفيا ووكل أحدهما الى الادارة الانجليزية والاخرى الى الفرنسية ، وبقيت الدولتان تحكم كل منهما الجزء الخاص بها الى اليوم .

ثم استطرد قائلا : وعندما قامت الحرب العالمية ، الاولى ، قامت عصبة الامم لتنشر العدالة بين أهل الارض، وكان من ضمن المدن مدن الانتداب التى عرفناها فى شرقنا العربى . وكانت الكاميرون تحت انتداب دولتين . ثم جاءت الحرب العالمية الثانية ، وكان الوعى العام قد أدرك الحيلة وألغى نظام الانتداب . ولكن الاستعمار حاول ابعاد أولئك القادة الوطنيين الذين يمثلون الشعب وينطقون باسم الشعب . ولكن شعب الكاميرون بالرغم مما قام به الاستعمار من جبروت وتعسف فقد ضمت السجون عشرات المواطنين وكثرت المحاكمات والاعتقالات والمعسكرات التى جمعت النساء والرجال ،والاطفال ولكن صوت الشعوب استطاع أن يرتفع مدويا فى هيئة الامم .

واستطرد السيد فؤاد جلال قائلا . « ان شعب الكاميرون قد ناضل نضالا يجب أن يذكره التاريخ ، فقد ناضل من أجل الحرية وبذل الدماء فى سبيل الحرية . لا فى افريقية فحسب ، بل فى جميع أنحاء العالم » .

وهيئة الامم سوف تنظر قضية الكاميرون ، واذا تقررت الوحدة ، يجب أن يجرى انتخاب الحكومة المستقلة لشعب الكاميرون ، فشعب الكاميرون يريد قبل الوحدة ، أن يترك الزمام للسياسيين الاحرار أن يباشروا

حريتهم ، ولا داعى لتقرير المصير قبل أن تجاب مطالب الكاميرون .

وختم خطابه قائلا : باسم الاتحاد القومى أعلن أن شعب الجمهورية العربية المتحدة يقف مع شعب الكاميرون، ويسير معه جنباالىجنب، وبذلك يمكنهم أن يقضوا على الاستعمار فى افريقية جميعها .

ومن مطالب الكاميرون :

١ – اطلاق الحريات السياسية .

٢ – أن يجرى استفتاء حرتشرف عليه الامم المتحدة، فى جميع التفاصيل وأن يكون استفتاء الشعب فى وحدة شطرى الكاميرون .

٣ – أن يجرى انتخاب حر حتى يمكن أن تكون حكومة غير مقيدة بأى قيد من قيود الاستعمار ، عند ذلك يكون فى الكاميرون شعب ، يقضى على الاستعمار .

وقد بعث شعب الجمهورية العربية بالتحية الى أحرار الكاميرون .

وتحدث السيد عبد العزيز اسحاق السكرتير العام للرابطة الافريقية قائلا: ان الرابطة الافريقية تنتهز الفرصة لتقدم برقية ترسلها الى نيويورك تأييدا لشعب الكاميرون . ونص البرقية :

أولا : المجتمعون اليوم من أعضاء الرابطة الافريقية ، وأعضاء المؤتمر الافريقى الاسيوى يقدمون الى رئيس هيئة الامم المتحدة المطالب الآتية :

١ – القيام باستفتاء الكاميرون .

٢ – انتخاب حكومة الكاميرون المستقلة .

٣ – أن يكون الاستفتاء والانتخاب تحت اشراف هيئة الامم المتحدة .

وأعقبه رئيس حكومة روديسيا الجنوبية السيد جوشوا نكوما ،فشرح مطالب الكاميرون ، وذكر تاريخ نضالهم المجيد ، ثم شكر حكومة الجمهورية العربية المتحدة بما تقدمه من معاونات لتلك الدول المناضلة فى سبيل تحقيق أمانى الشعوب المستعمرة . ثم قرأ البرقية التى يرسلها شعب جنوب روديسيا الى هيئة الامم المتحدة ونصها :

أولا : أن يطلق سراح الزعماء الذين ضمتهم السجون والمعتقلات السياسية .

ثانيا : أن يمنح شعب الكاميرون الحرية التامة ، وأن يجلوا جميع المستعمرين وقواتهم من أرض الكاميرون .

ثالثا : أن تشرف هيئة الامم المتحدة على الاستفتاء الشعبى وأن تكون حكومة الكاميرون حكومة شعبية .

هكذا احتفل الشعب الكاميرونى بيوم الكاميرون فى أرض الجمهورية العربية المتحدة .

ارين عبد السيد

دراسة للمؤتمر الاقتصادي الأفرسيوي

للاستاذ حسن شلبى

١ ــ مصر والدعوة للمؤتمر

للمؤتمر الافريقى الآسيوى فى ذهن كل مصرى خاطران ، أولهما أن الدعوة الى عقد المؤتمر جاءت من بلد افريقى فى وقت يرأس حكومته رجل افريقى يشعر بالقربى نحو الشعب الافريقى ، والآخر أن الدعوة الى عقد المؤتمر وجهت فى وقت تتمتع فيه مصر بكامل حريتها السياسية مما أعانها على الاشراف على اقتصادياتها والعمل على توجيه مواردها الانتاجية واستغلالها بما يسمح لها بزيادة الانتاج ورفع مستوى معيشة الشعب .

وبالرغم مما عانته مصر اخيرا منذ نهاية عام ١٩٥٦ فان موقفها الدولى قد تبلور فاستطاعت أن تكسب مودة الاصدقاء بل مودة الدول التى ناصبتها العداء أيضا .

كلمة عن المؤتمر :

ويعتبر المؤتمر الافريقى الآسيوى امتدادا لمؤتمر باندونج الذى اجتمعت الكلمة فيه على وجوب التقارب بين مجموعة الدول الافريقية والآسيوية، كما يعتبر خطوة فعالة فى الوصول الى قرارات ترمى الى تحقيق الاهداف التى أعلنت فى مؤتمر باندونج .

وقد عقد المؤتمر الافريقى الآسيوى فى القاهرة فيما بين الثامن والحادى عشر من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٨ وحضره مندوبون عن كثير من الدول الافريقية الآسيوية واتخذ قرارات وتوصيات هامة سوف نناقش أهميتها بالنسبة للاقتصاد الافريقى فيما يلى :

الرباط بين دول المؤتمر :

والسؤال الذى يتبادر الى الذهن : ما نوع الرابط الذى سبب هذا التقارب بين هذه الدول والذى جمع بين مندوبيها فى مثل هذا المؤتمر ؟

والاجابة على هذا السؤال تنقسم الى أربعة أقسام :

الاول ــ أن معظم دول المؤتمر اما بلاد نالت استقلالها حديثا أو مازالت تحت حكم الاستعمار أو بين هذا وذاك أي أنها مازالت تعانى مخلفات الاستعمار .

الثانى ــ أن مستوى المعيشة فى معظمها منخفض بالرغم من امكانياتها الاقتصادية التى هى اما غير مستغلة أو يستغلها الاجانب وتعود عليهم وحدهم بالفائدة .

الثالث ــ ان نهضتها أصبحت مهددة بالتكتل الاخير فى السوق الاوروبية المشتركة بما يهدد اقتصادياتها .

الرابع ــ أن تكتل الدول مع اختلاف درجاتها من حيث النمو الاقتصادى وتنوع انتاجها من الممكن أن يخلق منها قوة اقتصادية هائلة تحقق الاهداف المطلوبة : ألا وهى ازدياد النمو الاقتصادى ورفع مستوى المعيشة ..

٢ ــ التعاون بين دول المؤتمر

بدأ المؤتمر قراراته وتوصياته بالتعاون ، أي أن تتعاون دول المؤتمر وتتضافر جهودها لتحقيق الاهداف الاقتصادية التى قصدوا اليها من اجتماع ممثليها ، واذا كانت الظروف المختلفة قد حالت دون أن يقوم بين بلاد هذه المنطقة تعاون اقتصادى فان الواجب يقتضى أن تسعى دول المؤتمر الى انشاء هذا التعاون فيما بينها .

والتعاون هنا يختلف عن معناه المشوه الذى يفهمه الاوروبيون ، وأذكر فى هذا الصدد ماصرح به أحدهم بصدد الحديث عن نهضة المستعمرات فى افريقيا ، حيث قال ان بين الدولة ومستعمراتها أو بين الدولة الاوروبية والدول المتخلفة عامة تعاون اقتصادى كامل ، فالدولة الاوروبية تشترى انتاج المستعمرات أو الدول المتخلفة ومقابل ذلك تمدها بما يلزمها من بحوث تعمل على زيادة الانتاج وتشق الطرق وتمد الخطوط الحديدية وتقوم بتعليم أبناء المستعمرات . فهل يمكن انكار هذا التعاون ؟

والذى لا يمكن انكاره فعلا يتلخص فى أمر واحد هو الانخفاض الشديد فى مستوى المعيشة بالنسبة للافريقيين والارتفاع الشديد فى مستوى المعيشة بالنسبة للاوروبيين ، سواء منهم الذين يقيمون فى افريقيا أو الذين يقيمون فى أوروبا ، وهذه هى نتيجة التعاون كما يفهمه الاوروبيون .

ان التعاون الذى تنشده دول المؤتمر هو تعاون دول على قدم المساواة ، فباستثناء بعض الدول المتقدمة صناعيا من دول المؤتمر، نجد أن معظم الدول تتقارب درجات نموها ولن يكون التعاون لمصلحة دولة أو أفراد على حساب دولة أخرى أو أفراد آخرين .

ولاشك أن التعاون بين دول القارة الافريقية على وجه الخصوص سوف يسوده الكثير من الصعوبات ، فالقارة الافريقية تضم عدة مجموعات من الدول المختلفة الظروف ، ومثال ذلك :

١ ـ دول مستقلة استقلالا تاما .
٢ ـ دول مستقلة ولكن عملتها ترتبط بالجنيه الاسترليني أو الفرنك الفرنسي .
٣ ـ دول ترتبط بمجموعة الامم البريطانية
٤ ـ دول ترتبط بمجموعة الامم الفرنسية
٥ ـ دول تحت الوصاية .
٦ ـ مستعمرات بريطانية .
٧ ـ مستعمرات فرنسية .
٨ ـ مستعمرات بلجيكية .
٩ ـ مستعمرات برتغالية .
١٠ ـ مستعمرات هولندية .

وبالرغم من هذا الاختلاف والتباين فان هذه الدول جميعا يربطها رباط واحد هو سعيها لدعم اقتصادياتها ورفع مستوى معيشة أهلها ، ولن يكون ذلك بالتعاون مع الدول الاوربية ، بل أن التعاون مع دول المؤتمر يصبح أجدى ويصبح أفسح مجالا لتحقيق الهدف المنشود .

وهناك الكثير من الامثلة التى توضح اتجاه دول افريقيا الى تعاون بعضها مع بعض ، والى قيام تقارب حقيقي فيما بين هذه الدول، فاشتراك المغرب فى الجامعة العربية وانشاء العلاقات التجارية بين الجمهورية العربية المتحدة وغانا ، وقيام اتحاد فدرالى بين غانا وغينيا ، والبقية تأتى ، كل هذه أمثلة توضح اتجاه دول افريقيا فى الوقت الحالى .

ان بريطانيا كانت تتوقع فشل انكروما فى حكم غانا بسبب وجود نظام القبائل التى ترفض الانضواء تحت الحكم المدنى وقد تركت بريطانيا هذه القبائل فى نظام يعتبر من نظم العصور الاولى فى التاريخ ، ومع ذلك فقد نجح انكروما . وفى افريقيا اليوم الكثيرون ممن يعتقدون أن فى استطاعتهم أن يحققوا أكثر مما حقق انكروما .

ويبلغ عدد سكان افريقيا حوالى مائتي مليون ، أي مايقرب من نصف سكان الهند وثلث سكان الصين ، فهى اذن غير مزدحمة بالسكان ، بل أن مواردها الانسانية بالمقارنة الى مواردها الطبيعية تعتبر قليلة ، ومع ذلك فان التقسيم الاستعمارى بين دول هذه القارة منذ السباق نحو استعمارها فى الربع الاخير من القرن الماضى جعل بعضها أجنبيا عن بعضها الآخر ، ولا تربط بينها أية روابط ، اذ أن كلا منها تغذى الدولة المستعمرة التى ترتبط بها ، كما أن أسواقها محتكرة للانتاج للدول المستعمرة ، ولذا كانت لتجارة بين بعض دول القارة وبعض غير متناسبة مع الجوار. ومن أهم الواجبات تشجيع قيام علاقات تجارية فيما بينها ، كما أن دول المؤتمر تكون سوقا تجارية واسعة تمتد الى الصين واليابان ، ويتنوع فيها الانتاج زراعيا وصناعيا مما يعين دول افريقيا على أن تجد أسواقا لتصريف منتجاتها ، كما تجد أسواقا غير احتكارية لشراء مايلزمها وبخاصة السلع الصناعية التى تحتاج اليها فى تنمية واستغلال مواردها .

على أن ازدياد التجارة الافريقية يحتاج الى وسائل نقل كافية ، فاصطباغ دول افريقيا بالصبغة التى أرادها لهما المستعمر جعل تكوينها يقوم على خدمة الدول المستعمرة ، فان لم يكن فعلى خدمة المستثمرين الاجانب أصحاب المزارع أو الذين يقومون باستغلال المناجم ، فوسائل المواصلات والنقل مازالت تقوم على أساس ربط مكان الانتاج بالساحل. وكثير من الاجزاء الداخلية ليس بها طرق أو مواصلات ، والتجارة بين دول القارة اذا أريد لها أن يزيد حجمها انما تعتمد كثيرا على المواصلات وطرق النقل البرية ، فالحدود الداخلية متلاصقة ، ولتيسير قيام التجارة بينها يجب توفير وسائل المواصلات التى يمكن أن تخدم الاغراض التجارية ، ولهذا عنى المؤتمر بالنص على تحسين وسائل النقل والمواصلات خدمة وتسهيلا للتجارة بين دول المؤتمر.

وبصدد التجارة الخارجية فقد أوصى المؤتمر أيضا بانشاء اتحادات بين منتجي المواد الاولية ونصف المصنوعة كالقطن والشاي والمطاط ، وذلك للمحافظة على أسعارها والحيلولة دون تدهورها فى الاسواق العالمية ، وأن من يدرس أحوال البلاد المنتجة للمواد الاولية عموما ليشعر بأن الكثير من المواد الاولية يتعرض لتقلبات شديدة تؤثر على المنتجين مما يوقع الضرر باقتصاديات تلك الدول . ويزيد الامر سوءا أنه كلما انخفضت أسعار المواد الاولية يعمد المنتجون عادة الى زيادة كمية انتاجهم لتعويض الانخفاض فى الاسعار ، مما يزيد الامور تعقيدا ويعمل على استمرار انخفاض الاسعار ، فاذا تصورنا قيام المنافسة الحادة فى مثل هذه الظروف فاننا نشعر بمدى الانخفاض الذى تتعرض له أسعار المواد الاولية .

فقيام اتحاد يجمع بين منتجى المواد الاولية فى منطقة واسعة كدول المؤتمر تنتج الجانب الاكبر من المواد الاولية التى تعرض فى الاسواق العالمية وبخاصة القطن والشاي والمطاط فان هذا سيؤدى الى كثير من الخير لدول المؤتمر عامة بما فى ذلك دول افريقيا .

وورد ضمن توصيات المؤتمر أيضا التوسع فى التأمين وعمليات اعادة التأمين بين البلاد الاعضاء وتفصيل بضها على بعض فى هذه العمليات .

والتأمين من الخدمات التجارية الهامة ومصدر ايراد كبير لشركات التأمين وللدول التى تكثر فيها هذه الشركات وبخاصة اذا كانت تقوم بأعمال تأمين خارجية ، فهى فى هذه الحالة صادرات غير منظورة . وفى الدول المتخلفة تقوم الشركات الأجنبية بعمليات التأمين ، وعلى ذلك فان حصيلة التأمينات وأرباح الشركات تستثمر فى الخارج ، فاذا توسعت دول افريقيا فى أعمال التأمين بقيام شركات وطنية فان حصيلة التأمين والارباح المحققة سوف تستثمر فى هذه الحالة داخل البلاد مما يحفظ عليها جانبا من مواردها النقدية ، واذا تبين لهذه الشركات أن هناك من العمليات ما لاتستطيع وحدها القيام به لضخامة قيمة التأمين فان فى استطاعتها أن تجد العون من الدول الاعضاء ، ولذا يوصى المؤتمر بأن تعتمد الدول الاعضاء بعضها على بعض فى اعادة التأمين بما يعود على جميع الدول بالفائدة وبما يحقق مبدأ التعاون الذى نادى به المؤتمر .

هذه بعض أوجه التعاون التي وردت فى توصيات المؤتمر وبقيت مناقشة صندوق التنمية والمعونة الفنية ، وسنرجىء مناقشتها قليلا ..

ومما يجدر ذكره فى هذا الصدد أنه بالرغم من تباين وجهات النظر فى مثل هذه التوصيات بالنسبة للقارة الافريقية فانها تجمع على أن هذه التوصيات تقود الى تنسيق التعاون بين الدول الافريقية وباقى دول المؤتمر تنسيقا يخلق التقارب وارتباط المصالح ، فالتعاون فى نظر المؤتمر هو الخطوة الاولى فى سبيل تحقيق أهدافه .

٣ — السوق المشتركة

ان أغلب الانتاج الافريقى يصدر الى خارج افريقيا وبخاصة الى أوروبا ، فما موقف افريقيا اليوم بعد قيام السوق الاوروبية المشتركة ؟

ان العالم يتطور تطورات جديدة فى ذاتها وأن تكن فى ثياب عرفت من قبل ، فلقد أدت سياسة التجاريين الى خلق حرية التجارة فى منتصف القرن التاسع عشر ، ثم أدت حرية التجارة الى نقيضها كذلك ، اذ كثرت الحماية الجمركية ، وتنوع تدخل الدولة لحماية اقتصادياتها من المنافسة الخارجية ، ثم تطور الأمر فأصبح هم الدولة الحصول على العملات الصعبة بما فيها الدول الكبيرة حتى لقب الاقتصاديون هذه الظاهرة بسياسة التجاريين فى شكلها الجديد ، وهاهى سياسة التجاريين والحماية تؤديان مرة أخرى الى نقيضهما ، اذ تسعى كل مجموعة من الدول الى خلق منطقة تسودها حرية التجارة ، وهذا هو جوهر السوق الاوروبية المشتركة ولا يعنينا هنا أن الاسباب سياسية أو حربية .

وتتميز هذه السوق بثلاث ظواهر :

الاولى — أن الدول التي وقعت على هذه الاتفاقية هى ست دول : فرنسا والمانيا وايطاليا ودول البنيلوكس « بلجيكا وهولندا ولوكسمبرج » وهذه الدول الست هى من بين الدول الاعضاء فى منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى واتحاد المدفوعات الاوروبية الذى اصبح منتهيا .

الثانية — أن الاتفاقية تنص على تخفيض الرسوم الجمركية فيما بينها تدريجيا حتى تصل الى ٥٠ ٪ منها حاليا خلال اثنى عشر عاما .

الثالثة — ضم المستعمرات الى السوق ومعاملتها على قدم المساواة مع تحفظ بسيط هو امكان احتفاظ المستعمرة بالرسوم الجمركية اللازمة لنموها أو لتمويل الخزانة .

والمستعمرات التى ينطبق عليها هذا البند هى :

١ — افريقيا الغربية وتشمل السنغال والسودان وغينيا وساحل العاج وداهومى وموريتانيا والنيجر والفولتا .

٢ — افريقيا الاستوائية الفرنسية وتشمل الكونغو واوبانجى تشارى وتشاد وجابون .

٣ — سان بيير وميكولون وارشيبال ومدغشقر والصومال وكاليدونيا الجديدة .

٤ — توجو .
٥ — الكامرون .
٦ — الكونغو البلجيكى وروائدى أوراندى .
٧ — الصومال الايطالى .
٨ — غينيا الجديدة الهولندية .

والسؤال الآن ما مقدار ما ستفيده افريقيا من هذه السوق ؟

والجواب : لاشىء — ان موقف افريقيا باختصار لن يتغير . ويرجع ذلك الى أن الامتيازات التى ستحصل عليها المستعمرات هى فى ذاتها ماكانت تتمتع به الدولة الاصيلة فقط وستمتد تلك الامتيازات الى باقى دول السوق . ومن المسلم به ان المواد الاولية هى أهم ماتنتجه دول افريقيا ولاتوجد على هذه المواد فى الغالب رسوم جمركية عالية لدى الدول المستوردة وذلك بالمقارنة بالبلاد المتقدمة صناعيا ، فاليابان والهند مثلا ستتأثران كثيرا بهذه السوق ، اذ أن صادراتها الى دولة من مواد مصنوعة أو نصف مصنوعة وهى تعتمد أساسا على وجود الحواجز الجمركية المختلفة الارتفاع بين دول السوق وتخفيض الرسوم لسوف يعنى الافضلية لدول السوق

وبمعنى آخر خفض أسعار صادرات الدولتين الى دول السوق .

على ان هذه الصعوبة ليست موجـــودة فى الغالب بالنسبة لدول افريقيا فمعظمها يقتصر على انتاج المواد الزراعيـة أو المواد المعدنيـــة المستخرجة من المناجم ، وهذه المواد لازمة للصناعة فى الدول الست وليست عليها رسوم جمركية بصفـة عامة ، غير ان ما سـيضار منـه دول المستعمرات فى هذا الشأن هو عـــدم امكان المنافسة فى أسواقها من خارج الدول الست ، أى أن أسواق المستعمرات سوف تقفل بالنسبة للدول الاخرى وتبقى احتكارا للدول الست نظرا لان انخفاض الرسوم الجمركية فيما بـين دول السوق سوف يؤدى الى زيادة تقسيم العمـــل وزيادة الكفاية الانتاجيـة لاتسـاع السوق أمام المؤسسات الصناعية وبالتالى سوف يعمل على خفض تكاليف الانتاج فيها مما يجعل سلع دول السوق منخفضة السعر عن غيرها من الدول .

وقد يقال بأن ازدياد الانتاج فى الدول الست سوف يؤدى الى زيادة حاجيتها الى المواد الاولية مما يساعد على زيادة الاهتمـام بالمستعمـرات وازدياد الاموال المستثمرة فيها فيشيع الرواج فى المستعمرات ويزيد من الدخول .. وهذا أمر بعيد التحقيق ، اذ أن التكوين الاقتصـــــادى للمستعمرات ولمعظم دول افريقيـا يعتمـد على الاجانب ، فهم بالرغم من قلتهم أصحاب رءوس الاموال ، وهم المستغلون للمناجم والمزارع ، وهم رجال البنـــوك والتأمين ، أما الاهالى فهم العمال غيـر المهرة ، اذ يعتمد الاوروبيـــون على العمال المهرة ونصف المهرة المستوردين ، ويكفى ان نذكر ما أوردته احصائيات اليونيسكو من أن نسبة الجهل كما يلى .

فى افريقيا الاستوائية	٩٥ ــ ٩٩
فى تنجانيقا ونيجيريا	٨٥ ــ ٩٫٥
فى غانا وكينيا	٧٥ ــ ٨٠

وفى روديسيا يخشى الاوروبيون من هجرة العمال الاجانب نصف المهرة خوفا من تصويتهم ضدهم فى حين أن العمال الافريقيين غير مهرة، وعلى ذلك يظل الاوروبيون محتـــكرين يقيدون النشاط الاقتصادى فيستغلون عمالا غير مهرة مما يضيع جانبا من الانتاج بسبب عدم مهارتهم، وذلك بدلا من تعليمهم خـــوفا من أن ينـادوا بالاستقلال ، وواضح ان انخفاض نسبة الجهل فى غانا كانت سببا فى حصولها على إستقلالها كما أننا نعرف ثورة أهالى كينيا .

ونعود الى القول بأنه لو أن أهل البلاد هم المنتجون وزاد الانتاج لزاد الدخل الأهلى ولعاد ذلك على أهل البلاد بارتفاع فى مستوى المعيشة ولكن ازدياد الدخل الأهلى فى حالة دول افريقيا وبخاصة المستعمرات سيكون لمصلحة الاجانب ولعلنا اذا قارنا ذلك بنيوزيلندا مثلا ، فهى بلد زراعى ولكن مستوى المعيشة فيها أعلى منه فى انجلترا ذاتها ، والسبب بسيط اذ ان خيرات بلادها لاهلها أى أن الدخل الاهـــلى يقسم على الاهالى على السواء وليس للاجانب وعـلى ذلك فأهل نيوزيلندا هم الذين يتمتعون بأية زيادة فى الدخل الاهلى .

ان الحل الوحيد أمام دول افريقيا لرفع مستوى معيشة أهلها هو ماورد فى قرارات المؤتمر بشأن التصنيع ، فانتشار الصناعة فى بلاد افريقيا هو الوسيلة التى يمكن عن طريقها زيادة دخـــول أهالى البلاد .

غير ان الصناعة تحتاج الى المهـــارة الفنية والتعليم اذ تؤدى الى زيادة الكفاية وهذه تؤدى الى زيادة الانتاج وزيادة الانتاج تؤدى الى رفع مستوى المعيشة .. فى حين أن الجهل يؤدى الى نقص الكفاية وهذه تؤدى الى انخفاض الانتاج وانخفاض الانتاج يؤدى الى انخفـاض مستـوى المعيشة .

ولهذا جاء قرار المؤتمر بشأن تبادل المعلومات الفنية مهيئا للفرصة الاساسية فى امكان مساعدة دول افريقيا مساعدة حقيقية أبتها عليها دول أوروبا ، ... والدول المشتـــركة فى المؤتمر تختلف درجات نموها الاقتصادى ، ويمكن للدول المتخلفة نوعا ان تحصل على المعونة العلمية والفنية من الدول التى سبقتها فى هذا المضمار وتقدمت عنها .

على أن هناك عقبة أخرى، وهى أن التفضيل الذى تتمتـع به الدول الاوروبيـــة الست فى مستعمراتها يجعل مبدأ الحرية التجارية سائدا فيما بين الدول ومستعمراتها ، وهذا يعنى ــ كما يقول ميردال ــ ان ذلك سـبيل لانتقال خيرات البلاد المتخلفة أى المستعمرات الى البلاد الغنية .

فنظرية الجاذبية أو التجمع هى التى تسود فى حالة حرية التجـارة . ولو نظـرنا الى المراكز المالية الهامة فى العالم لوجدنا أنها تجتذب رءوس الاموال حتى من الدول المتخلفة ، ففى لنـــدن ملايين الجنيهات التى تصل اليها من الدول المتخلفة لتستثمر فيها فى حين أن تلك الدول المتخلفة تحتاج الى رءوس الاموال هذه لتنمية اقتصادياتها ، ويرى ميردال كذلك أن الجاذبية لا تقتصر على رءوس الاموال ، بل تشمل أيضا الكفايات ، فكما أن رأس المال يكون آمنا من جهة ويمكنه الحصول على أعلى فائدة فى ظل ذلك الامان فى داخل المركز المالى الكبير ، فان الافراد عمالا ومنظمين يسعون الى المراكز الاقتصادية لاعتقادهم بوجود فرصة اكبر تمكنهم من الحصول على دخول مرتفعة اذا هم انتقلوا الى تلك المراكز ، وعلى ذلك فانه بالنسبـة للدول المستعمره ومستعمراتهـا لايمكن أن تحظى المستعمرات برأس المـال أو بالكفايات مالم توجد الفرصة لديهـا لتجذب رأس المال وضمانه وبفتح الفرص أمام الكفايات ــ المحلية على الاقل ــ عملا على ابقائها دون أن تنتقل الى الدولة المستعمرة وهذه الفرصة لا تأتى

الا بالتصنيع الذى يحتاج الى تغيير سياسة الحرية التجارية .

ولئن تركت اتفاقية السوق المشتركة المجال أمام المستعمرات للانضمام اليها مع احتفاظها برسومها الجمركية اللازمة لنموها وتصنيعها وتغذية مواردها المالية فان هذه الرسوم فى الواقع اسمية فحسب ، فالرسوم الموجودة فى معظم دول افريقيا هى لتغذية الخزانة أصلا نظرا لعدم وجود نظام ضرائبى يقتطع من دخول الاجانب مايساعد على تنظيم الحياة داخل المستعمرات ؛ أما الضرائب ففى العادة تؤخذ عند المصب اى فى بلد المستعمر ، واذا كانت هناك رسوم جمركية لحماية الصناعة فهى رسوم فرضت لحماية الدولة المستعمرة من الصناعات المنافسة فى الدول الاخرى وليس للصناعات القائمة داخل المستعمرات ، ولعلنا اذا تصفحنا الصناعات القائمة فعلا فى افريقيا لوجدنا أنها لاتخرج عن بعض صناعات محلية معظمها بدائى لايكاد يكفى السوق المحلية ، أما السلع التى تحتاج الى مهارة فهى لاتنتج داخل المستعمرات وانما تأتيها من الدول المستعمرة .

واذا كانت دول افريقيا ترغب فى التصنيع باعتباره الحل الوحيد لمواجهة مشكلة مستوى المعيشة فان من أول واجباتها الاخذ بمبدأ الحماية الموجهة ، أى حماية أسواقها من الانتاج الخارجى ولو كان من الدولة المستعمرة ما دامت تتواجد لديها مقومات الصناعة الناجحة .

ان مبدأ حرية التجارة لم يطبق فى انجلترا فى منتصف القرن التاسع عشر الا لانها أنهت ثورتها الصناعية فى ذلك الوقت فى حين كانت فرنسا ما تزال تمر بفترة الثورة الصناعية وفى حين كانت المانيا لاتزال تبدأ ثورتها الصناعية بعد أن تم توحيد اماراتها ، وعلى ذلك فلم تأخذ المانيا بمبدأ الحرية التجارية واعتمدت على مبدأ « ليست » القائل بحماية الصناعة الناشئة . وبالرغم من تأخر ثورة المانيا الصناعية عن كل من انجلترا وفرنسا فقد تغلبت ألمانيا على فرنسا حربيا عام ١٨٧٠ ، ثم وصل انتاجها من الحديد والصلب فى نهاية القرن التاسع عشر الى ما يعادل انتاج بريطانيا ، وكما نذكر أوروبا نذكر أن الولايات المتحدة دولة الحماية الجمركية كانت يوما مستعمرة بريطانية .

فالحرية التجارية التى تسود دول افريقيا بالنسبة لدول أوروبا لن تفيد دول افريقيا ، بل انها ستعمل دائما على ابقاء الصناعة فى أوروبا واستمرار افريقيا فى اعتمادها على انتاج المواد الاولية لحساب الاجانب .

ان امكانيات افريقيا الزراعية والمعدنية تجعل منها قارة ترث أوروبا فى نهضتها الصناعية لو أمكن للدول الافريقية أن تتعاون فيما بينها من جانب وفيما بينها وبين دول المؤتمر من جانب آخر وأن تطبق أهم قرارات المؤتمر وهو الاخذ بمبدأ التصنيع .

ان المعادن التى تنتج فى افريقيا والقوى الكهربائية التى يمكن انتاجها فيها كل ذلك يكفى لان تكون افريقيا ورشة العالم .

فاذا لاحظنا أن مواردها الزراعية لم يكمل استغلالها بسبب عدم تحمل الاوروبين لبعض مناخها فان هناك مساحات شاسعة الاطراف لم تستغل بعد الاستغلال الاقتصادى .

كذلك فان معادن افريقيا التى أمكن اكتشافها حتى اليوم متنوعة ، ويكفى أن نذكر أن نصف معدن اليورانيوم ينتج من افريقيا وأن ثلثى الذهب الذى يستخرج كل عام فى العالم هو من افريقيا ايضا هذا بالاضافة الى وجود اجزاء كبيرة من أواسط افريقيا لم يكشف بعد عن معادنها.

ولعلنا فى هذا الصدد نذكر أن الجزائر لم تستطع فرنسا أن تعرف مابها من معادن الا مؤخرا وأنه تبين وجود عدة أنواع من المعادن الى جانب وجود البترول بكمية يعتقد أنها ستكون معادلة لما تنتجه الولايات المتحدة .

ومثال صغير نقتبسه من أفريقيا يوضح لنا الشىء الكثير من موقف الدولة المستعمرة ومستعمراتها ، فالكونغو البلجيكى تبلغ مساحته مساحة الهند ، ويبلغ عدد سكانه نحو اثنى عشر مليونا من السكان ، وبالرغم مما فيها من موارد اقتصادية هائلة فان أهلها لا يتمتعون بدخول تسمح لهم بنشر التعليم ورفع مستوى معيشتهم ، وهذا الى جانب ان بعض الحكومات مثل حكومة جنوب أفريقيا تستورد العمال ولا تعمل على تشغيل الوطنيين ما أمكن سعيا وراء اخضاعهم من جانب والى استمرار انخفاض مستوى معيشتهم من جانب آخر ، وحتى لايفكروا فى رفع شأنهم أو المطالبة بنصيبهم فى الدخل على قدم المساواة مع البيض .

اننا ندرك الان أن السبيل أمام نهوض افريقيا اقتصاديا هو التصنيع وان سبيل التصنيع هو المواد الطبيعية أولا وهى متوفرة والموارد الادمية وهى متوفرة كذلك ولكن ينقصها التعليم وبخاصة التعليم الفنى ، وهو يمكن الحصول عليه بالتعاون مع باقى دول المؤتمر ، غير أنه لاستخدام الايدى العاملة واستغلال الموارد الطبيعية يلزم رأس المال .

وقد أشرنا فيما سبق الى أن رأس المال الموظف فى الدور الافريقية هو لاغراض خاصة ليس منها التصنيع اذ هو رأس مال أجنبى يوظف أجانب ، وحتى القروض التى حصلت عليها دول أفريقيا من البنك الدولى للانشاء والتعمير لم تستخدم الا فى توريد القوى الكهربائية أو لتحسين وسائل النقل والسكك الحديدية وذلك أيضا لخدمة المستعمر ، ولم يتحرك رأس المال نحو المستعمرات بغرض الصناعة فى ذاتها على الاطلاق .

وقد أوصى المؤتمر بالتعاون على انشاء صندوق للتنمية الاقتصادية ووضع سياسة مشتركة بين البلاد الاعضاء لاستثمار رءوس الاموال بما يكفل الحصول على أفضل النتائج والتعاون مع المنظمات الاقتصادية الدولية .

ان لمثل هذا الصندوق أهمية كبيرة بالنسبة لافريقيا ، فالاموال التى سيتكون منها الصندوق اموال تقدم اليه من الدول المشتركة فى المؤتمر، وعلى ذلك فان مثل هذا الصندوق يمكن أن يقوم بالاستثمارات التى تعطى أفضل النتائج بالنسبة لدول المؤتمر كمجموعة فضلا عن قيامه بالربط

بين جميع دول المؤتمر ، واذا ما أدركنا أن لدى أفريقيا الامكانيات التى أوضحناها أمكننا أن نقدر ان نصيبها من هذا الصندوق سيكون

نصيبا هاما وأمكننا كذلك أن نقدر قيام صناعات تبنى على النشاط الداخلى للدول الافريقية دون استغلال استعمارى أواحتكارى.

كذلك فان اتضاح جدية الاستثمارات التى سيقوم الصندوق بتمويلها ومساهمتها فى زيادة الدخل العالمى سيمكنه من التعاون مع المؤسسات المالية والدولية والحصول على الاموال التى

تحتاج دول المؤتمر اليها لاقامة مشروعاتها ، وليس هذا الصندوق بغريب أو هو ابتكار جديد فقد قامت بلاد السوق الاوروبية المشتركة فعلا بانشاء مثل هذا الصندوق واشتركت دوله بأنصبة فيه .

٤ ــ تسوية المدفوعات

قد يبدو ان هناك تعارضا بين المناداة بتشجيع الصناعة وحمايتها وبين القول بتشجيع التجارة والتوصية بالتوسع فى عقد الاتفاقات التجارية ، والواقع ان الرأى بين أساتذة الاقتصاد المعاصرين منقسم حول هذا الموضوع.

فيرى ميردال وهو صاحب نظرية التجمع أن الدولة التى تسعى لتنمية اقتصادياتها يجب أن تلجأ الى حماية ذلك الاقتصاد ، على حين يرى

هابرلر أن التجارة الخارجية يجب التوسع فيها وفتح أبوابها على مصراعيها لما تعــود به من فائدة عامة ، الا أنه يتفق مع ميردال فى نقطة واحدة هى حماية الصناعات الناشئة .

وعلى ذلك فانه بالرغم من الانقسام الظاهر فى الرأيين لا شك أن التجارة الخارجية لازمة فهى التى تسمح بمبدأ التخصص وتقسيم العمل كما تسمح باتساع الاسواق ، ومن جانب آخر فان زيادة حجم التجارة يجب أن يتلاءم

مع النمو الاقتصادى ، فاستيراد الآلات لاستغلال الموارد يختلف عن استيراد مواد الترف كما يجب الا تكون التجارة الخارجية على حساب الصناعة الناشئة التى تحتاج الى حماية . والمقصود بالصناعة الناشئة الصناعة التى

تجد مقومات نجاحها ، ولكن تستلزم بعض الوقت حتى يتيسر لها أن تقف على قدميها ..

فاذا أخذنا فى الاعتبار دون المؤتمر وما تهيئه من سوق متسعة أمام الانتاج المتنوع الذى تحظى به دول المؤتمر امكن ان نتصور ازدياد حجم التبادل زيادة كبيرة والتوسع فى اتباع أسس الانتاج الاقتصادى والتخصص مما يعمل بدوره على زيادة حجم المبادلات بين دول افريقية وباقى دول المؤتمر .

ولكن العقبة التى قد تقف أمام زيادة حجم التبادل التجارى بين دول المؤتمر هى كيفية تسوية المدفوعات فيما بينها ، وقد اشرنا الى اختلاف العملات فى أفريقيا ، فاذا أضفنا اليها باقى دول المؤتمر كانت هناك مجموعة كبيرة من العملات . ولا ينتظر اطلاقا أن يكون حجم المبادلات بين كل دولة وأخرى متساويا ، بل المتوقع أن تكون هناك مشكلات فيما يختص بالمدفوعات طالما أن العملات متعددة .

على ان مشكلة المدفوعات ليست غريبة على التجارة الدوليه ، فاتحاد المدفوعات الاوروبيه لم يقم الا لتخفيف حدة هذه المشكلة بين دول أوروبا المشتركة فى منظمة التعاون الاقتصادى الاوروبى . وقد أدى اتحاد المدفوعات خلال السنوات الثمانى التى عاشها حتى قيام السوق الاوروبية المشتركة خدمات جليلة ، واذا كان قد لاقى بعض الصعوبات بما هدد كيانه أكثر من مرة فان وجوده كان فعالا فى تسوية المدفوعات بين دول أوروبا الغربية وزيادة حجم التبادل التجارى بينها ، بل ان من أبرز نتائجه قيام السوق الاوروبية المشتركة وما تبعه من حرية تحويل العملات بعضها الى بعض بين دول السوق فى الوقت الحالى مما أدى الى الغاء الاتحاد وانتهاء الغرض منه.

وعلى ذلك فان توصية المؤتمر بالتوسع فى عقد الاتفاقات المالية الثنائية كيف يحول دون تراكم الديون وتوقف التجارة ، بل أنه سيسهل أمر المدفوعات بين كل دولتين على حدة .

كذلك فان انشاء صندوق للتسوية سوف يعالج ما ينشأ من مشكلات المدفوعات التى لا يتيسر علاجها بالاتفاقات الثنائية ، ويمكن أن نأخذ لذلك مثلا : دولة أ مدينة بمبلغ لدولة ب فى حين أن دولة جـ دائنة لدولة ب ومدينة لدولة أ ، ولنفرض بنفس المبلغ فيمكن عن طريق تسوية دين أ مع هـ أن نسوى دين أ مع ب

وكذلك ب مع جـ وهكذا يساعد وجود مثل هذا الصندوق على القيام بتسوية المدفوعات المتعددة الاطراف بين دول المؤتمر مما يزيد حجم التجارة فيما بينها .

٥ ــ الهيئة والمنظمة

ان قرارات المؤتمر وتوصياته لا يتسنى لها أن توضع موضع التنفيذ الا اذا قامت هيئة بالاشراف على هذا التنفيذ ، ان القرارات تعبر عما يجيش فى نفوس ممثلى دول المؤتمر ورغباته

وأهدافه ولكن هذه الرغبات والاهداف لا تصبح حقيقة الا اذا تم تنفيذها . ولهذا قام المؤتمر بالموافقة على انشاء الهيئة الافروسيوية لتنسيق التعاون الاقتصادى بين الاتحادات الاهلية

للغرف التجارية وغيرها من الهيئات المشـابهة لتقوم باتخاذ الطرق والوسائل التفصيلية التى تتبع فى تحقيق هذا التعاون .

وقد أدرك المؤتمر أيضا مدى ما سيواجهه من صعوبات ومتاعب فى كثير من الدول وبخاصة دول أفريقيا التى ما زالت تقاسى النفـوذ الاجنبى فأوصى المؤتمر باقامة منظمة دوليـة للبلاد الافريقية والاسيوية على مستوى حكومى وان تتخذ الخطوات اللازمة سواء عن طريق تعديل دساتيرها أو تنسيق أوجه نشاطها حتى يمكن أن تشترك جميع البلاد اشتراكا فعليـا فى أعمال المنظمة وتكون فى مركز يمكنهـا من تحقيق الاهداف المطلوبة .

٦ - كلمة ختامية

دعونا الان نتصور أفريقيا اليوم ..ونتصور أفريقيا بعد تنفيذ قرارات المؤتمر وتوصياته .. ما الذى سنجده ؟ ... سنجد كل دولة قد تمكنت من دراسة امكانياتها الاقتصـادية فقامت باستغلال جميع أراضيها الصـالحة للزراعة بالكشف عن معادنها وانتشرت فيهـا الصناعة كما انتشر التعليم فلم تعد المهـارة وقفا على الاوروبيين ، وقام أبنـاء كل دولة بجميع أعمال التجارة والخدمات اللازمة لهـا وارتبطت دولها بطرق مواصلات تسهل التبادل التجارى بينها من جانب وبينها وبين باقى دول المؤتمر من جانب آخر واتسـعت أمام منتوجاتها الاسواق وزاد حجم تجارتها الخارجية بما يرفع مستوى معيشة أهلهـا ويزيد من رفاهيتهم .



الأدب الشعبي في السودان

ارتبط الادب التقليدى فى السودان ــ ماعدا بعض النماذج القليلة ــ بالطبقة العليا فى المجتمع ، وبالاغراض القديمة التى كانت بدورها تخدم الجباه العالية فى البلاد .

أما الاشواق والمشاعر الشعبية البسيطة التى يمكن من خلالها رؤية شعب بأكمله فى صراعه للحياة فشىء لاتمكن رؤيته بوضوح فى هذا النوع من الادب . فاذا ماحولت النظر الى الادب الشعبى « دوبيتا » وحكمة ومثلا وقصة أمكنك الوقوف على أعماق هذا الشعب ، ورأيته فى أفراحه وأحزانه واصراره وطموحه ، وأحسست فى الوقت نفسه برغبة أكيدة فى مشاركة هذا الشعب فى كل ألوان الحياة التى مرت به ، وبسعادة أكيدة ، لانك أضفت الى مشاعرك مشاعر شعب ، وسعادة شعب !

والحياة فى السودان بما فيها من بساطة وامتداد وصراع تغرى بالشدو ، حتى ليندر الا يجد الانسان قلبا لا يغنى . سواء كان هذا الغناء مناجاة للنخل فى دنقلة ، أو أملا فى الوصول الى واحة فى الصحراء ، أو رغبة فى صيد بالغابة !

واذا كنا نرى الادب التقليدى لم يهتم بالمواطن البسيط ، فانا نرى الادب الشعبى قد جاء « متكاملا » فى نظرته الى الحياة . ذلك لانه لم ينس التاريخ للكبار الذين أثروا فى المجتمع السودانى كالمهدى ، وعثمان دقنه ، **وعبد القادر ودحبوبة ، والنور عنقرة ، والزبير ، وولده سليمان !**

ولم يقتصر هذا اللون من الادب على الرجال فقط ، لان النساء قد أسهموا مساهمة كبيرة فى هذا الادب ، ومن أشهرهن جميعا الشاعرة « **بت مسيمس** » .

وهذا النوع من الادب يستعمل عربية فصيحة قد ننكرها بمجرد سماعها ، ولكن القاموس سرعان مايؤكد لنا صحتها ، ويؤكد لنا فى الوقت نفسه أصالة العربية فى هذه البلاد . ومن هذا النوع الكلمات الآتية : « محافير ، حردان ، جضوم ، التلوب ، رتوت ، أدفر ، دغمة » ..

ويمكن أن تلقى ظلالا من شعر المتنبى فى مدح سيف الدولة بمجرد سماعك هذه المدحة الشعبية فى واحد من أبطال المهدية :

« النور عنقرة » جرمة نقيع السم
فى وسط العراك يضحك ويتبسم
الروح سامها لكن الاجل ماتم .. !

كما تجد شبها بين حبيبة الأعشى التى كانت تمشى « الوجى الوحل » وحبيبة الشاعر الشعبى الذى يقول عنها واصفا مشيتها المتهادية :

« لاقانى العصير يمشى كانه وحيل .. »

والى جانب هذا التأثير العربى نرى تأثيرا للغات محلية مستوطنة :

أنا بالصحراء « أكربت » فوق سنامى
آكال « التبر » راعية السحن أغنامى
فى الباكورة « يوت » باحلب باصر أغنامى

فكلمة « أكربت » بمعنى أسرع وكلمة « يوت » بمعنى عادة ، كلمتان مخليتان . كما أن كلمة « التبر » كلمة نوبية لنبات لاساق له . . .

على أن تأثرهم بالعروبة لايقف عند حد اللغة ، وانما يتعداها الى ظواهر

أخرى . ففي شعر لهم نراهم يفخرون بأن أجمل مايتدفئون به هو تلك النار التي تشعل ليهتدي بها السارون في الليل ، ونراهم يفخرون بنسبهم الى الامويين والعباسيين ، وأكثر فخرهم عادة بهاشم :

نحن أهل الشريد ألفي النسب هاشميه
ونحن أهل السغاية (١) الفضلهم ماشويه

ويكرهون البنات على عادة العرب القدامى الى حد تمني الموت لهن .

البنوت باريدن واتمنى ليهن موتن
أن مرقن غير معره ، مابجن في بيوتن

وعادتهم في وصف الراحلة، والتنقل من غرض الى غرض يذكر بنظام القصيدة العربية كما أن قطاع الطرق عندهم يذكرونا حين نقرأ شعرهم ، بشعر الصعاليك في الجاهلية . فهذا واحد منهم يذكر في شعره « أن الناس لايخافونه فقط ، وانما يخافه كذلك قطاع الطرق . فكثيرا ماتستر في ظل جمله الذي لايسمع له صوت ثم يهجم على هذا الذي ترك نساءه في جوع وقدم ليقطع الطريق مثله ، فاذا به يفر من أمامه » .

ويذكر قاطع طريق آخر « أن الشخص الذي يخشى أن تلومه القبيلة عليه أن يركب جمله ، ثم يسافر طلبا للرزق ، فاما أن يرجع بما يرضى نساءه اللائي يشبهن الغزلان ! واما أن يلاقي الموت فتضع نساءه الجميلات التراب على رءوسهن ! » .

ويتمنى بعضهم أن تصبح البلاد فوضى بلا حكومة حتى يستطيع أن يثبت قدرته على اغتصاب رزقه بالعنف الذي يرضى نفسه .

فالقارىء لهذا الشعر لابد أن يذكر شعرا آخر « لعروة بن الورد » ولغيره من صعاليك العرب .

ومن العادات العربية العريقة فيهم حماية الجار ، والوشم ، ولبس الرهط ، وطرق الزينة ، والاحتيال على الرزق .

حبهم للعلم :

نستطيع من خلال أدبهم أن نعرف حبهم للدرس واقبالهم عليه، وفخرهم به . فهذا تلميذ من « الكاملين » يفخر بحبه للدرس فيقول :

أنا أنا وليد بندر « الكاملين »
اصابح المدرس ودار العلوم تديني
ماشكوتي مع العوز ابوي سادديني
غاني دروسي حافظ لي صلاتي وديني !

وهذا شاعر يقول في شعر له لاحد التلاميذ : انك تلميذ نظيف تعلق على كتفك حافظتك كجناح أبيض ، فأنت لاترعى الغنم ! أما أنا فكادح أشد حزامي على وسطي ، وأراقب بهائمي وأعيش في الخلاء ! .

أنا شايفك نضيف دايما وابيض جناح
معاق في كتفك كيس واسود مراح
أنا محزم اكوس الوادي راح
ساكن الفقر وانت الدمر عادم النطراح !

وهذا تلميذ يذكر في شعر له أنه سيصير « مأمورا » ينفع بلاده ، ويبني منزله بالطوب الاحمر حتى لايتأثر بأمطار البلاد الغزيرة ، وسيبر بأهل بيته الذين يعملون في الفلاحة !

أخلاقهم :

نستطيع أن نتعرف على الكثير من أخلاقهم من أدبهم .. فهذا شاعر يذكر في شعره أنه لايقبل على طعام غيره، ولا يرضى لنفسه بقطع الحشائش التي تنبت بعد المطر ، ولا يختار لحياته الا كل ما هو صعب ، ولا ينقل الكلام بين الناس ، ولا يخون رفيقه ولا يغدر به ، وأن هناك ثلاثة أشياء لاتغيب عن ذهنه هي : **«الموت والفقر وغلبة الرجال !»** .

وهذا واحد يذكر أنه رجل عزيز لايخدم الانجليز أعداء البلاد ، وأن الحياة هي القوة:

مابخدم النصراني (١) صفرجي وطباخ
وعيشة القوة افضل لينا يام شلاخ

---

(١) أصلها السقاية والسودانيون ينطقون القاف غينا .

(١) لفظ يطلق على الإنجليز في السودان .

وهذا واحد يقول انهم حملوه الى المأمور الانجليـــزى يوم الخميس ، فما كاد يراه المأمور حتى انتفخ واخذ فى تهديده ، ولكن الشاعر قال لقلبه اثبت فلن يسمع منى كلمة رجاء ولو قلعت عيناى .

يوم الخميس الفـــات ودونى الظابطية
ومأمورا كبــــيرا نفخ جضومه عليـــه
اثبت يا قلب ماتجيب كلمـــة دنيـــة
أنا مابخـــاف كان قددوا عينيـــــة

وهـــذا آخر يفخر بأن كل ما هو جميل موجود فى قبيلتـــه ، وأن من يتشبه بها أو يحاكيها يكذب ، لان الرجل الواحد من قبيلته يهزم الجماعة الكبيرة ، وأبخل رجل فى القبيـــلة يستطيع أن يقدم لضيوفه ما يكفيهم من الطعام المعروف « بالمرارة » والذى يدل على كثرة ماذبح للضيوف .

الغزل :

للسودانيين فى الغزل ، وفى تقدير الجمال ذوق خاص . فهذا شـــاعر يطلب من الســــائرات أن يتمهلن فى السير ما دام سربهن يضم حبيبته . فحبيبته مترفة تسير ببطء واعجاب . كما أن عليهن أن يتعلمن منها طريقة المشي ، وهذا شاعر يشيد بوشـــم اللثة وزرقة الشـــفة السفلى التى تشبه « نيلة السحب ! » .

وهـــذا آخر يذكر أن حبيبتـــه لاتذهب الى السوق ، وأن لثتها جميلة لانها موشـــومة باللون الازرق ، حتى لتبدو أسنانها من خلال هذا الوشم كالبرق بين السحب الزرقاء ! وكبيض القمارى الذى ظهر حديثـــا ، وأن شعرها مرسل فى ضفائر رفيعة تنضح بالطيب .

وهذا شاعر يذكر لنا أن حبيبته ممتلئة تشبه الفرس فى قفزها ، وأن قوامها مثل غصن المحلب تتضوع منها الروائح ، ويستقر فى صدرها الرمان! وأنه رآها فى ساعة الاصيل وهى تقوم بعملية « **الدلكة** » وخادمتها أمامهـــا تحمل الدهن والطيب ، فما كاد يبوح لها بحبه حتى جرى دمعها غزيرا فى مجارى « الشلوخ » على وجههـــا ، وتركته مسرعة من الخجل . وبينما هى تسير ســـمع صـــوت ســـيور « الرهـــط (١) » التى تلتف حـــول فخذيها ، فسعد بهـــذا الصوت ، لانه كان يشبه صوت الاوز وهـــو يهبط الماء ووراءه أفراخه !

وقد يكنى الشاعر عن اسم حبيبته بالعدد . فيقول :

« واحد واربعين بنت اللبيب عبد الله »

وتشليخ الوجه مما يتزين به هناك . وهذا شاعر يذكر هذا فى قصيدة له معناها :

« لو لم يكن الذى قام بعمليـــة التشليخ فى خديك عنيدا لما استطاع أن يشق هـــذين الخطين ، ولوقف مبهورا أمام جمالك !

فشفتاك فى الطراوة واللين تشبهان كبد الجمل الذى يعيش على الحشائش ولم يعرف القفار ، وجيـــدك زين بحزوز طبيعية تغنيك عن الحلى » .

و « **الخـزام** » فى المرأة ممـا يثير الشاعر الشعبى فنراه يقول فى شعره :

« لقد أصبحت مريضا وعلا أنينى فمنع النـــاس من النوم ، وجعلنى أطوف وراء الحبيبة ، وأقطع الطرقات المؤدية لها .. كل هذا بسبب الخزام الجميل المتدلى فوق شفتيها ! » .

وهـــذا الحردلو يصف حبيبتـــه وصفا رائعا فيقول :

المـــاظ والحـــرير والجوهر المعزول
والدهب البيجيـــون من « بنى شنقول »
مابشـــابهن جمال خدام حنانه بتول
شعرا ريش نعام والوجـــه سمح مصقول
وعنقاصب قزاز صانعنو فى « اسطنبول »
قامت فى القيـــــاس بين القصر والطول
من غير أم شليخ شوف جسمى كيف منحول؟
امسيت فى لهيب نار الحســود مملول .؟

---

(١) نقبة من الجلد تلتف بها الفتاة حول الفخذين وتلبسه وهى صغيرة ويظل معها حتى يقطعه زوجها ليلة العرس .

حبهم للحرية :

والسوداني يحب وطنه ، ويحب الحرية في كل شأن من شئون حياته. ومن ثم نراهم حين اشتغلوا مع الانجليز في الحرب العالمية الاولى يقولون متذكرين ديارهم وأبناءهم :

ياطير كان عشيت سلم على الولدونا
وقول لهم الانجليز بالكنترات ملكونا
كلما اصبح صباح مثل الغنم عدونا
يارب ياكروم ابرد حشا الولدونا

وهذا واحد منهم يتشوق الى أرض البطانة فيقول :

الخبر الاكيد قالوا البطانة اترشت
سارية تبقبق للصباح ماانفشت
ان سعلونا (١) نحن دعادناش اسبابه
لامصروف ولا زولن بنسلابه ! .

وقد استوحى بعض الشعراء في السودان بعض هذا الشعر الشعبي وعلى رأسهم شاعر السودان الكبير « محمد سعيد العباسي » فقد سمع في مضارب « أولاد طريف » صوتا حنونا ينشد :

ياأب لونا سمري
ياأب حديثا تمري
الدوار اني . . .
ياالله تجمع شملي !

فحول هذه الاحاسيس الشعبية الى الشعر الفصيح فقال :

اللون لون الذهب
والقول حلو الرطب
لي أرب في ذا الرشا
يارب فاقض أربي !

وقد استمع مرة الى بدوية تستنجد بعرافة وتمنيها بريال « مجيدي » إن دلتها على مكان حبيبها في أبيات منها :

ختاته ختي زيدي
بكريكي بي مجيدي
شوفي لي حبيبي
في البلد البعيد . . !

فقال في هذا المعنى شعرا فصيحا :

عرافة العزب زيدي
ومن نداك استزيدي
فكيف حال حبيب
أمسى بقفر بعيد !

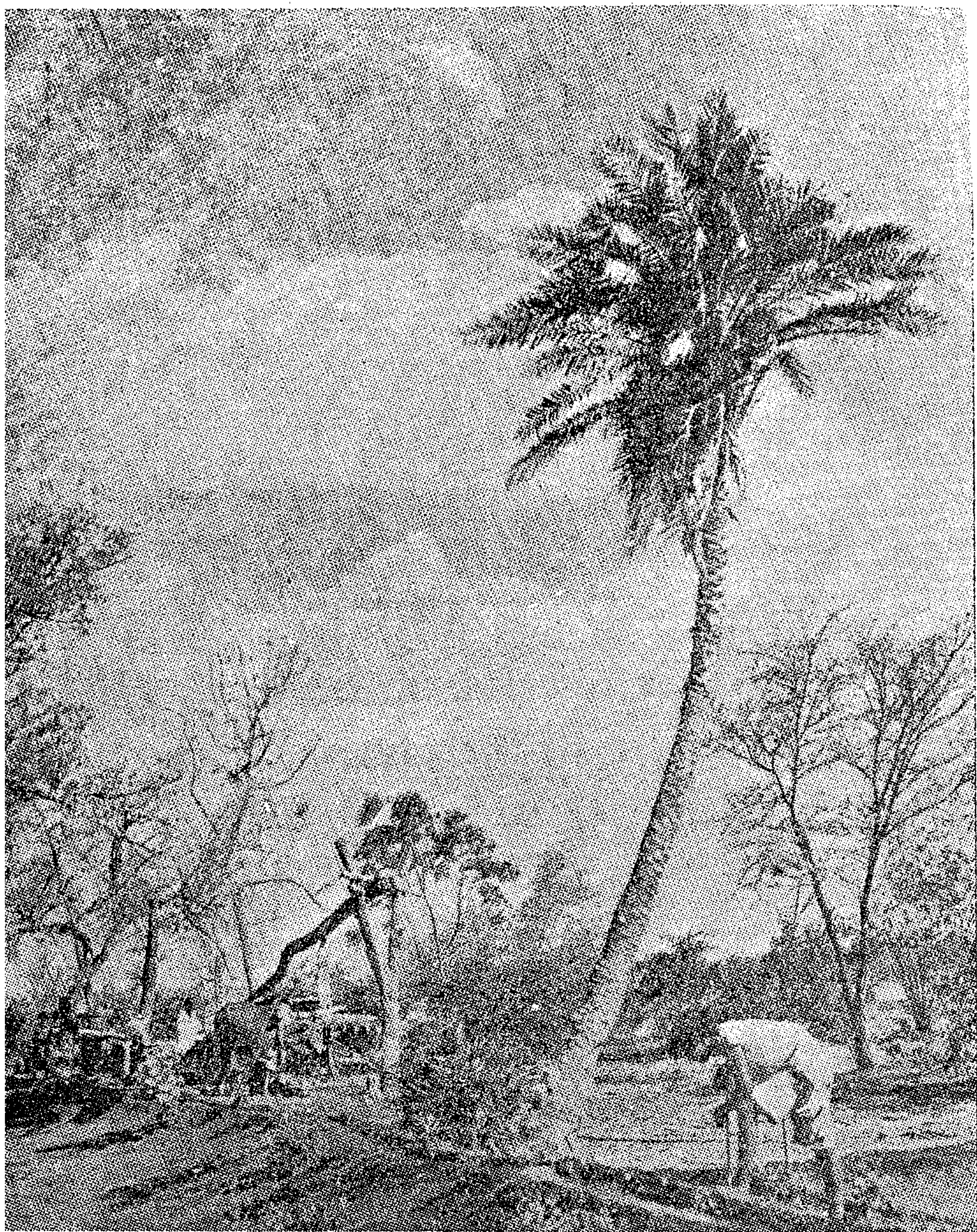
الامثال في السودان :

من أمثالهم في السودان قولهم : « المنا يبلع ريق على ريق ما بلقى رفيق » . ويضرب في الحث على حفاظ مودة الاخوان : « المنا يدورك لاتدوره » ومعناه من لايريدك لاترده ، « أربعا وعقاب شهر » لانهم يتشاءمون من يوم الاربعاء اذا كان آخر شهر . وقد كانت العرب تتشاءم به أيضا . . فمن أمثالهم : «أثقل من أربعاء لاتدور» ، « الما عنده قديم ماليه جديد » ، « التزكاوي ولا المتركو » ويقال فيمن يتجاوز حده في التقليد ، « عشرة في تربة ولا ريال في طلبه » .

القصص :

من قصصهم قصة **((نبي الله الخضر))** وهي تدور حول ملك قال من يجعلني أرى الخضر عليه السلام سأغنيه مدى حياته . فسمع بهذا رجل فقير ، فقال لامرأته نحن لانملك قوت يومنا ، فأي شيء في أن أذهب الى الملك وأقول « سآتيك بالخضر في الموعد الذي تختاره » ، فحدد الملك الميعاد . ولكنه لم يف بوعده . فأمر الملك الناس بأن يجتمعوا حتى يشاهدوا تنكيله بالرجل الذي غرر به . فلما اجتمع الناس ، طلب منهم أن يدلوه على موتة يستحقها الرجل الكذاب . فاقترح كل واحد نوعا من القتل ، ولما لم يبق الا احد الواقفين سأله الملك (أي

(١) المقصود « ان سألونا »



الريف فى السودان

نوع من القتل تختاره لهذا الرجل) فرد عليه الرجل قائلا (اقتله بكرمك)

ولما عاد الملك لينظر اليه لم يجده . فأدرك وأدرك معه الناس انه هو الخضر عليه السلام ، فكرم الرجل الذى كان سيقتله وأغدق عليه من نعمه .

ومن قصصهم أيضا قصة (**محمد سيد الثور**) وتدور حول رجل كان متزوجا من ثلاث نساء احداهن تقيم وحدها . فلما مات الرجل طلبت الام التى تقيم وحدها من ولدها أن يطلب الميراث فلما ذهب لاخوانه أعطوه من مال أبيه الكثير بقرة واحدة عاد بها الى أمه فردته بها . فضحكوا عليه مرة ثانية واعطوه (ثورا) فأبقاه عنده أياما . ثم ذهب ليبيعه فمر برجل أعمى له عدة أولاد فطلبوا منه البقاء عندهم مدة الليل . فلما أصبح الصباح وجدثوره مذبوحا . وسمع فى حديث لهم أنهم يخفون مالا كثيرا فتربص حتى تفرق الاولاد وبقى الرجل الاعمى فدخل عليه واخذ يضربه حتى سلمه وعاء مملوءا بالمال وعاد الى أمه ففرحت به . ثم عاد ثانية وثالثة ورابعة الى الرجل الاعمى حتى استولى على جميع ماله .

فلما تجسسوا عليه وعرفوا أنه يقيم فى الشاطىء الآخر عزموا على الذهاب اليه جملة فلما أحس منهم هذا تنكر فى هيئة (مراكبى) فلما طلبوا العبور قال لهم ادخلوا مامعكم أولا فى المركب . ولكن الريح شديدة ولا مناص من تكتيفكم جميعا حتى لايميل بكم المركب . فلما قبلوا وأصبحوا فى عرض البحر قذف بهم فى قلبه وعاد بأمتعته الى أمه .

وهناك قصة أخرى تسمى (**ست البكا**) وهى تدور حول امرأة مات أخوها فأقبلت النساء من كل مكان لتعزيتها الا امرأة غنية تسمى (السرة) فلما ذكرها النساء بعدم حضورها أقسمت أنه لابد لها من شتمها وضربها . وحين علمت المرأة الغنية بما قالته هذه السيدة ذهبت اليها فى عربتها المطهمة . وانفردت بها ثم أعطتها عشرة جنيهات .

وفى هذا الوقت احتشدت النساء بالخارج ليستمتعن بالمعركة ، ولما لم يسمعن شيئا انفردن بالمرأة الحزينة وقلن لها (لماذا حنثت فى قسمك) فقالت : بل بررت فى قسمى لان السرة بكت كثيرا على أخى .. من حافظة نقودها) .

ومهما يكن من شىء فدور الادب الشعبى لايقف على ماسقناه من ضروب الحياة . لانه قد تعرض لكل شىء فى السودان . فدافع به الوطنيون الاعداء ، وتغنى به السعداء فى الصحراء ، وتنهد به المحبون والمتشوقون الى مرابعهم .

فالادب الشعبى لم يعرف (ظاهرة الانعزال) فى البلاد ، ولم يقف على فئة دون فئة ، وانما كان شيئا ضروريا تستقبل به البلاد الصباح حين تقبل على العمل ، وتستقبل به المساء حين تزمع على السمر ، وتستقبل به مابين الصباح والمساء من أحداث وهى على الطريق الطويل .. طريق الحياة !!

ع . ب

الصحافة في أفريقية

للاستاذ حلمى شعراوى

هذا العنوان أضخم ولاشك مما يتوقعه القارىء فى مقال صغير كهذا ، ولكن مما قد يهون الامر قليلا ان يعرف القارىء انه اسم لكتاب صدر فى السنوات الاخيرة فى الولايات المتحدة الامريكية يتضمن مشروعا تقول عنه صاحبته « بهذا الكتاب (الصحافة فى افريقيا) تبدأ سلسلة بحوث عامة عن افريقية الحديثة ، والكتاب التالى سيتناول « مصالح الولايات المتحدة فى افريقية » ثم كتاب آخر عن الزعامة السياسية فى افريقية » .. الخ . فالسلسلة من بادىء الامر تبدو عملية استكشاف تشبه عمليات استكشاف ستانلى وزملائه الرحالة فى قلب افريقية حين أخذ ريح الاستعمار يهب على القارة فى القرن التاسع عشر .

ولن أتناول هذا الكتاب فى ذاته بالعرض والتحليل بقدر ماسأحاول تتبع دلالات صدور هذا الكتاب فى هذا الوقت ودلالة منهجه فى عرض الحقائق وتناول بعض حقائقه فى حدود اطارنا العام فى الحديث .

ومما لاشك فيه ان اهتمام الولايات المتحدة بأفريقية حديث التاريخ لايتجاوز مابعد الحرب الثانية ، اذ انها كانت الى ماقبل الحرب الاخيرة منطوية على نفسها فى ظل « مبدأ منرو » الذى حفظها من الراسمال الاجنبى وحفظ الفرصة لرءوس اموالها فى النمو ، حتى اذا ماخرجت امريكا من الحربين سليمة معفاة صار لها السيطرة على ٦٠ فى المائة من القدرة الانتاجية للعالم الرأسمالى وارتفع رأسمالها المصدر للخارج من ٥ر١٣ فى المائة سنة ١٩٣٨ الى ٦ر٣٢ فى المائة سنة ١٩٤٧ بالنسبة لرأس المال العالمى .

وسأعرض هنا لبعض السمات العامة فى الكتاب لا لاعتبار الكتاب فى ذاته بل لانها تكاد تكون المناهج العامة الاوروبية والنتائج العامة لما قدمناه ، وحتى هذه السمات العامة سأكون محددا فيها بصحف شرق أفريقية كأمثلة دائمة ، وذلك لانى سأعرض فى هذا العدد بالتفصيل لصحافة هذه المنطقة وحدها ، ولذلك يستحسن استخراج السمات العامة منها ، ثم نراها على الواقع ، على أن نتناول بقية صحافة البلدان الاخرى فى اعداد قادمة .

يبدأ الكتاب فيعزل مصر عن افريقية ويقول : « ستحذف مصر من هنا لانها تدخل بالفعل ضمن نطاق الشرق الادنى » وليس هذا المعنى بجديد على العقلية الاوروبية فى نظرتها الى مصر من زاوية مصالحها فى المنطقة لامن ناحية تقدير العوامل التاريخية والحضارية وان كانت مصر حقا اكثر ارتباطا بحضارة الشرق الادنى الا انها ليست مقطوعة الجذور بأفريقية بحيث تفصل عنها دائما على نحو مانرى ولكن لعلم « الجيوبولتكس » الحديث احكامه فى الولايات المتحدة!

وأول مايطالعنا بعد ذلك ظاهره سيترتب عليها مناقشة عدة مسائل بعد تلك هى ظاهرة سيطرة شركات

كبرى على الصحافة وادارة مكاتب النشر والطباعة .

ومن أكبر الشركات الصحافية ذات النفوذ العريض شركة « ايست افريكا ستاندرد » اذ نجد لهذه الشركة خمس صحف كبرى في شرق افريقية هي «ايست أفريكاستاندرد» و « بارزا » و « ممباساتايمز » في كينيا ، ونجد « أوغندا ارجس» في اوغندا ، و « تنجانيقا ستاندرد » في تنجانيقا . ويتفرع من الشركة نفسها شركة « ارجس » فنجد لها عدة صحف في جنوب افريقية هي « ستار » و « كيب ارجس » و « ديلي نيوز » .

ويشير كتابنا دون مواربة الى ان هذه الصحف لسان حال المستوطنين قبل كل شيء . وانا لي خبرة شخصية بهذه الصحف نفسها ، ترى في اي اتجاه تسير ؟ المقدمة الطويلة التي قدمنا بها هذا المقال تكشف الى حد ما عن جزء من الجواب ، فالمستوطنون في أزمة كما قلنا وهذه الصحف هي صوت حركة الاستيطان في المنطقة ، ومعنى ذلك أن هذه الصحف تزعم انها صوت الحرية وانها تستطيع ان تقول كل شيء ضد الحكومة ، وهي تقول فعلا بحيث يمكن ان تراها مهاجمة عنيفة لسياسة الحكم البريطاني ، وهم لايستطيعون الزعم بان البلاد بلادهم وان الافريقيين انجليز كما يزعم مستوطنو الجزائر الاغبياء ، ولكن الصحافة هنا تدق على نغمة جد خطيرة يفهمها بعض الافريقيين الوطنيين وتضلل العناصر المهادنة : تلك هي فلسفة الحكم المشترك او المناداة بحكم العناصر المشتركة Multiracialpolicy وقد حاولت اقناع الافريقيين بدستور من أجل هذا الغرض بالذات وتجد المقالات ، رنانة حول «تعايش الاجناس» و « التعاون في الحكم » .

ومن أجل ذلك تهب « صحف ستاندرد » ثائرة في وجه اى انجليزى يتحدث عن الحكم الذاتى للافريقيين أو « الاستقلال التدريجى » لهم ، ومن أجل ذلك أيضا تحاول هذه الصحف أن تجذب الى جانبها دائما الآسيويين في شرق أفريقية واقناعهم أن لهم حقوقا غير التجارة في المنطقة ، ومن اجل ذلك لابد ان يشاركوا في الحكم في ظل سياسة « العناصر المشتركة» وتصبح المسألة الرئيسية التي تتبعها الصحف اثناء زيارة لينوكس بويد وزير المستعمرات البريطاني سنة ١٩٥٦ هي مفاوضاته مع الاقليات ثم مع الافريقيين لمصلحة الاقليات أي الآسيويين .

والسيدة « هيلين كتشن » ناشرة الكتاب هي « واخصائيوها » في صحافة أفريقية الذين تعاونوا معها ، يفهمون هذا جيدا . ولذلك تجد في التعليق على اتجاهات الصحيفة انها « مستقلة » مثلا أو « محايدة » وهاتان الكلمتان في الكتاب عامة يعنيان أنها صحافة المستوطنين ، اذ يعلق الكاتب احيانا بقوله :

« تهاجم الحكومة أحيانا » أو « تقف في صف الافريقيين في بعض الظروف » ومن هذه الظروف مثلا كما قرأتها بنفسي في « كينيا ويكلي نيوز » : أن لامانع لدى الصحيفة أن تطالب مع الافريقيين بزيادة عدد مقاعدهم في المجلس التشريعي . على ان يعين جزء منهم وينتخب الباقون وألا يزيد المجموع على عدد الاوروبيين في المجلس » ! ذلك لان عدد الاوروبيين في مجلس كينيا التشريعي يزيد على ضعف عدد الافريقيين فيه .

ومن أوضاع الصحافة في أفريقية كذلك أن قليلا جدا من الصحف يملكه الافريقيون ، وحتى هذه الصحف التي يملكونها ضعيفة من

الناحية الفنية ، فقيرة في رأس مالها، ليس بهامجموعة مدربةمن الصحافيين الافريقيين : فمثلا ليس فى كينيا صحيفة واحدة للحركة الوطنية ، وهناك صحيفة « تازاما » وهى اقل الصحف توزيعا بالرغم من أنها تصدر باللغة السواحلية ، وتضغط عليها « ايست أفريكا ستاندرد » وتوجه سياستها فتلجأ الى تأييد الحكومة طبعا . ولعل هذا الوضع هو الذى يجعلها ضعيفة من الناحية الفنية وفقيرة . أما عن الصحافيين المدربين فمؤلفو الكتاب أنفسهم يذكرون ان « شركات الصحافة الكبرى تميت بقية الصحف باصطياد محرريها الاكفاء واغرائهم بالمرتبات العالية التى لايحلمون بها » .

وهى بذلك تضرب عصفورين بحجر واحد وهو أنها تقتل الصحف المناضلة فنيا، ثم انها تكسب الصحفيين الوطنيين لجانب سياستها المضللة .

ثم ان احتكار شركات كبرى مثل « ستاندرد » للصحف فى منطقة مثل هذه يجعل صدور الصحف باللغات الوطنية امرا صعبا للغاية وهذا مايحدث . فمن بين ٢٢ صحيفة معروفة فى كينيا ليس بها الا ٣ صحف باللغة السواحلية وواحدة بلغة الكيكويو . والحبشة ليس بها الا « نشرتان » بالامهرية و٣ صحف بالانجليزية والفرنسية، وتنجانيقا بها ١٢ صحيفة أهم ٦ صحف منها بالانجليزية وصحيفة يونانية وصحيفتان بالهندوسية والباقى بالسواحيلى لغة الافريقيين . وأوغندا وحدها هى التى تتمتع بالكتابة بلغتها فى معظم صحفها حتى ذات السياسة الاوروبية الاستعمارية منها .

فاذا عرفنا ذلك وقدرنا معلوماتنا عن سوء حال التعليم فى افريقية عرفنا من هم قراء الصحف وكيف يتكون الرأى العام ، وهنا لانستطيع الا أن نتهم مؤلفى الكتاب بالغباء حين يكررون من بلد الى آخر فى افريقية « ان عدم وجود رأى عام افريقى لايساعد على رواج الصحف الافريقية » وكأنهم يريدون أن يحملوا الافريقيين وحدهم مسئولية عدم وجود رأى عام بينهم يشجع على رواج صحفهم على حين أن هناك كل هذه العوامل .

والحقيقة العامة التى نود ذكرها هنا كذلك قبل ان نستعرض تفاصيل بعض بلاد أفريقيا هو أن معظم الصحف أو قل ٩٠ فى المائة على الاقل لم ير النور قبل نهاية الحرب الاخيرة ، ونادر تلك الصحف التى يذكر الكتاب أنها قبل هذا التاريخ اذ أن افريقية ظلت محرومة من الكلمة المنشورة حتى عام ١٩٤٩ . وماقبل ذلك انما كان نوعا من النشرات الحكومية اكثر منه صحفا . ففى كينيا نجد « صندى بوست » و « كينياديلى ميل » قبل سنة ٣٩ . وفى اوغندا تجد صحيفة « ماتاليس » وهى لشركة أوروبية أو نجد « ابيفاما اوجندا » سنة ١٩٠٧ وهى للكنيسة الجمعية الارسالية ومثلها « مانو » سنة ١٩١١ وفى تنجانيقا نجد « مامبوليو » وهى نشرة حكومية سنة ١٩٢٥ .

وكنت أود أن أتحدث كذلك عن هذا النوع من الصحافة الذى يوجهه الآسيويون ـ ومعظمهم تجار هنود ـ فى شرق أفريقية ويصدر أحيانا بالانجليزية أو أخرى بالهندوسية أو « الجوجرانى » وخاصة فى كينيا وتنجانيقا وزنجبار . ولكنى لن أتناولها بالتعليق اذ يذكر الكتاب عن معظمها تعاونها مع البريطانيين . ومعلوماتى الشخصية عنها غير كافية لتحليل ماورد فى الكتاب بشأنها ان صدقا او كذبا .

والآن سنتناول صحافة بعض بلدان شرق أفريقية بتفصيل أكثر :

أولا : اثيوبيا : ليس فى الحبشة نشاط صحافى يذكر اذ أن العقبات التى تواجه الصحافةهنا هى العقبات نفسها التى تواجه التقدم عموما فى الحبشة كما يذكر الكتاب أن « مستوى التعليم المنخفض والقبلية والارستقراطية الاقليمية والصلات الداخلية الضيقة وعدموجود منافسة بين عناصر الامة لعدم وجود أحزاب سياسية فى الحكم » ويضيف الكتاب « العزلة الجغرافية » وان كنا نعرف أن العوامل الاولى فى صلب بنيانها الاجتماعى والسياسى الا اننا نعرف أيضا أن عامل العزلة السياسيةعامل مصطنع دخيل على شعب الحبشة ٠ من أجل هذه العوامل نجدفى الحبشة ٤ صحف فقط وهى « حكومية » و « أسبوعية » و« حديثة الوجود » على مايذكر الكتاب ٠ وحتى مايصدر منها بالانجليزية « ديلى نيوز بولتن » او بالفرنسية « اثيوبيا اليوم » فانه نشرات حكومية كذلك ٠ واكبر الصحف انتشارا توزع٢٠٠٠ نسخة وهى « اثيوبيا هيرالد » مع العلم ان عدد السكان فى الحبشة يبلغ ١٨ مليون نسمة ومع العلم أيضا أنهناك وزارة اسمها « وزارة الصحافة والاستعلامات » ٠

أما فى « ارتريا » فهى أكثر نشاطا فى المجال الصحافى اذ كان بها الىسنة ١٩٥١ صحيفتانيوميتان و ٨ صحف اسبوعية وقد عطلت صحيفة « صوت ارتريا » الوطنية الاسلامية المعارضة سنة ١٩٥٤ لمدة سنتين « بسبب الدعاية الزائفةضد الحكومة » !

ثانيا : كينيا : وهى احدى المراكز الكبرى للمستوطنين الاوروبيين فى شرق افريقية ولذلك تتخذ الصحافة الاوروبية مركزها هناك فشركة «ايستأفريكاستاندرد» تطبع صحفها بالعنوان نفسه وتوزع يوميا « بالانجليزية » فى نيروبى وممباسا ودار السلام وكمبالا ٠

ويقول الكتاب انها «تتبع سياسة التايمز اللندنية » كما أنها أكبر الصحف انتشارا فتوزع ٢١ ألف يوميا ٠ كما كونت الحكومة «شركة الصحافة الاهلية » وهى على مايبدو نكاية فى الصحف « المستقلة » عن سيطرة الحكومة المباشرة وهى تمد الشركة بالقروض كما تحكمها بالاعلانات التى تمدها بها أو تحرمها منه كلما كانت خاضعة لها أو راضية عنها ، بل انها تجعل المساعدة المالية فى شكل اعلانات للحكومة فى صحفها ٠

ثالثا : أوغندة : وأوغندة أكثر بلاد شرق افريقية تقدما فى المجال الصحافى بشهادة كتابنا وبالملاحظة المجردة ٠ ذلك ان اللغة الوطنية هى اللغة السائدة فى الصحف الا وهى لغة « اللوجاندة » اى لغة الباغنده٠ فمن بين ١٦ صحيفة معروفة نجد ١٤ منها باللغات المحلية وخاصة « اللوجاندة » ٠ كما ان الملاحظة الاخرى انصحفالحزب الوطنى تجد رواجا كبيرا وتتمتع بخدمة صحافية فنية ممتازة مثل صحيفة « اوجندا بوست » لسان حال حزب المؤتمر الوطنى ، ويرأس تحريرها « ج - كوانوكا » الزعيم الوطنى المعروف وهى اسبوعية وتوزع١٥ ألفنسخة « واوجندا يوجيرا » اسبوعية ايضا وتوزع ١٢ ألفا الا ان الصحيفة اليومية المعروفة تطبع بالانجليزية وتملكها شركة ارجس واسمها « اوجندا ارجس » وهى احدى فروع « ايست افريكا ستاندرد » فىشرق افريقية وتوزعحوالى١٢ ألفنسخة٠

رابعـا : تنجانيقـا : يعيش فى تنجانيقا حوالى ٩ ملايين نسمة تتكلم اللغة السواحيلية ومع ذلك فليس بها الى حوالى ١١ صحيفة ليس منها الا صحيفتان يوميتان أوسعهما انتشارا هى « تنجانيقا ستاندرد » التى توزع ٩ آلاف نسخة وتصدر بالانجليزية والثانية « اوانجازا » تصدر بالسواحيلية وتوزع ١٥٠٠ نسخة فقط !!

كما ان معظم صحف تنجانيقا تخضع مباشرة للحكومة او تنشرها الحكومة بنفسها مثل صحيفة « مامبوليو » الشهرية ولذلك توزع ٥٥ الف نسخة في الوقت الذى نعلم فيه ان تنجانيقا تحت الوصاية وانه من المفروض انها تستعد للاستقلال بين يوم وآخر . والصحيفة الاخرى المنتشرة هى « صندى نيوز» ويقول عنها الكتاب انها « مستقلة » بالمعنى الذى اوضحناه طبعا .

اما الجريدة الوحيدة التى يملكها الافريقيون فهى « بوكيانا جاندى » وهي تصدر بالانجليزية والسواحيلية ولغة « الهايا » اسبوعيا . ويقول عنها الكتاب انها « مستقلة محايدة » كما انها معتدلة وهى تفسح صدرها لارضاء العائلة المالكة والحكومة والدين » .

خامسا : زنجبار : فى هذه الجزيرة الصغيرة يعيش ٢٨٠ الف نسمة تقريبا كلهم حيوية ونشاطا وهذا يرجع الى ان اصولهم البعيدة قد اختلفت وان التقت الآن جميعها تحت اسم زنزبار . ولكن الانجليز لايغفلون استقلال هذه النقطة لتكون موضع الانقسام والفرقة حتى تتم لهم السيادة . فهم يسمون العناصر العربية « مستوطنين » بقصد الايحاء الى اصلهم الغريب ويوحون بالفرقة الى بعض الافريقيين « الشيرازى » لتختلف أهدافهم فى الكفاح ثم يثيرون هؤلاء وهؤلاء ضد العناصر الآسيوية الهندية .

والصحف بدورها تدور في هذه الحلبة . فهناك صحيفة «افريكاكويتو» تصدر بالانجليزية والسواحيلية وتتزعم حركة مناصرة للانجليز هناك ضد العناصر العربية والهندية على حين تزعم أنها لمصلحة الافريقيين ومعنى اسمها «افريقية ديارنا» تقصد العناصر الافريقية وحدها . وهناك من ناحية اخرى « صوت زنزبار » وهى توالى العناصر الهندية وتدافع عنهم وتصدر بالانجليزية و « الجو جيراتى » كما ان هناك صحيفة « الفلق » وتمثل النزعة الاسلامية وتصدر بالانجليزية والعربية . ولكن هناك ايضا صحيفة « مونجوزى » الوطنية وهى لسان حال الحزب الوطنى الذى ينادى بالوحدة ويرأس الحزب ويحررها الزعيم على محسن . ومن الطريف ان نذكر ان الكتاب يعلق عليها بأنها موالية للانجليز . ويجدر بنا ان نذكر ان كل صحف زنجبار اسبوعية وان ماذكرنا منها جميعا يبلغ توزيعه الف نسخة تقريبا .

ولدينا الآن نقطة هامة وأخيرة هى ان الكتاب قد اغفل ذكر صحف وطنية هامة مثل صحيفة « اوجندا اكسبرس » الذى كان يصدرها حزب المؤتمر الوطنى منذ عام ١٩٥٣ ثم اوقفت عن الصدور بسبب تعبيرها عن الازمة التاريخية بين الوطنيين والبريطانيين فى هذا العام حيث انتهت بنفى « الكاباكا » واغلاق الصحيفة ولاشك ان وجود صحافة تبلغ فى كفاحها هذا الحد فى بلد افريقى جدير بالذكر والتنويه ولاندرى لماذا يغفلها كتاب يتحدث عن الصحافة فى افريقية مالم يكن هناك غرض من ذلك ؟ .

ثم ان الكتاب لم يشر بشيء اطلاقا الى صحافة الصومال ولعل المؤلفين خشوا من التعرض لاقسامه خوفا من أصدقاء الامريكان في المنطقة ، ولكننا

لانستطيع ان نغفل صحافة الصومال مادمنا نتحدث عن الصحافة في شرق افريقية وخاصة انها صحافة منطلقة واعية بقضية وحدة « الصواميل » الخمس ، وألاعيب الوحدة الزائفة في

ظل الكومنولث أو ظل اتحاد شرق افريقية . وان كانت هناك صحيفة للايطاليين هي «كوريلا دي لاصوماليا» وتعتبر نشرة حكومية ، او صحيفة « اليقظة » لسان حال الفرنسيين ،

فهناك كذلك صحافة حرة يصدرها مجموعة من الشبان المتحررين تعلم معظمهم في الجامعات المصرية وتشربوا روح التحرر . وصحيفة « الاخبار »

كانت من صحف الشباب الوطنية المناضلة وكانت تصدر بالانجليزية والعربية ولكن الادارة هناك اوقفتها عن الصدور فانطلق ليعبر عن الرسالة نفسها صحفيون آخرون فأصدروا « قرن أفريقية » في الصومال البريطاني معبرة عن حزب الرابطة

الوطنية وتصدر باللغة العربية ويرأس تحريرها عمر محمد ، أما « اللواء » فهي تصدر بالعربية ايضا ولاتحمل شعارات حزبية ولكنها تتبنى قضية

الصومال العامة ، ألا وهي الوحدة . ويرأس تحريرها شاب عرفنا وطنيته في القاهرة هو الزميل السابق احمد يوسف .

والى هنا نرجو ان نكون قد تعرفنا على بعض الحقائق عن الصحافة في **احدى جهات افريقية .**



هذه هي تنجانيقا

للدكتور علي ابراهيم عبده

تبلغ مساحة تنجانيقا ٣٦٢٫٠٠٠ ميل مربع ، منها ٢٠٫٠٠٠ ميل مربع عبارة عن مسطحات مائية داخلية ، وليس في تنجانيقا الا سهل ساحلي ضيق ، ومعنى هذا أن كل المساحة الهائلة التي ذكرناها عبارة عن مرتفعات . فانه غير متنوع في ارتفاعه ، وهذا من شأنه أن يقلل من كمية المطر حتى أصبحت أغلب أجزاء تنجانيقا تشكو عدم كفاية المطر . وتنجانيقا بحدودها السياسية الحالية تنقسم الى منطقتين متميزتين: منطقة كيليمانجارو ، ثم باقي تنجانيقا .. وللمنطقة الاولى ظروفها الخاصة، ففيها مدينتا أروشا وموشي ، وفيها عدد كبير من جماعة الكيكويو ، ثم فيها جماعة الماساي Masai والواشاجا Washaga ، كما أن بها عددا كبيرا من البيض ، يرون في منطقة جبل كيليمانجارو مكانا ملائما لاستيطانهم . وجملة القول أن ظروف هذه المنطقة أكثر شبها بكينيا منها بتنجانيقا .

ويبلغ عدد السكان في تنجانيقا نحو ثمانية ملايين نسمة ، نسبة الافريقيين منهم أكثر من ٩٩ ٪ . ويؤلف الهنود والعرب من السواحليين أقليات ذات أهمية في تنجانيقا ، وكذلك توجد أقلية صومالية بها . وأما الاوروبيون فلا يصل عددهم الى العشرين ألفا . ويلاحظ أن عدد السكان في تنجانيقا بصفة عامة قليل وقد زاد من قلته فصل منطقة رواندا — أوراندي ، التي كانتا جزءا من أجزاء تنجانيقا ثم فصلت عنها وضمت الى دائرة النفوذ البلجيكي تحت نظام الانتداب من قبل عصبة الامم بعد الحرب العالمية الاولى . ويبلغ تعداد **((رواندا-أوراندي))** أربعة ملايين نسمة ، وهي الآن تحت وصاية بلجيكا بقرار من هيئة الامم المتحدة . وأهم الجماعات الافريقية في تنجانيقا هي : الماساي ، والواشاجا ، والسوكوما Sukuma

فأما **الماساي** فيعيشون في منطقة جبل مكيمانجارو ، وعددهم قليل لا يتناسب مع شهرتهم الكبيرة ، فهم لا يزيدون على ٤٥ ألفا في تنجانيقا و ٦٠ ألفا في كينيا . ويتجول ماساي تنجانيقا في مساحة قدرها ٢٤ ألف ميل مربع ، ويملكون ستمائة ألف رأس من الماشية ومثل هذا العدد من الغنم والماعز . وهم يعتمدون اعتمادا كليا على حرفة الرعي، ولهم فيها شهرة خاصة حتى ليعتبرون أحسن رعاة ماشية في العالم .

وأما **الوشاجا** فيسكنون السفوح الشرقية والجنوبية والغربية لجبل كيليمانجارو ، ويبلغ عددهم ٣٠٠ ألف نسمة ، وهم متقدمون عن الماساي ، ومنهم التجار والمدرسون ورجال الاعمال . وأهم حرفة لهم زراعة البن اذ يمتلكون ١٢ مليون شجرة بن . ولهم علمهم الخاص ، ونشيدهم الوطني ، ونظامهم الاتحادي ، كما أن سبعين في المائة منهم يدينون بالديانة

المســـيحية . ولهم كذلك مدارسهم ومستشفياتهم الخاصة ، ونظـــامهم القضائى ، ومجلسهم القبـلى ، الذى يدير شئون الجماعة ، ولكن القانون والامن مناختصاص الحاكمالبريطانى فى اقليم الواشاجا كأى جزء آخر من أجزاء تنجانيقا . وهم على كثـير من الوعى السياسى ، وينتقدونالسياسة البريطانية فى بلادهم، ولذلكيكرههم البريطانيـون ، حتى أنه يقـــال أن كرههم لهذه الجماعة لايقل عنكرههم لجماعة الكيكويو فى كينيا .

على أن أكبر قبـائل تنجانيقا هى السوئوما ، اذ يبلغ تعـدادها حوالى مليون وربع مليون نسمة ، وقدكون السـوكوما ــ على مثـال الواشاجا ــ اتحادا من الرياسات المختلفة التىيبلغ تعدادها ٥١ رياسة . وفيما عدا هذه الجماعات الكبيرة الثلاث ، توجد فى تنجانيقا أكثر من مائة وحدة قبلية ، معظمها فىحالة انعزال تام عنالباقين سواء باختلاف اللغة أو الديانة .

ومدينة **دار الســلام** هى عاصمة تنجانيقا ، ويبلغ تعـدادها ٧٥ ألف نسمة ، وهى مدينة حارة رطبـة على المحيط الهندى ، يمكن وصفها بأنهـا مدينة عربية هندية ، خططها الالمان، وهى بذلك تتفوق على المدن الافريقية التى يخططها الانجليز . ولها مجلس بلدى يتألف من ٢١ عضـــوا ، وبها جالية يونانية غنيـــة ســاهمت فى تجميلها ، وهى مثل مدينة زنجبـــار

مركز هام لأتباع **أغا خان** . ومن أهم المدن فى تنجانيقا كذلك مدينة تانجا ، وتقع على بعد أميال قليلة منالساحل ومن دار السلام ، ويبلغ عدد سكانها ٢٤ ألف نســمة ، وهى مركز عربى قديم ، كانت تزدهر بهـا الثقـــافة

العربية فى وقت من الاوقات ، ويلعب العرب فى تانجا فى الوقت الحــاضر دورا سياسيا هاما بين الافريقيين من

ناحية وبين الهنود من ناحية أخرى . ومن مدن تنجانيقـــا أيضـــا مدينتا

(طابورة) و (دودوما) وكانت كل منهما ، فى فترة نشاط تجار العرب فى شرق افريقية ووسطها ، مركزا هاما من مراكز القوافل بين وسط افريقية وبين ساحل المحيط الهنـــدى . ثم أصبحت كل منهما فى الوقت الحاضر على خط المواصـلات الحـديدى بين أوجيجى على بحيرة تنجانيقا وبيندار السلام على ساحل المحيـط الهندى . وقد ظلت طابورة ، البالغ عددسكانها ٣٠ر٠٠٠ نســمة ، مركزا هاما من مراكز التجارة فى وسط تنجانيقا ،

ثم زادت أهميتهـا منذ اتمـام الخط الحديدى الذى يربطها بميناء موانزا على الشاطىء الجنوبى لبحيرةفكتوريا .. وأما (دودوما) فمن المحتمل أن

تتفوق على طابورة كمركز تجـــارى لأنها تقع عند تقاطع السكة الحديدية الوسطى بمشروع الطريق الشـمالى العظيم الذى يصل القاهرة بكيبتون .. ومن مدن تنجانيقا كذلك أروشا Arusha وموشى Moshi . وأوجيجى Ujiji وتقع أروشا على منحدرات جبل ميرو Meru ، ويبلغ عدد سكانها ٤ر٦٠٠ نسمة ، ومن المصادفات الغريبة أنها تقع على ارتفاع ٤٦٠٠ قدم ، وهى فىمنتصف الطريق بالضبط بين القاهرةوالكاب، وتوجد فى شـــارعها الرئيسى علامة تشـــير الى هذه الحقيقة . ومن أهم

مايميز أروشا أنها أكبر مستودع فى العالم لتزويد حدائق الحيوانالمختلفة بالحيوانات المصطادة من منطقتهـا . وتعتبر منطقة أروشا مركزا هاما من مراكز استيطان البيض فى تنجانيقا. أما مدينة موشى فتقع على ارتفاعحوالى ثلاثة آلاف قدم ، ويبلغ تعدادسكانها ٧٥٠٠ نسمة ، وهى محطـة للسـكة الحديدية وعلى جانب من المدنيــة .

وتقع أوجيجى على الشاطىء الشرقى لبحيرة تنجانيقا ، ولها شهرة خاصة، اذ هى المكان الذى التقى فيه ستانلى ولفنجستون عام ١٨٧١ ، ويبلغ تعدادها في الوقت الحاضر ١١ ألف نسمة ، وليس فيها من البيض غير البعثات التبشيرية ٠

وفى تنجانيقا ينتج الموز ، ويعتبر الغذاء الرئيسى للسكان فى منطقة موشى ، كما ينتج فى هذه المنطقة أيضا نبات البيارثيروم وهو نبات سام ، يستخدم فى صناعة مادة الـ د٠د٠ت المبيدة للحشرات ، ولكن أهم غلة زراعية فى موشى — بل فى منطقة كليمانجارو كلها بتنجانيقا — البن ، فيتجمع حوالى ٣٢ ألف زارع افريقى فى هذه المنطقة ، يتخصصون فى زراعة البن ، ويمارسون هذا النوع من النشاط الزراعى بطريقةتعاونية٠ وبالسهل الساحلى فى تنجانيقا ينتج السيسل وجوز الهند والارز وقصب السكر ، ثم حول بحيرة فكتوريايتتج الارز وقصب السكر ، كما ينتج القطن في مزارع الافريقيين وأصبح غلة هامة فى هذه المنطقة ٠ وتنتج مديرية تانجا السيسل ، لانه نبات يمتاز بقدرته على النمو فى الاراضى الفقيرة القليلة المطر ٠ وبلغ من أهمية السيسل أنه أصبح يؤلف فىالسنوات التالية للحرب العالمية الثانية أكثر من نصف المجموع الكلى لقيمة الصادرات فى تنجانيقا ، كما أن صناعته أكثر الصناعات استيعابا للايدى العاملة الافريقية٠ ومنأهم المعادن فىتنجانيقا الماس والذهب والقصدير والميكا ٠ ويستخرج الماس من منطقة موادوى Mevadui ، وهى قرية صغيرة بالقرب من مدينة موانزا ٠ وصاحب امتياز هذا المنجم هو الدكتور جون ثوبورن وليامسن Dr.John Thaburn Williamson وهو جيولوجى كندى، استطاع بعلمه وجهده أنيحدد بدقة منطقة الماس فى هذا الاقليم ٠

ويعمل فى منجمه ٢٦٠٠ عامل أفريقى و١١٠ عمال أوروبيين و٦٠ عاملا آسيويا ٠ ويعتبر منجمه اغنىمناجم الماس بافريقية وأقلهامن حيثتكاليف الاخراج ، لأن الماس يوجد قريبا من سطح الارض بعكس مناجم جنوب افريقية العميقة ٠ ولما كان معظم تنجانيقا جافا قاحلا ، حتى أن حوالى ثلثيها عديم القيمة الاقتصاديةبسبب الجفاف ، ولما كان حوالى ثلثيها أيضا موبوءا بذبابة تسى تسى ، فانها كانت مسرحا لأفشل مشروع فى تاريخ الاستعمار البريطانى الحديث ، وهو مشروع الفولالسودانى ، الذىأنفقت عليه الحكومة البريطانية ٥ر٣٦مليون جنيه دون أن تجنى من ورائه شيئا٠ وكان يهدف هذا المشروع الى زراعة مايزيد على ثلاثة ملايين فدان بالفول السودانى بقصد استخراج المواد الدهنية والزيوت لتموين سكان بريطانيا بهذهالمواد ، التى كانتتعانى نقصا واضحافيها ، عقب الحربالعالمية الثانية ٠ وقد فشل المشروع فشلا تاما فى سنة ١٩٥٠ وعدل عن الاستمرار فيه بعد هذه الخسارة الكبيرة ٠ ويعزى فشل المشروع الى قلة المياه فى المكان المختار لتنفيذه ، ثم اذا ماسقط المطر فى هذا المكانفانه يحول الارض الى تربة طينية لاتصلح لنمو الفول السودانى ٠ ومن المضحك أن انجلترا أذاعت أن المشروع انما يستهدف فى المقام الاول خدمةسكان البلاد ورفع مستوى معيشتهم ، مع العلم بأن أرضهم قد انتزعت منهم واستخدموا فيها أجراء لا عن رغبةبل عن رهبة ٠ ولم يثن الفشل الذريع الذى أصاب مشروع الفول السودانى انجلترا عن دراسة مشروعات جديدة تستنزف بها موارد تنجانيقا التى

ابتليت باستعمارها ، ولايزال ذهنها يتفتق عن حيل تموه بها على العالم جميعا بأن هذه المشروعات انما تخدم المصالح الوطنية فيالمقام الاول، وأنها ترمى الى رفاهية السكان ورفع مستواهم .

وتنجانيقا ، كما نعلم ، هى افريقية الشرقية الالمانية . كانت ألمانية ، مثلها مثل رواندا ــ أوروندى، من سنة ١٨٨٤ حتى الحرب العالمية الاولى ، وبدأ التسلل الالمانى اليهاعلى يد المغامر الالمانى **الدكتور كارل بيترز** الذى استطاع فى أربعة شهور منذ هبط هذه المنطقة عام ١٨٨٤ أن يستحوذ على مساحة كبيرة منالارض نظير سلع تافهة للزينة أعطاها لزعماء القبائل . وتوضيح ذلك أن كارل بيترز أسس هو وبعض الاستعماريين الالمان فى ٨ من مارس سنة ١٨٨٤ جمعية أطلق عليها اسم (الجمعية الالمانية للاستعمار) واستمرت هذه الجمعية مدة ثلاثة شهور تناقش الموضوع الآتى : فى أى أجزاء افريقية تستطيع أن تنفذ مشروعاتها الاستعمارية ؟ وفى ١٦ من سبتمبر استقر رأيها على استعمار الجزء من الساحل الواقع خلف دار السلام ، على أن تقوم الحملة فى أكتوبر ، وتتكون من بيترز نفسه وثلاثةآخرين أحدهم من التجار ، وقد أدركوا احتمال معارضة بريطانيا ، ولذلك اتخذوا احتياطات قوية جدا كى لاتعرف أغراضهم الحقيقية ، من هذه الاحتياطات أن بيترز من وقت وجوده فى برلين بدأ يستعمل أسماء غير اسمه الحقيقى ففى برلينسمى نفسه كيرمان ، وفى النمسا تسمى باسم مستر فرو هانتز ، وفى المركب سمى نفسه مستر باومانك ، وفى عدن اتخذ اسم كومان . والمهم فى هذه الحملة أن الحكومة الالمانية رفضتأن تعترف بها رسميا ، أو تقدم لها أية معونة ، اما لانها غيرمهتمة بالاستعمار فى ذلك الوقت أو للامعان فىالتضليل، فالقنصل الالمانى فى زنجبار صرح لبيترز بأنه لايستطيع أن يعتمد على أية حماية من جانب الحكومة الالمانية فاستند بيترز الى معاونة الشركات التجارية التى كانت مؤسسة هناك وهذه أمدته بمستلزمات الرحلة .وفى ١٠ من نوفمبر سنة ١٨٨٤ هبط بيترز ورفاقه الساحل الافريقى واختفوا فى الداخل . وتنسب الى بيترز بعض التصرفات التى تدلنا على طرق الاوروبيين فى الاستيلاء على الاراضى الافريقية .

ففى جميع الادعاءات ، التى ادعاها الاوروبيون عن تنازلالحكام الوطنيين عن ممتلكاتهم ، كانوا يقدمون وثائق معاهدات بموجبها تنازل الحاكم عن أرضه للكاشف أو للتاجر . وظاهريا وجدت حملة بيترز فى المنطقة التى ارتادتها جميع الحكام مسالمين ومستعدين للتنازل عن أراضيهم ، حتى أنه بعد ثلاثة أشهر فقط قضتها الحملة فى الداخل ، عادت ومعها أكثر من عشر معاهدات تنازل أصحابها عن مساحات واسعة فى داخل افريقية .

وقد وصف بيترز ، بعد عودته الى ألمانيا ، بعض الطرق التم استخدمت فى الحصول على هذه المعاهدات ، وفيما يلى نموذج لها :

أولا : قبل الوصول الى قرية الرئيس أو الحاكم ، يرسل بيترز رسولا ومعه هدايا ، ويطلب من الحاكم السماح لهم باقامة معسكر فى القرية .

ثانيا : عند وصولهم الى القرية يرسل بيترز دعوة الي الحاكم لتناول الطعام معه .

ثالثا : فى أثناء الطعام يتخم الحاكم بالاكل والمشروبات ، وبعد نهاية الطعام يعطى هدايا أخرى .

رابعا : بعد ذلك يسأله بيترز عما اذا كان لديه مانع فى توقيع وثيقة تسجل الصداقة بينه وبين الامبراطورية الالمانية ، وطبعا لا يستطيع الحاكم أن يرفض فى مثل هذا الظرف ، فيقوم أحد المرافقين لبيترز ويقرأ نص الوثيقة باللغة الالمانية ، فلا يفهمها الحاكم ، ثم يوقع عليها . وبهذه الطريقة تبسط ألمانيا حمايتها على ممتلكاته . ثم يصافح بيترز فريسته بحرارة ، ويرفع العلم الالمانى على المعسكر ، ويطلق النار لتحيته ، ويتبع ذلك مشروب آخر . ثم تنتقل الحملة لتكرر العملية نفسها فى جهة أخرى .

وكان يكتب فى الوثيقة أن الحاكم متنازل لبيترز ، ممثل الجمعية الالمانية للاستعمار ، عن هذه الاراضى ليملكها الى الابد ، وليعمل فيها كما يشاء ، وله الحق المطلق فى استغلال التربة السطحية والباطنية والغابات وفى ادخال المستعمرين ، وفى ادخال نظم ادارية وقضائية ، وفرض ضرائب ، واقامة جمرك وغير ذلك . فالحقوق التى تكتسبها الشركة واضحة . أما عن الواجبات التى تقدمها فى نظير هذه الحقوق فتكون فى غاية الغموض ، فيقال ان على الشركة أن تحترم ملكية الحاكم لجزء خاص ، وأن تدفع له ايجارا فى شكل ماشية أو سلع تجارية يحدد مقدارها أو ثمنها مقدما وشفويا .. وفى الحق أن صراحة الدكتور بيترز فى نشر هذه الوقائع تعتبر صراحة من النوع القاسى على المستعمرين ، ولابد من أن هذه الطريقة هى التى كانت متبعة فى معظم بقية جهات افريقية .

نجح بيترز بهذه الوسيلة فى الحصول على عدد كبير من المعاهدات خلال الشهور الثلاثة التى قضاها فى الداخل ، ثم توجه الى برلين ووصل اليها فى فبراير سنة ١٨٨٥ . وبعد أيام من وصوله منحت الحكومة الالمانية « شركة الاستعمار الالمانية » مرسوما بتأسيسها ، وفى ٦ من مارس أخطرت الدول الموقعة على اتفاقية برلين سنة ١٨٨٤ ، أن الشركة الالمانية قد حصلت على أراض وحقوق سيادة فى بعض الممتلكات التابعة لسلطان زنجبار ، وأنها التمست من امبراطورية ألمانيا منحها مرسوما والتكفل بحمايتها .. والمهم فى ذلك — حسب اتفاقية برلين — أن أية دولة تعقد معاهدات مع حكام محليين وتخطر الدول الاخرى بها معناه اعلان الحماية على هذا الاقليم . فعملية الاخطار نفسها كان معناها اعلان الحماية الالمانية على هذه الاجزاء من افريقية . وطبعا أحدث الاخطار جزعا فى لندن وفى زنجبار ، لان سلطان زنجبار كان يدعى السيادة على هذه الاراضى ، ولكن انتهى الامر بأن ألمانيا وانجلترا حصلتا من السلطان على موافقته على تقسيم مملكته فى افريقية — فيما عدا جزيرتى زنجبار وبمبا وبعض جزر صغيرة أخرى — الى منطقتى نفوذ : الشمالية بريطانية والجنوبية ألمانية. وبذلك تكونت حماية إفريقية الشرقية الالمانية ، التى هى تنجانيقا .

ولم يستكن أهل تنجانيقا للاستعمار منذ البداية ، ولم يتم الالمان سيطرتهم عليها الا فى سنة ١٩١٠ ، فقد صادفوا مقاومة بعض رؤساء القبائل ، ومن ذلك ماقام به الزعيم كزاوا ، الذى اضطر فى النهاية الى الانتحار خوفا من ذل الهزيمة بعد التسليم ، وأخذ الالمان رأسه الى برلين كعلامة من علامات النصر ، كما قامت ضدهم ثورة فى الفترة مابين عامى ١٩٠٣ ،

١٩٠٥ تعرف باسم ثورة ماجى ماجى Maji Maji ، قامت بها قبيلة أنجونى Angoni فى جنوب تنجانيقا ، وهذه القبيلة فرع من قبائل الزولو ، وتمتاز بالشجاعة وحب القتال ، وقاومت الالمان مقاومة عنيفة . والشبه كبير بين حركة الماجى ماجى فى تنجانيقا وبين حركة الماو ماو فى كينيا ، اذ تهدف كل منهما الى التخلص من نير الاستعمار والاحتفاظ بافريقية للافريقيين . وقد قابل الالمان هذه الحركة بكثير من العنف ، فدمروا القرى وأحرقوا المحاصيل ، وشردوا الاهالى وجوعوهم ، ومات من جراء هذه العمليات نحو ١٢٠ الف افريقى ، وما زالت المنطقة الجنوبية من تنجانيقا ، وهى التى كانت مسرحا لتلك الثورة ، تعانى آثار ذلك التدمير الشامل حتى اليوم فى اقتصادياتها .

وبعد الحرب العالمية الاولى أصبحت تنجانيقا تحت الانتداب البريطانى بقرار من عصبة الامم . وقد أرادت انجلترا استرضاء هتلر فى سنة ١٩٣٨ ، فعرضت عليه رد تنجانيقا الى ألمانيا ، ولكن العرض لم يقبل واندلعت نيران الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ . وفى هذا العام حاولت انجلترا جعل تنجانيقا ملجأ لليهود الفارين من ألمانيا ، ولكن المحاولة لم تنفذ . وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت تنجانيقا تحت وصاية بريطانيا بقرار من هيئة الامم المتحدة . والواقع أن نظام الوصاية لايخرج كثيرا عن كونه صورة ملطفة أو طبعة جديدة من نظام الانتداب .

ولقد حرصت بريطانيا ، طوال مدة حكمها لتنجانيقا ، على أن يظل شعب هذه البلاد ممزقا فى شكل مجموعة كبيرة من القبائل ، وأن يكون السواد الاعظم منه فى غياهب الجهل والخرافات .. وقد أهملت الادارة البريطانية شئون تعليم الافريقيين اهمالا ذريعا ، حتى بلغت نسبة الاميين فى سنة ١٩٤٧ — ٩١ر٣٪ كما جاء فى التقرير الذى رفع الى لجنة الوصاية بهيئة الامم المتحدة . وعلى الرغم من أن البلاد خاضعة لنظام الوصاية ، فليس هناك أي تشريع اجتماعى ، وتعتبر أحوال العمال أسوأ منها فى الاقاليم التى لا تخضع للوصاية . وقد حدث منذ بضع سنوات أن تفشت الاصابة بالجذام وغيره من الاوبئة فى مناجم الذهب فى لوبا ، وكانت النتيجة أن مات عدة مئات من العمال . وقد كتب كريشنا منون ، عضو الوزارة الهندية ومندوب الهند فى هيئة الامم المتحدة ، يعلق على تقرير حكومة تنجانيقا لمجلس الوصاية التابع لهيئة الامم المتحدة فى مارس سنة ١٩٥٤ ، يقول : « اننا نميل أحيانا الى أن نعتبر هذه البلاد مناطق متخلفة نحمل اليها شعلة الحضارة ، وفاتنا أنها بلاد ذات تاريخ قديم يرجع الى أكثر من ثلاثة آلاف عام ... لم يتحقق تقدم يذكر نحو الحكم الذاتى أو الاستقلال فى تنجانيقا . أما فيما يختص بالاوضاع السياسية فان هناك القليل مما يمكن أن نسعد بحدوثه ، حتى الذى نرتاح اليه ، وهو انعدام الحركات العنيفة حتى الآن ، انما هو فى الواقع دليل قاطع على عدم وجود تقدم يذكر فى الشعب . ففى ميدان التعليم يكلف الطفل الاوروبى الادارة سنويا ٢٢٣ جنيها ، على حين يكلفها الطفل الافريقى ثمانية جنيهات وربع جنيه والآسيوى ٣١ جنيها ، وانى على ثقة من أنه لايمكن الزعم بأن الطفل الاوروبى يستعصى تعليمه الى حد أنه يكلف ثلاثين ضعفا

من الجهد الذي يحتاجه الافريقي » . وقد أيقظ هذا التعليق الضمير الدولي، فأرسلت هيئة الامم المتحدة الى تنجانيقا لجنة للتحقيق قضت فيها ستة أسابيع من الدراسة ، وكتبت فى يناير سنة ١٩٥٥ تقريرا أكثر حدة من تقرير كريشنا منون اذ جاء فيه « ان ملايين من الافريقيين فى تنجانيقا يعيشون عيشة الكفاف، وأن الاصلاح فى السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية لابد منه » . الا أن هذا التقرير لم يقابل من البريطانيين بغير الاهمال ، وعدته حكومة تنجانيقا منحازا الى صف الافريقيين ، ورفضته وزارة المستعمرات البريطانية .

ولم يحدث حتى الآن أن أجريت انتخابات عامة فى تنجانيقا . وكل ما أقامته انجلترا هو جمعية استشارية يعين أعضاءها الحاكم العام ، ولموظفى الحكومة ــ الاعضاء بحكم وظائفهم فى هذه الجمعية ــ الاغلبية على الاعضاء المثلين لطوائف الشعب والقبائل . وفى عام ١٩٥٤ رفع عدد هؤلاء الى ٢٧ عضوا ، ٩ لكل من الاوروبيين والافريقيين والآسيويين . ومن الغريب أن البيض المقيمين فى البلاد اعترضوا على هذا التساوى لانه فى نظرهم يعطى السود والسمر مزيدا من القوة ، فقد كان عدد أعضاء الجمعية قبل ذلك هو ١٣ عضوا ، سبعة للاوربيين وثلاثة للافريقيين وثلاثة للآسيويين ، وتناسى الاوروبيون أن المجلس حتى بشكله الجديد يظلم الافريقيين ظلما فاحشا ، فان تسعة أعضاء افريقيين يمثلون نحو ثمانية ملايين افريقى فى حين أن تسعة أعضاء أوروبيين يمثلون أقل من عشرين الف أوروبى ، وتسعة أعضاء آسيويين يمثلون حوالى ٧٥ الف آسيوى . وقد وجه النقد الشديد الى نظام التمثيل المتعادل هذا ، وطالب ممثل الاتحاد السوفيتى فى مجلس الوصاية ان تعدل الادارة فى تنجانيقا عن هذا النظام ، وأن تسارع بانشاء مجلس تمثيلى على أساس التمثيل النسبى وليس المتعادل كما طالب بأن تصبح الادارة المحلية اكثر ديموقراطية مما هى عليه الآن . وقد اعترف ممثل الادارة بأن نظام التمثيل المتعادل هو نظام مؤقت . وبموجب تشريع سنة ١٩٥٧ ألف مجلس الوزراء فى تنجانيقا ليعاون الحاكم العام ، ويتكون هذا المجلس من تسعة وزراء وأضيف اليهم ستة غير رسميين مساعدين للوزراء ، منهم أربعة افريقيون وواحد أوروبى وآخر آسيوى . وهؤلاء جميعهم ، الوزراء والمساعدون ، أعضاء بحكم وظائفهم فى المجلس التشريعى . وقد أرسلت الى هيئة الامم المتحدة شكاوى كثيرة من سوء هذا النظام ، الذى لا يحقق أي قدر من العدالة أو الكرامة للمجتمع الافريقى الذى يشكل الغالبية الساحقة من السكان .

والدلائل تدل اليوم على أن أهل تنجانيقا بدءوا يتخلصون من كثير من التزاماتهم القبلية ، كما تسرى فى نفوسهم روح تحررية مناضلة ضد الاستعمار والطغيان . وتكونت هناك تشكيلات حزبية مكافحة تمثلت فيها روح التعاون الحق ، فتكون حزب اتحاد تنجانيقا الافريقى الوطنى ، الذى يضم أكثر من ٢٠٠ الف افريقى ، وتكون حزب آخر هو حزب تنجانيقا المتحدة ، الذى يضم حوالى عشرة آلاف عضو . والأمل كبير فى أن يكون يوم تحرر واستقلال تنجانيقا قريبا باذن الله .

هذه هي سيراليون

للاستاذ عبد الواحد ابراهيم حسن

تتلخص فلسفة الاحتلال الاوروبى لافريقية فى هذا المعنى الذى صرح به الجنرال جيرار، وهو « ان هذا الغزو يقوم على احتياجات فى غاية الاهمية ترتبط ارتباطا وثيقا بالنظام العام فى أوروبا وهى فتح المجال للزائد من عدد السكان وتصريف منتجات صناعاتنا وتبادلها مع منتجات غريبة عن أرضنا وجونا » والوسيلة الى ذلك هى تنفيذ هذه المبادىء – اذا صح هذا التعبير – التى أعلنها أحد الاوروبيين « دون خروج عن قوانين الاخلاق أو انتهاك للقانون الدولى يمكننا أن نحارب أعداءنا الافريقيين بالحديد والنار والجوع واثارة الخلافات الداخلية وبالخمر والرشوة والفساد .. وهذه أمور سهلة ..

والواقع أن الاستعمار لم يكتف – لكى يحافظ على استغلاله ونفوذه فى القارة الافريقية – باتخاذ هذه الوسائل التى تنافى أبسط قواعد الاخلاق وتعتبر انتهاكا صريحا لحقوق الانسان وللقانون الدولى بل انه عمد الى كل الاساليب التى تمكنه من تشديد قبضته على هذه الفريسة حتى يستدرها لآخر قطرة خير فيها أو كما قالت لجنة تحقيق أفريقية كان أعضاؤها من الاوروبيين أنفسهم «لقد جاوزنا فى البربرية هؤلاء البرابرة الذين جئنا لتمدينهم » .

وبهذا المنطق تسير السياسة البريطانية فى حكمها لسيراليون .

هذا البلد الافريقى الذى يتمتع بموقع استراتيجى هام فى الركن الغربى من القارة على شاطىء المحيط الاطلسى بين ليبيريا وغينيا الفرنسية والذى تبلغ مساحة أرضه حوالى ٢٧٩٢٥ ميلا مربعا .

الاستعمار ملة واحدة !

تعتبر قصة بريطانيا فى سيراليون ترجمة حرفية للمسرحية السياسية التى لعبتها أمريكا فى جمهورية ليبريا فكما أن الامريكان قد خلقوا ليبيريا لكى تكون مهجرا للسود الذين كان لابد من خروجهم من أمريكا والنزوح الى مكان آخر، كذلك فعل البريطانيون فى سيراليون . فقد أنشأت احدى الشركات البريطانية مدينة فريتاون (المدينة الحرة) على شاطىء المحيط الاطلسى لكى تكون مأوى للرقيق الذين ينقذون من أيدى النخاسين . وحدث فى عام ١٨٨٧ أن استطاع الاسطول البريطانى جلب حوالى ٤٠٠ أفريقى من أسواق الرق والعبودية فأسكنوهم مدينة فريتاون واستوفدوا لهم حوالى ٣٠ عاهرة بيضاء ، ومن النسل الجديد خرجت طبقة جديدة تكون منهم فيما بعد سكان فريتاون عاصمة سيراليون اليوم ، وأطلق على هذه السلالة اسم الكريوليون ، وظل أبناء الكريوليون يمثلون الطبقة الارستقراطية الحاكمة فى سيراليون واحتكروا السلطة فى أيديهم وجعلوا قبلتهم السياسية دائما انجلترا الام

تماما كما حدث مع السود الامريكان الذين جاءوا الى ليبيريا ولا شك في أن سياسة التوطين هذه تعتبر من أخطر الاساليب التى تهدد القومية الافريقية وهى سياسة تحاول دول الاحتلال عندما تسنح لها الفرصة أن تنفذها في كثير من المناطق التى تعجز عن قيادتها وبسط نفوذها المباشر فيها .

مستعمرة نموذجية —

ولهذا فان ساسة بريطانيا يدعون بأن سيراليون تعتبر احدى المستعمرات النموذجية التى تتمتع بنظام قريب جدا من الحكم الذاتى لأن أبناء الشعب السيراليونى هم الذين يحكمون بلادهم بأنفسهم ، وهذا ولاشك تمويه يكذبه الواقع ، لانه حتى على فرض أن السيراليين هم الذين يتولون شئون بلادهم ، فنحب أن نسأل — ما هى الطبقة التى تتولى أمور السلطة وشئون الحكم وتشرف على الجهاز الادارى للدولة ..

اذا كانوا هم الكريوليين ، فنحن نعرف جيدا أن هذه الطائفة لاتمثل الدم السيراليونى الاصيل وانما هى خليط عجيب مولد من سلالة العبيد الآبقين الذين آوتهم بريطانيا والذين نسلوا من أمهات بريطانيات ، ولذلك فليس بعجيب أن نرى جفوة شديدة بين الحاكم والمحكوم فى هذه البلاد ، فالكريوليونى الذى يتمتع بالنفوذ والسلطة فى كنف الحكومة البريطانية فى سيراليون لا تهزه المشاعر الوطنية ولايستجيب لثورة الشعب هناك عندما يعلن سخطه على الحاكم البريطانى ، وكثيرا ما كان هؤلاء الكريوليون موضع السخرية والاحتقار من جانب أبناء الوطن السيراليونى الحقيقيين .

نظام الحكم الادارى فى سيراليون :

يلجأ الساسة المستعمرون دائما فى المناطق المحتلة الى وضع النظم الادارية التى تكفل لهم بقاء شعوب هذه البلاد وخيراتها فى يدهم واستغلالها الى أبعد حد ممكن وهى لاتراعى فى ذلك مبادىء معينة اصطلح عليها العرف العالمى أو القانون الدولى، بل تحرص دائما على تنفيذ سياسة ميكافيلية لايعنيها الا الربح والاستفادة بصرف النظر عن الوسائل التى تنتهجها فى تحقيق هذه المطامع .

ولذلك فقد وضعت نظامين اداريين مختلفين تحكم من خلالهما الشعب السيراليونى .

أولهما نظام مستعمرة التاج ويشمل مدينة فريتاون والمناطق المجاورة لها .

ثانيا : نظام المحميات ويضم كل المناطق الاخرى .

وتلعب التقاليد المتوارثة دورا كبيرا فى نظام ملكية الاراضى فى كل من القسمين ففى المناطق التى تدار على أسلوب (نظام مستعمرة التاج) تعترف المحاكم رسميا بحرية الملكية، فالارض هناك تباع وتشترى وترهن بين الافريقيين ، وبينهم وبين الاجانب الخ .. ولعل السبب فى ذلك هو وجود الحكومة المركزية فى فريتاون ووجود العناصر الكريوليونية وطغيان الفكر الانجليزى على السكان فى منطقة مستعمرة التاج ، مما أدى الى ضعف التمسك بالتقاليد الافريقية الأصيلة والحرص على عادات الاجداد السيراليون . أما فى منطقة المحميات التى تعيش فيها القبائل السيراليونية النقية فان أفرادها لايزالون شديدى الحرص جدا على التمسك بالتقاليد المتوارثة بالنسبة لملكية الارض ؛

ويعتبر بيع الارض وشراؤها من الامور التى تخالف العادات الاجتماعية ، ولذلك فانهم يجرمون ذلك ويمنعونه منعا باتا . وقد وجدت الحكومة البريطانية المركزية نفسها مضطرة

الى احترام نظام وضع اليد على الاراضى حتى لاتتعرض لثـــورة الشـــعب فى مناطق المحميـــات . ولمـا كان معظم مصادر الثروة المعدنيـــة موجودا فى منطقة المحمية فان الشركات البريطانية التى تستغل منـــاجم الحديد والماس والذهب لاتستطيع أن تقوم بتنفيـذ خططها ومشروعاتها فى أراضى هـــذه المناطق الا بعد أن تســـتأجرها من أصحابها . وصدر قانون يمنح الحاكم العام حق الاستيلاء على أى منطقة فى المحمية للمنافع العامة بشرط أن يكون ذلك بطريق الاستئجار من القبيلة التى تملكها وتبقى ملكيتهـــا للقبيلة حتى تسلمها لها الحكومة بعد انتهاء عقـــد الايجار . والمعروف أن نظـــام ملكية الاراضى بهذه الصـــورة فى منطقـــة المحمية يتصل اتصالا وثيقا بالمعتقدات الدينية التى تعتنقها القبائل هناك ، وهـــذا مايفسر لنـــا شـــدة حرص السيراليون على تمسكهم بنظام ملكية الاراضى على هذا النحو وسبب مقاومتهم العنيفـة لكل المحاولات التى يقوم بها الاوروبيون لتطبيق نظام حرية الملكية . وقد حدث عام ١٩٤٧ أن أعلن الحاكم العام عزمه على تنفيذ حرية الملكية فى رقعة كبيرة من الارض وقدم مشروع قانون يطلب الموافقة عليه ، وسرعان ماقامت القبائل كلها يجمعها السخط على هذا الاتجاه الذى يعتبر مخالفـة لا للتقاليد الاجتماعية فحسب بل أنه امتهان أيضا لقداسة المعتقدات الدينية والتعاليم الروحيـــة ، واتحدت كل العناصر حتى زعمـاء القبائل الموالية للحكومة ورفضوا القانون بالاجمـاع عند عرضه للمناقشـــة أمام جمعيـــة المحمية فى سبتمبر عام ١٩٤٧ ، وكان الافريقيون يخشون أن يكون تنفيـذ هذا القانون وسيلة لمحـــاولة انتزاع أراضى المنطقة لمصـــلحة الاوروبيين بوساطة الشركات التى تشجعها وزارة المستعمرات البريطانية . ولما فشلت الحكومة فى اقرار قانون حرية الملكية فى منطقة المحمية لجـأت الى نظـــام الاستئجار فاستولت على مســـاحات واسعة جدا من الاراضى بايجـــارات تافهة لاتكاد تذكر اذ كان ايجار الفدان يتراوح بين شلنين و ٢٠ شلنا ، ومما يسترعى النظر هنا حقا هو أن هـــذه المســـاحة الواسعة التى استأجرتها الحكومة بعد ذلك هى المســـاحة التى كانت تحاول أن تستولى عليها فى ظل القانون الذى عارضته القبائل وثارت عليه .

وقد علق أحد الافريقيين على القانون الذى حاول الحاكم العـــام عن طريقه أن يغير نظام ملكية الاراضى فى منطقة المحمية بقوله « اذا ألقينا نظرة عابرة على القـــانون ، تســـاءلنا : هل من المستطاع وضع الثقة فى بريطانيا ؟ وما الذى حدث لمبـــادىء الديمقراطية والوصاية التى يتشدقون بها ؟ وهل هذا القانون مقدمة لما تختزنه حكومة لنـــدن ؟ وانى أجيب عـــلى هـــذا التساؤل كله فأقول : ليس فى الوقت الحاضر افريقى واحد لايدفعه ضميره وعقله الى فقد الثقة بنيات بريطانيـــا التى تدعيهـــا نحـــو الافريقيـــين فى المستعمرات ، ان العقلية البريطانيـــة هى الديموقراطيـــة فى انجلـــترا والدكتاتورية فى المستعمرات ، ولا يؤثر تغيير الحكومة فى الســـياسة الاستعمارية البريطانية شيئا » .

تقاليد افريقية عجيبة :

من المســـائل التى تسترعى النظر حقا وجود كثير من العادات والتقاليد القديمة المتوارثة التى لا زال الابنـــاء الســـود يحافظون عليها ويعتبرونها شيئا جديرا بالتقـــديس والاحترام . وتحمل معظم هذه العادات والتقاليد صور المجتمع المتماسك الذى يقوم على

أســـاس من التعـــاون والتضـحية والاشتراكية بأوسع معانيهـا ، ففي سيراليون مثلا يقـوم نظـام زراعة الارض على طريقة المناوبة ، أي أسلوب الدور ، بمعنى أن كل جماعة تتولى زراعة الحقـــل حتى تجنى ثماره ثم تعقبهـــا جمـــاعة أخرى وهـكذا . ولرؤساء القبائل فى هذه البلاد مزارع خاصة تساهم شعوبهم فى العمل فيها بضعة أيام بلا أجر كنوع من الجزية أو الضريبة الادبية .

مناطق تركيز السكان :

ولما كانت منطقة المحميات بعيـدة بعض الشيء عن مركز الحكومة وموطن سلطتها ولاتزال الحياة فيها قريبة من الشكل البدوي الذى تسـيطر عليـه عادات القبيلة وطباع الانسان الافريقي السيراليونى الامر الذى يعطى المواطن هناك نوعا من الحرية فى ممارسـة حياته بالصورة التى تكيفهـا ظروف بيئته وطبيعة تراثه فان من البديهى ـ والحالة كذلك ـ أن يتجمع معظم السيراليون فى منطقة المحميات هذه، وأن تكون مهجرا يفد اليه كل من لم يسـتطب الحيـاة فى جـو منطقـة مستعمرة التاج التى تضـم فريتاون وما حولها . ويشتغل سكانها بفلاحة الارض وزراعة النخيل على مسـتوى واسع جدا . ولذلك فان سـيراليون تعتبر أكثر مناطق افريقية انتـــاجا لمحصول النخيـــل باستثناء المنطقـة الشرقية من نيجـيريا الجنوبيـة .

ونظرا لان زراعة النخيل قد أصبحت العمـــل الرئيسي لمواطنى منطقـــة المحميـات فان الحكومة قد أصدرت قرارا بفرض ضريبـــة تصـدير على محصول النخيل تقـدر بـ ٣٠ شلنا عن كل طن . ومن المفارقات التى تدعو الى الدهشة فى هذا الصـــدد هو أن الاوروبيين هم الذين يتولون عقـــد الصفقات التجـــارية للمحصـولات خصوصا الشركة الافريقية المتحـــدة بالرغم من أن بعض السوريين هناك يشتغلون بتجارة الصادر ..

النفوذ السياسى وسيلة :

يبدو أن الاستعمار فى كل مكان يلعب مسرحية لاتتغير فصولها أبدا ، فكما أن بريطانيـا قد استطاعت عن طريق شركة الهند الشرقية أن تسيطر على كل ركن فى شبه القـارة الهندية فكذلك كانت سياسـتنا فى كل بلد تتسلل اليه . والكسب السـياسى لايعنى بالنسبة لدول الاحتلال غنمـا كبيرا الا بقدر مايفيدها من استغلال خيرات البـلاد واستنزاف ثرواتها . وفى سيراليون تقوم الشركة الافريقية المتحدة تحت حماية وزارة المستعمرات البريطانية باستغلال منـاجم الفحم والحديد والمـاس والبلاتين واحتكار تجارة زيت النخيل الذى يعتبر ثروة الاهالى فى منطقة المحميـات ، بل ان نفوذ هذه الشركة قد تجاوز سيراليون الى المنطقـــة الجنوبية الشرقيـة من نيجيريا . ويقوم بجانب هذه الشركة شركات بريطانية أخرى تستغل كل شـبر فى سيراليون ، فالاحصائيات الاخيرة تؤكد أن الشركة البريطانية فى مارامبا قد استطاعت أن تستخرج من مناجم الحديد فى أراضى سـيراليون ما يقدر بـ ٣٠٫٠٠٠٫٠٠٠ طن من أجود الاصناف ، وفى أثناء الحـرب العالمية الاخيرة ارتفعت نسبة ماتخرجه هذه الشركة من الحديد الخام بصورة تدعو الى الدهشـة ، وارتفعت نظرا للظروف العالميـة يوم ذاك أسعاره ، ومع ذلك فان أجور العمال الافريقيين ظلت كما هى دون أن يصـل اليهـا أدنى تغيير ، مما أدى الى وجود ثورة عماليـة قامت بهـا مختلف طوائف العمال .

الاستعمار يفرض العزلة :

وتحرص الدوائر الاستعمارية على

تقوية الحواجز بين سيراليون وبعض الدول الافريقية التي انطلقت تجرى فى ركب الحرية والاستقلال ، خوفا من أن يتسرب الى الشعب السيراليونى مبادىء الحرية وتعاليم القرن العشرين .. وقد حدث أن أوفدت جمعية الشباب المسلم شابين من شبابها لتلقى العلم بالجامعة الازهرية التى لا تكاد تخلو معاهدها من كل الجنسيات العالمية ، ولكن الحكومة البريطانية ظلت تضع العراقيل أمام هذين الشابين حتى اضطرا أخيراً إلى العودة الى بلادهم دون أن يتما دراستهما بالجامعة العريقة ..

مستقبل سيراليون :

ان سيراليون التى ترقد هناك فى منطقة غرب افريقية على شاطىء المحيط الاطلسى هى جزء من قارتنا الكبيرة ، ويحاول الاستعمار بكل ماديه من حيل ودهاء أن يباعد بين شعبه وشعوب المناطق الافريقية الاخرى . ولكن الموجة العارمة التى أطلقتها باندونج وأكرا والقاهرة ، موجة النور التى ستضىء كل زاويةفى صرح افريقية المظلمة ـ كما يحلو للاوربيين أن يسموها ـ لابد أن تصل الى أعماق سيراليون ، وان نسمع فى القريب العاجل عن مستعمرة التاج ومنطقة المحميات ، ولكننا سنسجل فى تاريخ افريقية الحديث مولد جمهورية سيراليون المتحدة .

وستضاف الى مصادر الخير الافريقى ينابيع الحديد والفحم والماس والبلاتين وزيت النخيل وكل مقومات المجد المادى التى تختزنها تربة الوطن السيراليونى الافريقى .



العمالقة والأقزام في الكونغو

بقلم جون هيلابي

لعل أول ما يتبادر الى الذهن عند رؤية المنطقة الشمالية الشرقية من الكونغو هو أن جميع الاقزام بها قد تركوا مأواهم في الغابات ، وأخذوا في الاشتغال ببعض الاعمال الدنيا ، في الطرقات التي يجرى الآن تمهيدها ، بالرغم من العقبات الشديدة التي تعترضهم ، وذلك في مختلف أنحاء هذه البلاد الشهيرة بأشجارها الضخمة ، فانك تجد رجالا سودا

قصارا يعملون في مضخات البترول على حين ترى بعضهم يتنقل في متعة ظاهرة على ألواح البناء المقامة على الكباري الجديدة التي يجري العمل على انشائها على روافد نهر الكونغو ، وبعضهم الآخر يعمل في مراكز البعثات ، وهناك قلة منهم احترفت التسول .

ولكني أود أن أقول ان معظم هؤلاء الذين تراهم خارج الغابات في المنطقة الشمالية الشرقية ليسوا أقزاما ، فهم ضرب آخر من الاقزام نشئوا عن اتصال الأقزام بالزنوج العاديين . والاقزام الاصليون هم بدو الغابات الغزيرة الامطار . وهم صيادون يقيمون في مخيمات مؤقتة بالقرب من أكواخ الزنوج ، الذين يمدونهم بالمحصولات الزراعية مثل القطن والموز مقابل صيدهم . بيد ان الاقزام يدركون قيمة الحياة المستقرة ، اذا ما تيسر لهم الحصول على هذه الثروات التي ضغطت الى

احجام صغيرة ، والتي تسمى بالنقود .. ومما يذكر أن أول من صادفتهم من الاقزام كان صائدا محترفا للطيور وكان شخصا متضخم الامعاء يدعى كارولي ، أو الجندي الصغير ، يعمل لدى أحد علماء الطيور في منطقة بحيرة كيفو .

وكارولي على جانب لا بأس به من الثراء ، غير أن أصدقاءه وأقرباءه ممن يصطادون الأوكابي في غابة ايتوري ، يجدون من العسير اقتناص مايكفي من حيوان الغاب لسد ديونهم لدى الزنوج الذين يقفون منهم في الواقع موقف السادة .

ولست ادرى كيف سمح الاقزام لانفسهم أن يستغلوا على هذا النحو طوال الفترة الماضية . ربما كان السبب في ذلك هو هزيمتهم في زمن ما أمام الزنوج . ومن ثم فقد أصبح خضوعهم فيما تلا ذلك من أيام في حكم التقاليد الموروثة بين هذه الاقوام الساذجة .

ويتراوح عدد الاقزام الموجودين في الوقت الحاضر بين ٦٠٫٠٠٠ ، و ٧٠٫٠٠٠ نسمة ، وجميعهم يقطن المنطقة الواقعة على بعد خمس درجات الى شمال خط الاستواء وجنوبه ، ولكن هذا الشعب لا بد أنه كان يضم أعدادا كبيرة منتشرة في مساحات واسعة من افريقية منذ أربعة آلاف أو خمسة آلاف سنة مضت . هذا هو مايمكن أن يوحي به الاثر المصري

القديم « القزم الراقص من أرض الارواح » .

ويقال ان قائد جيش الملك نفركير قد أسره أو أغراه بالقيام بالرحلة الى مصر . وان أحدا لا يستطيع القول في الوقت الحاضر بما اذا كان الاقزام الحاليون هم بقايا جنس كبير من الاقزام كان يعيش في الغابات حيث لايمكن لاحد أن يعيش أو أنهم آثار خلفها التطور منذ الوقت الذى كان فيه الانسان لايزيد في حجمه على أهل الكونغو الحاليين من سكان الغابات . ومن المؤكد أن الاقزام هم وحدهم القادرون على العيش في ظلال الاشجار الهائلة . ففي وسعهم التشني والزحف في اثر الحيوانات حتى لو لم تكن هناك آثار يستطيع أن يراها البيض . ومن عادة الزنوج اقامة اكواخ من أوراق الشجر تبلغ من الصغر حدا لايستطيع لقزم معه أن يقف هو نفسه منتصب القامة ، بيد أن هذه الاكواخ ان هى الا مساكن مؤقتة ، فان الاقزام عندما يضيقون بمكان ما ، يرحلون عنه ، ولكنهم لا يبلغون حدا لا يستطيعون معه العودة الى سادتهم من المقايضين ، ان أصبحوا في حاجة الى طعام أو طباق أو الى تلك المادة اللاذعة المذاق ، التى تسمى بالبومبى والتى تنتج عن تخمير الموز .

نظام الزواج « رأسا برأس » :

وعادة ما يقوم نظام الزواج بين الاقزام على أساس « رأس براس » وهو نظام معقد مؤداه أن يحاول أحد أفراد قبيلة ما أن يغرى شقيق عروسه المقبلة ، أو قريبا لها بالزواج من قبيلته هو حتى يظل عدد الذكور القادرين على الصيد في كل قبيلة واحدا ..

وقد قيل لى عرضا أنه محرم على الحموات عند الاقزام تحريما مطلقا الوقوف في طريق الازواج الجدد ، بل ان تقاليد بعض القبائل تقضى بألا يسمح لهن بالتحدث على أى نحو مع أزواج بناتهن ، **الامر الذى يدعو الى** التأمل .

وقبائل الاقزام محدودة العدد دائما ، ولذا فلعله من الصواب أن تسمى مجموعات اسرية . ويحب هؤلاء القصار الشمس ، كما يكرهون المطر كراهية شديدة ، بل انهم يخفون انفسهم منه ، وكم يبدو هذا غريبا من قوم يعيشون في غابات ، لا ينقطع انهمار المطر فيها ، وهم ينظرون الى الرعد نظرة خوف ورهبة ويلاقونه بالتعاويذ والسحر ، والنفخ في صفارات تصدر أصواتا حادة تعرف « **بالبيكى بيكى** » .

ومتوسط طول القزم أربعة أقدام وسبع بوصات . وانك لتجد اذا ما اتجهت الى الجنوب الشرقى من المنطقة التى يعيشون فيها ، بطن وادى الاخدود الافريقى ، حيث يعيش قوم من العمالقة فى «**رواندا**» وهؤلاء العمالقة هم الواتتسى وهم من أصحاب القطعان الارستقراطين ، ويتميزون بطول القامة ونحافة القوام ، ويشتهرون بجرأتهم في الرقص والقفز العالى . ويزعمون أنهم انحدروا جميعا من سلالة رسل السماء ، كما أنهم يصطنعون الكبرياء ومظاهر الابهة والسلطان الزائل في معاملاتهم مع من دونهم من قبائل الباهوتو التى تدين لهم بالسيادة **في الواقع ، بل وفى معاملاتهم** مع البيض أيضا . ويدل مظهرهم على الجمال ، فهم يشبهون في وقفتهم بأبواب أكواخهم في انحناءة طفيفة علامة الاستفهام او مايسمى في الرياضيات القطع المخروطى التكعيبى ، وهو قوس بسيط للغاية يشتد انحناؤه عند طرفيه .

وبشرة بعض الواتسى سوداء فى لون الكهرمان الاسود ، ولكنهم ليسوا زنوجا . انهم من سلالة الحاميين أو التلوتيين الذين انحدروا من الحبشة منذ مايقرب من ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ سنة مضت ، ولما كان هؤلاء من اصحاب القطعان فانهم لم يلبثوا أن تغلبوا على المزارعين المحليين من **الباهوتو**. ومن القواعد الثابتة فى علم الانسان أن الرعاة الرحل دائما يتغلبون على المزارع المحلى الذى يكون عادة مقيدا بأرضه .

ومازال الواتسى حتى اليوم وبعد قرون عدة من الحكم هم سادة رواندا .. وعادة ماتنقل نساؤهم فى محفات . وعندما يحدث فى بعض الاحيان أن يركب رجالهن الدراجات ، فانهم يعتقدون انه ليس من اللائق أن يستخدموا ارجلهم فى تسييرها ، ولذلك فانهم يأمرون أحد أتباعهم بدفع الدراجة تباعا الى الامام . أما رئيسهم وهو **موامى تشارل ليون بيير رودا هجوا موتارا الثالث** ، فان لديه سيارة كاديلاك زرقاء باهتة وقصرا يشبه ذلك الذى يقام لمشاهد الافلام ، وقد كان كذلك فى واقع الامر .. ولا بد أن آباءه قد كانوا من أقسى حكام وسط افريقية وأشدهم ميلا الى سفك الدماء . فقد كان لديهم عشرات من الجلادين يعرفون باسم «الباتوا» . ويبدو أن من بين الاوامر المألوفة المعهودة فى محاكم الاسرة الواميه .. القبض ثم القتل توا . وما زالوا يستخدمون الطبول القديمة ، وان كانت هذه لاتستخدم الآن للدعوة الى القتل واراقة الدماء بل فى أغراض أقل عنفا من تلك .

والواتسى أو الباتسى جنس له جوانب حياته الطريفة ، الجديرة بالاهتمام . وهم أقلية مسيطرة ، وسيطرتها راجعة الى راسماليتها . ورأس مالهم هو القطعان والاراضى التى ترعى فيها القطعان . وبلادهم فقيرة مكتظة بالسكان ، ولكن هذا الفائض ليس من الواتسى بل هو ممن دونهم من الاجناس الخاضعة لهم من أمثال الباتوا .

ولابد أن تدهشك وأنت تجوب أنحاء **بروانda أو أوراندى** الحقيقة الماثلة فى أن كل شبر من هذه الارض قد حرث وزرع ، فترى على سفوح الجبال الحواجز والجسور التى اقيمت لكى تلتقط كل قطرة من المطر .

ومساحة البلاد صغيرة نسبيا ، بيد أنها تتاخم سهول الصيد العظيمة فى وادى الاخدود ، حيث تستطيع جماعات الفيلة أو الابقار أن تتجول فى حرية فى مساحة تبلغ الالوف من الافدنة . وقيمة هذه الحيوانات بالنسبة للافريقيين فى لحومها . فلو استطاعوا اقتناص واحد منها ، لا حاجة بهم الى العمل شهرا كاملا .

ولكن كيف يمكن أن تفسر لهم أنه مالم تكن هناك بقاع للصيد ومأوى الحيوان فى الغاب ، فلن يحصلوا على صيد كبير ؟ ان كثيرا من الانواع سوف يقضى عليها قضاء أبديا . فليس فى وسع المرء أن يعوض حيوانا ما دام قد قتل آخر زوجين منه ، ولكن الاهم من ذلك هو أنه كيف يمكنك أن تفسر أننا ، نحن الاجناس المثقفة ، كما يقال ، لم نعد نؤمن بأن الحيوانات تمثل جزءا هاما من الارض وأن الارض هى مجتمع ، وكلانا جزء بسيط لا كل من هذا المجتمع ؟ لست أدرى الجواب على هذين السؤالين . ولكن ما أؤكده هنا هو أنه يجب على الامم المتحكمة المسيطرة على أرض بعينها أن تضع سياسة خاصة بادارتها ، تقوم على

اساس من حقوق الإنسان وحاجات الانسان ، وما أغلبه هو ان الحيوان والنبات يدخلان في نطاق حاجات الانسان .

سكان الغابات

وعندما قفلت راجعا من رواندا الى أولو آخذا طريقي وسط بلاد الاقزام ، كنت أفكر في هذين الجنسين الافريقيين اللذين يبلغ طول الواحد منهما ما بين أربعة أقدام وخمسة أقدام في الطول ، ويبلغ الاخر ستة أو سبعة أقدام . ويتردد في هذه البلاد أن قبائل **الباهوتو** التي تسكن رواندا هي نتاج اتصال الجنسين السالفي الذكر ، ولكنى لا أجد دليلا شافيا على ذلك . فلقد كان الاقزام على اتصال دائم بجيرانهم القرون مضت . ولكنهم لا يختلطون بغيرهم اطلاقا . ولا حاجة بهم الى الاختلاط ولقد أجريت مؤخرا دراسات للغة الاقزام ، بقصد التعرف على الاصل الذى انحدروا منه ، غير أن النتائج التى توصل اليها لم تكن قاطعة . ويستخدم البنبوتى فى المنطقة الشمالية الشرقية من الكونغو لغة البانتو التى يتكلم بها سادتهم ، مما يدل على أن خضوعهم لجماعات زنجية بعينها يرجع الى عصور موغلة فى القدم . وتناهى الى أن هناك قبيلة تعيش بالقرب من نهر **بوموكادى** ، حرة طليقة ، وتشتغل بزراعة الخضروات ، غير أنه مما يذكر أن هذه القبيلة لم تترك الغابات أيضا .

ويبدو أن القزم الاصيل يشعر بالضياع والحيرة ، ان هو حرم من ظلال أشجار غابته الوارفة ، بل ان الحياء يبلغ ببعضهم حدا لا يستطيع معه أن يرفع بصره الى وجه سيده .

فهم يتركون فى المساء بعض صيدهم فى أجزاء خالية من الاشجار تعرف باسم « أسواق الاقزام » . ثم يعودون عشية اليوم التالى ليلتقطوا ما عسى أن يكون قد تركه غيرهم . وعلى النقيض مما يشعر به الاقزام لسادتهم من احترام ، نجد أن بعض جيرانهم يكرهون الغاب ويتوجسون خيفة منه ، ويحتقرون من يعيشون به .

ترجمة
رمزى عبده جرجس
عن مجلة ليسنر

كفاح كينيا اليوم

منذ بداية الاحتلال الأوروبى لكينيا ، والمستعمرون وكذلك وكلاؤهم يبدون كراهيتهم الشديدة ومعارضتهم القوية لتشكيل الحركات السياسية الافريقية والمنظمات القبلية التى تطالب بحقوق الافريقيين واستعادة أراضيهم المغتصبة . ولقد ظلوا يعملون على فرض القوانين والتشريعات التى تحرم قيام مثل هذه الحركات السياسية ، وكانت نتيجة هذا الموقف طبعا أن ظل المستعمرون يقفون بالمرصاد لكل محاولة يبذلها الافريقيون لتنظيم أنفسهم تنظيما سياسيا ، بل ان كل هذه المحاولات كانت تقابل دائما من جانب المستعمر بالالغاء والمعارضة الشديدة . وقد حدث مثلا أن صدر قانون رسمى بالغاء جمعية دافعى الضرائب الوطنية الافريقية فى منطقة شرق افريقية عام ١٩٢٢ ، كما صدر قرار آخر بوقف نشاط جمعية **كيكيو** المركزية عام ١٩٣٥ .

وبالرغم من العقبات والصعاب التى وضعها المستعمرون فى طريق الشعب الافريقى فانه لم يتخل مطلقا عن كفاحه من أجل حقوقه المشروعة . وقد قام الافريقيون عام ١٩٤٤ بتكوين الاتحاد الافريقى الكينى كحركة سياسية تضم جميع أبناء الشعب الكينى ، وأصبح **جومو كينياتا** عام ١٩٤٧ رئيسا لهذا الاتحاد الذى غدا أول حركة سياسية واسعة النطاق فى كل أرجاء كينيا .

ولكن حدث أن اشتدت قوى المؤامرة السياسية التى دبرها المستعمرون لحرمان الافريقيين من وسائل التعبير السياسى المنظمة ، وكانت بذرة الجريمة التى غرسها المستعمر وراء السياسات الافريقية ترمى الى القضاء على القادة الافريقيين وتصفيتهم . ووصلت المؤامرة الى ذروتها عام ١٩٥٢ حيث تمثلت فى اعلان حالة الطوارىء فى كينيا . وفى الليلة التى أعلنت فيها حالة الطوارىء هذه تم القبض على الزعيم كينياتا وزملائه من أعضاء الاتحاد الافريقى الكينى ، ثم أودعوا السجون ، وأخذ المستعمرون — بعد القاء القبض على الزعماء الافريقيين — يسلكون سياسة تتسم بطابع العنف والعداوة ، وصدرت التشريعات بعد التشريعات تتجه كلها الى تحريم الاجتماعات السياسية التى يعقدها الافريقيون . ولما استمرت حركة الماو ماو فى صراعها وكفاحها ضد المستعمر اعتبر كل شكل من أشكال الاجتماعات التى يباشرها الافريقيون أمرا يتعارض مع القانون .

وفى عام ١٩٥٣ صدر قرار بالغاء **الاتحاد الافريقى الكينى** عندما أعلنت حكومة الاستعمار فى كينيا بأنه لن يسمح مطلقا بقيام أية منظمة سياسية تكون على نمط منظمة الاتحاد الافريقى الكينى . وبهذا حرم الشعب الافريقى من كل وسيلة من وسائل التعبير السياسى .

وظلت الحكومة الاستعمارية فى كينيا تفرض سياسة الحظر التام على كل الحركات السياسية التى يقوم بها

الافريقيون حتى عام ١٩٥٦ ، وفى شهر يونيو من العام نفسه أصدرت قرارا يقضى برفع الحظر عن النشاط السياسى الافريقى ، ولكن قرارالحظر هذا لم يكن يسمح للافريقيين بأن ينظموا أنفسهم تنظيما على مستوى عام ، أى التنظيم الذى يشمل الوطن كله ، وكان هذا يعنى أن الحظر لا زال قائما على قيام الاتحاد الافريقى الكينى (لانه كان يضم الشعب الكينى كله) .

وكانت الحركات السياسية التى تسمح الحكومة الاستعمارية يوم ذاك بتشكيلها هى تلك الحركات التى تقوم على أساس اقليمى أو قبلى فحسب . وكان لابد لكل منظمة أوحركة تتشكل على هذه الصورة ألا تتكلم الا عن الموضوعات التى يكون لها صلة بالاقليم أوالمنطقة التى تكونت فيها هذه المنظمة أو تلك الحركة . وقد قيل بأن الحكومة الاستعمارية فى كينيا « كانت تعمل على تشجيع نوع من التطور المحدود جدا وتأمل أن يتم فيما بعد تشكيل هذه المنظمات » وكما هو واضح من سياسة الحكومة الاستعمارية أنها بوضع العراقيل والعقبات وتقييد نظام تشكيل الحركات السياسية والافريقية بالصورة الاقليمية انما تسير على السياسة القديمة البالية سياسة « فرق تسد » ، وعلى هذا كانت أول منظمة سياسية اقليمية تم تشكيلها عام ١٩٥٦ هى « **المؤتمر الافريقى الاقليمى فى نيروبى** » واختير مستر س. م. ج. أرجونجز كوديك ليكون رئيسا لهذا المؤتمر . ويمكن فهم رد الفعل الذى أحدثه قيام هذا المؤتمر فى دوائر حكومة كينيا التى كان يسيطر عليها المستعمرون يوم ذلك سيطرة كاملة من التقرير الرسمى الذى صرح به وزير الشئون الافريقية فى ذلك الوقت والذى جاء فيه « انه فيما يتعلق بالمؤتمر الافريقى الاقليمى فى نيروبى الذى تكون حديثا ، أستطيع أن أقول ، بناء على التقريرات التى وصلتنى « **ان بداية هذا النشاط السياسى التى تمت بهذا الخصوص لا تشجعنى كثيرا . ولذلك فان علينا أن نفرض سيطرتنا على مثل هذا النشاط وأن نوجهه))** .

واليوم توجد حوالى اثنتى عشرة منظمة سياسية اقليمية افريقية ، بالاضافة الى منظمة الاعضاء الافريقيين المنتخبين ...

وفيما يلى أسماء المنظمات وأسماء زعمائها ...

١ ـ المؤتمر الافريقى الاقليمى النيروبى ، ويرأسه السيد ارجونجز كوديك .

٢ ـ حزب تضامن الشعب النيروبى ويرأسه السيد ((توم مبويا)) .

٣ ـ الاتحاد الديموقراطى الافريقى لمباسا ، ويرأسه السيد ف . ج . خميسى .

٤ ـ الجمعية الاقليمية الافريقية لنياوا المركزية ، ويرأسها السيد د. أ . ماكاسيمبو .

٥ ـ المؤتمر الافريقى الاقليمى لمقاطعة الدويت ، ويرأسه السيد ك. ك . توماس .

٦ ـ المؤتمر الافريقى الاقليمى لمقاطعة تاكورو ، ويرأسه السيد س. كيبروتش .

٧ ـ المؤتمر الافريقى الاقليمى لمقاطعة باشاكوس ، ويرأسه السيد نجاتى مومو م. ل. س.

٨ ـ الحزب الاستقلالى الاقليمى فى بارينجو ، ويرأسه السيد د.ت. أرابمو م.ل.س.

٩ ـ الحزب الاستقلالى الاقليمى فى كيريتشو ، ويرأسه السيد ت. أ. تويت م.ل.س.

١٠ ـ المؤتمر الاقليمى لنيانزا الشمالية ، ويرأسه السيد م.موليرو م. ل. س.

١١ ـ المؤتمر الاقليمى لنيانزا الجنوبية ، ويرأسه السيد ل. ج. أوجودا م. ل. س.

١٢ ــ المؤتمر الاقليمى لمنطقة كيليتى ويرأسه السيد و٠ج٠نجالا م٠ل٠س

وتكونت منظمة الاعضاء الافريقيين المنتخبين كما يلي :

مستر س٠م٠ج٠ أرجونجز كوديك رئيسا ٠

مستر ا٠خازاخالا ، سكرتيرا ٠

مستر ف٠ ج٠ خميسى م٠ل٠س، أمينا للصندوق ٠

ومع أن مؤتمر المنظمات يعتبر الهيئة النيابية التى تمثل مطالب جماهير الشعب الافريقى فى كينيا فان الحكومة فى كينيا فى ظل قانون تسجيل الجمعيات قد رفضت أن تسجل هذا المؤتمر فى الوقت الذى وافقت على تسجيل كل المنظمات السياسة الاقليمية ٠

ومما سبق يتضح لنا أنه حتى الآن كانت ولا تزال الحركات السياسية الاقليمية وكذلك جمعية الاعضاء المنتخبين فى ظل القانون ، هى التى تقوم بدور الكفاح من أجل تحقيق الحرية للافريقيين فى كينيا، ولكن يجب أن يكون مفهوما أن هذه المنظمات قد واجهتها كثير من العقبات والصعاب التى وضعتها الدوائر الاستعمارية فى طريقها ٠ وأصبح من المقرر أنه لايسمح قانونيا بعقد أى اجتماع سياسى أو الحديث فى مثل هذا الاجتماع ما لم يحصل أصحابه على تصريح من الموظف الرسمى فى الاقليم ، ولهذا الموظف الحق فى رفض مثل هذه الاجتماعات وعدم الاذن بها ، كما أن الاجتماعات فى الخلاء أمر يمنعه القانون فى كينيا ، وليس لزعيم أية منظمة اقليمية أن يتحدث فى اجتماع منظمة اقليمية أخرى ، كما أن الاعضاء المنتخبين ممنوعون من الحديث فى أى اجتماع يقع خارج دوائرهم الانتخابية وليس للمنظمات الاقليمية أو الاعضاء المنتخبين أن يعقدوا اجتماعات أينما وكيفما يشاءون ، بل ان الحكومة قد حددت لهم عددا من الاجتماعات يعقدونها فى كل شهر ، وليس لهم الحق فى أكثر مما حددته الحكومة ، والخطب التى تلقى فى أى اجتماع سياسى لابد أن تسجل على أشرطة ، ولا يمكن لخطبة ألقيت فى مكان أن تلقى أو تترجم فى مكان آخر ، وينص القانون على الغاء أى اجتماع يشتم منه رائحة الاخلال بالامن ، ولا يسمح بالحديث الا للخطباء الذين حصلوا على تصريح ، ولا يجيبون الا على أسئلة الموضوعات المدونة فى جدول الاعمال ، وهكذا ٠٠

والمعروف أن كل هذه الاجراءات قد اتخذت فى ظل قانون الطوارىء الذى ظل سارى المفعول لمدة ست سنوات ٠

على أن الشعب الافريقى فى كينيا لا يستفيد كثيرا من هذه المنظمات الاقليمية ولا يرى مصلحة فيها ٠ انه يطالب بالحرية التى تمكنه من تنظيم نفسه تنظيما يقوم على أساس واسع يشمل الوطن الكينى ، كما أنه يطالب باطلاق سراح الزعيم الكبير **جومو كينياتا** فورا لان الشعب قد اختاره رئيسا لهذا الاتحاد ٠ ان الافريقيين فى كينيا يقولون بأن المنظمات الاقليمية الصغيرة لا يراد منها الا تقسيمنا وتشتيت جموعنا حتى يتمكن الاستعمار من بسط نفوذه علينا وفرض سيطرته وجعلنا فريسة يستغلها ويقتنص خيراتها ٠

اننا نطالب بحقنا فى حرية التعبير والاجتماع والتنظيم ، نطالب بحقنا فى تنظيم وطننا ، كينيا العزيزة وفى الحديث عنه متى نشاء ، كما أننا نرفض رفضا باتا الاذعان والاستسلام لقوى الاستعمار والاحتلال العدائية الظالمة التى يباشرها البريطانيون والمستعمرون فى بلادنا ، اننا نريد اليوم الحرية لبلادنا والكرامة لشعبنا ٠



تعيش كينيا اليوم فى حالة من التوتر لم تشهدها حتى فى تلك الفترة التى مهدت لحركة ماوماو . ذلك ان آلاف المعتقلين قد عادوا الى قراهم وهم متعطشون الى اراضيهم كما ان البطالة تنشر ألويتها هناك وعربات الاوروبيين الخاصة تزحم الشوارع شبه خاوية على حين يسير آلاف من الافريقيين اميالا فى الطريق الى قراهم واكواخهم . وفى الوقت الذى تزدحم فيه حلبات السباق والمطاعم والفنادق بالسادة زبائنها من البيض نجد ان الافريقيين ينظرون اليهم فى غيظ متوعدين لهم يوما قريبا وهذه النظرة وحدها هى اول فتيلة فى شعلة الثورة .

وتسير حركة التصنيع على عجل فى كل من نيروبى وتاكورو ، كما ان المصانع والورش تقوم بصنع الاوانى والبيرة والطوب والخشب والاسمنت والسجاير والصابون والملابس لمكاتب الآسيويين التجارية

وقد ازدادت القوة الشرائية للافريقيين ثلاثة أضعاف ماكانت عليه منذ ثمانى سنوات ، فالتطور الصناعى والتطور الزراعى يعملان على تحطيم الاقتصاد القبلى ، كما أن الجماهير تزحف اليوم نحو المدن . وهناك فارق آخر فى موقف كينيا اليوم ذلك هو أن لدى كينيا الآن مجموعة من السياسيين يختلفون عن رجال القبائل التقليديين البسطاء .

وبالرغم من تحصين الاوروبيين فى اعقاب حرب الماو ماو فان الانشقاق قد بدأ يدب بينهم حتى فيما بين الطبقة الحاكمة نفسها . واصبح هناك من يتحدث عن تحطيم الاسوار المضروبة حول مرتفعات البيض على حين اتجه آخرون الى تأييد الافريقيين الاعضاء فى المجلس التشريعى .

ومنذ اقل من سنتين اجريت الانتخابات الافريقية الاولى . وقد فاز فيها ثمانية من الافريقيين بعضوية المجلس التشريعى . واذا ماتصورنا ان مايزيد عن خمسة ملايين من الشعب يمثلهم ثمانية اعضاء على حين يمثل خمسين الفا من الاوروبيين ستة عشر عضوا استطعنا ان نفهم الضغط الذى يقوم به الافريقيون مطالبين بعدد من النواب اكثر من ذلك . وقد رفض النواب الافريقيون بشدة ان يمثلوا فى الحكومة وحطموا قواعد دستور « ليتلتون » الذى كان من المقرر ان ينتهى فى سنة ١٩٦٠ . والاوربيون لايستطيعون مواجهة الحقيقية القاسية التى تؤكد أنهم لكى يأملوا فى الاحتفاظ بنوع من التأثير السياسى فانهم لابد ان يستبعدوا التمثيل العنصرى وان يتفقوا هم والاسيويون والافريقيون على اساس الانتخاب العام . ويرفض النواب الافريقيون اساسا قبول مبدأ وجود دستور خاص للعناصر الاجنبية الموجودة فى كينيا لانهم يعلمون ان قوة الاوروبيين تستطيع ان تعوق تقدمهم المشروع، ولذلك طالبوا بالتفاوض مباشرة مع بريطانيا .

ولم يكن في وسع مستر لينوكس بويد الا ان يقرر انه لايمكن السماح للافريقيين بالتقدم الا في ظل السيطرة الاوربية ، ولذلك أضاف الى نصيب الافريقيين ستة من المقاعد بدلا مما طلبوه من قبل وهو خمسة عشر مقعدا كما احتفظ للاوربيين بالسيطرة على المجلس التنفيذي فخلق حالة عدم توازن مع التمثيل الافريقي ، وذلك بتعيين عدد من المقاعد ينتخبهم المجلس التشريعي نفسه ، كما أنشأ « مجلس دولة » ليحول دون صدور التشريعات الخاصة التي قد تكون في مصلحة الافريقيين . وقد وضعت هذه الخطوات الاعضاء الافريقيين في موقف حرج ، فهم اما ان يتقبلوا الزيادة في اعضاء المجلس التشريعي ليكسبوا بها تقدما سياسيا او ان يستمروا في موقف المقاطعة ،ويشبه هذا الموقف الى حد كبير ذلك الموقف الذي واجهه كوامي نكروما سنة ١٩٥٠ حينما قدم له دستور وصفه هو بأنه « خداع وتضليل » ولكن نكروما قرر قبول القوى الجديدة المقدمة له ليستخدمها في تحقيق اغراضه ، اما في كينيا فقد اختاروا طريق المقاطعة وقد كان قرارهم متأثرا على وجه الخصوص بالاضطرابات الداخلية .

وتوم مبويا هو الزعيم الافريقي المعروف جيدا في بريطانيا ، ولكنه واحد من عدة شخصيات في نيروبي يريد بعضهم أن يتبع خطة نكروما . ولكنهم اذا فعلوا فسيسقطون وسيحطمهم الباقون من الناحية السياسية .

وقد اتخذ الافريقيون من دستور لينوكس بويد الموقف المضاد الذي اتخذوه من قبل ضد دستور « ليتلتون » وخطتهم هي رفض الاشتراك في الحكم ومعارضة الدستور والدعوة لمؤتمر دستوري عام يحضره مستشارون دستوريون . وهم يريدون من بريطانيا ان تؤكد أن الحياة السياسية في كينيا لابد أن تقوم على نظام برلماني ديمقراطي كامل بحيث ينتخب كل البالغين وتتبع قواعد الاغلبية كما يقولون . ان المراحل التي يجب ان تنطع نحو هذا النظام قد انتهوا منها وان كل الحركات قد اختبرت قوتها على هذا الاساس .

ومن جهة اخرى نجد ان الحكومة ـ مؤيدة من جانب تقرير لينوكس بويد الاخير ـ ترفض احداث تغيرات دستورية . وهي تزعم ان الدستور الحالي مازال ساري المفعول لمدة سنة اخرى على الاقل . وتصر على انه لايمكن السماح بتمثيل اكثر من ذلك وانه لابد من قبول المبدأ الحالي الخاص بحكومة العناصر المشتركة .

وقد اتخذ كل من الجانبين موقفا صلبا لم يكن من السهل الرجوع عنه دون ان يفقد اي منهما ماء وجهه وقد بدأ الافريقيون اخيرا يتحدثون عن العمل « الايجابي » وهي الجملة المستعارة عن نكروما ،ويحتمل انها تعني « العصيان المدني » ،اما كونها ستتخذ طريقا سلبيا او ايجابيا فالايام وحدها ستحدد ذلك .

ويعتقد الافريقيون ان الوقت في جانبهم وان النصر حليفهم لامحالة . والشيء الوحيد الذي يمكن ان يحولهم عن خطتهم في العنف هو ان يقطع البريطانيون على أنفسهم عهدا جازما ـ كما فعل حزب العمال من قبل ـ بأن يجعلوا هدفهم الاقصى خلق دولة ديموقراطية في كينيا .

بيان من الشباب الأفريقي بالقاهرة

منذ سنه ١٩٥٥ كان ولا يزال شعب افريقيه الاستوائيه يكافح ويستميت فى مكافحـه العدوان الفرنسى المسلح مستمرا وذلك للحصول على استقلاله وحريتـه — ولقد عانى كثيرا من اشد انواع التعذيب والتنكيل فى سبيل ذلك ، ولكن تصميمـه الاكيد وعزمه القوى جعل الاستعمار الفرنسى يغير سياسته بتقسيم افريقية الاستوائية اربع مقاطعات وذلك فى سنة ١٩٥٤ . والهدف من هذا التقسيم هو اضعاف الروح الثورية .. وبعث الكراهيـة بين أبناء هـذا البلد الواحد حتى يتخلص من الثورات التحررية .. والضربات الموحدة التى يوجهها له هذا الشعب ..

وظل الموقف على هـذا الحال حتى مجىء ديجول ، وقـد زاد ديجول الموقف سوءا وذلك بارغام الشعب على الاستفتاء المزيف .. وفرضه على الشعب بالقوة ، بالرغم من المعارضة الشديدة التى ابداها شعب افريقية الاستوائية نحو هذا الدستور — وقد رأيتم الاضرابات الاخيرة القائمة فى تلك البلاد قبيل الاستفتاء ..

ولكن ديجـول تمادى فى تضليله للرأى العام العالمى .. وأراد ربط شعب افريقية الاستوائيه بالاتحاد الفيـدرالى الذى يحلم به ، وصار ينتهج سياسـة الارهاب والضغط .. فكانت النتيجـة هى اندلاع ثورة الشعب فى الكنغو الاوسط وتشـاد ، بل قد عمت الثورة القارة الافريقية بأثرها ..

ولعلكم علمتم ماجرى فى الكنغـو الاوسط ، وما فى الايام القليلة الماضية ومدى وحشيـة الاستعمار الفرنسى فى ضرب الكنغـو الثائر فى سبيل حريته واستقلاله ، فاستخدم الاستعمار الفرنسى فى ذلك الطـائرات .. والدبابات .. والمدافع بأنواعهـا المختلفة فى ابادة الشعب ابادة تامة .. رجالا ونساء ، وشيوخا واطفالا .

والحقيقـة أن الضحـايا الذين أبادتهم السلطات الفرنسية لايمكن حصرها بين قتيـل وجريح ومشرد ومعتقل فى السجون .

ولم تكتف فرنسا بهذه الابادة الشاملة ، بل صارت تلقى بالشعب فى البحار والانهار ..

وهـذه الاعمال الاجرامية كلها لايمكن ان تضعف ارادة الشعوب المكافحة من أجل حريتها واستقلالهـا ، بل زادت الموقف خطورة ، فلا زالت نار الثـورة مشتعلة فى ربوع افريقيه الاستوائية كلها — فهناك فى مقاطعه تشاد قد طالب المواطنـون بالغاء الجمعية التشريعية ، واجراء انتخابات حرة لتقرير المصير . ولكن المستعمرين تباطئوا فى اجابة هـذه المطالب العادلة ، وأصر الشعب على ذلك ، وقام بمظاهرة صاخبـة فى يوم ١٩٥٩/٢/٨ فاستشهد فيها عدد كبير من المواطنين . واخيرا اضطرت السلطات الاستعمـارية ان تحل الجمعية التشريعيـة فقبلت استقالة رئيس الجمعية التشريعية السيد لزيت كما استقال من الحزب وزير البلدية ايضا ..

وقد كونت لجنة مؤقتة لتحل محل الرئيس السابق حتى تجرى فى القريب العاجل انتخابات حرة يقرر فيها الشعب مصيره .

هكذا تجتاح بلادنا مرحلة خطيرة من تاريخ البشرية كلهـا لان الاستعمار الفرنسى يقوم بارسال قوات فرنسية جـديدة فى بلادنا وهو حدث فريد فى نوعه فى تاريخ العالم . وبينما يطالب شعب افريقية الاستوائيـة بحقوقه فى الحرية والاستقلال ويخوض المعارك ضد الاجنبى — نرى السلطات الفرنسيـة فى الكنغو تقوم بفرض الاحكام العرفية فى ربوع البلاد ، الامر الذى يخول للجنود الفرنسيين قتل المواطنين ليلا والقاءهم فى الانهار وحرق بعض القرى بالنـار ، وعلى الرغم من جميع هـذه الفظائع الاستعمارية فان شعب افريقية الاستوائية مصمم على أن يمضى فى كفاحه من أجل الاستقـلال والحرية ، ولقد وجد تأييدا مطلقا من الشعوب المحبة للسلام .

وقد كان لقرار مؤتمر أكرا الذى وافق على عرض قضية بلادنا على الامم المتحدة ، وكذلك قرارات مؤتمر الشباب الاسيـوى الافريقى الخاصة بأفريقية الاستوائية التى تنص أيضا على عرض قضية بلادنا على الامم المتحـدة وتؤيد تأييدا مطلقا كفاح شعبنا المناضل وتستنكر الاجراءات التعسفية التى تتبعها فرنسا فى البلاد ..

وكذلك قرر المؤتمر يوم ١٥ من يوليو على أن يكون يوما خاصا لشعب افريقية الاستوائية وطالب بالافراج عن المسجونين السياسيين ، ولهـذه القرارات أعمق الاثر فى نفوس شعبنا فقد أصبح الموقف واضحا كل الوضوح ، وهو يتلخص فى تصميم الشعب على تحقيق استقلاله وحريته ووحدته الشاملة مهما كانت الظروف .

ولقـد قرر اتحاد شباب افريقية الاستوائية بالجمهورية العربية المتحدة الاضراب عن الطعام والدراسة كما قرر إرسال برقيـة الى هيئة الامم المتحدة ، وبرقية للجنرال ديجول استنكارا لموقف السلطات الفرنسية فى الكنغو ، وبرقية للرئيس جمال عبد الناصر بالتهنئة بعيد الوحدة وبرقيـات لبعض رؤسـاء الدول الافريقية المستقلة لنلفت نظرهم الى الحوادث الجـارية فى بلادنا ، كما قرر مواصلة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسى حتى يجلو آخر جندى من جنود احتلال عن البلاد .

رئيس اتحاد شباب افريقية الاستوائية
زكريا نصر يوسف ١٩٥٩/٢/٢٦



*** يسعدنا أن نقدم ترجمة للصفحة الاولى من نشرة « الطليعة » التابعة للحزب الوطنى الزنجبارى والتى صدرت أخيرا بالانجليزية والسواحيلية فى زنجبار لتتحدث باسم سياسة الشعب التحررية .**

١ ـ صوت الشعب :

يسرنا أن نعلن للرأى العام كله أن الحزب الوطنى فى زنجبار قد قرر أن تقوم ادارة الدعاية والنشر التابعة للحزب باصدار هذه النشرة كصوت للشعب الزنجبارى ، وعهد بالاشراف عليها الى السيد رونى ١٠. بولسارا

وستتضمن هذه النشرة كل الموضوعات التى تختص بالحزب الذى يعتبر حزب الشعب كله ، والذى يهدف أساسا الى تنشيط حركة الكفاح من أجل تأكيد حقوق وامتيازات الشعب بصفة عامة وذلك عن طريق ((**الطليعة**)) التى تعنى الزحف الى الامام فى مقدمة صفوف الشعب ، والتى ستجعله يؤكد أهليته وجدارته فى مجال الكفاح ، وبذلك يكون موضع التقدير العظيم والاجلال التام فى نظر الشعوب المكافحة والشعوب المحبة للحرية فى كل ركن من أركان العالم .

اننا نعرف تماما مشكلات الشعب وما يقاسيه ، وأن الشعب سيسعده ان يعرف أن الحزب قد قام فعلا بتشكيل لجان مختلفة ترعى مصالحه وشئونه ، وعلى الشعب أن يتأكد أن الآلام والمتاعب التى يعانيها اليوم ستوضع أمام أعين المسئولين الذين نأمل أن يولوها ماتستحقه من الاعتبار وأن يجدوا لها العلاج المناسب وذلك من وجهة النظر الديموقراطية بأصح مايحمله هذا التعبير من معنى .

وستصدر هذه النشرة مجانا ، مرتين فى كل شهر ، وعلى كل فرد من أفراد الشعب أن يبعث بالموضوعات التى تتعلق بشئون بلده الى سكرتير النشر .

صندوق بريد رقم ١١٨٨ زنجبار

(فلنتقدم دائما ولا نتأخر أبدا)

٢ ـ حرية الصحافة :

فى ٢٥ من ديسمبر عام ١٩٥٨ أرسل سكرتير ادارة النشر بالحزب الوطنى الزنجبارى خطابا مفتوحا الى كل الصحف التى تصدر فى منطقة شرق افريقية وذلك لنشر الموضوع الخاص بالحادث الذى أدى الى رفض حكومة كينيا السماح للسيد ((**على محسن**)) رئيس الحزب الوطنى الزنجبارى والسيد ((**سيد عبدالرحمن محمد**)) السكرتير العام عند عودتهم من مؤتمر الشعوب الافريقية الذى انعقد فى اكرا . ولم تهتم الصحف هناك بنشر هذا الخطاب أو الاشارة اليه أية اشارة ، ولكن ثقتنا فى مجلتنا الاسبوعية المحلية (**السمساتشرا**) كانت فى موضعها ، فقد نشرت المجلة هذا الخطاب .

ان واجب الصحافة هو أن تكتب بدون تحيز أو تحامل عن كل شىء

يكون فيه مصلحة الدولة حتى لو كان مرا بالنسبة لأصدقائنا أو كانت الحكومة لا تؤيده .. ان حرية الصحافة لابد أن تستهدف الذود عن القضايا العادلة مهما كان الامر .

لقد كتبنا نقول : ان السيد علي محسن يتمتع بمكانة سامية بين مواطنيه جديرة بزعيم وسياسي لهيئة تعمل على توجيه الدولة وارشادها في طريق السلام حتى تحصل على الحكم الذاتي الذي ينتهي بها الى الاستقلال التام .

ان الحزب الوطني الزنجباري الذي قام بتأسيسه منذ ثلاث سنوات ثمانون من المواطنين فحسب قد أصبح اليوم أقوى هيئة في زنجبار ويرجع الفضل الى السيد بن علي بن محسن في جعل هذا الحزب قوة تستفيد من العمل التعاوني المتبادل حتى يمكن الوصول الى الهدف المنشود . ان السيد محسن يكافح دائما من أجل تحقيق الوحدة معتمدا على شجاعته الجديرة بزعيم يتمسك بفكرة تأكيد الخير والرفاهية لمواطنيه . والسيد محسن كزعيم للحزب الوطني قد قاد هذه المنظمة خلال السنوات العصيبة وكسب احترام وحب جميع المواطنين بما في ذلك منافسوه لغيرته الوطنية وجهوده الدائمة من أجل تحرير بلاده من الاستعمار السياسي والاقتصادي، بلاده التي تزحف اليوم في تقدم وعزم نحو الحرية الحقيقية .

٣ ـ أخبار :

(١) مستر اندر جيت سينج .. يقابل علي بن محسن .. مبعوث الهند في شرق افريقية البريطانية ...

زار مستر اندر سينج زنجبار أخيرا وأجرى محادثات مع السيد علي موسى وهي محادثات خاصة بموضوعات على جانب من الاهمية الوطنية وذلك في منطقة (**أغا خان يونجالو**) كما قابل مستر سينج أيضا السيد سيد عبد الرحمن بابو السكرتير العام للحزب الوطني الزنجباري ، والشيخ جمعة علي ، والسيد بواناخاري موسى السكرتير المنظم للاتحاد العمالي ، والسيد روتي سكرتير ادارة النشر في الحزب الوطني الزنجباري .

(٢) ستعقد « **بافميكا** » مؤتمرها السنوي في زنجبار خلال شهر مارس .

٣ ـ ملخص أحداث أسبوعين :

افتتح الحزب الوطني في الاسبوع الماضي فرعه الستين في **(مايونجاني)** وكان المتحدثون هم سيد عبدالرحمن محمد السكرتير العام والشيخ جمعه علي وقد قالا :

((ان الشعب يقبل ـ ولو كان هذا القبول في بطء ـ المثل العليا والاهداف السامية التي ينادي بها الحزب الوطني . وقد تأكد هذا الشعب الآن من أن الحزب مخلص في مساعدة الزنجباريين في كل مجال من مجالات حياتهم .

ان الشعب هنا يطالب من أجل تحسين الاحوال المعيشية بفتح مدارس وصيدليات ومستشفيات .

وقد قال الخطباء ان كل هذه المطالب أمر ضروري في الوقت الذي تتحقق فيه الوحدة بين الشعب نفسه لان كل شيء سيكون نتيجة طبيعية لهذه الوحدة .

وقد أخبرنا الموظف المختص بالتسجيل بالحزب الوطني بأن ٢٠٩ من الاعضاء الجدد قد انضموا الى الحزب خلال النصف الثاني من شهر ديسمبر سنة ١٩٥٨)) .

اقتصاديات صوماليا

للاستاذ محب المحجرى

الدخل القومى وتوزيعه :

قررت الادارةالايطالية بعددراسات شاملة للدخل القومى سنة ١٩٥٥ أن دخل الزراعة يبلغ ٤٦ مليون شلن صومالى ، والثورة الحيوانية ٨٠ مليون شلن صومالى ، والصناعات المختلفة ٤٠ مليون شلن صومالى ، والغابات ٥ ملايين شلن صومالى من مجموع الدخل الاهلى للصومال الذى يبلغ ١٧٠ مليون شلن صومالى تقريبا وهذا الرقم يدل على مستوى معيشة منخفض للغاية اذا نسب الى عدد السكان الذى يبلغ ١ر٢٦٣ر٥٠٠ نسمة .

المشروع الاقتصادى ١٩٥٤ — ١٩٦٠

وضعت الادارة — بناء على توصية من لجنة الوصاية الدولية — مشروعا اقتصاديا لسبع سنوات بدأ فى سنة ١٩٥٤ ، وينتهى فى سنة ١٩٦٠ لانعاش اقتصاديات الصومال ،وضمان استقلاله السياسى بعد انتهاء الوصاية .

ويعتمد المشروع على الزراعة كعنصر رئيسى فى تنمية الدخل وانشاء الصناعات المختلفة وزيادة الصادرات الى الخارج للحصول على عملات صعبة فى تمويل المشروعات الصناعية ، وشراء الآلات .

وينص المشروع على بناء صوامع للغلال ، وشق ترع ومصارف ، وحفر آبار ارتوازية ، كما يوجه اهتماما خاصا بالثورة الحيوانية ، وتمهيد الطرق .

ومن المتوقع أن ينخفض العجز فى ميزان المدفوعات بعد سنة ١٩٦٠ بمقدار ٢٠ مليون شلن صومالى ،ويزيد الدخل القومى بمقدار ٢٢ مليونا . وقدرت الادارة الايطالية المعونة الخارجيه التى يحتاجها الاقليم بعد سنة ١٩٦٠ بخمسة ملايين شلن صومالى فقط .

مشروع أمريكى ايطالى :

ومشروع السنوات السبع يفتح بابا أمام أمريكا ، فقد قامت بوضع مشروع كبير لاستصلاح الاراضى فى الصومال بلغت نفقاته ١٢ر٧ مليون شلن ، واشتركت أمريكا مع ايطاليا فى تنفيذهذا المشروع بمقتضى اتفاقية أبرمت بين الحكومتين .

رأى بعثة البنك الدولى فى المشروع :

قررت بعثة البنك الدولى للانشاء والتعمير التى زارت الصومال فى الفترة ما بين ٥ — ٣ — ١٩٥٦ و ١٥ — ٤ — ١٩٥٦ أنه من الواجب لضمان نجاح مشروع السنوات السبع تخفيض مصروفات الدولة التى ترتبت على انشاء المشروع ، وقدبلغت الزيادة فى المصروفات بعد سنة ١٩٥٠ (حتى سنة ١٩٥٦) ١٥ مليون شلن فى السنة ، وكذلك زادت النفقات الادارية (للجهاز الادارى للدولة) ٥ ملايين من الشلنات .

وترى البعثة أن الادارة الايطالية قدرت ايرادات المشروعات بأكثر من اللازم ، متجاهلة جزءا كبيرا من هذه المصروفات ، وبخاصةهذا الرقم الذى وضعته لايرادات الانتاج الزراعى والحيوانى — ٢٢ مليون شلن سنة ١٩٦٠ .

كما لاحظت البعثة أن ترتيب المشروعات والبدء ببعضها غير سليم، وكذلك انتقدت التوسع فى بعض المشروعات التى لاتحتاج فى مبدأ الامر الى مثل هذا التوسع • أما تقديرات الميزانية فكلهاتقديرات محتملةوليست مؤكدة ، وتوقعت البعثة أن حدوث وفر فى الميزانية أمر بعيد الاحتمال ، فلن تكون هناك ادخارات عامة ، وسيظل مستوى المعيشة منخفضا عدة سنوات فى المستقبل •

الاستثمارات الاجنبية تنكمش :

ومما ذكرته البعثة أن الاستثمار العام قد تعادل أخيرا مع الاستثمارات الفردية الخاصة ، فقد هرب كثير من الاموال الاجنبية التى كانت تستثمر فى الزراعة والتصنيع بعدسنة ١٩٥٣ وكلما اقتربت سنة ١٩٦٠ كلما ازدادت حركة هروب رؤوس الاموال، هذا بجانب امتناع أصحاب رؤوس الاموال الجديدة من دخول السوق الصومالية •وكان نتيجةلهذا التخوف أن جمدت حركة الاستثمارات الفردية فى النصف الثانى من فترة الوصاية، أما البترول والتنقيب عنه ، فقد قامت بعض الشركات باستثمار أموالها فى هذا الميدان •

رأى الادارة الايطالية :

ترى الادارة أن البعثة كانت متشائمة الى حد كبير فى تقديراتها وفى تقريرها ، وأن تقديرات الادارة بخصوص الانتاج الحيوانى تمت فى ضوء تجاربها السابقة مما ينفى عنها التقدير الجزافى الذى زعمته البعثة •

وترى أن أسعار الموز العالمية وهى أعلا من سعر الموز فى الصومال ستزيد من مكانة الموز الصومالى فى الاسواق، وتفتح مجالا كبيرا أمامه ، ولكنها ترى أن اعتماد الصومال على محصول واحد وهو الموز سياسة غير سليمة ، ولذا فقد أدخلت الادارة زراعة القطن ، وتتنبأ له بمستقبل طيب يساعد على تحسين الاوضاع الاقتصادية فى البلاد فيعتدل الميزان التجارى ، ويحدث انتعاش اقتصادى ، ويتم تصنيع عدد كبير من الايدى العاملة •

الميزانية :

تنظيم ميزانيةالصومال ميزانيتين:

الاولى ـ ميزانية الاقليم • وتشمل الدخل المتحصل من الضرائب داخل الاقليم ونفقاته ،كما تضم جميع نفقات الدولة بعد الاستقلال •

وتعرض الميزانيه على المجلس التشريعى لاخذ موافقته •

وهناك عجز دائم فى الميزانية ، فقد بلغت ايرادات الاقليم سنة ١٩٥٧ (٤٨ر٩) مليون سو ، بزيادة قدرها (٣ر٧) مليون سو ، عن التقديرات السابقة ، وهذا يرجع الى زيادة الضرائب المباشرة •

وبلغت المصاريف فى سنة ١٩٥٧ (٥٦ر٧) مليون سو ، وكانت أقل السنوات السابقة بمقدار (٢ر٨) مليون جنيه وتقدر الادارة مصروفات سنة ١٩٥٨ بمقدار ٦٠ر٩ مليون سو، والايرادات بمقدار ٥٢ مليون سو •

الثانية ـ ميزانية الادارة •وتشمل مصاريف الادارة الايطالية وأعمال الوصاية الدولية ، كما تشمل نفقات المشروعات الاقتصادية العامة الجديدة وبلغت هذهالمصاريف والنفقات ٤٤ر٥ مليون سو سنة ١٩٥٧ وتقدر فى سنة ١٩٥٨ مليون سو منها ١١ مليونا مكافآت للموظفين الايطاليين بعد انهاء مدةخدمتهم ونقلهم الىبلادهم

وتغطى هذه المصاريف زيادة عن العجز الدائم فى ميزانية الاقليم منحة تصرفها الادارة وتقدر ب ٥٢ر٦ مليون سو ، زائد مليون سو واحد ، من بعض الايرادات غير العادية •

ولقد نصحت بعثة البنك الدولى بتخفيض نفقات هذه الميزانية عن

طريق ضغط نفقات الادارة الى أقل حد ممكن مع زيادة الكفاية فى الخدمات الحكوميه .

التنمية الزراعية والحيوانية :

ان الثورة الرئيسية فى الصومال هى تربية الحيوانات ورعى الجمال والبقر والاغنام ، وتوجد الزراعه فى الجهات التى تخترقها الانهار ، وكذا بعض الجهات الساحلية ، ويزرع الاهالى ٩٠ ٪ من الاراضى التى تقدر ب ٦٠٠ر٠٠٠ فدان صالحة للزراعة بطريقة بدائية ومتأخرة للغاية . وتزداد غلة الارض من المحصولات الزراعية ، وبخاصة الذرة والشعير فى الاوقات التى تسقط فيها الامطار بغزارة كما حدث فى سنة ١٩٥٧ ، وان كان قد ترتب على هذا انخفاض فى مستويات الاسعار . ولقد قامت الادارة فى هذه السنة بتخزين كميات كبيرة من محصول الذرة والشعير .

ومن المحصولات الهامة فى الصومال السمسم والفول السودانى والسكر ، وهو يكفى الاستهلاك المحلى حيث يبلغ ٩٦ر٠٠٠ كوينتال ، ويصدر منه الى عدن والاجادين ٣٠٠٠ كوينتال . والقطن محصول جديد تعمل الادارة على ادخال ونشر زراعته فى البلاد .

ويعتبر الموز المحصول الرئيسى للاقليم ، وان كان تسويقه محصورا فى السوق الايطالية حيث تحتكر ايطاليا استيراده وابعاده عن المنافسة العالمية . حتى لا يستفيد الصومال من ارتفاع الاسعار وتقلباتها .

أثر المشروع الاقتصادى (السنوات السبع) :

يخصص مشروع السنوات السبع الاقتصادى مبلغ ٣٠ر٥ مليون سو للزراعة ، ٢٤ مليون سو التربية الحيوانات والعناية بها . وقد بلغت الاستثمارات فى الزراعة فى نهاية سنة ١٩٥٧ ١٨ر٣ مليون سو ، والثروة الحيوانية ١٤ر٦ مليون سو .

ولقد تم فى سنة ١٩٥٧ حفر عدد من الترع والمصارف ، واعداد صوامع للحبوب ، وادخال بعض الآلات فى الزراعة ، كما تم حفر مجموعة من الآبار الارتوازية .

ومن أهم المشروعات التى تم تنفيذها بمقتضى مشروع السنوات السبع مشروع استصلاح ٢٥ر٠٠٠ هكتار من الاراضى البور فى بولوميريرتيا ، وهو المشروع الذى أشرنا اليه سالفا وقامت الحكومتان الايطالية والامريكية بالانفاق عليه ، وكتبت بعثة البنك الاهلى للانشاء والتعمير أن الجهود التى بذلت فى هذا المشروع كللت بالنجاح ، وخاصة انها تتسم بالاساليب الحديثة فى الزراعة ونظم الادارة والافادة بمياه الرى ؛ ومد المزارعين بالنفقات الثابتة وامتدحت سلامة الخطة المتبعة فى تسويق المحصولات . وترى البعثة أن هناك مجالا واسعا لمد نطاق هذا المشروع وتوسيعه ، مع الاهتمام بوضع أسس ثابتة للنظام التعاونى والاستفادة بالخبراء الزراعيين الاجانب . وجلب أنواع جيدة من الحبوب ، وبخاصة بذور القطن .

وهناك بعض التشريعات الحديثة التى ساعدت على تنفيذ المشروع مثل قانون تشجيع زراعة القطن ، وقانون انشاء وكالة خاصة لتخزين الدقيق والمواد التموينية الاخرى ، وكذلك المشروعات الخاصة بمساعدة الزراع ، ومدهم بالمحاريث الزراعية والحبوب . وتنوى الادارة انشاء مراكز تدريبية لهم والتوسع فى المراكز الحالية .

ومما ذكرته البعثة وأكدته ، حماية الموز وتجارته ،حتى يستطيع أن يصمد أمام المنافسة العالمية بعد استقلال صوماليا ، وذلك بدفع اعانة سنوية لتشجيع تصنيع الموز وتعبئته .

وأكدت البعثة ضرورة مضاعفة جهود الادارة لتوطين القبائل الرحل فى

منطقة البايدوا ، وذلك بعد الترع وبناء مخازن الحبوب فى دائرتهم .

التعدين :

ان الثروة المعدنية فى أية دولة تلعب دورا فعالا فى تنمية الدخل القومى والنهوض باقتصادياتها ، ولذا كان التنقيب عن أنواع المعادن كافة من الاعمال الرئيسية التى تهتم بها الدول. وتشجع الادارة الايطالية فى الصومال الشركات الاجنبية على التنقيب على البترول . ومن الملاحظ أن هذه الشركات أمريكية وايطالية . فقد حصلت شركة ستاندرد أويل على ترخيص للتنقيب لمدة ثلاث سنوات ، كما منحت شركة فود بشبر ترخيصا لمدة سنة واحدة قابلة للتجديد للبحث عن البترول وبعض المعادن

ويمكن القول بوجه عام بأن الاعتماد على الشركات الاجنبية وبخاصة الامريكية أو البريطانية فى حقول البترول لا يأتى بنتائج صحيحة دائما اذ أن لهذه الشركات سياسة استغلالية تتعارض فى كثير من الاحيان والاقتصاديات الوطنية مما يستدعى أن تتقدم شركات وطنية تستعين بخبراء عرب أو خبراء من دول صديقة لمثل هذه الاعمال .

الصناعة :

لقد كانت افريقية وما يزال الجزء الاكبر منها مزرعة للغرب وسوقا اقتصادية لمصنوعاته ، وحرص الاستعمار منذ وضع قدمه فى افريقية على أن يستغل مواردها الخام الغنية ، ويحصل عليها بأقل التكاليف ويصدرها الى بلاده ، حيث تقوم المصانع الاوروبية بتصنيعها واعادة تصديرها الى شعوب افريقيا المستعمرة بأسعار باهظة .

ولما كان الصومال خاضعا للاستعمار الايطالى فقد خضع لهذه السياسة ، وهو يعانى الآن فقرا شديدا فى الميدان الصناعى حيث تقوم الصناعة فيه على النظام الحرفى البدائى الذى يعتمد على المجهود اليدوى .

صناعة السكر :

ولكن بعض الصناعات الآلية قامت حديثا مثل صناعة السكر ، وهى تمثل الجزء الاكبر من الصناعة المحلية ، وتغل نصف مايدره المنتج الصناعى بأكمله . كما أن الاقليم يكتفى بانتاجه من السكر علاوة على التصدير الى الخارج .

صناعة المنسوجات :

ونشأت أخيرا صناعة النسيج وقد انتجت سنة ١٩٥٧ — ٣٧٢ر٩٧١ ياردة . ويلزم لهذه الصناعة وجود صناعات أخرى مكملة ، وقد أنشىء بعضها مثل محالج ومكابس القطن .

حفظ اللحوم :

ويوجد فى الاقليم مصنعان لحفظ اللحوم وتعبئتها ، وكثرة المراعى فى الصومال ، واعتماد الاهالى على رعى الاغنام والابل والمواشى يمد هذه الصناعة بالمواد الخام المطلوبة بأسعار رخيصة ، وهو مما يساعد الصناعة على غزو الاسواق العالمية ومنافسة الصناعات الاوروبية لحفظ اللحوم .

وكان للمجلس الاستشارى رأى خاص فى هذه الناحية ، فهو يرى ضرورة الاهتمام بالمراعى ، وتحسين النسل الحيوانى ، والاهتمام بعلاج الحيوانات من الامراض المتوطنة ، حتى يمكن مضاعفة انتاج هذا المصدر .

أربعة أعوام منذ باندونج

اليوم تنتفض القارة الآسيوية بأسرها بعد طول سبات استمر نصف قرن من الزمان ، واليوم يشهد العالم بأسره محنة نظام استعمارى بال وبزوغ فجر دول مستقلة فى قارتى آسيا وأفريقية

لم يكن الاستعمار خيرا مطلقا على دول هذه المنطقة من العالم فلقد عملت القوى الاستعمارية ولا تزال تعمل جهدها — لوقف أو على الاقل لتأخير انهيار الاستعمار فيها ... الاستعمار الذى قتل قوى التقدم الاقتصادى الناشئة فى هذا الشرق ، بيد ان الانسانية جميعا ترى بأعينها فى مطلع كل عام جديد مقاومة تشتد وتشتد ضد النظم الاستعمارية كلها من جانب الشعوب المتوثبة .

والقد كان مؤتمر باندونج فى ١٨ من أبريل عام ١٩٥٥ علامة مميزة لطريق التحرر الذى قطعته على نفسها شعوب آسيا وأفريقية . فى هذا اليوم الذى اجتمع فيه رؤساء ووزراء خارجية تسع وعشرين دولة مستقلة فى آسيا وأفريقية لكى يناقشوا مسائل عامة تتجسد فى تعاونهم لحماية السلام وفى توحيد جهودهم ضد الاستعمار فى جميع صوره وأشكاله ، فكان من ثمرات هذا العمل المتماسك الناجح أن وافق المؤتمرون جميعا على عقد اجتماع مشترك لفضح أساليب الاستعمار ، وأصدروا بعدها طائفة من القرارات الهامة التي تتجه نحو تقوية العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية بين الدول الافريقية والاسيوية وطالبوا مجلس الامن بقبول عدد من الدول الاسيوية الافريقية أعضاء فى الامم المتحدة ، وصب المؤتمرون جام غضبهم على الاسلحة الذرية والنووية وعلى التسلح الجنونى ، كما تضمنت قراراته وثيقة هامة ، هى اعلان الرغبة فى سيادة السلام العالمى والتعاون الدولى بين الجميع مهما اختلفت النظم السياسية والاجتماعية السائدة ، ذلك المبدأ المعروف بالتعايش السلمى .

عاونت روح باندونج وأفكار التعايش السلمى الى حد كبير على تعزيز مكانة الدول الاسيوية الافريقية فى الصعيد العالمى ، وساهمت كذلك فى تخفيف حدة التوتر الدولى .

وكان من نتائج العمل الكبير فى باندونج ومن ثمرات التضامن الاسيوى الافريقى الآخذة فى النمو ، ومن نتائج حركات التحرر الوطنى المنتشرة فى أرجاء القارتين الكبيرتين — أن اشتعلت الثورة فى تونس والجزائر ومراكش وغانة والسودان . وفى مدة أربعة أعوام منذ كان المؤتمر استطاع أربعون مليونا من سكان المنطقة التى تشغل مايربو على ثلاثة ملايين كيلو متر مربع . استطاعوا أن يحطموا سلاسل العبودية وأن يتخطوا السجن الى الاستقلال والى الحرية .. وليس هذا فحسب ، بل أن مجموعة الدول الآسيوية الافريقية فى هيئة الامم المتحدة قد أصبحت قوة ذات تأثير ايجابى فعال ، ويزداد تأثيرها عاما بعد عام . فحين وجد المؤتمر فى بدايته كانت سبع عشرة دول أسيوية أفريقية فقط

ممثلة فى الهيئة العالمية واليوم أصبحوا تسعا وعشرين .

حققت دول آسيا وأفريقية منذ حصلت على استقلالها تقدما ملحوظا فى الميدان الاقتصادى . اذ فى بعضها أممت مرافق النقل والمواصلات ووضعت الدولة يدها على الصناعات الحيوية وكان نجاح القطاع الحكومى من الاقتصاد القومى فى هذه الدول ، وأخذ يتقدم فى دول كالهند والجمهورية العربية المتحدة وبورما وأندونيسيا.

ولكن الاستعمار عودنا ألا يستسلم للقوى المتحررة الناهضة فى أية دولة يحتلها . والقد شهدت التطورات الاخيرة للاعوام الاربعة التى انقضت بعد انتهاء مؤتمر باندونج معارك طاحنة تدور رحاها حتى اليوم ولا يزال المستعمرون وعملاؤهم يوالون نسج خيوط كثيرة لمؤامرات متعددة ودسائس فى الجزائر وفى كينيا وفى الجنوب العربى حيث أباد الاستعمار مايزيد عن نصف مليون عربى وتصدر الاسلحة الامريكية والمعدات الحربية الى ايريان الغربية حيث يقطن الاستعمار الهولندى .

لقد حاول المستعمر محاولات عقيمة فاشلة لدفع الشعوب الشرقية عامة متذرعا بوسائل التخويف أو حرب الاعصاب تارة وبالعنف أو القوة تارة أخرى — لكى تنضم الى أحلافه العدوانية كحلف بغداد وحلف جنوب شرق آسيا .

وكان الاعتداء الغاشم الفرنسى الانجليزى الاسرائيلى على مصر عام ١٩٥٦ بداية العداء بين الشعب المصرى والمستعمرين الذين راحوا — ولما تكد تجف دماء الشهداء الابرار فى كينيا وفى جنوب اليمن — يعملون على تحقيق أهدافهم بمحاولة القاء الرعب فى روع الشعوب الآسيوية الافريقية وايقاف التفكك الذى بدأ ينخر فى كيان الاستعمار وقتل الروح الوثابة التى خلقها باندونج ولكنهم ولسوء الحظ أساءوا التقدير ، وحتى بعد أن هزم الاعتداء على مصر ، لم يسكتوا بل أعلنوها حربا قذرة ضد حرية الشعوب المستعبدة ، حربا تتضاءل أمامها جميع الجرائم الموجهة ضد الجنس البشرى اذ روعت الجزائر بأفظع حرب استعمارية من فرنسا التى ارتكب أبشع جريمة عرفتها الانسانية ، ألا وهى ضرب قرية سيدى يوسف التونسية وسكانها الآمنين بالمدافع ، وصب الاستعمار الفرنسى جام ناره المحرقة عليهم حتى دمرها تدميرا ، ولم يكتف بذلك ، بل لايزال يتدخل فى شئون اندونيسيا الداخلية ، ثم ماعملته أخيرا الرأسمالية الاحتكارية الامريكية بغية التدخل فى الشئون الداخلية للعرب ولاستعباد بلادهم متخفية وراء أستار ثقيلة من مشروعات ايزنهاور ودلاس التى تؤيد نفسها بدعايات مذهبية وحجج نظرية بحت ، الامر الذى تولد عنه السخط فى الشرقين الادنى والاوسط .

وفى ١٥ من ابريل من العام الماضى انعقد مؤتمر للدول الافريقية بأكرا نوقشت فيه مسائل الاستقلال الوطنى لدول أفريقية والكفاح ضد الاستعمار . ان انتصار روح باندونج قد بدأ فى أروع تعبيره حينما تماسكت هذه الشعوب ووقفت يدا واحدة فى تصرفاتها حيال مشكلات العالم الحاضر المتمثلة فى تخفيف التوتر الدولى ونشر السلام وتحديد التسلح ووقف انتاج الاسلحة الذرية والنووية .

ترجمة فتحى احمد ادريس .

لماذا يستهويهم افريقية ؟!

بقلم الاستاذ على شلش

ماأكثر ماكتب عن افريقيـة ، وما أكثرمازيف عليها ! تلك حقيقة لاجدال فيها . فهى « القارة السوداء » ، وهى « الارض التى لاأصحاب لها » ، وهى كذلك « قديمة كأبى الهول ، جديدة كاليورانيوم » وهى أخيرا «أثمن هدية على وجه الارض ! » .

وهكذا تفضح كتابات الرجل الابيض مطامعه ، وتفصح عن الحقيقـة التى طالما تاهت فى غمار الاكاذيب والافتراءات مثلمـا تاه الاستعمـــار فى الادغال والاحراش ! .

ونعود لنسأل : لماذا تسابقت فرنسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا والبرتغـال الى احتلال القارة الافريقية ؟ هل كان الامر بالنسبـة لهـذه الدول هـو تحضير شـعوب القـارة ، وادخال المدنية فى أرجاء أفريقية كمـا ادعت انجلترا وغيرها ؟

ان الجواب هو : النفى القاطع . فقد استولى الرجل الابيض على كل شىء ذى نفع ، وأقصى عنه صاحبه الاصلى

ولو أننا قسمنا النشاط الانتاجى الاستعمارى الى أقســامه الثلاثة : الزراعة والصناعة والتجارة ، لوجدنا بالنسبـــة للقسم الاول أن الاراضى المتنـازة وقف على البيض وحدهم . ومن هنا أصبح تجريد الافريقيين من حقهم فى فلاحة أرضهم هو الموضوع الاساسى الدائر فى داخل القارة . وهذا ما أفصح عنه السيـــاسى الامريكى « ادلاى ستيفنســون » فى مجلـــة « لايف » منذ أكثر من عام بعد زيارته لافريقيــة بقوله : « ان الافريقيين فى المناطق المزدحمة بالسكان البيض مثل كينيا وروديســيا الجنوبية وجنوب افريقيـــة ينظرون بنهم الى الاراضى الجيدة التى يملكها الاوروبيــون .. وامتلاك هذه الارض والاستفادة منها هو الموضوع الحادفى جنوب الصحراء»

واننا نجد البريطانيين فى كينيـــا يمتلكون أكثر من أربعة ملايين هكتار من الاراضى المتـــازة ، أما الاراضى السيئة فيتقاسمها خمســـة ملايين ونصف مليون من السكان الاصليين .

اما بالنسبـة للنشاط الصناعى فقد أقام الاستعمـــاريون كل جهـدهم للاستفادة بانتاجية العــامل الافريقى دون دفع أى تعويض مادى مناسب اذ يبلغ أجر العامل فى روديسيا الشمالية — على سبيل المثال — حـوالى ٨٥٠ قرشا فى الشهر ، بينما يصل الاجر بالنسـبة للدخيل الاوربى الى ١٢٠ جنيها فى الشهر . اما فى المستعمرات الفرنسـية فى افريقيـــة الغربيـــة والاستوائية فان متوسط دخل الفرد يتراوح سنويا بين ١٠ ، ١٥ جنيها .

وما حدث بالنسبـة للنشاط التجارى لايقل عن مثيليه السابقين . فقد سيطر الاوروبيون على التجـارة ، وأقاموا سدا منيعا أمام الوطنيين الذين يعملون « حمالين » على البواخر والارصفة ، وغير ذلك من النشـاط الحقير .

وقد ترتب على ذلك كله انخفاض مستوى المعيشة ، وتفشى الامراض والاوبئة ، وسيطرة الجهل والفقر ، اذأن هناك طبيبا واحدا لكل ٢٨ الف مواطن فى افريقية الغربية الفرنسية ، وفى الصومال والكمرون الاستوائية ، ولكل ٣٤ الفا فى سيراليون وغانا ، ولكل

٣٥ الفا فى توجو لاند الفرنسية ، ولكل ٣٧ الفا فى موزمبيق ، ولكل ٨٨ الفا فى نيجيريا ، ولكل ١٠٠ الف فى رواندا أوروندى ، ولكل ١٥٠ الف فى الحبشة . وهكذا ايضا حارب الاستعمار الفرنسى اللغة الوطنية فى مستعمراته ، التى اعتبرها جزءا من أرضه الام .

لم يكن الامر اذن هو تحضير هذه الشعوب بقدر ما كان استغلالا لها وبثا لروح الخنوع والذلة فى نفوس افرادها .

ولكن هل كان الامر هو الرغبة فى انتشال شعوب القارة من الوثنية واللادينية بادخال الدين المسيحى والحض على اتباع تعاليمه ؟ ان هذا أيضا لم يكن شيئا هاما بالنسبة للمستعمرين الا باعتباره وسيلة تؤدى الى غاية ، مدلولها السيطرة على منابع الثروة الافريقية ، واستغلال الامكانيات الانتاجية فيها بما فى ذلك الانسان الافريقى نفسه .

وتذكر لنا الاحصائيات أن هناك ٤٥٠٠ ارسالية أمريكية تقوم بالتبشير هذا عدا ارساليات انجلترا وفرنسا وغيرهما . ويكفى هنا ان نذكر المثل الذى أشار اليه « شستر باولز » سفير الولايات المتحدة السابق فى الهند فى كتابه : اذ يقول « ان الاهالى فى روديسيا يتناقلون المثل الآتى عندما جاء الرجل الابيض كان لديه الكتاب المقدس ، وكانت لدينا الارض ! أما الآن فالامر على العكس لديه الارض ، ولدينا الكتاب المقدس !

ولعل ماسبق فى رأيى انما هو وسائل مسعفة لتغطية الدوافع الرئيسية ، التى كان من الضرورى للاستعمار أن يلتزم باخفائها عن طريق اشاعة أكاذيبه عن الحضارة ، ومسئوليته تجاه « تحضير » شعوب القارة وما الى ذلك من الدعاوى الصورية .

واذا كان الاستعمار هو المرحلة العليا فى تطور النظام الرأسمالى ، فان عليه تبعا لذلك أن يجند كل امكانياته لتحقيق أكبر ربح ممكن ، مقابل أقل النفقات الممكنة عن طريق الاحتكارات ، واستغلال الانسان ، وفرض السيطرة التامة على عوامل الانتاج .

ان افريقية قارة بكر ، غنية بثرواتها ومعادنها التى تشكل فى مجموعها جانبا ضخما من الثروة العالمية .

ومن هنا يكمن الدافع الحقيقى . وهنا أيضا يدأب الاستعمار على دعم التفرقة العنصرية ، وفرض القوانين الجائرة غير المشروعة ، وحماية مؤسساته وأجهزته ، لكى تظل افريقية على الدوام «ارضا بلا أصحاب» ولكى ينعم « بأثمن هدية على وجه الارض » تتيح له سوقا رائجة لمنتجاته ذات الخامة الافريقية .

وقد قلت ان فرنسا وانجلترا والمانيا وبلجيكا والبرتغال قد تسابقت الى احتلال القارة . غير أن ثمة شريكا جديدا خرج منتصرا فى الحرب السابقة وأقام نفسه زعيما للعالم الحر . ذلك الشريك هو الولايات المتحدة الامريكية التى لم تكن تفكر قبل الحرب فى افريقية فلم يكن لديها سوى شركة « فايرستون » فى ليبيريا .

وبدأ اهتمام أمريكا الجدى عام ١٩٥٠ اذ نظمت لمبعوثيها وبطارياتها الكاشفة عدة رحلات استكشافية .. زارها « جون جنتر » عام ١٩٥٥ ثم « شستر باولز » و « نيكسون » و « ادلاى ستيفنسون » و « ارنست همنجواى » .. وكتب هؤلاء تقاريرهم وملاحظاتهم . غير ان ماذكره تقرير بعثة الكونجرس الامريكى التى زارت افريقية عام ١٩٥٦ برياسة « مسز بولتون » جدير بالاشارة اليه . اذ تقول فيه أن « أمريكا لاتستطيع أن

تتخلى عن مسئولياتها كزعيمة للعالم الحر فى تطوير افريقية . ويجب علينا الا نبدأ من العام القادم ، فى ظرف خمس سنوات ، ولكن فورا » .

ماذاجذب أمريكااذن‌الى الاهتمام بأفريقية ؟

لقد أدى التراكم فى رأس المال الامريكى بعد الحرب الثانية الى الرغبة فى توجيهه نحو الاستفادة به أكبر استفادة ممكنة فظهرت مشروعات الاعانةالمقنعة : كمشروع مارشال ، والنقطة الرابعة ، ومشروع‌ايزنهاور . وراح الوسطاء والسماسرة يجوبون القارة طولا وعرضا ، لعرض خدمات زعيمة العالم الحر . غير أن السلعة الجديدة قوبلت باعراض ونفور فى كثير من البلدان التى زارها هؤلاء الوسطاء والسماسرة . ومع هذا تدفقت رؤوس الاموال الامريكية فى الجنوب والغرب .

وبرز من ناحية أخرى عامل ثان ، تمثل فى حكاية « الاستراتيجية » وحزام السلام « ,وجدت أمريكا أن من‌الضرورى‌لها ـ عدا استغلال‌الثروة الافريقية ، وفتح الاسواق أمام منتجاتها ـ أن تدعى أنها مهددة بالقنابل النووية من قبل المعسكر الاشتراكى من جانب ، ومطامع عبد الناصر فى القارة الافريقية من جانب آخر . وازاء هذه‌الافتراضات المزعومة اجتهدت حكومة البيت الابيض فى تنفيذ سياسة الاحلاف ، والاطواق العسكرية ، واقامة القواعد الذرية فى الجنوب والغرب « لحماية » ساحلها الشرقى . .

والسؤال الذى يثير الاهتمام حقا هنا هو : ما حقيقة هذه الافتراءات التى تطلقها أبواق الدعاية الامريكية حول الجمهورية العربية المتحدة ، والقومية العربية ؟ لقد أشاعوا أن الرئيس جمال عبد الناصر هو البعبع الذى سيبتلع القارة . كما ترجموا فى انجلترا كتاب « ثورة على النيل »لانور السادات‌مع‌مقدمة‌الرئيس ، وصدروه بهذه الكلمات ! « لقد ترجمنا هذا الكتاب وهدفنا هو عرض أفكار وآراء وطموح‌هؤلاء القوم للاستيلاء على‌العالم وواجبنا كعالم متحضر أن نقف فى وجههم ، ونحطمهم قبل أن يحطموا المدنية التى‌بنيناها فى‌آلاف السنين!» ولم‌يكتفوا بهذا فقط ،بل قتلوا كمال الدين صلاح . ومن هنا تتبدى لنا الدوامة‌التى يعيش فيها الاستعماريون وتتضح‌انانواياهم‌السيئة ، ومساعيهم الحقيرة ، ودعاياتهم المغرضة المسمومة

ورغم هذا كله ولدت افريقية الجديدة تنبض بالحرارة ، والرغبة فى الحرية ، وتصافحت شعوبها فى اخوة وود فى « باندونج » و «القاهرة» و « أكرا » ،ووقفت بصلابة أمام مشرعات الاستعمار المنهار ، وبرزت فيها قيادات جديدة ، تؤمن بقضايا المائتى‌مليون الذين يعيشون على‌أرضها

ان افريقية اليوم لم تعد أرضا لتجارب المستعمرين ، أو سوقا لمضاربات المستثمرين . ولن نظل اطلاقا « بمعزل عن الصراع الدائر » فيها كما سبق أن أعلن الرئيس عبد الناصر . ذلك لان القومية العربية يد ممدودة لمصافحة ومساعدة كل‌الايدى التى تسعى الى‌الحرية والاستقلال‌فى‌كل شبر مضطهد مستعمر !

من وثائق الاستعمار فى أفريقية

المقدمة

جوزيف تشمبرلين .. (١٨٣٦ — ١٩١٤) . أحد الساسة البريطانيين من رجال الصناعة .

دخل البرلمان سنة ١٨٧٦ كنائب عن مقاطعة برمنجهام . وكانت دول أوروبا قد نادت لعدة أسباب باتجاه جديد فى التوسع الاستعمارى خلال الربع الاخير من القرن التاسع عشر . وسرعان ما اصبح تشمبرلين علما بارزا على الاستعمار فى افريقية وغيرها . وفى الثمانينات كانت المصالح الانجليزية والالمانية تتوغل فى أوغندة ، واخذت شركة شرق افريقية على عاتقها تشييد سكة حديد من الساحل الى أوغندا حتى تتحكم فى تجارتها . ولكن فى سنة ١٨٩٠ توصل المتنافسان الى اتفاقية وضعت أوغندة بمقتضاها تحت النفوذ البريطانى وسلمت هيليجولاند للالمان . وبعد ذلك بقليل صادفت الشركة صعوبات مالية ولجأت الى الحكومة تطلب المعونة المالية . وفى سنة ١٨٩٢ عرض الموضوع امام البرلمان . وبين أيدينا الآن جزء من المناقشة . فنجد مسترستورى معارضا متطرفا للاستعمار يعارض منح القرض أو المعونة على حين يحث تشمبرلين على دفعها لمساعدة الفكرة التسلطية .

لاحظ فى قراءة المناقشة ..

١ — سياسة الاصلاح الداخلى التى ينادى بها مستر ستورى .

٢ — استناد تشمبرلين الى التاريخ كتبرير للتوسع الاستعمارى .

٣ — اشارته الى الكفاءة الاستعمارية لدى الجنس الانجلو سكسونى .

٤ — مناقشة (رسالة الرجل الابيض) .

٥ — مناقشة الالتزام الادبى الذى يراه منوطا بالحكومة فى أوغندا .

٦ — وصفه (للسلام البريطانى) .

٧ — الاغراض الاقتصادية التى ذكرها لتنمية أوغندة .

٨ — المسوغات الانسانية عند تشمبرلين لانشاء السكة الحديدية .

مستر ستورى :

اننى أسائل السادة المحترمين بمقعد الخزانة ، والراديكاليين أعضاء مجلس العموم الاخير ، اذا كانت الحكومة الماضية قد فعلت هذا الشىء ، فأى الاعذار كانوا ينتحلونها ؟

لقد أقروا بخطأ هذا الامر وقالوا للحكومة الحاضرة فى لهجة حازمة :

(قد تريدون انفاق مال بريطانيا وبذل النشاط البريطانى فى أوغنده ولكن اذا كانت لديكم الملايين لانفاقها والوقت للعمل فاننا نطالب منكم أن تنفق هذه الملايين أولا فى نفع وخير بلدنا) . لقد كان الراديكالى الذى الذى يعيش فى بلد تسمى نفسها مسيحية ، وحيث كان ملايين البشر — فى ذلك الوقت — يعيشون فى ظل أحوال مخزية غير صحية وكانت — أى الدول — حتى ذلك الحين تدع مئات الرجال والنساء من الفقراء يموتون فى الملاجىء مرتدين أسمالهم كان الراديكالى يعتبر هذا مجلبة للعار طول حياته . أما اليوم فهو لايعارض الحكومة عندما تقول اننا لانحتاج الى هذه الملايين ، ولذلك سننفقها فى ضم منطقة بأواسط افريقية تعزلها مسافة ٧٠٠ ميل من الصحراء ويتحتم مد سكة حديدية عبرها ..

مستر جوزيف تشمبرلين

ان مستر ستورى يقف أمام توسيع الامبراطورية ، لان لدينا من الاعباء مافيه الكفاية داخل بلدنا . ولكن لنفرض أن هذه النظرة التى يعرضها على اللجنة قد ذكرت منذ

٥٠ أو ١٠٠ سنة ، ولنفرض أن برلمان ذلك الوقت وافق عليها . فانى أسائل نفسى : أى مصير كان ينتظرنا الآن وينتظر سكان الاحياء القذرة الذين أبدى صديقى المحترم الكثير من العطف والشعور نحوها ؟ هل يعتقد صديقى المحترم أنه ليس بسبب التجارة الخارجية العريضة التى أوجدتها سياسة التوسع ، نعيش الآن على النحو — الذى لا أسميه رخاء — ولكن الذى يعيش عليه شطر كبير من شعبنا ؟ هل يظن أننا كنا نستطيع ايواء أربعمائة مليون نسمة فى هذه الجزر الصغيرة ؟

أليست الحقيقة أن النسبة الكبرى من الاربعمائة مليون هؤلاء يكسبون عيشهم من التجارة الواردة الى البلد من جراء سياسة أسلافنا الذين لم يترددوا منذ ٥٠ أو ١٠٠ سنة فى بذل التضحيات والذين لم يخجلوا — اذا سمح لى باستعمال التعبير الذى تدوول أكثر من مرة هذه الليلة — من دعم مشروعاتهم لاجل أعقابهم . اننا نحن هذا الخلف الذى جنى ثمرة تلك السياسة .

فهل نكون أحط منهم وأكثر أثرة ولانحرك ساكنا من أجل ذريتنا ؟ هل نضحى بهذا الفرض الذى كسبه الاولون من أجلنا . انه اذا وافق المجلس على فكرة ايصاد كل الابواب التى تأتى منها التجارة الجديدة الينا ، فلنتخذ لانفسنا وسيلة أو أخرى نضمن بها أن يبقى شعبنا حيا يرزق . وأستطيع القول ان مشروعات أسلافنا — التى أقاموها فى اجزاء كثيرة من العالم — لم يكن يرجى منها آن ذاك أكثر مما يرجى من مشروعاتنا التى ننظر فيها الآن . ان الذى يطلب منا الليلة لايتعلق بأوغندة وحسب ، وانما يطلب منا أن نغير سياسة هذه الدولة بقضها وقضيضها وهى سياسة يتعهدها — فيما أظن — تأييد الاغلبية العظمى من شعبنا . انه يطلب منا أن نتخلى عن كل المغانم التى صانها استسلام هيليجولاند ومعاهدات وتنظيمات الدول الاجنبية . أما الصديق المحترم فلا يضع فى حسبانه أية مغانم . وعلى كل حال فنحن قد بذلنا التضحية اذ تنازلنا عن بعض المناطق بموافقة من أغلبية شعبنا لاعتقادنا أننا سنأخذ عوضا عنها Quid pro Kuo . والآن يطلب من البرلمان أن يضحى بالعوض Quid pro Kuo الذى حصل عليه هذا البلد ، ويطلب منا ألا يكون لنا دور فى العملية المسماة بتقسيم افريقية .

غير أنى ملزم بأن أشيد بفضل صديقى المحترم فى اشارته الى أنه انما يتكلم دائما بصفته الشخصية وحدها .

واذن فانى لا أعتقد أنه يزعم أن كلامه على لسان أحد سواه . انه سيمثل الاقلية فى المجلس اليوم ، وأحسب أنه سيكون ضمن أقلية ضئيلة فى المجلس ، وضمن أقلية أكثر ضآلة فى وطننا . وانى موقن بأن الشعب مدرك لكل هذا وأنه قد صمم على أن ينال نصيبه كاملا فى صدد تنظيم هذه البقاع الجديدة وفى صدد المدنية التى عليه بسطها فيها . وللشعب مايبرر تصميمه هذا ، وهى روح الماضى ، روح الترحال والمخاطرة والاقدام التى تميز الجنس الانجلوسكسونى ، والتى جعلتنا خاصة أهلا للقيام بعمل الاستعمار .

ولعله من أغرب الحقائق التى لم أقدر قط على تفسيرها ، أننا وحدنا بين كل دول العالم التى تستطيع ممارسة الاستعمار من غير أن نبذل أية تكاليف .

اليك — مثلا — فرنسا التى تحكم الجزائر منذ أمد طويل . ان الجزائر — حتى الآن وبالرغم من أن الحكم الفرنسى بها كان مترفقا — تكلف وزارة

المالية الفرنسية مبالغ باهظة كل عام. وقل الشيء نفسه في تونس والممتلكات الالمانية وبالنسبة لايطاليا في الحبشة خاصة ، وأيضا في الممتلكات الاجنبية للبرتغال . فليس اذن ثمة دولة أخرى في العالم ــ فيما خلا اسبانيا ، في أيامها الاولى بأمريكا ، وهولاندا في أزمنة متأخرة نسبيا ــ كانت قادرة دائما على ممارسة سياسة الاستعماريين بدون أن تكلف نفسها أعباء مقتضياتها . وكل هذه الحقائق في رأيي تؤدى بنا الى أن نكون متفائلين عند تنفيذ هذا العمل الاستعماري الجديد الذى لايختلف في أي الوجوه عن الاعمال التي قمنا بها بنجاح في الماضي . فاذا لم يكن في نيتنا التخلى عن هذه الرسالة ــ وأنا استعمل هنا لفظة لا أحبها كثيرا ولكنها استعملت قبلا ــ فلنواجه الامر بشجاعة ولنعد أنفسنا ــ اذا احتاج الامر ــ للتضحية بالنفس والنفيس وهى تضحية قد نبذلها منذ اللحظة الاولى في سبيل القيام بهذه الرسالة . اننا الآن في وضع لانعتبر فيه الحياة غالية لايمكن التضحية بها . وأنا أصر ــ من جانبي فيما يتعلق بالحياة والمال ــ على أنه من الجائز التضحية بكليهما اذا مالحنا أمامنا مستقبلا سعيدا وتعويضا لما قد نضحى به . وأحسب أن شعب هذا الوطن قد أعلن بأغلبية كبيرة أنه من واجبنا المساهمة بدورنا في نشر المدنية بافريقية . ولست أخال هذا الشعب مستعدا للعطف على صديقى الكريم الجالس أسفل منى . ان الشعب يعلم أنه لايمكن عمل (العجة) بدون كسر البيض فهو غير مستعد اذن ــ فيما أظن ــ لحساب التكاليف . .

ماذا فعلنا هناك . .؟ لقد رخصنا للشركة باستعمال سلطات معينة ، وهى شركة لم نحسن اختيارها . وحسب ولكننا كنا ندفعها دفعا محدودا دقيقا لتمضى في طريقها ولتمنع الدول الاخرى من الدخول في نطاق النفوذ البريطانى أو الحصول على ممتلكات فيه . وسواء كان هذا تصرفا سليما أو خطأ فان الشركة قد خضعت لضغط الرأى العام فتوغلت في أوغندة ، وأسقطت الحكومة التى كانت قائمة بها . لقد أنبئت بما قاله العضو المحترم نائب دنفريز Danfries في خطابه الرائع القوى الذى لم أحظ بسماعه والذى وصف فيه حالة أوغندة بأنها مذبحة . لقد كانت هناك حكومة ولا شك ، ولكنها على طراز هذه الحكومات التى قد تتوقعونها في هذه البلاد . وبعد كل هذا نزعم أن ليس لنا مصلحة هناك أيا كانت وليست لنا مسئولية ، وأن الاجدر بنا أن ندع هؤلاء القوم يحررون أنفسهم بأنفسهم عن طريق المذابح أو أية طريقة أخرى . رمع كل هذا فقد تدخلنا في سلطة من كانوا حكاما ورؤساء في أوغندة ، وتكبدنا في هذا نفقات في رأيي أنها تافهة بالقياس الى النتائج التى حققناها . فقد كفلنا لاوغندة السلام البريطانى Pax Brittanic الذى طالما تمتعت بخيراته الهند . ان ما كان موجودا بأوغندة هو أبشع أنواع الفوضى والحرب الاهلية ، ولو لم نوجد هناك لذبحت الآلاف وربما أيضا مئات الآلاف من الناس بقسوة ولذاقت الاقلية المتبقية بعد فوز حزب أو آخر العذاب حتى الموت .

ان الكابتن لوجارد كان في ذلك المكان فلأذكر بهذه المناسبة احساسى أحيانا بأننا نغمط حق أشجع وأنبل مواطنينا . اننى أعرف عن الكابتن لوجارد أكثر مما قد يعرفه أى عضو في المجلس فمعرفتى له مستمدة من قراءتى لمؤلفاته ، وأذكر أنه كان ضابطا هنديا أرسل الى أوغندة تلبية لنداء الثورة وهناك اضطلع بأضخم الاعمال مسئولية وأعظمها خطورة ، وأقول ان أى شخص يقرأ كتابته كاملة

سيوافقنى على أنه كان فى كل الامور رجلا ذا قوة وكفاءة ولباقة وبعـــد نظر وشجاعة غير عادية .

ان الشجاعة فضيلة عامة بيد أنه كان يبرزها فى شكل فذ ، ثم انه اظهر اعتدالا فوق كل اطراء ، فمن واجب انجلترا والمملكة المتحـــدة أن تفخـــر وتباهى بمثل هـــؤلاء الحزم ضـــمن مايمكن أن تفخر وتباهى به .

كنت أقول ان الكابتن لوجارد كان فى أوغاندة عندما نشبت هذه الأحداث فهناك قتل ٤٠٠ نسمة . ولو أنه قلل من حقيقة العدد لكان ذلك مؤسفـــا مافى ذلك شك ، ولكننا اشترينا بهذه التضحية الرخيصة السلام والتهدئة وارهاصات المدنيـــة التى تلت ذلك . ولولا وجود الانجليز كان أهل هذا البلد الكبير يمسك بعضهم بخنـــاق بعض حتى اليوم . لقد تحملتم هذه المسئولية بعد أن أرسلتم الشركة التى منحتموها موافقتكم ولم تتنصلوا أبدا من هذا ، واليوم لم تستطيعوا ترك هذا البلد مهما كان السبب وحتى اذا كلفكم الامـــر بعثـــة أخرى كمـــا قال العضـــو المحترم نائب نورثاميتون ، فأنتم مجبرون على دفع كل النفقات للقيـــام بالتزاماتكم فى هـــذا البـــلد ، ولنحافظ بذلك على مبدأ هذه الدولة وعلى الامانة التى اســـتودعكم اياها الشعب . انكم لو تركتموها لـكانت المنازعات قد دبت بين البروتستانت والـكاثوليك والمسلمين ولكانت قد وقعت المجازر التى ليس لهـــا مثيل حتى فى تاريخ افريقية . اننى على أتم استعداد لاعارض أى توسع آخـــر للامبراطورية . ولكننا الآن ازاء ماوقع فعـــلا ولا يمكن رده ، فســـيكون من الخزى الذى لم تحس به انجلترا قبلا انسحابكم من بلد اعتمد رخاؤه وحياة شعبه كلية على سيطرتكم المستمرة عليه . . .

وأما عن تجارة أوغندة فان ماكى Mackay المبشر الذى نال احترام الجميع ، قال ان مناخ أوغندة رائع لدرجة أنه من الممكن أن تنتج كل شىء وأن الصعوبة الوحيدة هى الحاجة الى وسائل للنقل والى مشروعات بريطانية وحالما يتوفر هذان الامران فلن يحول شىء دون جعل أوغندة بلدا مزدهرا غنيا . ومن غير المحتمل طبعـــا أن نحصل على تجارة سريعة نشيطة فى الوقت الحالى من أوغندة التى تبعـــد ٦٠٠ ميل عن الساحل والذى يتكلف أى شىء منه واليه ٢٠٠ جنيـــه عن الطن الواحد .

انى واثق تماما أن السكة الحديدية ستقام آخر الامر وأنها ستساعد على استثمـــار الكثـــير . فاذا دفعتـــم الـــ ١٫٥٠٠٫٠٠٠ أو الـ ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ فان الطبقـــات العاملة فى هذه الدولة وذوى الاسمال البالية الذين يقلـــق عليهم كثيرا العضو المحترم ـــ سوف يصـــادفون غنمـــا لان كل الاعمـــال ـــ طبعـــا ـــ ستؤدى فى بلدنا ، ولان هندسة الخط سيضعها مواطنونا .

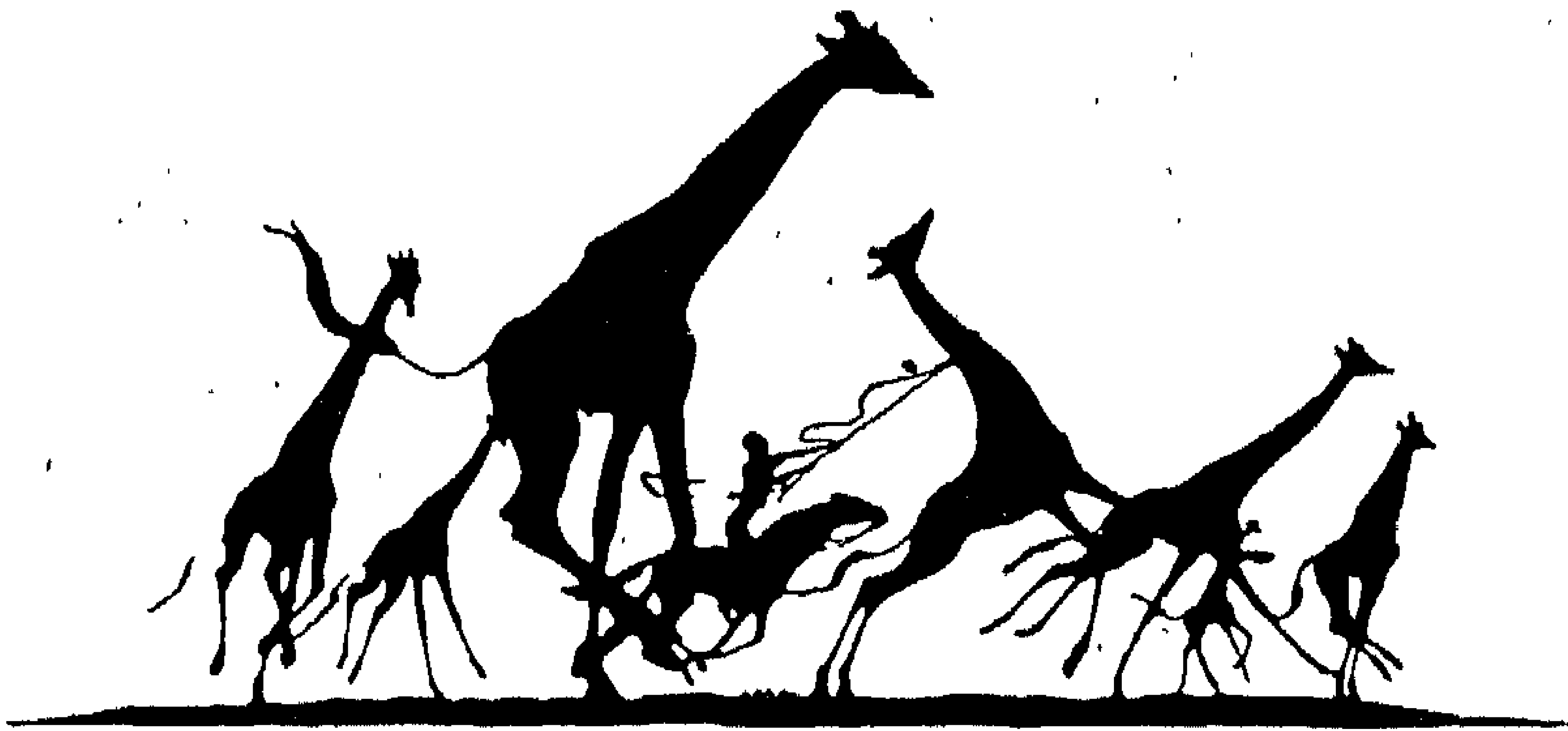
واذن فلن يضـــيع المـــال ســـدى كمـــا يرى العضـــو المحترم . . وأعتقد أن فوائد هذه السكة الحديدية طيبة تماما كمثيلتها التى أنشـــأتهـــا هذه الدولة منذ ٣٠ سنة فى شبـــه جزيرة الهند والتى نجنى منهـــا الآن دخـــلا طائلا ، ثم ان هـــذا الخـــط الحديدى سيجعلنا على اتصال بـــ ١٢ مليون نسمة فضـــلا عن ان شعب أوغندة هم سكان المناطق المتاخمـــة لبحـــيرة فكتوريا وباقى البحـــيرات العظمى ومهما يقال فى أوغندة ، فلن ينكر امرؤ ما للبـــلاد المجاورة مثل اونيورو Unyoro وأوسوجا Usoga من ثورة طبيعية هائلة ، وعندما نجعل نفقات النقل ممكنة فستكون لدينـــا تجارة واسعة . اننا سنجنى من هذا البلد الصـــمغ والمطاط وربما القمـــح أيضا . وفى مقابل ذلك سنرسل اليها

كميات كبيرة من منتجاتنا . ولاذكر هنا أنه منذ انشاء هذه الشركة وهذا النطاق من النفوذ حققت تجارة انجلترا وزنجبار زيادة لدرجة عجيبة حقا ، فقد تضاعفت التجارة تقريبا في عام واحد ، اذ زادت من ٧٢٫٠٠٠ طن الى ١٣١٫٠٠٠ طن .

أما عن تجارة الرقيق فاني أقول ان السكك الحديدية ستزيد من منع هذه التجارة الممقوتة ولن نساعدها بأية مصاريف أخرى . ولكن ماهي تجارة الرقيق وما الداعي اليها ؟ ان الشعوب لاتجلب الارقاء اولوعها بالقسوة أو الاذى ولكنها تفعل ذلك لانها تستعين بهم في صرف المعاش . فقد استرق أبناء القبائل ليحملوا الاثقال الى الساحل ثم يباعون بعد أن يفعلوا ذلك . انك اذا استطعت أن تهب تجار النخاسة العرب ــ الذين هم في الوقت الحاضر أكثر الشعوب بربرية وهمجية على وجه الارض ــ وسائل سلمية لاقامة حياة شريفة ، فهل تريد القول انهم يتلذذون بالقتال لدرجة أنهم سوف يرفضون هذه الوسائل ؟ اذا قلت ذلك فاعتقد أن التاريخ والشواهد ليست معك . ذلك انك لن تعثر على حالة يكون من الأربح فيها لأمة أو قبيلة أن تجنح للسلم ثم لاتفعل ذلك . وهاك مثلا : ففي الايام الخالية كان علينا أن نحارب أهل البنجاب وعندما انتصرنا عليهم أمدونا بخيرة جنودنا في الهند . ولكننا الآن قد أقمنا السلام وغدا بلدنا أغنى من أي وقت مضى ، وأصبحت الجماهير التي كانت يوما ما أكثر الشعوب ميلا الى الحرب في الهند ــ تميل الى الاستقرار .

ضعوا نصب أعينكم النخاسين العرب ، وخذوا مثلا من اقامتهم لتجارة الرقيق وسترون نتيجة هذه التجارة لكم . ان نقل طن من البضاعة الى أوغندة يتكلف اليوم بين ٢٠٠ و ٤٠٠ جنيه . فلتشيدوا السكة الحديدية ولتزيدوا من طرق النقل والتجارة . وسيحمل الرقيق ثلاثة أرباع الاعباء الملقاة عليكم .. انني أسأل اللجنة وأحب أن أوجه القول الى الدولة أيضا : هل هم حريصون على تجارة الرقيق ؟ وأما تزال أفكار الشعب البريطاني المتوارثة موجودة بيننا ؟ وهل نعتبر أنه من أهم واجباتنا وأكبر مفاخرنا ــ كما قال اللورد روزبري ــ أن يكون لنا دور بارز في الغاء هذه التجارة . اننا اذا اعتبرنا ذلك فلنواجه ضروريات الموقف اذن بشجاعة .

ترجمة محمود عثمان



Africans to organise themselves on a country-wide basis which meant that the ban on the Kenya African Union was a permanent one. The only polntical movements which were to be allowed were those formed on district or tribal basis and each organisation or movement so formed was to speak only about those matters which affected the district or area in which the movement was formed. It was also suggested that the government was «encouraging simple development and hoped that a convention of these organisations would be formed later.» As can obviously be seen the colonial government in Kenya, in restricting the formation of African political movements to districts only, was following the old fashioned and outmoded policy of «dividi and rule.»

The first district political organisation to be so formed in 1956 was the NAIROBI DISTRICT AFRICAN CONGRESS with Mr. C. M. G. Argwings — Kodhek as its president. The hateful and discouraging reaction of the Kenya government, which before that time was already dominated by the settlers, to the formation of the N.D.A.C. could be understood from the official statement made at that time by the then Minister for African Affairs.



THE AFRICAN STRUGGLE FOR FREEDOM IN KENYA TODAY

POLITICAL ORGANISATIONS AND LEADERS

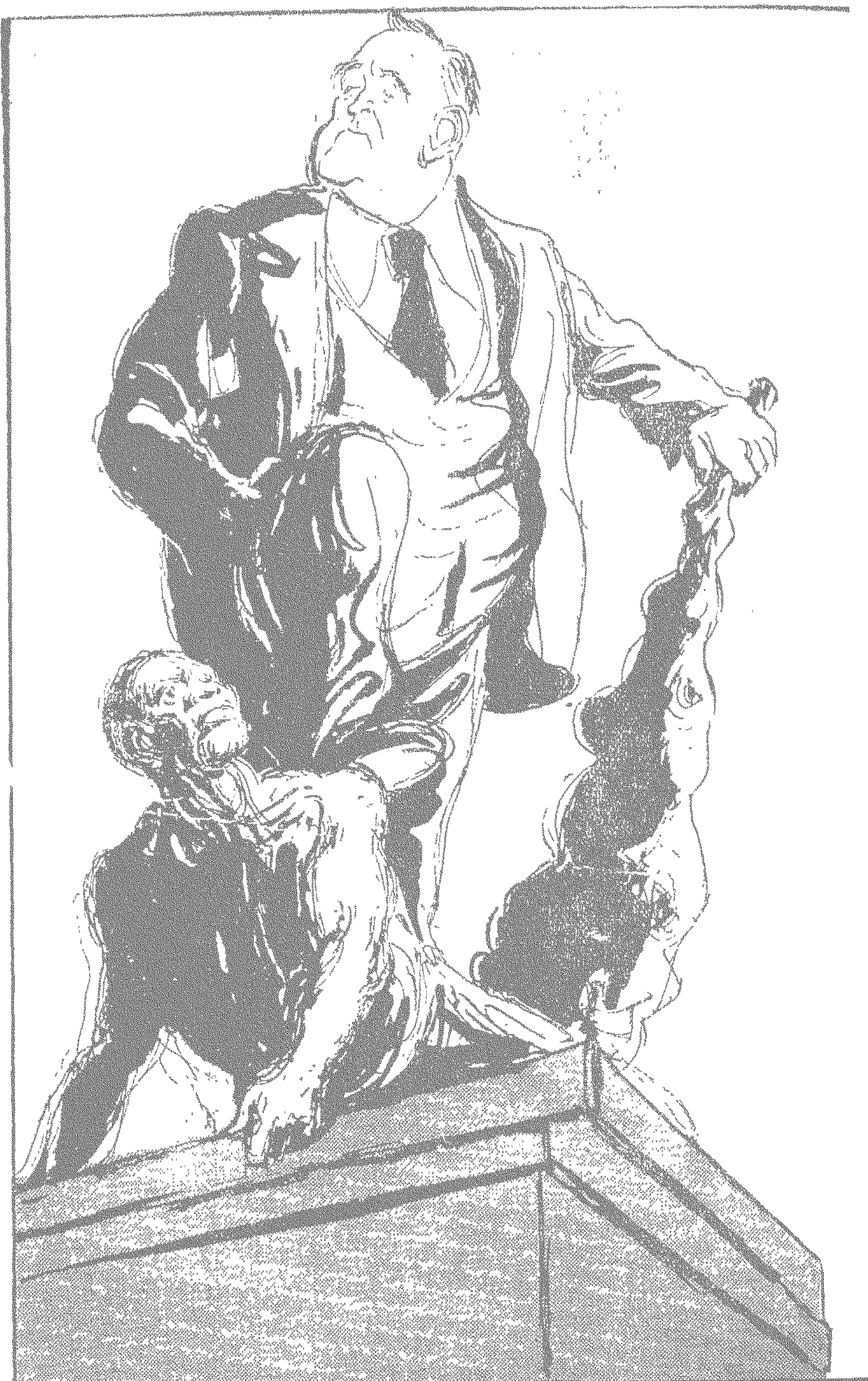
Ever since the beginning of European settlement in Kenya, the settlers and the missionaries hated and agitated against the formation of African political movements or tribal organizations which demanded the rights of the Africans and the return of their usurped lands. They advocated and worked for a total ban on all such movements. As a result of this attitude attempts by the Africans to orgonise themselves politically always met with opposition and suppression. For example, the East African Native Tax payers Association and the Kikuyu Central Association were officially banned in 1922 and 1935 respectively.

In spite and despite the many obstacles African people did not give up their fight for their unalienable right. In 1944 they formed the Kenya African Union as a politcal movement embracing the whole country. Jomo Kenyatta became the President of the Kenya African Union in 1947. This K.A.U. became the first country-wide political movement in Kenya.

But the force of political conspiracy by the settlers to stifle organised means of African political expression had intensified. Crime was planted behind African politics in order to « exterminate » and « liquidate » African leaders. In October 1952 the conspiracy culminated in the declaration of a state of emergency in Kenya. Kenyatta and his colleagues in the Kenya African Union were arrested the night of the declaration of the emergency.

Having arrested the African leaders, the settlers went further. Legislations after legislations were passed banning all political meetings by the Africans and as the Mau Mau shooting war went on, all types of meetings by the Africans were outlawed. The Kenya African Union was banned in 1953 when the colonial government in Kenya stated that it would never allow such an organisation as the «Kenya African Union.» Thus the African people were left without any means of expression — politically and otherwise.

This complete ban on African political movements went on until 1956. In the month of June of that year the colonial government in Kenya «lifted ban on African politics.» The lift on the ban did not allow



هكذا يريدون أفريقية !

2ND YEAR. No. 17 - APRIL 1959.



Nahdatu IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

ـة الثانية
العـــدد ١٧ : أبريل ١٩٥٩



نهضة أفريقية

الثمن
٣ قروش

فى هذا العدد



« من فن البناء فى أفريقية »



نهضة أفريقيه
مجلة شهرية للثقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة افريقيا

تهدف هذه المجلة الى :

١ ــ تنمية الوعى القومى الافريقى.

٢ ــ التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .

٣ ــ نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل أفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

١ ــ الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.

٢ ــ الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة أفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة أفريقية

٥ شارع احمد حشمت ــ الزمالك بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع لصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..

فى ١٥ من ابريل ١٩٥٩ كان قد مر على الشهيد ((كمال الدين صلاح)) عامان من الالم والدموع .. عامان لم تتردد على شفاهه فيهما كلمة ((مصر)) التى كانت وطنه . أو ((صوماليا)) التى كانت حبه ! فقد استحال الى فكرة دامعة تذكر فى القاهرة ، فاذا هى جرح متوهج مازال الخنجر مغروسا فيه . وتذكر فى ((صوماليا)) فاذا هى عينان ممتلئتان بالسهد والدموع معا!!

ولكن يوما بعينه هو الذى سيمتص هذه الاحزان ، وسينبت فى الارض الحزينة ((زهرة حمراء)) . ففى عام ١٩٦٠ ستتحرر ((صوماليا)) فى شرق القارة ، وسترتفع الوجوه فى كل مكان لتسعد بالجزء الذى بدأ يتنفس . ويحاول الانضمام الى الاقسام الاخرى التى انسلخت عنه . والتى استشهد من أجلها جميعا ((كمال الدين صلاح)) .. ومهما يكن من شىء ، فعملية الفداء لاتقتصر على الارض التى تكافح من أجل حريتها . لان القارة اليوم متضامنة فى كل جزء من أجزائها . وقبضاتها جميعا على اليد الطويلة للرمح الذى يصوب فى عزم ، ويغوص فى قوة داخل قلوب العملاء ، والمستعمرين .

ومن هنا فليس غريبا أن تضحى مصر بأحد أبنائها فى سبيل القارة . مادامت دماؤه ستسقى شجرة الحرية فى افريقية ، وستتحول الى خصب فى المراعى ، ومساندة فى الانتاج ، وابتسامات على الوجوه ! فدماء ((كمال الدين صلاح)) قد صارت علما قانيا للتحرير . علما مركوزا على كل أفق ، وفى أيدى الفدائيين الذين يسيرون فى حزم واصرار لاسترداد قارتهم المغتصبة .

وانه لما يسعد مجلة ((نهضة أفريقية)) أن تضع فى يوم ذكراه هذه الباقة المتواضعة من المشاعر ، والعرفان بالجميل .

عبده بدوى

محتويات العدد

الحرية على الأبواب

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

كان الاحتفال بيوم الحرية فى افريقية يوم ١٥ من ابريل بالقاهرة مظهرا تاريخيا عظيم الاثر ، وعلامة من علامات الطريق الصعب الى التحرر والاستقلال .

فقد انعقد فى الصباح ، فى دار الرابطة الافريقية ، مؤتمر افريقى مصغر دعا اليه مندوب شعب افريقى يعيش على ((سطح افريقية)) وهو الشعب اليوغندى . وفى هذا المؤتمر الذى مثلت فيه شعوب القارة المكافحة كلها ، بما فيها اتحاد جنوب افريقية ، سمع مندوبو الصحافة العالمية صيحة افريقية الموحدة فى وجه الاخطبوط الاستعمارى الجريح ، ورأوا عزائم الافريقيين مشدودة للاجهاز على ذلك الاخطبوط اللعين .

وفى المساء تجمع أبناء افريقية مرة أخرى فى نقابة الصحفيين ، وخطب ممثلو الشعوب فبينوا للملأ مراحل الزحف المقدس التى قطعتها الاقطار المكافحة فى حرب الموت أو البقاء ، كما فصلوا القول فى الجهود التى تبذلها الاحزاب والمنظمات الوطنية فى أنحاء القارة لخدمة شعوبها والنهوض بمرافقها والسير بها فى مدارج الحضارة المستمدة من ماضيها وواقع حياتها وطبائع أهلها وسكانها .

وفى نهاية الحفل تليت قرارات اجماعية حددت الهدف النهائى للشعوب الافريقية ، وهو الاستقلال الكامل فى موعد غايته ١٤ من ابريل سنة ١٩٦٠ ، وحددت أيضا الوسائل التى أزمعت هذه الشعوب أن تتخذها فيما لو تلكأ المستعمر ، أو عاند ، أو راوغ ، أو تمسك بموقفه البغيض ، فعندئذ تدعى الدول الافريقية المستقلة للتكاتف مع الشعوب لاقتلاع الاستعمار من جذوره ، وتثار القضية برمتها على المستويات المحلية والعالمية ، وتنفخ أبواق الجهاد فى كل مكان .

ولقد ينظر بعض الوادعين الى هذا كله نظرة المتشكك الى مشروع خيالى بعيد التحقيق ، ولكن هؤلاء الوادعين جديرون بأن يلمسوا الحقائق ويقدروا هذه القرارات حق قدرها ، لو علموا بما تموج به القارة اليوم من تيارات جارفة عنيفة هى أشبه بالزلازل والبراكين والفيضانات الكاسحة ، وغيرها من الظواهر الطبيعية التى لايقوى المستعمر مهما أوتى من العلم والقدرة والدهاء على أن يصدها أو يحيد بها عن مرماها .

ان أربعة أعوام ، منذ ((**باندونج**)) الى الاحتفال الاول بعيد الحرية الافريقى ، قد حفلت بحشد من الاحداث لم تحفل به فيما مضى أربعة قرون . فلقد دوى البوق فى باندونج والدول الافريقية تعد على أصابع اليدين ، والشعوب التى نزلت ميدان

الكفاح بالفعل لاتتجاوز أصابع اليد الواحدة ، فماذا نرى اليوم ؟.

ان نيران الكفاح المقدس تتوهج على مدى الافق من جبال الاطلس الى بحيرات نياسالاند ، ومن أدغال توجولاند الى بساتين القرنفل في زنجبار ، وان أربعة من أقاليم أفريقية سوف تظفر باستقلالها ، فوجا واحدا ، في العام القادم ، وهي توجو ونيجيريا والكاميرون والصومال ، وهذا ، في حد ذاته ، حدث عظيم ، فان اقليما منها ، وهو نيجيريا تزيد مساحته على ثلاثة أضعاف بريطانيا (العظمى) ويناهز عدد سكانه أربعين مليونا من الافريقيين ، ليس بينهم متوطن واحد أو من له حق التوطن من المستعمرين الاوروبيين ، فأى ثقل يضاف في عام ١٩٦٠ الى كفة التحرر الافريقي ! وأية آمال في الوسع أن نبنيها على ذلك الحدث العظيم !.

ولقد كان من الظواهر الكبرى ، منذ باندونج ، تراجع « المدالفرنسي » في افريقية بشكل ملحوظ ، فان فرنسا ، وقد كانت تملك أوسع نصيب من القارة الافريقية لم تستطع أن تمضي الى نهاية الشوط في كبت الشعور القومي الافريقي بعد أن كابرت واستنزفت دماءها في مدغشقر والسنغال والجزائر ، وجاء ديجول بدستور ((**المجتمع الفرنسي**)) الذى يدعو المستعمرات للانضمام الى « الاسرة الفرنسية » فتتمتع بحكم ذاتي وتترك لفرنسا الشئون الخارجية والدفاع (وما يتصل بهما من شئون)

ولئن أفلح الضغط الفرنسي في أن يعلن من يدعون تمثيل تلك المستعمرات في انضمام بلادهم الى تلك الاسرة ، فقد أفلتت غينيا ، وكان هذا الافلات بمثابة شدخ في أسوار « **المجتمع الفرنسي** » الجديد ، ومن هذا الشدخ تولد « اتحاد مالي »

.. وقد أخذت عدوى التحرر والشعور بالعزة القومية يسرى من غينيا في كل اتجاه ، وأصبح الرجل من ((**الفولاني**)) الذى يعيش في السنغال يسائل نفسه : ماذا ينقصني لكي أكون مستقلا كابن عمي الذى يعيش عبر الحدود المصطنعة في جمهورية غينيا

وأخذ أبناء « **الهوسا** » في النيجر الفرنسي ينظرون الى اخوانهم وأهاليهم الذين يعيشون في نيجيريا ويسائل نفسه : لماذا يستقل أخي في العام القادم وأظل أنا في نطاق « المجتمع الفرنسي ..؟ » وقل مثل ذلك عن شعوب سيراليون وداهومي وساحل العاج والفولتا العليا . ثم قدر ، وأنت آمن ، أن المصير في غرب افريقية واضح جلي لاريب فيه .

أما في الشرق والوسط والجنوب ، فقد أصبح من المحسوس الملموس أنه « **لامكان للمعتدلين** » ، وأن شعوب أوغندا وكينيا وتنجانيقا والكونغو وأفريقية الوسطى وزنجبار قد غيرت أساليبها الكفاحية منذ العام الماضي بحيث أصبح المستعمر يعاني الضغط المستمر بأشكاله المباشرة وغير المباشرة ، **بل ان كثيرا من تلك الشعوب قد نبذت بعض القادة الوطنيين الذين لم يسايروا ((المد الافريقي)) الزاحف وتمسكوا بأساليب التطور البطيء واستبدلوا بهم زعماء يتوقدون وطنية وحماسا ، وتكفي الاشارة الى اوغندا ، حيث ثار المؤتمر الوطني اليوغندي على زعيمه السابق ((موسازى)) ونصب بدلا منه زعيما مقداما هو ((جوزيف كوانوكا)) الذى نبذ مطالب الحزب القديمة في ((التطور الدستوري نحو الحكم الذاتي)) وأصبح يطالب بالاستقلال ((فورا))** .

ان هذا كله من دلائل الزمن على أن قارتنا العظيمة على أبواب عصر ذهبي مجيد ، وكلها دلائل تثبت لكل من يرى ويسمع :

((ان الحرية على الابواب))

الجمعيات السلبية فى أفريقية

بقلم الاستاذ عبده بدوى

يعيش فى افريقية اليوم كثير من القوى المعطلة التى تشد المشاعر الى العادات والتقاليد الوهمية ، ومن هذه القوى المعطلة : تلك «الجمعيات» التى يقوم أكثرها على السرية وعلى شعور دينى يربط المواطن بالطبيعة من حوله ،وبالاحساس الحاد بالاسلاف والابطال ،وقد نجح الدينان الاسلامى والمسيحى فى القضاء على هذه المعوقات التى تقف هناك فى طريق التقدم فى أكثر من مكان •

والى جانب النجاح الذى حققه الدين ، حتى أصبح الافريقى المتدين لا يختلف عن أخيه فى أى مكان فى العالم • نرى عند بعضهم ما يسمى « **بالثنائية الدينية** » ويرجع هذا الى مقاومة المعتقدات القديمة للدين الجديد، والى محاربة الشعور الدينى الاسلامى فى البلاد الذى يسيطر عليها الغربيون، وقطع الصلة بينهم وبين مراكز الاشعاع الاسلامى ، والى هذا الاسلوب الاستعمارى الذى تتناقض مسيحيته مع سلوكه فى استغلال الافريقيين ، وفى هذه التفرقة العنصرية التى تهدد انسانيتهم فى قسوة وعنف، ثم أخيرا الى الصراع المذهبى بين المبشرين ، ومحاولة الكسب الخاطف !

ومن هنا حدث رد فعل بين كثير من الافريقيين ، فظهرت كنائس مستقلة عن بعثات المبشرين ، وظهرت كنائس «المتنبئين» (١) الذين استحدثوا تعاليم جديدة لاتمت للمسيحية بصلة وظهرت دعوات جريئة لتجديد الاديان القديمة بعد تطعيمها بالروح المسيحية.

ومن خلال هذا الصراع رأينا أفكارا جديدة هى فى واقع أمرها خليط من دياناتهم القديمة ، ومن المسيحية الوافدة • ومن هذه الافكار اعتقادهم فى « **مسيح** » أسود البشرة يقف على باب الجنة فى السماء، وأن المتنبىء يقوم مقام المسيح نفسه ، وأن من يمر بحرم كنائس البيض يحرم من الجنة • واشتراكهم فى القاء أناشيد صاخبة مصحوبة بحركات عنيفة ، والتعميد بالروائح العطرية، وتحريم لحم الخنزير والدجاج، وتحريم التداوى لان المرض يكون نتيجة لحلول الشيطان فى الجسم أو لاعمال السحر أو لارتكاب الذنوب • والخلاص من كل هؤلاء يعتبر مظهرا من مظاهر الدين • كما يأخذون بمبدأ العلنية فى الاعتراف ! والتعدد فى الزواج•

أما تأثر من أسلم منهم بالمعتقدات الافريقية فيرجع فى الغالب الى عدم تعمق الاسلام فى نفوسهم ، ومن مظاهر هذه الثنائية : أن رجال قبائل «ليبو»(٢) القريبة من (داكار) يعتنقون الاسلام أما النساء فيعبدون اله

---

(١) يعتقد المتنبىء ان السماء توحى اليه ، وانه يتمتع ببعض الخوارق •

(٢) قبائل يعيش أكثرها على صيد البحر ، ولم تدخل الاسلام الا سنة ١٩٠٠

القطط أو أم القطط أو الاله «ندك» أو اله البحر ، وتوجد في منازلهم محاريب خاصة بهذه العبادة . وتتزعم هذا النوع من العبادة واحدة منهن

وتؤدي قبيلة «جرمة » و(السنرهاى) رقصة المطر بصورتها الوثنية ، ويعتقون أن المطر آلهة تستهوى بالموسيقى، وأنها قد تحل فى أجساد بعض النسوة ، ولن تذهب عنهن حتى يأتى رجل يمثل السماء ومعه ماء به بعض العشب المقدس . فاذا ألقاه في حفرة ، وضحى بدجاجة أو كبش خرجت **هذه الآلهة** (٥)

والى جانب هذه الثنائية العقائدية، نجد جمعيات دينية تتمثل فيها مشاعرهم الدينية ، وتقوم بدور كبير فى تشكيل حياتهم .

فبين قبائل « **البامبارا** » نجد جمعية كومو Komo التى تتكون من كل من تم تختينه ومن حداد يشرف على المعبد ، وعلى المحافظة على التراث الموروث ، وشعار هذه الجمعية قناع مخيف مكون من رداء أسود يتصل به ذراعان فى نهايتهما مخالب مسمومه وهى تجمع فى الليل زيادة فى الرهبة،

وتلقى على الذين تم تختينهم نظام التشكيلات القبلية ، وحقيقة القناع الذى يتعقب من يبوح بأسرار الجمعية حتى يصرعه، والمغزى العميق للمخلفات التى ورثوها عن آبائهم .

وتمثل الجمعية أورو Oro بين قبائل « يوروبا » أرواح السلف ، وتنفذ مشيئتهم . فاذا خرج واحد من القبيلة على طقوسها خرج أعضاؤها بالليل وانتقموا منه حتى تهدأ أرواح السلف ، وتقرب من أغراض هذه الجمعية جمعية أمو Omo عند «الايبو» .

وتوجد جمعية بورو Poro **بين قبائل « مندى »** ولا يدخل فيها الا كل من يقيم فى الغاب منفردا عدة أسابيع ، وتوجد على جسمه حينما يرجع آثارها حسب اعتقادهم الى « عض الجن » حيث يلقن فى هذه الفترة طقوس القبيلة وأناشيدها ، وآدابها ، ورقصها ، وكيفية الاتصال بالجن والعوالم الغامضة.

وكل فرد من قبيلة « **سارا** » ينضم الى جمعية هيوندو Hyondo ليتعلم أسرار السحر ، والسموم ، وطريقة اخضاع النساء والاطفال . بعد قضاء عدة سنين فى الغابات يدرس فيها الطالب نوعا من الرقص يحاكى به الحيوانات ، ولغة سرية ، وألوانا من التعذيب ليقوى على الاحتمال .

وأفريقية الاستوائية غاصة بهذا النوع من الجمعيات التى تقوم بدور سلبى فى الحياة هناك . حيث تكون مهمة الجمعية المحافظة على التقاليد المتوارثة ، وارضاء نوع من الشعور الدينى الغامض . الذى يتشكل هو الآخر فى مظاهر غامضة أهمها الاقنعة الرهيبة التى تكون بمثابة الشعار للجمعية ، والعجيب أن هذا النوع من الشعارات قد تغيرت مهمته الاصلية المرتبطة بالشعور الدينى الى النواحى الاقتصادية بحيث تحولت الى سلع تجارية يستعين بثمنها الفنان على مواجهة الحياة ، وخاصة الفنان فى الكونغو البلجيكى .

ولكن هذه الجمعيات لم تخرج عن أهدافها الضيقة الى أهداف أخرى كبيرة فى الحياة .

وقد ساعد الاستعمار على تجميدها مع بعض الجمعيات الاخرى السلبية كجمعية العرافين ، وجمعية السحرة حتى يستطيع احكام قبضته على هذه البلاد . فقد عمل على تشجيعها ، وتنميتها وعزلها تماما عن واقع البلاد، والمجرى العميق للصراع فيها .

والجمعية الوحيدة التى خرجت من عزلتها وأصبحت الملامح الحقيقية

لكفاح كينيا هى جمعية « الماوماو » فقد استخدمت أسرارها ، وقسمها فى محاربة الانجليز ، فتحولت أسرار الجمعية الى مطالبة بأن تكون بلادهم لهم ، وتحول القسم الى قوة روحية رهيبة تستطيع أن تقتل كل من يعبث بها • فقد جاء فيه :

« **ليقتلنى هذا القسم اذا ارتكبت عملا من أعمال الخيانة، أوشهدت على عضو فى الجمعية وليقتلنى هذا القسم اذا دعتنى الجمعيةولم ألب النداء !)) •**

وهذا القسم يؤدى فى احتفال خاص ، وبمراسيم معينة ، والى جانبه تقام مراسيم أخرى توضح مصائر من يخونه وذلك بعرض دجاجة وقطط مخنوقين ، وقد امتاز عام ١٩٥٣ بسلسلة من المراسيم الخاصة للتحلل من سلطة « القسم » بعد أن قام الانجليز بعملية ابادة عنيفة، وباذاعة أنه يمكن التحلل من القسم بعملية « **الاعتراف** » ففى ذكر المرء أنه مرتبط بالقسم خروج عليه ، وتحلل من سيطرته دون الحاجة الى اقامة المراسيم الخاصة بعملية التحلل !

وسواء كانت هذه الجمعيات تقوم على عبادة الطبيعة التى تحوط بالانسان البدائى، كما تقول نظرية «جيفونس» أو تقوم على عبادة أرواح الموتى، كما يقول ((ويلكن)) أو على عبادة الافراد لمجتمعهم ، كما يقول « دوركايم » • فان القارة فى حاجة ملحة الآن الى تطوير هذه الجمعيات ، وخروجها من عزلتها ، وارتباطها بحاجات البلاد من حولها •

فانها بما تملك من طاقات دافعة، واختيار دقيق للافراد،وسرية متناهية فى الاحتفاظ بمقوماتها تستطيع أن توجه ضربات مذهلة للاستعمار ، وتستطيع فى الوقت نفسه أن تختصر عدة سنوات من الكفاح الذى يدور الآن ، والذى سيدور غدا فى كل مكان فى افريقية •



المجلس الاقتصادي العربي وأثره في التضامن العربي

بقلم الدكتور خير الدين مسكون

لمحة موجزة عن علاقات العالم العربى فى القديم :

ليس التعاون الاقتصادى بين العالم العربى أمرا حديثا مستجدا يراد فرضه على البلاد العربية فى عصرها الحديث من قبل حكامها استجابة لدوافع سياسية واقتصادية . وانما كان هذا التعاون قديما يرجع الى تاريخ بسط سلطان العرب على هذه المنطقة . بل انه كان فى بعض الاحيان يرجع الى ما قبل هذا التاريخ . فالمعروف أن تجار

قريش كانوا قبل ظهور الاسلام على اتصال تجارى دائم ببلاد الشام التى كانت تخضع لسلطان الروم ، وكما كانت القبائل العربية فى شرق الجزيرة على اتصال ببلاد العراق التى كانت خاضعة لسلطان الفرس . ومنذ أن أقام العرب دولتهم فى الشرق الاوسط وشمال افريقية ، أصبحت هذه البلاد كتلة اقتصادية متضامنة ولم تكن التجارة تتأثر كثيرا فيما بين مناطق العالم العربى بخضوع بعض أجزائه الى حكومات متنافرة ومتخاصمة فى بعض الاحيان . ثم جاء الحكم التركى فاحتل أكثر مناطق العالم العربى ودخلت تركيا — وممتلكاتها فى أوروبا — مع العالم العربى الممثل فى كتلة واحدة فكانت علاقات العالم العربى التجارية بعضه ببعض علاقات وثيقة متينة لايحدها حد ولا يعوقها عائق . واستمرت الحال

كذلك الى ما بعد الحرب العالمية الثانية اذ احتل الغرب الوطن العربى ، كما كان الاستعمار قد سطا قبل ذلك على الجناح الغربى للعالم العربى فى شمالى افريقية ، فاحتلت فرنسا الجزائر ثم تونس ثم مراكش واحتلت ايطاليا ليبيا واحتلت انكلترا مصر والسودان وجنوب شرق الجزيرة العربية وقاسمت الدولتان الاستعماريتان فرنسا وانكلترا النفوذ على العراق والشام فكان من نصيب فرنسا احتلال سوريا ولبنان وكان من نصيب انكلترا احتلال العراق وفلسطين والاردن . وجزأت كل منهما منطقة نفوذها الى دويلات

صغيرة لتضعف التضامن بين هذه الدويلات ، فقسمت فرنسا منطقة نفوذها الى دولتين هما لبنان وسوريا .

ثم قسمت سوريا الى أربع دويلات هى : دولة حلب ، ودولة دمشق ، ودولة جبل الدروز ، ودولة العلويين — الا أنها اضطرت بعد ذلك تحت ضغط العناصر الوطنية الى توحيد هذه الدويلات الاربع فى دولة واحدة وبقى لبنان مستقلا منفصلا . وقسمت انكلترا المنطقة التى تحتلها الى ثلاث دويلات هى : العراق وشرق الاردن وفلسطين .

وأعطت وعدا للصهيونية العالمية بجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود . كما سبق لانكلترا أن قسمت وادى

النيل الى دولتين هما مصر والسودان .

علاقات العالم العربى بعد الحرب العالمية الاولى :

وكان من نتيجة هذه التجزئة للعالم العربى واختلاف الدول التى تسيطر على أجزائه ان ضعف التضامن الاقتصادى بين هذه الاجزاء ، وأخذت توجه أكثر تجارتها الى الدول المسيطرة عليها .

ولكن ذلك لا يمكن أن يستمر طويلا فهناك لغة وقومية وتاريخ مشترك بين أبناء العالم العربى وهناك احتياجات لسكان المنطقة لا بد من تأمينها ، وهناك أسواق محلية طبيعية لا يمكن تأمينها وتغذيتها بسهولة من خارج المنطقة ، لذلك ابتدأت هذه الاحتياجات الملحة تجبر الدول المستعمرة على تحويل موقفها ،

فعقدت اتفاقات تجارية بين الفرنسيين ـ باسم سوريا ولبنان وبين الانكليز ـ باسم الاردن وفلسطين ـ أعفت المنتجات المحلية من الرسوم الجمركية أو جعلتها خاضعة لتعريفة جمركية مخفضة . ولا بأس فى أن نشير هنا الى بعض الاتفاقات التى تمت باسم البلاد العربية فى الفترة التى تلت الحرب العالمية الاولى .

أولا ـ والعلاقات بين سوريا ولبنان :

(أ) كانت سوريا ولبنان تؤلفان وحدة اقتصادية وجمركية طيلة المدة التى كان الفرنسيون يحتلون فيهما البلدين .

(ب) بعد استقلال البلدين فى عام ١٩٤٣ عقدت الدولتان اتفاقا بينهما يتعلق بالمصالح المشتركة بين البلدين وهى المصالح التى كانت تدار من قبل الفرنسيين مباشرة • وبقى البلدان يؤلفان وحدة جمركية . حتى شهر مارس سنة ١٩٥٠ اذ تم الانفصال بينهما .

ثانيا ـ العلاقات بين سوريا ولبنان من جهة وفلسطين من جهة أخرى :

(أ) اتفاق ١٩٣٤/١/٣ ويتعلق بانتقال الحيوانات للرعى والسقاية .

(ب) اتفاق ١٩٣٥/٨/٢٤ ويتعلق بانتقال السيارات بين هذه البلاد .

(جـ) اتفاق ١٩٢٠/٨/٢٠ المعدل فى ١٩٢١/٢/٢٢ المتعلق بالتبادل التجارى بين هذه البلاد .

(د) اتفاقا ٤ ، ١٨ من مارس ١٩٢٩ المتعلقين بالاعفاء من الرسوم الجمركية لبضائع هذه البلاد .

(هـ) اتفاق ٣٠ من نوفمبر ١٩٣٩ الذى حل محل اتفاقى عام ١٩٢٩ .

ثالثا ـ العلاقات بين سوريا ولبنان من جهة والاردن من جهة أخرى :

اتفاق ١٩٢٣/٥/١٠ وملحقاته فى ٢٧ من فبراير ١٩٢٤ و ٢١ من نوفمبر ١٩٢٥ باعفاء منتجات البلاد المتعاقدة من رسوم الجمارك .

رابعا ـ العلاقات بين سوريا ولبنان من جهة ومصر من جهة أخرى :

اتفاق الاول من نوفمبر ١٩٢٨ بمعاملة منتجات هذه الدول فيما بينها معاملة الدول الاكثر رعاية وقد ألغى هذا الاتفاق فى ١٩٣٣/٣/١٤ من قبل سوريا ولبنان نتيجة لشروع مصر فى تطبيق سياسة الحماية الجمركية .

خامسا ـ العلاقات بين سوريا ولبنان والعراق :

اتفاق ١٩٢٥/١/٣١ المعدل فى ١٩٢٨/٤/٢٣ وفى ١٩٢٩/١٠/٢١ بتنظيم تجارة الترانزيت بين هذه البلاد .

سادسا ـ العلاقات بين سوريا ولبنان والسعودية :

اتفاق ١٩٢٦/٢/٢٢ بمعاملة دول هذه البلاد معاملة الدولة الاكثر رعاية .

سابعا ـ اتفاق ١٩٣١/٨/١٨ بين مصر وفلسطين بتنظيم عمليات التبادل التجارى بين البلدين .

ثامنا ـ اتفاق ١٩٣٨/٥/١٦ بين مصر والعراق .

العلاقات بين العالم العربى بعد الحرب العالمية الثانية :

كان من نتيجة الحرب العالمية الثانية أن استقل أكثر أجزاء العالم العربى وخرج المستعمرون من أراضيها . فاستقلت سوريا ولبنان عام ١٩٤٣ وجلا المستعمرون عن أراضيها عام ١٩٤٥ وقامت الثورةفى مصر وتوصل قادتها الى اتفاق مع الانكليز على الجلاء عنمنطقة القنال، واستقلت ليبيا والاردن ثم استقلت السودان ومراكش وتونس ، وأخيرا نشبت الثورة فى العراق فقضت على آمال المستعمرين بالقضاء على عملائهم . وكان من نتيجة ذلكالتغيير فى دنيا العالم العربى أن انتقل الحكم الى أيدى أبناء الشعبفى أكثر البلاد . وحتى فى البلاد التى مازالت فيها حكومات تمالىء الاجنبى ، كانت هذه الحكومات مضطرة الى مسايرة تيار القومية العربية التى مازالت تمالىء الاجنبى ، كانت هذه الحكومات مضطرة الى مسايرة تيار القومية العربية التى مازالت تدعو الىتحقيق مزيد من التضامن بين العرب فى النواحى الاقتصادية والسياسية .

وقد شعر العرب بأن التأخر الاقتصادى الذى ساد البلاد العربية نتيجة لخضوعهم للحكم الاستعمارى ولانقسامهم الى وحدات صغيرة ، كان من أهم أسباب ضعفهم من الوجهة الحربية وقد ظهرت نتائج هذا الضعف واضحة ـ بالاضافة الى الخيانات التى ظهرت فى معركة فلسطين عام ١٩٤٨ . لذلك أخذت تتجه آمال العرب المتحررين من سياسيين ورجال أعمال وتجار ومواطنين الى جمع شمل العرب وتنسيق جهودهم الاقتصاديةكخطوة أولى فى سبيل تحسين حالهم ورفع مستولهم وانعاش اقتصادهم ، ثم الاتجاه بهذه الاقتصاديات الجزئية فى سبيل الوحدة الاقتصادية الكبرى وبذلك تكون البلاد العربية قد خطت أكبر خطوة فى سبيل وحدتها السياسية وأزالت من الطريق العقبة الصعبة الرئيسيةالتى تعترضتحقيق الوحدة العربية .

أثر التضامن الاقتصادى فى حياة العرب :

والعرب لابدلهم ، اذا أرادوا الحياة والعزة منإتحادهم سياسياواقتصاديا واذا كانت بعض الاعتبارات الخاصة ببعض البلدان العربية تحول دون تحقيق الوحدة السياسيةحالا ، فانه ليس هناك ما يمنع اطلاقا من تحقيق الوحدةالاقتصادية الشاملة فىالقريب، بل ان قيام هذه الوحدة الاقتصادية أمر ضرورى جدا لرفع مستوى الشعوب العربية وانعاش اقتصادها وايجادأسواق لمنتجاتها، كما أنوجود السوق الواسعة أمر أساسى فىعصرنا الحديث لانشاءصناعات ثقيلةوخفيفة فى بلد ما ، لان هذهالصناعات لايمكن أن تقوم فى بلد صغير ضيق السوق، وانما تحتاج الى أسواق ضخمة لتصريف منتجاتها وتسديد نفقاتها الاولية الدائمة والهبوط بأحلاف الانتاج الى مستوى يقيها منالمزاحمة الاجنبية . وقيام الصناعات علىنطاق واسع من أهم الاسباب التى تؤدى الى رفع مستوى الحياة الاجتماعية لسكان بلدنا ، وارتفاعمستوى الحياة الاجتماعية معناه نشوء وعى لدى الجماهير الشعبية وازدياد فىامكانيات الدولة المادية وهذان درع الامة فى الدفاع عن حريتها وكرامتها . وهنا نجدأننا دخلنا فىحلقة مفرغة لامخرج منها الا بتوسيع السوق ، وهذه السوق لا يمكن أن تتسع ـ بالنسبة للعالم العربى ـ الا بتوحيد اقتصادياتها .

خطر اسرائيل يوجب وحدة العرب اقتصاديا :

وهناك سبب آخر يدعو الى قيام هذه الوحدة الاقتصادية ، هو قيام اسرائيل دولة مغتصبة معتدية فى قلب العالم العربى ، ولا يستطيع العرب وقف عدوان اسرائيل وتقليم أظافرها والقضاء على آمالها الا بوحدتهم الاقتصادية . وتخييب أمل اسرائيل بايجاد أسواق لمنتجاتها الصناعية فى البلدان المجاورة لها — أى فى العالم العربى — فى المستقبل ، لايمكن أن يكون الا بنهضة اقتصادية صحيحة ، وبوحدة اقتصادية كاملة توحد جهود العرب وتعبىء قواهم المادية جميعها فى خدمة القضية العربية ، وفى سبيل رفع مستواهم الاجتماعى وبناء دولتهم على أسس متينة قوية وقيام وحدة اقتصادية بين أجزاء العالم العربى يمكن العرب أيضا من مزاحمة اسرائيل فى الاسواق التى تصرف فيها بضائعها ومنتجاتها فى آسيا وافريقية نتيجة لغياب العرب عن هذه الاسواق فى الوقت الحاضر . فانتاج اسرائيل الصناعى جميعه من المواد الاستهلاكية البسيطة التى تنتج البلاد العربية أمثالها فى الوقت الحاضر . أو مما يمكنها انتاجه بتنسيق جهودها الاقتصادية . وامكانية ازدهار الصناعات فى العالم العربى متوفرة أكثر مما هى متوفرة فى اسرائيل ، بسبب اتساع السوق العربية وضيق سوق اسرائيل . وأول ماتعتمد عليه الصناعات فى بلد ما هو السوق المحلية .

والبلاد العربية غنية ناشئة تحتاج الى الكثير فى سبيل نهضتها ، فالصناعات فيها مضمونة الحياة وحياتها طبيعية ، بعكس أكثر صناعات اسرائيل التى تعيش بشكل مصطنع بمساعدات الدولة وبالقروض ، وهذه لايمكن أن تدوم الى الابد ولا يمكن أن تقيم صناعات ذات فوائد اقتصادية .

والسوق التى تتعامل معها اسرائيل فى الشرق الاوسط وجنوبى شرقى آسيا وبعض المناطق فى افريقية ، هى سوق طبيعية للعالم العربى ، بسبب الروابط المتعددة التى تربطها بالعالم العربى ، كالروابط الدينية أو التاريخية والصداقة والجوار أو روابط المنفعة المتبادلة التى قدمتها لتفضيل التعامل مع عالم واسع غنى متعدد الانتاج كسوق العالم العربى على التعامل مع سوق فقيرة ضيقة كسوق اسرائيل .

وانتاج اسرائيل الزراعى انتاج بسيط ، فهى تستورد أكثر احتياجاتها من العالم الخارجى ، والانتاج الوحيد الذى يفيض عن احتياجها المحلى هو الحمضيات . وهذه المادة تنتجها التربة العربية فى الوقت الحاضر بكميات وافرة ، وتستطيع شواطىء العرب الدافئة المترامية أن تضاعف انتاجها منها عشرا وعشرين مرة اذا ما أحسن التنسيق وزاد الاهتمام . فاذا توفر لدى العرب تنوع الانتاج ووفرته ، استطاعوا أن يزاحموا اسرائيل فى الاسواق التى تغزوها الآن بسبب فقدان المزاحمة العربية .

ومن واجب العرب ألا يدعوا فرصة لاقتصاد اسرائيل أن ينتعش على حسابهم وحساب سوقهم الطبيعية . وكل انتعاش فى اقتصاد اسرائيل معناه يهود مهاجرون جدد يدخلون الارض المقدسة ومزيد من القوة المادية تزين لها العدوان على العرب .

الوحدة الاقتصادية درع العرب ضد الضغط الاستعمارى :

وهذه الوحدة العربية ضرورية أيضا لمجابهة الاستعمار الطامع فى

أرض العرب وخبراتهم ، ولا يستطيع العرب أن يقضوا على أطماعه ومؤامراته وتهديده لهم الا بالقوة والاستغناء عنه . وهذان لايكونان الا اذا حقق العرب وحدتهم الاقتصادية التي توحد تنسيق جهودهم الاقتصادية وترفع مستواهم وتخلق مزيداً من التضامن السياسي بينهم .

فواجب العرب في هذا المعترك العالمي الخطير وفي مواجهة هذه الاخطار المحدقة بهم ، يحتم عليهم لم شملهم في وحدة اقتصادية عاجلة — تتبعها وحدة سياسية كاملة متى زالت الموانع القائمة الآن — وهي قريبة الزوال ان شاء الله .

دور الجامعة العربية :

ولا بد لنا من القول أن قيام الجامعة العربية كان من الاسباب التي زادت في تقريب وجهات نظر العرب ، واليها يعود الفضل في جميع ما حققته دول الجامعة من تضامن في الميادين الاقتصادية حتى الآن .

ولقد كان بدء تضامن العرب ، اقتصاديا ، ما جاء في ميثاق الضمان الجماعي بين دول الجامعة — فقد رؤي أن تأمين الدفاع الاقليمي لايمكن أن يتحقق الا اذا توفر التعاون الاقتصادي بين الدول الاعضاء . لذلك نصت المادة السابعة من الميثاق على مايلي :

« استكمالاً لاغراض هذه المعاهدة وما ترمي اليه من اشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية في البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصادياتها واستثمار مرافقها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية والصناعية وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادي وتنسيق وابرام ما تقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الاهداف » .

ونصت المادة الثامنة من الميثاق نفسه على انشاء المجلس الاقتصادي من وزراء الدول المختصين بالشئون الاقتصادية أو ممن يمثلونهم عند الضرورة لكي يقترح على حكومات تلك الدول مايراه كفيلا بتحقيق الاغراض المبينة في المادة السابعة .

وفي ٢٥ من مايو ١٩٥٣ دعت الامانة العامة لجامعة الدول العربية لعقد اجتماع في لبنان يضم وزراء المال والاقتصاد في دول الجامعة العربية لتنسيق التعاون الاقتصادي العربي وتضمن جدول الاعمال الموضوعات التالية :

١ — تيسير تبادل الانتاج الزراعي والصناعي بين البلاد العربية على أساس الافضلية .

٢ — تسهيل تجارة الترانزيت ومرور البضائع .

٣ — انشاء مؤسسة مالية مشتركة بأموال عربية لتمويل المشروعات العربية .

٤ — انشاء شركة ملاحة عربية .

٥ — استغلال أملاح البحر الميت .

وأسفرت الاجتماعات عن نتائج هامة كانت فاتحة عهد من التعاون العربي في الميادين الاقتصادية :

١) فعقدت أولا اتفاقية تسهيل التبادل التجاري وتنظيم تجارة الترانزيت بين دول الجامعة ، وتضمنت هذه الاتفاقية :

أ — اعفاء المنتجات الزراعية والحيوانية والثروات الطبيعية المدرجة في الجدول (أ) الملحق بالاتفاقية من رسوم الاستيراد الجمركية على أن يكون منشؤها أحد البلاد المتعاقدة .

ب — معاملة المصنوعات العربية والتى يكون منشؤها أحد البلدان الاطراف المتعاقدة والمدرجة فى الجدول (ب) الملحق بالمعاهدة معاملة تفضيلية فيما يتعلق برسوم الاستيراد الجمركية فتخضع الى تعريفة مخفضة بنسبة ٢٥٪ من لتعريفة العادية المطبقة فى البلد العربى المستورد .

ج — لاتخضع المنتجات الزراعية والحيوانية والصناعية فى بلد أحد الاطراف المتعاقدة والمستوردة فى بلد آخر الى رسوم داخلية تفوق الرسوم المفروضة على المنتجات المحلية المماثلة أو على موادها الاولية فى البلد المستورد .

د — تتعامل البلاد العربية فيما بينها من حيث أجازات الاستيراد والتصدير على أساس المعاملة التفضيلية .

هـ — تتعهد الاطراف المتعاقدة بتسهيل حركة الترانزيت عبر بلادها بعموم وسائل النقل .

ثم جرت تعديلات فيما بعد على هذه الاتفاقية وأضيف جدول جديد (جدول جـ) يحوى السلع التى تستفيد من تعريفة مخفضة بنسبة ٥٠ ٠/٠ ،وهى التى تكون فيها نسبة الصناعة العربية والمواد الاولية العربية أكثر من ٥٠ ٪ ، كما أضيف جدول آخر برقم (هـ) ويحوى السلع الصناعية التى يجرى تجميعها فى البلاد العربية على أن تعفى من ٣٠ ٪ من الرسوم الجمركية . وأخيرا وفى اجتماع المجلس الاقتصادى فى يناير عام ١٩٥٩ وافقت الدول العربية على اقتراح الجمهورية العربية المتحدة اجراء تخفيض جديد يبلغ ١٠ ٪ من أساس الضريبة يكون مقدمة لتخفيضات أخرى فى المستقبل لتحقيق الاعفاء التام لمنتجات البلاد العربية وبالتالى الوصول الى الوحدة الاقتصادية الكاملة .

٢) كما عقدت فى الوقت نفسه اتفاقية ثانية بشأن تسديد مدفوعات المعاملات الجارية وانتقال رءوس الاموال بين دول الجامعة . وتضمنت هذه الاتفاقية أحكاما من شأنها تسهيل تمويل مدفوعات المعاملات الجارية بقية البلدان المتعاقدة ، كما أوجبت هذه المدفوعات أقصى مايمكن من معاملة مفضلة :

أ — تجيز الحكومات العربية المنضمة الى هذه الاتفاقية انتقال رءوس الاموال تمكينا لرعاياها المقيمين فيها من الاشتراك فى مشروعات التنمية الاقتصادية التى يتفق عليها بين الاطرف صاحبة العلاقة ضمن نطاق القواعد التى تضعها كل دولة لحماية رءوس أموالها أو رءوس الاموال التى انتقلت اليها وتضمن حكومات الدول المنقولة اليها رءوس الاموال استعمالها فى الغايات المشار اليها .

ب — لاتخضع رءوس الاموال المنقولة من بلد عربى الى بلد عربى آخر لاية رسوم أو ضرائب استثنائية .

ج — تجيز حكومة كل بلد لرءوس الاموال العربية التى ترد اليها بعد توقيع الاتفاقية بالعودة الى موطنها الاصلى .

ثم اجتمع المجلس الاقتصادى بعد ذلك ونظر فى عدة موضوعات . وأسفرت اجتماعاته هذه عن :

١ — تأليف لجنة قامت بتوحيد المصطلحات الجمركية وتبويب القرارات واتخاذ جدول موحد للتعريفة الجمركية .

٢ — تأسيس شركة عربية سميت شركة البوتاس العربية لاستغلال

البوتاس من البحر الميت برأســـمال قدره ٤٫١٠٠٫٠٠٠ جنيه تكتب فيه دول الجامعة العربية بنسبة مساهمتها فى ميزانية الجامعة .

٣ ــ انشاء مؤسسة مالية مشتركة لانماء الاقتصاد العربى برأسمال قدره ٢٠ مليون جنيه تساهم فيـه الدول العربية بنسبة حصتها من ميزانيـة الجامعة . وغاية هــذه المؤسســة المســاعدة على تمـويل المشروعات الاقتصادية فى البلاد العربية .

٤ ــ قــرر المجلس الاقتصــادى الموافقة على مبــدأ تفضيل الخبراء العرب عند تساوى المؤهلات كمـا أوصى الامانة العامة باعداد ســجل بخبراء العرب الاقتصاديين فى مختلف نواحى الاختصاص .

٥ ــ انشــاء مكتب دائم فى الامانة العــامة للجامعة العربية لشــئون البترول . تكـون مهمتـه تنسـيق الاحصائيــات ومكافحــة التهريب وتسهيل تموين الدول العربية بالبترول وتقديم احصائيات عن انتــاج الدول العربية من البترول .

الوحدة الاقتصادية العربية :

وكانت هذه الخطوات التى خطتها الجامعة العربية فى تحقيق قســط كبير من التضامن العربى فى الميــدان الاقتصادى مشجعة للقائمين على رأس الدوائر الاقتصادية على التفـكير فى تحقيق الوحدة الاقتصادية العربية فى وقت غير بعيد ، وقد قدمت اقتراحات جريئة فى هذا السبيل . وبالفعل فان اللجنة السياســية لجامعــة الدول العربية قــد أقرت فى ١٩ من مارس ١٩٥٦ تشكيل لجنــة من الخبراء العرب تتولى وضــع مشروع كامل للوحدة الاقتصادية واعــداد الخطوات التى يجب أن تتبع من أجل تحقيقها . وكان قرار اللجنة ــ على ما وصــفه تقرير الامانة العامة للجامعة العربيةــ « خطوة تقدمية تتجاوب مع مايجرى فى العالم العربى من أحداث خطــيرة تستلزم قيام وحدة اقتصادية عربية كاملة لتكون عمــادا لوحــدة العرب الشاملة التى يصبو اليها جميع أبناء الأمة العربية » .

واجتمعت لجنة الخبراء المــذكورة فى لبنان فيما بين ٦ و ٢٢ من أغسطس ١٩٥٦ واتخذت المشروع الذى أعدته الامانة العامة للجامعة العربية أساسا لابحاثها وانتهت الى وضــع مشروع للوحدة الاقتصادية بين دول الجامعة والخطوات اللازمة من أجل تحقيقه .

وقد نصت الاتفاقية على جعــل بلاد الدول العربية المتعاقدة منطقــة جمركية واحدة تخضع لادارة موحدة على أســاس اللامركزية وتوحيــد التعريفة والتشريع والانظمة الجمركية المطبقة فى كل منها ، وتوحيد سياسة الاستيراد والتصدير وتوحيد تشريع العمل والضمان الاجتمــاعى وغيرهما من التشريعات التى تحقق مبدأ تكافؤ الفرص على وجه يكفل لرعايا الدول العربية شروطا متكافئة . . الخ .

وليس هذا كل شىء ، فهناك كثير من المشروعات المعدة والتى تعــد فى سبيل دعم وحدة العرب الاقتصادية ستظهر تبــاعا الى حيز الوجــود ، وسيتحقق العرب أنها ترضى صفوفهم وتدعم كيانهم .

ويقيننا أن هذه الوحدة الاقتصادية ستتحقق فى وقت ليس بالبعيد ، وقد تبدأ هذه الوحدة ببعض الدول كخطوة أولى بسبب بعض الظروف الخاصــة بالدول الأخرى ولكن ما من بلد عربى يمــكن أن يتخلف طــويلا عن موكب القومية العربية المندفعة فى طريقها الى تحقيق وحدة العــرب التى كانت وما زلت أعز أمنية تداعب خيالهم .

الاستعمار .. فى الكنغو الفرنسى

بقلم : الدكتور عبد العزيز رفاعى

يحتل الكونغو الفرنسى القطاع الغربى لافريقية الوسطى الاستوائية فيشمل الكونغو الاوسط ومناطق الجابون واليوبانجى وتمتد مناطقه نحو الشمال لتلتقى بحدود الكامرون والى الشمال الشرقى ليصبح الكونغو الفرنسى . والمساحة الممتدة فى السودان الفرنسى الى بحيرة تشاد من ممتلكات فرنسا ، أما فى الغرب فيحده خليج غانة .

وتبلغ مساحة الكونغو الفرنسى التى تعتبر جزءا من الهضبة الافريقية ٨٠٠,٠٠٠ كيلو متر مربع تقريبا ، أما مناخه فهو استوائى حار رطب ، غزير الامطار طول العام ماعدا أطرافه حيث تبلغ مدة الامطار فيها عشرة شهور ، لذلك كان ذا غابات باسقة كثيرة ملتفة الاغصان متنوعة الاشكال والاحجام .

ويسكن الكنغو الفرنسى جماعات من زنوج البانطو الغربيين بجانب العناصر الاوروبية التى تتولى زمام البلاد ، بحيث لا يزيد عددهم جميعا عن أربعة ملايين نسمة تقريبا .

كان الكنغو الفرنسى بقعة عذراء هادئة حتى منتصف القرن التاسع عشر ، تعيش فى حدود امكانياتها وتقاليدها ، عندما كانت أوروبا اذ ذاك تحتدم بالثورة الصناعية وتقدح ذهنها لتبسط سلطانها على غيرها ، وتربطه بكيانها السياسى والاقتصادى من أجل الوفاء بحاجة الرأسمالية الصناعية ، وعندما كان استغلال أراضى الغير فى العالم - كما يقول المؤرخ هنسون - شائعا عن طريق النهب والسلب ، وكان عدم تكافؤ الفرص فى التجارة وتسخير القوى العاملة من سمات الرأسمالية الجائرة .

فى ذلك الوقت فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا اتجهت فرنسا لافريقية تقطع من أوصالها بمختلف الاسباب يوم أن كانت أفريقية اذ ذاك مسرحا للمنافسة الاستعمارية عن طريق الكشوف الجغرافية وغيرها ، وقد وضعت فرنسا رجالها فى هذه البقعة المعروفة بالكنغو الفرنسى - واستطاعت أن تضمه الى ممتلكاتها ، بعد أن كشفت عن معالمه .

فبينما كان الملازم كاميرون .. يخترق حدود الكنغو الاعلى والامريكى الانجليزى استانلى ، يكشف عن أسرار النهر الكبير ، كان ثمة رجال معظمهم من الفرنسيين ، يكشفون عن جزء كبير لهذا النهر بجانب مناطق أخرى مجاورة له ، وبفضل نشاط المستكشف الفرنسى برازا بعد ذلك ، اكتشفت معالم الاقليم فى الجابون والاجوى والاوبانجى ومن ثم ضمته فرنسا الى مستعمراتها ، وقد بدأت هذه المستعمرة فى الاستقرار خصوصا بعد مؤتمر برلين المنعقد عام ١٨٨٥ الذى حاول تحديد امتياز دولتى

بلجيكا وفرنسا فى حوض الكنغو ، ومن ثم بدأت فرنسا فى استثمارة لحسابها ، فى صورة استعمارية جشعة .

ولقد جاء نظام الاستعمار فى الكنغو الفرنسى سيما منذ عام ١٨٩٩ نسخة طبق الاصل من نظام ليوبولد الاستعمارى فى الكنغو البلجيكى .

ولما كانت المنطقتان لا تصلحان كمستعمرات للاستيطان الذى يقوم على هجرة الشعب المستعمر اليها لاستيطانها واستثمارها اذ كانت شدة الحرارة تحول دون هذه الهجرة ، فقد اكتفى فيهما باستخدام الاموال فى استثمار الزراعة تحت اشراف لفيف من الاوروبيين يوجهون الانتاج فى شركات زراعية تمنحها الحكومة امتيازات الاستغلال .

ولقد عملت الحكومة الفرنسية على استغلال الاراضى على طريقة الامتيازات فاستثنت الاراضى التى يستغلها السكان ، ثم جعلت الاراضى الاخرى التى تمثل سوادها الاعظم أملاكا خاصة للدولة ووزعتها على أربعين شركة فرنسية ، فتضمنت الامتيازات مساحات واسعة حتى أن احداها بلغت مائة وأربعة آلاف كيلو متر مربع ، وبلغت مساحة امتياز آخر مائة ألف كيلو متر مربع حتى كان مجموع الاراضى التى سلمت الى الشركات الاربعين يساوى مساحة فرنسا كلها مرة ونصف مرة .

وتقوم هذه الامتيازات على الاستثمار الزراعى والصناعى واستثمار الاحراش فى أملاك الدولة . ومدة الامتياز هى ثلاثون سنة وهى لاتشمل المعادن بل تظل هذه تحت سلطة الدولة ، ومتى انتهت مدة الامتياز تصبح الاراضى التى تستغلها الشركة ملكا لها ، أما الاحراش وبقية الاراضى الخالية فتعاد كلها الى الدولة وأهم ما تستغله هذه الشركات أو تتجر فيه — المطاط والعاج والخشب وألوان أخرى من الزراعات والقطن والبن والقرفة وغيرها .

وفى ظل هذه الشركات بامتيازاتها فقد أهل الكنغو الفرنسى كزملائهم أهل الكنغو البلجيكى ، حرياتهم الاقتصادية ، بل فقدوا أيضا الجزء الاكبر من كل المنتجات الطبيعية التى كانت تنمو فى أراضيهم ، بفضل الاسراف فى استخدام السلطة ، والشره الاستعمارى ، فقد جاء فى أحد المراسيم الفرنسية لهذه الشركات أن « فكرة واحدة تسود النظام ، وهى أن منتجات الاراضى موضع الامتياز كيفما تكن ملك للشركة صاحبة الامتياز » وعندما رأت المحكمة القائمة فى مدينة ليبرفيل باقليم الجابون أن تنظر فى نزاع بين شركات الامتياز هذه ، وبين المصالح التجارية البريطانية التى كانت موجودة من قبل فى هذه المنطقة ، مضت المحكمة تؤكد أن « **المطاط لاصحاب الامتياز وليس للاهالى الذين يجمعونه** » .

وسلكت شركات الامتياز فى الكنغو الفرنسى فى اقليم الجابون واليوبانجى والاقاليم المجاورة المسلك الذى سلكته الشركات فى دولة الكنغو الحرة وأخذ الرأى العام العادل يعبر محتجا على هذا المسلك . ففى سنة ١٩٠٥ أرسلت مؤسسة « الكتاب نصف الشهرى» **الفرنسية الكاتبة فيلسيان** شاليه لتتحرى الامور ، فكتبت تقريرها ، وبعد ذلك بسنة نشرت المؤسسة ذلك التقرير الذى وضعته ، وقدمت له بمقدمة تحليلية بقلم شارل بيجوى يشاركه فيما رآه الكثير ، وقد كشف ذلك التقرير عن الوضع القائم ، كما أعلن ذلك الرحالة الذى كان له فضل الكشف عن الكنغو الفرنسى أسفه ، مبديا مرارة خيبة الامل ، قبل وفاته ، لوضع الكنغو

الفرنسي ، وقد ظل حكمه عنه يتردد صداه فى الآذان على مر السنين ، عندما قال عن هذه المستعمرة : «لقد حل الخراب والرعب بهذه المستعمرة التعسة » .

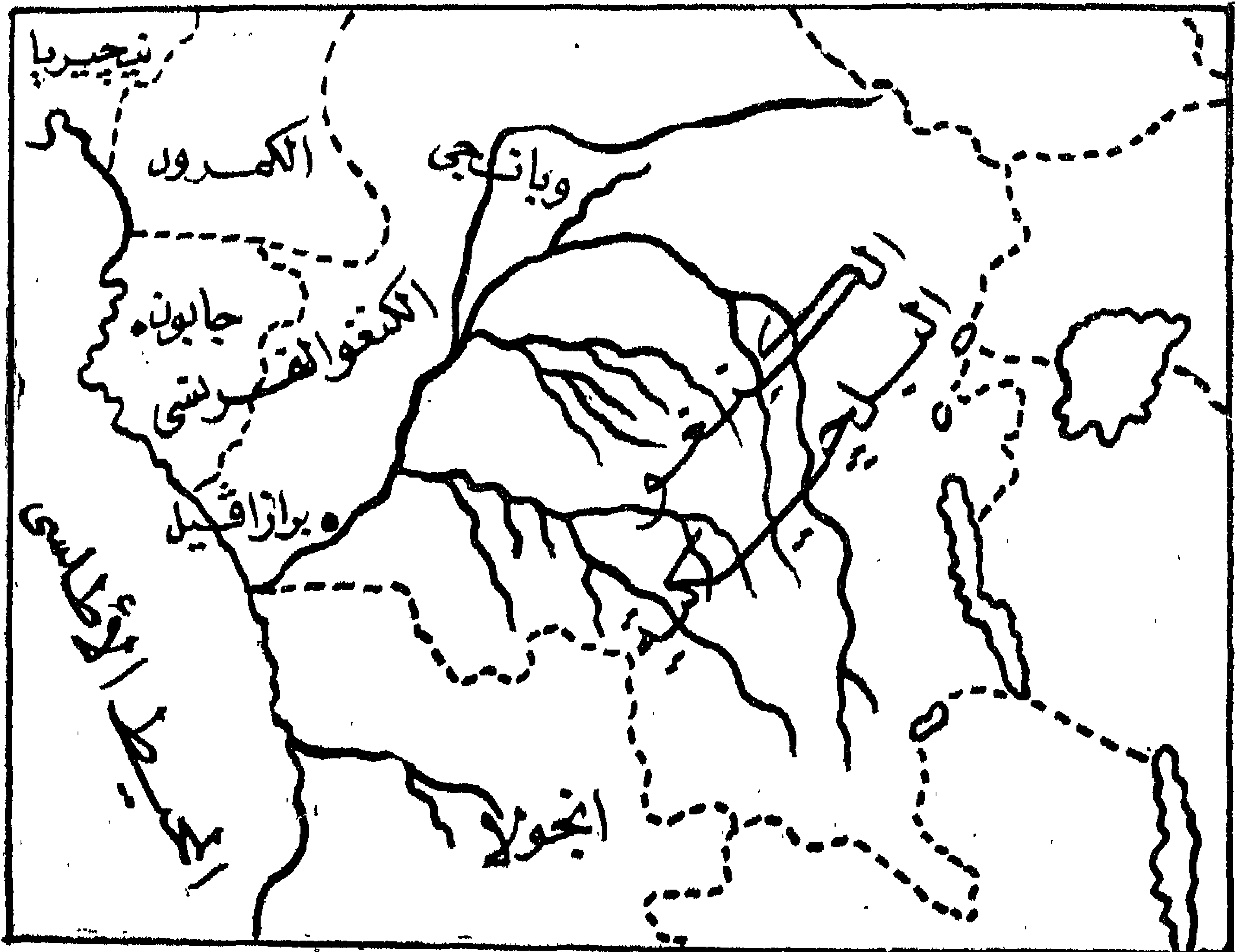
وقد كان ذلك يمثل الواقع تماما وبلا جدال ، ففى سنة ١٩١٠ أبلغ مقرر ميزانية المستعمرات الفرنسية ـ مسيو فيوليت ـ الجمعيةالوطنية فى باريس ان المستعمرة قد « أنهكت قواها .. ولا تزال حقوق الاهالى تنتهك بتواطؤ مع الادارة .. وأن شركات الامتياز لهى أقوى أعداء المستعمرة ، فليس هناك قانون ولا سلطان سوى سلطان مجالس الادارات فى شركات الامتياز » . وقد جاء فى تقرير شالييه أ « ان ثورات فظيعة قد نشبت وكانت قاسية ، وكان لها ما يبررها » .

وكان هذا كله ، مرة أخرى ، أقل مما يمكن أن يقال بعد أن أثبتته البحوث . ففى سنة ١٩٥٢ أشار كاتب فرنسي محافظ فى كتاب له عن افريقية الاستوائية الفرنسية التى تتضمن الكنغو الفرنسى ، الى أن ادارة هذه البلاد قد « ظلت سنوات طويلة تخضع لسياسة ذات وجهين » مما يدفع المرء للشك فى الوثائق الرسمية ذاتها .

ولم يكن البريطانيين فى هذا الشأن أن يركبهم الزهو ، فلن يجد أى فرنسي يكتب عن افريقية البريطانية أى صعوبة فى مهاجمتهم ، بالرغم من أن الحق هو أنه لم يفرض على نيجيريا أو ساحل الذهب أى نظام يمكن مقارنته بنظام شركات الامتياز .

ولقد استغرقت شركات الامتياز الفرنسية مدة الثلاثين عاما الممنوحة

الكنغو الفرنسى



لها كلها ، وعرف عنها وعن آثارها الكثير .

ففي سنة ١٩٢٧ لم يكن هناك من يستطيع ان يصطنع الجد في تبريرها فقد نشر « جيد » في هذه السنة كتابه « رحلة الى الكنغو » وذلك بعد شهور قضاها في الارتحال في هذه البلاد ، وبالرغم من أن الرحلة قد تمت في سنة ١٩٢٦ فقد وجد أن شركات الامتياز كانت لاتزال تستخدم طريقة ليوبولد الاستعمارية الجشعة في فرض جمع المطاط على الاهالي ، وفي دفع وكلائها الى تعقب أولئك الذين يعجزون عن تقديم ما فرض عليهم جمعه من المطاط واضطهادهم .

أعاد جيد الى الاذهان دولةالكنغو الحرة ، كما رسمها كنراد في كتابه « قلب الظلمة » ثم كتب ، والكنغو الفرنسي ماثل أمامه يقول عن هذا الكتاب بأنه مؤلف هام « **كتاب يستحق الاعجاب ولا يزال حتى اليوم صحيحا كما رأيت بنفسي .. فليس في وصفه مبالغة وانما هذا الوصف يعتبر صحيحا دقيقا الى درجة قاسية** » .

ولا يزال الكنغو الفرنسي حتى اليوم ينطبع بمظاهر عميقة الاثر ، فهو يعتبر بحق في أزمة اقتصادية على الدوام .

وبجانب هذا الاستغلال الاقتصادي ، الذي شاءت به فرنسا أن تربط الكنغو الفرنسي بعجلة اقتصادها ، وتنمية الرأسمالية الفرنسية ، على حساب جهود واستغلال القوى البشرية فيه ، لم تبذل فرنسا من أجله من الخدمات الادبية في العناية بالتعليم والشئون الصحية وغيرها ، الا أقل مما تنفقه من أجل أية مستعمرة فرنسية أخرى ، فلم تدع الفرد الا مجرد آلة ، يخدم مصالح الاستعمار الفرنسي .

وبينما كانت فرنسا تجد في ذلك ، كان نظام ادارتها الداخلية لهذه المستعمرة يعمل على القضاء نهائيا على كيانها الاجتماعي الموروث ــ النظام القبلي الذي قامت عليه حياة المجتمع الزنجي في الكنغو .

فقد أحلت نفسها ، بجهاز اداري قوامه لفيف من المستغلين والاستعماريين محل سلطان رئيس القبيلة ، وقد انتهى بجانب تعسفها الاستعماري الى دفع السكان الى الهجرة من أراضيهم ، ومن ثم أخذ عقد المجتمع الزنجي ينفرط ، وينــدفع الى الانحلال الاجتماعي ، لانها اذ كانت تفعل ذلك لم تحاول أن تحل نفسها محل الآصرة التي كانت تربط نظام القبيلة الذي كان يجد في ظله الفرد معاشه ومعاده ، واستجابته الروحية وأمنه وملكيته المصونة ، بل كان همها الاستغلال الاقتصادي عن طريق الاستفادة من الطاقة البشرية ، دون أن تعنى بكيان الفرد وحاجياته ، ولقد أدى هذا الوضع الى تهيئة البيئة الاجتماعية لتقبل مبادىء الاخلاق الفاسدة التي لم يجد الاستعمار عموما صعوبة في غرسها بين الزنوج ، حتى انتشر الفساد جريا وراء لقمة العيش ، والكفاح من أجل الحياة .

ولم تكتف فرنسا بهذا كله ، بل شاءت أيضا أن تربط هذا المجتمع في الكنغو الفرنسي بعجلة الكيان السياسي لفرنسا ، فحاولت بهذا سلب ارادته ليسهل املاء سياستها الاستعمارية عليه فدفعت بالكنغو الفرنسي من الناحية السياسية ، حتى اندمج ضمن المناطق التي تدخل في اتحادات أوروبية افريقية ، كان أهم صفاتها عدم استقلالها محليا ، ثم اشتراك المستوطنين الاجانب في الهيئات السياسية الموجودة ، وبفضل العدد الكبير من الفرنسيين الذين استوطنوا ، استطاعت فرنسا أن تقف في وجه كل حركة وطنية ، وتحقق الى حد كبير بغيتها في الحيلولة دون

بناء الحكم الذاتي ، بل اعتبرتها جزءا منها ، وبهذا نجد أن دستور فرنسا سنة ١٩٤٦ قد جعل للمستعمرات الحق في أن تمثل في الجمعية الوطنية .

وبهذا كله تنجلي محاولة فرنسا جعل الكنغو الفرنسي الحقل الذي تستمد منه مكاسبها الاقتصادية عن طريق الهيمنة على مصادر الانتاج البشري والاقتصادي دون مراعاة للقواعد الانسانية العامة .

وفي هذا الحقل طفقت تغرس مفاسد الحضارة ، وفي هذا الحقل أيضا ، شاءت أن تزيده ارتباطا بفرنسا ، فأرسلت المبشرين ينشرون المسيحية في ربوع الكنغو الفرنسي ،

واذ يمثل ذلك في ذاته تجاها لتطوير الجماعات البدائية ، فقد كان في حقيقته أداة من أدوات السيطرة الفكرية الروحية على المستعمرة ، ومن

السهل أن يلبس الاستعمار بهامسوح الرهبان لينفذ الى أغراضه ، فيدعو للتعاون بين المستعمر وأهالي المستعمرة ، وكان من المستطاع تصوير الربط بين السيد والمسود على أنه اخاء انساني ، طالما كان هناك استعمار فرنسي لايهمه كيان الفرد ، ولامبادىء الانسانية في شيء .

وبعد هذا كله ، هل كان لهذا المدى البعيد من التسلط الاستعماري أن يبقى دائما والى الابد يحقق أغراض الاستعمار الفرنسي في الكنغو ؟

لقد كان من الطبيعي أن تنتهي شدة الضغط الى الاثارة والبرم والقلق ، وأن يكون ذلك محكا قويا ليقظة هذه الشعوب المغلوبة على أمرها ، وأن يعدها بيئة ، لايكفيها غير شرارة تنطلق لتشعل نيران المستعمرة في وجه الفرنسيين .

وبدت الطليعة تعبر عن مكان الظلم وأصول المشاعر الكامنة المتبرمة ، في ظل حركة التبشير ، فسرعان ماظهر رد الفعل ضد البعوث التبشيرية والسلطات الادارية ، وهي محاولة من أهل البلاد لبناء وحدتهم من جديد ، والعودة الى تماسكهم الاجتماعي ، الذي هده الرجل الابيض الفرنسي ، وبدت تلك تنبعث في مستعمرة الكنغو الفرنسي وتنساب اليها من جيرانها فتزيدها انبعاثا .

وبين قبائل أونجي في الكنغو الفرنسي ، كان ثمة عضو برلمان ، وهو قسيس يدعى بوجاندا ، يقول عنه مواطنوه أنه هو الشمس والسماء ، وأن في مقدوره أن يحول الانسان الى حيوان ، ويسمون البطاقة الانتخابية تعويذة بوجاندا .

كان ذلك طليعة يقظة جاءت نتيجة حركة التبشير ، وزيادة الضغط على المستعمرة .

وسارت الكنغو واليقظة تختمر بين أرجائها تتسمع أنباء العالم الذي يحوطها في أفريقية ، فلما هبت تلك من سباتها ، في الكمرون والكنغو البلجيكي ونيجيريا وغيرها ، تنضح جفنها الوسنان بانداء اليقظة ، وتزيح عن كاهلها غبار العبودية ، وتنتشي لتستقبل الحياة الحرة الكريمة ، وتثور لتبني صرح كيانها القومي ، على أنقاض كيان الرجل الابيض ، سرعان ماتجاوبت مستعمرة الكنغو الفرنسي ، مع الاصداء التي كانت ترن بين جنباتها فتزيدها يقظة وتحركها للعمل ، حتى أخذت تتيقظ من رقادها ، فبدأت تشارك الركب الافريقي الحر وبدأت ثورتها تدك صرح الاستعمار الفرنسي ، كما شاهدناها في هذه الايام لتبني على أنقاضه عهدا كله نماء وحرية وكرامة .

الثورة في اتحاد وسط افريقية

إن نار الحرية لا يمكن أن تنطفىء، وان كانت تخبو فى بعض الاحيان نتيجة لضغط المستعمر عليها . لكن الظلم الواقع على الشعوب المغلوبة على أمرها لابد وأن تكون نتيجته الثورات فى كل مكان .

لقد تغير الوضع فى افريقية ، بل فى العالم أجمع ، ولم يصبح للاستعمار تلك القوة الغاشمة التى كان يلجأ اليها لكبت شعور الاهالى من سكان مستعمراته .

لقد استيقظ المارد الافريقى مطالبا بحقه فى الحياة ومطالبا بحريته وها هى الثورات تشتعل كالنار فى كل مكان وكأن القارة أصبحت فوهة بركان يقذف بالحمم على المستعمرين والدخلاء

ففي الشمال فى الجزائر ثورة عارمة مطالبة بالاستقلال . وبخروج المستعمر الفرنسى الغاصب من البلاد .

وفى الغرب ثورة أخرى فى الكونغو الذى وصف بأنه أهدأ مكان فى افريقية وبأنه جنة المستعمر

وفى الشرق ثورات فى الصومال ، وفى الوسط ثورات فى نياسالاند وروديسيا الشمالية .

ثورات فى كل مكان فى القارة تطالب بالاستقلال ، وبخروج المستعمر وآخر تلك الثورات هى الثورة التى فى اتحاد وسط افريقية

ويتكون اتحاد وسط افريقية من ثلاثة أقاليم

١ ــ روديسيا الجنوبية : وهى مستعمرة بريطانية تتمتع بالحكم الذاتى منذ سنة ١٩٢٣ ، ويمثل الحكومة البريطانية فيها مندوب سامى . وعاصمتها سالسبورى ويبلغ عدد سكانها ٢٫١٤٦٫٣٢٤ نسمة ، وتعتبر روديسيا الجنوبية من أغنى بلاد القارة الافريقية بما فيها من المعادن وبخاصة الذهب .

كما تعتبر سالسبورى عاصمة اتحاد وسط أفريقيا .

٢ ــ روديسيا الشمالية : وهى موضوعة تحت الحماية البريطانية منذ سنة ١٩٢٤ ويبلغ عدد سكانها ١٫٩٤٦٫٩٣٠ نسمة ، وتعتبر روديسيا الشمالية أيضا من الاقطار الافريقية الغنية وخاصة بمعادنها . وعاصمتها لوساكا .

٣ ــ نياسالاند : ونياسالاند محمية «بريطانية» منذ سنة ١٨٩١ . ولذلك تعتبر من أقدم المناطق التى استعمرها الانجليز فى اتحاد وسط افريقية . وعاصمتها زومبا ويبلغ عدد سكانها ٢٫٣٤٩٫١٩٤ نسمة وبين ذلك العدد الضخم من السكان فى نياسالاند لايوجد أكثر من ٣٫٨٢٠ أوروبيا فقط . ونياسالاند أقل ثروة من روديسيا الجنوبية والشمالية ، ولعل ثروتها تقوم على الزراعة أكثر مما تقوم على المنتجات المعدنية فيها

وقد أطلق اسم اتحاد وسط افريقية الفدرالى على تلك المناطق الثلاث لوقوعها فى وسط أفريقيا . فيحدها من الجنوب اتحاد جنوب افريقية ، وهو يطمع فى أن يتمكن يوما من ضم تلك المناطق

اليه كى تمتد حدوده من الجنوب الى وسط القارة الافريقية جنوب الصحراء ويحد الاتحاد غربا أنجولا والكونغو ، وكلاهما مستعمرات بلجيكية وبرتغالية ويحده من الشرق موزمبيق البرتغالية ومن الشمال المستعمرات البريطانية .

وأول من استعمر تلك المناطق البرتغاليون ، حيث كانت هدفا لاستعمارهم يغيرون عليها ويسبون النساء والاطفال ويأسرون الرجال لبيعهم كالعبيد فى البرتغال ، وفى المستعمرات البرتغالية الاخرى . ثم زاحم الاستعمار الانجليزى زميله البرتغالى ، ومن ثم بدأ التحرش بين الجانبين ، فزودت البرتغال الاهالى بالسلاح للوقوف فى وجه البريطانيين الا أن انجلترا اعتبرت ذلك تخطيا لحدودها .

وأرسل وزير خارجيتها لورد سالسبورى الى حكومة البرتغال انذارا فى ١١ يناير سنة ١٨١٠ ، ومن ثم وجدت انجلترا الفرصة سانحة للتدخل بقواتها فى المنطقة بدعوى منع تجارة الرقيق . الا أن انجلترا كان ينقصها المال اللازم لتجريد حملة عسكرية فى ذلك الوقت . وقد أمدتها شركة سيسيل رودس بما لزمها من أموال ، وشركة سيسيل رودس كانت شركة انجليزية استعمارية خطيرة أنشأها سيسيل رودس للعمل فى جنوب أفريقية فى استخراج الذهب ، واتفقت انجلترا مع الشركة على أن تطلق يد الشركة فى اكتشاف كنوز الارض فى نظير تقديم المساعدات المادية لها الخاصة بالحملة العسكرية . وقد كانت الشركة تعلم مقدما بوجود الذهب فى المنطقة بكميات وفيرة .

وقد سميت تلك المناطق بروديسيا الجنوبية . وروديسيا الشمالية نسبة الى سيسيل رودس صاحب الفضل الاول على انجلترا فى احتلالها لتلك المناطق .

وأول منطقة احتلها المستعمر البريطانى فى اتحاد وسط افريقية كانت نياسالاند حيث زارتها بعثتان من المبشرين الانجليز فى سنة ١٨٧٥ ثم تلا ذلك انشاء شركة تجارية فى الظاهر استعمارية فى حقيقتها

بيد أنه قامت ثورتان وطنيتان فى تلك الاثناء ، وهما الثورتان المعروفتان باسم ماتابل وماشونا . وقد تمكن الاستعمار البريطانى من القضاء عليهما سنة ١٨٩٥ . ومن ثم بدأ يوطد أقدامه فى تلك المناطق ، وتمكن من ضمها نهائيا سنة ١٩١٤ الى وزارة المستعمرات البريطانية .

وتبلغ نسبة عدد السكان البيض للسكان الاصليين فى الاتحاد وسط افريقية ١ : ١٠٠ اذ بينما يربو عدد السكان الافريقيين على ٤ أربعة ملايين نسمة لا يزيد عدد الاوربيين عن ٣٥٠٠٠٠ نسمة فقط . ومع ذلك فما من تشريع يصدر فى تلك المناطق الا وهو لصالح المستعمر من البيض .

وغرض انجلترا واضح من اقامة مثل تلك الاتحادات الفدرالية ، وبخاصة اتحاد وسط افريقيا الفدرالى وهى محاولات قصدت بريطانيا منها الى الابقاء على نفوذها فى تلك المناطق .

وقد وعدت بريطانيا بأن تمنح الاتحاد استقلاله سنة ١٩٦٠ على أن ينضم للكومنولث البريطانى . ومع ذلك قامت الثورة فى نياسالاند سنة ١٩٥٩ مطالبة بالاستقلال التام والخروج عن أية تبعية تربطها ببريطانيا وعن أى اتحاد فدرالى مع غيرها من المناطق

ولعل ثورة نياسالاند هذه لم تكن وليدة الساعة ، وانما امتدت جذورها منذ وقت طويل . وتطورت مع مرور الوقت حتى قامت أخيرا معبرة عن سخطها الآن .

ويخضع نظام الحكم فى اتحاد وسط افريقية للائحة سنة ١٩٣٠ التى أقامت

مجلسا منتخبا من بين ذوى الدخول التى لاتقل عن ١٥٠ جنيها أومايعادلها من الممتلكات • وقد ترتب على ذلك اشراك عدد قليل جدا من السكان الاصليين فى الحكم ، ذلك أن معظم الشعب على جانب كبير من البؤس والفقر بحيث يصبح من العسير وجود عدد كاف من ذوى الدخول المشروطة فى القانون • وبذلك تصبح الاغلبية فى ذلك المجلس من غير السكان الاصليين للبلاد •

كذلك حرمت اللائحة على غير الاوربيين شراء أراضى فى غير الاماكن المخصصة لهم • وخصصت أكثر من نصف مساحة الاراضى الصالحةللزراعة وعن‌الطرق‌للاوربيين ، أما أكثرالاراضى التى يجوز للوطنيين تملكها فمعظمها لايصلح للزراعة هذا بالاضافة الى كونها مملوءة بالمستنقعات • وينتشر فيها الامراض بشكل وبائى وبخاصة مرض النوم •

وتحكم البلاد بوزارة من الاوربيين والافريقيين ، ولا تعتمد أية خطوة يتخذونها أو أى عمل يجرونه الابموافقة المندوب السامى البريطانى والوزير الاول ، وهو يعتبر الحاكم بأمره ، كذلك لا يعتمد أى قانون يصدر من البرلمان الا بموافقة المندوب السامى البريطانى • وهوالآن‌السيروالنيسكى ومقره روديسيا الجنوبية •

لمثل هذه الاسباب قامت الثورة فى نياسالاند مطالبة بالخروج من الاتحاد الفدرالى الذى فرض فرضا على الاهلين ، ولم يكن لهم رأى فيه •

ويتزعم‌الحركة الثورية فى‌نياسالاند حزب المؤتمر الوطنى الافريقى • وقد أنشىء هذا الحزب بعد الحرب‌العالمية الثانية ويرأسه الآن‌الدكتور بوندا

وقد ولد فى نياسالاند ، وعاش بها فترة من الوقت ، ثم رحل الى جنوب افريقية سيرا على الاقدام ، ومنها سافر الى الولايات المتحدة الامريكية حيث حصل على شهادات فى الطب ، ومنها سافر الى انجلترا حيث أكمل‌تعليمه ، وشاهد النظم‌الديمقراطية فى العام الخارجى • ويطالب هذا الحزب بالاستقلال ، وبالمساواة بين الرجل الابيض ، والرجل الافريقى ، باعتبار أنه صاحب البلاد الحقيقى

ونادى الحزب وعلى رأسه الدكتور بوندا بتلك المبادىء ، أى بالحرية والاستقلال ، والخروج من الاتحاد المفروض عليهم فرضا وبمساواةالرجل الابيض بالاسود • فقامت السلطات البريطانية بالقبض عليه ، وعلى زعماء حزبه ، وكل من نادى منهم بضرورة رفع الظلم عن الشعب •• عندئذ ثار الشعب ، وزادت الثورة اشتعالا ، وادعت انجلترا أنها انما تقبض عليهم لاتهامهم بمحاولة ابادة البيض من السكان ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فهى تقبض عليهم لمطالبتهم برفع‌الظلم عن الشعب الافريقى صاحب البلاد الاصلى • ولا شك أنه لم يكن أمام انجلترا ما تبرر به القبض على هؤلاء الزعماء الا بالصاق التهم لهم • ولذلك فقد ألصقت لهم تلك التهمة وهى محاولة القضاء على الجنس الابيض‌فى المنطقة •

ولم تقتصر حركة القبض على‌زعماء الاحزاب فى نياسالاند فقط ، بل لقد جرت عدة اعتقالات أخرى فى‌روديسيا الشمالية كجزاء وقع على المواطنين ، للقرار الذى اتخذه الشعب هناك فى مقاطعته للانتخابات‌العامة التى‌ستجرى قريبا •

ولم تستمرالمسألة حتى هذا الوقت مقصورة على نزاع داخلى فقط بين المستعمر البريطانى وبين أهالى البلاد •• فقد قررت حكومة اتحاد جنوب افريقية أن ترسل فرقتين لقمع الثورة اذا لم تهدأ الحالة سريعا داخل اتحاد وسط افريقية ، أو اذا لم تقم‌السلطات

باتخاذ اجراءات سريعة ، نحو اخماد الثورة وذلك خوفا من امتدادها الى داخل حدود اتحاد جنوب افريقية ٠ واما أن يتدخل اتحاد جنوب افريقية مباشرة بارسال فرقتين لاخماد الثورة واما بطريق غير مباشر وذلك بتعزيز القوات البوليسية على حدودها ٠ ويقصد بتلك الاحتياطيات عدم امتداد الثورة الى داخل أراضيها ، ولا يعزب عن البال أن اتحاد جنوب افريقية له أطماع فى أن يمتد نفوذه الى تلك المنطقة تحقيقا لحلمه القديم فى ضم تلك المحميات اليه ٠٠

وترغب انجلترا فى الوقت نفسه فى ابعاد شبح اتحاد جنوب افريقية عن تلك المناطق ٠ ومن ثم فلابد لها من أن تعمل جاهدة ، وبأسرع وقت على انهاء تلك الثورات القائمة ٠

كذلك يبدو أن جذوة الحركات التحررية قد سرت الى تلك المناطق عن طريق مؤتمرات باندونج والقاهرة وأكرا ٠٠

وقد وعدت انجلترا اتحاد وسط أفريقيا بالحصول على استقلاله سنة ١٩٦٠ ، باعتباره اتحادا فدراليا ، ومن ثم يدخل فى نطاق الكومنولث البريطانى ٠٠

لكن روديسيا الشمالية ونياسالاند كلتاهما غير راغبتين فى الانضمام الى ذلك الاتحاد الذى فرض عليهما فرضا ويبدو أن روديسيا الجنوبية ، وهى أغنى تلك المقاطعات ستكون مسيطرة على بقية المناطق ، باعتبار أنها الاسبق فى الحصول على الحكم الذاتى منذ سنة ١٩٢٣ ، وباعتبار أن سكانها على جانب من الثقافة والعلم ، أكثر من سكان بقية المناطق ، مما قد يترتب عليه بالضرورة سيطرة روديسيا الجنوبية على بقية الاقاليم ٠٠ فضلا عن أن مقر الحكومة المركزية فيها ٠ هذا بالاضافة الى أن قوانين التفرقة العنصرية مطبقة فى روديسيا الجنوبية ولذلك يخشى أهالى روديسيا الشمالية ونياسالاند أن تطبق عليهم القوانين العنصرية نفسها عند انضمامهم الى روديسيا الجنوبية فى وحدة كتلة واحدة ٠

وشعور الاهالى فى روديسيا الشمالية ونياسالاند يشبه شعور الاهالى فى نيجيريا الشمالية ٠ فعندما فكر فى منح اتحاد نيجيريا الاستقلال عمال الاهالى برياسة الزعماء المسلمين هناك على تأجيل هذا الاستقلال ولم يكن ذلك راجعا الى رغبتهم فى استعباد الانجليز لهم أو تفضيلهم للاحتلال على الاستقلال ، بل كانت نظريتهم فى ذلك أبعد من هذا كثيرا وأكرم ، اذ أن فى الاستقلال السريع للاتحاد ما يؤدى الى التهام النيجيرين الجنوبيين الاكثر تقدما لشمال نيجيريا الشماليين من المسلمين ٠ هذا الى اختلاف عادات وتقاليد القبائل فى كل منطقة من مناطق الاتحاد ٠٠

لهذه الاسباب السابقة كلها قامت الثورة فى نياسالاند وروديسيا الجنوبية ويبدو أنه كان من دواعى سرعة قيامها فى سنة ١٩٥٩ وجوب حل جميع المسائل المعلقة قبل سنة ١٩٦٠ أى قبل اعلان انجلترا لاستقلال الاتحاد الفدرالى لوسط افريقية ، وضمه لكتلة الكومنولث ، هذا الى أن ما أسفرت عنه مؤتمرات باندونج والقاهرة وأكرا كان سببا فى تنبيه أذهان الشعوب الافريقيين للمطالبة بالاستقلال ٠

ويبدو أن الثورات فى أفريقية لن تقف ، وانما ستزداد يوما بعد يوم حتى يضطر المستعمر الى أن يحمل عصاه ويرحل ، تاركا البلاد لاهلها الاصليين ، يستغلون خيراتها لانفسهم لا لخير الدخيل ، ولن يطول الزمن حتى تصبح أفريقية للافريقيين ، وقد استيقظ العملاق ، ولن يعود الى النوم أبدا ٠

م ٠ ز



الصومال الحبشى من أكبر المناطق الصومالية الخمسة وأغناها وأكثرها سكانا اذ يبلغ عددهم حوالى خمسة ملايين من الانفس وكلهم يدينون بالاسلام وقدضم الى الحبشة فيأواخر القرن التاسع عشر وعلى وجهالتحديد سنة ١٨٨٢ م .

هـرر

هى قاعدة الاقليم الصومالىالحبشى وعاصمته وهذا الاقليم يمتد من « وال وال » شرقا الى هواش وآدامه غربا ومن على صبيح شمالا الى نجيلة جنوبا وهو من أغنى البلاد الصومالية اقتصاديا بزراعته وغزارة مياهه وثروته المعدنية . وله عند الاحباش فى الوقت الحاضر المنزلة العليا من الناحية الاقتصادية وفيه أرض جبلية وعرة صعبة المسالك كثيرة الادغال . آهلة بمختلف أنواع الحيوان البرى ويحتوى على عدة قرى كبيرة عامرة بالسكان الفلاحين والرعويين مثل « عروسى » و « بالى » و « دناكل » و « عيسى » و «أجادين» و «وبربرة» وغيرها .

وأهم مدنهذا الاقليم نتريدوهالتى فيها محطة سكة الحديد الفرنسية الحبشية والتى تصل ما بين جيبوتى واديسابابا وهى مدينة كبيرة يبلغ تعداد سكانها الثمانين ألفا وفيها مصانع النسيج والاسمنت والمطاحن ومصنع لحفظ وتعبئة اللحوم وأغلب سكانها صوماليون وحوالى خمسة آلاف من التجار العرب اليمنيين ومن المدن الهامة هواش وآدمة وجلجكة ودكجور وورديرو وغيرها

الصومال والحبشة والوضع السياسى

كانت الحرب دائما تنشب بين الاحباش والصوماليين من قديم الزمانالى يومنا هذا بالرغم مناحتلال الحبشة لهذه البلاد .

ويقول الاحباش انبلادنا لميفتحها أحدسوىالصوماليين وذلكثلاثمرات مرة على يد الامام أحمد بن ابراهيم الغازىالصومالى والذى يلقبهالاحباش باسم جرانى أى الاشول وهو الذى أدخل الاسلام فى اريتريا والحبشة حتى وصل الى النوبة ، ولولا تدخل الانجليز والبرتغاليين لعم الاسلام هذه البلاد .

والمرة الثانية عندما غزاها الامير نور الصومالى بعد موت الامام أحمد واستطاع أن يهزم الانجليز والبرتغال فوق نهر هواش .

والمرة الثالثة والاخيرة عندما غزا «موسولينى» الحبشة فقد فتحها على يد الجنود الصوماليين بعد أن هزمت ايطاليا فى موقعة « عدوة » .

وقد اشتد خوف الاحباش بعد أن تأسس حزب الوحدة الذى ينادى باستقلال الصومال وتوحيد الاقسام الخمسة وقد كان لهذا الحزب قوة هائلة فى داخل الصومال الحبشى .

ثورة فى سنة ١٩٥٣

وحين قامت ثورة سنة ١٩٥٣ضد الاحباش فى مقاطعة الجرى وكان

السـبب فى قيام هذه الثـورة أن الاحباش سمعوا بعـد أن وضـعت صوماليا أى الصومال الايطالى تحت الوصاية ان هناك لجنة فرعية تابعـة للامم المتحدة ستحضرلتجرى استفتاء فى الاقسام الصـومالية وفيما اذا كانوايرغبون فىالوحدة أم لا، فأرسلت الحكومة الحبشيـة وفدا من رؤساء القبائل وبعض الحكام من الاحبـاش ليسألوا الناس من الرحل والمزارعين عن أصلهم وهل هم من الصـومال الاحباش أم من الصوماليين الاريتريين

ولم يشعر السكان من الصوماليين وخصوصا الفلاحين بشىءسوى تدفق عشرات الآلاف من الأحباش وفقرائهم وقدأخذ كل منهم مائة طلقة وبندقية وجمعأهله الذين ليسلهم محل اقامة وكان ذلك الوقت فى موسـم الزرع والحصاد فاحتلوا جميع القرى وطردوا أهلها العزل من كل سلاح وقتلوا من استطاعوا قتله وطردوا الباقين وقد طلب الصوماليون فى الامم المتحدةأن تدرس الحدود بينهم وبين الحبشةولكن الاحباش أصروا على أن هناك حدودا بينهم وبين الصوماليين بل أنهم قالوا انهم لايعترفون بوجود شىء اسمـه الصومال

الانجليز والصومال

ان انجلترا هى التى أذلت هـذه البلاد وقسمتها الى خمسة أقسامبعد صراع طويل مع الصوماليين فهى لا تنسى ماحل بها يوم أن أعلن السيد محمد بن عبد الله حسن الجعاد عليها الحرب فى أواخر القرن التاسع عشر حيث استمرت هذه الحرب ثمانيـة وعشرين عاما حتىابان الحرب العالمية الاولى .

وقد هزمت بريطانيا أشنع هزيمة أمام ذلك القائد الذى أفنى من جنود المستعمرات البريطانية مئات الآلاف ومن أبنائهـا عشرات الآلاف والذين تشهد عليهم الأرض الى يومنـا هذا والذين لا تزال جماجمهم وعظامهـم واظافرهمتعبث بها الرياح فى«قرحى»

ولكنهـا استطاعت أخـيرا تفتيت الصومال فأعطت قسما للحبشة وهو من أغنى البلاد الصومالية بالثـروة الزراعية والحيوانية وأعطت فرنسـا ميناء جيبوتى، وابخ، وتجرة ،وأعطت ايطاليا الصومال الايطالى السـابق واحتفظت هى بالصومال البريطانى والصومال الكينى الذى قـد تطـوع أكثررجالهفىحركة ماو ماو التحريريه الذائعة الصيت .

وان بريطانيا مقتنعة بأن الصومال بلاد غنية بالثروات المعدنية وخصوصا الحديد والذهب والبترول الذىيسيل له لعـاب بريطانيا وقـد حضرت الى الصومال الحبشى بعثة أمريكيـة هى شركة سنكلير وأثبتت أن كميات كبيرة من البتـرول ترقـد فى بطن الاراضى الصومالية وأن هذا البترول يفـوق البترول الموجود فى آبار العـراق وفى سنـة ١٩٤٨ طلب الامبراطور هيـلى سلاسى من الحكومـة الانجليزية التى كانت تحتـل منطقـة « أجادين » أن تأذن لهذه الشركة بالتنقيب فلم يمانع الانجليز فى ذلك فى بادىء الامر ولكن سرعان مانزلت الآلاتالامريكية الجبارة الى هناك حتى أخـذ الانجليز يعملون بسرعة على طرد الامريكيين من هناك فقد ذهبـوا الى فرع حزب وحدة الشباب الصومالى فىوردير وسألوهم لماذا تركتم هذهالشركة الامريكيةتنقب عن البترول بدون اذن منكم ألستم أصحاب هـذه البلاد فقـالوا انك أنت حاكم هذه البـلاد ونحن لم نحظ بأى حكم بعد وأنت المسئول فقال انى كنت أظن أنكم أذنتم لهؤلاء ولكن لقد فات الوقت والافضل أن تسألوهمالحساب من يعملون وهل أخذ الاذن من الادارة

العليا للحزب ولماذا ينقبون فى أرضكم . وذهبوا ليوحوا الى الامريكيين أيضا بنفس الطريقة وقالوا لهم ان هؤلاء الصوماليون دائما مشاغبون فاذا جاءوا يسألونكم فأخبروهم انكم تعملون باسم مالك وسيد هذه البلاد . فلما حضر الصوماليون وسألوا رد الامريكيون حرفا بحرف كما أملى لهم الحاكم الانجليزى فما كان من الصوماليين الا أن نسفوا طلمبات المياه وأحرقوا الآلات الدقيقة ، والسيارات وضربوا الامريكيين وطردوهم من البلاد وأخيرا عاد الامريكيون مع تسلم الأحباش لمنطقة اجادين ولكنهم لم يستطيعوا حفر الآبار واستخراج الزيت ويقال ان حزب وحدة الشباب الصومالى تقدم الى مجلس الأمن طالبا وقف أعمال هذه الشركة حتى يتم درس الحدود بين الحبشة والصومال وقال مندوب الحزب أن الصومال لن يكون مسئولا عن كل مايحدث لهذه الشركة من أعمال التدمير والتخريب .

الانجليز وولاية هرر

ان الانجليز حين سلموا هذه الولاية للاحباش لم يكونوا يتوقعون ان منيلك امبراطور الحبشة آنئذ سيضرب بمعاهدته معهم عرض الحائط بل كانوا يعتقدون انهم سيتسلمون هذه الولاية بمجرد طلبهم ولكن منليك عقد اتفاقا مع سلاطين الصومال وما بقى من بيت الامارة فى هرر وذلك على أن يدفعوا خراجا سنويا وان لايوالوا الانجليز والفرنسيين والايطاليين ثم جاء بعده « الياسوا » الذى أشهر اسلامه وأسس جيشا من الصوماليين وتقرب الى تركيا والمانيا فأثار هذا مخاوف الانجليز وعملوا دسائسهم لاسقاطه وسجنه وتولى الامبراطور الحالى الحكم ولكنه فوجىء على مايقال بمطالب الانجليز التى تطلب منه أن يتنازل عن مقاطعة هرر وأن يسلمها لهم فلما رفض هذا كسابقيه متذرعا بأنه ولد قرب هرر وانه لايستطيع تسليمها لهم أثاروا عليه الايطاليين وذلك بالاتفاق على تقسيم الحبشة بين ايطاليا وفرنسا وانجلترا وبعد أن استولت ايطاليا على الحبشة ورأت أن ولاية هرر من أغنى الاراضى الصومالية رفضت تسليم شبر من هذه البلاد بل انها طردت بريطانيا حتى من الصومال البريطانى ولما عادت بريطانيا وفتحت الحبشة اعتبرت منطقة هرر من حقها وماطلت فى تسليمها آملة أن تجد من تتعاون معه ولكنها باءت بالفشل وطردت من ولاية هرر وتسلمها الاحباش من جديد

بعثة من الصومال البريطانى

فى سنة ١٩٥٤ أرسلت بريطانيا بعثة من الصومال البريطانى الى الصومال الايطالى وكان هذا عقب وصول نائب وزير المستعمرات البريطانى . الذى حمل عروضا جديدة فيها مساومات وفيها أكثر من تهديد وقد ذهب وفد الصومال البريطانى طالبا من حزب وحدة الشباب الصومالى أن ينضم الصومال الايطالى والبريطانى بقسميه والصومال الفرنسى الى الكومنولث البريطانى وأن بريطانيا ستساعد الصوماليين على نيل الاستقلال فى أسرع وقت ممكن وأن بريطانيا ستطلب من الامم المتحدة انهاء الوصاية عن الصومال الايطالى وانها لن تضم الى الصومال ولاية هرر فحسب بل انها ستضم حتى الاحباش المسلمين من وللو وجراجى وللجا الى الصومال ولما وصل الوفد الى هناك وعرض هذه العروض السخية رفض رجال حزب وحدة الشباب الصومالى كل هذه العروض .

وتطالب بريطانيا بأحد أمرين : أما استمرار التقسيم وتمزيق الصومال وأما الكومونولث وقد ضربت أمثلة

مادية وملموسة بأنها تستطيع أن توحد الصومال كما استطاعت تمزيقه فالمنطقة الصومالية منطقة استراتيجية وحيوية من الناحية الحربية بالنسبة للجزيرة العربية وآبار البترول وهناك أراضي مسطحة تصلح لهبوط الطائرات بدون أن تتكلف أدنى مجهود أي أنها مطارات طبيعية وقد تحدث مرة أحد رؤساء حزب وحدة الشباب الصومالي الى أحد الحكام الانجليز وسأله بعد أن أخبره الانجليزي ان بلاد الصومال غنية بثرواتها المعدنية سأله لماذا لاتستخرجونها ؟ فقال اننا لانثق فى الصوماليين ان أقل اضطرابات تقومون بها سيكون نتيجتها تدمير رءوس أموال الشركات المستغلة فى بلادكم وقال اننا لم نستطع أن نتفاهم معكم خلال السبعين عاما التى حكمنا فيها بلادكم ولم تمنحونا أية فرصة للتفاهم معكم وقال اننا فى حيرة من أمركم ولن أستطيع أن أتكهن باليوم الذى نثق فيه ببعضنا حتى تتمكن بلادكم من التقدم والاخذ بالحضارة ... ؟

كما ان استراتيجية الصومال من الناحية البحرية هامة جدا ففيها مضيق «رأس جورداني» على المحيط الهندى والذى فيه فنار اهداء السفن وكذلك باب المندب امام عدن فى البحر الاحمر ولهذه الأسباب نجد ان الانجليز يحبون ادخال الصومال فى الكومنولث .

خوف الانجليز من مصر

هناك ظاهرة طبيعية تربط بين الشعب الصومالي والشعب المصرى منذ عهد الفراعنة فقد كان المصريون والصوماليون حلفاء أقوياء ويدينون بدين واحد وكانوا يحاربون الوثنيين من النوبيين وغيرهم وكانت التجارة فى ازدهار عظيم بين الشعبين فالساج واللبان والبخور والأخشاب النادرة كلها كانت تشحن الى مصر من الصومال وكذلك كانت الهدايا تحمل من ملك وملكة الصومال الى ملك وملكة مصر من الذهب والأبخرة النادرة وأسنان الفيل وجلود النمرة . وانا نستطيع أن نقيس حالة الصومال بحالة مصر منذ ذلك التاريخ الى يومنا هذا من الناحية الدينية أو الاجتماعية او السياسية .

وتعلق الصوماليون فى الاقسام الخمسة بمصر يتجلى فى سذاجة البدوى البريئة حين يسمع عن الحروب فى كوريا أو فى فلسطين فيقول أن هؤلاء الكفار يتقاتلون من أجل ابلى وأبقارى وأغنامى ولكن المصريين يمنعونهم عنى ويقول أن مصر هى حبيبتى من العالم أجمع كيف لا ؟..

والطفل الصومالى حين يذهب الى الكتاب ليحفظ القرآن يرى المصحف مكتوبا بخط جميل ومكتوب فيه طبع بمصر فيجل مصر ويعظمها مع كتاب الله فينشأ ويترعرع وهو يتمنى أن يرى مصريا ليرد له الجميل لحفظه هذا الكتاب المقدس ، ومنذ وضع الصومال الايطالى تحت وصاية الامم المتحدة ، أصبحت مصر مشرفة على اللجنة الاستشارية نجد أن الانجليز يبدون مخاوفهم وتخوفهم الشديد من مصر ولا يطمئنون الى وجودها فى الصومال بينما نرى انه لولا وجود مصر فى لجنة الوصاية الاستشارية لكان من الصعب جدا أن يقبل الصوماليون عودة الادارة الايطالية لتعليمهم حتى ينالوا الاستقلال فى سنة ١٩٦٠ .

والصوماليون يلقون تبعة فرض الوصاية عليهم على بريطانيا اذ انها طلبت من الصوماليين أن يختاروها حين زيارة الدول الاربع الكبرى فى سنة ١٩٤٨ وهم روسيا وامريكا وفرنسا وبريطانيا . ولكنهم فاجأوها بعد وصول الوفد بكشف جميع المؤامرات الانجليزية والحبشية

والايطالية والفرنسية فى الصومال وقالوا انهم لايثقون فى أية دولة من هذه الدول الاربع التى اقتسمت بلادنا وقالوا ان الانجليز هم سبب تقسيمنا وأن أطماعهم معروفة لنا وعزوا اليهم كل تأخر منيت به الامة الصومالية وقالوا عن ايطاليا انها لم تحمل الينا أى شيء جديد سوى التفرقة العنصرية التى كان الفاشست معروفين بها وقالوا عن فرنسا انها حملت الى الصومال الدعارة والمجون والفسق والشعب الصومالى شعب متدين وأما الحبشة فقد قالوا عنها انها معتدية علينا مما زاد فى حقد الانجليز على الصوماليين وكراهيتهم لهم .

الثقافة فى الصومال الحبشى

ان الصومال كلها مشهورة فى شرق أفريقية وتعتبر قلعة للدين الاسلامى فى تلك البقعة وذلك منذ فجر الاسلام الى يومنا هذا ومن أشهر المدن التى لايزال الصوماليون يدرسون فيها الفقه والتفسير والشرع الاسلامى مقدشو وبراوة وزيلع وبقية المدن والقرى وفى كل مسجد يوجد عالم أو اكثر يدرسون الدين الاسلامى وقد كانت بلدة هرر قبل ٧٠ عاما أى قبل احتلال الحبشة لها تعتبر فى مقدمة البلاد الصومالية وهى قد تأسست أيام أن فتح الحبشة الامام احمد بن ابراهيم وجعلها عاصمة له بدلا من زيلع ولكن الاحباش سرعان ماقضوا على العلم فيها ، وسرعان ما تغلغل العلماء الصوماليون الى الريف والبادية يسكنون القرى ويدرسون العلم فيها ويرحلون مع الرعاة ويحفظونهم القرآن ويعلمونهم أمور دينهم .

محاولة القضاء على الدين الاسلامى

وقبل غزو الايطاليين الحبشة أرادوا أن يبعثوا الى ولاية هرر المبشرين ولكن العلماء حذروهم من ذلك فخافوا العاقبة واستئناف الجهاد ضدهم واستدعوا من جاء من المبشرين . وبعد أن عادوا وانهزم الايطاليون قرروا القضاء على الدين الاسلامى . ولما ذهبت جهودهم ومشروعاتهم سدى ولم يستطيعوا أن يؤثروا على أحد من الصوماليين ، وحين أعجزهم الأمر قامت الاضطرابات التحريرية فى سنه ١٩٤٩ واشتداد نفوذ حزب وحدة الشباب الصومالى فانتهزوا الفرصة واستغلوها أسوأ استغلال ثم أغلقوا المدارس الاهلية وسجنوا المدرسين وطردوا المدرسين من اليمنيين العرب ولم يسمحوا بأن تفتح مدرسة واحدة لتدريس القرآن ولم يكتفوا بهذا بل لم يقبلوا أن يدخل الطلبة الصوماليون فى مدارسهم وقد أقاموا العقبات أمامهم وطلبوا من كل من يريد الالتحاق أن يرتد عن دينه وقد أخذوا ٣٠ طالبا صغيرا من أجل التجربة ممن لم يتجاوزوا التسع والعشر سنوات ولكنهم منوا بخيبة أمل شديدة حين تمرد هؤلاء الطلاب الصغار على الاستماع لدروس القسيس الدينية وحين طالب هؤلاء الصغار أن يطبخ أكلهم واحد من المسلمين طرد أغلبهم ولم يبق منهم غير سبعة فقط آل أمرهم الى الطرد .

المبشرون الاوروبيون واليهود

ان اعمال المبشرين من الاوروبيين ومن اليهود تدل على أنه قد عهد اليهم أن يكفروا الشعب الصومالى وخصوصا الفلاحين وقد تدفق هؤلاء الرعاع فاتحين المدارس المزخرفة فى القرى والمستشفيات وقد منحتهم الحكومة الى جانب الحماية كل المساعدات المادية والمعنوية بل ذهبت أكثر من ذلك ومنحتهم أخصب الاراضى واستوردت لهم ماكينات وآلات الرى والزراعة الحديثة ولهذا نجد ان المدارس المسموع بها هى هذه المدارس التبشيرية والمعروف عن

هؤلاء المبشرين خطف الاطفال الايتام وقد ثار بعض الفلاحين فى بادىءالامر ولكن الرصاص كان الجواب الوحيد وسجن كثير من الناس حينما أرادوا أن يقاوموا بل وأرغم بعضهم . أن يسلم أولاده الى المبشرين هذا فى ناحية عروسى . وأما فى ناحية قبيلة بوران فأنهم يأتون الى رب العائلة فيقتلونه ويسلمون عائلته الى المبشرين اليهود وقد أصبحت ناحية بوران محظورة على الصوماليين الرحل وهى أسوأ مناطق التبشير حاليا اذ أن المبشرين اليهود منبثون بها ويدعون بأسم (الويشتاور) وهى منظمة صهيونية كبيرة لها كتاب مترجم الى العربية واسمه (ليكن الله صادقا) وقد طلب هؤلاء المبشرون القبض على رجال الدين الصوماليين لسجنهم فى اديس ابابا ووضع الباقين تحت المراقبة لتسهل مهمتهم

وكذلك حضر الآن الى الصومال الحبشى مبشرون من القاديانية الذين يظهرون فى بادىء الامر انهم مسلمون ثم يحرفون القرآن ويفسرونه حسب أهوائهم ويقولون للناس انكم آمنتم بنبى عربى وأنتم من العجم فلماذا لاتؤمنون الآن بنبى أعجمى من الباكستان أعظم دولة اسلامية ولكنهم لم يلقوا أى نجاح يذكر ومن بين هؤلاء مبشرون ايطاليون وفرنسيون وأغلبية سويدية .. وأما التبشير بالدين الاسلامى فلا يحلم به العاقلون بالصومال الحبشى وكيف لا وهم يعتقلون العلماء ويقتلونهم علنا ويزجون بهم فى السجون . ونذكر على سبيل المثال أن شيخا من العلماء الورعين ذهب فى سنة ١٩٥٢ الى قرية قرب اديس أبابا أى فى داخل المناطق الحبشية واسمها درجه وسكن فيها وكان أهلها من المسيحيين فاستضافوه عندهم واشترى أرضا منهم وبعد مدة لاتتجاوز ستة أشهر كان أهل هذه القرية قد اعتنقوا الاسلام عن بكرة أبيهم لما رأوا فيه من التسامح والمحبة والاخلاص والنظافة التى لمسوها من هذا الشيخ وشيئا فشيئا بدأت القرى المجاورة تتأثر وتعتنق الدين الاسلامى وأخيرا حضر أحد الحكام الاحباش الى هذه القرية فطار صوابه لما رأى فيها من الخروج عن دين الآباء والاجداد وعاد الى اديس ابابا واجتمع البرلمان فورا فى جلسة عاجلة مقررا بأمر امبراطورى أن يجلد هذا الشيخ مائة جلدة وأن يشنق فى نفس البلدة الصغيرة كل من يعارض من أهلها بدون شفقة أو رحمة وأن يطرد ويشرد كل من لم يذهب الى الكنيسة ويعد الى دينه وأن تهدم المساجد وتحرق المصاحف وفعلا حدث كل هذا بدون أية مبالغة وهذا شىء يعرفه الجميع .

الاقتصاد الصومالى الحبشى

الزراعة فى الصومال الحبشى لاتزال على حالتها الطبيعية منذ أبعد الازمان تتبع فيها الطرق القديمة التى لاتروى غليلا فالفلاح فى الصومال الحبشى يجهل تماما الآلات الزراعية الحديثة ويقتصر فى عمله على المحراث القديم والنير والفأس ومنجل الحصاد وغير ذلك من الادوات والاراضى الزراعية قليلة بالنسبة الى اتساع مساحة البلاد ولذلك فان الحالة الاقتصادية فيها على وفرة مواردها الطبيعية وغنى تربتها لاتبعث على الارتياح وهذا يرجع الى ماترسف فيه من قيود الحكم الاقطاعى واغلاله الذى من أخص معايبه التحكم فى رقاب الناس وغل أيديهم وتسخيرهم لقضاء أغراض الحكام واشباع شهواتهم وصرف قواهم كلها لتعزيز سلطانهم وهو مايشغلهم عن استثمار الارض واستخراج كنوزها لخير البلاد ويسرها . ان الفلاح فى

الصومال الحبشى والحالة هذه يقتصر فى زراعته على مالا غنى له عنه سدا لحاجته لانه يخشى اذا ماتوسع فيهـا أن تصادر ويحرم ثمرةتعبه وخصوصا فى هذه الايام التى جن فيها الاحباش من خوف انفصال الصومال عنهم ؟! ولا شـك أن حكام الاقاليـم والذين يأتمرون بأمرهم فى القـرى من الرؤسـاء وموظفى الحكومـة فى الصـومال الحبشى لايتقاضـون من الحكومة المركزية مرتبات تكفل لهم معيشتهم بصورة منتظمة الا اذا أتوا بدخل كبير جدا من الضرائب فى كل شهر ولا يهم الحكومة أية وسيلةيأتى منها هذا الدخل وهم لذلك يسخرون الفلاح لخدمتهم وتوفير أسباب الرزق لهم وعلى الفـلاح وحده يقـع عبء الضرائب المفروضة على البلاد علاوة على ان السخرة التى هى من ملازمات الحكم الاقطاعى يكاد ضررها ينحصر فيـه والفـلاحون الصوماليون ذوو عصبية قومية معروفة ولا يقل عدد سكانهم عن سبعة ملايين نسمة وهم زراعون ويعنون بتربيـة المواشى فى حين أن نساءهم يعملون فى صنـاعة الغزل والايدى العاملة عندهممتوفرة كثيرا ولكن روح الابتكار عندهممفقودة تمـاما كما هى الحـال فى داخـل الحبشة نفسها وهذا مايجعل الانتفاع بالايدى العاملة المنظمة تنظيمامشتركا فى حكم العدم . وهو مايحول دون تحقيق مشروعات زراعية واسعـة النطاق فى البلاد ..

الملكية الزراعية

ومما يزيد فى حـرج الموقف أن مسألة الملكية الزراعية من المسـائل المعقدة التى لم توفق البلادحتى الآن الى حلها حلا يتفقمع مصلحة الاهلين وهى على أنواع تختلف باختـلاف معدن الارض ولهـا أثرها فى طـرق الاستغلال وانواع الزراعة ومن أنواعها الملكية المشتركة وهى شائعةخصوصا عنـد الدناكيل والعيسى والجارسـو والجرى وغيرهم من بعض القبـائل الصوماليـة التى تسـكن فى المناطق الصحراوية .

والامبراطور بوصفه سلطان البلاد وسيدها يعد المالك الاصـلى للارض أسوة بسلطان تركيـا قبل الحـرب العالمية الاولىوبهذا كان حق الصومالى فى ملكية الارض حقا نسبيا غيرمطلق فهـو من الوجهة العمليـة فى حكـم المستأجر أو المستعمر لهـا ولو انه يعد فى عرف القانون مالكا لها لدفعه الضرائب المقررة ، والحكومة بدورها تعد المالكة الحقيقية لجميع الاراضى غير المملوكة ولها بقاع واسعة بعيدة الاطراف تؤجـرها لحـكام الاقاليـم بصفقـات كبـيرة وهـؤلاء الحـكام لايستأجرون احـدا لزراعتهـا بل يسـخرون القرى لزراعـة أرضـهم المستأجرة من الحكومة وبهذايكسبون كسبا فاحشا

الكنيسة الحبشية

وللكنيسة الحبشية أملاك واسعة أيضا تقدر بنحوثلث الاراضىالزراعية وقد كانت هذه الاراضى قبل احتلال الحبشة لولاية هرر الصوماليـة من الاوقاف الاسلامية على المساجدوطلبة العلم فصـادرها الاحبـاش لصالح الكنيسـة وهى تستغلهـا على أيدى المستأجرين أو الشركاءعلى أن تتقاضى عشر الغلة منها كما كانت الحال قبل أخذهم اياها،والصومال يملك الارض بطريق الارث أو بطريق الشراءويؤدى المال عنها نقدا أو عينـا أما الاجانب فتملك الارض محظور عليهم ولكن فى امكانهم أن يحرزوها بصورة امتيازات تعطى لهم بمقتضى اتفاقات خاصـة كثيرا ماتكون مثارا للاشكال لاضطراب عباراتها وغموض نصوصهـا وهناك امتيازات لشركات انجليزية وفرنسية ويهودية بأراضى جبل شرشر بأقليـم عروسى تبلغ مساحتها أربعـة الاف

هكتار لكل شركة وقد خصصتها الشركات لتربية الثيران لتبيعها في الآونة الحاضرة لاسرائيل وقد نهب الصوماليون الرحل سنة ١٩٥١ ١٨٠٠ رأس من هذه المواشي عند ذهابها الى جبوتي وذلك علاوة على ما لهذه الشركات من الاراضي المخصصة لتربية دودة الحرير في جوار هرر ...

الحاصلات

ان أرض الصومال الحبشي من أخصب الاراضي وتعطي محصولين في السنة أحدهم في شهر مايو والآخر في شهر نوفمبر حتى ان الكرمة نفسها تأتي بمحصولين في العام وهناك بقاع واسعة من الاراضي الزراعية تزرع فيها الحبوب وتنمو الاشجار المثمرة على أنواعها لان هناك مناطق مختلفة تعيش فيها نباتات المناطق الحارة والمعتدلة والباردة غير ان البلاد ومحصولاتها لاتزال محدودة للاعتبارات التي أوردناها فيما تقدم ولا تعد موردا هاما من موارد الثروة والرخاء وتكاد هذه المحصولات تنحصر في الدخن والذرة والشعير والارز والقصب والحمص والفول السوداني والفول والقمح وهي تستهلك في البلاد نفسها اما الحاصلات التي تصدر الى الخارج فأهمها القمح والبن والقطن والزيتون والتبغ والمواشي وجلود الحيوانات والخشب الثمين والجلود المدبوغة والعسل والعاج والسمن وسن الفيل والصمغ والشمع وتبر الذهب والملح والمسك وريش النعام والاعشاب الطبية واللبان والمطاط والكاوتشوك ...

الغابات

أما الغابات في البلاد فهي حافلة بها تشغل مساحات كبيرة منها وفيها الحيوانات بمختلف أنواعها من الفيلة والاسود والغزلان والنمرة والقرود ولكنها لم تستغل بعد استغلالا علميا يعود على البلاد بفائدة تتفق مع أهميتها وتكثر على الخصوص في إتو وكفا واجوادين وسواهما من المناطق الشمالية والجنوبية .

الثروة الحيوانية

تعتبر الثروة الحيوانية من أهم موارد الصومال الحبشي ولا يقل عددها عن الـ ١٠٠ مليون منها الجمال والبقر والغنم والماعز والخيل والبغال والحمير وهناك النحل الذي يملأ الغابات بعسله وشمعه وهو من أهم الصادرات الى الخارج ولو استثمر على الطرق الحديثة لأتي بأضعاف مضاعفة من الأرباح .

المراعي

والمراعي قاطبة في الصومال تشغل مساحات شاسعة تزيد على مساحة الاراضي الزراعية فتقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ـ المراعي الصحراوية والكلاء فيها قاس في المناطق الجافة وأخضر ورطب على مجاري المياه كالاودية وغيرها .

٢ ـ المناطق الواقعة بجوار الشواطيء البحرية والكلأ فيها متوفر وأكثر جودة .

٣ ـ المراعي الشاسعة الواقعة في أعالي الجبال والغابات وسفوحها وهي أفضل المراعي

التجارة

أما التجارة في الصومال الحبشي فعلى شيء من الرواج وهذا يعود الى خصب أراضيها ووفرة المواد الخام التي في وسعها أن تصدرها الى الخارج ومع أن ثروتها الزراعية محدودة بالنسبة الى اتساع الاراضي الصالحة للزراعة فانها تصدر الى أوربا مقدارا عظيما من الحبوب والحاصلات الاخرى كالجلود المدبوغة وغير المدبوغة والحيوانات والاخشاب الثمينة والملح والعاج والمسك وريش

النعام والاعشاب الطبية الى غير ذلك مما هو مذكور فيما تقدم

ومن أهم صادراتها البن والجلود والشمع والعاج والمسك وربما أصبح القطن فى الايام المقبلة من هذه الصادرات وللبن الهررى شهرة كبيرة والمناطق الشمالية حافلة بحقول البن ولكن معظمه يستهلك فى البلاد ولا يصدر منه سوى جانب قليل ولو انه أصبح رائجا فى هذه الايام وكذلك الكاوتشوك فهو كثير فى الغابات فى كفا ونجيله وأجادين ويعد من أجود أنواع الكاوتشوك وتستغله احدى الشركات الاوربية وهكذا الفحم الحجرى وهو أنواع متعددة وزيت النفط وان كان موجودا بكميات كبيرة الا انه لم يستغل بعد للاسباب التى أوضحناها سابقا وما اكتشف منه يقع فى واحة أوسا وصبا وأوجادين . والتجارة من حيث هى يستغلها الاوربيون والامريكان والعرب الحضارمة واليمنيون والأرمن والهنود وقليل من أهل البلاد الاصليين . والبلاط الامبراطورى يعتمد على التجار الاوربيين فى ابتياع حاجياته من الاثاث والملابس والادوات المنزلية وغير ذلك مما يفتقر اليه من الحاجيات العصرية وهذا مايحمل أغلبية هؤلاء التجار على الاقامة فى أديس ابابا وخصوصا أن الامن فى الاقاليم يكاد يكون مفقودا فلا يأمنون على أرواحهم وأولادهم ان هم أقاموا فيها . وهب أنهم أمنوا على أرواحهم وأموالهم فمتاجرهم تظل مستهدفة للخطر لأن هناك من الحكام من يتقاضون منهم الزكاة أو العشر لانفسهم فضلا عن الضرائب فان أبوا دفعها فانهم يسمحون للعساكر أن ينهبوا الامول والمتاجر ومن الاعمال الجهنمية التى تقوم بها الحكومة ضد التجار العرب انها تفرض ضرائب فادحة على جميع الواردات التى يستوردونها وتكاد تبلغ النصف أو الثلثين فيضطر التاجر أن يراوغ ولا يفصح عن رأس ماله الصحيح لانه لو فعل ذلك لايستطيع أن يتاجر ويكسب بل انه معرض للافلاس . فاذا كان رأس ماله عشرة الاف يدعى أنه ألفان أو ثلاثة وتأخذ الحكومة ضريبة على هذا المقدار ثم يتركونه يوقع على أوراق رسمية بأن رأس ماله لايزيد عن ذلك وبعد مدة معينة يطلبون منه مغادرة البلاد فاذا أحب أن يصفى حسابه أو غير ذلك يعطى له الألفان أو الثلاثة ويخرج صاغرا من البلاد .

المواصلات

لقد حسن الايطاليون طرق المواصلات بعد احتلالهم الحبشة والصومال الحبشى وهناك طريق يخترق بلاد الصومال كلها الى مقدشو وبراوه والاولى هى العاصمة وهما ميناءان على الشاطىء الاقيانوسى الهندى وطريق ثان وهو يمتد من جبوتى حتى أديس ابابا مارا بدريداره وهرر ويحاذيه خط سكة الحديد الفرنسى التى توصل هذا الميناء الهام بالصومال الحبشى وبهذه السكة تشحن أكثر البضائع المصدرة من الحبشة ومن الصومال الحبشى ومنها أيضا الواردات التى كانت قوافل العرب تنقلها فيما مضى الى سواحل البحر الاحمر .

ولهذه السكة تاريخ طويل ملخصه ان عقبات عظيمة اعترضت انشاءها فان الخط يجتاز صحراء قاحلة تليها جبال شامخة وقد استغرق مده فيها خمسة سنوات اذ أن الصوماليين قاوموا الفرنسيين بشدة الى أن تفاهموا مع بعض القبائل أو الرؤساء بوسائلهم الدنيئة المعروفة فى سنة

١٩٠٣ وافتتح القسم الاول منه الممتد بين جبوتي وديرداوة وطوله ثلاثمائة وتسعة كيلو مترات . ثم حالت صعوبات جديدة دون استئناف العمل فيه وطال أمرها الى أن كانت سنة ١٩٠٦ فعقد بين انجلترا وفرنسا وايطاليا اتفاق يقضى بمد الخط من دريداوة الى اديس ابابا بعد أن يتفرع عليه خط من هرر على أن يعامل رعايا الدول الثلاث من الانجليز والفرنسيين والايطاليين على قدم المساواة وأن يكون امتياز لتجارهم سواء فيما يتعلق بنقل البضائع على هذا الخط أو بالرسوم المفروضة عليها فى ميناء جبوتى .. ثم قامت عقبات أخرى انتهت بتصفية الشركة القائمة بالعمل وفى شهر مارس سنة ١٩٠٩ أعطت الحكومة الحبشية امتيازا جديدا لشركة فرنسية أخرى للحلول محل الشركة القديمة وفى شهر مايو ١٩١٥ أتمت الشركة عملها بايصال الخط الى منتهاه فى اديس ابابا وشرع فى استثماره وقد بلغ طول هذه السكة من جبوتى الى اديس ابابا ٧٨٦ كيلو مترا وكان من انشاء هذه السكة الخطيرة الشأن ان جبوتى بعد ان كانت مستودعا صغيرا للفحم ومحطة بحرية قليلة الاهمية للاسطول الفرنسى فى الاقيانوس الهندى وباب المندب أصبحت قاعدة بحرية عظيمة الشأن فى الصومال الفرنسى وحلت محل مدينة أبخ العاصمة القديمة وبفضل هذه السكة ازداد عدد سكانها حتى وصل الى نحو ٨٠ الفا وبلغ من أهميتها التجارية انها باتت تشغل المركز الرابع بين المستعمرات الفرنسية وهى التى سلمتها فرنسا لاسرائيل لتنقذها من حصارها الاقتصادى الذى ضربته عليها مصر من ناحية البحر الاحمر. وبعد أن منيت فرنسا بالفشل الذريع (أعنى العدوان الثلاثى على مصر) واغلاق قناة السويس أفلست وأصبحت ميزانيتها وخزينتها خاوية ولهذا السبب لم تستطع تمويل جبوتى

المعادن

فى الصومال الحبشى كثير من المعادن ولكنها لم تستثمر استثمارا فنيا وقد كان أحد ملوك الحبشة وهو الامبراطور منليك الثانى عهد فى سنة ١٩١٠ الى أحد المهندسين الفرنسيين فى البحث عن مناجم للذاهب فأسفر بحثه عن اكتشاف أكثر من منجم من مناجم الذهب والنحاس والحديد والبوتاس وغيرها .

وفى منطقة هواش يوجد منجم من الكبريت يشغل مساحة واسعة من الارض .

وفى جهة بل بليتى وبولجا وددربين هواش ودريداوه توجد ينابيع كبريتية حارة لاتقل درجة حرارتها عن ٦٠ ٪ ومناطق الجنوب مشهورة بثرواتها المعدنية وأخصها هرر وشرشر وأوجادين واوسا وجودجار حيث تكثر الصخور البركانية والمناجم . وقد كتب علماء طبقات الارض عن هذه المنطقة فقالوا انها بركانية تحتوى صخورا ترجع الى ثلاث ثورات بركانية متعاقبة ، وقد استثمرت احدى الشركات الامريكية منجما فى هرر استخرجت منه حجر الامعا يعرف باسم (الميكا) وتلتها شركة انجليزية ولكنها اكتشفت اكتشافات كثيرة ولم تستثمر شيئا منها الى يومنا هذا *

الاسلام في تمبكتو ودينية

الدكتور عبد الحميد طلب

تاريخ الاسلام فى افريقية تاريخ طويل شامل ، حافل بأنواع البطولة والاقدام وقد استقر الاسلام فى افريقية مدة تزيد على اثنى عشر قرنا من الزمان ، وشمل معظم أنحاء هذه القارة ، بل يقدر علماء التاريخ المساحة التى شملها الاسلام فى افريقية بما يقرب من ثلثى هذه القارة ، ولم يقف انتشار الاسلام عند قبيلة بعينها أو جنس من أجناسها ، بل دخل الافريقيون الى الاسلام على اختلاف أجناسهم وقبائلهم .

ولا نستطيع بالضبط أن نحدد كل الظروف والمناسبات التى أدت الى انتشار الاسلام فى افريقية ، كما لا نستطيع أن نلم بكل هذا فى مقال واحد مثل هذا المقال ، ولذلك فسأقصر الحديث فى هذا المقال على الاسلام فى مركزين هامين من مراكزه فى السودان الغربى « الفرنسى » وأعنى بهما **((تمبكتو)) و ((جنى)) أو ((دينية))**

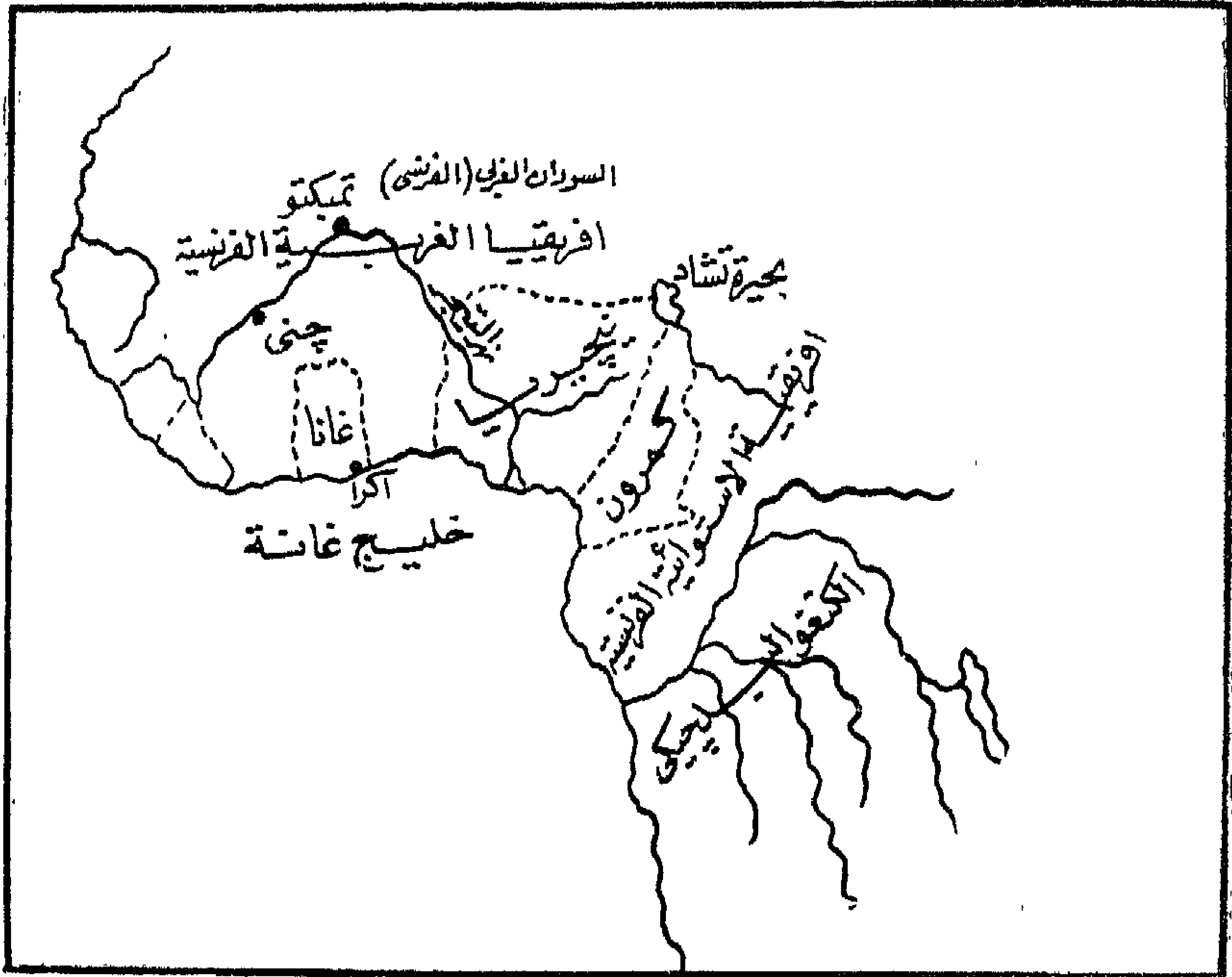
ففى القرن الحادى عشر الميلادى قامت على نهر النيجر الاعلى مراكز هامة للاسلام ونشره ، وكانت تلك المراكز هى القواعد التى أشعت الاسلام ووسعت رقعته فى افريقية الاستوائية والغربية ، وكان من أهم هذه المراكز مركزان عظيمان هما **((جنى)) أو ((دينية)) و ((تمبكتو))** وقد قدر لهذين المركزين أن يؤثرا تأثيرا بالغا فى تقدم الاسلام وشيوعه فى افريقية .

ويبدو أن مركز هاتين المدينتين التجارى والعمرانى قد هيأ لهما أن يقوما بدورهما فى تأدية رسالتهما الاسلامية بعد ذلك ، فقد كانت مدينة « جنى » التى تأسست سنة ٤٣٥ هـ (١٠٤٣ ــ ١٠٤٤ م) مركزا تجاريا هاما تلتقى فيه القوافل التجارية العابرة من قلب القارة الافريقية الى المحيط ، وبالعكس ، فيتبادل الناس فيها تجاراتهم ، ويعقد فيها سوق عامة للمنافع والمكاسب ، وقد تهيأ لها بسبب عبور التجار المسلمين أو الذين أسلموا على يد العرب فى السودان قبل ذلك ، فخالطوا المسافرين والتجار وأهل البلاد ، وبذروا البذرة الاولى للاسلام فى تلك البلاد الوثنية .

ورأى التجار وسكان البلاد من سماحة الاسلام ، وسلامة مبادئه وقوانينه ونظمه ما حببهم فيه ، وجذبهم اليه ، فاعتنقوه ، واتخذوه عقيدة لهم بدل عقيدتهم القديمة .

وبلغ من قوة انتشاره وذيوع صيته أن أقدم ملك هذه المدينة ، وكان يدعى « كنبرو » فى نهاية القرن السادس الهجرى (١٢٠٠ م) على اعتناق الاسلام ، مما شجع سكان دولته وأهل هذه المنطقة على السير على منواله وانتهاج نهجه .

وقد جمع هذا الملك حوله مئات من العلماء ، وقربهم اليه ، وطلب رضاءهم ودعواتهم ، بل بلغ من تغلغل الاسلام فى قلبه ، وتمكنه من نفسه أن



سار على سيرة المسلمين الاوائل فى الزهد والتقشف ، واهتدى بهديهم، فجرد نفسه من مظاهر الملك والعظمة، ومن أبهة السلطان وجبروته ، فهدم قصره العظيم ،الذى كان آية فى الروعة والجمال ،وأقام مكانه مسجدا عظيما لعبادة الله وتوحيده ، واقامة شعائر الاسلام فيه .

أما المركز الثانى «تمبكتو» فكانت شهرتها التجارية لا تقل عن شهرة « دينيه » ، ولكنها تزيد عليها من حيث انتشار الاسلام ،واقامة حدوده وارساء قواعده ، فقد كانت مركزا اسلاميا منذ نشأتها وقيامها ، وليس أدل على ذلك من قول مؤلف «تاريخ السودان » حينما بدأ يتكلم عن هذه المدينة « تمبكتو » : **« ما دنسها عبادة الاوثان ، ولا سجد على اديمها قط لغير الرحمن »** .

وقد أصبحت هذه المدينة بعد ذلك مركزا عظيما من المراكز الاسلامية التى يشع منها النور الاسلامى ، ويتلقى فيها الطلاب والمسلمون تعاليم دينهم ، ويقرءون القرآن على يد شيوخها وعلمائها ، ويدرسون العلوم الاسلامية على اختلاف أنواعها من فقه وحديث وتفسير ونحو وصرف، بل نبغ فيها كثير من أئمة المذهب المالكى وعلمائه ، وقصدتها الوفود الاسلامية فى جموع كثيرة من بقاع متعددة .

ومما حبب الى هؤلاء الوافدين الهجرة اليها ، واتخاذها كعبة لهم يحجون اليها ، وينهلون منها العلم والمعرفة عن الاسلام وحقائقه، ماكانوا يلقونه عند أهلها من كرم زائد وتشجيع يفوق الوصف على طلب العلم وتلقيه، ومن رعاية لهم فى مقامهم الجديد بين اخوان جمع الدين الجديد بين قلوبهم وربطت تعاليم الاسلام بينهم فى عبادة موحدة ويقين صادق .

وكما كانت « تمبكتو » مركزا هاما من مراكز الاسلام فى افريقية فقد كانت كذلك ملجأ لكل مسلم تضيق به

بلاده فى غرب افريقية ووسطها ، فقد التجأ اليها المسلمون من أتباع الطريقة القادرية (أتباع عبد القادر الجيلانى) التى تأسست فى القرن الثانى عشر حينما طردوا من « ولاتة » أول مراكزهم فى غرب افريقية ، حيث أقاموا فى « تمبكتو » مكرمين معززين يباشرون دعوتهم الى طريقتهم التى كانت تعتبر من أوسع الدعوات الاسلامية انتشارا فى هذه القارة ، وكان لها ولتمبكتو فضل كبير فى نشر الدعوة الاسلامية فى الصحراء الكبرى وفى السودان الغربى ، وظهر نتيجة لهذا علماء مثقفون وأساتذة وفقهاء انتشروا فى أنحاء السودان الغربى من السنغال الى مصب نهر « النيجر » ، وأسسوا لهم مراكز اسلامية هامة فى « كنكا » و « تمبو » فى جبال « فوتا جالون » و « مسردو » فى بلاد « المندنجو » وغيرها .

ولم يكن السكان الاصليون من الزنوج فى هذين المركزين وما جاورهما من البلاد بأقل حماسة للاسلام من العرب والتجار القادمين الذين حملوا معهم الدين الجديد أو الذين كانوا سببا فى انتشاره فى هذه الربوع ، بل ان الزنوج كانوا فى غاية الحماسة والاقبال على هذا الدين ، وتفهم تعاليمه وكان اقبالهم على تعلم القرآن ومعرفة معانيه يفوق الوصف لا سيما فى القرن الرابع عشر الميلادى حيث بلغت الدعوة الاسلامية أشدها فى هذه الديار ، وآتت ثمارها بين السكان على اختلاف أجناسهم وقبائلهم ، حتى ان المساجد فى هذه الحقبة — وقد بلغت عددا كبيرا — كانت تضيق بالمصلين ، وكان الانسان اذا لم يبكر الى المسجد ليتخذ له مكانا بين المصلين ، لا يستطيع أن يؤدى هذه الفريضة نتيجة للزحام وكثرة المصلين ، كما يذكر ذلك الرحالة المشهور « ابن بطوطة » الذى زار هذه الديار فى القرن الرابع عشر الميلادى .

ولم يكن الدخول الى الاسلام فى هذه المراكز الاسلامية وما جاورها من البلدان واقعا تحت تأثير جبرى أو استعمال للقوة ، بل كان الدافع اليه حسن معاملة المسلمين لمن حولهم وعدل ملوك المسلمين لرعاياهم عندما أصبح الملك فى هذه البلاد للمسلمين وقادتهم ، على خلاف ما حدث فى شمال افريقية وبين قبائل البربر بالذات حيث دخل عدد كثير منهم الى الاسلام تحت تأثير الحكم والغزو مما لم يجعل فى نفوسهم الحماس القوى للاسلام وتعاليمه ، بل كانوا يرتدون عن الاسلام كلما سنحت لهم الفرصة ، ويثورون على الحكام من وقت الى آخر ، ولم يتفهموا حقيقة الاسلام أو يقبلوا عليه بروح الاقتناع واليقين الا بعد فترة طويلة من الفتح العربى ،

وبعد أن انتشر بينهم علماء المسلمين ومن تفقه منهم فى الدين يعرفونهم بحقيقة الاسلام وروحه القويمة .

ولهذا لم يكن غريبا أن رأينا تأثيرا كبيرا لهذين المركزين السابقين ، أعنى « تمبكتو » و « جنى » فيما جاورهما من البلاد والممالك حيث دخل الاسلام الى « غانة » على يد قبائل « المندنجو » وهم من أحسن القبائل والاجناس الافريقية رقيا وذكاء ومدنية ، وأنشطهم فى الدعوة الى الاسلام ، حتى كان لهم الفضل فى نشر الدعوة الاسلامية فى البلاد المجاورة لهم ، لاسيما بين قبائل « الحوصة » الذين نشروا الاسلام فى كل مكان ذهبوا اليه أو أقاموا فيه .

المراجع :

١ — تاريخ السودان للسعدى

٢ — رحلة ابن بطوطة

٣ — الدعوة الى الاسلام : سير توماس . و . أرنولد

٤ — رحلة التونسى الى دارفور وكردفان .

٥ — من لهجات السودان لكاتب المقال .

من وثائق الحرية

مقدمة :

في منتصف سبتمبر الماضي اجتمعت — في موانزا بتنجانيقا — وفود الاحزاب الوطنية الحرة في بلدان شرق ووسط أفريقية ليعلنوا حق بلادهم في الحرية وليؤكدوا أن هذا الحق انما يقرره أبناء أفريقية ولايهبه الآخرون لهم . واتخذ هذا الاجتماع اسم « حركة التحرر الافريقي لشرق ووسط أفريقية » P. Africa ممثلين لحوالي ٢٥ مليون نسمة هم سكان تنجانيقا وزنجبار وروديسيا ونياسالاند وكينيا وأوغنده ممن حضرت وفودهم المؤتمر . وكان مقررا أن يحضر ممثلو الصومال ولكن الاستعمار الايطالي الفرنسي جعلهم يتخلفون عنه .

وقد بدأت فكرة هذا المؤتمر تظهر عمليا على بساط المناقشة ، منذ تقابل الزعماء الوطنيين في أكرا في ابريل السابق أمثال زعماء حزب الاتحاد الافريقي الوطني بتنجانيقا والحزب الوطني بزنجبار وأحزاب المؤتمر الوطني الافريقي في روديسيا ونياسالاند وأوغندا وحزب المؤتمر الشعبي في كينيا ، وذلك أثناء انعقاد مؤتمر الدول الافريقية المستقلة بأكرا

وقد جاء هذا المؤتمر P. Africa فرصة لزعماء هذه المنطقة ليوحدوا فيها جهودهم ضد المشروعات الاستعمارية التي تريد أن تجمع بلادهم تحت لوائها ليظلوا في جحيم العبودية الى الابد .

كان المؤتمر فرصة للوقوف صفا واحدا ضد حركة توحيد شرق أفريقية Est Africangation بضم زنجبار وكينيا وأوغنده وتنجانيقا في اتحاد واحد تحت حكم المتوطنين settelers البيض في المنطقة مثل ما نجحوا شكليا في خلق اتحاد وسط أفريقية من الروديسيات ونياسالاند لنفس الغرض

كما كان فرصة لمعارضة السياسة العنصرية الآخذة برقاب الافريقيين في الروديسيات التي يريد الاستعمار ان يجعلها صورة أخرى من جنوب أفريقية .

كما كان — من جهة ثالثة — فرصة لتوكيد وحدة هذه المنطقة التاريخية على نحو ما كانت موحدة قبل أن يفتتحها الاستعمار ويقسمها المستعمرون من الالمان ، والايطاليين ، والانجليز ، والفرنسيين .

اجتمع ممثلو القوى الوطنية في هذه المنطقة ليعلنوا وحدتهم وتضامنهم ودعم جبهتهم لمقاومة الاستعمار ، وأعلنوا في ختام هذا المؤتمر وثيقة من وثائق الحرية في أفريقيا ، على أسس واعية ، على نحو ما نرى خلال هذه السطور ..

ميثاق الحرية

لشعوب شرق ووسط أفريقية

« الحرية حق من حقوقنا الطبيعية ، وحكمنا لأنفسنا هو ميراثنا كأبناء وبنات لأحرار الرجال والنساء الذين توارثوا أفريقيا للافريقيين ، وعلى ذلك فانه من الثابت ، بل من المؤكد ، أننا

نسترد حقنا ألا وهو الحرية ، وحكمنا لانفسنا من أجل ابنائنا وأبناء أبنائنا ، وذلك ما يجب أن نقوم به فورا . وان كل لحظه تنقضى فى ظل الاستعمار تستنفد فى طريقها جزءا من حريتنا ، وأجزاء من تراثنا النبيل كأفريقيين ، لهم الحق فى أن يكون مصيرهم بايديهم ، وأن كل ساعة تمر تعنى فترة أطول فى ظل العبودية والاستغلال ومهانة الاستعمار وسيادة الرجل الابيض والاجانب الضائعين .

من أجل ذلك ، فاننا نحن الموقعين أدناه باسم الشعب الافريقى فى شرق ووسط أفريقيا نضع أنفسنا رهن العمل الكبير الذى يتطلبه استرداد الحرية مكرسين كل جهودنا من أجل حرية أفريقية وتطهيرها ، مجندين أنفسنا أفرادا وجماعات لهذا الغرض حتى ينسحب الاستعمار خارجا من بلادنا ، والى ذلك الحين فاننا نعلن :

أولا — ان الديموقراطية لابد أن تسود أفريقية من السنغال الى زنجبار ومن الكاب الى القاهرة .

ثانيا — ان الاستعمار بجميع أشكاله ، سواء أكان الوصاية أم المشاركة !! أم التفرقة العنصرية ، أم حكم العناصر المشتركة أم الاستيطان الابيض ، كلها أعداء للحرية ، ولا يعالجها الا القومية الافريقية دون تسويف أو تأجيل .

ثالثا — ان حق تقرير المصير هبة من الله ولم يختر الله انسانا معينا أو أمة بعينها ليقرر أهلها للآخرين مصيرهم .

رابعا — ان الفقر والجهل والمرض وغيرها من الآفات الانسانية لا يمكن أن تعالج فى ظل الاستعمار ، وانما يعالجها حكم الشعوب لنفسها والتعاون الدولى على أسس من المساواة والمصالح المشتركة

خامسا — اننا شعوب شرق ووسط أفريقية المؤمنين بالمبادىء السابقة ، نضع حياتنا وثرواتنا وكل جهودنا من أجل تحقيق الاهداف الآتية :

١ — قيام حركة التحرر الافريقى فى كل بلد من بلدان شرق ووسط أفريقية بتشكيل حكومة من الافريقيين والى الافريقيين وللافريقيين على أساس الوحدة الافريقية .

٢ — ستكافح هذه الحركة ضد العنصرية البيضاء والخيانة السوداء

٣ — ستحاول هذه الحركة أن تتحرر من العبودية عن طريق القانون وأن تربط نفسها بالاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وميثاق الامم المتحدة

٤ — تطالب الحركة من الناحية الاقتصادية بالتصنيع الكامل للبلاد واتباع الوسائل التعاونية ، وتوجيه وسائل الانتاج الجماعى للشعب فى ظل نظم الحكم الديمقراطى

٥ — تطالب الحركة بالاعتراف بحقوق الاتحادات التجارية كاملة فى كل بلاد أفريقية .

٦ — تعمل الحركة من أجل المساواة والعدالة الكاملة فى كل الشئون الاجتماعية والتعليمية والسياسية والاقتصادية

٧ — تعمل الحركة من أجل قيام ديمقراطية برلمانية صحيحة فى كل بلدان أفريقية .

٨ — ستحمل الحركة راية الكفاح الوطنى ضد الفقر والجهل والمرض والاستغلال الاستعمارى ، ليعيش الافريقيون حياة تقدمية كريمة وسط مجموعة البلاد الديمقراطية الحرة .

***

وقد اتخذ المؤتمر قرارا خاصا بالتمييز العنصرى والدينى فى البلاد الافريقية نص على مايأتى :

« حيث ان حقوق الانسان لا تقوم على الظواهر العنصرية أو الثقافية الرجال والنساء وانما تقوم على أساس العدالة والمساواة

وحيث انه لا يوجد فى العالم شعب متجانس تجانسا مطلقا فى الجنس أو الثقافة

وحيث انه وجد فى كل الدول الديمقراطية الاصيلة أن اسلم الطرق لتأمين حقوق أى جماعة من الجماعات

هو حماية حقوق أفرادها وحرية كل المواطنين بغض النظر عن جنسه أو لونه أو دينه أو أصله .

فان المؤتمر يعلن :

أولا ــ تمسكه بتعاليم الديمقراطية وتطبيقاتها

ثانيا ــ لن يكون هناك فى ظل الديمقراطية التى نريدها لبلادنا تمييز

أو ضحايا لاى صورة من صور التفرقة

التى تقوم على أساس من الجنس أو اللون أو الدين

ثالثا ــ أن كل الاجانب المقيمين فى

أفريقية ممن يقبلون حكم الاغلبية أو

يكونون مواطنين محايدين ، أو مواطنين

بالمولد ، ويقبلون الديمقراطية البرلمانية الحقيقية ، ومبادىء العدالة الاجتماعية ، والمساواة ، سيتمتعون بحقوق المواطن كاملة وحمايتها

رابعا ــ لحماية البلاد الضعيفة اقتصاديا ودفع التقدم الاجتماعى قدما فان التنظيم الحكومى الديمقراطى سيحميها ضد المنافسات الاقتصادية

غير المتكافئة وضد المؤامرات السياسية التى تعرقل الحريات المدنية للشعب

خامسا ــ تأمين وحماية حقوق المواطنين والحريات الانسانية بما يلى :

١ ــ التمسك بأحكام القانون

٢ ــ المحافظة على الاستقلال المطلق للقضاء

٣ ــ ممارسة حق التصويت أو التقدم لاى وظيفة أو ممارسة

أى حق من حقوق المواطنين مكفول لاى شخص وطنى أو من أصل أجنبى يتمتع بحقوق المواطنين

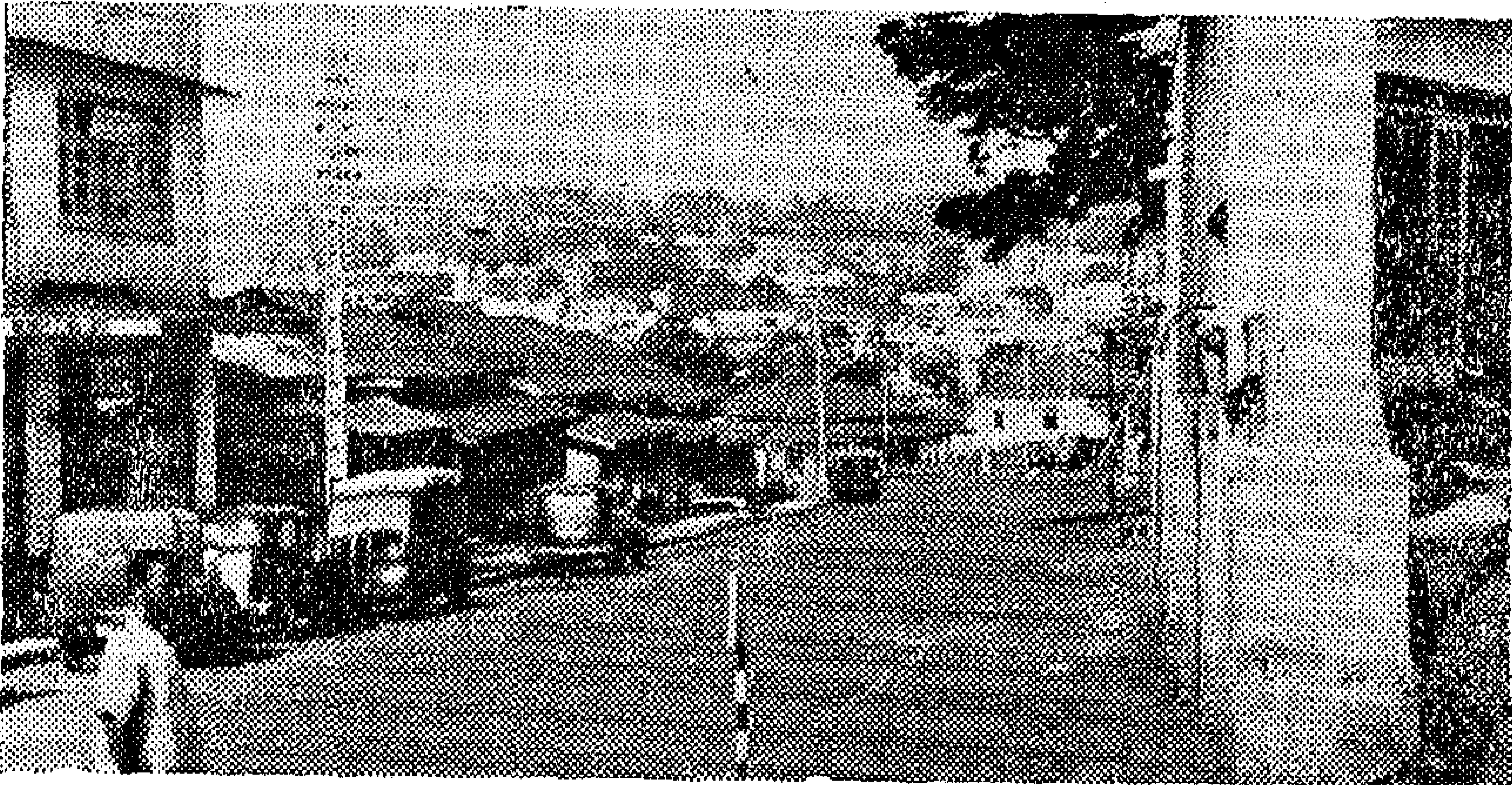
٤ ــ الاعتبار الدائم للاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وميثاق الامم المتحدة



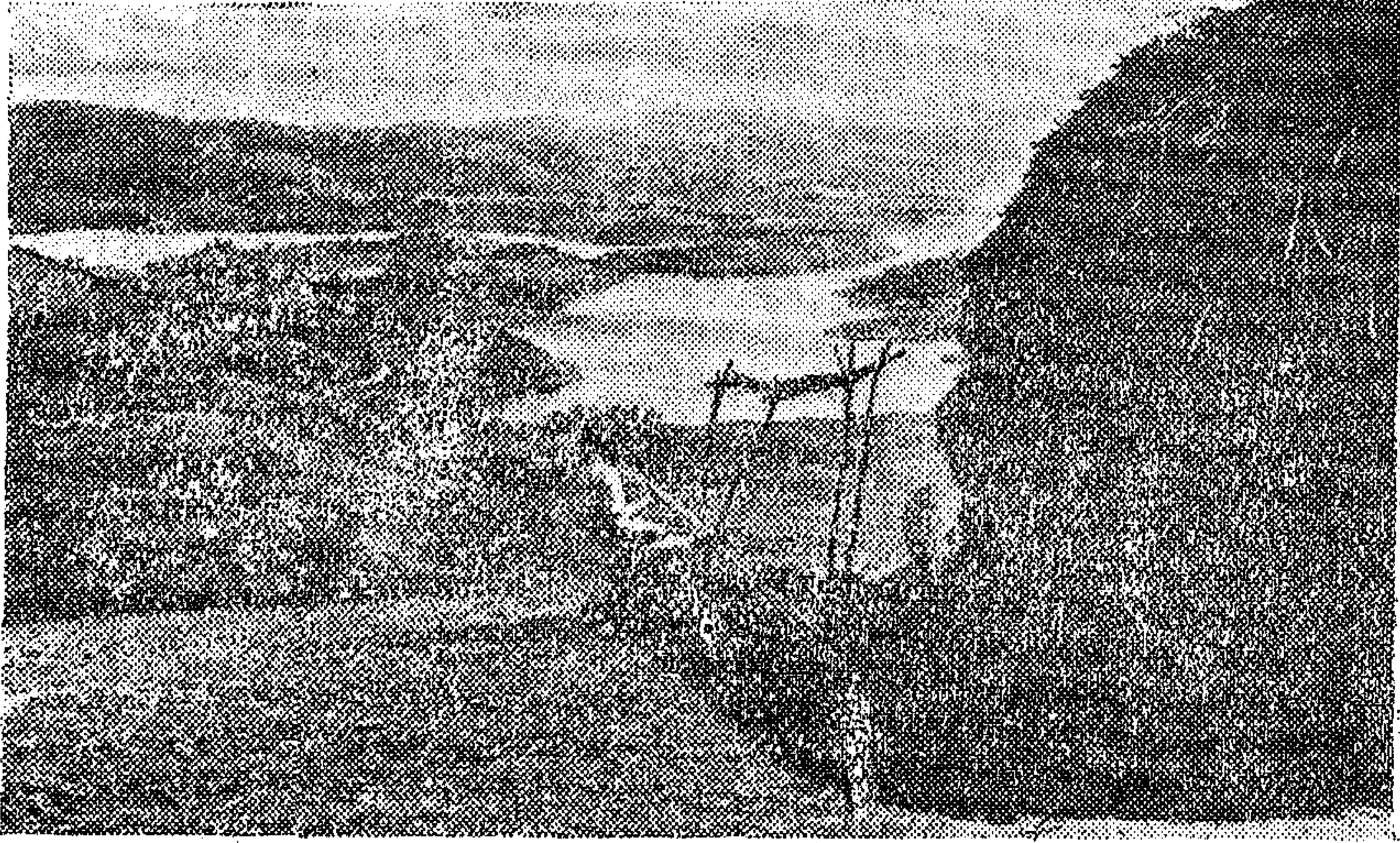
أوغندة في صور



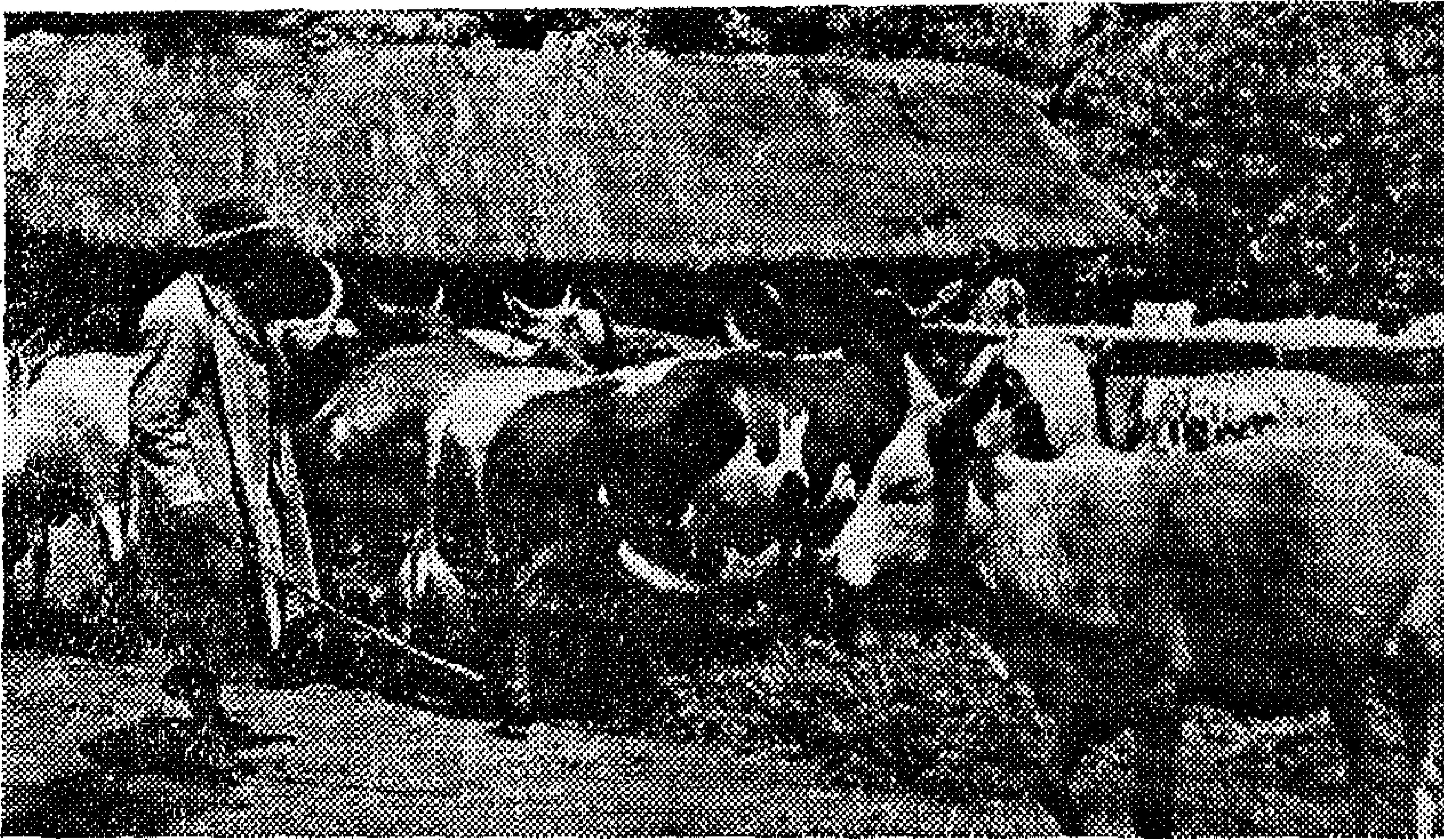
حقول القطن



شارع رئيسى فى أوغنده



منظر فى الريف بأوغنده



الثروة الحيوانية

لمحات من تاريخ "هرر"

بقلم الدكتور شوقى عطا الله الجمل

هرر أصلها سلطنة اسلامية مستقلة أسسها جماعة من العرب كانوا قد هاجروا من الجزيرة العربية فى القرن السابع الميلادى — وقد عظم شأنها وكانت بها سلطنة قوية عرفت باسم (مملكة عدال) واتخذت زيلع عاصمة لها

وقام بين سلطنة هرر وبين الحبشة نضال طويل زاد البرتغاليون من أواره ، وأدى ذلك النضال فى النهاية الى انكماش حدود سلطنة هرر حتى أصبح نفوذ سلاطينها لا يتعدى جدران مدينة هرر نفسها .

وقد زار الرحالة (برتون) هرر فى عام ١٨٥٥ — وهو رحالة انجليزى كان ضابطا فى الهند ، وقد صحب الرحالة سبيك فيما بعد فى اكتشافاته لمنابع النيل الاستوائية ، وقضى برتون بهرر عشرة أيام وقد وصف فى كتابه الذى كتبه عن رحلته هذه مشاهداته فى هذه البلاد .

First Footsteps in East Africa, or an Exploration of Harar.

فتحدث باسهاب عن الطريق من زيلع لهرر ، والقبائل التى تسكن هذه الجهات وأرجعها فى الاصل الى قبيلتين كبيرتين هما (السومال) و (الجالا) تحدث عن مميزاتهما الجنسية العامة وعن عاداتهما وطباعهما والاعمال التى يزاولونها والفروع التى ينقسم اليها كل منهما ومميزات كل وتوزيعها الجغرافى — ثم تحدث عن الحياة فى المدينة نفسها .

ومن الذين زاروا هرر أيضا الرحالة النمساوى (فيليب بولتشكه) Paulitschke وقد زارها فى حماية ورعاية الادارة المصرية التى كانت قد امتدت لهذه الجهات ، فوصف حالتها قبل الحكم المصرى لها ، وما أدخله المصريون بها من ضروب الاصلاح .

كما أن من أحسن ما كتب عن هرر التقرير المقدم من هيئة أركان حرب الجيش المصرى التى قامت بضمها — فقد شمل كل ما يتعلق بالمدينة وسكانها .

ودخلت هرر تحت الادارة المصرية فى ١١ من أكتوبر سنة ١٨٧٥ ، وعين (محمد رءوف باشا) حكمدارا على هرر وملحقاتها باسم (حكمدار عموم الجالا والسومال وهرر) .

وجعلت كل من بربرة وزيلع محافظة تابعة لهرر — وقد فصلت زيلع وبربرة بعد ذلك عن الحكمدارية وجعلتا تحت ادارة رجل آخر من رجال الجيش المصرى هو **(رضوان باشا)** ، وعين **(محمد بن عبد الشكور)** أمير هرر السابق محافظا لها على أن تكون هذه مجرد وظيفة اسمية ، لكن الادارة الفعلية جعلت من اختصاص وكيل المحافظة **(عبد الوهاب وهبى بك)**

وظل **رءوف باشا** يسوس أمور

هرر حتى فصله (**غوردون باشا**) بعد أن أصبح حكمدارا عاما للسودان وأحيلت زيلع ، وبربرة ، وهرر ، وتاجورة لادارته ، وعين مكانه رضوان باشا مديرا عاما لهرر والسواحل دون أن يبدى غوردون أسبابا قوية تبرر فصل الرجل الذى تم على يديه فتح هرر وتنظيم أمورها ، والذى سبق أن امتدحه هو لما أبداه من ضروب الشهامة أثناء خدمته فى مديرية خط الاستواء ،

وذكر فى خطاب رسمى مدى تعلق الاهالى والجنود به لما يتصف به من حسن الشمائل ، وتحمله من المشاق فى سبيل راحة الاهالى والجنود .

وقد اضطربت أمور هرر بعد فصل رؤوف باشا — كما اضطربت الحالة فى بربرة بعد أن تركها رضوان باشا — مما دعا لتفكير الحكومة المصرية فى اعادة رءوف باشا لكنه رفض العودة لتعذر التعاون بينه وبين غوردون .

وقد طلب غوردون أن يعين احد الامريكان من الضباط الذين فى خدمة الحكومة المصرية لادارة هذه الجهات لكن الحكومة المصرية ردت عليه بأنهم جميعا قد فصلوا من الخدمة ما عدا الجنرال ستون — وهذا يفضح اتجاهات غوردون ونواياه — وانتهى

الامر بتعيين (محمد نادى باشا) مديرا لعموم (هرر وزيلع وبربرة وتاجورة) ثم ضمت هذه الجهات فى ديسمبر ١٨٨١ لعهدة (على رضا باشا) الذى كان محافظا لسواحل البحر الاحمر من من السويس الى راس حافرن .

وقد كان الحكم المصرى لهذه الجهات حكما مستنيرا قويا قائما على أساس معرفة حالة السكان وحاجاتهم المختلفة وتدارك هذه الحاجات ، فقد أرسلت الحكومة المصرية لرؤوف باشا بمجرد دخوله هرر خطابا تستفسر فيه عن حالة البلاد وسكانها من جميع النواحى لمعالجة أوجه النقص ، وقد رد رؤوف باشا على هذا بتقرير واف عن هذه الجهات .

وأرسلت الحكومة المصرية مهندسين من رجال الجهادية لرسم خرائط لهرر وتعيين أماكن المبانى الهامة اللازمة بها ، كما أصدرت فرمانا للاهالى تعهدت فيه بنشر التعليم والعمل على استتباب الامن والاهتمام بالمرافق العامة والنهوض بالزراعة والتجارة والصناعة .

وقد وفت الحكومة بوعدها ففتحت عدة مدارس صغيرة لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وعلوم الدين على المذهب الشافعى ، وتفقه بعض السكان فى علوم الشريعة وأدى ذلك القضاء على الشوائب المخالفة للدين الصحيح فأصبحت أحكام الشريعة الاسلامية الغراء هى النافذة .

كما اهتم رءوف باشا بترغيب السكان فى الزراعة وخاصة زراعة البن التى كانت تجود فى هذه الجهات ، لكن أمراء هرر كانوا يحرمون زراعته على السكان ، وأرسلت من مصر بذور الحنطة والخضروات والفاكهة والقطن والذرة لتجربتها ، وحث الاهالى على زراعتها .

واهتم رءوف باشا بتأمين الدروب والضرب على أيدى قطاع الطرق ، فاستتب الامن بعد أن كانت القوافل تعانى الكثير فى الطريق ، حتى أن التجار قبل الادارة المصرية كانوا يضطرون الى أن يبذلوا بسخاء لرجال القبائل التى يمرون بها فى كل مرحلة من مراحل الطريق ليأمنوا على أنفسهم وتجارتهم — مما أدى الى تدهور التجارة فأقفرت أسواق هرر من البضائع واضمحلت تجارتها .

وقد عمد رءوف باشا لاقامة المحطات فى الاقاليم والجهات الهامة التى تطرقها القوافل ، فعملت محطة

فى (جلديسه) و (دارفى) وكان يقيم فى كل منهما ٥٠٠ عسكرى .

ونظم النقدالمتداول فىهرر ، وحدد قيمته ، ونبه على رؤوف باشا بعدم تحصيل أى جمارك أو عوائد خلاف ما اعتاد الاهالى دفعه .

وقد رفضت الحكومة المصريةالاخذ برأى رءوف باشا فيما يتعلق باحتكار التجارة فى بعض البضائع المعتاد تصديرها لبلاد العرب أو فيمايختص باستخدام الحكومة لطريقة المبادلة فى التجارة مع الاهالى بدلا من طريقة النقد .

ولم تقتصر عناية الحكومة المصرية على تأمين الطرق بين زيلع وهرر ، وبينها وبين بربرة ، بل عنيت أيضا بتوفير وسائل المواصلات المنتظمة التى تربط هرر بالجهات الاخرى ، فأصبحت هرر متصلة بالجهات المجاورة بطرق برية آمنة وبالعالم الخارجى بطرق ملاحية منتظمة وأصبح البريد يرد اليها ومنها بانتظام تام ...

وقد شجع رءوف باشابعض شبان الصومال على مرافقة رجال الجيش من الصناع ليتعلموا منهم صناعة البرادة والحدادة وغيرها من الصناعات .. وازدهر فى هرر نوع من الاقمشة المتينة — وليكون قدوة لغيره من الموظفين والاهالى — استخدم رؤوف باشا نفسه هذه الاقمشة المحلية ، كما حرم على الجنود شراء أى شىء من غير أسواق هرر نفسها حتى تزدهر الحالة الاقتصادية بها .

وقد أشار (دورو بك) عضو الجمعية الجغرافية المصرية فى تقريره عن هرر بعد زيارته لها الى نشاط الحالة الاقتصادية بها .

وقد كان أهالى هرر يحصلون على المياه الضرورية من الغدران البعيدة عن المدينة فحفر رءوف باشا قناة لجلب المياه لداخل المدينة ليوفر على الاهالى الجهد ، ويدرأ عنهم ما كانوا يتعرضون له من مخاطر .

وقد أتاح التدهور الاقتصادى والسياسى الذى انتاب مصر منذأواخر عهد اسماعيل فرصة ذهبية للاطماع الاستعمارية فضغطت انجلترا على مصر لتخلى أملاكها فى هذه الجهات .

وتحت ضغط انجلترا اضطر مجلس النظار أن يصدر فى أبريل سنة ١٨٨٤ أمرا باخلاء هرر وتولية أقرب وارث لسلطانها المتوفى واعطائه السلطة العليا وتسليم المدينة له — وكلف (رضوان باشا) بالسفر لعدن لمقابلة قنصل انجلترا بها والاتفاق معه على اجراءات الاخلاء هذه .

ولما علم أهالى هرر والتجار الاجانب بها — بخبر عزم الحكومة المصرية على اخلائها وقع الخبر عليهم وقوع الصاعقة ، وقد قدموا (لرضوان باشا) احتجاجات مكتوبة على عزم الحكومة المصرية على اخلاء هذه الجهات وحملوا الحكومة نتيجة ما قد يقع لهم ولاموالهم من أخطار .

وهكذا أجبرت الحكومة المصرية على اخلاء هرر كما أجبرت على اخلاء زيلع وبربرة ، دون أدنى مسوغ يبرر هذا العمل الذى ضحى فيه بمصلحة السكان الوطنين ومصلحة التجار المستوطنين فقد طغت أطماع الاستعمار البريطانى ورغبتهم فى اضعاف مصر على أصوات الاستنكار لفكرة الاخلاء تلك الفكرة التى استهجنها الاجانب قبل المواطنين .

على أن الاحباش لم يلبثوا أن غزوا هرر سنة ١٨٨٧ وضموها لاملاكهم ولا تزال الى اليوم ضمن أملاك الحبشة .



للاستاذ ممدوح زكى

للاستعمار الغربى مأساة محزنة فى كل اقليم من أقاليم القارة الافريقية ، تقوم على الاستغلال وامتصاص الثروات والاستبداد بالاهلين ، والتنكيل بالاحرار الذين يجرؤون على المطالبة بالاستقلال أو بالحقوق الانسانية لمواطنيهم .

وللاستعمار الفرنسى صفحة سوداء بغيضة بجزيرة مدغشقر . وبالرغم من بطشه وجبروته ، فان الاحرار فى الجزيرة لم يتوقفوا عن المطالبة بالاستقلال ولا عن المطالبة بحقوقهم المسلوبة . ولا شك فى أن الدول المناهضة للاستعمار سوف تسدى عملا جليلا ، لو أمكنها أن تشد أزر هؤلاء الاحرار على نضالهم ، وتمد اليهم العون الذى يمكنهم من مواصلة كفاحهم المرير ضد الغاصب .

وقد ظلت جزيرة مدغشقر مجهولة للاوروبيين حتى سنة ١٥٠٠ ميلادية حينما اكتشفها البرتغاليون فى طريقهم البحرى الى الشرق الاقصى . ثم قدم اليها بعد ذلك الفرنسيون والهولنديون الا أن المحاولات التى بذلت من جانبهم للاستقرار بالجزيرة كان نصيبها الفشل

وفى سنة ١٧٠٠ أى بعد قرنين من الزمان تمكن الفرنسيون من اقامة بضع نقط عسكرية على سواحل الجزيرة ، غير أنها لم تتمكن فعلا من القبض على ناصية الحكم فى البلاد الا فى أواخر القرن التاسع عشر ، حيث قامت بعدة حملات عسكرية ضد أهالى البلاد ، وأعلنت حمايتها على الجزيرة سنة ١٨٨٣ وقد اعترفت انجلترا بهذه الحماية نظير اعتراف فرنسا بالحماية البريطانية على جزيرتى زنزبار وبمبا .

وفى سنة ١٨٩٦ اتخذت فرنسا خطوة أخرى ، حيث اعتبرت الجزيرة جزءا من المستعمرات التابعة لها .

ولما هزمت فرنسا فى يونيو سنة ١٩٤٠ فى الحرب العالمية الثانية أصبحت الجزيرة تحت حكم حكومة فيشى الموالية للالمان . واستمرت الحال على ذلك الى مايو سنة ١٩٤٢ ، اذ استطاعت القوات البريطانية النزول الغواصات الالمانية واليابانية من استعمال القاعدة البحرية هناك . ومن ثم تولت أمر الجزيرة حكومة عسكرية الى أن عينت حكومة فرنسا الوطنية فى لندن حاكما عسكريا للجزيرة فى يناير سنة ١٩٤٣ .

ولم يقبل أهالى مدغشقر الاستعمار الدخيل بالرضا والاستسلام ، بل استمر كفاحهم تارة بصورة علنية أو فى صورة حركات مقاومة سرية ، وقد استمر الصراع الدموى قائما حتى سنة ١٩١٢ حيث تكونت فى تلك السنة جمعية سرية ، واصلت كفاحها الى أن سحقتها القوات الفرنسية ، وشردت زعماءها .

وفى سنة ١٩٤٧ اندلعت فى الجزيرة نار ثورة دامية بلغ ضحاياها ما يقرب من ٨٠ ألفا من الاهالى المكافحين ، وقد نجحت فرنسا فى اخفاء أخبارها عن الاوساط العالمية .

وتحت ضغط هذه الحركات التحريرية

أصدرت الحكومة الفرنسية قانونا ينص على تشكيل :

١ ـ مجلس اقليمى مكون من ٤٠ عضوا .

٢ ـ مجلس نيابى مكون من ٥٤ عضوا .

٣ ـ مجلس استشارى للحكومة يتألف من وزراء عددهم ثمانية

٤ ـ تمثل الجزيرة فى مجالس فرنسا النيابية أسوة بغيرها من المستعمرات

الا أن هذا القانون لم يحقق المطالب الرئيسية لسكان الجزيرة ، وأهمها اعلان الاستقلال التام للجزيرة

موقع الجزيرة وطبيعتها :

تقع جزيرة مدغشقر فى المحيط الهندى جنوب شرق أفريقيا ، وتفصلها قناة موزمبيق عن ساحل القارة بمسافة ٣٦٠ كيلومترا . وهى تعد خامس جزء فى العالم من حيث اتساع مساحتها البالغة ٥٩٠ ألف كيلو متر مربع تقريبا .

ونظرا لوقوعها بأكملها داخل المنطقة الاستوائية فان الامطار فيها مستديمة طوال العام ، وتكثر الغابات بها على ساحلها الشرقى . وفى هضبتها الوسطى حيث يعتدل الجو تنمو بين الجبال الشجيرات والنباتات العشبية

وبالرغم من قرب الجزيرة الى القارة الافريقية ، فانه مما يستلفت النظر اختلاف حيوانات الجزيرة ونباتاتها عن مثيلاتها فى القارة مما يوحى الى الظن بأن الجزيرة ربما كانت متصلة فى وقت من الاوقات بأرخبيل الملايو

وتع مدينة تاناناريف عاصمة الجزيرة فى قلب الهضبة الوسطى ، ويبلغ عدد سكانها ١٩٠ الف نسمة ولجزيرة مدغشقر أربع مدن هامة هى تاماتارى ، وهى أهمها ، وتقع على الساحل الشرقى ، وماجونجا وهى على الساحل الشمالى الغربى . ودياجو سوريز ، وهى على الساحل الشمالى . ثم توليار ، وهى على الساحل الجنوبى الغربى .

طرق المواصلات :

ووسائل المواصلات بالجزيرة تعانى قصورا شديدا يعوق ازدهار التجارة بها . والطرق البرية الممهدة الصالحة للسيارات قليلة . وبعض نهيرات الجزيرة صالح للملاحة الى مسافة قريبة من الشاطىء . ومجموع خطوط السكك الحديدية بها يبلغ حوالى ٩٦٠ الفا من الكيلومترات ، أهمها الخط الحديدى الممتد بين تاماتارى ، وهى الميناء الرئيسية ، وبين تاناناريف العاصمة . وترتبط الجزيرة بالخارج بعدد من الخطوط المنتظمة البحرية والجوية . هذا وقد بلغ عدد السفن التى دخلت موانيها سنة ١٩٥١ ٥٣٢٠ سفينة أفرغت حمولة قدرها ٦٢٥ ألف طن ، وشحنت ما يبلغ من ٣٠٧ ألف طن من السلع .

السكان والحالة الاجتماعية بالجزيرة :

يبلغ تعداد سكان جزيرة مدغشقر حوالى ٤٫٩٣٧٫٠٠٠ نسمة ، منهم حوالى ٧٥٫٠٠٠ نسمة من الفرنسيين و ٥٠٠٠ من الأوروبيين من مختلف الاجناس ، وحوالى ٢٠٠٠ آسيوى ، والباقى من سكان الجزيرة الوطنية ويطلق عليها مالاجازى .

ويرى علماء الاجناس أن سكان الجزيرة الاصليين ربما كانوا منحدرين فى الأصل من سكان جزر الملايو أو بوجه عام من سكان جزر المنطقة الجنوبية القريبة للمحيط الهادى . ويرجع ذلك الى اختلافهم البين عن أهالى القارة الافريقية . وبالجزيرة طائفة كبيرة من المسلمين .

ويتألف السكان الأصليون من جملة قبائل ، أهمها قبيلة هوفاس ، اذ هى أكبرها عددا ويزيد تعددها على مليون وربع نسمة .

اللغات :

ولكل قبيلة من قبائل الجزيرة لغة

خاصة ، الا أن لغة هوفاس شائعة الاستعمال لدى كثيرين من أفراد القبائل الاخرى .

كذلك اتضح من الاحصائيات التى أجريت أخيرا أن ١٨ ٪ من سكان البلاد يفهمون اللغة الفرنسية ، ولا غرابة فى ذلك فالمحتل فرنسى واللغة الرسمية هى الفرنسية ، كما أن الفرنسيين دأبوا على نشر الثقافة الفرنسية بين ساكنى مستعمراتهم من السكان الأصليين .

الدين :

أما الديانات فمن الثابت أن العرب قد عرفوا الجزيرة منذ القرن التاسع الميلادى على الاقل ، وقد اختلط سكان البلاد الاصليون بالعرب المهاجرين اليها ، وهذا يفسر وجود حوالى ٧٥ مسجدا بالجزيرة للمسلمين ، وابتداء من القرن التاسع عشر اعتنق المسيحية عدد كبير من قبيلة هوفاس . وتزخر الجزيرة بنشاط الجهات التبشيرية الفرنسية والانجليزية والامريكية والنرويجية . وبالجزيرة حوالى ٤٠٨٠ كنيسة كاثوليكية ، و٣٥٨٦ كنيسة بروتستانية الا أن أغلبية السكان مازالوا وثنيين ولا دين لهم .

الثقافة :

أما التعليم فهو اجبارى على السكان كلهم من سن ٦ سنوات الى ١٤ سنة بالمدارس الابتدائية . الا أنه بالرغم من أن عدد الذين فى سن التعليم يبلغ ٧٣٦٫٠٠٠ نسمة فان عدد المدارس الابتدائية الموجودة بالجزيرة لا تسمح بتعليم ما يزيد على ٢٨٨٫٠٠٠ تلميذ وتلميذة .

والمدارس نوعان : خاصة وشعبية ، ومتوسط عدد الطلبة فى الفصل الواحد يتراوح بين ٦٨ و٩٥ تلميذا . وبالجزيرة كذلك ثلاث مدارس ثانوية ، وبعض المدارس الفنية ، وتنعدم الكليات أو الدراسات الجامعية بها .

السينما :

ويوجد بالجزيرة حوالى ٤٠ دارا للسينما ، ومثل هذا العدد من وحدات السينما المتنقلة .

الاذاعة :

وبالعاصمة تاناناريف محطة اذاعة لاسلكية لها برنامج بلغات الملاجاز ، مدته ٤٦ ساعة فى الاسبوع . وبرنامج فرنسى مدته ٦٢ ١/٢ ساعة أسبوعيا ، ويبلغ عدد أجهزة الاستقبال بالجزيرة حوالى ١٧٠٠٠ جهاز

الصحافة :

كذلك يصدر بمدغشقر عدد من الجرائد والمجلات ، بعضها باللغة الفرنسية ، وبعضها بلغة الملاجاز :

١ صحيفة يومية بالفرنسية
٢ صحيفتان يوميتان بالملاجاز
٥ مجلات أسبوعية بالفرنسية
١٧ مجلة بالملاجاز
٣ مجلات بالفرنسية والملاجاز شهرية

الحالة الصحية :

والحالة الصحية بالجزيرة على جانب كبير من التأخر ، اذ لا يوجد بالجزيرة أكثر من ٤١٧ طبيبا ، أى طبيب واحد لكل عشرة آلاف نسمة من السكان ، و٣٨٨ ممرضا وممرضة أى بنسبة ١ : ١٠٢٨٠ من السكان . أما المستشفيات فانها تحوى عددا من الأسرة بمعدل سرير واحد لكل ٤٦٠ فردا من السكان

الحالة الاقتصادية للبلاد :

يعتبر الدخل الفردى للسكان الاصليين ضئيلا جدا ، ومن ثم فان مستوى المعيشة منخفض الى أقصى حد ، حتى أنه فى بعض مناطق الجزيرة يصبح هذا الدخل من الضآلة بحيث لا تستطيع أسرة مكونة من ٣ أشخاص أو ٤ أن تحصل على أكثر

من ٢/١ كيلوجرام من اللحم فى سنة كاملة .

ويتكون دخل الحكومة من الضرائب المتنوعة المفروضة على الافراد أو الارض أو الماشية . يضاف الى ذلك ايرادات الجمارك والبريد والتلغراف والاسواق وما شابه ذلك . كما يغطى جزء كبير من المصروفات من الاستثمارات الاقتصادية ، وأهم أبواب المصروفات هى الادارة والاشغال العامة ، والخدمات الصحية ، والتعليم ، والبريد . وقد بلغت ميزانية سنة ١٩٥٦ : ١٠٨٦ر١ مليون فرنك

ويعتمد أهالى الجزيرة اعتمادا كليا على الزراعة ورعى الماشية

وأهم حاصلات الجزيرة الزراعية هى الذرة وقصب السكر والارز والفاصوليا والبطاطس والبن والطباق والفول السودانى وزيت الخروع

ويستخرج من غابات الجزيرة أخشاب قيمة أهمها الابنوس والماهوجينى وخشب الورد . وتعتبر الغابات مصدرا مهما للمطاط . وبعض النباتات الطبية .

وبالجزيرة عدد من الصناعات ، وان كانت صناعات بدائية ، ومن أهمها صناعة نسيج الحرير والقطن وصناعة برانيط القش والسكر وضرب الارز وصناعة الصابون وصناعة حفظ اللحوم والاطعمة

أما ثروة الجزيرة المعدنية ، فلم تستغل على نطاق واسع ، وقد صدرت الجزيرة فى سنة ١٩٥٤ ما قيمته ٣٤٥٨ مليون فرنك من الجرافيت ، و١٢٠٢ مليون فرنك من الميكا ، و١٧ طنا من الاحجار الكريمة منها ٤ كيلو جراما من الذهب ، و٢٧ طنا من صخور الكريستال ، و٤٧٤ طنا من الزبرجد

هذا ، وتعتبر فرنسا ومستعمراتها أهم العملاء التجاريين للجزيرة ، وأول دول مستوردة أو مصدرة تليها الولايات المتحدة الامريكية

وأهم صادرات الجزيرة هى : البن ، واللحم المحفوظ ، والمواشى ، والارز ، والقرنفل ، والطباق

وأهم وارداتها البترول ومنتجاته ، والجوت ، والمنسوجات القطنية ، والماكينات ، والسيارات

وتقوم علاقة تجارية بين الجمهورية العربية المتحدة وجزيرة مدغشقر ، فقد استوردت مصر فى سنة ١٩٥٦ منها ما قيمته ٦٣٤٤ جنيها مقابل ١٧٣٣٨٩ جنيها قيمة ما صدرته ، وأهم صادرات الجمهورية العربية للجزيرة : الثوم والبصل وغزل القطن والاقمشة القطنية والملابس الجاهزة ، وأهم ما استوردته : القرنفل ، ونباتات الصباغة ، والجلود الخام ، وبعض البن

نحو مستقبل أفضل :

واليوم وأفريقية تصحو من سباتها مطالبة بالاستقلال والعزة لكل شعب من شعوبها فلا شك أن كفاح الاحرار بالجزيرة سيعود بالنتائج المرجوة نحو تحرير شعب مدغشقر من الاستعمار الفرنسى . فقد تحررت غينيا أخيرا ، ولا تزال الثورة فى الجزائر على أشدها مطالبة بالاستقلال ، وسنرى فى القريب العاجل الحرية تمتد الى القارة كلها والى جزيرة مدغشقر الغنية بخيراتها القوية بروح أصحابها المنادية بالاستقلال والعزة والكرامة

مؤتمر يوم الحرية

لاقى مؤتمر التحرير فى القارة نجاحا فائق النظير. فقد أحس الافريقيون بالوحدة العضوية التى تجمع بين مشاعرهم ، وأحاسيسهم ، وان كل جبهة فى القارة تقف متساندة مع صف طويل من الجباه السمر التى نذرت نفسها لاستعادة القارة من الايدى التى استنزفتها ، والمطامع التى اعتصرتها فى عنف ووحشية .

ويمكن أن نرى هذا الفجر القريب فى هذه القرارات التى أعلنها الاستاذ ((محمد عبد العزيز اسحق)) باسم المؤتمر وهى :

١ ــ اعلان مساندة شعب الجمهورية العربية المتحدة ، والشعب العربى لجميع حركات التحرر الافريقية حتى تصل الى اهدافها فى التحرر والاستقلال .

٢ ــ مناشدة ضمير العالم للقضاء على ((التفرقة العنصرية)) فى افريقية .

٣ ــ التمسك بالقرارات التاريخية التى أصدرتها مؤتمرات باندونج ، واكرا ، والقاهرة ..

٤ ــ انذار الاستعمار بالجلاء عن افريقية فى موعد غايته ١٥ من ابريل عام ١٩٦٠ والا قامت الثورة العارمة فى اليوم السادس عشر منه للقضاء قضاء مبرما على المستعمرين .

٥ ــ مناشدة الحكومات الافريقية المستقلة للوقوف صفا واحدا لمناصرة الشعوب التى لم تتحرر بعد فى افريقية ..

٦ ــ مناشدة الشعوب الآسيوية والافريقية ان تهب جميعها لمحو الاستعمار من القارة الافريقية .

٧ ــ أن تكون افريقية بخيراتها لاهلها .

.. وهكذا بقى على القارة جميعها أن تعمل بمقتضى هذا ((الميثاق)) وهى فى الوقت نفسه مسئولة أمام العالم عن الموعد الذى حددته للحرية ..

ع . ب

يوم الحرية الافريقية

الزعيم الزنجبارى : على محسن

لا أستطيع أن أقارن هذا اليوم ، يوم الحرية فى أفريقية ، بأى شىء آخر فى العالم ، فهو اليوم الذى يحدد بداية مرحلة جديدة فى كفاح القارة من أجل تحرير أفريقية الام ، فلابد أن تكون هذه المرحلة الجديدة قصيرة وحاسمة فى تاريخنا • فعلى أفريقية ابتداء من هذا اليوم الخامس عشر من شهر أبريل عام ١٩٥٩ ، وعلينا أن نقرر اننا لن نحتفل بمثل هذا اليوم من عام ١٩٦٠ الا بعد أن تظلل الحرية سماء بلادنا ، ونخلص كل جزء من أراضى هذه القارة العظيمة من الاستعمار • فقد ظللنا فترة طويلة من الزمن نعيش فى خضوع للحكم الاجنبى ، وبقينا أمدا طويلا نقاسى الكثير من المستعمرين الاجانب الذين يتصرفون فى أمورنا والذين تتركز مصالحهم فى استغلالنا بما يعود عليهم بالمنفعة والربح ، ولقد ظللنا زمنا طويلا مرتبطين بعجلة الآخرين ، نقاسى منهم الظلم والتعذيب والضيم ، وينكرون علينا أهم حقوقنا الانسانية الضرورية فى المساهمة فى حكم بلادنا ، ولذلك فاننا لن نستطيع بعد اليوم أن ننتظر طويلا ، فأفريقية لابد أن تتحرر تحررا كاملا بزوغ عام ١٩٦٠ •

ان جزءا كبيرا من شمال القارة قد تحرر فعلا ، كما أن شمس الحرية تبزغ الآن فى سماء غرب أفريقية ، أما فى الشرق والجنوب فان الاستعمار يحفر لنفسه قبرا فى أرض المعركة الاخيرة التى ستطيح به • اننا لكى نزيل هذا العدو الرابض فى أرضنا نحتاج الى كل ذرة من قوتنا ، لمساعدة كل حلفاء أفريقية ، وعليكم جميعا أفريقيين وغير أفريقيين أن تفهموا كما فهم **عبد الناصر ونكرومه** جيدا أن الشعوب المتطلعة الى الحرية ان لم تقض على الاستعمار قضاء تاما ، فان الحرية التى كسبتها الدول التى يقال انها قد تحررت ، لاتعنى شيئا بالمرة لانها ستظل دائما معرضة لخطر الهجوم والابادة ، والاستعمار فى أفريقية بصوره وأشكاله المختلفة ليس الا حاجزا صلبا يقف ضد شعوب القارة ، ويتمثل فى سياسته التى يطبقها فى نظام التمييز العنصرى وخلق معسكرات التجميع والنفى والطرد ، وفى الستار الحديدى الذى يفرضه ، وفى المجازر البشرية الجماعية التى يقوم بها • ان قلبى ليتفطر من أجل اخوتى وأخواتى فى الجزائر ، هؤلاء الذين يتعرضون اليوم لتعذيب المستعمرين الفرنسيين ، واننى أتألم عندما أتصور الظروف التى يعيش فيها **جوموكينياتا** فى عزلته التى فرضت عليه ، كما أتألم لصديقى ((**ناتينج**)) الذى كان معنا فى أكرا فى شهر ديسمبر الماضى ، ولرفيقى **أوبيد** الذى ظل ينتظر أكثر من خمس

سنوات التهمة التى تدبر ضده فى أحد سجون كينيا . اننى أحس معكم جميعا باللوعة والالم من أجل ضحايا **((ولنسكى))** هذا الرجل الذى يحمل فى قلبه بغضا لاحد له للقومية الافريقية التى بدأت تظهر فى سماء (نياسالاند) و (روديسيا) .

ولقد دفعت الغيرة والحقد التى يحملها البيض للرجل الاسود الذى قد أصبح اليوم أفضل مما كان ، دفعت « ولنسكى » الى أن يلفق التهم الكاذبة ضد الدكتور « هاستنج باندا » الرجل المثقف الذى يمتاز بعقلية تقدمية متطورة ، فعل ذلك ولنسكى لكى يتمكن الاستعمار من تعطيل حركته التى يهدف بها الى تحرير بلاده من ربقة الاستعمار الاجنبى . وهذا الموقف من الظلم والطغيان نراه ماثلا أمامنا فى بعض الدول التى تعيش تحت الحكم الاجنبى ، ولكنه ليس عاما فى جميع مناطق أفريقية ففى زنجبار وتنجانيقا وأوغندة ليست يد الاستعمار من القوة والقسوة كما فى الدول الاخرى .

فهى يد يغلفها قفاز من الحرير ، وعندما يحاول الاستعمار أن يضرب بهذه اليد فانه يضرب بها فى مكر ودهاء ولكنها الضربة المهلكة المدمرة ، انها السم الزعاف فى كأس من العسل . ومثل هذا الاسلوب يحمل دائما فى ثناياه الخطر المخيف .

وتبدو بعض بلاد افريقية المستعمرة وكأنها هادئة أمام أعين العالم الخارجى وهو أسلوب الاستعمار التقليدى الذى يطبقه الرجل الابيض فى هذه المستعمرات حيث يملك الاراضى ويستغلها ويستفيد منها وهو بعيد عنها ، ومن ثم فليس هناك وجود واضح لمجتمع المستعمر الابيض الذى يعتبر وجوده عنصرا من عناصر تعقيد المشكلة وحيث يتهور فيتخذ الاجراءات العنيفة التى من شأنها أن تثير الشعوب الافريقية ، وتجذب اهتمام الرأى العام العالمى .

أما فى المستعمرات القديمة التى ربما يضع المستعمر لها ألقابا مختلفة مثل محميات أو مناطق تحت الوصاية فان عبودية شعوب هذه البلاد للاستعمار ربما تظل الى ماشاء الله . الا اذا استيقظت هذه الشعوب وعرفت بيت الداء فأثارت اهتمام الافريقيين وأشعلت الثورة فى صفوفهم ضد المستعمر وخلصتهم من سمومه .

وكان هذا المعنى هو الباعث الاصيل لقيام الحزب الزنجبارى الوطنى .

ففى عام ١٩٥٥ انتجت المعركة الواعية التى خاض غمارها هؤلاء المخلصون من أبناء الوطن ثمرتها الناضجة ، فقد اجتمع عدد قليل من أبناء الريف وتساءلوا فيما بينهم .. « الى أين يجب أن تسير زنجبار ؟ » وكان الرد على هذا التساؤل هو قيام الحزب الوطنى فى زنجبار .

وأصبح هذا الحزب يمثل الحركة الجماهيرية الوطنية المكافحة ، فتزايد عدد أعضائه بالآلاف وأنشأ حوالى تسعين فرعا تعمل كلها فى مجال الاصلاح فى الحقل الزنجبارى كله .

وجهاز الحزب ذو شكل هرمى يبدأ بالقرية التى تعتبر القاعدة المحلية الاولى ثم يكبر فيأخذ مستوى اقليميا ، وأخيرا يستدق طرفه حتى ينتهى فى قمته باللجنة التنفيذية الوطنية التى تمثل الهيئة القيادية للحزب . وتكمن قوة هذا الحزب ونجاحه فى شمول حركته التى احتلت المسطح الجغرافى للدولة كلها .

وقد نظمت بهذه الطريقة حتى لاتترك فرصة للاستفادة بكل امكانيات الشعب فقد ضم الحزب أقساما للشباب والنساء . وداخل هذا التنظيم يقوم الاعضاء بتنفيذ الاساليب والقواعد التى يتبعها الحزب الرئيسى نفسه ففى

المنظمات الاقليميـة تتشكل المجـالس المركزية والسكرتيرية الخاصة ، ولكن هذه الهيئات المحليـة لابد أن تتلقى توجيهات اللجنـة التنفيذية للحزب الوطني وتخضع لسلطانه ورياسته .

ولكل قسم من أقسام الشـباب والنساء تمثيل متعادل في مؤتمـر الحزب الذي تتم فيـه الموافقة عـلى السياسة والبرامج وعلى هـذا تنضم النقابات والجمعيات التعاونية .

واذا كان نكرومه قد قال « انني أفضل الاستقلال المحفوف بالخطر على العبودية التي يسودها السلام ! »

وقال سـيكوتورى « انني أفضل الاستقلال مع الفقر على الاستعباد مع الثروة »

فانني أوافقهما تمـام الموافقة ، ولـكنني لا أرى ما يدعـو اليوم الى اختيار أهون الشرين .

فحركتنا الوطنية في زنجبار تؤمن ايمانا عميقا باستقلال يصحبه الثراء والسلام ، ومن ثم فان الحزب الى جانب اهتمامه بالجانب السـياسى يوجه أشـد الاهتمام الى النشـاط الثقافي ورفع مستوى معيشةالشعب عن طـريق النقـابات ، والحـركات التعاونية .

والتهمة التى يجب أن توجـه الى الاستعمار في « زنجبار » هي اهماله للتعليم ، وهذه تهمة لاتقل خطرا عن التهمة بالطغيان والاستبداد !

وقد أدتسياسة الفوضىالاستعمارية في النظم التربوية والاقتصادية في زنجبار الى تشريدعدد كبير منشبابنا في الشوارع . ومن شأن هذهالسياسة الفاشلة أنها تجنى على خبرة شبابنا ، وتترك الفرصة للاجنبى لكى يستمتع بخيرات بلادنا ، وثرواتها . ومن أجل هذا وضع الحزب تخطيطا شاملا لعدة مشروعاتتهدف الى الحد مناستنزاف المستعمر لقوى شبابنا ، والعمل على اسـتغلال امكانيات هـذا الشباب للاغراض البناءةفىاقامة دولةلاتستمتع بالحـرية فقط ، بل تستمتع أيضا بالثروة والسلام !

ولقد تأسـسـت أيضا المصـانع التعاونية ، كما قامت جمعياتلحياكة ملابس السـيدات في جـو تعـاوني شامل . .

وتعملفروع الحزب المتعددةكمراكز لتثقيف الجماهير وتنويرهم سياسيا وتختلف هذه المراكز من حيث العدد والضخامة من مراكز تتكون من أقل من مائة عضو منتسـب الى مراكز يصلعدد أعضائها الىخمسةآلافعضو تقريبا . على أنمعظم هذه المراكز قد بني بناء بسيطا ، استعمل فيهالطوب النيء وأخشـاب نخيـل الجـوز ، والقش ولكنه في النهـاية بالرغم من بسـاطته أصـبح مراكز للثقـافة والانعـاش الاقتصـادى واليقظـة السياسية .

انها تمثـل « **زنجبار** » الحديثة .

أما فيما يتعلق بوسائل الدعاية التى يملكها الحزب فهي محدودة ومرتبطة بالطاقات المـادية للاعضاء . فقسم الصحافة لايسـتطيع انسان أن ينكر مدى اخلاصـه وشجاعته في أداء رسالته .

ولكنه لايستطيع بحال من الاحوال أن ينافس أجهـزة الصحافة المعـدة اعدادا دقيقا ، والمزودة بالمال تزويدا طيبا ، والتى أملا أن تكون خاضـعة لسيطرة المستعمر . أو مملوكة للعناصر الرجعية التى تتلقى من الحكومة كل تأييد ومساعدة .

والحق أن الشعب الافريقى ليس في زنجبار فحسب ، بل في كل زاوية من مناطق وسط وشرق القارة يقـع اليوم تحت تأثير الدعاية الاستعمارية التى تتمثـل في الـكتب والنشرات والجرائد والمجلات والافلام ومحطات الاذاعـة . ففى أفريقية الشرقيـة وحدها مايربو على ست محطاتاذاعية

تلون الحكم الاستعمارى بأجمل الالوان جاذبية واغراء ، كما تقدم صورة مغرضة مشوهة عن القادة الوطنيين ،والحركات القومية ،والبلاد المعادية للاستعمار .

وهكذا أصبح واضحا أن المساعدات والتساند بيننا أصبحت حاجة ضرورية جدا لأهل البلاد التى فقد الاستعمار فيها صوابه ، وأخذ يعدم الابرياء من الرجال والنساء ، بل أيضا فى هذه المناطق التى لايزال الاستعمار يلعب فيها دورا خطيرا من وراء ستار .

ولاشك فى أن الاستعمار بالرغم من كل هذه الاجهزة المحكمة التى يشنها للدعاية فانه يحارب الآن على أرض أفريقية فى معركة خاسرة ، فالدعاية لابد أن تؤيدها الحقائق .

فمنذ زمن طويل دأبت دعاية الاستعمار على نشر سمومها وخرافتها ضد الرئيس **جمال عبد الناصر** ، وجمهوريته العظيمة ، التى نستمتع اليوم بكرمها ، والتى ندين لها بالكثير من تقدمنا فى ميدان العلم نحن معشر الزنجباريين خاصة الذين يدفعنا أكثر من سبب لتقديم آيات الشكر والامتنان .

كانت هذه الدعاية تقوم على خرافة تقول : ان الجمهورية العربية المتحدة شيوعية أو هى آلة شيوعية ، ومن أجل ذلك منعتنى الادارة البريطانية مرتين من الحضور الى القاهرة . ولقد ماتت هذه الخرافة ، ورأينا بريطانيا تتودد اليوم فى صراحة لقاسم ، وتبدى كراهيتها وخوفها من القومية العربية فبريطانيا دائما تؤمن عمليا بقول ديزرائيلى المشهور « ان بريطانيا لا تستطيع أن يكون لها أصدقاء دائمون ، ولا أعداء دائمون بل لها فقط مصالح دائمة !!» .

ولذلك فهى لا تجد غضاضة ولا تناقضا فى سياسة قاسم العراق . وان بريطانيا لاتعرف مدى ما تجنيه من خسارة عندما تنساق فى تيار الحكام الضعاف الذين تساندهم وتؤيدهم .

وفى هذا الوقت الذى تترنح فيه أعمدة الاستعمار التى يقوم عليها كيانه فان الجهود المتحدة اتحادا حقيقيا ستكون الضربة القاضية التى نستطيع به مادامت هذه الضربة ستكون محكمة التصويب .

ومن المؤكد أنه لا يكفى أن تتحرر أفريقية فقط ، بل لابد أن تتحد أيضا ، والا فان هذه القارة لن تستطيع أن تحافظ على حريتها الى الابد . وهذا الاتحاد يتطلب وجود تفاهم مشترك ، فمن الحقائق المؤسفة حقا ان الافريقيين عند ما يتقابلون فى مؤتمراتهم يجدون أنفسهم مضطرين لاستعمال لغتين أجنبيتين ، وأعتقد أنه من الضرورى أن نعمل على أن نتعلم جميعا — على الاقل — لغتين أو ثلاثا من اللغات الافريقية الرئيسية .

علينا أن نتعلم العربية ولغة الهوسا واللغة السواحيلية ، فالعربية لغة يفهمها حوالى نصف سكان القارة . أما اللغة السواحيلية فى شرق ووسط أفريقية فهى اللسان يتفاهم به نسبة تقرب من ١/٦ الى ١/٥ الافريقيين ، أما لغة الهوسا فهى اللغة التى يتفاهم بها سكان غرب أفريقية وعددهم يصل الى ما يقرب من ١/٦ الى ١/٥ سكان القارة كذلك .

ولقد سررت حينما سمعت من **الاستاذ محمد عبد العزيز اسحق** انه قد اقترح تدريس لغة الهوسا واللغة السواحلية فى الرابطة الافريقية بالقاهرة . .

على أنى أطالب بانشاء « مكتب ترجمة » يتولى نقل الاعمال القيمة من اللغة العربية الى هاتين اللغتين على أن توزع بعد طبعها بثمن زهيد

فى الدول التى يعنيها الامر .

وعندما أتحدث الى شعبى بصفة خاصة ، فاننى أقول لهم بصدق ان اللغة السواحلية تخسر كثيرا حينما لا تقرأ فيها بعض الكتب الهامة مثل كتاب ((فلسفة الثورة)) الرئيس جمال ، وكتاب ((ثورة على ضفاف النيل)) للسيد أنور السادات ، وأعمال بعض كبار الكتاب كطه حسين وتوفيق الحكيم .

ومن هنا يجب أن توضع مشروعات وخطط عاجلة ترمى الى تعليم اللغة العربية للنصف الباقى من سكان أفريقية .

ان جماعة ممن يمثلون شرق ووسط أفريقية يجتمعون اليوم فى ((زنجبار)) والحركة التى تهدف الى تحرير أفريقية الشرقية والوسطى عازمة على تنسيق جهود كل الحركات الوطنية فى اقليمنا للكفاح من أجل الحرية .

وهذا المؤتمر الذى ينعقد فى ظل ظروف قاسية عنيفة لم يحظ بوجود كثير من قادة وزعماء روديسيا وكينيا ونياسالاند الذين كانوا سيحضرون هذا المؤتمر لأن الاستعمار قد أودعهم السجون ! وقد قام بعض الزعماء الموجودين الآن فى بريطانيا من روديسيا ونياسالاند برفع قضية بلادهم للحكومة البريطانية وشرحها للشعب البريطانى . ان المعركة مستمرة اليوم ، وعلينا جميعا أن نقوم بواجبنا فى هذه المعركة .

ومنذ أسابيع قليلة أبلغنا الادارة البريطانية بأنها لابد أن ترحل عن بلادنا فى العام القادم . وقام الشباب بالصاق المنشورات على جميع الحوائط ، هذه المنشورات التى كانت تتضمن المطالبة بالحرية فى عام ١٩٦٠ ..

فهل يمكن أن يكون هناك طلب أكثر شرعية وقانونية من هذا ؟ ولكن الحكومة بعثت برجال البوليس الذين انتشروا فى كل مكان بعصيهم ، وأصدرت اليهم الاوامر بتمزيق هذه الملصقات والاعتداء على الآمنين .

ولكن اعلانات ((اليهيورو Lihuru)) ظلت فى الاذهان . ذلك لاننا قد عزمنا على أن نحتفل بيوم الحرية القادم فى جو من الحرية التامة .



يوم عالمي ضد الاستعمار

بقلم : نجوج الويس مارى

ان يوم ٢٤ من ابريل سنة ١٩٥٦ يوم تاريخي من أيام مؤتمر باندونج. قصد المؤتمر بجعله عالميا أن يعبر الشباب فيه عن سخطه على الاستعمار، وعن رغبته في تحقيق التعايش السلمى، ففي ذلك اليوم دوى في سمع الدنيا الاعلان الذى رفع لواء العلاقات الدولية القائمة على أساس حرية جميع الشعوب المستعمرة واستقلالها، وعلى أساس عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الاخرى، وعلى التعاون المتبادل، والتضامن، والتعايش السلمى.

لقد احتفل بذلك اليوم كثير من منظمات الشباب الدولية، واحتفلت به جمعيات وطنية للتضامن الافرسيوى كما احتفل به أيضا عدد من الحكومات الوطنية، ولقد أوصت اللجنة التنفيذية لمنظمة الـ FMJD منذ اجتماعها الذى انعقد في كولومبو في ديسمبر الماضى، المنظمات المختلفة بالمساهمة في الاحتفال يوم ٢٤ من ابريل من هذا العام، بجميع الوسائل الممكنة، كما وجه مؤتمر الشباب الافرسيوى الذى انعقد مؤخرا في القاهرة دعوة الى شباب افريقية وآسيا لكى يعتبروا ذلك اليوم تعبيرا عن التضامن مع الشباب المكافح ضد الاستعمار، من أجل الحرية والاستقلال، ومن أجل التعاون الذى يستهدف تحقيق المبادىء التى نادى بها ميثاق الامم المتحدة، وذلك بتأييد الحركات الوطنية، ودعم مبادىء التعايش السلمى، وهذا يؤكد ضرورة الاحتفال بذلك اليوم على اوسع نطاق من التضامن الدولى بين الشباب ضد السيطرة والاستعمار.

فالعصر الذى نعيش فيه يعانى مشكلة كبرى : هى مشكلة السلام في العالم، ولو تحدثنا بلغة المنطق فاننا نقول : انها مشكلة القضاء على الاستعمار وعلى السيطرة، هذين العدوين اللعينين فالواقع أن الاستعمار قد عارض دائما انشاء عالم يسوده السلام والتقدم والحضارة، وهى الاهداف التى تهم جيلنا الجديد، فالاستعمار حيثما حل يبحث دائما عن وسيلة ينجح بها في امتصاص جميع الموارد القومية في البلاد المحتلة، فهو يشن الحروب، وينشر بذور التفرقة العنصرية، ويشيع الخلاف بين أبناء الوطن الواحد، كما يحاول تمزيق الاواصر بين الشعوب المتجاورة، هادفا الى استمرار تحكمه واستبداده. كان ذلك هدف فرنسا حين أعلنت الحرب في الهند الصينية، فقد فرضت استبدادها على سيام وكمبوديا ولاوس. وكان ذلك ايضا هدف الاستعماريين الامريكيين، فكم شنوا من حروب، وكم دبروا من مؤامرات من أجل السيطرة على فورموزا والفلبين وجزر هاواى !..

بيد أن قوى الحرية والسلام لم تمل طول الطريق ، بل انها قاتلت بشجاعة ، وأحرزت انتصارات رائعة، مسجلة بذلك الانهيار السريع الذى منى به النظام الاستعمارى ، فشهدنا من عهد ليس ببعيد تحالل هذا النظام فى القارة الآسيوية . والحق أن ألفا وثلثمائة مليون من اخواننا فى آسيا قد تحرروا من ربقة الاستعمار أو شبه الاستعمار على اثر الحرب العالمية الثانية ، الامر الذى حمل الاستعماريين وقد انتابهم السعار الى أن يعلنوا صراخهم : « لقد فقدنا آسيا فبقيت لنا افريقية » .

ولكن .. هل استقر بهم المقام فى افريقية ؟ .. الواقع لا . . فان آمال المستعمرين فى تلك القارة لم تذق طعم القرار ، وها نحن اليوم نشهد لهب الكفاح للتحرر وقد اندلعت ثورات الشعوب المستعمرة فى كل أرجاء القارة الافريقية ، كما هى الحال فى العالم العربى .

فالثورة المصرية ، واستقلال السودان وليبيا ، ومراكش ، وغانا ، ومولد الحكومة المؤقتة لجمهورية الجزائر ، وجمهورية غينيا ، والعراق ، والدعوة الى مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا .. كل هذه ضربات ماحقة للمستبدين . وهاهو الكونغو البلجيكى يتحرك مثيرا معه نياسالاند فى روديسيا . أما فى الكمرون ، فعلى الرغم من الانتهاك الصارخ لميثاق الامم المتحدة ، ولاتفاقيات الوصاية ، وعلى الرغم من أحداث القتل والتعذيب الوحشية البربرية ، فان شعب الكمرون معتزم مواصلة كفاحه من أجل استقلاله لاتحده قيود ، ولا تفرض عليه شروط تتنافى ومطامحه .

ولو أننا أجلنا بصرنا من أوغندا الى كينيا الى توجو ، ومن اتحاد جنوب افريقية الى موريتانيا فسنجد أن أخطبوط الاستعمار قد أصابته جروح قاتلة ، لكن هؤلاء الاستعماريين الذين يشهدون اليوم فقدانهم المحتوم لمناطق نفوذهم ، قد عمدوا الى شتى الوسائل لاثارة حرب عالمية .

وأخطر هذه الوسائل بغير شك هو سباق التسلح بين الدول الكبرى ، ذلك الذى لا يعد مدعاة لحرب عالمية فحسب ، بل انه أيضا هدم لجميع القيم والمثل والخطط التى شادها شباب العالم على دعامة السلام .

ولا ريب أن لشباب العالم أجمع آمالا متقاربة فى جوهرها ، فالشباب ينشد الارتفاع بمستوى حياته ، كما يرغب أن يحرز أعظم قدر من الثقافة والتعليم ، وأن تنشأ له المراكز والمؤسسات الاجتماعية والرياضية ، وهذه الحاجات تتطلب أموالا طائلة ، هى التى تدفع اليوم فى غمار التسابق نحو التسلح .

ففى هذا اليوم التاريخى الذى أصبح يوم الصرخة فى وجه الاستعمار ينبغى لشباب العالم عامة ، وشباب البلدان المستعمرة بوجه خاص ، أن يصدروا حكم الادانة على كل مايقيد من قريب أو من بعيد سعيهم الى تحقيق آمالهم الفتية ، وكل مايعرقل تطورهم ورفاهيتهم ، كما يجب عليهم أن يقضوا على سائر بذور الاستعمار ، التى تتمثل فى التسابق نحو التسلح ، الذى لن يكون من نتيجته سوى دعم بناء الاستعمار العالمى ، كما أنه سيكون وسيلة لمقاومة الحركات الشعبية التحررية .

وجب أن يقضى بصراحة على الاتجاه نحو تكوين الاحلاف ، وانشاء القواعد العسكرية ، لان هذا كله لايهدف الا الى خنق الحركات الوطنية ودعم القواعد الاستعمارية المشرفة على الانهيار .



رسالة السيد محمود حربي
الرئيس السابق لوزراء الصومال

اخواني الاعزاء :

باسم شعب الصومال أتوجه اليكم في هذه المناسبة التي جمعت اخواننا الافريقيين في صعيد واحد .

وأنتم تعلمون أن مؤتمر « أكرا » هو الذي قرر تخصيص هذا اليوم الذي يستهل مرحلة جديدة من تاريخ كفاحنا في سبيل تحرير أفريقية .

فمنذ أن وقعت بلادنا تحت سيطرة الاستعمار لم يفتر أجدادنا عن سنة الكفاح . وقد جاء اليوم دورنا لمواصلة تلك المهمة المقدسة التي بدأوها ، والتي سنظل نرفع لواءها حتى آخر قطرة من دمائنا مهما اضطهدنا الاستعمار ، ومهما حاول اخضاعنا واذلالنا .

فبلاد الصومال التي مزقها الاستعماريون الى خمسة أجزاء ظلت على الرغم من كيدهم متحدة ، تؤكد لهم أن الحدود والفواصل التي خلقوها لن تستطيع أن تفصم عرى الاخوة بين أبناء الوطن الواحد ، فالكفاحنا مشترك ، وشعوبنا لاهدف لها الا أن تتحرر . وأن تتحد من جديد .

ان الاستعماريين يدركون جيدا مغزى امتداد حركة التحرر ، تلك التي تنمو وتنتشر انتشار النار في الهشيم في أرجاء القارة السوداء ،

ولقد حاولوا القضاء علينا بمحاولاتهم اليائسة حين اضطهدوا حركتنا الوطنية في وحشية وافتراس ، ظانين أنهم يستطيعون الابقاء على السيطرة والسلطان في أيديهم بوسائل الارهاب ، والزج بأبناء الشعب في السجون والمنافي جماعات اثر جماعات . وهنا تتمثل غلطتهم الكبرى ، لان شعوبنا حين تواجه ظروفا كهذه لايمكنها الا أن تلجأ الى الطريقة ذاتها ، ومن هنا كانت تلك الاحداث الدامية التي خاضت غمارها الشعوب في افريقية الوسطى والشرقية .

وليس يخفى عليكم الموقف الذى اتخذه الشعب ردا على الاستفتاء المزعوم الذى أجراه ديجول ، وهو موقف يعتبر بداية مرحلة حاسمة في تاريخ بلادنا .

واليوم يأخذ كفاح الوطن شكلا جديدا ، فأمام عناد الاستعماريين ورفضهم الاعتراف بحقوقنا المشروعة نجد أنفسنا مضطرين الى الالتجاء الى القوة ، فليس ماتلقاه القوات المعسكرة في بلادنا ضربا من المقاومة السلبية ، بل هو حركة واعية ذات اصرار على الكفاح بكل ماتملك من وسائل . وهاهي حركتنا الوطنية توشك أن تسيطر على مساحة واسعة ، كما أن شبابنا مستعد لكل احتمال ، فلقد قررنا أن نموت لكي يعيش أبناؤنا أحرارا !

ان الاستعمار يتشبث دون جدوى بأرضنا لان ثرواتنا لاحصر لها ، فهو

حين يوزع أراضينا على عملائه يحاول أن يكرهنا على الخضوع ، وأن يبقينا في غل الذل والعبودية .

وهناك حكومات تحكم بلادنا متاخمة لبلادنا ، وهى حكومات دانت للسيطرة الاجنبية ، فلم تدرك أنها بذلك تساعد الاستعمار الغشوم على خنق حركتنا ، فاذا آثرت تلك الحكومات التعاون مع الاستعمار فان عليها أن تعلم أن شعوبها لاترضى مطلقا بسياسة التعاون مع الاعداء ، وسيأتى اليوم الذى يقصى فيه هؤلاء الاذلاء العملاء عن كراسى الحكم بيد الشعب المنتصر . ونحن فى كفاحنا من أجل التحرر نعتمد اعتمادا كبيرا على تعاون الدول الشقيقة ، فبفضل هذا التعاون أوشكت قواتنا أن تبلغ هدفها المنشود . بيد أنه طالما بقى أقل جزء من أرض قارتنا الكبرى فى أيدى المستعمرين ، فان عملنا سيبقى ناقصا الى أن يتحرر الوطن بأكمله ، ويومئذ نبدأ فى تكريس جهودنا من أجل رفعة شعبنا ومن أجل ترقيته سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . ان طريقنا طويل شاق ، وان آلامنا عظام جسام ، ولكن شيئا فى الدنيا لن يستطيع أن يوقف أو يعوق موجة الحرية التى تفيض اليوم على افريقية .

وان الصومال وسائر الشعوب الافريقية التى ترزح تحت كابوس الاستعمار لتنتظر على أحر من الجمر تلك اللحظة التى سيتاح لها فيها أن تتمتع تمتعا كاملا بخيراتها ، فان وجود المستعمرين على أرضنا لم يعقب سوى ألوان البؤس والفاقة . ولقد تحمل شعبنا ببطولة هذه الفاقة ، ولكننا نعلن اليوم فى غمرة كفاحنا أننا لانطمح الى ثأر ، بل كل أملنا هو أن نضع نهاية لهذا الشقاء ، فنحن نريد أن نعيش فى سلام ، وأن نتعاون فى ظلال الحب والاخوة .

وختاما : أنتهز هذه الفرصة العزيزة لأنقل الى أخواننا فى الكفاح أنبل مشاعر الاخوة والتأييد من شعب الصومال ، سدد الله خطانا ، وأعاننا وهدانا . ولعلنا فى المستقبل القريب نلتقى مرة أخرى ، يوم نكون قد حققنا هدفنا ، وبلغنا غايتنا .

تحيا افريقية الحرة — يحيا التضامن الافروسيوى .





هذه كلمة وفد ارتريا ألقاها السيد ادريس محمد آدم الرئيس السابق للجمعية النيابية لارتريا .

أيها السادة ما أكثر ماكنا ننتظر مثل هذا اليوم وما أشد لهفتنا لمثل هذه الساعة . هذا اليوم الذي يقف فيه الافريقيون في كل قرية وفي كل مدينة ليصرخوا في وجه الاستعمار البغيض صرخة داوية عالية وكأنها صرخة رجل واحد (أخرجوا من أفريقية) ! .

في هذا اليوم تقف أفريقيا بأسرها لتخط بيديها طريق المستقبل .

ولترسم بنفسها الصورة المثلى لحياة سرمدية واللوحة المثلى لعالم أفضل ـ حياة ملؤها الحرية والعدالة والمساواة وعالم يسوده السلام والرفاهية واستقلال الشعوب .

فأفريقية اليوم لم تعد ذلك القطيع المتنافر الذي ينساق حيث يساق ! ولكنها أفريقية المتدفقة بالحياة .

أفريقية الصلبة العنيدة في حقوقها ، افريقية التي تقوم بدورها خير قيام لحماية الحضارة من الدمار وحماية الانسانية من الانهيار .

كم كنا ننتظر مثل هذا اليوم يوم تتجمع فيه أفئدة الافريقيين جميعا ليصيحوا بصوت واحد (أخرجوا من أفريقية) .

أيها السادة ان الاستعمار يدرك تمام الادراك أنه لا بقاء له بيننا بعد أن اتحدت قواتنا وتضافرت جمهورنا وانه يدرك تمام الادراك أن الحركات التحررية التي تجتاح أفريقية اليوم لابد أن تقضي على كل أثر من آثاره وان تيار البعث الافريقي لابد من أن يجرف كل من يعترض سبيله ـ لذلك فالاستعمار يلجأ الى وسائل خسيسة فيتشكل بأشكال مختلفة ويتلون تبعا لكل مكان وكل وزمان .

ومن هذه الاشكال التي بدأ يتخذها في هذه المرحلة من كفاحنا ضده أن يستتر وراء الاتحادات الفيدرالية فاتخذ من هذا المعنى النبيل معنى الوحدة والاخاء قناعا له يخفي فيه أنيابه الحادة ويخفي فيه مخالبه القذرة .

فما ان أوشكت الحركة الوطنية الارترية تأتي أكلها وكادت ارتريا تعتبر في عداد الدول المستقلة حتى تقدمت الجبهة الاستعمارية في الامم المتحدة بمشروع قرار يقضي باتحاد ارتريا فيدراليا مع أثيوبيا وتكتل المعسكر الاستعماري مع فلوله الرجعية ليجبر الامم المتحدة على اتخاذ ذلك القرار الذي أقرته الامم المتحدة في الثاني من ديسمبر سنة ١٩٥٢ .

والذين يعلمون ما هي اثيوبيا ومن هو الذي تقدم بهذا المشروع ثم من هو المستفيد منه يدركون تماما ان ماكان الا ستارا زائفا للاستعمار ، وانه ليس الا لعبة استعمارية لن يستفيد منها الشعب الارتري ولا الشعب الاثيوبي

فقد خشيت أمريكا من تيار الحرية والاستقلال الذي كان يجتاح ارتريا فأرادت ان تربطنا باثيوبيا لان ارتباطنا

بأثيوبيا يضمن لها استخدام أراضينا قاعدة عدوانية لكبت الحركات التحررية فى أفريقيا والشرق الاوسط ولان ارتباطنا بأثيوبيا يضمن لها استغلال مستودعات البترول المنتشرة فى ارتريا واستخدام بلادنا ميدانا للحرب الذرية ويضمن لها السيطرة على الطريق الموصل بين الشرق والغرب باستيلائها على أكبر جزء من البحر الاحمر .

ووجدت امريكا فى الحكومة الاثيوبية مخلب القط الذى تستخدمه للوصول الى أغراضها فقدمت ذلك

المشروع وخدعت الامم المتحدة فوافقت عليه فى ديسمبر سنة ١٩٥٢ وهكذا دخل الشعب الارترى فى سجن الامبراطورية الاثيوبية ووضعت ارتريا فى قبضة حكومة لاتمت اليها بصلة حكومة لا ترى فيه الا قنطرة الى البحر الاحمر وآبارا وحقولا للعمليات الحربية وعبيدا يدفعون الضرائب وهم صاغرون .

ولجأت الحكومة الاثيوبية الى مايلجأ اليه كل مستعمر من تكميم للافواه

وتشريد للاحرار وسجن للابرياء وكبت للحريات الاساسية ومصادرة للصحف

أيها السادة ـ يا من تؤمنون بأن قضية الحرية واحدة لا تقبل التجزئة

وأن الاستعمار بشتى صوره وأياما كان مايمارسه فهو شر لابد من القضاء عليه ،

وأن استقلال الشعوب الافريقية يكمل بعضه بعضا وأن مبدأ عدم التدخل هو حجر الزاوية فى العلاقات الاخوية

الشريفة ـ يامن تؤمنون بهذا كله ندعوكم باسم الشعب الارترى الى أن تطالبوا أثيوبيا معنا بأن ترفع يدها عن ارتريا وتطلق صراح المسجونين

السياسيين من أمثال السيد محمد عمر قاضى والحاج سليمان والحاج

امام مرسى والسيد الياس تخلو محرر جريدة صوت أرتريا التى صودرت ،

أولئك الذين حوكموا وسجنوا لانهم طالبوا أثيوبيا باحترام تعهداتها الدولية وتنفيذ قرارات الامم المتحدة كما ندعوكم ان تطالبوا معنا الامم

المتحدة بارسال لجنة دولية لتلمس بنفسها مدى ما نال قراراتها من خرق

واهانة ولتعيد النظر فى قضية ارتريا على ضوء رغبات شعب ارتريا .

هذا ولا يريد الوفد الارترى ان تفوته هذه الفرصة دون ان يتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان للجمهورية

العربية المتحدة وعلى رأسها السيد الرئيس جمال عبد الناصر بطل أفريقية ورائد الحركات التحررية فيها .

صرخة من جنوب أفريقية

كلمة : مندوب جنوب افريقية

لقد كان «لسيسل رودس» — أحد الدهاة المستعمرين البريطانيين ، الذى عاش فى جنوب أفريقية وأطلق اسمه على روديسيا بعد غزو هذا البلد — كان لهذا الرجل أطماع كبيرة، كان يريد أن يرفع العلم البريطانى على طول الطريق الذى يبدأ من رأس الرجاء الصالح حتى مدينة القاهرة ، وبذلك يكمل حركة اخضاع القارة الافريقية على طول الامتداد الشرقى .

ومات رودس قبل أن تتحقق هذه الخطة ، ولاشك فى أن الاستعمار الذى يحارب من أجله « سيسل » وغيره يلفظ اليوم آخر أنفاسه .

لقد أصبح واضحا تماما أن العمل الجليل العظيم الذى يهدف الى توحيد القارة ، انما يقع فقط على كاهل شعوب افريقية وحدها ، وأصبح اليوم الذى تمهد فيه الطريق الصحيح للاخوة بين الشعوب الافريقية كلها من القاهرة حتى رأس الرجاء الصالح . ومن « أسمرة » حتى « اكرا » ومن « مراكش » الى « الكونغو » أصبح هذا اليوم قريبا جدا .

اننا نحتفل فى هذه اللحظات **« بيوم الحرية فى افريقية »** فى وقت تتأجج فيه — بصورة لا مثيل لها — كثير من الحركات الوطنية التى تطالب بالاستقلال والحرية . ولقد شهدت الاشهر القليلة الماضية ، منذ أن انعقد المؤتمر التاريخى للشعوب الافريقية كلها ، مظاهرات غاضبة تطالب بالاستقلال فى مختلف المناطق : فى نياسالاند والكونجو وأوغندا وغيرها من سائر بلاد افريقية .

والموقف اليوم فى أفريقية يمتاز بغليان الحماس الشعبى من أجل تقرير مصيره ، كما يمتاز بانهيار ثروات المستعمرين وضعف نفوذهم .

واننا فى جنوب افريقية بالرغم من أننا نمثل الغالبية العظمى للسكان ، فان الاقلية من البيض المستعمرين تحرمنا من كل حقوقنا الشرعية .

انها تعمل على اخضاع الشعب لاقسى أنواع الظلم العنصرى . ولقد ألقى المستعمرون البيض الذين تخيفهم حركة المد الثورى لتحقيق التحرر القومى فى بعض أجزاء افريقية، ألقى هؤلاء المستعمرون بزعماء جنوب افريقية فى السجون .

وفى روديسيا ، ونياسالاند أصدر البيض المستعمرون أوامرهم بتحريم عقد أى مؤتمر افريقى . ومن الواضح أن هذه أعمال الرجل اليائس ،ولدينا فى جنوب افريقية مثل شعبى يقول : **« يركل الوحش ركلته الاخيرة عندما يموت »** .

وحتى عندما بدت السحب السوداء فى الافق فان شعب جنوب افريقية

ظل يكافح ويستوحى الالهـام من اخوانه الذين يحـرزون النصر فى كل جزء من أجزاء القارة الحبيبة ، فقـد استوحى الهامه من اخوانه المنتصرين

فى الجمهورية العربيـة تحت زعامة الرئيس جمـال عبـد النـاصر ،

واستوحى كذلك الهـامه من موقف اخوانه فى غانه تحت قيـادة الرئيس نكرومه .

واليوم تشرق شـمس شـعب افريقيـة المكافح ، فى الوقت الذى تغرب فيه شمس الاستعمار الاوروبى البغيض .

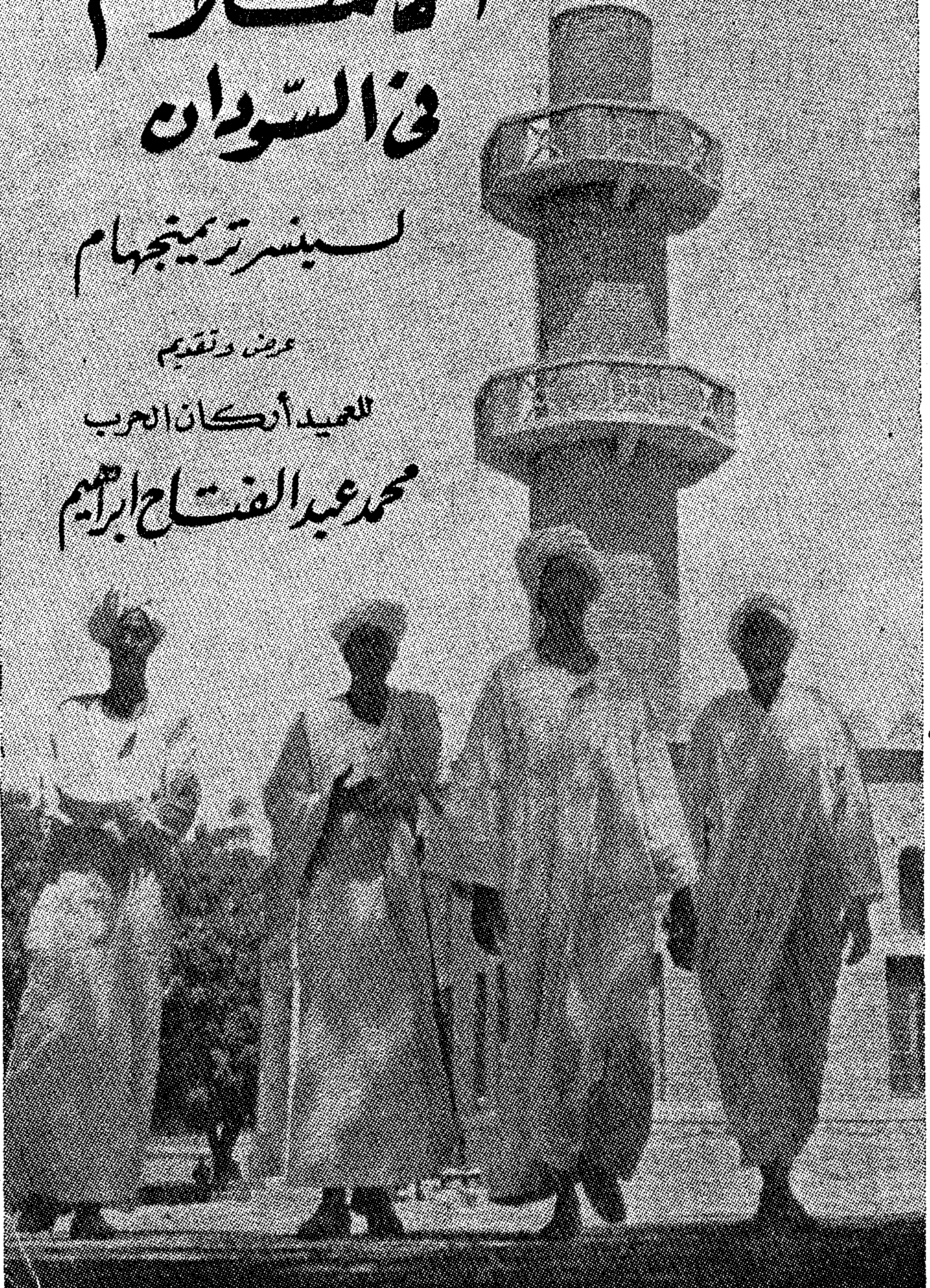
وانه ليسعدنى أن أتقدم فى هـذا اليوم العظيم بتحيات الاخوة الصادقة باسم شعب جنوب افريقية المظلوم الى جميع اخواننـا الافريقيين الذين يرفعون اليوم عـلم الثورة من أجـل تحرير القارة الافريقية كلها .

عاش الكفـاح من أجل التحـرر القومى فى افريقية .

وان الامل فى الغد لكبير بأن تتحرر القارة الافريقية ، ويصـبح لها دور قيادى فى توجيه مصائر الحـرية ، ويوم يكون لها هـذا الحق - وانه لقريب - ستنعم السعادة كل بلد ، وترفرف الحرية فى كل مكان . لان أفريقية أصبحت تقول كلمتها فى قوة .. وفى اخلاص !!

وفى محبة !!




كتاب الشهر
الإسلام
في السودان
لسبنسر ترمنجهام
عرض وتقديم
للعميد أركان الحرب
محمد عبد الفتاح ابراهيم

- ١ -
الكتاب .. والكاتب

ليس هذا الكتاب جديدا ، وقد يكون من الغريب حقا أن أحدث طبعاته فى المكتبات العامة ترجع الى سنة ١٩٥١ ، والفكرة فى هذا أن الكتاب يقدم عرضا اقليميا « للاسلام فى السودان » وللمؤلف كتاب آخر يقدم حديثا عن «الاسلام فى الحبشة » ،

والدين والثقافة توأمان فى أى بلد اسلامى بعامة وفى السودان بخاصة بل ان الدين هو حجر الزاوية فى كل اتجاهات الحياة السياسية والاجتماعية فى السودان .

وأذكر أننى عرضت لتريمنجهام وكتابه أكثر من مرة وأنا أقدم فى «ركن الجنوب» قصة أعلام المتصوفة وأئمة الهداية والدين فى أرض الجزيرة ،

وعلى جانبى النيل الاعظم طوال حكم السلطنة الزرقاء ، فالكتاب ليس دراسة نظرية للاسلام ، ولو حاول هذا لما وفق على أساس ماحاول الكثيرون من المستشرقين وكتاب الدراسات العامة أن يقدموا للقراء بلغات الفرنجة مايقوله بعض أصحاب النظريات فى العبادات والتشريع دون التعمق فى دراسة روح الدين ،

ولكن الرجل قد عنى العناية كلها بالاحوال الاجتماعية التى كان الاسلام على مدى القرون هو العامل المؤثر فى المجتمع السودانى .

والواقع أننا فى أية دراسة عن السودان نجد « البيئة » فى أحد جانبى الصورة ، البيئة باقسامها من الجبل والوادى ، النهر والسهل ، الجو والمطر ، الرمال والرياح ، ونجد فى الجانب الآخر من الصورة «الانسان» فى صورة الزارع وفى صورة الراعى ، يعيش على هامش أرضه التى يزرعها أو الكلأ الذى ترعاه جماله أو أبقاره أو ماشيته ، معزولا فى مجتمعه ، يحيا حياة استقلالية كاملة ولكنه ليس طليقا ، حتى ولكأنه هو وجماله ، أو هو وبقرته قطعة من أرض السودان الخصبة السوداء التربة ، أو مرتفعا من المرتفعات الرملية الذهبية اللون المبعثرة فى الصحراء ..

و « الانسان » فى السودان يعمل تبعا « للفعل » و « رد الفعل » ، ولم تعد الجماعة ثابتة ثبوت الارض ، بل ان « الانسان » يغير من نفسه ليبقى على « تكيفه » مع البيئة الجغرافية وبذلك يستطيع أن يستخدمها ثم يستطيع أن يسودها ، وهكذا غير « البقارة » من صورة حياتهم الأساسية ، عندما انتقلوا من رعى الماشية الى رعى الجمال ، فكل الجهود اذن تجىء من الانسان نفسه .

ولكن مع هذا ، كان هناك منذ أبعد عصور التاريخ فى السودان ، ارتباط وثيق بين الروح والمادة ، بين الانسان والطبيعة ، ولهذا فان وحدة الطابع فى حياة الزارع والراعى ، انما هى استجابة لوحدة الارض سواء أكانت من التربة السوداء المثمرة ، أم من الرمال الصفراء المحرقة .

ثم جاء عامل خارجى قوى كان له أثره فى شمال السودان ، وجاء هذا العامل المؤثر ذو النفوذ القوى من الارض الجرداء فى شرق البحر الاحمر ، ومن بلاد العرب جاء « الرجال » و « اللغة » و « الدين » وجاء النظام التشريعى للاسلام ، وكان للاسلام تأثيره الكبير فى سيكلوجية الناس فوجه آراءهم الدينية وجهة واحدة أثارت دهشة كل الذين كتبوا عن هذا الركن من افريقية دراسة من دراسات الانثروبولوجية الاجتماعية .

يقول تريمنجهام فى مقدمته للطبعة الاولى من كتابه : « وتقبل السودانيون

الاسلام بقلوب تواقة للدين متعطشة للايمان ، ولكنهم تقبلوه بمنطقهم وروحهم المتصوفة أصلا ، فانشدوا الأناشيد فى الاسلام .. ورقصوا وبكوا على أساس عقائدهم التصوفية المأخوذة من صميم الدين كما أدركوه،

ونقلوا أعيادهم وتقاليدهم القديمة اليه ، ولكنهم مع هذا الطابع لم يغفلوا قط عن واقعية الوحدة المتوارثة فى رعاية اله واحد .

ولهذا لكى يمكن أن نفهم السودان ولكى نفهم اخواننا الذين يعيشون معنا على النيل الأعظم ، منذ جرت الحياة متدفقة من ملايين السنين ، يجب أن نضع موضع التقدير حركتين هامتين ، الأولى : حركة تطور الأهلين بالاتصال بالبيئة الجغرافية ، والأخرى :

هى الحركة التى جاء بها الاسلام بما صحب الدين من تطور ثقافى واجتماعى كان له أثره على الناس فرادى وجماعات .

وكان القصد الذى استهدفه « تريمنجهام » من كتابه ، دراسة الاسلام كما هو اليوم فى السودان .

أما الكاتب « سبنسر تريمنجهام » فهو رجل انجليزى من رجال الادارة الذين عملوا على الاتصال بالأهلين طويلا فى مختلف بقاع السودان ، وكان سبنسر تريمنجهام يمتاز على الكثيرين من رجال الادارة وموظفى المكتب السياسى بدراساته وبحوثه واطلاعه على كل ما نشر عن السودان بعامة ووثائق السلطنات الاسلامية التى نشأت فى السودان بين أرض الجزيرة

ودار الفور ثم فى وسط السودان عند تقلى ، وتستطيع من مناقشة الهوامش الكثيرة الدقيقة التى لاتخلو منها صفحة من كتابه أن تعرف أن الرجل كان يناقش هذا فى مراجعه الأصلية ، مما يجعل دراساته أقرب الى الواقعية من غيره من المؤلفين الذين تعرضوا لدراسات المجتمع السودانى فى صورة ما .

٢ ــ الأرض والناس :

والواقع أن الاصطلاح « بلاد السودان » اصطلاح مبهم طليق غير محدد ، وقد أطلق على أغلب أرض افريقية فى جنوب شبه القارة الصحراوية ، التى تمتد من الاطلانطيق الى البحر الأحمر ، وتقع بلاد السودان فى هذا التعريف الطليق بين مواطن الجماعة الحامية فى شمال افريقية والمجموعة الزنجية فى أواسط افريقية، ومع هذا ففى تاريخ حديث أطلق المحدثون عدة تسميات مثل (السودان الغربى) على حوض السنغال وغامبيا وفولتا العلوى والنيجر الأوسط ، و « السودان الأوسط » على حوض بحيرة تشاد ، ثم السودان الشرقى على الجزء الشمالى من السودان الحالى .

والنيل بفروعه هو الظاهرة الجغرافية الهامة فى السودان ، ولكن السدود التى على النيل جعلت طرق الصحراء أقصر من ناحية الزمن

وأقل نفقة من ناحية تكاليف الانتقال ، ولهذا يبدو أن طرق القوافل فى الصحراء فى شرق النيل الأعظم وغربه كانت هى التى جاءت « بالهجرات » وكانت هى التى نقلت « الحضارة » .

ولكن الجو كان أقوى ظاهرة وأثرا ، لأن الجو كان أقوى نفوذا على الناس،

بل على الموقف الجغرافى ، فكان (الجو) بمختلف صوره هو الذى يؤثر على خصب التربة ، وكمية المحصول ووفرة الكلأ ، وبذلك كان هو الذى يرسم طريقة الحياة للناس .

بل ان هذا الجو بما فيه من رياح وأمطار ، وما يسبب هذا من جدب أو خصب يؤثر بالطبيعة فى توزيع السكان وازدحامهم على مجارى المياه بعامة وفى جنوب السودان بخاصة ،

وفى تبعثرهم وندرتهم فى الصحراء الرملية والمرتفعات والهضاب ، حيث تتوافر بعض الوديان التى تسقى فى موسم الامطار .

وعندما جاء العرب فى غالبيتهم عن طريق مصر الى أرض النوبه(١) فى شمال السودان ، وجدوا جماعات من المجموعة القوقازية ــ الزنجية من الكنوز والمحس والسكوت والدناقلة ، الذين يعيشون على جانبى النيل الأعظم بين أسوان ودنقله العجوز (دنقلة القديمة) ، وكانوا يتكلمون عدة لهجات من لغة جاءت الى المنطقة مع الجماعات الزنجية الوافدة من الجنوب فى العصر المسيحى .

ولقى العرب فى الأقاليم الشرقية ، بين النيل الأعظم والبحر الأحمر ، قبائل البجه ، وهى مجموعات يقول سليجمان انهـا من الجنس المصرى السابق لعصر التاريخ المسطور ،

واسم « البجه » قد أطلقه مؤرخو العرب على (البشاريين والهدندوه) ووصفهم ابن سليم وذكرهم المسعودى ولا تزال للناس عاداتهم وتقاليدهم فيما عدا الانتساب للأمم ، وتضعهم تقاليدهم فى مجموعة واحدة مع القبائل الحامية فى شرق افريقية .

وقد لايعنينا فى الواقع تقسيم القبائل العربية فى السودان من ناحية الأصول ، اللهم الا من ناحية السرد التاريخى ، على أن ماكميكل يقسمهم (وهو التقسيم الذى جعله تريمنجهام دعامة بحثه) الى مجموعتين رئيسيتين ، مجموعة (الجعليين ــ الدناقلة) ، ومجموعة قبائل (جهينة) ، وقد وزعت كل من هاتين المجموعتين فى أنحاء السودان ، ونجد من المجموعة الأولى « الجوابرة » و « البديرية » و « الشائقية » و « البطاحين » و « الجموعية » و « الجوامعة » .

وفى كردفان من هذه المجموعة « الدواليب » و « الجوابرة » و « البديرية » و « الجوامعة » ،

ونلقى الفدايات الذين هم من مجموعة النوبه ــ فنج ، ويقولون عن أنفسهم انهم من (الجعليين) ، كما نجد من مجموعة (جهينة) « الكبابيش » و « دار حميد » و « الحمر » فى كردفان ، و « الشكرية » و «رفاعة» فى البطانة وأرض الجزيرة ، ثم المجموعة الكبيرة التى ترعى الماشية من « البقارة » .

(راجع خريطة توزيع القبائل فى السودان) .

على أن الحديث عن « الاسلام فى السودان » لايجوز أن يكون وقفا على الحديث عن القبائل العربية ، بل عندى أنه أهم عندما يجىء خاصا بالقبائل الزنجية التى تحولت الى الاسلام فى مظاعنها وأوطانها الأصلية فى وسط وغربى السودان ، قبيل تنقلاتها الاخيرة سعيا وراء الرزق ،

أو تحت ضغط التنظيم الاقليمى السياسى ، وان كانت قد احتفظت بلغاتها وتقاليدها الأولى التى صحبتها منذ قرون معرقة فى القدم .

ففى شرق السودان مستوطنات (الفلاته) ، واصطلاح (الفلاته) اصطلاح يستعمل فى اسراف ، ولكنه يعنى أولئك الذين هم أصلا من غربى أفريقية ، ومن فى شرق السودان من هؤلاء الهوسا والبورقو والفولبى وهؤلاء أصلاً من الحجيج الذين نزلوا

---

(١) النوبه (بالهـاء) هى الارض التى أسماها مؤرخو الاغريق ((اثيوبيا)) ، والتى كان المصريون القدامى يقولون عنها (كاش) وجاء ذكرها فى التوراة باسم (كوش) ولم تكن (أثيوبيا) بحال ما تطلق على الارض التى هى الحبشة ، وهى غير (النوبا) (بالالف) التى فى جبال جنوب شرقى كردفان .

شرق السودان فى طريق عودتهم من مكة .

وفى أرض الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق نجد مجموعات الفنج الذين يقول عنهم العرب « الهمج » ، ويعيش الفنج الى جانب قبائل غير اسلامية من البرتا والانجستا ، ثم البورون وغيرهم للجنوب .

أما فى دارفور فان السكان من غير العرب من الزنوج الحاميين فى الشمال ، فهم « التيبو » وهم شبه رحل من (الزغاوة) ، ثم الفور الذين يسكنون جبل مرة وما الى غربى الجبل ، و « الداجو » فى وسط دارفور ، و « المساليت » الذين يسكنون الدار التى تحمل اسمهم ، و « الداجو » الذين يعيشون فى دار اليسيرية للشمال الغربى من حدود أرض النوبا .

***

والواقع أن هذا الايجاز السريع فى التقديم يستوعب أكثر من ثلاثين صفحة من كتاب تريمنجهام الذى يصل فى جملته الى مايزيد على سبعين ومائتين من الصفحات المليئة ، ولكن الذى يجب أن نلاحظه أن تريمنجهام فى الحقيقة يقدم مسخا تاريخيا للاسلام فى افريقية وان كان قد وسم كتابه بعنوان « الاسلام فى السودان » ، وقد سلك نفس السبيل فى كتابه الآخر « الاسلام فى الحبشة » عندما قدم فيه سردا تاريخيا للاسلام فى ايريترية والحبشة وبلاد الصومال بأقسامها الثلاثة ، التى كانت تتبع حكم بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، والتى تعد الآن للاستقلال فى وحدة واحدة باسم « الصومال الكبير » .

٣ ـ السودان والحكم الاسلامى :

والواقع أن كتاب تريمنجهام قد استهدف أصلا الحديث عن السودان من فجر الحكم الاسلامى ، ولكن هذا الحديث كان من الضرورى أن يسبقه عرض سريع موجز لصورة الحياة والحكم قبل وصول الاسلام ، وهو عرض مختزل شغل فصلا من كتاب تريمنجهام فى اثنتين وأربعين صفحة .

ومع أن النوبه العليا وما يجىء الجنوب منها كانت معروفة للدولة القديمة فى مصر الفرعونية ، ومع التيقن من أن النفوذ المصرى قد وصل الى جنوب السودان وغربى أفريقية(١) الا أن النوبه العليا برزت للتاريخ المسطور مع انشاء مملكة نباتا (٧٥٠ ـ ٣٠٠ ق.م) ، وكونتها أسرة ليبية من التمحو مستندة الى نفر من كهنة آمون ، وكان ملوك نباتا هم فى الواقع جزءا من فراعنة مصر فى الدولة الحديثة ، وقد امتد نفوذ هؤلاء حتى كونوا مملكة مروى (٣٠٠ ق.م ـ ٣٥٠ ب.م) .

وتحولت النوبه الى المسيحية وتكونت مملكة مقرة فى الشمال بين الشلال الثالث ومروى (كابوشيه ـ الأبواب) ومملكة علوة Al odia فى الجنوب مع عاصمتها سوبا فى جنوب شرق الخرطوم الحالية وعلى مرمى سهم منها .

وفى سنة ٦٣٩ م غزا العرب مصر ، وفى سنة ٦٥١ م وصل عبد الله بن سعد بن أبى السرح حتى دنقلة ، وعقد معاهدة مع (كبير النوبه) من

---

(١) راجع مقال (سمات الثقافة المصرية القديمة ـ وآثرها فى هضبة البحيرات وغرب افريقيا) للكاتب ص ١٧ ـ ٢١ العدد السادس من مجلة نهضة أفريقية . (٣) خطط المقريزى ج ا ص ٣٢٣ ـ ٤

(حدود أسوان الى حدود علوه)وكان هذا فى رمضان عام ٣١ للهجرة (١)، وقد بقيت هـذه الدولة المسيحية قائمة فى مقرة حتى ١٣١٥ م ، عندما بعث الناصر قلاوون حملة الىالنوبة ، وغلب على العرش عبد الله بن سنبو فقتله كنز الدولة وكون مملكةاسلامية مستقلة ، بقيت بمنجاة من سلطان مصر عدة سنين ، أما مملكة علوة المسيحية فانتهت سنة ١٥٠٤ م نتيجة تحالف (القواسمة) من(رفاعة) والقبيلة الزنجية من (الفنج) .

على أن الذى يسترعى الانتباه ـ على مايقول تريمنجهام ص ٧٥ ـ هو أن الاسلام انتشر فى السودان ببطء أكثر مما كان متوقعـا فلم تسترع البلاد أنظار العرب فى البداية ،ومعاهدة عبد الله بن سعد توضح أنه لم يفكر فى ضم السودان ، بل كان كل مايهمه هو تأمين حدود مصر الجنوبية .

ولهذا بقيت المسيحية فى النوبة العليا وفى الجنوب منها سبعمائة سنة ،وقد انتهت نتيجة لعوامل داخلية أكثر منها لعوامل خارجية .

على أن القبائل العربيةالتىاندفعت للجنوب اثر سقوط الدولة المسيحية نزلت كلها بأرض النوبه ، وقد تبعت فى سيرها مجرى النهر ، وبقى القليل فى دنقلة ، واتجه الباقون مع مجرى النيل الاعظم ثم النيل الابيض حتى اتجهوا للجنوب الغربى منسابين فى أرض كردفان ، أو للجنوب بشرق مع مجرى العطبرة والنيـل الازرق فى (البطانة) ثم فى (الجزيرة) فى تاريخ متأخر ، ويزل الخوالدة حول كابو شيه والجعليون حول شندى والجوامعة على النيل الابيض ، وتحولت رفاعة فى الجزيرة خاضعة لحكم الفنج ، أما البقارة فساروا مع النيل حتى دنقلة ثم اتجهوا غربا ونزلوا دارفور فى حكم السلطان حسين ومن هنـاك اتجه بعضهم الى الشرق .

ويبدو أن هذه القبـائل جاءت فى أعداد قليلة ، أما القبائل الكبيرة مثل الحمر والكبابيش ، فقـد تكونت فى القرنين ١٨ أو ١٩ عنـدما انضمت اليها جماعات مختلفة من الناس .

ومن بين القبائل التى نزلت كردفان نجد الجوامعة والبديرية .

على أنه لاشك فى أن نزول هـذه القبائل العربية واستمرارها فى الارض لقرون صحبته تيارات لتعريب الناس (جعلهم عربا) ونشر الاسلام ، ويبدو أن العاملين الاساسيين اللذين سارا جنبا الى جنب هما عامل اللغة وعامل الثقافة ، وان كان الطابع الثقافى أقوى لانه صحب انتشار الاسلام ، كما أن اختلاط الدم نتيجة التزاوج قد عدل من الخواص الجنسية للقبائل الحامية والزنجية بدرجات مختلفة بين الكثرة والقلة .

ثم كانت الممالك الاسـلامية فى السودان ويصل بها تريمنجهـام الى حكم الدولة التركية ، والى عهد الامام المهدى حتى العصر الحديث ، ولكن الواقع أنها أساسيا تنتهى من الناحية المنطقية سنة ١٨٧٥ لميلاد عيسى عليه السلام ، عنـدما انتهت سلطنة دارفور .

والممالك الاسـلامية فى السودان ثلاث :

أولها : مملكة الفنج (١٥٠٥ ـ ١٨٢٠) وقامت مقام الدولة المسيحية ، وكان أول ملوكها عمارة دنقس ، واختلف الناس فى أصول الفنج ، فقال بروث الرحالة حديثا استبعده العلماء لانه رجع بهم الى الشـيلوك الذين كانوا

(١) خطط المقريزى ج ا ص ٣٢٣ ـ ٤

ليبيا
عبابده
سكوت
محى
ابوحمد
بورسودان
هدندوه
وادى الملك
هواوير
جعليون
شكريه
الخرطوم
جبل ميدوب
زغاوة
الفاشر
كواهله
وادمدنى
الدويم
الابيض
نيالا
رزيقات
بحيرة تانا
اديس ابابا
النوير
الزندى
وچوبا
بحيرة رودولف
نمولى
أوغنده
كينيا
الكونغو

توزيع القبائل فى السودان

يعيشون على النيل الابيض ، ورجع بعضهم الى أنهم نزلوا السودان من بلاد الحبشة ، وزعم آخرون أنهم من سلالة أموية هرب أصولها الى السودان من حكم العباسيين .

وثانيتها : سلطنة دارفور (١٦٣٧ ـ ١٨٠٥) ، وقامت فى الاطراف الغربية من السودان ، وكونها قوم من « الكنجارة » ، والكنجارة أحسن اسلاما من سائر الفور ، وترجع أصولهم الى اقليم بحيرة تشاد .

وثالثتها : مملكة تقلى من ١٥٧٠ حتى آخر القرن التاسع عشر ، أسسها رجل من « الجموعية » نزل جبال النوبة فاجتذب الاهلين بورعه وتقواه ، واتصل بزعيم النوبة بالمصاهرة ، ثم تولى ابنه « جيلى أبو جريدة » الامر قرابة عام ١٥٧٠ ، وتوالى أبناؤه الحكم من بعده ، وعملوا على نشر الاسلام والعروبة ، ثم مهدوا الطريق لاستيطان القبائل العربية .

على أنه بالرغم من أن هذه الممالك الثلاث فى وقت ما كانت ثلاثتها معا فى السودان ، فان أرض الفنج كانت هى المركز العلمى الاسلامى الذى تتطلع اليه جميع مناطق السودان شرقا وغربا ، بل ان الذين كانوا ينبغوّن فى دراسات الدين والفقه من علماء المناطق الاخرى ، كانوا يتجهون نحو ملوك الفنج ويعيشون فى رحابهم ، وكان سلاطين دارفور وأصحاب مملكة تقلى يستعينون بفقهاء جزيرة سنار من أعلام وعمد السلطنة الزرقاء لنشر العلم والدين فى أرضهم ، ومن هنا كان التاريخ لعلماء الدين فى السودان تاريخا للصورة التقدمية لحياة البلاد ، اذ ارتبط الاتجاه الى دراسة الدين بانتشار الاسلام ، وازدهار الممالك الاسلامية فيها ، وكان نتيجة حتمية لهذا كله .

***

وهنا يصل تريمنجهام الى الفصل الرابع من كتابه ليتحدث عن خاصيات الاسلام فى السودان ، واست أرضى عن العنوان الذى وسم به هذا الفصل « الاسلام السودانى » ، والذى يجب أن ندركه هو أن الدين حجر الزاوية فى حياة الناس عامة فى السودان ، ولا يوجد رجل ليس منتسبا الى طريقة ، وكان رجال الدين هم دعامة المجتمع المتماسك ، وكانت « خلاواتهم » محج كل قاصد ، ومزار كل طالب علم أو طالب هداية ، وكان للبواكير من رجال الدين فى السودان من الجهد ما مكن من أن تصل طبيعة الحياة فى البيئتين البشرية والجغرافية الى هذه الظاهرة التى لها أثرها ، أى أن يكون الدين حجر الزاوية فى المجتمع السودانى ، وأن يكون رجال الدين فى السودان هم حقا كما نقول دائما « مصابيح الهدى فى مدلهم أمور الدين والدنيا » .

والمرجع الهام للتاريخ لرجال الدين فى هذا العصر هو كتاب (الطبقات) للفقيه ود ضيف الله الرجل الذى خدم التاريخ مقتديا بالسلف الصالح أمثال الامام عبد الغفار الفارسى صاحب « تاريخ نيسابور » ، والامام السيوطى صاحب كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » والحافظ بن حجر صاحب كتاب « الدر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » (١) وكتاب الطبقات يتطلب منا دراسة قادمة ان شاء الله .

٤ ـ خاصيات الاسلام فى السودان :

ويقول تريمنجهام : (ان غرضنا هو محاولة تفهم عقيدة السودانى المسلم ، فالمسجد فى تقدير القادم

---

(١) حديث فى ركن الجنوب ١٩٥٧/٢/٩

الجديد الى السودان هو الفرض البارز، ولكن الواقع أنه تشارك المسجد فى هذه المآثر المزارات الكثيرة ذات القباب البيضاء لقبور أولياء الله الصالحين).

« ودراسة الاسلام فى أى قطر ليست مسألة وضع العقائد الاساسية للدين وتطبيق أو ممارسة هذه العقائد فى جداول ، بل على النقيض فان الدراسة تتطلب ادراك معنى الاسلام فى الحياة الاسلامية وكل مطالبه فى ممارسة الدين عمليا لا فى نظرياته ، على أن ننفلت من هذا الى معرفة كيف انصبت شخصيات الناس انصبابا فى هذه العقيدة ، مما مكنهم من وضع أسس تفهم الله سبحانه وتعالى وتفهم الناس ، فدراسة الاسلام من الناحية النظرية هى بالنسبة لنا فى هذا الكتاب مسألة ثانوية عندما نقارنها بما للدين من أثر فى الحياة البشرية وفى التعامل بين الناس » (١) .

والواقع أن تريمنجهام قد خلط بين الدين وتعاليمه وأسسه ، وبين ما يصحب معتقدات عامة الناس فى كل دين وفى كل قطر من خرافات فيها الكثير من الشعوذة والسحر وبخاصة فى المجتمعات البدائية ، وان كان فى الواقع لم يغفل ابراز أهمية السبيل لتفهم المسلمين والوسيلة المؤدية لهذا، والتى تجىء عن طريق أن الدين والحياة الاجتماعية يكونان معا كلا لا يتجزأ (ص ١٠٧ من الكتاب) ، فاذا ما بدأ يناقش الاسلام بالنسبة للسودانى (ص١٠٨) يجد أن الاسلام جاء الى (السودان) فى أرض غير متمدينة لا تتوافر فيها رغبات داخلية فى الناس تسهم فى معاونة تطور الدين الى مستوى عال مرتفع ثم ان صعوبة المواصلات وعدم الاستقرار السياسى فى السودان جعلت البلاد بمعزل عن باقى المراكز الاسلامية اللهم الا فى الحجاز ، ولم تمكن هذه العزلة من تطور مدارس المعرفة ولا من ايجاد ثقافة وطنية يمكن أن تضع حدا يمنع من المبالغة والشطط ، (وبهذه الطريقة فان العقيدة التى تولدت تشبعت بقوة بالاتجاهات الافريقية مع ما فيها من الصور والتقاليد التى تمتزج بالخرافات والشعوذة) ، وكان السودان أرضا خصبة لتطور بعض العقائد الفلسفية «للاخرويات» Eschatoloqical Beliéfs لم تخل منها البلاد الاسلامية الاخرى ، ولكنها عندما اقترنت بظروف سياسية واقتصادية أدت الى الانفجار الذى جاءت به « المهدية » .

على أنه قد يكون من الضرورى أن نذكر أن بعض الجماعات الزنجية فى دارفور وأرض الفونج ، والمستعربين من الحاميين والطارئين على الزنج فى شمال السودان مع ضيق نظراتهم العامة هم فى الواقع فخورون بدينهم يؤمنون بسيادة الاسلام على غيره من المعتقدات ، ثم يرتبطون بولاء كبير للدين ، وينظرون الى الحياة نظرة اسلامية صحيحة ، ولا يتأثرون بالارواح أوغيرها من التقاليد البدائية.

ومع أن الشريعة هى القانون ، واحترام الناس للقرآن الا أن الناس يجدون فى قلوبهم متسعا لتقاليد ونظم والى حقوق وواجبات لم تفرضها الشريعة ولم يتحدث عنها الدين .

والحياة بالنسبة للسودانى محدودة الاطماع ، ولهذا فلا سبيل للدهشة من السلطة التى للاضرحة والمزارات وقبور الاولياء والصالحين ، ولهذا فاننا فى تقديرنا للدين فى السودان يجب ألا نضع موضع التقدير تباين الاجناس واختلافها ، بل اننا نعلم علم اليقين أن لكل جماعة مشاعرها الخاصة بالنسبة له وطرق تفهمها له، ولهذا ، فانه من الطبيعى أن تتباين

(١) ص ١٠٥ من كتاب ترمينجهام .

صور اتباع أوامر الدين ونواهيه ، بالنسبة لسكان مختلف مناطق السودان ، ومختلف أجناسهم ..

وتباين نصيبهم من الحياة وصناعاتهم فيها ..

ومن ثم لا يمكن الا أن ننظر الى سكان السودان فى جماعات :

- جمهرة الناس .
- طبقة الفقهاء .
- المسلمون المتزمتون .

كما قد ننظر اليهم فى ضوء التقسيم البيئة الجغرافية :

- سكان المناطق التى على النيل .
- سكان مناطق الامطار فى الجزيرة وكردفان وغيرهما .
- الرعاة .. من العرب .. رعاة الابل .. البقارة .. البجه ..
- الجماعات الزنجية فى أرض الفنج .. وفى دار الفور ..

ويقول تريمنجهام ان الناس أكثر اتباعا للصوم منهم للصلاة .. على أن الصلاة تستبدل بالاوراد ، ولكن الصوم فيه كفارة عن الخطايا طوال العام (١) .

— ٥ —

فكرة مسلمى السودان فى أولياء الله الصالحين

على أن تريمنجهام يصل فى الواقع الى ناحية حساسة من بحثه ، وهى التى اسرف فأطلق عليها « عبادة القديسين » ، وهو يقدم لبحثه بالآية الكريمة : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .. صدق الله العظيم .

ولست أعرف الى أية غاية يريد أن يتعقب مظاهر الولاية فى الاسلام ، فان المسلمين يعتقدون بأن القديسين يقولون بتوجيه الله عز وجل لهم تصريف أمور الدنيا باسمه سبحانه وتعالى ! ولكن للرجل عذره فيما يشهد من تبرك عامة المسلمين بأضرحة الاولياء والصالحين ، والتماس الشفاعة والوساطة ، والفكرة فى هذا فكرة نفسية لا دينية ، فالناس يعرفون أن محمدا عليه الصلاة والسلام شفيعهم الى الله يوم الزحام ، والله سبحانه وتعالى هو القائل : « ادعونى أستجب لكم » وسؤال الله فى المكان الطاهر أفضل من التماس المعونة منه سبحانه وتعالى فى مكان آخر . ولكن ليس هذا بالذى يدفعه الى أن يقول ان « ارتباط القديسين بالحياة الدينية فى السودان من القوة الى حد أنه من المستحيل تذكر الله دون الوساطة اليه ، والوسطاء الذين يحملون عن عامة الناس عبء الطلب » أو شيئا مثل هذا .

وهو يحلل هذا بقوله : « ان الصالحين قد اجتذبوا انتباه الناس بسلطانهم منذ فجر الاسلام ، ولكن لم تتطور العقيدة فى هذه السلطة حتى بدأت طبقات المتصوفة ونظمهم فى القرن الثانى عشر الميلادى . ، وفكرة القرب من الله لم يكن لها المعنى المحدد ، ولكن مع الزمن بدأت تدور فى أذهان الناس بالنسبة للقديسين القريبى الصلة من الله ، الذين يحيون فى رحابه سبحانه وتعالى ، وهنا يقول : « ونتيجة لاستخدام كلمتى (ولى الله) أن تطورت فكرة منح الله لبعض هؤلاء الاولياء سلطات وقوى خاصة جعلت ادارة العالم ملقاة على عواتقهم » !

---

(١) ص ١٢٤ من الكتاب السطور ٣ — ١٩ .

على أن الاعتقاد فى القديسين سواء الاحياء منهم (الشيوخ والفقراء) أو الموتى (الاولياء والصالحون) قد جاء الى السودان ليجد ميدانا خصبا لتقبله واليوم بالرغم من انتشار التعليم الحديث فان بعض « الافندية » من خريجى كلية غوردون قد يقولون بغير هذا ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون أن يحولوا دون أن يعلق أطفالهم بعض الاحجبة والتعاويذ التى تؤخذ من الفقهاء الصالحين ، بل انهم هم انفسهم لا يلقون جانبا مايعطى لهم من أحجبة) ونجد فى طبقات ود ضيف الله تاريخ حياة أولئك الفقهاء الذين تتابعوا لثلاثة قرون فى حكم الفنج بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ ميلادية ، (ولا يقدم هذا الكتاب تاريخ حياة ٢٦٠ من أولياء الله الصالحين ومظاهر بركاتهم ومعجزاتهم (!!) فحسب ، بل انه يكشف الغطاء عن الحياة الدينية لجمهرة الناس فى السودان اليوم) .

ومع أن تريمنجهام يستند فى هذا الفصل من كتابه (الذى يصل الى ستين صفحة مليئة) الى بعض ترجمات لهليلسون وماكميكل وغيرهما من رجال الادارة فى السودان عن حديثه عن « الاحجبة » و « الزار » ، وتقاليد الزواج ، وما اليهما من التقاليد الاجتماعية كالموالد والذكر ، الا أن الجزء الاكبر والأهم من هذا الفصل قد استند فيه الى كتاب الطبقات لود ضيف الله ، لاسيما عند تقديمه كتب الفقيه ود ضيف الله عن معجزات الفقيه خوجلى، وحسن ود حسونة، وعمار بن عبد الحفيظ الخطيب ، وغيرهم ، وهذه أحاديث عندى اننا يجب أن نمر بها سريعا عندما نناقشها فى دراستنا لكتاب الطبقات نفسه فى الطبعة التى حققها الصديق الاستاذ سليمان داود منديل .

ولكن تريمنجهام يختتم هذا الفصل برأى له خطره ، عندما يتحدث عن القبائل التى تعيش بين خطى العرض الشماليين ١٠ و ١٢ درجة ، ويمر بمختلف الجماعات من النوبا والفنج والقبائل التى تعيش فى دار الفور ، ليقرر أن كل صور حياتهم تتحكم فيها التقاليد والعادات الوثنية ، وأن دراستها تماما يجب أن تتمشى ودراسة المجتمعات الوثنية على ما جاء فى كتاب سيلجمان « القبائل الوثنية فى السودان النيلوتى (١) .

ـ ٧ ـ

النظم الدينية وطبقات المتصوفة

وينقلب تريمنجهام مستهدفا ايضاح مكانة الصوفية من حياة المجتمع فى السودان ، والمجتمع السودانى مجتمع من المتصوفة ، وندر أن يوجد رجل ليس تابعا لطريقة من الطرق الصوفية .

وقد بدأ التصوف فى الاسلام فى القرن الاول للهجرة ، وجاءت التسمية لان المتصوفة كانوا يرتدون (الصوف) وقد رجع تريمنجهام فيه الى مقدمة ابن خلدون ص ٤٦٧ طبع القاهرة .

وقد لا تعنينا قصة الصوفية والتصوف التى قدمها تريمنجهام فى ثمانى صفحات طوال ، بقدر مايعنينا وصول المتصوفة والتصوف الى السودان ، ويقول تريمنجهام : ان الاسلام فى عصر الفنج لم يكن متأثرا بقوى من مصر بل من الحجاز ، ويقدم مرحلتين أساسيتين لادخال الطرق الصوفية الى السودان ، الاولى جاءت قبل سقوط مملكة علوة ، وجاء بها الشريف حمد أبو دنانة الذى نزل بربر سنة ٨٤٩ للهجرة (١٤٤٥

(١) ص ١٨٦ من الكتاب .

للميلاد) ، والاخرى جاء بها تاج الدين البهارى الذى أدخل طريقة القادرية والذى عاش فى أرض الجزيرة سبع سنوات ، والذى عين نفرا من الخلفاء منهم محمد الامين بن عبد الصادق ، الذى كون جماعة « الصاديقاب » ،

وبان النقا الضرير الذى كون جماعة « اليعقوباب » ، والشيخ عجيب عبد الله الذى جمع من العبدلاب ، وعبدالله دفع الله العركى الذى أوجد جماعة العركيين الذين بدلوا من طريقتهم سنة ١٨٠٠ الى الطريقة السمانية .

وتريمنجهام فى الواقع يستند فى الحديث عن الطرق الصوفية وعن شيوخ المتصوفة الى طبقات ود ضيف الله ، واستند الى الكتاب نفسه ، كما انه يبحث فى كتابه عن « المهدية » ، وان كان قد استند فى حديثه عن التصوف واتجاهاته وأهدافه الى « كتاب الامة فى التصوف » لابى نصر السراج ، والى كتاب « ترجمان الاشواق » لابن عربى ، وكلها قد قدمها هليلسون وعلق عليها قبله ، وكتب عنها فصولا فى مجموعة مجلدات «السودان فى مدونات ورسائل » ، ولهذا فانه يحسن به عندى أن يرجع الى قصص حياة شيوخ المتصوفة ، والى التاريخ لحياة الفقهاء والمتفقهين فى كتاب « الطبقات » ، لانه رجوع الى المورد الاصلى للبحث ..

وقد أدخلت « السمانية » الى السودان سنة ١٨٠٠ ميلادية بوساطة احمد الطيب البشير الذى كان يطلب العلم فى المدينة على يد شيخه محمد بن عبد الكريم السمانى ، وقد كثر أنصاره فى الجزيرة بين الحلويين وبين الجموعية والكواهلة .

ولكن الرجل الذى أثر فى السودان أكثر من غيره ، وان كان لم يدخل السودان قط ، فهو السيد أحمد بن ادريس (الفاسى) المتوفى سنة ١٨٣٧ والذى اوجد الطريقة « الادريسية » وكان تأثيره لانه فى الواقع قد علم نفرا من الطلاب اوجدوا طرقا من المتصوفة ، وأهم تلاميذه وأشهرهم الائمة :

١ ــ محمد المجذوب الصغير (١٧٩٦ ــ ١٨٣٢) الذى كون طريقة المجذوبية .

٢ ــ الشيخ ابراهيم الرشيدى (المتوفى سنة ١٨٧٤) الذى أوجد « الادريسية » فى السودان .

٣ ــ الامام محمد عثمان الميرغنى (١٧٩٣ ــ ١٨٥٣) الذى قام برحلات فى جنوب السودان وأوجد طريقة المرغنية والختمية اللتين انتشرتا فى شمال وشرق السودان .

ومن هنا نستطيع أن نجمل الطرق الصوفية فى السودان على نحو ما قدمه تريمنجهام فى كتابه الى :

١ ــ « القادرية » لمنشئها عبد القادر الجيلانى المتوفى سنة ١١٦٦ ميلادية ، ويقال للقادرية أحيانا « الجيلانية » .

٢ ــ « الشاذلية » لمنشئها ابو الحسن على بن عبد الله الشاذلى المولود سنة ١١٩٦ ميلادية قرب جبل الزعفران فى تونس .

٣ ــ « المجذوبية » والتى بدأت كطريقة محلية تنسب الى جعلى اسمه حمد بن محمود المجذوب الكبير (١٦٩٣ ــ ١٧٧٦) ونشأت فى منطقة الدامر .

٤ ــ « السمانية » وهى فرع من طريقة « الخلوتية » وادخلها الى السودان الشيخ احمد الطيب بن البشير ، وحفيد الشيخ الطيب هو الشيخ الفقيه محمد شريف بن نور الدايم الذى كان استاذا للامام المهدى الكبير على ما ترويه كتب التاريخ للحركة الدينية التجديدية فى السودان

التى عرفت باسم « الثورة المهدية »

٥ ـ «الادريسية» أو «الاحمدية» لمنشئها احمد بن ادريس الفاسى وهى جزء من حركة تجديدية تقدمية فى الاسلام فى فجر القرن التاسع عشر .

ومن الادريسية جاء فرع جديد لا طريقة جديدة هى « الرشيدية » وأوجدها سيدى احمد الرشيدى المتوفى سنة ١٥٢٤ ميلادية .

٦ ـ المرغنية او الختمية لمنشئها الامام محمد عثمان الميرغنى (١٧٩٣ ـ ١٨٥٣) .

٧ ـ « الاسماعيلية » لمنشئها اسماعيل الوالى بن عبدالله الكردفانى (١٧٩٣ ـ ١٨٦٣) ، ومع أن الاسماعيلية مأخوذة عن « المرغنية » الا أنها تعتبر طريقة منفصلة لتأثير اسماعيل الوالى فيما صاغه من أوراد ولما أوجده من تعاليم ..

٨ ـ « التيجانية » لمنشئها احمد بن محمود بن المختار التيجانى ، والتيجانية طريقة ذات نفوذ كبير فى غرب أفريقية .

٩ ـ كما توجد عدة طرق صغيرة منها « السنوسية » و « العزمية » التى أوجدها السيد محمد ماضى أبو العزايم (١٨٧٠ ـ ١٩٣٦) عندما كان يتولى التدريس فى كلية غوردون! كلية الخرطوم الجامعية فيما بعد .

كما انتقلت الى السودان بعض طرق المتصوفة من مصر مثل «الابراهيمية» نسبة الى سيد ى ابراهيم الدسوقى و «الرفاعية» و « الاحمدية» نسبة الى سيدى أحمد البدوى و«البيومية» و « النقشبندية » .

ولكن من الضرورى ان نذكر ان المصدر لكل هذه الطرق الصوفية واحد ، والاصل هو الاسلام بنقائه واتجاهاته وتعاليمه ، وهو كالسراج المنير وراء زجاج ملون لمصباح واحد؛ ولكل جماعة من المتصوفة أورادها وأذكارها ولها أيضا أسلوبها الخاص فى « أخذ العهد » أ ى الانضمام الى الطريقة ، وهو خلاف من ناحية التفاصيل لا من ناحية المبدأ ، « فالشريعة » هى الاصل «والطريقة» هى الفرع ، وأنت لا تستطيع السير فى الطريقة الا بوساطة « الشريعة » ، ولا أن تقترب من «الحقيقة »وتتفهمها الا بوساطة « الطريقة » ، «فالشريعة» هى الاصل « والطريقة » هى الفرع ، « والحقيقة » هى الثمرة ، وان توجد الثمرة الا اذا وجد الجذع والفرع ، فمن يتمسك بالشريعة ولايتبع الطريقة يضل ، ومن يتبع الطريقة دون أن يتمسك بالشريعة فهو زنديق (١) .

وبعد فهذا تقديم لكتاب تريمنجهام الى غاية مايمكن بحكم الحيز ، وبحكم الجهد ، وهو غاية مااستطعت «لايكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا ، ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين» « صدق الله العظيم » .

وهكذا فان كان فى هذا الاجمال فى التقديم نقص فأنا صاحبه وحدى ، وان كنت لم أقصده ، كما لم يقصده المؤلف الذى بذل بغير شك جهدا كبيرا ، بذل مثله عندما أخرج كتابه عن « الاسلام فى الحبشة » الذى صدر سنة ١٩٥١ .

ثم انتهى منذ أيام الى اخراج كتاب جديد عن « الاسلام فى غرب أفريقية» وسنعود الى الكتابين فى دراسات قادمة ان شاء الله .

---

(١) « منحة الاصحاب » لاحمد بن عبد الرحمن الرطبى ص ٩٦ .

que son niveau de vie soit élevé, qu'il lui soit accordé la plus grande part de culture et d'enseignement, qu'elle ait ses centres sociaux et sportifs... Et tous ces besoins nécessitent des fonds, des crédits qui sont aujourd'hui alloués à la course aux armements.

Dans la lutte contre le colonialisme les jeunes et les étudiants du monde entier ont joué et jouent encore un rôle important. La conférence de la Jeunesse Afro-Asiatique a été une éclatante manifestation de la force de la jeunesse en lutte pour la paix, la liberté et l'indépendance et a renforcé la ferme solidarité de la génération montante de deux continents. A l'occasion de cette journée historique contre le colonialisme les jeunes du monde entier et plus particulièrement les jeunes des pays coloniaux se doivent de condamner tout ce qui porte entrave de près ou de loin à la réalisation de leurs aspirations juvéniles à leur évolution et à leur prospérité. Ainsi doivent être mis au bas tous les germes du colonialisme, tels que la course aux armements qui n'est que la consolidation de l'impérialisme mondial, qui constitue le moyen de combattre les mouvements populaires de libération. La création des alliances et l'installation des bases militaires doit être formellement dénoncées, car tout cela n'a pour but que d'étouffer tous les mouvements nationalistes et affermir les bases branlantes du colonialisme.



parmi les citoyens d'une même patrie et ceux des gens avoisinants, dans le but de perpétuer sa domination. Tel était le but de la France en déclenchant la guerre d'Indochine : imposer sa domination au Siam, au Cambodge et au Laos. Pour dominer Formose, les Phillipines et les îles Hawaï, que de guerres, que d'intrigues les impérialistes américains n'ont-ils pas semées ! Mais les forces de liberté et de paix ne se sont pas laissées mener à la longue, elles ont lutté courageusement et ont remporté d'éclatantes victoires, marquant ainsi l'effondrement rapide du système colonial. C'est ainsi que nous avons assisté, il n'y a pas longtemps de cela à sa désintégration sur le continent asiatique. En effet 1.300 millions de nos frères d'Asie se libéraient du joug colonial ou semi-colonial à la suite de la deuxième grande guerre mondiale. C'est ce qui a fait pousser aux colonialistes enragés ce cri d'angoisse :

«L'Asie est perdue, l'Afrique nous reste;»

Mais même en Afrique, contrairement à leurs espoirs les colonialistes ne se sentent plus en sécurité. Aujourd'hui les flammes de la lutte libératrice des peuples coloniaux se sont saisis de tout le continent africain comme du monde arabe. La révolution égyptienne, l'indépendance de la Lybie, du Soudan, du Maroc, du Ghana, la naissance du gouvernement provisoire d'Algérie, de la République de Guinée, d'Irak, la convcoation de la Conférence des Peuples Africains à Accra sont autant des coups de bélier sur les impérialistes. Le Congo dit Belge est en ébullition, entraînant avec lui Nyassaland, en Rodhésie. Au Kamerun, malgré la violation éhontée de la Charte et des Accords de Tutelle, malgré les assassinats, les tortures les plus barbares, le peuple kamerunais entend poursuivre sa lutte pour une indépendance sans entraves et dans les conditions conformes à ses aspirations. De l'Uganda au Kenya et au Togo de l'Union Sud-Africaine à la Mauritanie, le monstre du colonialisme est mortellement blessé.

Mais les impérialistes, qui voient qu'ils vont perdre fatalement du terrain ont recours à tous les moyens pour provoquer une guerre mondiale afin de noyer dans le sang les nobles aspirations des pays ployés sous leur domination. Et l'un de ces moyens et le plus dangereux est celui de la course aux armements, qui constitue non seulement une possibilité d'une guerre mondiale, mais aussi la destruction de tous les plans et idéaux de la jeunesse basés sur la paix. Il n'est pas de doute que les jeunes du monde entier ont des projets à peu près identiques. La jeunesse demande

24 AVRIL JOURNEE MONDI CONTRE LE COLONIALISME
Par
NDJOG ALOYS-MARIE
Secrétaire à la Propagande de
la J.D.C

La Journée du 24 Avril, date historique de la Conférence de Bandoeng, a été consacrée par la Conférence unanime comme Journée Mondiale de la Jeunesse contre le colonialisme et pour la cœxistence pacifique.

C'est ce jour-là que fut solennellement proclamée la Déclaration, qui a levé l'étendard des relations internationales basées sur la liberté et l'indépendance de tous les peuples coloniaux, sur la non-intervention dans les affaires intérieures des autres pays, sur la coopération mutuelle, la solidarité et la coexistence pacifique.

Plusieurs mouvements internationaux de la jeunesse, les comités nationaux de la Solidarité Afro-Asiatique et nombre de gouvernements ont tous les ans célébré cette journée. Lors de sa réunion en décembre dernier à Colombo, le Comité Exécutif de la FMJD avait récommandé vivement aux organisations de soutenir la célébration du 24 Avril de cette année par tous les moyens possibles. La Conférence de la Jeunesse Afro-Asiatique, tenue récemment au Caire a lancé un vibrant appel à la Jeunesse d'Asie et d'Afrique pour qu'elle considère cette journée comme une expression de la solidarité avec la jeunesse luttant contre l'impérialisme, pour la liberté et l'indépendance, pour la coopération visant à la réalisation des objectifs de la Charte des Nations-Unies, à titre d'appel aux mouvements nationalistes et pour la consolidation des principes de coexistence pacifique.

Ce qui relève la nécessité de célébrer cette journée avec de démonstration aussi larges que possible de la Solidarité Internationale de la Jeunesse contre l'impérialisme et le colonialisme.

L'époque où nous vivons est dominé par le grand problème de la paix dans le monde et logiquement parlant de l'élimination radicale du colonialisme et de l'impérialisme qui en sont les ennemis jurés. Le colonialisme en effet s'est toujours opposé à la création d'un monde de paix, de progrès et de civilisation auquel s'imtéresse notre jeune génération. Partout où il s'est installé d'une façon ou d'une autre il a toujours cherché à réussir à absorber toutes les ressources nationales des pays occupés, à déclencher les guerres et à semer les germes de la discrimination raciale ou d'opposition.

L'impérialisme s'accroche en vain à nos territoires car nos richesses sont illimitées et il essaye en distribuant nos terres à ses agents de nous forcer à demeurer ployés sous le joug de la servitude et l'humiliation. Or, si certains gouvernements des pays qui entourent notre sol acceptent l'emprise étrangère et ne réalisent pas qu'ils sont en train d'aider l'impérialisme à étouffer notre mouvement, il demeure néanmoins que leurs peuples sont contraires à leurs politiques de collaboration. Ces subalternes asservis seront un jour ou l'autre limogés et c'est le peuple qui vaincra.

Dans notre lutte pour la libération, nous comptons énormément sur la solidarité des pays-frères et c'est grâce à la coopération de leurs peuples que nos forces viendront à bout de la tâche qu'ils se sont assignées. Tant que la moindre parcelle de terre de notre grand continent demeurera entre les mains des colonisateurs notre tâche sera incomplète et ce n'est que quant l'Afrique entière sera libre que nous pourrons alors nous consacrer à la promotion politique, économique et sociale de nos peuples. Le chemin est long et ardu et nos souffrances ne sont prêts de finir mais rien ne pourra arrêter ni retarder la vague de liberté qui déferle sur l'Afrique.

La Somalie comme tous les pays africains subjugués par l'impérialisme attend avec impatience le moment où elle pourra jouir complètement de son propre patrimoine. La présence des colonisateurs sur notre sol n'a engendré que des malheurs et notre peuple a héroïquement supporté ces malheurs. Nous ne souhaitons pas une vengeance mais simplement une fin à ces malheurs. Nous voulons vivre en paix et propérer sous l'égide de l'amour et de la fraternité.

En conclusion, je saisis cette noble occasion pour transmettre à tous nos frères en lutte les sentiments fraternels et l'appui du peuple somalien. Que Dieu nous inspire et nous aide et que dans un proche avenir nous nous réunissions à nouveau pour nous réjouir quand notre objectif sera atteint et que notre tâche soit achevée.

VIVE L'AFRIQUE LIBRE,

VIVE LA SOLIDARITE AFRO-ASIATIQUE.

MESSAGE de Mr. MAHMOUD Harbi à l'occasion de LA JOURNEE de L'AFRIQUE

Chers Frères,

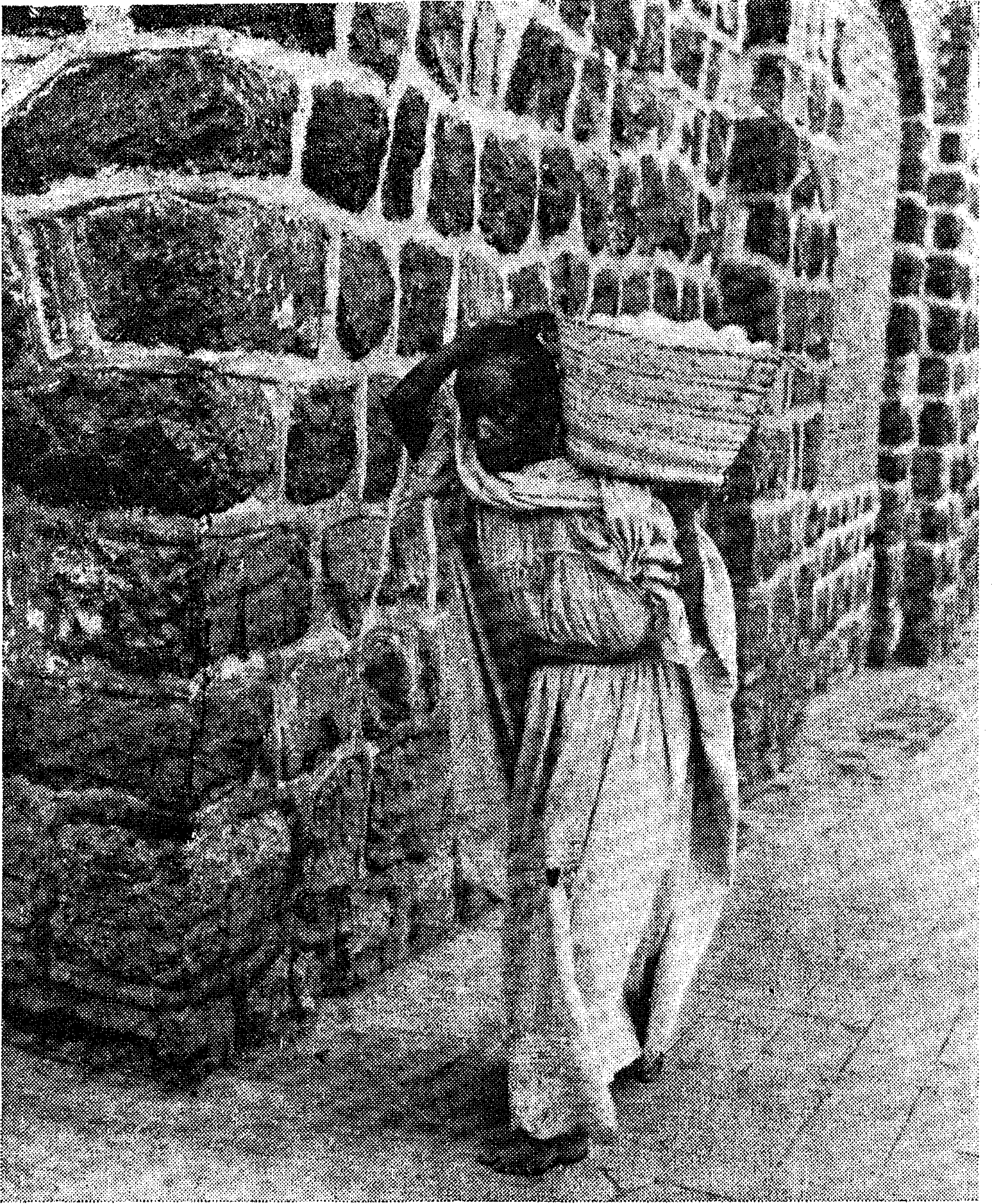
Au nom des peuples de la Somalie, je m'adresse à vous en cette occasion où nos frères africains sont réunis.

Comme vous le savez cette journée de l'Afrique a été décidée par la Conférence d'Accra pour marquer la nouvelle étape de l'histoire de notre lutte pour l'émancipation de l'Afrique. Depuis que nos pays ont été ployé sous le joug de l'impérialisme, nos ancêtres n'ont cessé de lutter et c'est aujourd'hui notre tour de continuer la tâche sacrée qu'ils ont commencé, et malgré tous les efforts de répression que l'impérialisme déploie pour nous intimider et nous subjuguer nous continuerons jusqu'à la dernière goutte de notre sang.

La Somalie que les impérialistes ont déchiré en cinq parties demeure néanmoins unie et ce ne sont pas les frontières et démarcations qu'ils ont crée qui pourront nous diviser. Notre lutte est commune et nos peuples n'ont qu'un but; se libérer et se réunifier.

Les impérialistes réalisent l'étendue du mouvement de libération qui se développe comme une trainée de poudre à travers le Continent Noir et dans un dernier effort désespéré ils essayent en vain de réprimer sauvagement nos mouvements nationalistes, ils pensent toujours pouvoir maintenir leur domination par une politique de terreur, d'emprisonnement en masse. Or c'est là leur erreur car nos peuples devant de telles mesures ne peut que recourir aux mêmes méthodes et de là les incidents sanglants qui ont lieu en Afrique Centrale et Orientale.

Vous n'êtes pas sans ignorer les réactions de nos peuples à l'égard du soi-disant référendum de De Gaulle, réactions qui ont marqué une étape décisive dans l'historique de notre pays. Aujourd'hui, la lutte dans notre pays a pris une nouvelle tournure, et devant l'intransigeance des impérialistes et leur refus d'accepter et de reconnaître nos droits légitimes, nous nous voyons acculé à recourir à la force et ce n'est plus une résistance passive que les troupes stationnées dans notre pays rencontre mais un mouvement décidé à lutter par Notre mouvement nationaliste tous les moyens en son pouvoir. est en train de s'organiser sur un [illegible] jeune [illegible] éven- [illegible] ourir po[illegible]s vivent libres.



« العودة من السوق »

2ND YEAR.

No. 17 - APRIL 1959.

Risalat IFRIQUIAH

IN THIS ISSUE